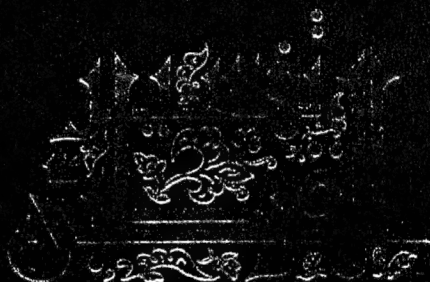


الكتاب المقدس



كتاب المقدس









الجامع لأحكام القرآن الكريم

١٠

# أنفوس القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأندلسي

رقم التمهيد

رقم التسجيل ١٨٨٨٢

دار الريان للتراث



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الجمعة

مدنية في قول الجلبج ، وهي إحدى عشرة آية . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة " . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نحن الآخرون [ الأولون <sup>(١)</sup> ] يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة يَدَّ أنهم أدتوا الكتاب من قبلنا وأوتيتاه من بعدهم فأختلفوا فهذا الله ما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هذا الله له - قال - يوم الجمعة فالיום لنا وغدا لليهود وبعده للتبارى " .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ  
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ①

تقدم الكلام فيه . وفرا أبو العالية ونصر بن عاصم « الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْمُبْدِي الْحَكِيمِ » كلها رتقاء أى هو الملك .

قوله تعالى : هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَئِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ②

قوله تعالى : ( هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ) قال ابن عباس : الأميون العرب كلهم ؛ مَنْ كتب منهم ومن لم يكتب ؛ لأنهم لم يكونوا أهل كتاب . وقيل : الأميرون

(١) زيادة من صحيح مسلم .

الذين لا يكتبون . وكذلك كانت قریش . وروى منصور عن إبراهيم قال : الأئمة الذي يقرأ ولا يكتب . وقد مضى في « البقرة » <sup>(١)</sup> (رَسُولًا مِنْهُمْ) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم . وما من حمّ من العرب إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه . قال ابن إسحاق : إلا حمّ تغلب ؛ فإن الله تعالى طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم لتصرّاتهم ، فلم يجعل لهم عليه ولادة . وكان أنبياءاً لم يقرأ من كتاب ولم يتعلم صلى الله عليه وسلم . قال المأوردى : فإن قيل ما وجه الامتنان بأن بعث نبياً أنبياءاً ؟ فالجواب عنه من ثلاثة أوجه : أحدها — موافقته ما تنهت [ به ] بشارة الأنبياء . الثاني — لمشاكلته حاله لأحوالهم ؛ فيكون أقرب إلى موافقتهم . الثالث — لينتفى عنه سوء الظن في تعليمه ما دعى إليه من الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها .

قلت : وهذا كله دليل معجزته وصدق نبوته .

قوله تعالى : (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) يعني القرآن . (وَيَرْكَبُهُمْ) أى يعلمهم أزياء القلوب بالإيمان ؛ قاله ابن عباس . وقيل : يظهرهم من دنس الكفر والذنوب ؛ قاله ابن جرير ومقاتل . وقال السدي : يأخذ زكاة أموالهم . (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) يعني القرآن ، (وَالْحِكْمَةَ) السنة ؛ قاله الحسن . وقال ابن عباس : « الكتاب » الخط بالقلم ؛ لأن الخط فشا في العرب بالشرع لما أمروا بتقييده بالخط . وقال مالك بن أنس : « الحكمة » الفقه في الدين . وقد مضى القول في هذا في « البقرة » <sup>(٢)</sup> (وَأِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ) أى من قبله وقيل أن يرسل إليهم . (لَنْ يَضِلَّ مِنْهُمْ) أى في ذهاب عن الحق .

قوله تعالى : (وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ﴿٣﴾

قوله تعالى : (وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ) هو عطف على « المؤمنين » أى بعث في الأميين وبعث في آخرين منهم . ويحوز أن يكون منصوباً بالمطف على الماء والميم في « يعلمهم ويركبهم » ؛

(١) راجع ج ٢ ص ٥ طبة ثانية . (٢) راجع ج ٢ ص ١٣١ طبة ثانية

أى يعلمهم ويسلم آخرين من المؤمنين؛ لأنّ الصلح إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستمداً  
 أى أوله، فكانه هو الذى تولى كل ما وجد منه . (لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ) أى لم يكونوا فى زمانهم  
 وسيجيئون بعدهم . قال ابن عمر وسعيد بن جبير : هم العجم . وفى صحيح البخارى ومسلم  
 عن أبى هريرة قال : كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نزلت عليه سورة « الجمعة »  
 فلما قرأ « وآخرين منهم لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ » قال رجل : من هؤلاء يا رسول الله ؟ فلم يراجعه  
 النبي صلى الله عليه وسلم حتى سألته مرة أو مرتين أو ثلاثاً . قال : وقينا سلمان الفارسي .  
 قال : فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال : " لو كان الإيمان عند القرى لقاتله  
 رجال من هؤلاء " . وفى رواية " لو كان الدين عند القرى لنهب به رجل من فارس " — أو قال —  
 من أبناء فارس حتى يتناوله " لفظ مسلم . وقال عكرمة : هم التائبون . مجاهد : هم الناس  
 كلهم ؛ يعنى من بعد العرب الذين بُعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم . وقاله ابن زيد ومقاتل  
 ابن حيان . قالوا : هم من دخل فى الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة .  
 وروى سهل بن سعد الساعدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن فى أصلاب أمتى رجالاً  
 ونساء يدخلون الجنة بغير حساب " — ثم تلا — « وآخرين منهم لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ » .  
 والقول الأول أثبت . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " رأيتنى أسقى غنّاً سوداً  
 ثم أتيتها غنّاً عَفْراً أَوْلاً يا أبا بكر " فقال : يا رسول الله ، أما السود فالعرب ، وأما العفر  
 فالعجم تبعك بعد العرب . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " كنّا أَوْلاً الْمَلَك " يعنى جبريل  
 عليه السلام . ورواه ابن أبى ليلى عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو على  
 ابن أبى طالب رضى الله عنه .

قوله تعالى : ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ ①

قال ابن عباس : حيث ألحق العجم بقریش . وقيل : يعنى الإسلام ، فضل الله يؤتيه  
 من يشاء ؛ قاله الكلبي . وقيل : يعنى الوحي والنبيّة ؛ قاله مقاتل . وقول رابع — إنه المال

يُنْفِقُ فِي الطَّاعَةِ؛ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ أَبِي صَالِحٍ . وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ قُرْأَةَ الْمَاهِرِينَ آتَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : ذَهَبَ أَهْلُ الدُّنْيَا إِلَى الْجَنَّةِ الْعِلَاءِ وَالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ . فَقَالَ : « وَمَا ذَاكَ ؟ » قَالُوا : يُصَلُّونَ كَمَا نَعْبُدُ وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا تَتَصَدَّقُ وَيُحْتَقُونَ وَلَا تُحْتَقُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفَلَا أَمْلِكُكُمْ شَيْئًا تَذْكُرُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ يَدُكُمْ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنَ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ » قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « تَسْبِحُونَ وَتَكْبِرُونَ وَتُحَمِّدُونَ ذِكْرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً » . قَالَ أَبُو صَالِحٍ : فَرَجَعَ قُرْأَةَ الْمَاهِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : تَجِيعُ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فُطِلَ قَطْعُهَا مِنْهُمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ذَاكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ » . وَقَوْلُ خَامِسٍ — أَنَّهُ اقْتِيَادُ النَّاسِ إِلَى تَصَدِيقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدُخُولِهِمْ فِي دِينِهِ وَنَصَرَتِهِ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

قوله تعالى : مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَا يُحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا وَلَيْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَتَبُوا بِهَايَتِ اللَّهِ وَآلَهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٠﴾

ضَرَبَ مَثَلًا لِلْيَهُودِ لَمَّا تَرَكُوا الْعَمَلَ بِالتَّوْرَةِ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ( حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ) أَيْ كُتِبُوا الْعَمَلُ بِهَا ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَقَالَ الْجُرُجَانِيُّ : هُوَ مِنَ الْحِمَاةِ بِمَعْنَى الْكِفَاةِ ؛ أَيْ ضَعُفُوا أَحْكَامَ التَّوْرَةِ . ( كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ) هِيَ جَمْعُ سِفَرٍ ، وَهُوَ الْكِتَابُ الْكَبِيرُ ؛ لِأَنَّهُ يَسْفَرُ عَنِ الْمَعْنَى إِذَا قُرِئَ . قَالَ تَمِيمٌ بْنُ مِهْرَانَ : الْحِمَارُ لَا يَهْدِي إِسْفَرًا عَلَى ظَهَرِهِ أَمْ زَيْلٌ ؛ فَهَكَذَا الْيَهُودُ . وَفِي هَذَا تَنْبِيْهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ حَلَّ الْكِتَابَ أَنْ يَتَّبِعَ مَعَانِيَهُ وَيَسْلَمَ مَا فِيهِ ؛ لِئَلَّا يُلْحِظَهُ مِنَ الْأَمْرِ مَا لَحِقَ هَؤُلَاءِ . وَقَالَ الشَّاعِرُ <sup>(١)</sup> :

(١) هُوَ مَرْوَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي حَضَمَةَ ؛ جِجَوْ قُرْبًا مِنْ رِوَاةِ الشَّعْرِ .

زوامل للأسفار لا علم عندهم • يجعلها إلا كسمل الأباصر  
لعمرك ما يدرى البعير إذا قُدا • بأوساقه أرواح ما في النسران<sup>(١)</sup>  
وقال يحيى بن يمان : يكتب أحدهم الحديث ولا يفهم ولا يتدبر ، فإذا سئل أحدهم  
عن مسألة جلس كأنه مكتوب • وقال الشاعر :

إن الرواة على جهل بما حملوا • يمثل الجمال عليها بحمل الودع  
لا الودع ينفعه حل الجمال له • ولا الجمال بحمل الودع تنفع

وقال منذر بن سعيد البجلي رحمه الله فاحسن :

أتقى بما شئت تجد أنصارا • وؤم أسفارا تجد حمارا  
يحمل ما وضعت من أسفار • يحمله كمثل الحمار  
يحمل أسفارا له وما تدري • إن كان [ما فيها صوابا] وخطا  
إن سئلوا قالوا كنا روينا • ما إن كذبنا ولا اعتدنا  
كبرهم يصغر عند الخليل • لأنه قلل أهل الجهل

(ثم لم يحملوها) أي لم يعملوا بها ، شبههم — والرواة في أيديهم وهم لا يعملون بها —  
بالحمار يحمل كتبها وليس له إلا يحمل الجمل من غير فائدة • و « يحمل » في موضع نصب حل  
الحال ، أي حاملا ، ويجوز أن يكون في موضع جر على الوصف ، لأن الحمار كالشئ • قال :  
• ولقد أمرت على التلخيص<sup>(٢)</sup> يسني •

(فليس مثل القوم) المثل الذي ضربناه لهم ، غنفت المضاف • (وأنه لا يبدى القوم الظالمين)  
أي من سبق في علمه أنه يكون كافرا •

(١) الوسق (ينفع الرواة وسكون الدين) : حل البعير • (٢) هراثر : جمع القراة (بالكسر) الجوانق •

(٣) كذا في الأصول ، مع طه الزيادة التي يستقيم بها الوزن • ويحمل أن يكون صوابه :

• أكلان ما فيها جاتا أبرى •

والجنان (بالضم) : الهوى • والبرى : التراب • (٤) في بعض الأصول : « قدر » •

(٥) وتامه : • لغيت حيث قلت لا يفتنى •

قوله تعالى : قُلْ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنِّي أُولِيَاءُ لِلّٰهِ  
مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿٦٠﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْهُ  
أَبَدًا يٰٓمِمَّا قَدَّمْتُ إِلَيْهِمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ ﴿٦١﴾

لما أذمت اليهود التفضيلة وقالوا ونحن أبناء الله وأحباؤه قال الله تعالى : ﴿ إِن زَعَمْتُمْ أَنِّي أُولِيَاءُ لِلّٰهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ ﴾ فلا ولياء عند الله الكرامة . ﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴾ لتصيروا إلى ما يصير إليه أولياء الله ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا يٰٓمِمَّا قَدَّمْتُ إِلَيْهِمْ ﴾ أى أسفوه من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ، فلو تمتوه لما تروا ، فكان في ذلك بطلان قولهم وما ادعوه من الولاية . وفي حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الآية : « والذي نفس محمد بيده لو تمتموا الموت ما بقى على ظهرها يهودى إلا مات » . وفي هذا إخبار عن الغيب ، ومسجزة للنبي صلى الله عليه وسلم . وقد مضى معنى هذه الآية في « البقرة » في قوله تعالى : « قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ الْبَارَةُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِينَ » .<sup>(١)</sup>

قوله تعالى : قُلْ إِنِّ الْمَوْتَ الَّذِي تَهْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَكٌ يُكْرَمُ  
فَمُتُّوْا إِلَيْهِ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾

قال الزجاج : لا يقال إن زينا فطلق . وهاتنا قال : « فإنه ملائكة » . لما في معنى « الذى » من الشرط والجواز ، أى إن فرتم منه فإنه ملائكة ، ويكون مبالغة في الدلالة على أنه لا يشع الفرار منه . قال زهير :

ومن هاب أسباب المنايا يتلته \* ولو رام أسباب المياه بسلم

قلت : ويؤيد أن يتم الكلام عند قوله : « الَّذِي تَهْرُونَ مِنْهُ » ثم جسد « فإنه ملائكة » . وقال طرفة :

وَكُنِيَ بِالسَّوْتِ فَأَهْلَمَ وَاحْطًا • لَمَنِ الْمَوْتُ طَيْبٌ قَدْ قُدِّرَ  
فَأَذْكُرَ الْمَوْتَ وَحَافِظَ ذِكْرَهُ • إِنَّ فِي الْمَوْتِ لَدَى اللَّيْلِ مِيرَ  
كُلِّ شَيْءٍ سَوْفَ يَلْقَى حَقَّهُ • فِي مَقَامٍ أَوْحَلُ ظَهْرِ سَفَرٍ  
وَالنَّاسُ حَوَاسِهِ تَرْتَصِدُهُ • لَيْسَ يُنْجِيهِ مِنَ الْمَوْتِ الْحَذَرُ

قوله تعالى : يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ  
فَأَسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾  
فيه ثلاث عشرة مسألة :

الأولى - قوله تعالى : ( يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ )  
عبد الله بن الزبير والأعمش وغيرهما « الجمعة » بإسكان الميم على التخفيف . وهما لنتان .  
وجمعهما جمع وجمعت . قال الفراء : يقال الجمعة (مسكون الميم) والجمعة (بضم الميم) والجمعة  
(بفتح الميم) فيكون صفة اليوم ؛ أى يجمع الناس . كما يقال : تحكة الذى يضمك . وقال  
ابن عباس : نزل القرآن بالثقل والتفخيم فأقربوها بجمعة ؛ يعنى بضم الميم . وقال الفراء  
وأبو سعيد : والتخفيف أقيس وأحسن ؛ نحو غُرْفَةٌ وَغُرْفٌ ، وَكَرْفٌ وَكَرْفٌ ، وَجُرْجٌ وَجُرْجٌ .  
ونفع الميم لغة بنى عقيل . وقيل : إنما لغة النبی صلى الله عليه وسلم . وعن سلمان أن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّمَا سُمِّيَتْ جُمُعَةً لِأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ فِيهَا خَلْقَ آدَمَ » . وقيل : لأن الله  
تعالى فرغ فيها من خلق كل شيء فأجتمعت فيها المخلوقات . وقيل لتجتمع الجماعات فيها .  
وقيل : لاجتماع الناس فيها للصلاة . و « من » بمعنى « في » ؛ أى في يوم ؛ كقوله تعالى :  
« أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ » (١) أى في الأرض .

الثانية - قال أبو سلمة : أول من قال « أما بعد » كعب بن لؤى ، وكان أول من  
سمى الجمعة جمعة . وكان يقال ليوم الجمعة : العروبة . وقيل أول من سماها جمعة الأنصار .

قال ابن سيرين : جمع أهل المدينة من قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وقبل أن تنزل الجمعة؛ وهم الذين سموها الجمعة؛ وذلك أنهم قالوا : إن لليهود يوماً يجتمعون فيه، في كل سبعة أيام يوم وهو السبت . والنصارى يوم مثل ذلك وهو الأحد فقالوا فلنجتمع حتى نجعل يوماً لنا نذكر الله ونصلي فيه ونستذكر - أو كما قالوا - فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى ، فأجعلوه يوم السُّبُوتة . فأجمعوا إلى أسعد بن زُرارة ( أبو أمامة رضي الله عنه ) فصل بهم يومئذ ركعتين وذكروهم ، فسَمَوْهُ يوم الجمعة حين اجتمعوا . فذبح لهم أسعد شاة ففعلوا وتفعلوا منها ففعلهم . فهذه أول جمعة في الإسلام .

قلت : وروى أنهم كانوا اثني عشر رجلاً على ما يأتي . وجاء في هذه الرواية أن الذي جمع بهم وصلى أسعد بن زُرارة ، وكذا في حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه كعب بن مالك . وقال البيهقي : وَرَوَيْنَا عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ أَنَّ مُصَاصَ بْنَ عَمِيرٍ كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ الْجُمُعَةَ بِالْمَدِينَةِ لِسَلَمِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ يَدْرُكَةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال البيهقي : يحتمل أن يكون مصعب جمع بهم بمعوة أسعد بن زُرارة فأضافه كعب إليه . والله أعلم .

وأما أول جمعة جمعتها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه ، فقال أهل السير والتواريخ : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً حتى نزل بَقَاءَ ، حل بن عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين اشتد الفُحَى . ومن تلك السنة يَمُتُ التاريخ . فأقام بَقَاءَ إلى يوم الخميس وأسس مسجدهم . ثم خرج يوم الجمعة إلى المدينة فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واديهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجداً ، فجمع بهم وخطب . وفي أول خطبة خطبها بالمدينة، وقال فيها : **الْحَمْدُ لله** . أحمد وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفره ، وأعادي من يكفر به . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهُدَى وبَيِّنَاتٍ لِقَوْمٍ ، والنور والموعظة والحكمة على قرة من الرُّسُل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع

من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل ، من يُطيع الله ورسوله فقد رشد . ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفُطِ ضلّلا بعيدا . أوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة ، وإن يأمره بتقوى الله . وأحذروا ما حذركم الله من نفسه ؛ فإن تقوى الله لمن عمل به على ويل وشاقفة من ربه عونٌ صديق على ماتينون من [ أمر ] الآخرة . ومن يُصلح الذي بينه وبين ربه من أمره في السر والعلانية ، لا ينزى به إلا وجهه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره ، وذخرا فيما بعد الموت ، حين يحضر الله إلى ما قدم . وما كان مما سوى ذلك يؤدّ لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا . » ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد <sup>(١)</sup> . هو الذي صدق قوله ، وأخبر وصدقه ، لا تخلف لك ، فإنه يقول تعالى : « مَا يُدْعِلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » . فآثروا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية ؛ فإنه « مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا » . ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما . وإن تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته وتوقى خطئه . وإن تقوى الله تيسر الوجوه ، وترضى الرب ، وترفع الدرجة . لخذا بحظكم ولا تخرطوا في جنب الله ؛ فقد علمكم كتابه ، وتبيح لكم سبله ؛ ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين . فاحسنوا كما أحسن الله إليكم ، واعدوا أعداءه ، واجاهدوا في الله حق جهاده ؛ هو أجباكم وسمّاكم المسلمين . ليترك من خلق من بينة ، ويحيا من حق بينة . ولا حول ولا قوة إلا بالله . فاكثروا ذكر الله تعالى ، وأعملوا لما بعد الموت ؛ فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفّه الله ما بينه وبين الناس . ذلك بأن الله يفضي على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه . الله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم <sup>(٢)</sup> .

وأول جمعة جمعت بعدها جمعة بقرية يقال لها « جوائى » من قرى البحرين . وقيل : إن أول من سمها بالجمعة كعب بن لؤى بن غالب لأجتماع قريش فيه إلى كعب ؛ كما تقدم . والله أعلم .

(١) زيادة عن تاريخ الطبري والبداية والنهاية . (٢) آية ٣٠ سورة آل عمران .  
(٣) آية ٢٩ سورة في . (٤) آية ٥ سورة الطلاق .

الثالثة - خاطب الله المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفاً لهم وتكريماً قال :  
 « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » ثم خصه بالثناء ، وإن كان قد دخل في عموم قوله تعالى : « وَإِذَا  
 قَامْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ » <sup>(١)</sup> ليدل على وجوبه وتأكيده فرضه . وقال بعض العلماء : كون الصلاة  
 بالجمعة ما هنا معلوم بالإجماع لا من نفس اللفظ . قال ابن العربي : وعندى أنه معلوم من  
 نفس اللفظ بكنة وهي قوله : « مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ » وذلك يفيد : لأن التداء الذي يختص  
 بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة . فاما غيرها فهو عام في سائر الأيام . ولو لم يكن المراد به  
 نداء الجمعة لما كان لتخصيصه بها وإضافته إليها معنى ولا فائدة .

الرابعة - قد ختم حكم الأذان في سورة « المائدة » <sup>(٢)</sup> . وقد كان الأذان  
 على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في سائر الصلوات ؛ يؤذن واحد إذا جلس النبي  
 صلى الله عليه وسلم على المنبر . وكذلك كان يفعل أبو بكر وعمر وعطية بالكوفة . ثم زاد عثمان  
 على المنبر أذاناً ثالثاً على دأره التي تسمى « الزوراء » <sup>(٣)</sup> حين كثر الناس بالمدينة . فإذا سمعوا أقبولوا  
 حتى إذا جلس عثمان على المنبر أذن مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يضطرب عثمان ، نرجه  
 ابن ماجه في سننه من حديث محمد بن إسحاق عن الزهري عن السائب بن زيد قال : ما كان  
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مؤذن واحد ؛ إذا خرج أذن ، وإذا نزل أقام . وأبو بكر وعمر  
 كذلك . فلما كان عثمان وكثر الناس زاد التداء الثالث على دأري السوق يقال لها « الزوراء » ؛  
 فإذا خرج أذن ، وإذا نزل أقام . نرجه البخاري من طرق معتادة . وفي بعضها : أن الأذان الثاني  
 يوم الجمعة أمر به عثمان بن عفان حين كثر أهل المسجد ، وكان التآذين يوم الجمعة حين  
 يجلس الإمام . وقال المسعودي : فاما الأذان الأول فسمعت ، فله عثمان بن عفان ليذهب  
 الناس لحضور الخطبة عند أقسام المدينة وكثرة أهلها . وقد كان عمر رضي الله عنه أمر أن

(١) آية ٨ سورة المائدة . (٢) راجع ج ٦ ص ٢٢٤ (٣) أي أول الوقت عند النزول .  
 وجاء ثالثاً باعتبار كونه مزيداً على الأذان بين يدي الإمام والإقامة للصلاة . فهو أول باختيار اليهود ؛ ثالث باختيار  
 مشروعية عثمان ؛ باجتهاده وموافقة سائر الصحابة ؛ بالكسوة وعدم الابتكار .  
 (٤) الزوراء : موضع بالسوق بالحيرة ؛ قيل إنه مرتفع كالنار . وقيل : حجر كبير عند باب المسجد .

يُؤَذِّنُ فِي الصُّوقِ قَبْلَ الْمَسْجِدِ لِيَقُومَ النَّاسُ عَنْ بَيْعِهِمْ، فَإِذَا اجْتَمَعُوا أَذَّنَ فِي الْمَسْجِدِ؛ بِحَسَبِ  
عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَذَانَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ - قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ - وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ الْأَذَانَ  
كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاحِدًا، فَلَمَّا كَانَ زَمَنُ عُثْمَانَ زَادَ الْأَذَانَ الثَّلَاثَ  
عَلَى الزُّورَاءِ، وَسَمَّاهُ فِي الْحَدِيثِ ثَلَاثًا لِأَنَّهُ أَضَافَهُ إِلَى الْإِقَامَةِ؛ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :  
«بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ لِمَنْ شَاءَ» يَعْنِي الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ، وَيَتَوَهَّمُ النَّاسُ أَنَّهُ أَذَانُ أَهْلِ يَجْعَلُوا  
الْمُؤَذِّنِينَ ثَلَاثَةً فَكَانَ وَحَدًّا، ثُمَّ جُمِعُوا فِي وَفْتٍ وَاحِدٍ فَكَانَ وَحَدًّا عَلَى وَجْهِهِمْ، وَرَأَيْتُهُمْ يُؤَذِّنُونَ  
بِعِدَّةِ السَّلَامِ بَعْدَ أَذَانِ الْمَنَارِ بَيْنَ يَدَيِ الْإِمَامِ تَحْتَ الْمِنْبَرِ فِي جَمَاعَةٍ؛ كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ عِنْدَنَا  
فِي الْمَعْلُوقِ الْمَاضِيَةِ. وَكُلُّ ذَلِكَ مُحْتَمَلٌ.

الخامسة - قوله تعالى: (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) أَخْتَلَفَ فِي مَعْنَى السَّعَى هَاهُنَا عَلَى  
ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ: أَوَّلُهَا - الْقَصْدُ. قَالَ الْحَسَنُ: وَاللَّهِ مَا هُوَ بِسَعَى عَلَى الْأَقْدَامِ وَلَكِنَّهُ سَعَى  
بِالْقُلُوبِ وَالْيَدِ. الثَّانِي - أَنَّهُ الْعَمَلُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيًا  
وَهُوَ مُؤْمِنٌ»، وَقَوْلِهِ: «إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى»، وَقَوْلِهِ: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى».  
وَمَعْنَاهُ قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَقَالَ زَيْدٌ:

• سَعَى بِسَلَمٍ قَوْمٌ لَكِنِّي يَدْرِكُهُمْ •

وقال أيضا:

سَعَى سَاعِيًا غَيْظُ بْنُ مُرَّةٍ بَعْدَ مَا • تَهَيَّلَ مَا بَيْنَ الْمَشِيَةِ وَالْذَّمِّ

أَيُّ فَاعِلًا عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرْتُ، وَاشْتَغَلُوا بِأَسْبَابِهِ مِنَ النُّسْلِ وَالطَّهْرِ وَالتَّوَجُّعِ إِلَيْهِ :  
الثَّالِثُ - أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ السَّعَى عَلَى الْأَقْدَامِ، وَذَلِكَ فَضْلٌ وَلَيْسَ بِشَرْطٍ. فَفِي الْبَحَايِرِ: أَنَّ

(١) آيَةُ ١٩ سُوْرَةِ الْإِسْرَاءِ. (٢) آيَةُ ٤ سُوْرَةِ الْكُلُوبِ. (٣) آيَةُ ٣٩ سُوْرَةِ النَّجْمِ.

(٤) وَجْهٌ: • قُلْ يَسْعَاؤُنَا دَلَمَ يَلْعَاؤُنَا دَلَمَ يَأْتُونَا •

(٥) فِي تَرْجُومَةِ دِيرَانَ زَيْدٍ: «السَّاعِيَانِ» - الْحَارِثُ بْنُ حَوْفٍ، وَهَرَمٌ بْنُ سَنَانٍ، سَاعَا فِي الْهَيَاةِ. وَقِيلَ:  
خَارِجَةٌ مِنْ سَنَانٍ وَالْحَارِثُ بْنُ حَوْفٍ؛ «سَاعَا» أَيْ عَمَلًا حَسَنًا. وَ«غَيْظُ بْنُ مُرَّةٍ»: حَقٌّ مِنْ غُلْفَانِ بْنِ سَعْدٍ.  
و«تَهَيَّلَ بِالْهَمْزِ»: أَيْ تَشَقَّقَ. يَقُولُ: كَانَ فِيهِمْ حُلُجٌ فَتَشَقَّقَ بِالْهَمْزِ. يَقُولُ: سَاعَا بَعْدَ مَا تَشَقَّقَ فَاحْلُمَا.

أبا هاشم بن جبر — واسمه عبد الرحمن وكان من كبار الصحابة — مشى إلى الجمعة واجلا وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أضرَّتْ قدامه في سبيل الله حرَّبه الله على النار » . ويحتمل ظاهره رابعا — وهو الجري والاشتداد . قال ابن العربي : وهو الذي أنكره الصحابة الأصليون والفقهاء المتقدمون ، وقرأها عمر « فأمضوا إلى ذكر الله » فرأى عن طريق الجري والافتداد الذي يدل عليه الظاهر . وقرأ ابن مسعود كذلك وقال : لو قرأت « فأمضوا » لسببت حتى يسقط ردائي . وقرأ ابن شهاب : « فأمضوا إلى ذكر الله سالكا تلك السبل » . وهو كله تفسير منهم ؛ لا قراءة قرآن متول . وجاءت قراءة القرآن والتفسير في معرض التفسير . قال أبو بكر الأنباري : وقد احتج من خالف المصحف بقراءة عمر وابن مسعود ، وأن ترقية بن الحز قال : رأى عمر رضي الله عنه ومضى قطعة فيها « فأمضوا » إلى ذكر الله ، فقال لي عمر : من أفراك هذا ؟ قلت أبي . فقال : إن أبي أقرؤنا للنسخ . ثم قرأ عمر « فأمضوا » إلى ذكر الله . . حدثنا إدريس قال حدثنا خلف قال حدثنا هشيم عن المنيرة عن إبراهيم عن تروسة ، فذكره . وحدثنا محمد بن يحيى أن خيرا عمدا وهو ابن سعدان قال حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه قال : ما سمعت عمر يقرأ قط إلا « فأمضوا » إلى ذكر الله . . وأخبرنا إدريس قال حدثنا خلف قال حدثنا هشيم عن المنيرة عن إبراهيم أن عبد الله بن مسعود قرأ « فأمضوا » إلى ذكر الله ، وقال : لو كانت « فأمضوا » لسببت حتى يسقط ردائي . قال أبو بكر : فأحج عليه بأن الأمة أجمعت على « فأمضوا » برواية ذلك عن الله رب العالمين ورسوله صلى الله عليه وسلم . فاما عبد الله بن مسعود لما سمع عنه « فأمضوا » لأن السند غير متصل ؛ إذ إبراهيم التيمي لم يسمع من عبد الله بن مسعود شيئا ، وإنما ورد « فأمضوا » عن عمر رضي الله عنه . فإذا انفرد أحد بما يخالف الآية والجماعة كان ذلك نسبانا منه . والعرب تجمعة على أن السنى يأتي بمعنى المضي ؛ فبرأه لا يخلو من الحذف والانكسار . قال زهير :

سنى ساميا غيظ بن مرة بنينا • تجزل ما بين الشيشية بالدم

أراد بالسبي المضى بجده وانكاش ، ولم يقصد المذو والإصراع في الخطو . وقال الفراء  
وأبو عبيدة : معنى السى في الآية المضى . واحتج الفراء بقولهم : هو يسى في البلاد يطلب  
فضل الله ؛ معناه هو يمضى بجده واجتهاد . واحتج أبو عبيدة بقول الشاعر :  
أَسَى عَلَى جُلٍّ بَنَى مَالِكٍ ■ كُلُّ أَسَوِيٍّ فِي شَأْنِهِ سَاعِيٌّ  
فهل يشمل السى في هذا البيت إلا مذهب المضى بالانكاش ؛ وعال أن يبنى هذا  
المعنى على ابن مسعود على فصاحته وإتقان عريقته .

قلت : وما يدل على أنه ليس المراد ما هنا السد قوله عليه الصلاة والسلام : <sup>٣٥</sup> إذا  
أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن استوها وعليكم السكينة <sup>٣٦</sup> . قال الحسن : أما والله  
ما هو بالسبى على الأقدام ، ولقد نُهوا أن يأثرو الصلاة إلا وطيم السكينة والوقار ، ولكن  
بالقلوب والنية والخشوع . وقال قتادة : السى أن تسمى عليك وعملك . وهذا حسن ؛  
فإنه جمع الأحوال الثلاثة . وقد جاء في الانفصال الجمعة والتطيب والتزين باللباس أحاديث  
مذكورة في كتب الحديث .

السادسة - قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ) خطاب للكتبة بإجماع . ويخرج  
منه المَرْضَى والزَّيْنَى والمسافرون والميِّد والنساء بالدليل ، والعميان والشيخ الذي لا يعنى  
إلا بقائه عند أبي حنيفة . روى أبو الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
<sup>٣٧</sup> من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليجمل الجمعة يوم الجمعة إلا مريض أو مسافر أو امرأة  
أو صبي أو مملوك فمن استنقى بئله أو تجارة استنقى الله عنه والله غنىٌ حميد <sup>٣٨</sup> خريه الأثرقتني .  
وقال ملائكا رحمهم الله : ولا يتخلف أحد عن الجمعة عن طيه إتيانها إلا بعذر لا يمكنه معه  
الإتيان إليها ؛ مثل المرض الحابس ، أو خوف الزيادة في المرض ، أو خوف جَوْر السلطان  
عليه في مال أو بدن دون القضاء عليه بحق . والمطر الوابل مع الوَحْل مذر إن لم يتقطع .  
ولم يره مالك مذراً له ؛ بحكاه المهدوي . ولو تخلف عنها متخلف على وليٍّ حميم له قد حضره  
الوفاة ، ولم يكن عنده من يقوم بأمره رجياً أن يكون في سعة . وقد فعل ذلك ابن عمر .

ومن تخلف عنها لغير حذر فصل قبل الإمام أمد ، ولا يزيده أن يصل قبله . وهو في تخلفه عنها مع إمكانه تلك حايص به فعله .

السابعة — قوله تعالى : ( **إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ** ) يختص بوجوب الجمعة [على] القريب الذي يسمع النداء ؛ فأما البعيد البدار الذي لا يسمع النداء فلا يدخل تحت الخطاب . واختلف فيمن يأتي الجمعة من الثاني والثالث ؛ فقال ابن عمر وأبو هريرة وأُقس : تجب الجمعة على من في المصر على ستة أميال . وقال ربيعة : أربعة أميال . وقال مالك والليث : ثلاثة أميال . وقال الشافعي : اعتبار سماع الأذان أن يكون المؤذن صيحاً ، والأصوات هادئة ، والريح ساكنة ، وموقف المؤذن عند سور البلد . وفي الصحيح عن عائشة : أن الناس كانوا يتأبون الجمعة من منازلهم ومن العوالي فيأتون في الثُّبَار ويصيهم الثُّبَار فتخرج منهم الريح ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«لو اشمتم يوماً منكم هذا»** ! قال معاوية : والصوت إذا كان نعيماً والناس في هدوء وسكون فأقصى سماع الصوت ثلاثة أميال . والعوالي من المدينة أقربها على ثلاثة أميال . وقال أحد بن حنبل وإسحاق : تجب الجمعة على من سمع النداء . وروى الثَّارِقُطَيْيَ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **«إنما الجمعة على من سمع النداء»** . وقال أبو حنيفة وأصحابه : تجب على من في المصر ، يسمع النداء أو لم يسمعه ؛ ولا تجب على من هو خارج المصر وإن سمع النداء . حتى سئل : وهل تجب الجمعة على أهل زبلرة — بينها وبين الكوفة مجرى نهر — ؟ فقال لا . وروى عن ربيعة أيضاً : أنها تجب على من إذا سمع النداء ونخرج من بيته ماشياً أدرك الصلاة . وقد روى عن الثَّوْرِيِّ أنها تجب عليه إذا سمع الأذان .

الثامنة — قوله تعالى : ( **إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ** ) دليل على أن الجمعة لا تجب إلا بالنداء ، والنداء لا يكون إلا بدخول الوقت ؛ بدليل قوله

(١) النكبة من ابن العربي (٢) دليل صحت : شديد الصوت عليه . (٣) أي يحضرونها قوماً .  
(٤) في بعض النسخ : « في الباء » فتح بين المهمة والله ، جمع مائة .

على الصلاة والسلام : « إذا حضرت الصلاة فأذنا ثم أقميا وليؤتمكا أكبركما » . قاله لما لك  
ابن الحواريث وصاحبه . وفي البخاري عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصل  
الجمعة حين تميل الشمس . وقد روى عن أبي الصديق واحد بن حنبل أنها تصل قبل الزوال .  
وتمسك أحد في ذلك بحديث سلمة بن الأكوع : كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم  
ثم ننصرف وليس للبطان ظل . وبحديث ابن عمر : ما كنا نقبل ولا نتفدى إلا بعد الجمعة .  
ومثله عن سهل . خزيه مسلم . وحديث سلمة عمول على التيكير . رواه هشام بن عبد الملك  
عن يعل بن الحارث عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه . وروى وكيع عن يعل بن  
إياس عن أبيه قال : كنا نجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زالت الشمس ثم نرجع نتبع  
النبي . وهذا مذهب الجمهور من الخلف والسلف ، وقياسا على صلاة الظهر . وحديث ابن عمر  
وسهل ، دليل على أنهم كانوا يتركون إلى الجمعة تيكيرا كثيرا عند الغداة أو قبلها ، فلا يناولون  
ذلك إلا بعد انقضاء الصلاة . وقد رأى مالك أن التيكير بالجمعة إما يكون قرب الزوال يسير .  
وتأول قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ... »  
الحديث بكلمة . إنه كله في ساعة واحدة . وحمله سائر العلماء على ساعات النهار الزمانية  
اللائي عشرة ساعة المستوية أو المختلفة بحسب زيادة النهار وقصائه . ابن العربي : وهو أصح ؛  
لحديث ابن عمر رضي الله عنهما ، ما كانوا يقبلون ولا يتفدون إلا بعد الجمعة لكثرة البكور إليها .

الثامنة - فرض الله تعالى الجمعة على كل مسلم ، ردا على من يقول : إنها فرض على  
الكتاية . ونقل عن بعض الشافعية . ونقل عن مالك من لم يحقق : أنها سنة . وجمهور  
الأمة والإئمة أنها فرض على الأعيان ؛ لقول الله تعالى : « إذا نُودِيَ للصلاة من يوم الجمعة  
فأسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع » . وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَيَتَّبِعَنَّ أَقْوَامٌ  
عَنْ دَوَّعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتَبِينَ اللَّهَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ النَّافِلِينَ » . وهذا حجة واضحة  
في وجوب الجمعة وفرضيتها . وفي سنن ابن ماجه عن أبي الجهمد الضمري - وكانت له  
صحة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك الجمعة ثلاث مرات تهوَّأ بها

طبع الله على قلبه" . إسناده صحيح . وحديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من ترك الجمعة ثلاثاً من غير ضرورة طبع الله على قلبه " . ابن العربي : وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الروح إلى الجمعة واجب على كل مسلم " .

الحاشية — أوجب الله السعي إلى الجمعة مطلقاً من غير شرط . وثبت شرط الوضوء بالقرآن والسنة في جميع الصلوات ، لقوله عز وجل : « إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ » الآية . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يقبل الله صلاة بغير طهور " . وأخرت طائفة

لقالت : إن غسل الجمعة فرض ، ابن العربي : وهذا باطل ، لما روى النسائي وأبو داود في مُسنّهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من توضأ يوم الجمعة فيها ونِعَمَتْ ، ومن اغتسل فالتسل أفضل " . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" من توضأ [ يوم الجمعة ] فاحسن الوضوء ثم راح إلى الجمعة فاستقع وأنعمت غفر الله له ما بين الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ، ومن مس الحصى فقد بُلّا " <sup>(١)</sup> وهذا نص . وفي الموطأ : أن رجلاً دخل يوم الجمعة وعمر بن الخطاب ينظف ... الحديث إلى أن قال : ... ما زدت على

أن توضأت ، فقال عمر : والوضوء أيضاً ؟ وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالتسل . فأمر عمر بالتسل ولم يأمره بالرجوع ، فدلّ على أنه محمول على الاستعجاب . فلم يمكن وقد تلبس بالفرض — وهو الحضور والإقامة للخطبة — أن يرجع عنه إلى السنة ، وذلك بمحض غول الصمابة وكنار المهاجرين حوالى عمر ، وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) آية ٦ سورة المائدة . (٢) ما بين المرحلين لم يرد في صحيح مسلم .

(٣) أي سواء أكان في الوضوء في الصلاة (٤) القبر : الكلام المخرج للباطل .

(٥) الحديث كما ورد في الموطأ وقهره : « دخل ربيع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد يوم الجمعة وعمر ينظف . فقال عمر : آية ساعة هذه ؟ » (إشارة إلى أن هذه الساعة ليست من ساعات الروح إلى الجمعة لأنه وقت طهرت فيه النفس) — فقال : يا أمير المؤمنين ، أقتلت من السوق فسمعت لقاء ما زدت على أن توضحوا — (أشارت على أنه لم يشغل بغير الفرض ما دونه إلى سماع الخطبة وادّكر) — فقال عمر : الوضوء أيضاً ! وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالتسل . (سواء أنك مع ما نذك من التجبر أنك فنية التسل الذي قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر به) .

(٦) في الأصول : « آخر » بإقاف . والتصويب عن ابن العربي .

الحادية عشرة - لا تقسط الجمعة لكونها في يوم عيد، خلافاً لأحمد بن حنبل فإنه قال :  
إذا اجتمع عيد وجمعة سقط فرض الجمعة ، لتقدم العيد عليها واشتغال الناس به فيها . وتلق  
في ذلك بما روى أن عثمان أذن في يوم عيد لأهل التَّوَالِي أن يتخفوا من الجمعة . وقول الواحد  
من الصحابة ليس بحجة إذا خولف فيه ولم يجمع معه عليه . والأمر بالسُّجُود متوجه يوم العيد  
ككونه في سائر الأيام . وفي صحيح مسلم عن عثمان بن بشير قال : كان رسول الله صل الله  
عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ «سُبْحَ أَسْمَ ذَٰلِكَ الْأَمَلِ» و «هل أَمَّاكَ حَٰثِيَةُ الْفَٰثِيَةِ»  
قال : وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضاً في الصلوتين . أخرجه أبو داود  
والترمذي والقسائي وآبن ماجه .

الثانية عشرة - قوله تعالى : (إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ) أي الصلاة . وقيل الخطبة والمواظع ،  
قاله سعيد بن جبير . ابن العربي : والصحيح أنه واجب في الجميع ، وأوله الخطبة . وبه قال  
ملادوا ، إلا عبد الملك بن الماجشون فإنه رأها سنة . والدليل على وجوبها أنها تحرم البيع  
ولولا وجوبها ما حرمت ، لأن المستحب لا يحرم المباح . وإذا قلنا : إن المراد بالذكر الصلاة  
فان الخطبة من الصلاة . والبد يكون ذاكرة لله بفعله كما يكون مسبباً فيه بفعله . الزمخشري :  
فإن قلت : كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها غير ذلك ! قلت : ما كان من ذكر رسول الله  
صل الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتباعه المؤمنين والمواظعة والتذكير فهو  
في حكم ذكر الله . فأنما ما عدنا ذلك من ذكر التَّوَالِي والثناء عليهم والثناء لهم ، وهم  
أحقاء بمسك ذلك ، فهو من ذكر الشيطان ، وهو من ذكر الله على مراحل .

الثالثة عشرة - قوله تعالى : (وَذُكِّرَ الْبَيْعَ) منع الله عن وجل منه عند صلاة الجمعة ،  
وحرمة في وقتها على من كان غاطباً بفرضها . والبيع لا يخلو عن شراء فاكفى بذكر أحدهما ،  
كقوله تعالى : «سَرَّابِلُ يَتَّبِعُكَ الْحَرَّ وَسَرَّابِلُ يَتَّبِعُكَ بِأَسْمَ» . وتخص البيع لأنه أكثر  
ما يشتغل به أصحاب الأسواق . ومن لا يجب عليه حضور الجمعة فلا ينهى عن البيع والشراء .

وقى وقت التحريم قولان : إنه من بعد الزوال إلى الفراخ منها ؛ قاله الضحاك والحسن وعطاء . الثانى — من وقت أذان الخطبة إلى وقت الصلاة ؛ قاله الشافى . ومذهب مالك أن يترك البيع إذا نُودى للصلاة ، ويفسخ عنده ما وقع من ذلك من البيع في ذلك الوقت . ولا يفسخ السق والطلاق وغيره ؛ إذ ليس من عادة الناس الاشتغال به كاشتغالهم بالبيع . قالوا : وكذلك الشركة والهبة والصدقة فأدلا بفسخ . ابن العربى : والصحيح فسخ الجميع ؛ لأن البيع إنما منع منه للاشتغال به . فكل أمر يشغل عن الجمعة من العقود كلها فهو حرام شرعاً مفسوخ رذناً . المتهدى : ورأى بعض العلماء البيع في الوقت المذكور جائزاً ، وتاقل النهى عنه نذراً ، واستدل بقوله تعالى : « ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ » .

قلت : — وهذا مذهب الشافى ؛ فإن البيع ينقذ عنده ولا يفسخ . وقال الزمخشرى في تفسيره : إن عامة العلماء على أن ذلك لا يؤدى فساد البيع . قالوا : لأن البيع لم يحرم لبعثه ، ولكن لما فيه من النحول عن الواجب ؛ فهو كالصلاة في الأرض المصنوبة والتوب المصنوب ، والوضوء بماء مصنوب . ومن بعض الناس أنه فاسد .

قلت : الصحيح فسادُه وفسخه ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رذ » . أى مردود . والله أعلم .

قوله تعالى : **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴿١﴾

قوله تعالى : **(فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ)** هذا أمر إباحية ؛ كقوله تعالى : **« وَإِذَا حُلِمْتُمْ فَأَصْطَلِدُوا »** . يقول : إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم . **(وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ)** أى من رزقه . وكان عمر ابن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إني أجت دعوتك ، وصليت

فريطك ، وانتشرت كما امرتني ، فأرذقتني من فضلك وأنت خير الرازقين . وقال جعفر ابن محمد في قوله تعالى : « وَأَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ » إنه العمل في يوم السبت . وعن الحسن ابن سعيد بن المسيب : طلب العلم . وقيل : صلاة التطوع . وعن ابن عباس : لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا ؛ إنما هو حياة المرضى وحضور الجنائز وزيارة الأئمة في الله تعالى .

قوله تعالى : ( وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ) أي بالطاعة واللسان ، وبالشكر حل ما به أنعم عليكم من التوفيق لأداء الفرائض . ( تَلَمَّكُم تَلْعُون ) كي تخلصوا . قال سعيد بن جبيرة : الذكر طاعة الله تعالى ؛ فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطعه فليس بذكيران كان كثير التسبيح . وقد مضى هذا مرغوباً في « البقرة » .

قوله تعالى : وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾  
فيه سبع عشرة مسألة :

الأولى - قوله تعالى : ( وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ) في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً يوم الجمعة ، فجاءت يير من الشام فأختل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً - في رواية أبا فهم - فأزلت هذه الآية التي في الجمعة ( وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ) . في رواية : فهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . وقد ذكر الكلبي وضعه : أن الذي قديم بها ربيعة بن خليفة الكلبي من الشام عند جماعة وقلاءٍ مسر، وكان معه جميع ما يحتاج الناس من برودقيق وغيره ، فقتل عند أجمار الزيت ، وضرب بالبلبل ليؤذن الناس بدخوله ، فخرج الناس إلا اثني عشر رجلاً . وقيل : أحد عشر رجلاً . قال الكلبي : وكانوا في خطبة الجمعة فأفَضُوا إليها ، وبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية رجال ؛ حكاك التعلبي عن ابن عباس . وذكر

الدَّارُ قُطْنِيّ من حديث جابر بن عبد الله قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا يوم الجمعة إذ أقبلت ميرة تحمل الطعام حتى نزلت بالبيح؛ فالتفتوا إليها وانفضوا إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معه إلا أربعمائة رجلًا أنا فيهم . قال : وأُتِلَ الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم « وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا اتَّخَذُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا » . قال الدَّارُ قُطْنِيّ : لم يقل في هذا الإسناد « إلا أربعمائة رجلًا » غير علي بن حاصم عن حُصَيْن ، وخالفه أصحاب حُصَيْن فقالوا : لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلًا . وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ نَجِجُوا جِجًا لَأَضْرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْوَادِي ثَارًا » . ذكره الزَّعْتَرِيُّ . وروى في حديث مرسل أسماء الاثني عشر رجلًا ، رواه أسد بن عمرو والد أسد بن موسى بن أسد . وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق معه إلا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وطعمة والزبير وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن ابن عوف وأبو حبيدة بن الجراح ، وسعيد بن زيد وبلال ، وعبد الله بن مسعود في إحدى الروايتين . وفي الرواية الأخرى عثمان بن ياسر .

قلت : لم يذكر جابرًا ، وقد ذكر مسلم أنه كان فيهم ؛ والدَّارُ قُطْنِيّ أيضًا . فيكونون ثلاثة عشر . وإن كان عبد الله بن مسعود فيهم فهم أربعة عشر . وقد ذكر أبو داود في مراسله السبب الذي ترخصوا لأنفسهم في ترك سماع الخطبة ، وقد كانوا خليقًا بفضلهم ألا يفعلوا ؛ فقال : حدثنا محمود بن خالد قال حدثنا الوليد قال أخبرني أبو معاذ بكر بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل الميدين ، حتى كان يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب ، وقد صلى الجمعة ، فدخل رجل فقال : إِنَّ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ قَدِمَ بِتِجَارَةٍ ، وَكَانَ دِحْيَةُ إِذَا قَدِمَ لَقَّاهُ أَهْلُهُ بِالْأَنَافِ ، فَخَرَجَ النَّاسُ فَلَمْ يَبْقَوْا إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي تَرْكِ الْخُطْبَةِ شَيْءٌ ؛ فَأُتِلَ الله عز وجل : « وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا اتَّخَذُوا إِلَيْهَا » . فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة وأتم الصلاة . وكان لا يخرج أحد لرغاف أو أحداث بعد النبي حتى يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ، يشير إليه

بأمره التي تلى الإجماع، فيأخذ له النبي صلى الله عليه وسلم ثم يشير إليه بيده . فكان من المناقب  
من تهل عليه الخطبة والجلوس في المسجد ، وكان إذا استأذن رجل من المسلمين قام المناقب  
إلى جنبه مستترا به حتى يخرج ، فأُتِلَ الله تعالى : « قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوْ أَنَّ »  
الآية . قال السهيلي : وهذا الخبر وإن لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجليل بأصحاب النبي  
صلى الله عليه وسلم يوجب أن يكون صحيحا . وقال قتادة : وبلغنا أنهم فعلوه ثلاث مرّات ؛  
كل مرّة غير تتقدّم من الشام ، وكل ذلك يوافق يوم الجمعة . وقيل : إن خروجهم للقدم دحية  
الكلي بجهارته وتظلمهم إلى الميرثمة ، لمؤلا فليمة فيه ، إلا أنه كان مما لا إثم فيه لو وقع حل  
غير ذلك الوجه ، ولكنه لما اتصل به الإحراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
والانقضاء من حضرته ، غلظ وكبر ووزل فيه من الفرقان وتهجيت باسم الله ما نزل . وجاء  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كُلُّ مَا يُلْهُو بِهِ الرَّجُلُ بَاطِلٌ إِلَّا رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ » .  
الحديث . وقد مضى في سورة « الأفعال » فله الحمد . وقال جابر بن عبد الله : كانت الجوارى  
إذا تكهن يبرهن بالزمامير والطبل فأقضوا إليها ، فزلت . وإنما ردّ الكفاية إلى التجارة لأنها  
أهم . وقرأ طلحة بن مُعْتَرَفٍ « وَإِذَا رَأَوْا التَّجَارَةَ وَاللَّهُوَ اقْتَضَا إِلَيْهَا » . وقيل : المني  
وإذا رَأَوْا تِجَارَةً اقْتَضَا إِلَيْهَا ، أَوْ لَوْ اقْتَضَا إِلَيْهَا ؛ لحذف لدلالته . كما قال :

نحن بما حدثنا واثت بما • عندك راضٍ والرأي مُخْتَلَفٌ

وقيل : الأجود في العربية أن يجعل الرابع في الذكر للأحرار من الاسمين .

الثانية — واختلف العلماء في العدد الذي تنعقد به الجمعة على أقوال ؛ فقال الحسن :  
تنعقد الجمعة بأثنين . وقال آقيث وأبو يوسف : تنعقد بثلاثة . وقال سفيان الثوري  
وأبو حنيفة : بأربعة . وقال ربيعة : بأخى عشر رجلا . وذكر النجاد أبو بكر أحمد بن سليمان  
قال : حدثنا أبو خالد يزيد بن الحليم بن طهمان الدقاق ، حدثنا صبيح بن دينار قال حدثنا

(١) آية ٦٣ سورة النور . (٢) راجع ٨٠ ص ٣٥ (٣) في بعض النسخ : « يبرهن » .

(٤) في بعض المصادر : « سلطان » .

(١) ما بين المربعين كما ورد في نسخ الأصل . (٢) الحزم : ما اطمان من الأرض .  
 روعة بن ياحية : قرية على جبل من المدينة . و « ياحية » : جبل من الأنبار .

(٢) الخزم : ما اطمأن من الأرض .

(۱) ما بين المربعين كما ورد في نسخ الأصل .

وحدة بنى بياضة : قرية على ميل من المدينة . و « بياضة » : جن من الأنصار .

مضت السنة أن في كل علامة إماماً ، وفي كل أربعين لما فوق ذلك جمعة وأمتي وفطراً ،  
وذلك أنهم جماعة ، تحبهم الدار قطن ، وروى أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد : قرئ على عبد الملك  
ابن عبد الرقابي وأنا اسمع حدثني رجاء بن مسلمة قال حدثنا أبي قال حدثنا روح بن عفيف  
التقي قال حدثني الزهري عن أبي سلمة قال : قلت لأبي هريرة هل كم تحب الجمعة من رجل ؟  
قال : لما بلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين رجلاً جمع بهم رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ، فقرأ على عبد الملك بن عبد وانا اسمع قال حدثنا رجاء بن سلمة قال حدثنا عباد بن  
عباد المهندي عن جعفر بن الزبير عن الثمام عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : " تحب الجمعة على خمسين رجلاً ولا تحب على من دون ذلك " . قال ابن المنذر : وكتب  
هر بن عبد العزيز : أيما قرية اجتمع فيها خمسون رجلاً فليصلوا الجمعة . وروى الزهري  
عن أم عبد الله التوسية قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الجمعة واجبة على كل قرية  
وإن لم يكن فيها إلا أربعة " . يعني بالقرى : المداين . لا يصح هذا عن الزهري . في رواية  
" الجمعة واجبة على أهل كل قرية وإن لم يكونوا إلا ثلاثة رابعهم إمامهم " . [ الزهري <sup>(١)</sup> ]  
لا يصح سماحه من التوسية ، والحكم <sup>(٢)</sup> [ هذا ] متروك .

الثالثة - - وتصح الجمعة بغير إذن الإمام وحضوره . وقال أبو حنيفة : من شرطها  
الإمام أو خليفته ، ودليلنا أن الوليد بن عقبة وإلى الكوفة أبطاً يوماً فوصل ابن مسعود بالناس  
من غير إذنه . وروى أن علياً صلى الجمعة يوم حُصر حِمْيَر ولم يُنقل أنه استأذنه . وروى  
أن سعيد بن العاصي وإلى المدينة لما خرج من المدينة صلى أبو موسى بالناس الجمعة من غير  
استئذان . وقال مالك : إن لله فرائض في أرضه لا يضيعها ، ولينا وإل أولم يلها .  
الرابعة - قال طحاوفا : من شرط أدائها المسجد المسقف . قال ابن العربي :  
ولا أعلم وجهه .

(١) الزيادة عن الهارثي . (٢) مرالحكم بن عبد الله ؛ أحد رجال سد هذا الحديث .

قلت : وجهه قوله تعالى : « وَطَهَّرَ بَيْتَ الْمَلَامَةِ » ، وقوله : « فِي بُيُوتٍ أُتَتْ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ » . وحقيقة البيت أن يكون ذا حيطان وسقف . هذا المرف ، والله أعلم .

الخامسة - قوله تعالى : ( وَتَرْكُوكَ قَائِمًا ) شرط في قيام الخطيب على المنبر إذا خطب . قال مَقَمَّة : سئل عبد الله أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائماً أو قاعداً ؟ فقال : أما قرأ « وَتَرْكُوكَ قَائِمًا » . وفي صحيح مسلم عن كعب بن جحظة أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن أمّ الحَكَم يخطب قاعداً فقال : انظروا إلى هذا الخبيث ، يخطب قاعداً ! وقال الله تعالى : « وَإِنَّا نَرَاكَ بِحَارَةٍ لَوْ لَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ أَتَقَضُوا إِلَيْهَا وَتَرْكُوكَ قَائِمًا » . ونسج من جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً ثم يجلس ، ثم يقوم فيخطب ، فمن نبأك أنه كان يخطب جالسا فقد كذب ، فقد وافقه صبيته معه أكثر من أثنى صلاة . وعمل هذا جمهور الفقهاء وأئمة العلماء . وقال أبو حنيفة : ليس القيام بشرط فيها . ويروى أن أول من خطب قائماً معاوية . وخطب عثمان قائماً حتى رَقَّ غُظْب قاعدا . وقيل : إن معاوية إنما خطب قاعداً لِسُنَّة . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائماً ثم يقعد ثم يقوم ولا يتكلم في فصدته . رواه جابر بن سَمُرَةَ . ورواه ابن عمر في كتاب البخاري .

السادسة - والخطبة شرط في انعقاد الجمعة لا تصح إلا بها ، وهو قول جمهور العلماء . وقال الحسن : هي مستحبة . وكذا قال ابن المَاجِشُون : إنها سُنَّة وليست بفرض . وقال سعيد بن جبير : هي بمنزلة الركعتين من صلاة الظهر ، فإذا تركها وصلى الجمعة فقد ترك الركعتين من صلاة الظهر . والدليل على وجوبها قوله تعالى : « وَتَرْكُوكَ قَائِمًا » . وهذا ذم ، والواجب هو الذي يُدْتَم تاركه شراً ، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصلها إلا بخطبة .

السابعة - ويخطب متوَكِّلاً على قَوْسٍ أو عَصَا . وفي سنن ابن ماجه قال حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الرحمن بن سعد بن عمار بن سعد قال حدثني أبي عن أبيه عن جده

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب في الحرب خطب على قوس وإذا خطب في الجمعة خطب على عصا .

الثامنة - ويسلم إذا صعد المنبر على الناس عند الشافعي وغيره . ولم يره مالك . وقد روى ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صعد المنبر سلم .

التاسعة - فإن خطب على غير طهارة الخطبة كلها أو بعضها أساء عند مالك ؛ ولا إعادة عليه إذا صلى طاهرا . والشافعي قولان في إصاب الطهارة ؛ فشرطها في الجديد ولم يشترطها في القديم . وهو قول أبي حنيفة .

العاشر - وأقل ما يجزى في الخطبة أن يمد الله ويسلم على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويوصي بتقوى الله ويقرأ آية من القرآن . ويجب في الثانية أربع كالأولى ؛ إلا أن الواجب بدلا من قراءة الآية في الأولى الدماء ؛ قاله أكثر الفقهاء . وقال أبو حنيفة : لو اقتصر على التحميد أو التسبيح أو التكبير أجزاء . وعن عثمان رضي الله عنه أنه صعد المنبر فقال : الحمد لله ؛ وأرسل عليه فقال : إن أبا بكر وعمر كانا يمدان لهذا المقام مقالا ، وإنكم إلى إمام فقال أخرج منكم إلى إمام فقال ، وستأتيكم الخطب ؛ ثم نزل فصل . وكان ذلك بمحضرة الصحابة فلم ينكر عليه أحد . وقال أبو يوسف ومحمد : الواجب ما تناوله اسم خطبة . وهو قول الشافعي . قال أبو عمر بن عبد البر : وهو أصح ما قيل في ذلك .

الحادية عشرة - في صحيح مسلم عن يسلم بن أمية أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر « وتذكروا يا مآلِك » . وفيه من عمرة بنت عبد الرحمن عن أخت لعمرة قالت : ما أخذت « ق والقرآن المجيد » إلا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يقرأ بها على المنبر في كل جمعة . وقد مضى في أول « ق » . وفي مراسيل أبي داود عن الزهري قال : كان صدر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم « الحمد لله . نحمده ونستعينه ونستغفره ،

ونصوة به من شرور أنفسنا . من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل الله فلا هادي له .  
ونشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً  
يَدْعِي السَّاعَةَ ، مَنْ يَطْعِ الله ورسوله فقد رَشِدَ ، ومن يعصمهما فقد غَوَى . فسأل الله ربنا  
أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ، ويقبض رضوانه ويغتنب تحطه ، فلما نحن  
به وله " . وعنه قال : بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا  
خطب : " كُلُّ مَا هَوَاتِ قَرِيبٌ ، [ و<sup>(١)</sup> ] لَا بُدَّ لَهَا هَوَاتٌ . لَا يَجْعَلُ الله لِعَجَلَةٍ أَحَدٌ ،  
وَلَا يَخِيفُ لِأَمْرِ النَّاسِ . مَا شَاءَ الله لَا مَا شَاءَ النَّاسِ . يَرِيدُ الله أَمْرًا وَيُرِيدُ النَّاسُ أَمْرًا ،  
مَا شَاءَ الله كَانَ وَلَوْ كَرِهَ النَّاسُ . وَلَا يُبِيدُ لِمَا قَرَّبَ الله ، وَلَا يَقْرِبُ لِمَا بَعَدَ الله . لَا يَكُونُ  
شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ الله جَلَّ وَعَزَّ " . وقال جابر : كان النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب فيقول  
بعد أن يتحدث الله ويصل على أنبيائه : " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ فَأْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ ، وَإِنْ  
لَكُمْ نَهَايَةٌ فَأْتَهُوا إِلَى نَهَايَتِكُمْ . إِنْ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ عَقَاتَيْنِ بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي  
مَا اللهُ قَائِضٌ فِيهِ ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللهُ صَانِعٌ فِيهِ . فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ قَضَاهُ  
لِنَفْسِهِ ، وَمِنْ دِينِهِ لِآخِرَتِهِ ، وَمِنْ الشَّيْءِ قَبْلَ الْكِبَرِ ، وَمِنْ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ . وَالَّذِي  
نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ ، وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ . أَقُولُ  
قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ " . وقد هُتِفَ ما خطب به عليه الصلاة والسلام أوَّلَ جمعة  
عند قدومه المدينة .

الثانية عشرة — السكوت الخطبة واجب على من سمعها وجوب سنة ، ولأنه أن يسكت  
لما من يسمع ومن لم يسمع ، وهما إن شاء الله في الأجر سواء . ومن تكلم حينئذ لفاسد  
ولا يفتد صلاته بذلك . وفي الصحيح عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
" إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ أَتَيْتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَقِيتَ " . وَالزَّخْمَشَرِيُّ : وَإِذَا  
قَالَ الْمُتَخَصِّصُ لِصَاحِبِهِ هُتِفَ فَقَدْ لَقِيَ ، أَفَلَا يَكُونُ الْخَطِيبُ النَّسَالُ فِي ذَلِكَ لِأَخِي ؟ نَسُوذُ  
بِاللهِ مِنْ غَرَبَةِ الْإِسْلَامِ وَنَكْدِ الْأَيَّامِ .

(١) زيادة عن مراسيل أبي داود . (٢) في الأصول : « لعل آت » والتصويب عن مراسيل أبي داود .

الثالثة عشرة : - ويستقبل الناس الإمام إذا صعد المنبر ؛ لما رواه أبو داود مرسلاً عن أبان بن عبد الله قال : كنت مع علي بن ثابت يوم الجمعة ؛ فلما خرج الإمام - أو قال صعد المنبر - استقبله وقال : هكذا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون رسول الله صلى الله عليه وسلم . خرجه ابن ماجه عن مذي بن ثابت عن أبيه ؛ فزاد في الإسناد : عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام على المنبر استقبله أصحابه بوجوههم . قال ابن ماجه : أرجو أن يكون متصلاً .

قلت : وخرجه أبو نعيم الحافظ قال حدثنا محمد بن معمر قال حدثنا عبد الله بن محمد ابن ناجية قال حدثنا عباد بن يعقوب قال حدثنا محمد بن الفضل الخراساني عن منصور عن إبراهيم عن طعنة عن عبد الله قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا . فزاد به محمد بن الفضل بن عطية عن منصور .

الرابعة عشرة : ولا يركع من دخل المسجد والإمام يخطب ؛ عند ما لك رحمه الله . وهو قول ابن شهاب رحمه الله وغيره . وفي الموطأ عنه : نفروح الإمام يقطع الصلاة ، وكلامه يقطع الكلام . وهذا مرسل . وفي صحيح مسلم من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١٢٦)</sup> إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوّز فيما <sup>(١٢٧)</sup> ، وهذا نص في الركوع . وبه يقول الشافعي وغيره .

الخامسة عشرة : ... ابن حنّون عن ابن سيرين قال : كانوا يكرهون النوم والإمام يخطب ويقولون فيه قولاً شديداً . قال ابن حنّون : ثم تقيي بعد ذلك فقال : تدرى ما يقولون ؟ قال : يقولون مثلهم كمثل مريّة أخفقوا ؛ ثم قال : هل تدرى ما أخفقوا ؟ لم تتم شيطا . وعن ثمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : <sup>(١٢٨)</sup> إذا قمس أحدكم فليتحول إلى مقعد صاحبه وليتحول صاحبه إلى مقعده <sup>(١٢٩)</sup> .

(١) أي ولينفخ أداهما . (٢) يفاض في بعض نسخ الأصل .

السادسة عشرة — نذكر فيها من فضل الجمعة وفروضيتها ما لم نذكره . روى الأئمة من أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال : <sup>(١)</sup> " فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصل يسأل الله عز وجل شيئا إلا أعطاه إياه " وأشار بيده يقللها . وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة " . وروى من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى ذات يوم ، فلما خرج قلنا : احبست ! قال : " ذلك أن جبريل أتاني بكهيئة المرأة البيضاء فيها نكتة سوداء فقلت ما هذه يا جبريل قال هذه الجمعة فيها خير لك ولأمتك وقد أرادها اليهود والنصارى فأخطوئها وهذا كم الله لما قلت يا جبريل ما هذه النكتة السوداء قال هذه الساعة التي في يوم الجمعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه أو أخرله مظه يوم القيامة أو صرف عنه من السوء مثله وإنه خير الأيام عند الله وإن أهل الجنة يسمونه يوم المزيد " . وذكر الحليث . وذكر ابن المبارك ويحيى ابن سلام قالوا : حدثنا المسعودى عن المنهال بن عمرو عن أبي حنيفة بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قال : تسارعوا إلى الجمعة فإن الله تبارك وتعالى يبرز لأهل الجنة كل يوم جمعة في كتّيب من كافور أبيض ، فيكونون منه في القُرب — قال ابن المبارك — على قدر تسارعهم إلى الجمعة في الدنيا . وقال يحيى بن سلام : كسارعتهم إلى الجمعة في الدنيا . وزاد : فيُحدث لهم من الكرامة شيئا لم يكونوا رأوه قبل ذلك . قال يحيى : وسمعت غير المسعودى يزيد فيه : وهو قوله تعالى « وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ » <sup>(٢)</sup> .

قلت : قوله « في كتّيب » يريد أهل الجنة . أى وهم على كتّيب ، كما روى الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم في كل جمعة على كتّيب من كافور لا يرى طرفاه وفيه نهر جار حافته المسك عليه جوار يقرآن القرآن بأحسن

(١) الكتّيب : اللؤلؤ المستطيل .

(٢) أى يشير إلى تلك الساعة وعدم استنادها .

(٣) آية ٣٥ سورة ق .

أصول سمها الأولون والآخرون فإذا انصرفوا إلى منازلهم أخذ كل رجل بيد ما شاء منهم ثم يرون على قنطرة من لؤلؤ إلى منازلهم فلولا أن الله يهديهم إلى منازلهم ما احتلوا إليها لما يحدث الله لهم في كل جمعة " ذكره يحيى بن سلام . وعن أنس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ليلة أُمرى بي رأيت تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل مدائنكم هذه سبعين سنة مملوءة من الملائكة يستبشرون الله ويقولون في تسبيحهم اللهم اغفر لنا شهد الجمعة اللهم اغفر لنا اغفر لنا يوم الجمعة " ذكره الترمذي . وتخرج القاضي الشريف أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمي العيسوي من ولد عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه بإسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله عز وجل يبعث الأيام يوم القيامة على هيئةها ويبعث الجمعة زهراء مئيرة أهلها يحقون بها كالبروس تهدي إلى كريمها تضيء لهم يشون في ضوئها ، ألوانهم كالنلج يابضا ، ويريمهم يسطع كالسك ، يوضون في جبال الكافور ، ينظر إليهم الثقلان ما يطرقون تعجبا يدخلون الجنة لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتشبون " . وفي سنن ابن ماجه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الجمعة إلى الجمعة كفارة ما بينهما ما لم تنقض الكبائر " ترجمه مسلم بمناه . وعن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها " . وعن جابر بن عبد الله قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن توتوا . وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُسفلوا . وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية تَزِدُّوا وتَصْرُوا وتَوَجُّروا . واطمئنا أن الله قد فرض عليكم الجمعة في مقام هذا في شهره هذا في عامي هذا إلى يوم القيامة فمن تركها في حياتي أو بعد مماتي وله إمام عادل أو جائر استخفاف بها أو جحد لها فلا جمع الله ثمنه ولا بارك له

في امره . ألا ولا صلاة له ولا زكاة له ولا حج له . ألا ولا صوم له ولا بر له حتى يتوب  
 لمن تاب تاب الله عليه . ألا لا تؤمنن امرأة رجلا ولا يؤمن امرأى مهاجرا ولا يؤمن فاجر مؤمنا  
 إلا أن يقهره سلطان يخلف سيفه أو سوطه » . وقال تميم بن أبي شبة : أردت الجمعة  
 مع الججاج قتيبات للتهاب ، ثم قلت : أين أذهب أصل خلف هذا الفاجر ؟ فقلت مرة :  
 أذهب ، ومرة لا أذهب ، ثم أجمع رأي على التهاب ، فناداني مناد من جانب البيت  
 « يا أيها الذين آمنوا إذا تودى للصلاة من يوم الجمعة فاسموا إلى ذكر الله وقروا البع » .  
 السابعة عشرة — قوله تعالى : ( قل ما عند الله خير من اللّهو ومن التجارة ) فيه  
 وجهان : أحدهما — ما عند الله من ثواب صلاحكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم .  
 الثاني — ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم خيرا مما أصبتموه من لهوكم وتجارتكم .  
 وقرا أبو رجاء السطاري : « قل ما عند الله خير من اللّهو ومن التجارة للذين آمنوا » .  
 ( وألف خير الرزقين ) أي خير من رزق وأعطى ، فنه فاطلبوا ، واستعينوا بطاعته على تيسل  
 ما عنده من خيري الدنيا والآخرة .

## سورة المنافقون

مدنية في قول الجميع ، وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ  
 إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾

قوله تعالى : ( إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك رسول الله ) روى البخاري عن  
 زيد بن أرقم قال : كنت مع حمى فسمعت عبد الله بن أبي بن سؤل يقول : « لا تنفقوا  
 على من عند رسول الله حتى ينفقوا » . وقال : « لئن رجعتا إلى المدينة ليجرحن الأعر

مِنَ الْأَذَلِّ » فذكرت ذلك لعمى فذكر عى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فلقوا ما قالوا ؛ فصَدَّقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكَذَّبى . فأصابني هم لم يصبنى مثله ، بغلست في بيتي فأُتِل رسول الله عز وجل : « إذا جئتك المناقبون - إلى قوله - هم الذين يقولون لا تُشَفِّقُوا عَل مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - إلى قوله - لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذَلَّ » فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « إن الله قد صدقك » خرجته الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح . وفى الترمذى عن زيد بن أرقم قال : « رَوَّعًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا أناس من الأعراب فكانوا يبلد الماء ، وكان الأعراب يسبقونا [ إليه ] فيسبق الأعرابي أصحابه فيملا الحوض ويمل حوله حجارة ، ويمل للتلطع عليه حتى تجى أصحابه . قال : فأتى رجل من الأنصار أعرابياً فأرآنى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يَدَّه ، فاترج حجراً ففاض الماء ؛ فرفع الأعرابي خشبة فضرب بها رأس الأنصارى فشجبه ، فأتى عبد الله بن أبي رأس المناقبين فأخبره - وكان من أصحابه - ، فنضب عبد الله بن أبي ثم قال : لا تُشَفِّقُوا عَل مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَقُوا مِنْ حَوْلِهِ - يعنى الأعراب - وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام ؛ فقال عبد الله : إذا انفضوا من عند عذ فانوا عدا بالطعام ، فليأكل هو ومن عنده . ثم قال لأصحابه : « أتى رجعتكم إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذَلَّ . قال زيد : وأنا رَدَف عى فسمعت عبد الله بن أبي فأخبرت عى ، فأطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لحلف ومحمد . قال : فصَلَّته رسول الله صلى الله عليه وسلم وكَذَّبى . قال : فجاء عى إلى فقال : ما أردتُ إلى أن مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكَذَّبَكَ والمناقبون . قال : فوقع على من جرأتهم ما لم يقع على أحد . قال : فبينما أنا أسير مع رسول

(١) بساط من جلد . (٢) فى الترمذى : « فاترج قياض الماء . »

(٣) فى الترمذى : « وأنا رَدَف رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٤) فى الترمذى : « والمسلمون » . (٥) فى الترمذى : « فوقع على من ألم ما لم ... » .

الله صلى الله عليه وسلم في حفر قد خفقت برأسي من الحم إذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فمرتك أذني وضحك في وجهي ؛ فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا . ثم إن أبا بكر لحقني  
فقال : ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : ما قال شيئاً إلا أنه عرك أذني  
وضحك في وجهي ؛ فقال أبشر ! ثم لحقني عمر فقلت له مثل قول لأبي بكر . فلما أصبحتنا  
قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن  
صحيح . وسئل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال : الذي يصف الإسلام ولا يعمل به .  
وهو اليوم شر منكم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم كانوا يكتمونه وهم اليوم  
يظهرونه . وفي المجيبين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « آية المنافق  
ثلاث إذا حدثت كذب وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان » . وعن عبد الله بن عمرو أن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال : « أريج من كُن في مكان منافق خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن  
كان فيه خصلة من التفاق حتى يدعها : إذا أئتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر  
وإذا خاصم فجر » . أخبر عليه السلام أن من جمع هذه الخصال كان منافقا ؛ وخبره صدق .  
وروي عن الحسن أنه ذكر له هذا الحديث فقال : إن بني يعقوب حدثوا فكذبوا ووصلوا  
فأخفوا وأئتمنوا فخافوا . إنما هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الإنذار  
للسامعين ، والتحذير لم أن يتادوا هذه الخصال ؛ شفاً أن تفضي بهم إلى التفاق . وليس  
المعنى أن من بدلت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد أنه منافق . وقد مضى  
في سورة « براءة » القول في هذا مستوفى والحمد لله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
« المؤمن إذا حدث صدق وإذا وعد أجز وإذا أئتمن وقى » . والمعنى : المؤمن الكامل إذا  
حدث صدق . والله أعلم .

قوله تعالى : ( قَالُوا تَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ) قيل : معنى « تشهد » تحلف . فغير عن الحلف  
بالشهادة ؛ لأن كل واحد من الحلف والشهادة إثبات لأمر منيب ؛ ومنه قول قيس بن ذريح .

وأشهد عند الله أني أحبها \* فهذا لما عدى فاعلها ليا

ويحتمل أن يكون ذلك محمولا على ظاهره أنهم يشهدون أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم،  
 اعتراضا بالإيمان ونفيًا للظن عن أنفسهم؛ وهو الأشبه . (وَالَّذِي يَعْلَمُ إِنَّكَ رَّسُولُهُ) كما قالوه  
 بالسهم . (وَالَّذِي يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) أي فيما اظهروا من شهادتهم وحليفهم بالسهم .  
 وقال القراء : « والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » بضائرهم؛ فالتكذيب راجع إلى الضائر .  
 وهذا يدل على أن الإيمان تصديق القلب، وعلى أن الكلام الحقيقي كلام القلب . ومن قال  
 شيئا واعتقد خلافه فهو كاذب . وقد مضى هذا المعنى في أول « البقرة » مستوفى .<sup>(١)</sup> وقيل :  
 أكذبهم الله في أيمانهم وهو قوله تعالى : « وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَبِهِمُ نَيْمٌ وَمَا هُمْ بِمُنْذَرِينَ » .  
 قوله تعالى : ائْتَمِرُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ  
 سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( ائْتَمِرُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ) أي سُرّة . وليس يرجع إلى قوله  
 « تَشْهَدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ » وإنما يرجع إلى سبب الآية التي نزلت عليه ؛ حسب ما ذكره  
 البخاري والترمذي عن ابن أبي أنس حلف ما قال وقد قال . وقال الضحاك : يعني حلفهم  
 الله إنهم لمنكم ، وقيل : يعني بأيمانهم ما أخبر الرب عنهم في سورة « براءة » إذ قال :  
 « يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا »<sup>(٢)</sup>

الثانية — من قال : أقسم بالله أو أشهد بالله أو أعزم بالله أو أحلف بالله ، أو أقسمت  
 بالله أو أشهدت بالله أو أعزمت بالله أو أحلفت بالله ؛ فقال في ذلك كله « بالله » فلا خلاف  
 أنها عين . وكذلك عند مالك وأصحابه إن قال : أقسم أو أشهد أو أعزم أو أحلف ؛ ولم يقل  
 « بالله » ، إذا أراد « بالله » . وإن لم يرد « بالله » فليس بعين . وحكمه الإكراه عن الشافعي .  
 قال الشافعي : إذا قال أشهد بالله ونوى العين كان عينا . وقال أبو حنيفة وأصحابه : لو قال

(١) راجع ١٦٢ ص ١٩٢ طبة ثانية أو ثالثة وما يندرج . (٢) آية ٦٠ سورة البقرة .

(٣) آية ٧٤ سورة البقرة .

اعبدوا الله لقد كان كنا كان عينا ، ولو قال أشهد لقد كان كنا دون القية كان عينا لهذه الآية ؛ لأن الله تعالى ذكر منهم الشهادة ثم قال « اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً » . وعند الشافعي لا يكون ذلك عينا وإن نوى الإيمين ؛ لأن قوله تعالى : « اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً » ليس يرجع إلى قوله : « قالوا أشهد » وإنما يرجع إلى ما في « براءة » من قوله تعالى : « يَحْلِفُونَ بِآلِهِ مَا قَالُوا » .

الثالثة - قوله تعالى : ( فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) أى أخرجوا ، وهو من الصدود . أو صرفوا المؤمنين عن إقامة حكم الله عليهم من القتل والنسي وأخذ الأموال ؛ فهو من العبد ، أو منوا الناس عن الجهاد بأن يتخلفوا ويقتدى بهم غيرهم . وقيل : فصدا اليهود والمشركين عن النحول في الإسلام ؛ بأن يقولوا هاتين كافرين بهم ، ولو كان محد حقا لعرف هذا منا ، ولعلنا نكالا . فبين الله أن حالهم لا ينفى طيه ، ولكن حكمة أن من أظهر الإيمان أجرى عليه في الظاهر حكم الإيمان . ( إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) أى رُبست أعمالهم الخبيثة - من قضاهم وإيمانهم الكاذبة وصلتهم عن سبيل الله - أعمالا .

قوله تعالى : ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦﴾

هذا إعلام من الله تعالى بأن المنافق كافر . أى أقروا باللسان ثم كفروا بالقلب . وقيل : نزلت الآية في قوم آمنوا ثم أرتدوا . ( فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ) أى خُتم عليها بالكفر . ( فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ) الإيمان ولا الخير . وقرأ زيد بن علق : « فَطُبِعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ » .

قوله تعالى : وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْتَعِدَّةٌ يَّحْسُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الَّذِينَ قَالُوا فَاحْذَرُوهُمْ قَالُوا لَهُمْ اللَّهُ أَتَىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧﴾

قوله تعالى : ( وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ) أى هيئاتهم ومناظرهم . ( وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ) يعنى عبد الله بن أبي . قال ابن عباس : كان عبد الله بن أبي يسيما

جسماً صحيحاً ذليق اللسان ؛ فإذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم مقالته . وصفه الله بتمام الصورة وحسن الإبانة . وقال الكلبي : المراد ابن أبي وجدة بن قيس ومعتب ابن قشير ؛ كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة . وفي صحيح مسلم : وقوله « كأنهم خشب مسندة » قال : كانوا رجالاً أجمل شيء كأنهم خشب مسندة ؛ شبههم بخشب مسندة إلى الحائط لا يسمعون ولا يقولون ؛ أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام . وقيل : شبههم بالخشب التي قد تاكلت فهي مسندة بغيرها لا يسلم ما في بطنها . وقرا قتيل وأبو عمرو والكسائي « خُشْبٌ » بإسكان الشين . وهي قراءة البراء بن عازب واختيار أبي عبيد ؛ لأن واحدتها خَشْبَةٌ . كما تقول : بدنة وبدن . وليس في اللغة فمثلة يجمع على فُلل . ويؤم من قلها أن تقول : البدن ؛ فقرا « والبدن » . وذكر اليزيدي أنه جماع الخشب ؛ كقوله عز وجل « وَحَدَّثَ ثَلَاثَ غَلَاً » واحدتها حديقة غلباء . وقرا الباقون بالتثنية وهي رواية البراء عن ابن كثير وعياض عن أبي عمرو . وأكثر الروايات عن عاصم . واختاره أبو حاتم ؛ كأنه جمع خشاب وخُشْبٌ ؛ نحو ثمرة وعمار وعمر . وإن شئت جمعت خشبة على خشب كما قالوا : بدنة وبدن وبدن . وقد روي عن ابن المسيب فتح الخلاء والشين في « خُشْبٌ » . قال سيوي : خشبة وخُشْبٌ ؛ مثل بدنة وبدن . قال : ومثله بغيرها أسد وأسد ووتن ووتن . وتقرأ خُشْبٌ وهو جمع الجلع ؛ خشبة وخشاب وخُشْبٌ ؛ مثل ثمرة وعمار وعمر . والإسناد الإمامة ؛ تقول : أسندت الشيء أي أملتة . و « مُسْنَدَةٌ » للتكثير ؛ أي أسندوا إلى الأيمان بمقن دماهم .

قوله تعالى : ( يَتَحَبَّوْنَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْمُدُّ ) أي كل أهل صبيحة عليهم هم المدد . و « هم المدد » في موضع المفعول الثاني ؛ على أن الكلام لا ضمير فيه . يصفهم بالجلن وانحطاد . قال مقاتل والمدى : أي إذا نادى مناد في السكر أن ائتت دابة أو أئتتت ضالة فلنوا أنهم المرادون ؛ لما في قلوبهم من الرعب . كما قال الشاعر وهو الأطل :  
ما زلت تحسب كل شيء بصددهم . خيلاً تحسّر عليهم ورجالاً

وقيل : « يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْمُدُودُ » كلام ضهير فيه لا يفتر إلى ما بعد ؛ وتقديره : يحسبون كل صيحة عليهم أنهم قد فُطِنَ بهم وعُلمَ بنفاقهم ؛ لأنَّ للرسالة خوفاً . ثم استأنف الله خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : « هُمُ الْمُدُودُ » وهذا معنى قول الفضلاء .  
وقيل : يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد أنها عليهم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر فيها بقتلهم ، فهم أبداً وجُلُود من أن يُقَالَ الله فيهم أمراً يسبح به دماغهم ، ويتك به أوتارهم . وفي هذا المعنى قول الشاعر :

فلوانها حَصْفُورٌ لِحَسْبِهَا • مُسَوِّمَةٌ تَدْعُو عِيْنًا وَأَزْمَا

يطن من بني ربيعة . ثم وصفهم الله بقوله : « هُمُ الْمُدُودُ فَأَحْزَنُهُمْ » حكاه عبد الرحمن ابن أبي حاتم . وفي قوله تعالى « فَأَحْزَنُهُمْ » وجهان : أحدهما — فأحزن أن تبقى بقولهم أو تيل إلى كلامهم . الثاني — فأحزن ثَمَائِلَهُمْ لأعدائكم وتحذيلهم لأصحابك . ( قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ) أي لعنهم الله ؛ قاله ابن عباس وأبو مالك . وهي كلمة دَمٌ وتوبيخ . وقد قول العرب : قَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشْعَرُهُ ! فيضمونه موضع التعجب . وقيل : معنى « قَاتَلَهُمُ اللَّهُ » أي أحلهم على من قاتله عدو قاهر ؛ لأن الله تعالى قاهر لكل معاند . حكاه ابن عيسى . ( أَلَيْسَ يَقُولُونَ ) أي يكذبون ؛ قاله ابن عباس . قتادة : معناه يمدلون عن الحق . الحسن : معناه يصرفون عن الرشد . وقيل : معناه كيف تفضل عقولهم من هذا مع وضوح الدلائل ؛ وهو من الإنك وهو الصرف . و« أَلَيْسَ » بمعنى كيف ؛ وقد تقدم .

قوله تعالى : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾

قوله تعالى : ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ) لما نزل القرآن بصفتهم متى إليهم مشايرهم وقالوا : انتضحتن بالنفاق فتوبوا إلى رسول الله من النفاق ، واطلبوا أن يستغفر لكم . قَالُوا رُبُّهُمْ ؛ أي حرَّكوها استهزاء وإباء ؛ قاله ابن عباس . وعنه أنه كان

لعبد الله بن أبي موقف في كل سبب يحض على طاعة الله وطاعة رسوله ؛ فقيل له : وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليك غضبان ، فانه يستغفر لك ؛ فاني وقال : لا اذهب اليه . وسبب نزول هذه الآيات أن النبي صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق على ماء يقال له « المرَيْسِع » من ناحية « قُذَيْد » إلى الساحل ، فأزدهم أجير لعمر يقال له « جَهْجَاه » مع حليف لعبد الله بن أبي يقال له « سنان » على ماء « بالْمُشَل » ، فصرخ جهجاه بالمهاجرين ، وصرخ سنان بالأنصار ، فلطم جهجاه سناناً فقال لعبد الله بن أبي : أَوْ قَدْ فعلوها والله ما مثنا ومثلهم إلا كما قال الأول : سَمَنَ كَلْبَكَ يَا كَلْبُكَ ، أما والله لئن رجعتا إلى المدينة لُخْرِجَتَا الْأَعْرُ - يعني أنبياء - الأذل ؛ يعني عندها صلى الله عليه وسلم . ثم قال لقومه : كُفُّوا طعناكم عن هذا الرجل ، ولا تفتقروا على من عنده حتى ينفضوا ويتركوه . فقال زيد بن أرقم - وهو من رهط عبد الله - أنت واه الذليل المنتقص في قومك ؛ وعبد الله صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين ، والله لا أحبك بعد كلامك هذا أبداً . فقال عبد الله : اسكت إنما كنت ألبس . فأنذر زيد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ؛ فأقسم بالله ما فعل ولا قال ؛ فعذره النبي صلى الله عليه وسلم . قال زيد : فوجدت في نفسي ولامني الناس ؛ فزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله . فقيل لعبد الله : قد زلت فيك آيات شديدة فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لك ؛ فألوى برأسه ، فزلت الآيات . خرج به البخاري ومسلم والترمذي بمناه . وقد تقدم أول السورة . وقيل : « يستغفر لكم » يستبكم من الضاق ؛ لأن التوبة استغفار . ﴿ وَذَآيَتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي يعرضون عن الرسول متكبرين عن الإيمان . وقرأ نافع « لَوَا » بالتحفيف . وشدد الباقون ؛ واختاره أبو حنيفة وقال : هو فعل للجماعة . التماس : ونظ في هذا ؛ لأنه نزل في عبد الله بن أبي لما قيل له : تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرك رأسه استهزاء . فإن قيل : كيف أخبر عنه بفعل الجماعة ؟ قيل له : العرب فعل هذا إذا كُنت عن الإنسان . أنشد سيويه لحسان : ظنتم بأن يفتي الذي قد صنعتم \* وفيما رسول عنده الوحي واضعة وإنما خاطب حسان ابن الأثير في شيء سرقه بمكة . وقصته مشهورة .

وقد يجوز أن يخرجه وعن فعله . وقيل : قال ابن أبي لوى رأسه :  
أمرتموني أن أومن فقد آمنت ، وأن أعطى زكاة مالي فقد أعطيت ، فابقي إلا أن أعبد  
محمد . . .

قوله تعالى : **مَسَاءً عَلَيْهِمْ أَتَغْفِرَ لَهُمْ أَمْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ**  
**يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ( **مَسَاءً عَلَيْهِمْ أَتَغْفِرَ لَهُمْ أَمْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ** ) يعني كل ذلك عواء ،  
لا ينفع استغفارك شيئا ، لأن الله لا يغفر لهم . نظيره « **سَاءَ جَلِيمٌ الَّذِينَ يَمْشُونَ** »  
« **سَاءَ جَلِيمٌ الَّذِينَ يَمْشُونَ** » . وقد فهم . ( **إِنَّ اللَّهَ**  
**لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ) أي من سبق في علم الله أنه يموت فاسقا .

قوله تعالى : **هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ**  
**حَتَّىٰ يَنْفَضُوا** **وَلِلَّهِ نِزَاجُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ**  
**لَا يَفْقَهُونَ** ﴿١١﴾

ذكرنا سبب النزول فيما تقدم . وابن أبي قال : لا تنفقوا على من عند محمد حتى ينفضوا ؛  
حتى ينفذوا عنه . فاعلمهم الله سبحانه أن خزائن السموات والأرض له ، ينفق كيف يشاء .  
قال رجل لحاتم الأصم : من أين تأكل ؟ فقال : « **وَلِلَّهِ نِزَاجُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** » . وقال  
الجنيدي : خزائن السموات والنبوء ، وخزائن الأرض القلوب ؛ فهو علام النبوء ومقلب  
القلوب . وكان الشنبل يقول : « **وَلِلَّهِ نِزَاجُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** » فابن تلعبون .  
( **وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ** ) أنه إذا أراد أمرا يقره .

قوله تعالى : يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾  
 القائل ابن أبي- كما تقدم . وقيل : إنه لما قال « لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ »  
 ورجع إلى المدينة لم يلبث إلا أياما يسيرة حتى مات ؛ فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وألهمه قبضه ؛ فزلت هذه الآية « لن يغفر الله لهم » . وقد مضى بيان هذا كله في سورة  
 « براءة » ستوفى . وروى أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول قال لأبيه : والذي لا إله  
 إلا هو لا تدخل المدينة حتى تقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأعز وأنا الأذل ؛  
 فقال له : تَوَهَّمُوا أَنْ الْعِزَّةُ بِكُفَّةِ الْأَمْوَالِ وَالْإِتِّحَاعِ ؛ فَبَيَّنَ اللَّهُ أَنَّ الْعِزَّةَ وَالسَّمَةَ وَالْقُوَّةَ لله .

قوله تعالى : يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١١﴾

حذر المؤمنين أخلاق المنافقين ؛ أى لا تشتتوا بأموالكم كما فعل المنافقون إذ قالوا - الشَّحْ  
 بأموالهم - لا تُفَقُّوا عَنِ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ . ( عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) أى عن الحج والزكاة . وقيل :  
 عن قراءة القرآن . وقيل : عن إدامتنا لذكر . وقيل : عن الصلوات الخمس ؛ قاله الضحاك .  
 وقال الحسن : جميع الفرائض ؛ كأنه قال من طاعة الله . وقيل : هو خطاب للمنافقين ؛ أى  
 أمتهم بالقول قَامُوا بِالْقَلْبِ . ( وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ) أى من يشتغل بالمال والولد عن طاعة ربه  
 ( فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ) .

قوله تعالى : وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٢﴾ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

فيه أربع مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَأَقْفُوا بِمَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ) يدل على وجوب تسجيل أداء الزكاة ، ولا يجوز تأخيرها أصلاً . وكذلك سائر العبادات إذا تعيّن وقتها .

الثانية - قوله تعالى : ( يَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَنْتَ بَرَأْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ )

سأل الرجعة إلى الدنيا ليعمل صالحاً . وروى الترمذي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال : من كان له مال يلفه حج بيت ربه أو يجب عليه فيه زكاة

فلم يفعل ، سأل الرجعة عند الموت . فقال رجل : يا بن عباس ، اتق الله ، إنما سأل الرجعة الكفار . قال : سألتوك بذلك قرأنا « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » وَأَقْفُوا بِمَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ

أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ يَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَنْتَ بَرَأْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ -

إلى قوله - « وَاللَّهُ غَيْرُ بِمَا تَعْمَلُونَ » قال : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتين فصاعداً . قال : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة .

« قلت » : ذكره الحليمي أبو عبد الله الحسين بن الحسن في كتاب ( مناجاة المؤمنين ) مرفوعاً فقال : وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>(١)</sup> « من كان عنده مال

يملكه الحج ... » الحديث ؛ فذكره . وقد تقدم في « آل عمران » لفظه .

الثالثة - قال ابن العربي : « أخذ ابن عباس بعموم الآية في إيفاق الواجب خاصة دون النفل ، فأما تخصيصه بالزكاة فصحيح كله عموماً وتقديراً بالمائتين . وأما القول في الحج

ففيه إشكال ؛ لأننا إن قلنا : إن الحج على التراضي ففي المصيبة في الموت قبل الحج خلاف بين العلماء ؛ فلا يخرج الآية عليه . وإن قلنا : إن الحج على الفور فالآية في العموم صحيح ؛ لأن

من وجب عليه الحج فلم يؤدّه لقي من الله ما يؤدّه أنه رجع ليأتي بما ترك من العبادات . وأما تقدير الأمر بالزاد والراحلة ففي ذلك خلاف مشهور بين العلماء . وليس لكلام ابن عباس

فيه يدخل ؛ لأجل أن الرجة والوعيد لا يدخل في المسائل المجتهد فيها ولا المختلف عليها ، وإنما يدخل في المطلق عليه . والصحيح تناوله الواجب من الإجماع كيف تصرف بالإجماع أو بنص الفرقان ؛ لأجل أن ماعدا ذلك لا يتطرق إليه تحقيق الوعيد .

الرابعة - قوله تعالى : ( **لَوْلَا** ) أى هلا ؛ فيكون استفهاماً . وقيل : « لا » صلة ؛ فيكون الكلام بمعنى التثنية . ( **فَأَصْدَقَ** ) نصب على جواب التثنية بالفاء . ( **وَأَكُونُ** ) عطف على « فأصدق » وهى قراءة أبى عمرو وابن محيصن ومجاهد . وقرأ الباقون « **وَإِنِّي** » بالجزم عطفاً على موضع الفاء ؛ لأن قوله : « فأصدق » لو لم تكن الفاء لكان جزوماً ؛ أى أصدق . ومثله « **مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ** » فمن جزم . قال ابن عباس : هذه الآية أشد على أهل التوحيد ؛ لأنه لا يمتنع الرجوع فى الدنيا أو التأخير فيها أحد له عند الله خير فى الآخرة . قلت : إلا الشيعيد فإنه يمتنع الرجوع حتى يقتل ، لما يرى من الكرامة . ( **وَاللَّهُ خَبِيرٌ** ) **يَا تَمْلِكُونَ** من خير وشر . وقراءة العامة بالياء على الخطاب . وقرأ أبو بكر عن عاصم والسبى بالياء ، على الخبر عن مات وقال هذه المقالة .

### سورة التَّغَابُنِ

مَدَنِيَّةٌ فى قول الأكثرين . وقال الضحاك : مَكِّيَّةٌ . وقال الكلبي : هى مكية ومدنية . وهى ثمانى عشرة آية . وعن ابن عباس أن سورة التغابن نزلت بمكة ؛ إلا آيات من آخرها نزلت بالمدينة فى عَوَفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشَجِيِّ ، شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفاء أهله وولده ، فانزل الله عز وجل « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ** عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » إلى آخر السورة . وعن عبد الله بن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود يولد إلا وفى تشابيك رأسه مكتوب خمس آيات من فاتحة سورة التغابن »

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ  
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

تقدم في غير موضع .

قوله تعالى : هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا  
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾

قال ابن عباس : إن الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً ، ويميدهم في يوم القيامة مؤمناً وكافراً .  
وروى أبو سعيد الخدري قال : خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَشِيَّةً فَذَكَرَ شَيْئاً مِمَّا يَكُونُ  
فَقَالَ : "يُولَدُ النَّاسُ عَلَى طَبَقَاتٍ ثَلَاثٍ ، يُولَدُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيَبِيشُ مُؤْمِناً وَمَيِّتُ مُؤْمِناً ، وَيُولَدُ  
الرَّجُلُ كَافِراً وَيَبِيشُ كَافِراً وَمَيِّتُ كَافِراً . وَيُولَدُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيَبِيشُ مُؤْمِناً وَمَيِّتُ مُؤْمِناً كَافِراً .  
وَيُولَدُ الرَّجُلُ كَافِراً وَيَبِيشُ كَافِراً وَمَيِّتُ مُؤْمِناً" . وقال ابن مسعود قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
"خَلَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ فِي بطنِ أُمِّهِ كَافِراً وَخَلَقَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا فِي بطنِ أُمِّهِ مُؤْمِناً" . وفي الصحيح  
من حديث ابن مسعود : "وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها  
إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل  
أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل  
الجنة فيدخلها" . ترجمه البخاري والترمذي وليس فيه ذكر الباع . وفي صحيح مسلم عن سهل  
ابن سعد الساعدي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : "إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة  
فيأبى الله للناس وهو من أهل النار . وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيأبى الله للناس وهو من  
أهل الجنة" . قال علماءنا : والمخني تماق العلم الأزل بكل معلوم ؛ فيجزي ما علم وأراد  
وحكم . فقد يريد إيمان شخص على عموم الأحوال ، وقد يريد إلى وقت معلوم . وكذلك

الكفر . وقيل في الكلام محذوف : فتم مؤمن ومنكم كافر ومنكم فاسق ؛ غنفت لما في الكلام من الدلالة عليه ؛ قاله الحسن . وقال غيره : لا حذف فيه ؛ لأن المقصود ذكر الطرئين . وقال جماعة من أهل العلم : إن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا . قالوا : وتام الكلام « هو الذى خلقكم » . ثم وصفهم فقال : « فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ » كقوله تعالى : « وَآلَهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ » الآية . قالوا : فافهم خلقهم ، والمشي فعلهم . واختاره الحسين بن الفضل ، قال : لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله « فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ » . واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » الحديث . وقد مضى في « الأروم » مستوفى . قال الضحاك : فمِنْكُمْ كَافِرٌ الشَّرُّ مؤمن في الملاينة كالمنافق ، ومنكم مؤمن في الشَّرِّ كافر في الملاينة ككفار وقوي . وقال عطاء بن أبى رباح : فمِنْكُمْ كَافِرٌ بالله مؤمن بالكواكب ، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب ؛ يعنى في شأن الأنواء . وقال الزجاج — وهو أحسن الأقوال ، والذي عليه الأئمة والجمهور من الأمة — : إن الله خلق الكافر ، وكَفَرَهُ فَعُلَّ له وكسب ؛ مع أن الله خالق الكفر . وخلق للمؤمن ، وإِيمَانَهُ فَصَلَّ له وكسب ؛ مع أن الله خالق الإيمان . والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله إياه ؛ لأن الله تعالى قدر ذلك عليه وعَلِمَهُ منه . ولا يجوز أن يوجد من كل واحد منهما غير الذى قدر عليه وعلمه منه ؛ لأن وجود خلاف المقدور عَجْزٌ ، ووجود خلاف المعلوم جهلٌ ، ولا يليقان بالله تعالى . وفي هذا سلامة من الجبر والقدر ؛ كما قال الشاعر :

يا ناظرًا في الدين ما الأمر \* لا قَسْرٌ صَحَّ ولا جَبَرٌ

وقال ميلان : قديم أمر أبى البصرة قليل له : ما تحول في القدر ؟ فقال : أمرٌ تنالت فيه الظنون ، واختلف فيه المختلفون ؛ قالوا يجب أن نَرُدَّ ما أشكل علينا من حكمة إلى ما سبق من علمه .

قوله تعالى : خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ  
صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١﴾

قوله تعالى : ( خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ) <sup>(١)</sup> تقدّم في غير موضع ، أى خلقها حقاً يقيناً لا ريب فيه . وقيل : الباء بمعنى اللام ، أى خلقها للقي ، وهو أن يعجزى الذين أساءوا بما عملوا ويعجزى الذين أحسنوا بالحسنى . ( وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ) أى آدم عليه السلام ، خلقه بيده كرامة له ، قاله مقاتل . الثانى — جميع الخلائق . وقد مضى معنى التصوير ، وأنه التخطيط والتشكيل . <sup>(٢)</sup> فإن قيل : كيف أحسن صورهم ؟ قيل له : جعلهم أحسن الحيوان كله وأباه صورة ، بدليل أن الإنسان لا يمتنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور . ومن حسن صورته أنه خلق منتصباً غير منكب ، كما قال عز وجل : «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» <sup>(٣)</sup> على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى . ( وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ) أى المرجع ، فيجازى كل بعمله .

قوله تعالى : يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ  
وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِّذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢﴾

تقدّم في غير موضع . فهو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شئ .

قوله تعالى : أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَنَادُوا بِطَغْوَانِ  
أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣﴾

الخطاب لقريش ، أى ألم يأتكم خبر كفار الأمم الماضية . ( فَتَذَكُّوا بِأَنَّهُمْ ) أى عوفوا . ( وَلَهُمْ ) فى الآخرة ( عَذَابٌ أَلِيمٌ ) أى مؤجع . وقد تقدّم .

(١) ج ٦ ص ٣٨٤ و ج ٧ ص ١٩ . (٢) راجع ص ٤٨ من هذا الجزء .

(٣) آية ٤ سورة التين . (٤) راجع ج ١ ص ١٩٨ .

قوله تعالى : **ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهُدُونَنَا فَكُفِّرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌ حَمِيدٌ** ①

قوله تعالى : ( **ذَلِكَ** ) أى هذا المذاب لم يكفرهم بالرسول تأتيمهم ( **بِالْبَيِّنَاتِ** ) أى بالدلائل الواضحة . ( **فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهُدُونَنَا** ) أنكروا أن يكون الرسول من البشر . وأرضع « **أبشراً** » على الابتداء . وقيل : بأشعار فعل ، وأجمع على معنى بشر ؛ ولهذا قال : « **يهودونا** » ولم يقل يهديننا . وقد أتى الواحد بمعنى الجمع فيكون اسماً للجنس ؛ وواحد إنسان لا واحد له من لفظه . وقد أتى الجمع بمعنى الواحد ؛ نحو قوله تعالى : « **ما هذا بشراً** » . ( **فَكُفِّرُوا** ) أى هذا القول ؛ إذ قالوه استصغاراً ولم يعلموا أن الله يبعث من يشاء إلى عباده . وقيل : كفروا بالرسول وتولوا عن البرهان وأعرضوا عن الإيمان والموعظة . ( **وَاسْتَغْنَى اللَّهُ** ) أى بسلطانه عن طاعة عباده ؛ قاله مقاتل . وقيل : استغنى الله بما أظهره لهم من البرهان وأوضحه لهم من البيان ، عن زيادة تدعو إلى الرشد وتقود إلى الهداية .

قوله تعالى : **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ②

قوله تعالى : ( **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا** ) أى ظنوا . والزم هو القول بالظن . وقال شريح : لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا . قيل : نزلت في العاص بن وائل السهمي مع خباب ؛ حسب ما تقدم بيانه في آتم سورة « مريم » ، ثم تمت كل كافر . ( **قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ** ) أى لتخرجن من قبوركم أحياء . ( **ثُمَّ لَتُنَبَّؤَنَّ** ) تنبهن . ( **بِمَا عَمِلْتُمْ** ) أى بأعمالكم . ( **وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ) إذ الإعادة أسهل من الابتداء .

قوله تعالى : **فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ③

قوله تعالى : ( فَأَيُّسُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ) أمرهم بالإيمان بعد أن حرّمهم قيام الساعة . ( وَالشُّرُورَ الَّتِي أَتَوْا ) وهو القرآن ، وهو نور يُنْصَى به من ظلمة الضلال .  
( وَاللَّهُ يَمَّا تَمْلُونُ خَيْرٌ ) .

قوله تعالى : يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ①

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ) العامل في « يوم » « تَنْبُؤُكَ » أو « خَيْرٍ » لما فيه من معنى الوعيد ، كأنه قال : والله يجمعكم يوم يجمعكم . أو بإضمار اذكر . والتَّغَابُنُ : التَّخْفِصُ . يقال : خَبَّه غَيْبًا إذا أَخَذَ الشيء منه بدون قيمته . وقراءة العامة « ويجمعكم » بإلواء ، لقوله تعالى : « وَاللَّهُ يَمَّا تَمْلُونُ خَيْرٌ » فأخبر . وقد كرام الله أَوْلا . وقرا نصر وابن أبي إسحاق والبخاري ومقبوب وسلام « بجمعكم » بالنون ؛ اعتبارا بقوله : « وَالشُّرُورَ الَّتِي أَتَوْا » . ويوم الجمع : يوم يجمع الله الأولين والآخرين والإنس والجن وأهل السماء وأهل الأرض . وقيل : هو يوم يجمع الله بين كل جسد وعمله . وقيل : لأنه يجمع فيه بين الظالم والمظلوم . وقيل : لأنه يجمع فيه بين كل نبي وأتته . وقيل : لأنه يجمع فيه بين نواب أهل الطاعات وطغاب أهل المعاصي . ( ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ) أى يوم القِيَامَةِ . قال :

وما أَرْجَى بالعيش في دار فرقة ②  
ألا إما الراحة يوم التغابن ٤

وسمى يوم القِيَامَةِ يوم التَّغَابُنِ ؛ لأنه قَبِنَ فيه أهل الجنة أهل النار . أى أن أهل الجنة أخذوا الجنة ، وأخذ أهل النار النار على طريق المبادلة ؛ فوقع التَّغَابُنُ لأجل مبادلتهم الخير بالشر ، والجيد بالردى ، والنعم بالذنب . يقال : خَبَّتْ فلانة إذا بايسته أو شاربته فكان تخفى عليه والذلة لك . وكذا أهل الجنة وأهل النار ؛ كل ما ياتى يباه . ويقال : خَبَّتْ

التوب وتجنبت إذا طال من مقدارك غطت منه شيئا ، فهو نقصان أيضا . والمتأين : ما اتى من الخلق نحو الإطمين والفضحين . قال المفسرون : فالغيبون من حين أهله ومنازله في الجنة . ويظهر يومئذ حين كل كافر يترك الإيمان ، وفيه كل مؤمن بتقصيره في الإحسان وتضييعه الأيام . قال الزجاج : ويؤمن من ارتضت منزلته في الجنة من كان دون منزلته .

الثانية - فإن قيل : فأى معاملة وقعت بينهما حتى يقع التبت فيها . قيل له : هو تمثيل التبت في الشراء والبيع ، كما قال تعالى : « أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَاةَ بِالْهُدَى » . ولما ذكر أن الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربهم بل خسروا ، ذكر أيضا أنهم خُفوا ، وذلك أن أهل الجنة اشتروا الآخرة بترك الدنيا ، واشترى أهل النار الدنيا بترك الآخرة . وهذا نوع مبادلة اتساما وعجازا . وقد فرق الله سبحانه وتعالى الخلق فرقتين : فرقة الجنة وفرقة النار . ومنازل الكل موضوعة في الجنة والنار . فقد يسبق الخذلان على العبد - كما بيناه في هذه السورة وغيرها - فيكون من أهل النار ، فيحصل الموفق على منزل الخذلان ومنزل الموفق في النار للخلل ؛ فكأنه وقع التبادل لحصل التناهي . والأمثال موضوعة للبيان في حكم اللغة والقرآن . وذلك كله مجموع من نشر الآثار وقد جاءت مفردة في هذا الكتاب . وقد يضر عن هذا التبادل بالوراثه كما بيناه في « قد أظن المؤمنين » والله أعلم . وقد يقع التناهي في غير ذلك اليوم على ما يأتي بيانه بعد ، ولكنه أراد التناهي الذي لا جبران لنهايته . وقال الحسن وقادة : بلغنا أن التناهي في ثلاثة أصناف : رجل علم علما فعلمه وضميمه هو ولم يعمل به ففتى به ، وعمل به من تعلمه منه فتجا به . ورجل اكتسب مالا من وجوه يُسال عنها وفتح عليه ، وقوط في طاعة ربه بسببه ، ولم يعمل فيه خيرا ، وتركه لوarith لا حساب عليه فيه ، فعمل ذلك الوarith فيه بطاعة ربه . ورجل كان له عيد فعمل العبد بطاعة ربه فسمد ، وعمل السيد بمصيبة ربه ففتى . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :<sup>٢٥</sup> إن الله تعالى يقيم الرجل والمرأة يوم القيامة بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولاً فما أتتا بقائين فيقول الرجل يارب أوجبت نفقتا على نفسيهما من حلال وحرام وهؤلاء المحصورون

يطلبون ذلك ولم يسئ لي ما أوفى به فتقول المرأة يارب وما عسى أن أقول اكتسبه حراما  
وأكلته حلالا وعصاك في مَرْضَاتِي ولم أرض له بذلك فِعْمًا له وَحَقًّا فيقول الله تعالى فند  
صدقيت فيؤمر به إلى النار ويؤمر بها إلى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة وتقول له  
غَبْنَاكَ غَبْنَاكَ سعدنا بما شقيت أنت به " فذلك يوم التناين .

الثالثة — قال ابن العربي : « استدل علمائنا بقوله تعالى « ذَلِكَ يَوْمُ التَّنَائِينِ » على  
أنه لا يجوز التَّيْنُ في المعاملة الدُّنْيَوِيَّةِ ؛ لأن الله تعالى خصَّص التناين بيوم القيامة فقال :  
« ذَلِكَ يَوْمُ التَّنَائِينِ » وهذا الاختصاص يُفيد أنه لا غَبْنَ في الدنيا ؛ فكل من أطلع على غَبْن  
في مَبْعٍ فإنه مردود إذا زاد على الثلث . واختاره البنداديون واحتجوا عليه بوجوه : منها  
قوله صلى الله عليه وسلم لِحَبَّانِ بْنِ مُتَيْذٍ : « إذا بايعت قَعْلَ لَا خِلَابَةَ وَلَكِ الْخِلَارُ ثَلَاثًا » .  
وهذا فيه نظر طويل يتناه في مسائل الخلاف . نُكِّتَهُ أَنَّ التَّيْنَ في الدنيا ممنوع بإجماع  
في حكم الدين ؛ إذ هو من باب الخلداع المحرم شرعاً في كل مِلَّةٍ ، لكن اليسير منه لا يمكن  
الاحتراز عنه لأحد ، لغض في اليوع<sup>(١)</sup> ؛ إذ لو حكنا برقه ما نفذ بيع أبدا ؛ لأنه لا يخلو منه ،  
حتى إذا كان كثيرا أمكن الاحتراز منه فوجب الرد به . والفرق بين القليل والكثير أصل  
في الشريعة معلوم ، فنقد علمائنا الثلث لهذا الحد ؛ إذ رأوه في الوصية وغيرها . ويكون  
معنى الآية على هذا : ذلك يوم التناين الجائز مطلقا من غير تفصيل . أو ذلك يوم التناين  
الذي لا يستدرك أبدا ؛ لأن تناين الدنيا يستدرك بوجهين : إما برء في بعض الأحوال ،  
وإما ببيع في بيع أخرى وسقعة أخرى . فاما مَنْ خسر الجنة فلا يدرك له أبدا . وقد قال بعض  
علماء الصوفية : إن الله كتب الغبن على الخلق أجمعين ، فلا يلقي أحد ربه إلا مشبوعاً ؛ لأنه  
لا يمكنه الاستيفاء للعمل حتى يحصل له استيفاء الثواب . وفي الأثر قال النبي صلى الله عليه  
وسلم : « لا يلقي الله أحد إلا نادماً إن كان مسيئاً إن لم يحسن ، وإن كان محسناً  
إن لم يزد » .

(١) في بعض نسخ الأصل ما بين القرون : « عليها » . (٢) الخلفاء ؛ الخليفة .

(٢) في ابن العربي : « في الشرع » .

قوله تعالى : ( وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَنُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ )  
قرا نافع وان عامر بالتون فيها ، والباقون بإلاء .

قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ  
خَالِدِينَ فِيهَا وَيُمْسَأَلُ الْمُصِيبُ ۝ )

قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ) بنى القسركان ( أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ )  
خالدين فيها ورس المصير لما ذكر ما للؤمنين ذكر ما للكافرين ؛ كما تقدم في غير موضع .

قوله تعالى : ( مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ )  
يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ )

قوله تعالى : ( مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ) أى بإرادته وقضائه . وقال الفراء :  
يريد إلا بأمر الله . وقيل : إلا بعلم الله . وقيل : سبب نزولها أن الكفار قالوا : لو كان  
ما عليه المسلمون حقاً لصانهم الله عن المصائب في الدنيا ؛ فيبين الله تعالى أن ما أصاب  
من مصيبة في نفس أو مال أو قول أو فعل ، يقتضى عقاباً أو يوجب عقاباً عاجلاً أو أجلاً  
فيعلم الله وقضائه .

قوله تعالى : ( وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ ) أى يصدق ويعلم أنه لا يصيبه مصيبة إلا بإذن الله .  
( يَهْدِ قَلْبَهُ ) للصبر والرضا . وقيل : يثبت على الإيمان . وقال أبو حنن الجيزي : من صح  
إيمانه يهد الله قلبه لأتباع السنة . وقيل : « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » عند المصيبة فيقول :  
إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ قاله ابن جبير . وقال ابن عباس : هو أن يجعل الله في قلبه اليقين ؛  
ليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطاه لم يكن ليصيبه . وقال الكلبي : هو إذا  
أقبل صبراً ، وإذا أليم عليه شكر ، وإذا ظلم غفر . وقيل : يهد قلبه إلى نيل الثواب في الجنة .  
وقراءة العامة « يهد » بفتح الياء وكسر الدال ؛ لذكر اسم الله أولاً ؛ وقرأ السلمي وقطادة  
« يهد قلبه » بضم الياء وفتح الدال على الفعل المجهول ورفع الياء ؛ لأنه اسم فعل لم يسم فاعله .

وقرا طلحة بن مُصَرِّف والأعرج « تَبَدُّ » بنون على التعظيم « قلبه » بالنصب . وقرا عكرمة « يَبْدَأُ قلبه » بهجرة ساكنة ورفع الباء ، أى يسكن ويطمئن . وقرا مثله مالك بن دينار ، إلا أنه لَين الهمزة . ( وَأَلَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ ) لا يخفى عليه تسليم من أقاد وسلَّم لأمره ، ولا كراهة من كرهه .

قوله تعالى : وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْمَأ عَلَى رَسُولِنَا آتِلْبُخُ الْمَلِيْنُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

أى هُوُوا على أنفسكم المصائب ، وأستغلوا بطاعة الله ، وأعملوا بكتابه ، وأطيعوا الرسول فى العمل بسُنَّته ؛ فإن تَوَلَّيْتُمْ عن الطاعة فليس على الرسول إلا التبليغ . ( اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ) أى لا معبود سواه ، ولا خالق غيره ؛ فعليه توكلوا .

قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾

فيه خمس مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ ) قال ابن عباس : نزلت هذه الآية بالمدينة فى عَوف بن مالك الأشجعيّ ؛ شكاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم جفاء أهله وولده ؛ فنزلت . ذكره العاصم . وحكاه الطبري عن عطاه بن يسار قال : نزلت سورة « التفالين » كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ » نزلت فى عَوف بن مالك الأشجعيّ كان ذا أهل وولد ، وكان إذا أراد الغزو يتركوا إليه ورققه فقالوا : إلى من تدعنا ؟ فبرق فيهم ؛ فنزلت « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا »

إِثْمَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَنْوَا لَكُمْ « الآية كلها بالمدينة في عَوَفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجِيِّ . وبقي  
الآيات إلى آخر السورة بالمدينة . وروى الترمذی عن ابن عباس — وسأله رجل عن هذه الآية  
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِثْمَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَنْوَا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ » — قال : هؤلاء رجال  
أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فأبى أزواجهم وأولادهم  
أن يدعوه أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم رأوا الناس  
قد قَفَّهوا في الدين هموا أن يماقبوهم ؛ فأنزل الله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِثْمَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ  
وَأَوْلَادِكُمْ عَنْوَا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ » الآية . هذا حديث حسن صحيح .

الثانية — قال القاضي أبو بكر بن العربي : هذا بين وجه العداوة ؛ فإن العداوة  
لم يكن عداوة للذات وإنما كان عداوة بفعله . فإذا فعل الزوج والولد فعل العداوة كان عداوة ،  
ولا فعل أفع من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة . وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة  
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعْدَ لِابْنِ آدَمَ فِي طَرِيقِ الْإِيمَانِ قَالِ  
لَهُ أَتُؤْمِنُ وَتَقْرَأُ دِينَكَ وَدِينَ آبَاكَ نَخَالَفُهُ فَاثْمَ مَنْ قَعْدَ لَهُ عَلَى طَرِيقِ الْهَجْرَةِ فَقَالَ لَهُ أَتَهَابِرُ  
وَتَرْكُ مَالِكَ وَأَهْلِكَ نَخَالَفُهُ فَهَابِرُ مَنْ قَعْدَ لَهُ عَلَى طَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ لَهُ أَتَجَاهِدُ فَتَقْتُلُ نَفْسَكَ  
فَتَتَّكِبُ نَفْسًا ذَكَ وَتَقْسَمُ مَالَكَ نَخَالَفُهُ بِنَاهِدِ قَتِيلٍ لِحَقِّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ الْحَنَةُ » . وقعود الشيطان  
يكون بوجهين : أحدهما — يكون بالسوسة . والثاني — بأن يحمل على ما يريد من ذلك  
الزوج والولد والصاحب ؛ قال الله تعالى : « وَبَيْنَمَا نَحْنُ لَكُمْ قُرْبَاءَ فَرَيْنَا لَمْ يَأْتِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
وَمَا خَلْفَهُمْ » . وفي حكمة عيسى عليه السلام : من اتخذ أهلاً ومالاً وولداً كان الدنيا عبداً .  
وفي صحيح الحديث بيان أدنى من ذلك في حال العبد ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
« تَيْسُ عَبْدُ النَّيَّارِ تَيْسُ عَبْدُ الدَّرْهِمْ تَيْسُ عَبْدُ النَّخِيصَةِ تَيْسُ عَبْدُ الْقَطِيفَةِ تَيْسُ وَاتَّكَسَ »

(١) آية ٢٥ سورة فصلت . (٢) قوله : « تيس » حك . و « النخيصه » : كذا . أسود مرج  
له أحلام وخرطوط . و « القطيفة » : دثاره أهداب . و « واتكس » : عاوده المرض كما بدأ به . أو ارتحل على  
رأسه . و « عداؤه عليه بخفية » : و « عيك » : أماءة شوكه . و « فلا تنقش » أي فلا ترحب شوكه بالخفاش .

وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتِشَ . وَلَا دُمْلَةَ أَعْظَمَ مِنْ حَبَالَةِ الدِّينَارِ وَالْدِّرْهَمِ ، وَلَا هَمَّةَ أَحْسَنَ مِنْ هَمَّةٍ تَرْفَعُ بِشَوْبٍ جَدِيدٍ .

الثالثة - كما أن الرجل يكون له ولده وَزَوْجُهُ مَتَوًّا كَذَلِكَ الْمَرْأَةُ يَكُونُ لَهَا زَوْجُهَا وَوَلَدُهَا عَدُوًّا بِهَذَا الْمَنْحَى بَيْنَهُ . وَعَمُومُ قَوْلِهِ « مِنْ أَزْوَاجِكُمْ » يَدْخُلُ فِيهِ الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى لِدُخُولِهَا فِي كُلِّ آيَةٍ . وَآلَهُ أَطَمَ .

الرابعة - قوله تعالى : ( فَاحْذَرُوهُمْ ) مِمَّنْهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ . وَالْحَذَرُ عَلَى النَّفْسِ يَكُونُ بِوَجْهَيْنِ : إِمَّا لَضَرَرٍ فِي الْبَدَنِ ، وَإِمَّا لَضَرَرٍ فِي الدِّينِ . وَضَرَرُ الْبَدَنِ يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا ، وَضَرَرُ الدِّينِ يَتَعَلَّقُ بِالْآخِرَةِ . فَحَذَرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْعَبْدَ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْذَرَهُ بِهِ .

الخامسة - قوله تعالى : ( وَإِنْ تَقَمُّوا وَتَصَفَّقُوا وَيَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) رَوَى الطَّبْرِيُّ عَنْ عِكْرَمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ مَتَوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ يَرِيدُ أَنْ يَأْتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ أَعْلَهُ : أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَدْعَانِي ؟ قَالَ : فَإِنَّا أَسْلَمَ وَقَفَّهَ قَالَ : لَأَرْجِعَنَّ إِلَى الَّذِينَ كَانُوا يَنْهَوْنِي عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، فَلَأُفْلِتَنَّ وَلَأُفْلِتَنَّ ، قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ وَجِلٍ « وَإِنْ تَقَمُّوا وَتَصَفَّقُوا وَيَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . وَقَالَ عِجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ مَتَوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » قَالَ : مَا عَلَنُوهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكِنْ حَلَّتْهُمْ مَوَاقِفُهُمْ حَتَّى أَنْ أَخَذُوا لَهُمُ الْحَرَامَ فَأَعْلَوْهُ إِيَّاهُمْ . وَالْآيَةُ مُلِمَةٌ فِي كُلِّ مَعْصِيَةٍ يَرْكَبُهَا الْإِنْسَانُ بِسَبَبِ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ . وَخُصُوصُ السَّبَبِ لَا يَمْنَعُ عَمُومَ الْحُكْمِ .

قوله تعالى : إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى : ( إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ) أَيْ بَلَاءٌ وَابْتِحَارٌ يَمْلِكُكُمْ عَلَى كَسْبِ الْحَرَمِ وَمَنْعِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَا تَطْلُبُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ . وَفِي الْحَدِيثِ : « يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فَيَقَالُ أَكَلَّ عِيَالَهُ حَسَنًا . - وَمِنْ بَعْضِ السَّلَفِ : الْعِيَالُ سُوسُ الطَّاعَاتِ . وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ  
« فَنَّة » أَيْ إِغْرَامٌ ، يُقَالُ : فَنَّنَ الرَّجُلَ بِالْمَرَأَةِ أَيْ شَغَفَ بِهَا . وَقِيلَ « فَنَّة » مِثْنَةٌ . وَمِنْهُ  
قَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَقَدْ فَنَّنَ النَّاسَ فِي دِينِهِمْ • وَخَلَّى أَبْنَ عَفَّانَ شَرًّا طَوِيلًا

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : لَا يَقُولُونَ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ أَصْنِنِي مِنَ الْفَنَّةِ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَرْجِعُ إِلَى  
مَالٍ وَأَهْلٍ وَوَلَدٍ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فَنَّةٍ ؛ وَلَكِنْ لِيَقُلَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُضِلَّاتِ  
الْفَنَنِ . وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ » : أَدْخَلَ « مِنْ » لِلتَّبْيِضِ ؛ لِأَنَّ  
كُلَّهُمْ لَيْسُوا بِأَمْثَلِهِ . وَلَمْ يَذْكُرْ « مِنْ » فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَنَّةٌ » لِأَنَّهُمَا  
لَا يَخْلَوَانِ مِنَ الْفَنَّةِ وَاشْتِغَالِ الْقَلْبِ بِهِمَا . رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ  
قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَاطَبُ بِغَاءِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ - طَعِمَا السَّلَامِ - وَطَعِمَا  
أَبِيصَانَ أَحْمَرَانَ ، يَمْشِيَانِ وَيَسْتَرَانِ ؛ فَتَرَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْمِلُهُمَا وَوَضَعُهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ،  
ثُمَّ قَالَ : « صَدَقَ اللَّهُ عَنْ وَجَلٍ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَنَّةٌ . نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيِّينِ  
يَمْشِيَانِ وَيَسْتَرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا » ثُمَّ أَخَذَ فِي خُطْبَتِهِ . ( وَآلَهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ  
عَظِيمٌ ) يَعْنِي الْجَنَّةَ ؛ فَهِيَ الْغَايَةُ ، وَلَا أَجْرَ أَكْثَرُ مِنْهَا فِي قَوْلِ الْمُفَسِّرِينَ . وَفِي الصَّحِيحِينَ -  
وَالْقَلْبُ لِلْبَخَارِيِّ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ  
أَنَّ يَمْوُلَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَأْهَلُ الْجَنَّةِ يَقُولُونَ لَيْسَكَ رَبَّنَا وَسَعْدُكَ يَقُولُ هَلْ رَضِينَا يَقُولُونَ  
وَالنَّارُ لِأَرْضِي وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نَحْتِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ يَقُولُ أَلَا أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا  
يَا رَبِّ وَآئِيَ شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَقُولُ أَحِلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا إِحْطَ عَلَيْكُمْ بِهِ أَبَدًا » .  
وَقَدْ تَقَدَّمَ . وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الرِّضَا غَايَةُ الْأَمَالِ . وَأَتَشَدُّ الصَّوْفِيَّةُ فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ :

امْتَحَنَ اللَّهُ بِهِ خَلْقَهُ • فَالنَّارُ وَالْجَنَّةُ فِي قَبْضَتِهِ

فَهَجَرَهُ أَكْثَرُ مَنْ نَارِهِ • وَوَصَّلَهُ أَكْثَرُ مَنْ جَنَّتِهِ

قوله تعالى : فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَطِيعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنِفُوا  
خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٧﴾ إِنْ  
تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ  
حَلِيمٌ ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ( فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَطِيعُوا وَأَطِيعُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ )  
فيه خمس مسائل :

الأولى — ذهب جماعة من أهل التأويل إلى أن هذه الآية ناصحة لقوله تعالى : وَأَتَقُوا  
اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴿١٧﴾ منهم قتادة والربيع بن أنس والسدي وابن زيد . ذكر الطبري : وحديث  
يونس بن عبد الأمل قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ » قال : جاء أمر شديد ، قالوا : ومن يعرف قدر هذا أو يبلغه ؟  
فلما عرف الله أنه قد اشتد ذلك عليهم نسخها عنهم وجاء بهذه الآية الأخرى فقال : « فَأَتَقُوا  
اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » . وقيل : هي حكمة لانسح فيها . وقال ابن عباس قوله تعالى « اتَّقُوا  
اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ » : إنما لم تنسخ ، ولكن حق تقاته أن يجاهد الله حق جهاده ، ولا يأخذهم  
في الله لومة لائم ، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم . وقد تقدم .

الثانية — فإن قيل : فإذا كانت هذه الآية بحكمة غير منسوخة فما وجه قوله في سورة  
التناين : « فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » وكيف يجوز اجتماع الأمر بأحق الله حق تقاته ،  
والأمر بأحقه ما استطعنا . والأمر بأحقه حق تقاته لإيجاب القرآن بغير خصوص ولا وصل  
بشرط ، والأمر بأحقه ما استطعنا أمر بأحقه موصولا بشرط . قيل له : قوله « فَأَتَقُوا اللَّهَ  
مَا اسْتَطَعْتُمْ » بمنزلة ما دل عليه قوله تعالى « اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ » وإنما حذو قوله :  
« فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » فاتقوا الله أي الناس وراقبوه فيما جُهل فتنة لكم من أموالكم

وأولادكم أن تطلبكم فتقتلهم ، وتصدكم عن الواجب في طيكم من الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام ، فتركوا الهجرة ما استطعتم ، بمعنى وأتم للهجرة مستطيعين . وذلك أن الله جل ثناؤه قد كان مقرر من لم يقدر على الهجرة بتركها بقوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ » - إلى قوله - فَأُولَئِكَ مَتَى اللَّهُ أَنْ يَفُوتَهُمْ » . فأخبر أنه قد حذا عن لا يستطيع جيلة ولا يتعدى سبيلا بالإقامة في دار الشرك ، فكذلك معنى قوله : « فَأَتَوْهُ مَا اكْتَسَبَتْ » في الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام أن تركوها بختة أموالكم وأولادكم . وما يدل على صحة هذا أن قوله : « فَأَتَوْهُ مَا اكْتَسَبَتْ » عقيب قوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ مِّثْلُكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ » .

ولاختلاف بين السلف من أهل العلم بتأويل القرآن أن هذه الآيات نزلت بسبب قوم كانوا فأنحروا عن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام بتعطيل أولادهم وإيهاهم عن ذلك ، حسب ما فهم . وهذا كله اختيار الطبري . وقيل : « فَأَتَوْهُ مَا اكْتَسَبَتْ » فيما تطوع به من نافلة أو صدقة ، فإنه لما نزل قوله تعالى : « أَتَوْهُ مَا حَقَّ قُتَابِهِ » أشد على القوم فقاموا حتى ودمت عراقهم وفتحت جباههم ، فأزل الله تعالى تخفيفا عنهم « فَأَتَوْهُ مَا اكْتَسَبَتْ » فانسخت الأولى ، قال ابن جرير . قال الماوردي : ويحتمل إن لم ينه هذا النقل أن المكروه على المعصية غير مؤاخذ بها ، لأنه لا يستطيع أتمامها .

الثالثة - : قوله تعالى : « وَأَسْمُوا وَأَطِيعُوا » أي اسمعوا ما توعظون به وأطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه . وقال مقاتل : « اسمعوا » أي أصغوا إلى ما يقبل عليكم من كتاب الله ، وهو الأصل في السماع . « وأطيعوا » لرسوله فيما أمركم أو نهاكم . وقال قتادة : طيعوا بوجع النهي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة . وقيل : « واسمعوا » أي قبلوا ما تسمعون ، وعبر عنه بالسماع لأنه فائده .

قلت : وقد تغفل في هذه الآية الججاج حين تلاها وقصرها على عبد الملك بن مروان فقال :  
« فَأَتُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمِعُوا وَأَطِيعُوا » هي لبس الملك بن مروان أمين الله وخليفته ،  
ليس فيها مثنوية ، والله لو أمرت رجلا أن يخرج من باب المسجد فخرج من غيره لحلّ ليدمه .  
وكذب في تأويلها ! بل هي للنجي صلى الله عليه وسلم أولاً ثم لأولى الأمر من بعده . دليله  
« أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ »<sup>(١)</sup> .

الرابعة — قوله تعالى : ( وَأَتَّقُوا ) قيل : هو الزكاة ؛ قاله ابن عباس . وقيل : هو  
الشفقة في النفل . وقال الضحاك : هو الشفقة في الجهاد . وقال الحسن : هو شفقة الرجل  
لنفسه . قال ابن العربي : وإنما أوقع قائل هذا قوله : « لِأَنْفُسِكُمْ » وخفي عليه أن شفقة  
النفل والقرض والصدقة هي شفقة الرجل على نفسه ؛ قال الله تعالى : « إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ  
لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا »<sup>(٢)</sup> . وكل ما يفعله الرجل من خير فإثم هو لنفسه . والصحيح أنها  
مأمة . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له رجل : عندي دينار ؟ قال : « أنفقه على  
نفسك » قال : عندي آخر ؟ قال : « أنفقه على عيالك » قال : عندي آخر ؟ قال : « أنفق  
على ولدك » قال : عندي آخر ؟ قال : « تصدّق به » فبدأ بالنفس والأهل والولد وجعل  
الصدقة بعد ذلك . وهو الأصل في الشرع .

الخامسة — قوله تعالى : ( خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ) « خيرا » نصب بفعل مضمّر عند سبويه ؛  
دلّ عليه « وَأَتَّقُوا » . كأنه قال : اتقوا في الإففاق خيرا لأنفسكم ، أو قدموا خيرا لأنفسكم من  
أموالكم . وهو عند الكسائي والقرطبي نعت لمصدر عنوف ؛ أي أنفقوا إغناقا خيرا لأنفسكم . وهو  
عند أبي عبيدة خبر كان مضمرة ؛ أي يكن خيرا لكم . ومن جعل الخير المال فهو منصوب  
بها تنقوا » .

قوله تعالى : ( وَمَنْ يُوقِخْ نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) تقدم الكلام فيه . وكذا  
( إِنْ تَقَرُّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ ) تقدم الكلام فيه أيضا في « البقرة » وسورة

(١) آية ٥٩ سورة النساء . (٢) سورة الإمراء . (٣) رابع من ٢٩ من هذا الجزء .

(٤) رابع من ٣٧ من ١٧ من ٢٤٢

« الحديد » . ( وَيَقُولُ لَكُمْ وَاللَّهِ شُكْرٌ جَلِيمٌ ) تقدم معنى الشكر في « البقرة » . والحليم : الذي لا يسجل .

قوله تعالى : عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ( عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ) أى ما غاب وحضر . وهو ( الْعَزِيزُ ) أى الغالب القاهر . فهو من صفات الأنفال ؛ ومنه قوله عز وجل : « تَزِيلُ الْكَافِبِينَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ » . أى من الله القاهر المحكم خالق الأشياء . وقال الخطابي : وقد يكون بمعنى نفاسة القدر ؛ يقال منه : عزَّ يَمْرُؤٌ ( بكسر الهمزة ) فيتناول معنى العزيز على هذا أنه لا يعادله شيء وأنه لا مثل له . والله أعلم . ( الْحَكِيمُ ) فى تدبير خلقه . وقال ابن الأنبارى : « الحكيم » هو المحكم لخلق الأشياء ؛ صرف عن مُفْعَلٍ إلى فَعِيلٍ ؛ ومنه قوله عز وجل : « أَرْسَلْنَاكَ آيَاتٍ الْكَاتِبِ الْحَكِيمِ » معناه المحكم ؛ فَصْرَفَ عَنْ مُفْعَلٍ إِلَى فَعِيلٍ . والله أعلم .

### سورة الطلاق

مدنية فى قول الجميع . وهى إحدى عشرة آية ، أو اثنا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ  
وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ  
فَإِلْحَاشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ  
لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

(١) راجع ج ١ ص ٣٩٧ طبة ثانية أو ثالثة . (٢) أول سورة الزمر . راجع ج ١٥ ص ٢٢٢

(٣) أول سورة يونس . راجع ج ٨ ص ٣٠٥

فيه أربع عشرة مسألة :

الأولى - قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ ) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ،  
خو طلب بلفظ الجماعة تعظيماً وضخماً . وفي سنن ابن ماجه عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس  
عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة رضي الله عنها ثم راجعها .  
وروى قتادة عن أنس قال : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة رضي الله عنها  
فأتت أهلها ؛ فأتل الله تعالى عليه « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِمَعْسَنَ » . وقيل  
له : راجعها فلأنها قوامه صوامه ، وهي من أزواجك في الجنة . ذكره الماوردي والقشيري  
والشملي . زاد القشيري : وتزل في خروجها إلى أهلها قوله تعالى : « لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ  
بُيُوتِهِنَّ » . وقال الكلبي : سبب نزول هذه الآية غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على  
حفصة ؛ لما أسر إليها حديثاً فأظهرته لعائشة فطلقتها طليقة ؛ فزلت الآية . وقال السدي :  
زلت في عبد الله بن عمر ؛ طلق امرأته حائضاً طليقة واحدة فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ومسلم بأن يراجعها ثم يسكها حتى تطهر وتحيض ثم تطهر ، فإذا أراد أن يطلقها فليطلقها  
حين تطهر من قبل أن يراجعها . تلك السنة التي أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء .  
وقد قيل : إن رجلاً فعلوا مثل ما فعل عبد الله بن عمر ؛ منهم عبد الله بن عمرو بن العاص ،  
وعمر بن سعيد بن العاص ، وعجبة بن غزوان ؛ فزلت الآية فيهم . قال ابن العربي : وهذا  
كله وإن لم يكن جميعاً فالقول الأول أمثل . والأصح فيه أنه بيان لشرع مبتدأ . وقد قيل :  
إنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته . وغايته القفظين من حاضر وعائب وذلك  
لأنه نصيحة ؛ كما قال : « حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِجَمْرِ طَيْفٍ » . تقديره : يا أيها  
النبي قل لم إذا طلقتم النساء فطلقوهن لمعسنة . وهذا هو قولهم : إن الخطاب له وحده  
والمنى له ولزومين . وإذا أراد الله بالخطاب المؤمنين لاطفه بقوله : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ » .  
فإذا كان الخطاب باللفظ والمنى جميعاً له قال : « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ » .

قلت : ويدل على صحة هذا القول نزول العدة في أسماء بنت زيد بن السكن الأنصارية .  
في كتاب أبي داود عنها أنها طُفقت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن للطفة مدة ،  
فأنزل الله تعالى حين طُفقت أسماء بالعدة للطلاق ، فكانت أول من أنزل فيها العدة للطلاق .  
وقيل : المراد به نداء النبي صلى الله عليه وسلم تعظيماً ، ثم ابتداء فقال : « إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ؛  
كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا انْتَهَرُوا الْمَيْسِرَ وَالْأَنْصَابَ وَالْأَزْلَامَ » <sup>(١)</sup> الآية . فذكر  
للمؤمنين على معنى تقديمهم وتكريمهم ؛ ثم أُنصح فقال : « إِنَّمَا انْتَهَرُوا الْمَيْسِرَ وَالْأَنْصَابَ وَالْأَزْلَامَ »  
الآية .

الثانية - روى الترمذي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« إِنْ مِنْ أَهْضِ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الطَّلَاقُ » . وعن علي بن أبي حمزة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« تَزَوَّجُوا وَلَا تَطْلُقُوا فَإِنَّ الطَّلَاقَ يَهْتَرُ مِنْهُ الْعَرْشُ » . وعن أبي موسى قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « لَا تَطْلُقُوا النِّسَاءَ إِلَّا مِنْ رِبَاةٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَحِبُّ الْفَوَاقِصَ  
وَلَا الْفَوَاقَاتِ » . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا حَلَفَ بِالطَّلَاقِ  
وَلَا اسْتَحْلَفَ بِهِ إِلَّا مَتَّقٍ » . أسند جميعه الترمذي رحمه الله في كتابه . وروى الدارقطني قال :  
حدثنا أبو العباس محمد بن موسى بن علي الشولابي ويقوب بن إبراهيم قال حدثنا الحسن بن  
عرفة قال حدثنا إسماعيل بن عياش عن حميد بن مالك الحمصي عن مكحول عن معاذ بن جبل  
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا مَعَاذَ مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ  
أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْبِتَاقِ وَلَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا [ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ] أَهْضَ مِنَ الطَّلَاقِ » . فإذا  
قال الرجل لمملوكه أنت حر إن شاء الله فهو حر ولا استثناء له . وإذا قال الرجل لأمرأته  
أنت طالق [ إن شاء الله ] فله استنائه ولا طلاق عليه . حدثنا محمد بن موسى بن علي قال  
حدثنا حميد بن الربيع قال حدثنا يزيد بن هارون حدثنا إسماعيل بن عياش بإسناد نحوه .  
قال حميد : قال لي يزيد بن هارون : وأي حديث لو كان حميد بن مالك معروفا ؟ قلت :

هو جَدِّي . قال يزيد : مَرَرْتَنِي مَرَرْتَنِي ! الآن صار حديثًا . حَدَّثَنَا حُثَيْنُ بْنُ أَحَدِ الدَّقَاقِ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُوَيْنٍ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَالِدٍ حَدَّثَنَا حَمِيدُ بْنُ مَالِكٍ الْقُشَيْرِيُّ حَدَّثَنَا مَكْحُولٌ عَنْ مَالِكِ بْنِ يَحْيَى عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَحَلَّ اللَّهُ شَيْئًا أَهْنَأُ إِلَيْهِ مِنَ الطَّلَاقِ فَمَنْ طَلَّقَ وَاسْتَقْبَلَ فَلَهُ ثِيَابٌ » . قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ : اختلفوا في الاستثناء في الطلاق والعتق ؛ فقالت طائفة : ذلك جائز . وروينا هذا القول عن طاووس . وبه قال حماد الكوفي والشافعي وأبو ثور وأصحاب الرأي . ولا يجوز الاستثناء في الطلاق في قول مالك والأوزاعي . وهذا قول فتاة في الطلاق خاصة . قال ابن المنذر : وبالقول الأول أقول .

الثالثة — روى التارقطني من حديث عبد الرزاق أخبرني حمى وهب بن نافع قال : سمعت عكرمة يحدّث عن ابن عباس يقول : الطلاق على أربعة وجوه : وجهان حلالان ووجهان حرامان ؛ فأما الحلالان فإن يطلقها طاهرا عن غير جماع وإن يطلقها حاملا مُسْتَبَيِّنًا حَمْلَهَا . وأما الحرامان فإن يطلقها وهي حائض ، أو يطلقها حين يحامعها ، لا تدرى اشتمل الترحيم على وليد أم لا .

الرابعة — قوله تعالى : ﴿ فَطَلَّقُوهُنَّ لِمَتَّيْنِ ﴾ في كتاب أبي داود عن أسماء بنت يزيد ابن السكن الأنصارية أنها طُلقَت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للطلقة عتة ، فأنزل الله سبحانه حين طُلقَت أسماء بالسنة للطلاق ؛ فكانت أول من أنزل فيها السنة للطلاق . وقد تقدّم .

الخامسة — قوله تعالى : ﴿ لِمَتَّيْنِ ﴾ يقتضي أنهن اللاتي دخلن بهن من الأزواج ؛ لأن غير المدخول بهن نرجن بقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَكَهَّمُ الْمُؤْمَنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمْسُوهُنَّ فَلَائِكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِتَّةٍ تَتَّقُونَهَا » .

السادسة — من طلق في طهر لم يحامع فيه فقد طلاقه وأصاب السنة . وإن طلقها حائضا فقد طلاقه وأخطأ السنة . وقال سعيد بن المسيّب في آخرين لا يقع الطلاق في الحيض

(١) آية ٤٩ سورة الأحزاب . (٢) في بعض الأصول : « في أخرى » وكلاهما غير واضحة .

لأنه خلاف السنة . وإليه ذهب الشيعة . وفي الصحيحين - واللفظ للدارقطني - عن عبد الله بن عمر قال : طلقت امرأتى وهي حائض ، فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فنظف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فقال : «ليراجعها ثم يمسكها حتى تحيض حيضة مستقبلة سوى حيضتها التي طلقها فيها فإن بدا له أن يطلقها فليطعها طاهراً من حيضتها قبل أن يمسها فذلك الطلاق للمنة كما أمر الله» . وكان عبد الله بن عمر يطلقها تطليقة ، فمسبت من طلاقها وراجعها عبد الله بن عمر كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم . في رواية عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «هي واحدة» . وهذا نص . وهو يرد على الشيعة قولهم

السابعة - عن عبد الله بن مسعود قال : طلاق السنة أن يطلقها في كل طهر تطليقة ؛ فإذا كان آخر ذلك تلك المنة التي أمر الله تعالى بها . رواه الدارقطني عن الأعشى عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله . قال مملوؤنا : طلاق السنة ما جمع شروطاً سبعة : وهو أن يطلقها واحدة ، وهي من حيض ، طاهراً ، لم يمسها في ذلك الطهر ، ولا تقدمه طلاق في حيض ، ولا تبعه طلاق في طهر يسليه ، وخلا عن العوض . وهذه الشروط السبعة من حديث ابن عمر المتقدم . وقال الشافعي : طلاق السنة أن يطلقها في كل طهر خاصة ، ولو طلقها ثلاثاً في طهر لم يكن بدعة . وقال أبو حنيفة : طلاق السنة أن يطلقها في كل طهر طقة . وقال الشعبي : يجوز أن يطلقها في طهر جامعها فيه . فمملوؤنا قالوا : يطلقها واحدة في طهر لم يمس فيه ، ولا تبعه طلاق في علة ، ولا يكون الطهر تالياً لحيض وقع فيه الطلاق ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : «مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم يحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك وإن شاء طلق» . تلك المنة التي أمر الله أن يطلق لها النساء . وتتأق الإمام الشافعي بظاهر قوله تعالى : «فَطَلَّقُوهُنَّ لِحَيْثُ» . وهذا عام في كل طلاق كان واحدة أو اثنتين أو أكثر . وإنما راعى الله سبحانه الزمان في هذه الآية ولم يعتبر المند . وكذلك حديث ابن عمر لأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه الوقت لا المند . قال ابن العربي : «وهذه غفلة عن الحديث

الصحيح؛ فإنه قال: «مرءة فليراجعها» وهذا يدفع الثلاث. وفي الحديث أنه قال: أرأيت لو طلقها ثلاثاً؟ قال حُرْتُ عليك وبانت منك بمعية. وقال أبو حنيفة: ظاهر الآية يدل على أن الطلاق الثلاث والواحدة سواء. وهو منعب الشافعي لولا قوله بعد ذلك: «لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً». وهذا يطل دخول الثلاث تحت الآية. وكذلك قال أكثر العلماء؛ وهو بدع لم. وأما مالك فلم يخف عليه إطلاق الآية كما قالوا، ولكن الحديث فسرها كما قلنا. وأما قول الشعبي: إنه يجوز طلاق في طهر جامعها فيه، فبرده حديث ابن عمر بنصبه ومناه. إنما نصّه فقد قدمناه، وإنما مناه فلاحه إذا منع من طلاق الحائض لعدم الاعتداد به، فالطهر المجامع فيه أولى بالمنع؛ لأنه يسقط الاعتداد به بخافة شغل الزيم وبالحيض التالى له.

قلت: وقد احتج الشافعي في طلاق الثلاث بكلمة واحدة بما رواه الثارقي عن سلمة ابن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته ثم خسر بنت الأصبح الكلبية وهي أم أبي سلمة ثلاث تطليقات في كلمة واحدة؛ فلم يبلغنا أن أحدا من أصحابه عاب ذلك. قال: وحدّثنا سلمة بن أبي سلمة عن أبيه أن حفص بن المغيرة طلق امرأته فاطمة بنت قيس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث تطليقات في كلمة؛ فأبناها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم عاب ذلك عليه. واحتج أيضاً بحديث عويمر العبليّ لما لاحن قال: يا رسول الله، هي طالق ثلاثاً. فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم. وقد انفصل علماؤنا عن هذا أحسن انفصال. بيانه في غير هذا الموضع. وقد ذكرناه في كتاب (المقتبس من شرح مؤطاً مالك بن أنس). وعن سعيد بن المسيّب وجماعة من التابعين أن من خالف السنة في الطلاق فأوقعه في حيز أو ثلاث لم يقع؛ وشبهوه بمن وكل بطلاق السنة يخالف.

الثامنة — قال الجرجاني: اللام في قوله تعالى «لِعَتَّتَيْن» بمعنى في؛ كقوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ».

أى فى أول الحشر . فقوله : « لِمَعْتِنَ » أى فى معتنين ؛ أى فى الزمان الذى يصلح لمعتنين . وحصل الإجماع على أن الطلاق فى الحيض ممنوع وفى الطهر مأذون فيه . ففيه دليل على أن القُرء هو الطهر . وقد مضى القول فيه فى « البقرة » . فإن قيل : معنى « فطلقوهن لِمَعْتِنَ » أى فى قُبُلِ معتنين ، أو قُبُلِ عَتْنَيْنِ . وهى قراءة النبی صلى الله عليه وسلم ؛ كما قال ابن عمر فى صحيح مسلم وضمه . فَقُبُلِ الْعِتَّةِ أَنْزَلُ الطُّهْرِ حَتَّى يَكُونَ الْقُرءُ الْحَيْضَ ، قيل له : هذا هو الدليل الواضح لما لك ومن قال بقوله ؛ على أن الأقرء هى الأظهار . ولو كان كما قال الحنفى ومن تبعه لوجب أن يقال : إن من طلق فى أول الطهر لا يكون مطلقاً لقُبُلِ الحيض ؛ لأن الحيض لم يُقْبَلِ بعد . وأيضاً إقبال الحيض يكون بدخول الحيض ، وبانقضاء الطهر لا يتحقق إقبال الحيض . ولو كان إقبال الشيء إدبار ضلته لكان الصائم مفطراً قبل مغيب الشمس ؛ إذ الليل يكون مقيلاً فى إدبار النهار قبل انقضاء النهار . ثم إذا طلق فى آخر الطهر فبقية الطهر قُرء ، ولأن بعض القُرء يسمى قُرءاً لقوله تعالى : « الْحَيْضُ أَشْهُرٌ مُّكْمَلَاتٌ » يبنى شَوَّالاً وَذَا الْقَعْدَةِ وَبعض ذى الحجة ؛ لقوله تعالى : « قَبْلَ تَحْجَلٍ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِتِمَّ عَلَيْهِ » وهو يتغير فى بعض اليوم الثانى . وقد مضى هذا كله فى « البقرة » مستوفى .

التاسعة - قوله تعالى : ( وَأَحْصُوا الْعِتَّةَ ) يبنى فى المدخول بها ؛ لأن خبر المدخول بها لاصدة عليها ، وله أن يراجعها فيما دون الثلاث قبل انقضاء العتة ، ويكون بعدها كأحد الخطأب . ولا تحمل له فى الثلاث إلا بعد زوج .

العاشرة - قوله تعالى : ( وَأَحْصُوا الْعِتَّةَ ) معناه احفظوها ؛ أى احفظوا الوقت الذى وقع فيه الطلاق ، حتى إذا انفصل المشروط منه وهو الثلاثة فزوه فى قوله تعالى : « وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَلْفَيْهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ » حلت للزواج . وهذا يدل على أن العتة هى الإظهار وليست بالحيض . ويؤكدوه ويضمره قراءة النبی صلى الله عليه وسلم « قُبُلِ عَتْنَيْنِ » وقُبُلِ الشيء بعضه لئنه وحقيقة ، بخلاف استقباله فإنه يكون غيره .

(١) راجع ج ٣ ص ١١٢ (٢) أى فى إماله وأزله حين يكتم المدخول والعتة والشرع بها تكون لما عصى به ، وذلك فى سائر الطهر . (٣) فى بعض نسخ الأصل : « الطهر » . (٤) راجع ج ٣ ص ١٦٥ (٥) سورة البقرة .

الحادية عشرة — من المخاطب بأمر الإحصاء ؟ وفيه ثلاثة أقوال : أحدها — أنهم الأزواج . الثاني — أنهم الزوجات . الثالث — أنهم المسلمون . ابن العربي : « والصحيح أن المخاطب بهذا اللفظ الأزواج ، لأن الضائر كلها من « طَلَّقْتُمْ » و « أَحْصُوا » و « لَا تُخْرِجُوهُمْ » مل نظام واحد يرجع إلى الأزواج ، ولكن الزوجات داخلة فيه بالإلحاق بالزوج ، لأن الزوج يُخصى ليراجع ، ويُنفق أو يقطع ، ويُسكن أو يُخرج ، ويُحقق قسبة أو يقطع . وهذه كلها أمور مشتركة بينه وبين المرأة ، وتتفرد المرأة دونها بشيء ذلك . وكذلك الحاكم يفتر إلى الإحصاء للعدة للفتوى عليها ، وفصل الخصومة عند المنازعة فيها . وهذه فوائد الإحصاء المأمور به » .

الثانية عشرة — قوله تعالى : ( وَأَتَقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ) أى لا تصوموه . ( لَا تُخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِهِمْ ) أى ليس للزوج أن يخرجها من مسكن النكاح ما دامت في العدة ، ولا يجوز لها الخروج أيضا لحق الزوج بالضرورة ظاهرة ، فإن خرجت أئمت ولا تنقطع العدة . والرجعية والمبتوتة في هذا سواء . وهذا لصيانة ماء الرجل . وهذا معنى إضافة البيوت إليهم ؛ كقوله تعالى : « وَأَذْكُرْ مَا بَسَلْ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ » ، وقوله تعالى : « وَفَرَّقَ فِي بُيُوتِكُنَّ » فهو إضافة إسكان وليس إضافة تملك . وقوله : « لَا تُخْرِجُوهُمْ » يقتضى أن يكون حقا مل الأزواج . ويقتضى قوله : « وَلَا يُخْرِجَنَّ » أنه حق مل الزوجات . وفي صحيح الحديث عن جابر بن عبد الله قال : طَلَّقْتُ خَالَتِي فَأَرَادَتْ أَنْ تَجِدَ نَحْلَهَا فَوَجَّهَهَا رَجُلٌ أَنْ تَخْرُجَ ، فَأَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : « عَلَى بَهْدِي نَحْلُكَ فَأَتَيْتُكَ صَبِيحًا تَصَلُّتُ أَوْ تَفْعَلُ مَعْرُوفًا » . أخرجه مسلم . ففى هذا الحديث دليل لما لك وللشافعي وابن حنبل والليث على قولهم : إن المعتقة تخرج بالتهار في حوائجها ، وإنما تنزل مرتها بالليل . وسواء عند مالك كانت رجعية أو بائة . وقال الشافعي في الرجعية : لا تخرج ليلا ولا نهارا ، وإنما تخرج نهارا المبتوتة . وقال أبو حنيفة : ذلك في المتوق عنها زوجها ، وأما المطلقة .

(١) آية ٣٤ سورة الأحزاب . (٢) الجداد (فتح الجيم وكسر طاء) : صرام النخل ، وهو نضج ثمرها .

فلا تخرج لا ليلا ولا نهارا . والحديث يرد عليه . وفي الصحيحين أن أبا حصن بن عمرو خرج مع علي بن أبي طالب إلى اليمن ، فأرسل إلى أمراءه فاطمة بنت قيس بتطبيقه كانت بقيت من طلاقها ، وأمر لها الحارث بن هشام وعياش بن أبي ربيعة بنفقة ، فقالا لها : والله مالك من نفقة إلا أن تكوني حاملا . فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له قولها . فقال : « لا نفقة لك » ، فاستأذنته في الانتقال فآذِن لها ، فقالت : أين يارسول الله ؟ فقال : « إلى أين أُمُّ مَكْتُوم » ، وكان أمي تضع ثيابها عنده ولا يراها . فلما مضت علتها أنكحها النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد . فأرسل إليها مروان قبيصة بن ذؤيب يسألها عن الحديث ، لحقته . فقال مروان : لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة ، ستأخذ بالصيغة التي وجدت الناس عليها . فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان : فينبى وبينكم القرآن ، قال الله عز وجل : « لا تخرجنوهن من بيوتهن » الآية ، قالت : هذا لمن كانت له رجة ، فأى أمر يتحدث بعد الثلاث ؟ فكيف تقولون : لا نفقة لها إذا لم تكن حاملا ، فعلام مبهسونها ؟ فقط مسلم ، فيمن أن الآية في تحريم الإخراج والخروج إنما هو في الرجعية . وكذلك استملت فاطمة بأن الآية التي عليها إنما تضمنت النهي عن خروج المطلقة الرجعية ، لأنها بعدد أن يحدث لمطلقها رأى في أرجعها ما دامت في عتقها ، فكانت تحت تصرف الزوج في كل وقت . وأما البائن فليس له شيء من ذلك ، فيجوز لها أن تخرج إذا دعيتها إلى ذلك حاجة ، أو خافت عورة مترها ، كما أباح لها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك . وفي مسلم - قالت فاطمة : يارسول الله ، زوّجى طلقى ثلاثا وأخاف أن يتحجم عليّ . قال : فأمرها فتزوجت . وفي البخاري عن عائشة أنها كانت في مكان وحش يخيف كل ناصيتها ، فلذلك أُرخص النبي صلى الله عليه وسلم لها . وهذا كله يرد على الكوفي قوله . وفي حديث فاطمة : أن زوجها أرسل إليها بتطبيقه كانت بقيت من طلاقها ، فهو حجة لما لك وسجة على الشافعي . وهو أصح من حديث سلمة بن أبي سلمة عن أبيه أن حصن بن المنيرة طلق امرأته ثلاث تطليقات في كلمة ، على ما تقدم .

(١) ويقال فيه : « أبو عمرو بن حصن » . راجع كتاب الامامة ج ٧ ص ٤٤ ، ١٣٦ (طبع الشريف) .

الثالثة عشرة — قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ فَاِحْشَةً مُبَيَّنَةً﴾ قال ابن عباس وابن عمر والحسن والشعبي ومجاهد: هو الزنى؛ فتخرج ويقام عليها الحد. وعن ابن عباس أيضا والشافعي أنه البذاء على أحماتها؛ فيحل لم إخراجها. وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال في فاطمة: تلك امرأة استطالت على أحماتها بلسانها فأمرها عليه السلام أن تقتل. وفي كتاب أبي داود قال سعيد: تلك امرأة قتلت الناس، إنها كانت لبسة فوضعت على يدي ابن أم مكتوم الأعمى. قال عكرمة: في مصحف أبي: «إِلَّا أَنْ يَفْهَشَنَّ عَلَيْكُمْ». ويقوى هذا أن محمد بن إبراهيم بن الحارث روى أن عائشة قالت لفاطمة بنت قيس: أتني الله فإني أكذبك تسليمن لم أخرجت؟ وعن ابن عباس أيضا: الفاحشة كل معصية كالزنى والعرقه والبذاء على الأهل. وهو اختيار الطبري. وعن ابن عمر أيضا والسدي: الفاحشة نروجها من بيتها في العدة. وتقدير الآية: إلا أن يأتي فاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن بغير حق؛ أي لو أخرجت كانت ماضية. وقال قتادة: الفاحشة الفشوز، وذلك أن يطلقها على الفشوز فتحول عن بيتها. قال ابن العربي: أما من قال إنه الخروج للزنى؛ فلا وجه له؛ لأن ذلك الخروج هو نروج القتل والإدام، وليس ذلك بمسئتي في حلال ولا حرام. وأما من قال: إنه البذاء، فهو مفسر في حديث فاطمة بنت قيس. وأما من قال: إنه كل معصية؛ فوهم لأن النبية ونحوها من الماصي لا يبيح الإخراج ولا الخروج. وأما من قال: إنه الخروج بغير حق؛ فهو صحيح. وتقدير الكلام: لا تخرجوهن من بيوتهن ولا تخرجن شرما إلا أن يخرجن بعدا.

الرابعة عشرة — قوله تعالى: ﴿وَيَذَلِكُ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي هذه الأحكام التي بينها أحكام الله على العباد، وقد منع التجاوز عنها، فمن تجاوز فقد ظلم نفسه وأوردها مورد الملاك. ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ الأمر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه من بنضها إلى محبتها، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها، ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه؛ فإرجاعها. وقال جميع المفسرين: أراد بالأمر هنا الرغبة في الرجعة. ومعنى القسول: التعريض على

(١) قوله «قتلت الناس» يريد أنها قتلت الناس بذكرها حديثها أن النبي عليه السلام أمرها أن تقتل من يتخطاها على وجهه يوقع الناس في الخطأ. وقوله «لبسة» بكسر اللين: أي كانت تأخذ الناس وتجرهم بلسانها. وقوله «وضعت» أي أخرجت من بيت زوجها وطلعت كالودعة عنه ابن أم مكتوم.

طلاق الواحدة والنهي عن الثلاث ؛ فإنه إذا طلق ثلاثاً أضر بنفسه عند الندم على التفريق والرغبة في الاجتماع ، فلا يجد عند الرجعة سيلاً . وقال مقاتل : « بعد ذلك » أى بعد طلاقة أو طلقتين « أمراً » أى المراجعة من غير خلاف .

قوله تعالى : **فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُونَ فَأَمْسِكُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُؤَخَّرُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝**

قوله تعالى : **(فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُونَ)** أى فاربين انقضاء العدة ؛ كقوله تعالى : « وَإِذَا طَلَّقَ الْمَرْءُ نِسَاءً فَلْيَبْلُغْ أَجَلَهنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ<sup>(١)</sup> » أى قربن من انقضاء الأجل . **(فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ)** ببنى المراجعة بالمعروف ؛ أى بالرغبة من غير قصد المضارة في الرجعة تطويلاً لعلتها . كما تقدم في « البقرة » . **(أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ)** أى اتركوهن حتى تنقضى عتتهن فيمكن أنفسهن . ولقوله تعالى : « **فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُونَ** » ما يوجب أن يكون القول قول المرأة في انقضاء العدة لما أكدت ذلك ؛ من ما ينه في سورة « البقرة » عند قوله تعالى : « **وَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَحْبِسَ مَا حَقَّ لَهَا فِي أَرْحَامِهِنَّ** » الآية<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : **(وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ)** فيه ست مسائل :

الأولى — قوله تعالى : **(وَأَشْهِدُوا)** أمر بالإشهاد على الطلاق . وقيل : على الرجعة . والظاهر رجوعه إلى الرجعة لا إلى الطلاق . فإن راجع من غير إشهاد فحق الرجعة قولان للفقهاء . وقيل : المنهي وأشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعاً . وهذا الإشهاد مندوب إليه عند

(١) آية ٢٢١ سورة البقرة . (٢) راجع ج ٣ ص ١٥٥ فابعدا .

(٣) راجع ج ٣ ص ١١٢ فابعدا . (٤) في بعض نسخ الأصل : « أمر بأشهاد الأعداء ... » .

أبي حنيفة ؛ كقوله تعالى : « وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ » . وعند الشافعي واجب في الرجة ، مندوب إليه في الفُرقة . وقائدة الإِشهاد ألا يقع بينهما التَّجاعد ، وألَّا يَتَّخِذَ فِي إِسْكَائِهَا ، ولئلا يموت أحدهما فيذَّي الباقي ثبوت الزوجية لِيَرِثَ .

الثانية — الإِشهاد عند أكثر العلماء على الرِّجعة نَدْب . وإذا جامع أو قَبَّل أو باشر يريد بذلك الرِّجعة ، وتكَلَّمَ بِالرِّجعة يريد به الرِّجعة فهو مراجع عند مالك ، وإن لم يرد بذلك الرِّجعة فليس بمراجع . وقال أبو حنيفة وأصحابه : إذا قَبَّل أو باشر أو لاس بشهوة فهو رَجعة . وقالوا : والنظر إلى الفَرْج رَجعة . وقال الشافعي وأبو ثور : إذا تَكَلَّمَ بِالرِّجعة فهو رَجعة . وقد قيل : وَطَّأَهُ مَرَّجَةً على كل حال ، نَوَّاهَا أو لم ينوَّها . وروى ذلك عن طائفة من أصحاب مالك . وإليه ذهب اللَّيْث . وكان مالك يقول : إذا وَطَّئَ ولم ينو الرِّجعة فهو وَطَّأٌ فَاسِدٌ ؛ ولا يعود لو طَّأَهَا حَتَّى يَسْتَرْبِئَا مِنْ مَاءِهِ الْفَاسِدِ ، وله الرِّجعة في بقية العدة الأولى ، وليس له رَجعة في هذا الاستبراء .

الثالثة — أوجب الإِشهاد في الرِّجعة أحمد بن حنبل في أحد قوليهِ ، والشافعي كذلك لظاهر الأمر . وقال مالك وأبو حنيفة وأحمد والشافعي في القول الآخر : إن الرِّجعة لا تخفى إلى القبول ، فلم تخفى إلى الإِشهاد كسائر الحقوق ؛ وخصوصاً حَلَّ الظَّهَارِ بالكفارة . قال ابن العربي : وَرَكَّبَ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ عَلَى وَجوب الإِشهاد في الرِّجعة أَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَقُولَ : كُنْتُ رَاجِعَتٍ أَمْسَ وَأَنَا أَشْهَدُ الْيَوْمَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِالرِّجَعَةِ ، ومن شرط الرِّجعة الإِشهاد فلا تصح دونه . وهذا فاسد مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ الإِشْهَادَ فِي الرِّجَعَةِ تَمَبُّدٌ . ونحن لَا نَقْسَمُ فِيهَا وَلَا فِي النِّكَاحِ بِأَنْ نَقُولَ : إِنَّهُ مَوْضِعٌ لِلتَّوَقُّعِ ؛ وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي الْإِقْرَارِ كَمَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْإِنْشَاءِ .

الرابعة — من ادَّعى بصدِّ اقضاء العدة أَنَّهُ رَاجِعٌ أَمْرُهُ فِي الْعِدَّةِ ، فَإِنْ صَنَعَتْهُ جِلْدٌ وَإِنْ أَنْكَرَتْ حَلَّتْ ، فَإِنْ أَقَامَ بَيِّنَةٌ أَنَّهُ ارْتَجِعَهَا فِي الْعِدَّةِ وَلَمْ تَعْلَمْ بِذَلِكَ لَمْ يَضُرَّ جَهْلُهَا بِذَلِكَ ،

وكانت زوجته . وإن كانت قد تزوجت ولم يدخل بها ثم أقام الأول البينة على رجعتها فن مالك في ذلك روايتان : إحداهما - أن الأول أحق بها . والأخرى - أن الثاني أحق بها . فإن كان الثاني قد دخل بها فلا سيل للأول إليها .

الخامسة - قوله تعالى : ( ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ ) قال الحسن : من المسلمين . وعن قتادة : من أحراركم . وذلك يوجب اختصاص الشهادة على الرجعة بالذكور دون الإناث ؛ لأن « ذَوَىٰ » مذكر . وقلنا قال معاوية : لا مدخل للنساء فيما عدا الأموال . وقد مضى ذلك في سورة « البقرة » <sup>(١)</sup> .

السادسة - قوله تعالى : ( وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ) أى تقرّباً إلى الله في إقامة الشهادة على وجهها ، إذا سئمت الحاجة إليها من غير تبديل ولا تغيير . وقد مضى في سورة « البقرة » معناه عند قوله تعالى : « وَأَقِيمُوا لِلشَّهَادَةِ » <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : ( ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ ) أى يرضى به . ( مَن كَانَ يُلْمِزْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ) فاما غير المؤمنين فلا يتضح بهذه المواضع .

قوله تعالى : ( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ) من النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن طلاق ثلاثاً أو ألفاً هل له من مخرج؟ فتلاها . وقال ابن عباس والشعبي والضحاك : هذا في الطلاق خاصة ؛ أى من طلق كما أمره الله يمكن له مخرج في الرجعة في البينة ، وأن يكون كأحد الخطأ بعد البينة . ومن ابن عباس أيضاً « يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا » يغيه من كل كَرْب في الدنيا والآخرة . وقيل : المخرج هو أن يُقنع الله بما ورثه ؛ قاله علي بن صالح . وقال الكلبي : « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ » بالصبر عند المصيبة . « يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا » من النار إلى الجنة . وقال الحسن : مخرجا بما نهى الله عنه . وقال أبو العالية : مخرجا من كل شدة . الربيع ابن خنيم : « يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا » من كل شيء ضيق على الناس . الحسين بن الفضل : « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ » في أداء الفرائض ، « يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا » من العقوبة . ( وَيَرْزُقْهُ ) الثواب

(مَنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) أى يبارك له فيما آتاه . وقال سهل بن عبد الله : «ومن يتق الله» في اتباع السنة «يعمل له مغربا» من عقوبة أهل البدع ، ويرزقه الجنة من حيث لا يحسب .  
وقيل : «ومن يتق الله» في الرزق يقطع العلائق يعمل له مغربا بالكفاية . وقال عمر بن عثمان الصدقي : «ومن يتق الله» فيقف عند حدوده ويحفظ مباحيه يخرج من الحرام إلى الحلال ، ومن الضيق إلى السعة ، ومن النار إلى الجنة . « ويرزقه من حيث لا يحتسب » من حيث لا يرجو . وقال ابن ميثنة : هو البركة في الرزق . وقال أبو سعيد الخدري : «ومن يرا من حوله وقوته بالرجوع إلى الله يعمل له مغربا مما كلفه بالمعونة له . وتأول ابن مسعود ومسروق الآية على العموم . وقال أبو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إني لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتمهم — ثم تلا — « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » . فما زال يكررها ويبديها . وقال ابن عباس : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم « ومن يتق الله يعمل له مغربا . ويرزقه من حيث لا يحتسب » قال : «مغربا من شهادت الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة» . وقال أكثر المفسرين فيما ذكرنا تليها : أنها نزلت في عوف بن مالك الأنصبي . روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : جاء عوف بن مالك الأنصبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن ابني أسره العدو وبجعت الأم . وعن جابر بن عبد الله : نزلت في عوف بن مالك الأنصبي أسر المشركون أبا له يسئى سالما ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الفاقة وقال : إن العدو أسر ابني وبجعت الأم ، فما تأمرني ؟ فقال عليه السلام : «إني لله وأصبر وأمرك وإياها أن تستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله» . فنادى إلى يثبه وقال لأمرأته : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني وإياك أن تستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله . فقالت : نعم ما أمرنا به . فغلا يقولان ؛ ففعل العدو من أبنة ، فساق غنهم وجاء بها إلى أبيه ؛ وهى أوبى آلاف شاة . فترلت الآية ، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الأغنام له . في رواية : أنه جاء وقد أصاب إبلًا من العدو وكان فقيرا . قال

الكلي : أصاب نحسين بيوا . وفي رواية : فأظلت أبنه من الأمر وركب ناقة للقوم ، وصرت في طريقه يسرح لهم فأستأنفه . وقال مقاتل : أصاب غنماً وبناعاً فسأل النبي صلى الله عليه وسلم : إيهل لي أن أكل مما أتى به أبني ؟ قال : " نعم " . ورويت « ومن يتقي الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب » . فروى الحسن بن عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكفه الله إليها " . وقال الزجاج : أي إذا أتني وآثر الحلال والتصبر على أهله ، فتح الله عليه إن كان ذا ضيقة ورزقه من حيث لا يحتسب . ومن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب " .

قوله تعالى : ( وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ) أي من قوض إليه أمره كفاه ما أمته . وقيل : أي من اتقى الله وجانب المصاعى وتوكل عليه ، فله فيما يعطيه من الآخرة من ثوابه كفاية . ولم يرد الدنيا ؛ لأن التوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل . ( إن الله بالغ أمره ) قال مسروق : أي قاض أمره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه ؛ إلا أن من توكل عليه فيكفر عنه سيئاته ويكظم له أجراً . وقراءة العامة « بالغ » موقفاً . « أمره » نصياً ، وقراء عامم « بالغ أمره » بالإضافة وحذف التنوين استخفافاً . وقراء المفضل « بالغاً أمره » على أن قوله : « قد جعل الله » خبر « إن » و « بالغاً » حال . وقراء داود بن أبي هند « بالغ أمره » بالتنوين ورفع الراء . قال الفراء : أي أمره بالغ . وقيل : « أمره » مرتفع بـ « بالغ » والمفعول محذوف ؛ والتقدير : بالغ أمره ما أراد . ( قد جعل الله لكل شئ قدراً ) أي لكل شئ من الشدة والرخاء أجلاً يقضى إليه . وقيل قدراً . وقال السدي : هو قدر الحيز في الأجل والمدة . وقال جده الله بن رافع : لما نزل قوله تعالى : « وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ » قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فنعن إذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظه ؛ فترلت « إن الله بالغ أمره » (١) في الأمور : يعني قاض .

فَبِمَا وَعَدْنَاكَ . وَقَالَ الرَّبُّ بْنُ خَيْثَمٍ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَضَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ مِنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاءً ، وَمِنْ آمَنَ بِهِ هَدَاهُ ، وَمِنْ أَفْرَضَهُ جَازَاهُ ، وَمِنْ وَثَّقَ بِهِ نَجَّاهُ ، وَمِنْ دَعَاهُ أَجَابَ لَهُ . وَتَصَدَّقَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ « وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ « (١) « وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ » . « إِنَّ تَهْرِيسُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يَغْنَاهُ لَكُمْ » . « وَمَنْ يَتَّعِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » . « وَإِنَّا سَأَلْنَا مِيَادِي عَنِّي فَنَاقَى قَرِيبٌ أَجِيبُ نَحْوَةَ النَّعَاقِ إِذَا دَعَانِ » .

قوله تعالى : وَاللّٰهُ يَتَسَنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِن تَسَائِكَرَ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللّٰهُ لَرَّ يَحْضَنَ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ إِسْرًا ﴿١﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٢﴾

قوله تعالى : ( وَاللّٰهُ يَتَسَنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِن تَسَائِكَرَ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ )  
فيه سبع مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( وَاللّٰهُ يَتَسَنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِن تَسَائِكَرَ ) لما بين أمر الطلاق والزوجة في التي تحيض ، وكأفوا قد صرفوا عدة ذوات الأقراء ، عرفهم في هذه السورة عدة التي لا ترى الدم . وقال أبو حنيفة صرين سالم : لما نزلت عدة النساء في سورة « البقرة » في المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال أبي بن كعب : يا رسول الله ، إن ناسا يقولون قد بين من النساء من لم يذكر فيهن شيء : الصغار والبنات وذوات الحمل ، فترت « واللّٰهُ يَتَسَنَّ » الآية . وقال مقاتل : لما ذكر قوله تعالى : « وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنَّهُنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ » قال خلاد بن النعمان : يا رسول الله ، فما عدة التي لم تحيض ، وعدة التي انقطع حيضها ، وعدة

(١) آية ١١ سورة البقرة . (٢) آية ٣ سورة الطلاق . (٣) آية ١٧ سورة النور .  
(٤) آية ١٠١ سورة آل عمران . (٥) آية ١٨٦ سورة البقرة . (٦) آية ٢٢٨ سورة البقرة .

الحِلْيُ؟ قُرِئَتْ «وَاللَّائِي يَلْسَنُ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ» بِمَنْ قُصِدَ مِنَ الْحَيْضِ . وَقِيلَ :  
إِنْ مَادُ بْنُ جَبَلٍ سَأَلَ عَنْ عِلَّةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي يُنْسَبُ قُرِئَتْ الْآيَةُ . وَلَقَدْ أَعْلَمَ . وَقَالَ جَمْعُهُ :  
الْآيَةُ وَارِدَةٌ فِي الْمُسْتَحَاضَةِ لَا تَدْرِي قَدْ حَيْضٌ هُوَ أَوْ دَمٌ عِلَّةٌ .

الثانية - قوله تعالى : «إِنْ آرَيْتُمْ» أَيْ شَكَّكُمْ وَقِيلَ ، تَيَقَّنْ . وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ ؛  
يَكُونُ شَكًّا وَبَيِّنًا كَالْفَنِّ ، وَاخْتِيَارَ الطَّبِيعِ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : إِنْ شَكَّكُمْ فَلَمْ تَدْرُوا مَا الْحَكْمُ  
فَيَنْ . وَقَالَ الزَّجَّاجُ : إِنْ آرَيْتُمْ فِي حَيْضِهَا وَقَدْ أَقْطَعَ عَنْهَا الْحَيْضَ وَكَانَتْ مِنْ يَحِيضٍ مِثْلَهَا .  
الْعَشِيرَةُ : وَفِي هَذَا نَظَرٌ ، لِأَنَّا إِذَا شَكَّكَاهُ لَمْ يَلْفِتْ سِنَّ الْيَاسِ لَمْ يَقْلُ عِلَّتَهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ .  
وَالْمَعْبَرُ فِي سِنَّ الْيَاسِ فِي قَوْلِ أَقْصَى عَادَةِ أَمْرَاءَ فِي الْعَالَمِ ، وَفِي قَوْلِ غَالِبِ نِسَاءِ عَشِيرَةِ الْمُرَادَةِ .  
وَقَالَ جَمَاعَةٌ : قَوْلُهُ «إِنْ آرَيْتُمْ» لِلْمَخَاطِئِ ؛ بِمَنْ إِنْ لَمْ تَطْلُبُوا كَمْ عِلَّةُ الْيَاسَةِ وَالَّتِي لَمْ تَحْضُ  
فَالْعِلَّةُ هَذِهِ . وَقِيلَ : الْمَعْنَى إِنْ آرَيْتُمْ أَنَّ الدَّمَ الَّذِي يَطْلُبُ مِنْهَا مِنْ أَجْلِ كِبَرِ أَوْ مِنَ الْحَيْضِ  
الْمُهْمُودِ أَوْ مِنَ الْأَسْعَاضَةِ فَالْعِلَّةُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ . وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَقَتَادَةُ : مِنْ الرِّبَةِ الْمُرَادَةِ  
الْمُسْتَحَاضَةِ الَّتِي لَا يَسْتَقِيمُ لَهَا الْحَيْضُ ؛ تَحِيضٌ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ مَرَارًا وَفِي الْأَشْهُرِ مَرَّةً . وَقِيلَ :  
إِنَّهُ مُتَّصِلٌ بِأَوَّلِ السُّورَةِ . وَالْمَعْنَى : لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بَيْتِهِنَّ إِنْ آرَيْتُمْ فِي أَقْضَاءِ الْعِلَّةِ .  
وَهُوَ أَمْسَحُ مَا قِيلَ فِيهِ .

الثالثة - المُرَاتَبَةُ فِي عِلَّتِهَا لَا تَنْتَكِحُ حَتَّى تَقْبِرَ قِسْمَهَا مِنْ رِيْثِهَا ، وَلَا تَخْرُجُ مِنَ الْعِلَّةِ  
إِلَّا بِارْتِفَاعِ الرِّبَةِ . وَقَدْ قِيلَ فِي الْمُرَاتَبَةِ الَّتِي تَرْفَعُهَا حَيْضُهَا وَهِيَ لَا تَدْرِي مَا تَرْفَعُهَا ؛ إِنَّهَا  
تَنْتَظِرُ سَنَةً مِنْ يَوْمِ طَلْقِهَا زَوْجَهَا ؛ مِنْهَا تَسْعَةُ أَشْهُرٍ اسْتِبْرَاءً ، وَثَلَاثَةُ عِلَّةٍ . فَإِنْ طَلَّقَهَا خَافِضَةً  
حَيْضَةً أَوْ حَيْضَتَيْنِ ثُمَّ ارْتَضَعَ عَنْهَا بَغِيرَ يَاسٍ مِنْهَا انْتَضَرَتْ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ ثَلَاثَةَ مِنْ يَوْمِ طَلْقِهَا  
مِنْ حَيْضَتِهَا ثُمَّ حَلَّتْ لِلزَّوْجِ . وَهَذَا قَوْلُ الشَّافِعِيِّ بِالْعِرَاقِ . فَمِلْ قِيَاسَ هَذَا الْقَوْلِ هَقِيمُ الْحَزْوَةِ  
الْمُتَوَقِّفِ عَنْهَا زَوْجَهَا الْمُسْتَبْرَأَةَ بَعْدَ التَّسْعَةِ أَشْهُرٍ أَوْ بِمِائَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ، وَالْأَمَّةُ شَهْرَيْنِ وَنَحْسٌ لَيْلًا بَعْدَ  
التَّسْعَةِ الْأَشْهُرِ . وَرَوَى عَنْ الشَّافِعِيِّ أَيْضًا أَنَّ أَقْرَامَهُ عَلَى مَا كَانَتْ حَتَّى تَبْلُغَ سِنَّ الْيَاسَةِ . وَهُوَ  
قَوْلُ النَّخَعِيِّ وَالتَّوْرِيِّ وَغَيْرُهُمَا ، وَحَكَاهُ أَبُو عِيْدٍ عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ . فَإِنْ كَانَتْ الْمُرَاةُ شَابَةً وَهِيَ :

المسألة الرابعة - استؤنن بها هل هي حامل أم لا؛ فإن استبان حملها فإك إجالتها وضعمه . وإن لم يستن فقل مالك : عِدَّة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنة . وبه قال أحمد وإسحاق ورووه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره . وأهل العراق يرون أن عدتها ثلاث حيض بعد ما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها ، وإن مكثت عشرين سنة ، إلا أن تبلغ من الكبر مبلغاً تياس فيه من الحيض فتكون عدتها بعد الإياس ثلاثة أشهر . قال الطلي : وهذا الأصح من مذهب الشافعي وعليه جمهور العلماء . وروى ذلك عن ابن مسعود وأصحابه . قال الكفا : وهو الحق ؛ لأن الله تعالى جعل مدة الآية ثلاثة أشهر؛ والمرة ثالثة ليست آيسة .

الخامسة - وأما من تأخر حيضها لمرض ؛ فقال مالك وابن القاسم وعبدالله بن أصبغ : تعتد تسعة أشهر ثم ثلاثة . وقال أشهب : هي كالوضع بعد القطام بالحيض أو بالسنة . وقد طلق حبان بن متغذ أمرأته وهي ترضع ؛ فكثت سنة لا تحيض لأجل الرضاع ، ثم مريض حبان تخاف أن ترمه نفاصها إلى حبلان وعنده علي وزيد ، فقالا : نرى أن ترمه ؛ لأنها ليست من الفواخذ ولا من الصغار ؛ فأت حبان فورثته واعتدت عِدَّة الوفاة .

السادسة - ولو تأخر الحيض لنهر مرض ولا رضاع فإنها تنتظر سنة لا حيض فيها ، تسعة أشهر ثم ثلاثة ؛ على ما ذكرناه . فحبل ما لم ترتب بحبل ؛ فإن آرتابت بحبل أقامت أربعة أعوام ، أو خمسة ، أو سبعة ؛ على اختلاف الروايات من علمائنا . ومشهورها خمسة أعوام ؛ فإن تجاوزتها حلت . وقال أشهب : لا تحبل أبداً حتى تنقطع عنها الرية . قال ابن العربي : وهو الصحيح ؛ لأنه إذا جاز أن يبقى الولد في بطنها خمسة أعوام جاز أن يبقى عشرة وأكثر من ذلك . وقد روى عن مالك مثله .

السابعة - وأما التي جهل حيضها بالاستحاضة ففيها ثلاثة أقوال : قال ابن المسيب : تسعة سنة . وهو قول الليث . قال الليث : عِدَّة المطلقة وعِدَّة المتوفى عنها زوجها إذا كانت مستحاضة سنة . وهو مشهور قول علمائنا ؛ سواء علمت دم حيضها من دم استحاضتها ،

وَمَيِّتَ ذَلِكَ أَوْلَمَ تَمَيَّزَ ، عَشَتْهَا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عِنْدَ مَالِكٍ فِي تَحْصِيلِ مَذْهَبِهِ سَنَةً مِنْهَا تَسْمَعُ  
أَشْهَرُ أَشْهَرًا وَثَلَاثَةُ عَشْرَةٍ . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ فِي أَحَدِ أَقْوَالِهِ : عَشَتْهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ . وَهُوَ قَوْلُ  
جَمَاعَةٍ مِنَ الثَّابِعِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْقُرُوفِينَ . ابْنُ الْعَرَبِيِّ : وَهُوَ الصَّحِيحُ عِنْدِي . وَقَالَ  
أَبُو عَمْرٍو : الْمُسْتَعَاذَةُ إِذَا كَانَ دِمَا يَنْفَصِلُ فَصَلَّتْ إِقْبَالَ حَيْضَتِهَا أَوْ إِدْبَارَهَا اعْتَدَتْ ثَلَاثَةَ  
قُرُوءٍ . وَهَذَا إِصْحَاقٌ فِي النَّظَرِ ، وَاتَّبَعْتُ فِي الْقِيَاسِ وَالْأَكْثَرِ .

قوله تعالى : ( وَالَّذِينَ لَمْ يَحْضُنْ ) - يعنى الصغيرة - فصلتُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ؛ فَاصْطَرَفَ  
الْغَيْبَ . وَإِنَّمَا كَانَتْ عَشَتْهَا بِالشَّهْرِ لَعَدَمِ الْأَقْرَاءِ فِيهَا عُدَّةٌ ، وَالْأَحْكَامُ إِنَّمَا أَجْرَاهَا اللَّهُ تَعَالَى  
عَلَى الْعَادَاتِ ؛ فَهِيَ تَمْتَدُّ بِالشَّهْرِ . فَإِذَا رَأَتْ الدَّمَ فِي زَمَنِ احْتِمَالِهِ عِنْدَ النِّسَاءِ انْتَقَلَتْ إِلَى الدَّمِ  
لَوْجُودِ الْأَصْلِ ، وَإِذَا وَجَدَ الْأَصْلُ لَمْ يَبْقِ لِلْبَدَلِ حَكْمٌ ؛ كَمَا أَنَّ الْمُسِيئَةَ إِذَا اعْتَدَتْ بِالدَّمِ ثُمَّ  
ارْتَهَقَ عَادَتْ إِلَى الْأَشْهُرِ . وَهَذَا إِجْمَاعٌ .

قوله تعالى : ( وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ) فِيهِ مَسَائِلَانِ :

الأولى - قوله تعالى : ( وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ ) وَضَعَ الْحَمْلَ ، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرًا  
فِي الْمَطْلَقَةِ لِأَنَّهُ عَلَيْهَا حُطِفَ وَإِلَيْهَا رَجَعَ عَقِبُ الْكَلَامِ ؛ فَإِنَّهُ فِي التَّوَقُّفِ عَنْهَا زَوْجَاهَا كَذَلِكَ ؛  
لِعُمُومِ الْآيَةِ وَحَدِيثِ مُبَيَّنٍّ . وَقَدْ مَضَى فِي « الْبَقَرَةِ » الْقَوْلُ فِيهِ مُسْتَوْفٍ <sup>(١)</sup> .

الثانية - إِذَا وَضَعَتِ الْمَرْأَةُ مَا وَضَعَتْ مِنْ مَقَّةٍ أَوْ مُضْغَةٍ حَلَّتْ . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ  
وَأَبُو حَنِيفَةَ : لَا تَحْمِلُ إِلَّا بِمَا يَكُونُ وَلَدًا . وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِيهِ فِي سُورَةِ « الْبَقَرَةِ » وَسُورَةِ  
« الرِّعْدِ » وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

قوله تعالى : ( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ) قَالَ الضَّحَّاكُ : أَيْ مِنْ يَتَّقِهِ  
فِي مَطْلَقِ السَّنَةِ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا فِي الرَّجْعَةِ . مُقَاتِلٌ : وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فِي اجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ  
يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا فِي تَوْفِيقِهِ لِلطَّاعَةِ . ( ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ ) أَيْ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي الْأَحْكَامِ

أمر الله أنزله إليكم ويُنِيه لكم . ( وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ ) أى يعمل بطاعته . ( يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ )  
من العلة إلى الصلاة، ومن الجمعة إلى الجمعة . ( وَيُظَلِّمْ لَهُ أَجْرًا ) أى فى الآخرة .

قوله تعالى : أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ  
لِتُضْبِقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أَوْلَتْ حِمْلًا فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَرْضَوْا  
حِمْلَهُمْ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَعَاتِبُوهُمْ أَجْرُهُمْ وَأُكْرِمُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ  
وَأِنْ تَعَايَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى ①

فيه أربع مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ ) قال انشعب عن  
مالك : يخرج منها إذا طلقها وبقركها فى المثل؛ لقوله تعالى : « أَسْكِنُوهُمْ » . فلو كان معها  
ما قال أسكنوهم، وقال ابن قانع : قال مالك فى قول الله تعالى « أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ »  
يسمى المطلقات الآلى بَنَ من أزواجهن فلا رجعة لهم طلعن وليست حاملا ؛ فلها السكنى  
ولا نفقة لها ولا كسوة ؛ لأنها باتن منه ، لا يتوارثان ولا رجعة له عليها . وإن كانت حاملا فلها  
النفقة والكسوة والسكنى حتى تنقضى عفتها . فاما من لم تحين منهن فلهن نساؤهم يتوارثون ،  
ولا يخرجن إلا أن يأذن لهن أزواجهن ما كنَّ فى عيلتهن ، ولم يؤمروا بالسكنى لمن لأن ذلك  
لازم لأزواجهن مع ففتن وكسوتهن ؛ حوامل كن أو غير حوامل . وأما أمر الله بالسكنى  
الآلى بَنَ من أزواجهن مع ففتن ؛ قال الله تعالى : « وَإِنْ كُنْ أَوْلَاتٍ حَمْلًا فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى  
يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ » . فجعل عز وجل للحوامل الآلى قد بَنَ من أزواجهن السكنى والنفقة . قال  
ابن العربى : وبسط ذلك وتحقيقه أن الله سبحانه لما ذكر السكنى أطلقها لكل مطلقة ،  
فلما ذكر النفقة قيدها بالحمل ؛ فدل على أن المطلقة الباتن لا نفقة لها . وهى مسألة عظيمة  
قد مهدأ سبلها قرآنًا وسنة ومعنى فى مسائل الخلاف . وهذا ما أخذنا من القرآن .

قلت : اختلف العلماء في المطلقة ثلاثا هل ثلاثا أقوال ؛ فذهب مالك والشافعي أن لها السكنى ولا نفقة لها . ومنذهب أبي حنيفة وأصحابه أن لها السكنى والنفقة . ومنذهب أحمد وإسحاق وأبي ثور أن لا نفقة لها ولا سكنى ؛ على حديث فاطمة بنت قيس ، قالت : دخلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي أخو زوجي فقلت : إن زوجي طلقني وإن هذا يزعم أن ليس لي سكنى ولا نفقة ؟ قال : « بل لك السكنى ولك النفقة » . قال : إن زوجها طلقها ثلاثا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما السكنى والنفقة على من له عليها الرجعة » . فلما قدمت الكوفة طلبني الأسود بن يزيد يسألني عن ذلك ، وإن أصحاب عبد الله يقولون : إن لها السكنى والنفقة . فترجى الدارقطني . ولفظ مسلم عنها : أنه طلقها زوجها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أخفق عليها نفقة دون ؛ فلما رأت ذلك قالت : والله لأعلمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان لي نفقة أخذت الذي يصلحني وإن لم تكن لي نفقة لم آخذ شيئا . قالت : فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لا نفقة لك ولا سكنى » . وذكر الدارقطني عن الأسود قال : قال عمر لما بلغه قول فاطمة بنت قيس : لا يجوز في المسلمين قول امرأة . وكان يعمل المطلقة ثلاثا السكنى والنفقة . وعن الشعبي قال : لقيني الأسود بن يزيد فقال : يا شعبي ، أتق الله وأرجع عن حديث فاطمة بنت قيس ؟ فإن عمر كان يعمل لها السكنى والنفقة . قلت : لا أرجع عن شيء حدثني [ب<sup>(١)</sup>] فاطمة بنت قيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : ما أحسن هذا . وقد قال قتادة وابن أبي ليل : لا سكنى إلا للرجعية ؛ لقوله تعالى : « لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا » ، وقوله تعالى : « أَسْكُنُوهُنَّ » راجع إلى ما قبله ، وهي المطلقة الرجعية . والله أعلم . ولأن السكنى تابعة للنفقة وجارية مجراها ؛ فلما لم يجب للثبوت نفقة لم يجب لها سكنى . وحجة أبي حنيفة أن البتة النفقة قوله تعالى : « وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِتَصْبِيَوا عَلَيْهِنَّ » وترك النفقة من أكبر الأضرار . وفي إنكار عمر صل فاطمة

(١) زيادة عن سنن الدارقطني .

فولها مايتين هذا، ولأنها معتدة تستحق السكنى عن طلاق فكأنت لما التفقة كالرجعية، ولأنها عبوسة عليه لحقه فاستحققت التفقة كالزوجة. ودليل مالك قوله تعالى: «وَأِنْ كُنْتُمْ أُولَاتٍ حُمْلٍ» الآية. هل ما تقدم بيانه. وقد قيل: إن الله تعالى ذكر المطلقة الرجعية وأحكامها أول الآية إلى قوله: «ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ» ثم ذكر بعد ذلك حكماً يعم المطلقات كلهن من تعديد الأشهر وغير ذلك. وهو عام في كل مطلقة؛ فرجع ما بعد ذلك من الأحكام إلى كل مطلقة.

الثانية - قوله تعالى: «مَنْ وَجَدَكُمْ» أي من سَعَتَكُمْ؛ يقال وَجَدْتُ في المال أجد وَجِدًا [ وَجِدًا وَجِدًا ] وَجَدَةً. والوجد: الفنى والمقدرة. وقراءة العامة بضم الواو. وقرأ الأصمعي والزهرى بفتحها، ويعقوب بكسرها. وكلها لغات فيها.

الثالثة - قوله تعالى: «وَلَا تَضَارَوْهُنَّ يُضْفِقُوا عَلَيْنَّ» قال مجاهد: في المسكن. مقاتل: في التفقة؛ وهو قول أبي حنيفة. وعن أبي الضحى: هو أن يطلقها فإذا بقى يومان من عدتها راجعها ثم طلقها.

الرابعة - قوله تعالى: «وَأِنْ كُنْتُمْ أُولَاتٍ حُمْلٍ فَأَتَّقُوا عَلَيْنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» لا خلاف بين العلماء في وجوب التفقة والسكنى للحامل المطلقة ثلاثاً أو أقل منهن حتى تضع حملها. فاما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال عليّ وآبن هرو وآبن مسعود وشريح والنخعي والشعبي وخادم وآبن أبي ليلى وسفيان والضمحاك: يُنفق عليها من جميع المال حتى تضع. وقال آبن عباس وآبن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم: لا ينفق عليها إلا من نصيبها. وقد مضى في «البقرة» بيانه.

قوله تعالى: «فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ» فيه أربع مسائل:

الأولى - قوله تعالى: «فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ» - يعني المطلقات - أولادكم منهن فليؤاياه أن يعطوهن أجرة إرضاعهن. وللرجل أن يستأجر أمهاته للرضاع كما يستأجر أجنبية.

(١) الواو مفتحة. (٢) في نسخة من الأصل: «وأصله». (٣) راجع ج ٢ ص ١٨٥

ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه الاستنجار إذا كان الولد منهن ما لم يبرأ . ويجوز عند الشافعي .  
وتقدم القول في الرضاع في « البقرة » و « النساء » مستوفى وفيه الحمد .

الثانية - قوله تعالى : ( وَامْرَأَتَا يُتَمِّمُ بِمَعْرُوفٍ ) هو خطاب للأزواج والزوجات ؛  
أى ولقبيل بعضهم من بعض ما أمره به من المعروف الجليل . والجليل منها إرضاع الولد من  
غير أجرة . والجليل منه توفير الأجرة عليها للإرضاع . وقيل : اتمروا في رضاع الولد فيما بينكم  
معروف حتى لا يلحق الولد إضرار . وقيل : هو الكسوة والدثار . وقيل : معناه لا تضار  
والدة بولدها ولا مولود له بولده .

الثالثة - قوله تعالى : ( وَإِنْ تَمَاسَرْتُمْ ) أى في أجرة الرضاع فابى الزوج أن يعطى  
الأم رضاعها وأبى الأم أن ترضعه فليس له إكراهها ؛ وليست أجرة مرضعة غير أجرة . وقيل :  
معناه وإن تضاعفت وتضاعفت وتضاعفت فليست أجرة لولده غيرها ؛ وهو خير من معنى الأمر . وقال  
الضحاك : إن أبى الأم أن ترضع استأجر لولده أخرى ، فإن لم يقبل أجبرت أمه على الرضاع  
بالأجر . وقد اختلف العلماء فيمن يجب عليه رضاع الولد على ثلاثة أقوال : قال علماؤنا :  
رضاع الولد على الزوجية ما دامت الزوجية ؛ إلا لشرفها وموضعها فعل الأب رضاعه يومئذ  
في ماله . الشافعي - قال أبو حنيفة : لا يجب على الأم بهال . الثالث - يجب عليها  
في كل حال .

الرابعة - فإن طلقها فلا يلزمها رضاعه إلا أن يكون غير قابل تدنى غيرها فيلزمها  
حيثك الإرضاع . فإن اختلفا في الأجر فإن دعت إلى أجر مثلها وأمتنع الأب إلا تبرعا فلا إثم  
أولى بأجر المثل إذا لم يجد الأب متبرعا . وإن دعا الأب إلى أجر المثل وامتنعت الأم لطلب  
شططا فلا إثم أولى به . فإن أحسر الأب بأجرتها أخذت جيرا برضاع ولدها .

قوله تعالى : **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٦﴾**

فيه أربع مسائل :

الأولى — قوله تعالى : **( لِيُنْفِقْ )** أى لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه حتى يوسع عليهما إذا كان موسعاً عليه . ومن كان فقيراً فعلى قدر ذلك . فتعذر الثقة بحسب الحالة من المتفق والحاجة من المتفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة ؛ فينظر المتفق إلى قدر حاجة المتفق عليه ثم ينظر إلى حالة المتفق ، فإن احتملت الحالة أمضاها عليه ، فإن اقتضت حاله على حاجة المتفق عليه رتبها إلى قدر احتياله . وقال الإمام الشافعي رضى الله عنه وأصحابه : الثقة مقدرة محددة ، ولا اجتهد الحاكم ولا لمفتٍ فيها . وتقديرها هو بحال الزوج وحده من يسره ويسره ، ولا يستبرج لهما وكفايتها . قالوا : فيجب لأبنة الخليفة ما يجب لأبنة الحارث . فإن كان الزوج مؤمراً لزمه ذلك ، وإن كان متوسطاً فُدد ونصف ، وإن كان معييراً فُدد . واستدلوا بقوله تعالى : **« لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ »** الآية . بفعل الاعتبار بالزوج في اليسر والسهر دونها ؛ ولأن الاعتبار بكفايتها لا سبيل إلى علمه للحاكم ولا لغيره ؛ فيؤدى إلى الخصومة ؛ لأن الزوج يدعى أنها تنمى فوق كفايتها ، وهى ترمع أن الذى تطلب تطلبه قدر كفايتها . فملئناها مقدرة قطعاً للخصومة . والأصل فى هذا عندهم قوله تعالى : **« لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ »** — كما ذكرنا — ، وقوله : **« عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ »** . والجواب أن هذه الآية لا تعطى أكثر من فرق بين نفقة النسي والفقير ، وأنها تختلف بيسر الزوج ويسره . وهذا سلم . فأتينا به لا اعتبار بحال الزوجة على وجهه فليس فيه ، وقد قال الله تعالى : **« وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ »** وذلك يقتضى تعلق المعروف فى حقهما ؛ لأنه لم يخص فى ذلك واحدا منهما . وليس من

المعروف أن يكون كفاية النية مثل ثقة الفقيه ؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لجند : " خذني ما يخفيك ووليك بالمعروف " . فأحاطوا على الكفاية حين علم السعة من حال  
أبي سفيان الواجب عليه بطلبها ، ولم يقل لما لا اعتبار بكفايتك وأن الواجب لك شيء مفتر ،  
بل ردها إلى ما يعلمه من قدر كفايتها ولم يلقه بفقدار معلوم . ثم ما ذكره من التعليل يحتاج  
إلى توقيف ؛ والآية لا تختصيه .

الثانية - روى أن عمر رضى الله عنه فرض لنفسه مائة درهم ، وفرض له عثمان  
تسعين درهما . ابن العربي : « واحتمل أن يكون هذا الاختلاف بحسب اختلاف السنين  
أو بحسب حال الفرد في التسعين لثمن الثوب والملبس ، وقد روى محمد بن حلال المزني قال :  
حدثني أبي ويحدث أنها كانت ترد على عثمان فقلدها فقال لأهله : مال لا أرى ثلاثة ؟  
فقلت امرأته : يا أمير المؤمنين ، ولدت الليلة ؛ فبعث إليها بتسعين درهما وثيقة سبلانية .  
ثم قال : هذا عطاء ابنك وهذه كسوته ، فإذا حُررت له سنة فسنه إلى مائة . وقد أُتي صل  
رضي الله عنه بمئود قرض له مائة . قال ابن العربي : « هذا القرض قبل الفطام بما اختلف  
فيه العلماء ؛ فمنهم من رآه مستحباً لأنه داخل في حكم الآية ، ومنهم من رآه واجباً لما تجدد  
من حاجته وعرض من مؤنته ، وبه أقول . ولكن يختلف قدره بحاله عند الولادة وبحاله  
عند الفطام . وقد روى سفيان بن وهب أن عمر أخذ المذبيذ والقسط بيد فقال : إني  
فرضت لكل نفس مسلمة في كل شهر مذبي حطة وقسطي خَلّ وقسقي زيت . زاد غيره :  
وقال إنا قد أجرينا لكم أضيائكم وأرزاقكم في كل شهر ، فمن انتقصها فعل الله به كذا وكذا ؛  
فلما عليه . قال أبو البرداء : كم سنة راشدة مهدية قد سنّها عمر رضى الله عنه في أمة محمد  
صلى الله عليه وسلم ! والمذبيذ والقسط كيلان شاميان في الطعام والإدام ، وقد درساً بجرى آخر .

(١) الثقة : صغير ثقة ، وهي جنس من الثياب . وقيل هي نصف ثوب . والسبلان (من الثياب) :  
الباغ الطويل الذي قد أسبل . وسئل ثوبه : إذا أسبه وجره من خلفه أراماه .  
(٢) المئود : القبط ، وهي القبط مئوداً لأن أمه ربه على الطريق . (٣) في ابن العربي : « أجراً » .

فأما المَدُّ فليس إلى الكَلْبَةِ . وأما القِصْطُ فليس إلى الكيل ، ولكن التقدير فيه عندنا وبعان في الطعام وثمانيت في الإدام . وأما الكسوة فيقدر المادة ليقصَّ وسراويل وجبة في الشتاء وكساء وإزار وحمبر . وهذا الأصل ، ويريد بحسب الأحوال والمادة » .

الثالثة — هذه الآية أصل في وجوب النفقة للولد على الوالد دون الأم ؛ خلافاً لحمد بن المواز يقول : إنها على الأبوين على قدر الميراث . ابن العربي : ولعلَّ حمدا أراد أنها على الأم عند علم الأب . وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم : " تقول لك المرأة أفنى عليّ وإلا فطلقني ويقول لك العبد أفنى عليّ واستمعي ويقول لك ولدك أفنى عليّ إلى من تكلمي " فقد تعاضد القرآن والسنة وتواردتا في شريعة واحدة .

الرابعة — قوله تعالى : ( لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ) أي لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني . ( سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ حُسْرَيْكَ ) أي بعد الضيق فتي ، وبعد الشدة سعة .

قوله تعالى : وَكَانَ مِنْ قَرْنٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ  
لَمَّا سَبَّهَا حَسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نَكِراً ﴿١﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ  
أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً ﴿٢﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً  
فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ  
ذِكْرًا ﴿٣﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ  
وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿٤﴾



أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : « وَإِنَّ لَهُ كُرْسِيَّ وَتَقْوِيمَكَ » ؛ ثم بين هذا الشرف فقال : « رسولاً » . والأكثر على أن المراد بالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم . وقال الكلبي : هو جبريل ؛ فيكونان جميعاً مترابطين . ( يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ ) نعت لرسول . و « آيَاتِ اللَّهِ » القرآن . ( مُبَشِّرَاتٍ ) قراءة العامة بفتح الياء . أى بينها الله . وقرأ ابن عباس وحفص وحزرة والكسائي بكسرهما ؛ أى مبشرين لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام . والأولى قراءة ابن عباس واختيار أبي عبيد وأبي حاتم ؛ لقوله تعالى : « قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ » . ( يُخْرِجُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) أى من سبق له ذلك في علم الله . ( مِنَ الثَّمَلَاتِ ) أى من الكفر . ( إِلَى التَّوْبِ ) الهدى والإيمان . قال ابن عباس : نزلت في مؤمنى أهل الكتاب . وأضاف الإخراج إلى الرسول لأن الإيمان يحصل منه بطاعته .

قوله تعالى : ( وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا نُخَلِّهِ جَنَاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) .  
قرأ نافع وابن عباس بالنون ، والباقيون بالياء . ( قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ) أى وسع الله له في الجنات .

قوله تعالى : اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا <sup>(٢)</sup>

قوله تعالى : ( اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ) دل على كمال قدرته وأنه يقدر على البعث والحساب . ولا خلاف في السموات أنها سبع بعضها فوق بعض ؛ دل على ذلك حديث الإسراء وغيره . ثم قال : ( وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ) أى سبعاً . واختلف فيمن على قولين : أحدهما — وهو قول الجمهور — أنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض ؛

(١) آية ١٠ سورة الأنبياء . (٢) آية ٤ سورة الزمر . (٣) راجع ١٠ ص ٢٠٥

من كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والسماء ، وفي كل أرض سكان من خلق الله .  
 وقال الضحاك : « وَمِنَ الْأَرْضِ يَطْلُونَ » أي سبيها من الأرضين ، ولكنها مطبقة بعضها  
 على بعض من غير فرق بخلاف السموات . والأقول أصح ؛ لأن الأغيار دالة عليه في الترمذي<sup>(١)</sup>  
 والنسائي وغيرهما . وقد مضى ذلك ميّناً في « البقرة » . وقد نرجح أبو نعيم قال : حدثنا محمد<sup>(٢)</sup>  
 ابن علي بن حبيش قال : حدثنا إسماعيل بن إسحاق السراج ، ( ح ) وحدثنا أبو محمد بن حبان  
 قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجية قال : حدثنا سويد بن سعيد قال حدثنا حفص  
 ابن ميسرة عن موسى بن عقبة عن عطاء بن أبي سريان عن أبيه أن كعباً حلف له بالذي  
 فلق البحر لموسى أن صبيّاً حدثه أن هذا صلى الله عليه وسلم لم يرق قرية يريد دخولها إلا قال  
 حين يراها : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَغْلَقْنَ وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَغْلَقْنَ وَرَبَّ  
 الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّنَ وَرَبَّ الرِّيحِ وَمَا أَثَرْنَ إِنْ أَنَا لَكَ خَيْرُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرُ أَهْلِهَا وَنَعُوذُ بِكَ  
 مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا » . قال أبو نعيم : هذا حديث ثابت من حديث موسى بن  
 عقبة تفرد به عن عطاء . روى عنه ابن أبي الزناد وغيره . وفي صحيح مسلم عن سعيد بن  
 زيد قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ أَخَذَ شَيْئاً مِنَ الْأَرْضِ ظُلْماً فَلَهُ  
 يُطَوِّفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ » . ومثله حديث عائشة ، وأبين منهما حديث أبي هريرة  
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ شَيْئاً مِنَ الْأَرْضِ بِشِرِّهِ إِلَّا طَوَّفَهُ  
 اللَّهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . قال المساوردي : وعلى أنها سبع أرضين بعضها فوق  
 بعض تختص دعوة أهل الإسلام بأهل الأرض العليا ، ولا تلزم من في غيرها من الأرضين  
 وإن كان فيها من يعقل من خلق مميّز . وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها  
 قولان : أحدهما — أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أروهم ويستمدون النضياء  
 منها . وهذا قول من جعل الأرض مبسوطة . والقول الثاني — أنهم لا يشاهدون السماء ،

(١) راجع ج ١ ص ٢٥٨ . (٢) برت عادة المحدثين أنه إذا كان الحديث إسناداً أراً كثر ،

كتبوا عند الانتقال من إسناد إلى إسناد « دح » وهي حاء مفردة . ( راجع مقدمة التورى على صحيح مسلم ) .

(٣) في بعض نسخ الأصل : « وحدثنا محمد ... » . (٤) في الأصول : « فيمن » .

وإن الله تعالى خلق لهم ضياء يستمدونه . وهذا قول من جعل الأرض كالكرة .  
وفي الآية قول ثالث حكاه الكوفي عن أبي صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين منبسطة ؛  
ليس بعضها فوق بعض ، تنشق فيها البحار وتظل جميعهم السماء . فكل هذا إن لم يكن  
لأحد من أهل الأرض وصول إلى أرض أخرى اختصت دعوة الإسلام بأهل هذه  
الأرض ، وإن كان لقوم منهم وصول إلى أرض أخرى احتمل أن تلزمهم دعوة الإسلام  
عند إمكان الوصول إليهم ؛ لأن فصل البحار إذا أمكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما هم  
حكمة ، واحتمل ألا تلزمهم دعوة الإسلام لأنها لو لزمهم لكان النص بها واردا ، ولكن صلى  
الله عليه وسلم بها ما أمورا . والله أعلم ما استأثر بعلمه ، وصواب ما اشبه على خلقه . ثم قال :  
( يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ) قال مجاهد : يتنزل الأمر من السموات السبع إلى الأرضين السبع .  
وقال الحسن : بين كل سامين أرض وأمر . والأمر هنا الوحي ؛ في قول مقاتل وفيه .  
وطيه فيكون قوله « بَيْنَهُنَّ » إشارة إلى بين هذه الأرض العليا التي هي أدناها وبين السماء  
السابعة التي هي أعلاها . وقيل : الأمر القضاء والقدر . وهو قول الأكثرين . فكل هذا  
يكون المراد بقوله تعالى : « بَيْنَهُنَّ » إشارة إلى ما بين الأرض السفلى التي هي أقصاها وبين  
السماء السابعة التي هي أعلاها . وقيل : « يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ » بحياة بعض وموت بعض  
وغيث قوم وفقير قوم . وقيل : هو ما يدبره من عجيب تدبيره ؛ فينزل المطر ويخرج النبات  
ويأتي بالليل والنهار ، والصيف والشتاء ، ويخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها وحياتها ؛  
فيضلهم من حال إلى حال . قال ابن كثير : وهذا على مجال اللغة وآساها ؛ كما يقال  
للول : أمر الله ؛ والريح والسحاب ونحوها . ( لِيُعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) يعني أن  
من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه أقدر ، ومن العفو والانتقام أمكن ؛  
وإن استوى كل ذلك في مقدوره وممكنه . ( وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ) فلا يخرج  
شيء عن علمه وقدرته . ونصب « عِلْمًا » على المصدر المؤكد ؛ لأن « أحاط » بمعنى علم .  
وقيل : بمعنى وإن الله أحاط إحاطة عِلْمًا .

(١) قوله : « ويحكمه » يريد « وإمكانه » ولم ترد في كتب الله .

## سورة التَّحْرِيمِ

مَدِينَةٍ فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ . وَهِيَ اثْنَا عَشْرَةَ آيَةً . وَتُسَمَّى سُورَةُ «النَّبِيِّ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَ لَكَ مَرْصَاتُ أَزْوَاجِكَ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ①

قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ) فيه خمس مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ) ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها صلاً ، قالت : قَوَّاطُتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ آيَتَنَا مَادَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَقَتَّلَ : إِنِّي أَجِدُ مَكَرَ رَجُلٍ مَغَايِيرَ ! أَكَلْتُ مَغَايِيرَ ! ؟ فدخل على أحدهما فقالت له ذلك . فقال : « بل شربت صلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له » . فقتل « ولم يحرم ما أحلَّ الله لك » - إلى قوله - « إِنْ تُشْرَبَا » ( لعائشة وحفصة ) ، « وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا » لقوله : « بل شربت صلاً » . وعنها أيضاً قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخلاء والصل ، فكان إذا صلى العصر دار على نسائه فيدئونه منهن ، فدخل على حفصة فاحبس عندها أكثر مما كان يحبس ، فقالت عن ذلك فقيل لي : أهدت لها امرأة من قومها عَصَةً من صلب ، فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة . فقلت : أَمَا وَاللَّهِ لَتَنَحْتَأَنَّ لَهُ ، نَذَكْتُ ذَلِكَ لِسُوءَةٍ وَقُلْتُ : إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكَ فَعُولُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَكَلْتُ مَغَايِيرَ ؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكَ لَا . فقول [ له ] : ما هذه الرِّيحُ ؟ - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه ريح - فإنه

(١) سذكر المؤلف رحمه الله من هذه الكلمة والكلمات الآتية في هذا الحديث .

سَيَقُولُ لَكَ سَتَنِيَ حَفْصَةُ شَرِبَتْهُ صَبْلٌ ، فَقُولِي لَهُ : جَرَسَتْ نَحْلُهُ الرُّطْبُ . وسأقول ذلك له ،  
وقوله أَنْتِ يَصِفِيهِ . فلما دخل على سَوْدَةَ - قالت - : تقول سَوْدَةُ والله الذي لا إله إلا هو  
لقد كُذِّتُ أَنْ أَبْدِيَهُ بِالَّذِي قُلْتِ لِي ، وإنه لعل الباب ، فَرَقًا مَيْكَ . فلما دعا رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قالت : يا رسول الله ، أَكَلْتُ مَنَافِيرَ ؟ قال : « لا » قالت : فما هذه الرِّيحُ ؟  
قال : « سَتَنِيَ حَفْصَةُ شَرِبَتْهُ صَبْلٌ » قالت : جَرَسَتْ نَحْلُهُ الرُّطْبُ . فلما دخل على قلت  
له مثل ذلك ، ثم دخل على صَفِيَّةَ فقالت بمثل ذلك . فلما دخل على حَفْصَةَ قالت :  
يا رسول الله ، أَلَا أَسْقِيكَ مِنْهُ . قال : « لا حاجة لي به » قالت : تقول سَوْدَةُ سبحان الله !  
[ والله ] لقد حَرَمَنَاهُ . قالت : قلت لما أَسْكَنِي . ففى هذه الرواية أَنَّ النِّسْبَةَ شَرِبَ عَنْهَا السَّلَ  
حَفْصَةَ ، وفى الأولى زَيْنَبُ . وروى ابنُ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ أَبِي جَبَاسٍ أَنَّهُ شَرِبَهُ عِنْدَ سَوْدَةَ .  
وقد قيل : إنما هى أُمُّ سَلَمَةَ ، رَوَاهُ أَصْبَاطُ مِنَ السَّيِّئِ . وقاله عطاء بن أبى مسلم  
ابن العري : وهذا كله جهل أو تصوُّر بغير علم . فقال باقى نساءه حَسَدًا وَغَيْرَةً لِمَنْ شَرِبَ ذَلِكَ  
عندها : إنا لنجد منك رِيحَ الْمَنَافِيرِ . والمَنَافِيرُ : بقلة أو صفة متغيرة الرائحة ، فيها حلاوة .  
واحدها مَنَفُورٌ . وَجَرَسَتْ : أَكَلَتْ . والرُّطْبُ : نبت له رِيحٌ كريهة الخمر . وكان عليه السلام  
يُجِيبُهُ أَنْ يَوجِدَ مِنْهُ الرِّيحَ الطَّيِّبَةَ أَوْ يَجِدْهَا ، وَيَكْرِهُ الرِّيحَ النَّجِيسَةَ لِمَنَاجَاةِ الْمَلَكِ . فهذا قول .  
وقول آخر - أنه أراد بذلك المرأة التى وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها لأجل  
أَزْوَاجِهِ ، قاله ابنُ جَبَاسٍ وَيَعْكُومَةُ . والمرأة أُمُّ شَرِيكٍ . وقول ثالث - إن الذى حرم مارية  
القطبية ، وكان قد أهداها له الْمُتَوَفِّسُ ملك الإسكندرية . قال ابنُ إِسْحَاقَ : هى من كُفُورَةِ  
أَنْصَبِ بْنِ بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ حَفْنٌ فَوَاتَمَهَا فِي بَيْتِ حَفْصَةَ . روى البارقيطي عن ابن جَبَاسٍ عَنْ  
عمر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بَاتَمَ وَلَدَهُ مَارِيَةَ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ ، فوجدته  
حَفْصَةَ مَعَهَا - وكانت حَفْصَةُ غَائِبَةً إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا - فقالت له : تُدْخِلُهَا بَيْتِي !

(١) قرأها : « أَنْ أَبْدِيَهُ » ، أى أَبْدِيَهُ وَأَنَادِيَهُ وَهَذَا لَيْسَ بِإِلْبَابٍ لِيَذْنَ مِنْ بَسَدِ الْكَلَامِ إِلَى طَلَبِهِ .  
و « فَرَقًا » أى غُرْفَةً مِنْ لَوْحٍ . (٢) أى مَنَافِيرَ شَرِبَتْهُ صَبْلٌ . (٣) أصاب (بفتح) ثم الكون  
وكسر الهاء المهملة والنون ، مقصود : مدينة من تراسى الصعيد على شرق النيل .

ما صنعت بي هذا من بين نساءك إلا من هوأتني عليك . فقال لها : « لا تذكرني هذا لعائشة فهي على حرام إن قرئتها » قالت حفصة : وكيف تحرم عليك وهي جارياتك ؟ خلف لها ألا يقرئها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تذكرني لأحد » . فذكرته لعائشة ، فألّا لا يدخل على نسائه شهرا ، فاعتزلن تسعا وعشرين ليلة ؛ فانزل الله عز وجل : « لم يحرم ما أحل الله لك » الآية .

الثانية - أجمع هذه الأقوال أولا . وأضعفها أوسطها . قال ابن العربي : « أما ضعفه في السند فلهدم عدالة رواه ، وأما ضعفه في معناه فلأن ردة النبي صلى الله عليه وسلم للوهوبة ليس تحريما لها ؛ لأن من رده ما وهب له لم يحرم عليه ، إنما حقيقة التحريم بسد التعليل . وأما من روى أنه حرم مارية القبطية فهو أمثل في السند وأقرب إلى المعنى ؛ لكنه لم يلقف في الصحيح . وروى مرسل . وقد روى ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم قال : حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم أم إبراهيم فقال : « أنت على حرام والله لا آتيك » . فانزل الله عز وجل : في ذلك « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ » . وروى مثله ابن القاسم عنه . وروى أشهب عن مالك قال : راجعت عمر امرأة من الأنصار في شيء فأقشع من ذلك وقال : ما كان النساء هكذا ! قالت : بلى ، وقد كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه . فأخذت به فخرج إلى حفصة فقال لها : أنزاجين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم ، ولو أعلم أنك تكره ما فعلت . فلما بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع نساءه قال : رَغِمَ أَنتُ حفصة . وإنما الصحيح أنه كان في السبل وأنه شربه عند زينب ، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه ، بغري ما جرى خلف ألا يشربه وأمر ذلك . ونزلت الآية في الجميع .

الثالثة - قوله تعالى : « لَمْ تُحَرِّمْ » إن كان النبي صلى الله عليه وسلم حرم ولم يحلف قليس ذلك يبين عندنا . ولا يحزم قول الرجل : « هذا على حرام » شيئا حاشا الزوجة . وقال أبو حنيفة : إذا أطلق رجل على الماكول والمشروب دون الملبوس ، وكانت يميناً توجب

الكفارة . وقال زُفر : هو يمين في الكل حتى في الحركة والسكون . وعزل الخالف على أن النبي صلى الله عليه وسلم حرّم السبل فزمت الكفارة . وقد قال الله تعالى : « قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ » فمأه يميناً . ودليلاً قول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَحْتَلُوا<sup>(١)</sup> » ، وقوله تعالى : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَثَرُ اللَّهِ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ بِعَلَمِهِ مِنْ حَرَامٍ وَحَلَالٍ قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتُونَ<sup>(٢)</sup> » . فذمّ الله المحرّم لللال ولم يوجب عليه كفارة . قال الزجاج : ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله . ولم يعمل لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يحرم إلا ما حرّم الله عليه . فمن قال لزوجه أو أمته : أنت عليّ حرام ، ولم ينسو طلاقاً ولا ظهاراً فهذا اللفظ يوجب كفارة اليمين . ولو خاطب بهذا اللفظ جماً من الزوجات والإماء فليع كفاً واحدة . ولو حرّم على نفسه طعاماً أو شيئاً آخر لم يلزمه بذلك كفارة عند الشافعي ومالك . ويجب بذلك كفارة عند أبي سعيد والثوري وأبي حنيفة .

الزبابة — وأختلف العلماء في الرجل يقول لزوجه : « أنت عليّ حرام » هل ثمانية عشر قولاً :

أحدها — لا شيء عليه . وبه قال الشعبي وسروق وربيعة وأبو سلمة وأصعب . وهو عندكم كتحريم المساء والطعام ، قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ » والزوجة من الطيبات ومما أحل الله . وقال تعالى : « وَلَا تَقُولُوا لِمَا يُصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ » . وما لم يحرمه الله ليس لأحد أن يحرمه ، ولا أن يصير بحرمه حراماً . ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أحله الله هو عليّ حرام . وإنما امتنع من مارية ليعين تعلّمت منه وهو قوله : « والله لا أقرّبها بعد اليوم » قيل له : لم تحرم ما أحل الله لك ؛ أي لم تمتنع منه بسبب اليمين . يعني أقدم عليه وكفّر .

(١) آية ٨٧ سورة المائدة . (٢) آية ٥٩ سورة يونس .  
(٣) آية ٨٧ سورة المائدة . (٤) آية ١١٦ سورة النحل .

وثانيها - أنها يمين يكفرها ؛ قاله أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عباس وعائشة - رضي الله عنهم - والأوزاعي ؛ وهو مفتضى الآية . قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : إذا حرم الرجل عليه امرأته فأنما هي يمين يكفرها . وقال ابن عباس : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ؛ يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حرم جاريته فقال الله تعالى : « لَمْ يَحْزَمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ - إلى قوله تعالى - قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ » فكفر عن يمينه وصبر الحرام يميناً . أخرجه الفارغاني .

وثالثها - أنها تجب فيها كفارة وليست يمين ؛ قاله ابن مسعود وابن عباس أيضا في إحدى روايته ، والشافعي في أحد قوليهِ ، وفي هذا القول نظر . والآية ترويه عن ما يأتي . ورابعها - هي ظهار ؛ ففيها كفارة الظهار ؛ قاله عثمان وأحمد بن حنبل وإسحاق . وخامسها - أنه إن نوى الظهار وهو ينوي أنها عزمة كتحریم ظهر أئمه كان ظهارا . وإن نوى تحریم عينا عليه بغير طلاق تحریم مطلقا وجبت كفارة يمين . وإن لم ينو شيئا فعليه كفارة يمين ؛ قاله الشافعي .

وسادسها - أنها طلاق رجعية ؛ قاله عمر بن الخطاب والزهرري وعبد الميزابن أبي سلمة وآبن الماسجون .

وسابعها - أنها طلاق بائنة ؛ قاله حماد بن أبي سليمان وزيد بن ثابت . ورواه آبن محبوب متذا عن مالك .

وثامنها - أنها ثلاث تطليقات ؛ قاله علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت أيضا وأبو هريرة . وتاسعها - هي في المدخول بها ثلاث ، وينوي في غير المدخول بها ؛ قاله الحسن وعلي آبن زيد والحكم . وهو مشهور مذهب مالك .

وعاشرها - هي ثلاث ؛ ولا ينوي بحال ولا في عمل وإن لم يدخل ؛ قاله عبد الملك في المبسوط . وبه قال آبن أبي ليلى .

(١) كلمة « وإن لم يدخل » ليست في آبن القري . ومبارة الجبرلائي حبان ( ج ٨ ص ٢٨٩ ) : « هي ثلاث في الرجعين ولا ينوي في شيء » ونسبه أيضا لعبد الملك الماسجون وابن أبي ليلى .

وسادى عشرها — هي في التي لم يدخل بها واحدة، وفي التي دخل بها ثلاث؛ قاله أبو مصعب ومحمد بن عبد الحكم<sup>(١)</sup>.

وثاني عشرها — أنه إن نوى الطلاق أو الظهار كان ما نوى. فإن نوى الطلاق فواحدة بائنة إلا أن ينوي ثلاثا. فإن نوى اثنين فواحدة. فإن لم ينو شيئا كانت بينا وكان الرجل مؤثما من أمراته؛ قاله أبو حنيفة وأصحابه. وبمثله قال زُفر؛ إلا أنه قال: إذا نوى اثنين ألزمناه.

وثالث عشرها — أنه لا تنفع نيّة الظهار وإنما يكون طلاقا؛ قاله ابن القاسم.

ورابع عشرها — قال يحيى بن عمر: يكون طلاقا؛ فإن ارتجعهما لم يجز له وطؤها حتى يكفر كفارة الظهار.

وخامس عشرها — إن نوى الطلاق فما أراد من أعلانه. وإن نوى واحدة فهي رجعية. وهو قول الشافعي رضي الله عنه. وروى مثله عن أبي بكر ومروان بن الحكم من الصحابة والتابعين.

وسادس عشرها — إن نوى ثلاثا فثلاثا، وإن واحدة فواحدة. وإن نوى بينا فهي بين. وإن لم ينو شيئا فلا شيء عليه. وهو قول سفيان. وبمثله قال الاوزاعي وأبو ثور؛ إلا أنهم قالوا: إن لم ينو شيئا فهي واحدة.

وسابع عشرها — له يَتَّخِذُ ولا يكون أقل من واحدة؛ قاله ابن شهاب. وإن لم ينو شيئا لم يكن شيء؛ قاله ابن العربي. ورأيت لسعيد بن جبير وهو:

الثامن عشر — أن عليه يَتَّقِ رَقَبَةً وإن لم يجعلها ظاهرا. ولست أعلم لها وجها ولا يبعد في المقالات عندي.

قلت: قد ذكره التارُقُطْنِي في سننه عن ابن عباس فقال: حدثنا الحسين بن اسماعيل قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا رَوْح قال: حدثنا سفيان الثوري عن سالم الأنطس

(١) في بعض الأصول: «محمد بن الحكم». (٢) في ابن العربي: «ولا يتعد»

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: أتى جلت أسراقي ملي حراماً. فقال: كذبت! ليست عليك بحرام؛ ثم تلا «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ» عليك أظن الكفارات: عتق رقبة. وقد قال جماعة من أهل التفسير: إنه لما نزلت هذه الآية كفر عن بينه بتق رقبة، وعاد إلى مارية صلى الله عليه وسلم؛ قاله زيد بن أسلم وغيره.

الخامسة - قال علماءنا: سبب الاختلاف في هذا الباب أنه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نص ولا ظاهر صحيح يعتمد عليه في هذه المسألة، فتباينها العلماء لذلك. فمن تمسك بالبراءة الأصلية فقال: لا حكم، فلا يلزم بها شيء. وأما من قال إنها يمين؛ فقال: سماها الله يميناً. وأما من قال: يجب فيها كفارة وليس يمين؛ فبناه على أحد أمرين: أحدهما - أنه ظن أن الله تعالى أوجب الكفارة فيها وإن لم تكن يميناً. والثاني - أن معنى اليمين عنده التحريم؛ فوقعت الكفارة على المعنى. وأما من قال: إنها طلقة رجعية؛ فإنه حمل اللفظ على أقل وجوهه، والرجعية محرمة الوطء. وكذلك وجه من قال: إنها ثلاث؛ فحمله على أكبر معناه وهو الطلاق الثلاث. وأما من قال: إنه ظهار؛ فلأنه أقل درجات التحريم؛ فإنه تحريم لا يرفع النكاح. وأما من قال: إنه طلقة بائنة؛ فقول على أن الطلاق الرجعي لا يحزم المطلقة، وأن الطلاق البائن يحزمها. وأما قول يحيى بن عمر فإنه احتاط بأن جعله طلاقاً؛ فلما ارجعها احتاط بأن يلزمه الكفارة. ابن العربي: «وهذا لا يصح؛ لأنه جمع بين المتضادين؛ فإنه لا يجمع ظهار وطلاق في معنى لفظ واحد، فلا وجه للاحتياط فيها لا يصح اجتماعه في الدليل. وأما من قال: إنه يئوى في التي لم يدخل بها؛ فلأن الواحد سُمِّيَها وعزمها شرماً إجماعاً. وكذلك قال من لم يحكم باختيار يمينه: إن الواحدة تكفي قبل السنول في التحريم بالإجماع؛ فيكفي أخذاً بالأقل المتفق عليه. وأما من قال: إنه ثلاث فيهما؛ فلأنه أخذ بالحكم الأعظم؛ فإنه لو صرح بالثلاث لغضت في التي لم يدخل بها

(١) في ابن العربي: «ولم تكن».

توقفا في التي دخل بها . ومن الواجب أن يكون المعنى مثله وهو التحريم . . والله أعلم .  
وهذا كله في الزوجة . وأما في الأمة فلا يلزم فيها شيء من ذلك ؛ إلا أن ينوى به العتق  
عند مالك . ونذهب عامة العلماء إلى أن عليه كفارة يمين . ابن العربي : « والصحيح أنها  
طلقة واحدة ؛ لأنه لو ذكر الطلاق لكان أقفه وهو الواحدة إلا أن يثبته . كذلك إذا ذكر  
التحريم يكون أقفه إلا أن يقبده بالكثر ؛ مثل أن يقول : أنت علي حرام إلا بعد زوج ؛  
فهذا نص على المراد .

قلت : أكثر المفسرين على أن الآية نزلت في حفصة لما خلا النبي صلى الله عليه وسلم  
في بيتها بجاريته ؛ ذكره الثعلبي . وعلى هذا فكأنه قال : لا يحرم عليك ما حرمت على نفسك  
ولكن عليك كفارة يمين ؛ وإن كان في تحريم العسل والجارية أيضا . فكأنه قال : لم يحرم  
عليك ما حرمت ، ولكن حتمت إلى التحريم يميناً فكفر عن اليمين ، وهذا صحيح ؛ فإن النبي صلى الله  
عليه وسلم حرم ثم حلف ؛ كما ذكره الدارقطني . وذكر البخاري معناه في قصة العسل عن عبيد  
ابن عمير عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عند زبيل بنت جحش  
عسلاً ويمكث عندها ، فوطأته أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فنقل : أكلت متاعير ؟ إلى  
لأجد منك ريح متاعير ! قال : « لا ولكن شربت عسلاً ولن أعود له وقد حلفت لا تخبري  
[ بذلك ] أحداً » . يعني مرضات أزواجه . فيمنى بقوله : « لن أعود له » على جهة  
التحريم . وبقوله : « حلفت » أي بالله ؛ بدليل أن الله تعالى أنزل عليه عند ذلك معاجته على  
ذلك ، وحوالته على كثرة اليمين بقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ » يعني  
العسل المحرم بقوله : « لن أعود له » . ( تَجَنَّبِي مَرَضَاتِ أَزْوَاجِكَ ) أي تفعل ذلك طلباً  
لرضاهن . ( وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) غفور لما أوجب المعاتبة ، رحيم برفع المؤاخفة ، وقد قيل :  
إن ذلك كان ذنباً من الصفات ، والصحيح أنه معاتبة على ترك الأولى ، وأنه لم تكن له  
صغيرة ولا كبيرة .

قوله تعالى : قَدْ قَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِيَّةً أَيْمَنُكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ

الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( قَدْ قَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِيَّةً أَيْمَنُكُمْ ) تحيل اليمين كفارتها . أي إذا أحببت استباحة الحلو ف عليه ؛ وهو قوله تعالى في سورة « المائدة » : فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ <sup>(١)</sup> . ويحصل من هذا أن من حرم شيئا من المأكول والمشروب لم يحرم عليه عندنا ؛ لأن الكفارة لليمين لا للتحريم على ما بيناه . وأبو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ، ويعتبر الاستنفاع المقصود فبا يحزمه ، فإذا حرم طعاما فقد حلف على أكله ، أو أمة فعلی وطنها ، أو زوجة فعلی الإيلاء منها إذا لم يكن له نية ، وإن نوى الظهار فظهار ، وإن نوى الطلاق فطلاق بائن . وكذلك إن نوى تثنين أو ثلاثا . وإن قال : نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى . ولا يدين في القضاء بإبطال الإيلاء . وإن قال : كل حلال عليه حرام ؛ فعل الطعام والشراب إذا لم ينبو ؛ وإلا فعل ما نوى . ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة [ في النساء <sup>(٢)</sup> ] وحدهن . وإن نوى الطلاق فهو روجي عنده ؛ على ما تقدم بيانه . فإن حلف ألا يأكله حيث ويبرر بالكفارة .

الثانية - فإن حرم أمته أو زوجته فكفارة يمين ؛ كما في صحيح مسلم عن ابن عباس قال : إذا حرم الرجل عليه امرأته ؛ فهي يمين يكفرها . وقال : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .

الثالثة - قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه . وعن الحسن : لم يكفر ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؛ وكفارة اليمين في هذه السورة إنما أمر بها الأئمة . والأقول أصح ، وأن المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم إن الأمة تعتدي به في ذلك . وقد قدمنا من زيد بن أسلم أنه عليه السلام كفر بتقريب رقية  
وعن مقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقية في تحريم مارية . والله أعلم . وقيل :  
أى قد فرض الله لكم تحليل ملك اليمين ؛ فبين في قوله تعالى : « مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ  
فِيَا قَوْمُ اللَّهِ لَهُ » أى فيما شرعه له في النساء المحلات . أى حلل لكم ملك الأيمان ، فلم تحرم  
مارية على نفسك مع تحليل الله إياها لك . وقيل : تحلية اليمين الاستثناء ؛ أى فرض الله  
لكم الاستثناء المخرج عن اليمين . ثم عند قوم يجوز الاستثناء من الأيمان متى شاء وإن تحلل  
مئة . وعند المصنف لا يجوز إلا متصلا ؛ فكانه قال : استثن بسد هذا فيما تحلف عليه .  
وتحلية اليمين تحليتها بالكفارة ؛ والأصل تحللة ؛ فادغمت . وتضمنت من مصادره قول ؛ كالقسمة  
والترسية . فالتحلية تحليل اليمين . فكان اليمين عقد والكفارة حل . وقيل : التحلة الكفارة ؛  
أى إنها محل للمال على ما حرم على نفسه ؛ أى إذا كفر صار كمن لم يحلف . ( والله مولانا )  
ولكم وناصركم بإزالة الخطر فيما تحزمون على أنفسكم ، و بالتريخيس لكم في تحليل إيمانكم  
بالكفارة ، وبالواب على ما تخرجونه في الكفارة .

قوله تعالى : وَإِذْ أَمَرُ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا  
نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا  
نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَايَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى : ( وَإِذْ أَمَرُ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ) أى واذكر إذ أمر النبي  
إلى حفصة « حديثا » يعنى تحريم مارية على نفسه واستكामه إياها ذلك . وقال الكلبي :  
أمر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتي على أمتي من بعدى ؛ وقاله ابن عباس .  
قال : أمر امر الخليفة بعده إلى حفصة فذكرته حفصة . روى الدارقطني في سننه  
عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى : « وَإِذْ أَمَرُ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ

أنزله حديثاً قال : أكلت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم مع أم إبراهيم فقال :  
 « لا تخبري عائشة » وقال لما « إن أباك وإبها سيملكان أو سيكبان بدي فلا تخبري عائشة »  
 قال : فاطلقت حفصة فأكبرت عائشة فأظهره الله عليه ، فنزف بعضه وأعرض عن بعض .  
 قال أعرض عن قوله : « إن أباك وإبها يكونان بدي » . كره رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أن يشر ذلك في الناس . ( قلنا نبأت به ) أي أخبرت به عائشة لمصافاة كانت بينهما ،  
 وكانتا متظاهرين على نساء النبي صلى الله عليه وسلم . ( وأظهره الله عليه ) أي أطلعه الله  
 على أنها قد نبأت به . وقرأ طلحة بن مصرف « فلما أنبأت » وهما لقتان : أنبا ونبا . ومعنى  
 « عَرَفَ بعضه وأعرض عن بعض » عَرَفَ حفصة بعض ما أوصى إليه من أنها أخبرت  
 عائشة بما نهاها عن أن تخبرها ، وأعرض عن بعض تكريمها ، قاله السدي . وقال الحسن :  
 ما استقصى كريم قط ، قال الله تعالى « عَرَفَ بعضه وأعرض عن بعض » . وقال مقاتل :  
 يعني أخبرها ببعض ما قالت لعائشة ، وهو حديث أم ولده . ولم يخبرها ببعض وهو قول  
 حفصة لعائشة : إن أبابكر وعمر سيملكان بعده . وقراءة العامة « عَرَفَ » مشدداً ، ومعناه  
 ما ذكرناه . واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ، يدل عليه قوله تعالى : « وأعرض عن بعض »  
 أي لم يعترفوا إياه . ولو كانت مخفية لقال في ضده وأنكر بعضاً . وقرأ عليّ وطلحة بن مصرف  
 وأبو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة والكلبي والكسائي والأعمش عن أبي بكر « عَرَفَ »  
 مخففة . قال عطاء : كان أبو عبد الرحمن السلمي إذا قرأ عليه الرجل « عَرَفَ » مشددة خصبه  
 بالمجارة . قال الفراء : وتأويل قوله عز وجل : « عَرَفَ بعضه » بالتخفيف ، أي غضب  
 فيه وجازى عليه ، وهو كقولك لمن أساء إليك : لأعرفنك لك ما فعلت ، أي لأجازيتك عليه .  
 وجازاها النبي صلى الله عليه وسلم بأن طلقها طليقة واحدة . فقال عمر : لو كان في آل الخطاب  
 خير لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك . فأمره جبريل بمراجعتها وشفع فيها .  
 واعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه شهراً ، وقعد في مشربة مارية أم إبراهيم حتى نزلت  
 آية التحريم على ما تقدم . وقيل : هم بطلاقها حتى قال له جبريل : « لا تطلقها فأنها صؤامة

قراءة وإنما من نساءك في الجنة " فلم يطلقها . ( فَلَمَّا نَبَاَهَا بِهِ ) أى أخبر حفصة بما أظهره الله عليه . ( قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ) يا رسول الله عنى . فظننت إن عائشة أخبرته ؛ فقال عليه السلام : ( نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ) أى الذى لا يخفى عليه شئ . و « هذا » سد مسد مفعول « أنبأ » . و « نبأ » الأول تعالى إلى مفعول ، و « نبأ » الثانى تعالى إلى مفعول واحد ؛ لأن نبأ وأنبا إذا لم يدخل على المبتدأ والخبر جاز أن يكفى فيهما بمفعول واحد ومفعولين ، فإذا دخل على الابتداء والخبر تعالى كل واحد منهما إلى ثلاثة مفعولين . ولم يميز الاقتصار على الاثنين دون الثالث ؛ لأن الثالث هو خبر للمبتدأ في الأصل فلا يقتصر دونه ، كما لا يقتصر على المبتدأ دون الخبر .

قوله تعالى : **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ①**

قوله تعالى : ( **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ** ) يعنى حفصة وعائشة . حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل إلى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ( **فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ) أى زاحقت ومالت عن الحق . وهو أنهما أحجتا ما كرهه النبي صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل ، وكان عليه السلام يحب العسل والنساء . قال ابن زيد : مالت فلوهبما بأن سرهما أن يحتسب من أم ولده ، فسرهما ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : فقد مالت قلوبكما إلى التوبة . وقال : « **فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** » ولم يقل : فقد صغى قلبكما ؛ ومن شأن السرب إذا ذكروا الشيئين من اثنين جمعوهما ؛ لأنه لا يُشْكَل . وقد مضى هذا المعنى في « **المائدة** » في قوله تعالى : « **فَأَقْطَعُوا آلِيهِمَا** » . وقيل : كلما ثبتت الإضافة فيه مع التثنية تلفظ بالجمع اليق به ؛ لأنه أمكن وأخف . وليس قوله : « **فَقَدْ صَغَتْ** »

قلوبكم ، جزاء للشرط ؛ لأن هذا الصَّغُور كان سابقاً ، بغواب الشرط محذوف العلم به . أى إن تنوياً كان خيراً لكم ؛ إذ قد صفت قلوبكم .

قوله تعالى : ( وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ) أى تظاهرا وتماونا على النبي صلى الله عليه وسلم بالمعصية والإيذاء . وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال : مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية ، لما أستطيع أن أسأله هبة له ، حتى خرج حاجباً فخرجت معه ، فلما رجع فكان ببعض الطريق مدك إلى الأراك لحاجة له ، فوفقت حتى فرغ ، ثم سرت معه فقلت : يا أمير المؤمنين ، من اللذان تظاهرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه ؟ فقال : تلك حفصة وعائشة . قال فقلت له : والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة لما أستطيع هبة لك . قال : فلا تفضل ؛ ما ظننت أن عندى من علم فسألني عنه ، فإن كنت أعلمه أخبرتك ... وذكر الحديث . ( فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ) أى وليه وناصره ؛ فلا يضره ذلك التظاهر منهما . ( وَجَعِلَ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ) قال عكرمة وسعيد بن جبير : أبو بكر وعمر ؛ لأنهما أبوا عائشة وحفصة ، وقد كانا عونا له عليهما . وقيل : صالح المؤمنين على الله عنه . وقيل : خيار المؤمنين . وصالح : اسم جلس كقوله تعالى : « وَالنَّصِيرُ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَرِيحٌ خُسِيرٌ » ؛ قاله الطبري . وقيل : « صالح المؤمنين » هم الأنبياء ؛ قاله الملا بن زيادة وثلاثة وسفيان . وقال ابن زيد : هم الملائكة . المدي : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل : « صالح المؤمنين » ليس لفظ الواحد وإنما هو صالحو المؤمنين ؛ فأضاف الصالحين إلى المؤمنين ، وكتب بغير واو على اللفظ لأن لفظ الواحد والجمع واحد فيه . كما جاءت أشياء في المصحف متتوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط . وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لما اعتزل نبي الله صلى الله عليه وسلم نساءه قال دخلت المسجد فإذا الناس يَنُكُونُ<sup>(١)</sup> بالحصى ويقولون : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه — وذلك قبل أن يؤمرن بالجماع — فقال عمر :

(١) أى يثربون به الأرض ؛ كفعل المهمم الفكر .

فقلت لأعقاب ذلك اليوم، قال فدخلتُ على عائشة فقلت : يا بنة أبي بكر، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقالت : مالي ومالك يا بن الخطاب ! عليك عيبك !<sup>(١)</sup> قال فدخلتُ على حفصة بنت عمر فقلت لها : يا حفصة ، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ! والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجيبك ، ولو لا أنا لطلقت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبككت أشد البكاء، فقلت لها : أين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : هو في خزانته في المشربة . فدخلت فإذا أنا برباح فلاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً على أسكفة المشربة مثل رجله على قعر من خشب ، وهو جذع يرق عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغصده . فناديت : ياربح ، استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إلى فلم يزل شيئاً . ثم قلت : يا رباح ، استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إلى فلم يزل شيئاً . ثم رفعت صوتي فقلت : يا رباح ، استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإني أظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غلق أني جئت من أجل حفصة ، والله لئن أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقها لأضربن عنقها ، ورفعت صوتي فأومأ إلى أن أركه ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على حصير ، فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره ، وإذا الحصير قد أترق جنبه ، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أنا قبضة من شعير نحو الصاع ، ويثليها قرظاً في ناحية الغرفة ، وإذا أفيق معاقى<sup>(٢)</sup> . قال - فابتدرت حينئذ - قال : «ما يبكيك يا بن الخطاب» ؟ قلت : يا نبي الله ، ومالي لا إبي وهذا الحصير قد أترق جنبك ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذلك قصير وكسرى في الثمار والأنهار وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) أى عليك بوعظ ذلك حفصة . والحية : وداء يجعل الإنسان فيه أفضل نياه ويغير مائة ، فثبت أوجهها .

(٢) الأسكفة : الحبة . (٣) الأفيق : هو الجمل الذي لم يتم دبله .

وصَفُوهُ ، وَهَذِهِ خِرَاتُكَ اِذْ قَالَ : <sup>(١)</sup> يَا بَنِي الْخَطَابِ اَلَا تَرْضَى اَنْ تَكُوْنَ لَنَا اَخْرَجَ وَلَمْ  
الدُّنْيَا " قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ وَاَنَا اَرَى فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ ، قُلْتُ :  
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ ؟ اِنْ كُنْتُ طَلَقْتُهُنَّ فَاِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتُهُ  
وَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، وَاَنَا وَاَبُو بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ . وَقَلْبًا تَكَلَّمْتُ - وَاحْتَدَّ اللَّهُ - بِكَلَامِ  
اِلَّا رَجَعْتُ اَنْ يَكُوْنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُصَلِّقُ قَوْلِي [الَّذِي اَقُولُ] وَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ التَّخْيِيرِ :  
« عَسَى رَبِّي اِنْ طَلَقْتُكَ اَنْ يُسَلِّطَ اَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ » . « وَ اِنْ تَطَاهَرَا عَلَيْهِ فَاِنَّ اللَّهَ هُوَ  
مَوْلَا وَجِبْرِيلَ وَمِائِيحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَسْطَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ » . وَكَانَتْ حَاشِيَةُ بَنِي بَكْرٍ  
وَحَفْصَةُ تَطَاهَرَانِ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،  
اُطْلِقْتُهُنَّ ؟ قَالَ : « لَا » . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اِنِّي دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمَسْلُومُونَ يَنْكُتُونَ  
بِالْحَصَى يَقُولُونَ : طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ اِنَّا نَزَلْنَا فَخَابَهُمْ اَنْتَ لَمْ تَطْلُقْتَهُنَّ ؟  
قَالَ : « نَعَمْ اِنْ شِئْتُ » . فَلَمْ اَزَلْ اُحْدِثُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِهِ ، وَحَتَّى كَثُرَ فَضْلُكَ ،  
وَكَانَ مِنْ احْسَنِ النَّاسِ تَقَرُّرًا . ثُمَّ نَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَزَلَّتْ ؛ قُلْتُ اَنْتَ شِئْتُ  
بِالْجُلُوعِ ، وَتَزَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَاَنَّمَا يَمْشِي عَلَى الْاَرْضِ مَا يَمْسُهُ بِيَدِهِ . قُلْتُ :  
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اِنَّمَا كُنْتُ فِي الْفَرَقَةِ ثَمَانًا وَعَشْرِينَ . قَالَ : « اِنْ الشَّهْرَ يَكُوْنَ ثَمَانًا وَعَشْرِينَ »  
فَقَعْتُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَنَادَيْتُ بِاعْلِ صَوْتِي : لَمْ يَطْلُقْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ .  
وَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ : « وَاِذَا جَاءَهُمْ اَمْرٌ مِنَ الْاَمْنِ اَوْ الْخَوْفِ اَدْعَاوُهُ وَلَوْ رَدُّوهُ اِلَى الرَّسُولِ  
وَإِلَى اُولَى الْاَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهِ الْاَمْرُ يَسْتَنْطِظُ مِنْهُمْ » . فَكُنْتُ اَنَا اسْتَنْطِظْتُ ذَلِكَ الْاَمْرَ ؛  
وَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّخْيِيرِ .

قوله تعالى : ( وَجِبْرِيلُ ) فيه لغات تقدمت في سورة « البقرة » . ويحوز ان يكون  
معطوفا على « مولاه » والمعنى : الله وَلِيُّهُ وَجِبْرِيلُ وَلِيُّهُ ؛ فلا يوقف على « مولاه » ويوقف على  
« جبريل » ويكون « وصالح المؤمنين » مبتدأ « والملائكة » معطوفاً عليه . و« ظهير » خبر ؛

(١) زيادة عن صحيح مسلم . (٢) أى ابدى أسأته تجا . (٣) راجع ج ٢ ص ٢٧ .

وهو بمعنى الجمع . وصالح المؤمنين أبو بكر ، قاله السيِّب بن شريك . وقال سعيد بن جبير : عمر . وقال عكرمة : أبو بكر وعمر . وروى شقيق عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى : « فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ » قال : إن صالح المؤمنين أبو بكر وعمر . وقيل : هو علي . عن أسماء بنت عميس قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وصالح المؤمنين » علي بن أبي طالب . وقيل غير هذا مما تقدم القول فيه . ويموز أن يكون « وجبريل » مبتدأ وما بعده مطلقا عليه . والخبر « ظهير » وهو بمعنى الجمع أيضا . فيوقف على هذا صل « مولا » . ويموز أن يكون « جبريل » وصالح المؤمنين « مطلقا على « مولا » فيوقف على « المؤمنين » ويكون « والملائكة » بعد ذلك ظهير . ابتداء وخبرا . ومعنى « ظهير » أعوان . وهو بمعنى ظهوره ؛ كقوله تعالى : « وَحَسِّنْ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا » . وقال أبو علي : قد جاء فعيل للكثرة كقوله تعالى : « وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا . يُبَصِّرُونَهُمْ » . وقيل : كان التظاهر منهما في التحكُّم على النبي صلى الله عليه وسلم في الثقة ، ولهذا آلى منتهى شهرا وأعتزلن . وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا يباه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبي بكر فدخل ، ثم أتبع عمر فأستأذن فأذن له ، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نسائه وأجما ساكنا . قال — فقال لأتوكل شيئا أصنعك النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : يا رسول الله ، لو رأيت بنتَ خازية سألني الثقة ففعلتُ إليها فوجأتُ مَنُها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « هُنَّ حَوَالِي كَأَنِّي يَسْأَلُنِي الثَّقَفَةُ » . فقام أبو بكر إلى عائشة يمينا عنقها ، وقام عمر إلى حفصة يمينا عنقها ، كلاهما يقول : سَأَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ ! فَقُلْتُ : وَلَهُ لَا أَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ . ثم اعتزلن شهرا أو تسعا وعشرين . ثم زلت عليه هذه الآية : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَظْهَرَ وَاجِبًا — حَتَّى يُلَاحَظَ — لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا » الحديث . وقد ذكرناه في سورة « الأحزاب » .

قوله تعالى : عَمَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا  
مِمَّنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ تَكْبُرْنَ عِدَّتِ سَبِّحَتِ ثِيَابُكِ  
وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

قوله تعالى : ( عَمَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ ) قد تقدم في الصحيح أن هذه الآية نزلت  
على لسان عمر رضي الله عنه . ثم قيل : كل « عَمَى » في القرآن واجب ، إلا هذا . وقيل :  
هو واجب ولكن الله عز وجل طقه بشرط وهو الطلق ولم يطلقه . ( أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا  
خَيْرًا مِنْكَ ) لأنك لو كنت خيراً ممن ما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال معناه  
السدي . وقيل : هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، لو طلقهن في الدنيا  
أن يزوجه في الدنيا نساء خيراً ممن ، وقرئ « أَنْ يُبْدِلَهُ » بالتشديد والتخفيف . والتبديل  
والإبدال بمعنى ، كالتزويل والإزال . والله كان عالماً بأنه كان لا يطلقهن ، ولكن أخبر عن  
قدرته ، على أنه إن طلقهن أبده خيراً ممن تخويفاً لمن . وهو كقوله تعالى : « وَلَئِنْ  
تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ » . وهو إخبار عن القدرة وتخويف لمسلم ، لا أن في الوجود  
من هو خير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قوله تعالى : ( مُسْلِمَاتٍ ) يعني محصنات ، قاله سعيد بن جبير . وليل : معناه  
مسلمات لأمر الله تعالى وأمر رسوله . ( مُؤْمِنَاتٍ ) مصدقات بما أمرن به وثقين عنه .  
( قَنَاطَاتٍ ) مطبات . والقنوت : الطامة . وقد تقدم . ( ثِيَابُكِ ) أي من ثوبيهن ؛  
قاله السدي . وقيل : راجعت إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركات لحجاب أنفسهن .  
( عِدَّتِ ) أي كبريات العبادة لله تعالى . وقال ابن عباس : كل عبادة في القرآن فهو  
التوحيد . ( سَابَّحَاتٍ ) صائعات ؛ قاله ابن عباس والحسن وابن جبير . وقال زيد بن أسلم  
وابنه عبد الرحمن ويحسان : مهاجرات . قال زيد : وليس في أمة عهد صلى الله عليه وسلم

(١) راجع ص ١٩١ من هذا الجزء . (٢) آت سورة محمد .

(٣) راجع ص ٢٣٦ و ٢١٣ .

سباحة إلا الهجرة . والسباحة الجولات في الأرض . وقال الفراء والتبني وفيهما :  
 سُمِّي الصائم سائحاً لأن السائح لا زاد معه ، وإنما يأكل من حيث يحسد الطعام . وقيل :  
 فاهبات في طاعة الله عز وجل ، من ساح للماء إذا ذهب . وقد مضى في سورة « براءة »  
 والحمد لله . ( نِيَّاتٌ وَأَبْكَارٌ ) أي منهن نِيَّاتٌ ومنهن بَكْرٌ . وقيل : إنما سُمِّيَت النِّيْبُ نِيَّاتٌ  
 لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام معها ، أو إلى غيره إن فارقها . وقيل : لأنها ثابت إلى بيت  
 أبيها . وهذا أصح ؛ لأنه ليس كل نِيْب يعود إلى زوج . وأما الْبَكْرُ فهي العذراء ؛ سُمِّيَت  
 بِكْرًا لأنها على أول حالتها التي خُفَّت بها . وقال الكلبي : أراد بالنَّيْب مثل أسية امرأة  
 فرعون ، وبالبكر مثل مريم بنت عمران .

قلت : وهذا إنما يمشى على قول من قال : إن التبديل وعد من الله لنبيه لو طلقهن  
 في الدنيا زوجه في الآخرة خيراً منهن . والله أعلم .

قوله تعالى : يَتَأَيَّبَ الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا  
 وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ  
 مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١﴾

فيه مسألة واحدة — وهي الأمر بوقاية الإنسان نفسه وأهله النار ، قال الضحاك :  
 معناه قُوا أَنْفُسَكُمْ ، وأهْلَكُمْ فَلْيَقُوا أَنْفُسَهُمْ نَارًا ، وروى عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس :  
 قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلَكُمْ بِالذِّكْرِ والدعاء حتى يَقِيمَ الله بكم . وقال علي رضي الله عنه  
 وقادة وجماعة : قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلَكُمْ بِالصَّالِحِ . ابن العربي : وهو الصحيح ،  
 والفقهاء الذين يعطيه المطف الذي يقتضي التشريك بين المطفوف والمطفوف عليه في معنى  
 الفعل ؛ كقوله : عَقَّتْهَا نَيْتًا وَمَاءً بَارِدًا .

(١) راجع ج ٨ ص ٢٦٩ . (٢) راجع شور لم يعرف قاته . وقامه .

• حتى شئت عالة مينا •

راجع كتاب الإنصاف وشرح الشواهد . وج ٦ ص ٩٥ من هذا الكتاب .

وكلموه :

ورأيتُ زَوْجَكَ في النَّحَى • متعلِّقًا سَيْفًا وَرُمْحًا

فصل الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله إصلاح الراعي للروية . فحق صحيح الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئول عن رعيته فالإمام الذي على الناس راعٍ وهو مسئول عنهم والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عنهم " . وعن هذا مبرّ الحسن في هذه الآية [ بقوله : ] يأمرهم وينهاهم . وقال بعض العلماء : لما قال « قُوا أَنْفُسَكُمْ » دخل فيه الأولاد ؛ لأن الولد بعض منه . كما دخل في قوله تعالى : « وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ » فلم يُفَرِّدُوا باللهُ كإفراد سائر القربان . فعمله الحلال والحرام، ويعتبه المعاصي والآثام، إلى غير ذلك من الأحكام . وقال عليه السلام : " حقُّ الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويسلمه الكتابة ويؤزجه إذا بلغ " . وقال عليه السلام : " ما تحلُّ والدٌ ولفداً أفضل من أدب حسن " . وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم " مُرُوا أبناءكم بالصلاة لسبح وأضربوهم عليها لعشر وغفوا عنهم في المضاجع " . خرجه جماعة من أهل الحديث . وهذا لفظ أبي داود . وخرج أيضاً عن سُمرة بن جندب قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : " مُرُوا الصَّبِيَّ بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها " . وكذلك ينبر أهله بوقت الصلاة ووجوب العيام ووجوب الفطر إذا وجب ، مستندين في ذلك إلى رؤية الهلال . وقد روى مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوتر يقول : " قومي فأوترى يا عائشة " . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " رحم الله امرأةً قام من الليل فصلى فأيقظ أهلها فإن لم يتم ركنٌ وجهها بالماء . رحم الله امرأةً قامت من الليل فصلى وأيقظت زوجها فإذا لم يتم ركنٌ على وجهه من الماء " . ومثله قوله صلى الله عليه وسلم : " أيقظوا صواحب الحجرات " . ويدخل هذا في عموم قوله تعالى : « وَتَحَاتُّوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَى » . وذكر الشنبري أن عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية : يا رسول

الله، بقي أنفسنا، فكيف لنا بأهلينا ؟ قال: "تهنئتهم عما أتاهم الله وأمرهم بما أمر الله".  
وقال مقاتل : ذلك حق عليه في نفسه وولده وأهله وعبيده وإمائه . قال الكيا : فليتنا تعليم  
أولادنا وأهلنا الذين وألهم، وما لا يستغنى عنه من الأدب . وهو قوله تعالى : « وَأَمْرُ أَهْلِكَ  
بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا » . ونحو قوله تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم : « وَأَنْتَ عَشِيرَتَكَ  
الْأَقْرَبِينَ » . وفي الحديث : "مُرُّهُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبَجٍ" . (وَقَوْلُهَا النَّاسُ وَالْجَاهُ) هتلم  
في سورة « البقرة » القول فيه . (عَلَيْهَا مَلَائِكَةُ غِلَاطٍ شِدَادٌ) بنى الملائكة الزبانية غِلَاط  
الغلوب لا يرجون إذا اسْتَرْجَوْا ، خُفُوا من الغضب ، وَحُبَّ إِلَهُم مَذَابِ الْخَلْقِ كَمَا حُبَّ  
لِنَبِيِّ آدَمَ أَكَلَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ . (شِدَادٌ) أى شداد الأبدان . وقيل : غِلَاطُ الْأَقْوَالِ شِدَادُ  
الْأَقْوَالِ . وقيل : غِلَاطٌ فى أَخْذِهِمْ أَهْلَ النَّارِ شِدَادٌ عَلَيْهِمْ . يقال : فلان شديد على فلان ؛  
أى قوياً عليه يستدبه بأنواع العذاب . وقيل : أراد الغِلَاطُ خِثَامَةَ أَجْسَامِهِمْ ، وَالشَّدَّةُ  
الْقُوَّةُ . قال ابن عباس : ما بين مَنَكَبَيْ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ مَسِيرَةُ سِتَّةَ ، وَقُوَّةُ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ أَنْ  
يَضْرِبَ بِالْقَضْعِ فَيَنْفَعُ بِتِلْكَ الضَّرْبَةِ سَبْعِينَ أَلْفَ إِنْسَانٍ فى قَمَرِ جَهَنَّمَ . وذكر ابن وهب قال :  
وحدثنا عبد الرحمن بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نَزْوَةِ جَهَنَّمَ : " ما بين  
مَنَكَبَيْ أَحَدِهِمْ كَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ " .

قوله تعالى : (لَا يَصْنَعُونَ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ) أى لا يخالفونه فى أمره من زيادة أو نقصان .  
(وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) أى فى وقته ، فلا يؤخروه ولا يقدمونه . وقيل أى لستم فى امتثال  
أمر الله ، كما أن سرور أهل الجنة فى الكون فى الجنة ؛ ذكره بعض المعتزلة . وعنهم أنه  
يستعجل التكليف غدا . ولا يخفى متقد أهل الحق فى أن الله يكلف العبد اليوم وغدا ،  
ولا ينكر التكليف فى حق الملائكة . والله أن يفعل ما يشاء .

(١) آية ١٣٢ سورة . راجع ١١ ص ٢٦٢ (٢) آية ٢١٤ سورة الشعراء . راجع ١٣ ص ١٤٢

(٣) راجع ١ ص ٢٢٥

قوله تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُخْزَوْنَ**

**مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴿٧﴾

قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ)** فإن منكم لا ينفع . وهذا النبي لتحقيق اليأس . **(إِنَّمَا تُخْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)** في الدنيا . وظاهره « فيَوْمِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْلَمَتَهُمْ وَلَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ » . وقد هتلم .

قوله تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكَ أَن يُكَفِّرَ عَنْكَ سَيِّئَاتِكَ وَيُدْخِلَكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴿٨﴾

قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا)** فيه مسائلان :

الأولى - قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ)** أمر بالتوبة ، وهي فرض على الأعيان في كل الأحوال وكل الأزمان . وقد هتلم بيانها والقول فيها في « النساء » وغيرها . **(تَوْبَةً نَصُوحًا)** اخلفت عبارة العلماء وأرباب القلوب في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولاً ؛ فقيل : هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللب إلى الضرع . وروى عن عمر وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم . ورفعه معاذ إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وقال قتادة : النصوح الصادقة الناجحة . وقيل الناجحة ؛ يقال : نصح أي أخلص له القول . وقال الحسن : النصوح أن يفيض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره . وقيل : هي التي لا يثق بقبولها ويكون على جبل منها . وقيل : هي التي لا يحتاج

مهما إلى توبة . وقال الكلبي : التوبة النصوح التمس بالقلب ، والاستغفار باللسان ، والإقلاع عن الذنب ، والإطمان على أنه لا يسود . وقال سعيد بن جبير : هي التوبة المقبولة ، ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاثة شروط : خوف ألا تقبل ، ورجاء أن تقبل ، وإيمان بالطاعات . وقال سعيد بن المسيب : توبة تنصحو بها أنفسكم . وقال القرظي : ييمها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان ، والإقلاع بالأبدان ، وإحسان ترك السيئات بالحنان ، ومهاجرة سيئات الخلق . وقال سفيان الثوري : علامة التوبة النصوح أربعة : القلة والعلة والذلة والنزلة . وقال الفضيل بن عياض : هو أن يكون الذنب بين عيبيه ، فلا يزال كأنه ينظر إليه . ونحوه عن ابن السكك : أن تنسب الذنب الذي أظلمت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمخاطبك . وقال أبو بكر الورزاق : هو أن تضيق عليك الأرض بما رحبت ، وتضيق عليك نفسك ؛ كالثلاثة الذين خففوا <sup>(١)</sup> . وقال أبو بكر الخراساني : هي توبة لا تفقد عوض ؛ لأن من أذنب في الدنيا لرعاية نفسه ثم تاب طلباً لرعايتها في الآخرة ؛ فتوبته على حفظ نفسه لا لله . وقال أبو بكر الدقاق المصري : التوبة النصوح هي رد المظالم ، واستحلال الخسوم ، وإيمان الطاعات . وقال ربيع : هو أن تكون لله وجهاً بلا قفا ، كما كنت له عند المعصية قفاً بلا وجه . وقال ذو النون : علامة التوبة النصوح ثلاث : قلة الكلام ، وقلة الطعام ، وقلة المنام . وقال شقيق : هو أن يكثر صاحبها لنفسه الملامة ، ولا يملك من الندامة ؛ لينجو من آفات السلامة . وقال مبرئ السقيطي : لا تصلح التوبة النصوح إلا بنصيحة النفس والمؤمنين ؛ لأن من سمح توبته أحب أن يكون الناس مثله . وقال الجندي : التوبة النصوح هو أن ينسى الذنب فلا يذكره أبداً ؛ لأن من سمح توبته صار محباً لله ، ومن أحب الله نسي ما دون الله . وقال ذو الأذنين <sup>(٢)</sup> : هو أن يكون

(١) الثلاثة الذين خففوا هم : كعب بن مالك ، مرادة بن دبيعة العامري ، حلال بن أمية الوائلي . راجع

ج ٨ ص ٢٨٢ من هذا الكتاب ج ٢ ص ٩٠٧ من سيرة ابن هشام طبع أودا .

(٢) ذو الأذنين : لقب أنس بن مالك رضي الله عنه ؛ قال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك . قيل : معناه الخس على حسن الاستماع والوعى . وقيل : إن هذا القول من جملة مزحه سفارات الله وسلاطه عليه .

لصاحبها دفع مسفوح ، وقلب عن المصاحي مجروح . وقال فع الموصلي : علامتها ثلاث : غفلة المعوى ، وكثرة البكاء ، ومكابدة الجوع والظما . وقال سهل بن عبد الله التستري : هي التوبة لأهل السنة والجماعة ؛ لأن المبتدع لا توبة له ؛ بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « حجب الله على كل صاحب بدعة أن يتوب » . وعن حذيفة : بحسب الرجل من الشر أن يتوب من الذنب ثم يعود فيه . وأصل التوبة النصوح من الخلوص ، يقال : هذا فصل تامع إذا خلص من الشئ . وقيل : هي ماخوذة من النصيحة وهي الخياطة . وفي أخذها منها وجهان : أحدهما - لأنها توبة قد أحكت طاعته وأوفقتها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته ويوقهه ، والثاني - لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء الله وألصقته بهم ؛ كما يجمع الخياط الثوب ويصدق بضعه ببعض . وقراءة السامة « نصوحاً » بفتح النون ، على نعت التوبة ؛ مثل امرأة صبور ، أى توبة بالغة في النصوح . وقراء الحسن وخارجه وأبو بكر عن حاتم بالغم ، وتأويله على هذه القراءة : توبة نصح لأنفسكم . وقيل : يجوز أن يكون « نصوحاً » ؛ جمع نصح ، وأن يكون مصدراً ؛ يقال : نصح نصيحة ونصوحاً . وقد يتفق فاعلة ونصول في المصادر نحو الذهب والأحوب . وقال المبرد : أراد توبة ذات نصح ؛ يقال : نصحت نصيحاً ونصيحة ونصوحاً .

الثانية - في الأشياء التي يتأب منها وكيف التوبة منها . قال العلماء : الذنب الذي تكون منه التوبة لا يخلو ؛ إما أن يكون حقاً له أو للآدميين . فإن كان حقاً له كترك صلاة فإن التوبة لا تصح منه حتى ينضم إلى الندم قضاء ما فات منها . وهكذا إن كان ترك صوم أو زنى أو عداوة في الزكاة . وإن كان ذلك قتل نفس يبرح حق فإن يُمكن من القصاص إن كان عليه وكان مطلوباً به . وإن كان قتلًا يوجب الحد فيبذل ظهره للجلد إن كان مطلوباً به . فإن عفى عنه كغناه الندم والعزم على ترك العود بالإخلاص . وكذلك إن عفى عنه في القتل بال فعلية أن يؤديه إن كان واجداً له ؛ قال الله تعالى : « فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَذَاهُ إِلَى إِلَهِهِ بِالْحَسَنِ » . وإن كان ذلك حداً من حدود الله - كأنما ما كان - فإنه

إذا تاب إلى الله تعالى بالتوب الصحيح سقط عنه . وقد نص الله تعالى على سقوط الحد عن المخارجين إذا تابوا قبل القدرة عليهم . وفي ذلك دليل على أنها لا تسقط عنهم إذا تابوا بعد القدرة عليهم ؛ حسب ما تقدم بيانه . وكذلك الشراب والسارق والزناة إذا أصلحوا وتابوا وعُرف ذلك منهم ، ثم رُفِعوا إلى الإمام فلا ينبغي له أن يحكم . وإن رُفِعوا إليه فقالوا : ثبنا ؛ لم يتركوا ، وهم في هذه الحالة كالمخارجين إذا عُفوا . هذا منذهب الشافعي . فإن كان الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة منه إلا برده إلى صاحبه والخروج عنه — عينا كان أو غيره — إن كان قادرا عليه ؛ فإن لم يكن قادرا فالزم أن يؤدبه إذا قدر على العمل وقت وأسرعه . وإن كان آخر بواحد من المسلمين وذلك الواحد لا يشمر به أو لا يدرى من أين أتى ، فإنه يزول فكذلك الضرر عنه ، ثم يسأله أن يشفو عنه ويستغفر له ، فإذا شفا عنه فقد سقط الذنب عنه . وإن أرسل من يسأل ذلك له ، فمما ذلك المظلوم عن ظالمه — صر له بيمينه أو لم يعرفه — فذلك صحيح . وإن أساء رجل إلى رجل بأن فزعه بغير حق ، أو غمه أو لطمه ، أو صفعه بغير حق ، أو ضربه بسوط فألله ؛ ثم جاءه مستغفيا ناديا على ما كان منه ، عازما على ألا يعود ، فلم يزل يتذلل له حتى طابت نفسه فمما عنه ؛ سقط عنه ذلك الذنب . وهكذا إن كان شانه بسم لا حد فيه .

قوله تعالى : ( عَصَى رَبُّكَ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكَ سَيِّئَاتِكَ ) « عصى » من الله واجبة . وهو معنى قوله عليه السلام : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » . و « أن » في موضع ...

قوله تعالى : ( وَيَذِلُّكُمْ ) معطوف على « يكفر » . وقرأ ابن أبي حبة « وَيَذِلُّكُمْ » مجزوما ، عطفا على عمل عصى أن يكفر . كأنه قيل : تُوبُوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار . ( يوم لا يُخْزِي الله النَّبِيَّ ) العامل في « يوم » : « يدخلكم » أو قبل مضمر . ومعنى « يُخْزِي » هنا يعذب ؛ أي لا يعذبه ولا يعذب الذين آمنوا معه .

(نُودُهُمْ يَسْمَى بَيْنَ آلِ إِبْرِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ) قدم في سورة «الحديد» (يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَأَنْفُوسُنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : هذا دعاء المؤمنين حين أطلق الله نور المنافقين ؛ حسب ما تقدم بيانه في سورة « الحديد » .

قوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَرِيسٌ الْمَصِيرُ ①

قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ) فيه مسألة واحدة - وهو التشديد في دين الله . فأمره أن يجاهد الكفار بالسيف والمواقف الحسنة والدعاء إلى الله . والمنافقين بالغلظة وإقامة الحجة ، وأن يحزفهم أحوالهم في الآخرة ، وأنهم لا نور لهم يحوزون به الصراط مع المؤمنين . وقال الحسن : أى جاهدكم بإقامة الحدود عليهم ؛ فإنهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود . وكانت الحدود تمام عليهم . ( وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ) يرجع إلى الصغين . ( وَرِيسٌ الْمَصِيرُ ) أى المرجع .

قوله تعالى : ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِطِينَ ②

ضرب الله تعالى هذا المثل تنبيها على أنه لا ينبغي أحد في الآخرة عن قريب ولا أنسيب إذا فرق بينهما الدين . وكان اسم امرأة نوح والهة ، واسم امرأة لوط والهة ؛ قاله مقاتل . وقال الضحاك من طائفة رضى الله عنها : إن جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن اسم امرأة نوح واهلة واسم امرأة لوط والهة . ( فَخَانَتَاهُمَا ) قال عكرمة

والضحاك : بالكفر . وقال سليمان بن رقية<sup>(١)</sup> عن ابن عباس : كانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون . وكانت امرأة لوط تخبر بأضيافه . ومنه : ما بنت امرأة نوح قط . وهذا إجماع من المفسرين فيما ذكره القشيري . إنما كانت خياتهما في الدين وكانتا مشركتين . وقيل : كانتا منافقتين . وقيل : خياتهما النيمة إذا أوصى [ الله ] إليهما شيئا أفشاه إلى المشركين ؛ قاله الضحاك . وقيل : كانت امرأة لوط إذا نزل به ضيف دخلت لتعلم قومها أنه قد نزل به ضيف ؛ لما كانوا عليه من إيمان الرجال . ﴿ فَلَمْ يَفِيَّا عَنْهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ أى لم يدفع نوح و لوط مع كراتهما على الله تعالى عن زوجتهما — لما عصتا — شيئا من عذاب الله ؛ تنبيهاً بذلك على أن العذاب يُدفع بالطاعة لا بالوسيلة . ويقال : إن كفار مكة استهزئوا وقالوا : إن محمداً صلى الله عليه وسلم يشفع لنا ؛ فبين الله تعالى أن شفاعة لا تنفع كفار مكة وإن كانوا أقرباء ؛ كما لا تنفع شفاعة نوح لأمرأته وشفاعة لوط لامرأته ، مع فرهما لها لكفرهما . وقيل لهما : « ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الْتَائِلِينَ » في الآخرة ؛ كما يقال لكفار مكة وغيرهم . ثم قيل : يجوز أن تكون « امرأة نوح » بدلاً من قوله : « مثلاً » على تقدير حذف المضاف ؛ أى ضرب الله مثلاً مثل امرأة نوح . ويجوز أن يكونا مفعولين .

قوله تعالى : وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ) واسمها آسية بنت مزاحم . قال يحيى بن سلام : قوله « ضرب الله مثلاً للذين كفروا » مثل ضربه الله محمد به عائشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ضرب لها مثلاً بأمرأة فرعون ومريم بنى عمران ؛ ترغيباً في التمسك بالطاعة والثبات على الدين .

(١) في بعض نسخ الأصل : « فة » . وفي تفسير الطبري : « فيس » .

وقيل : هذا حثُّ المؤمنين على الصبر في الشدة ؛ أي لا تكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون حين صبرت على أذى فرعون . وكانت آسية آمنت بموسى . وقيل : هي عمة موسى آمنت به . قال أبو العالية : أطلع فرعون على إيمان أمراءه فخرج على الملا فقال لهم : ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأتوا عليها . فقال لهم : إنها عبد ربّ ضري . فقالوا له : أقتلها . فأوتد لها أوتادا وثدّ يديها ورجليها فقالت : ( رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بِيتًا فِي الْجَنَّةِ ) ووافى ذلك حضور فرعون ، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة . فقال فرعون : ألا تجبون من جنونها ! إنا نضربها وهي تضحك ؟ فقبض روحها . وقال سلمان الفارسي فيما روى عنه عثمان البدي : كانت تضرب بالشمس ، فإذا أذاها حرّ الشمس أظلتها الملائكة بأجصعتها . وقيل : ستر يديها ورجليها في الشمس ووضع على ظهرها رصم ؛ فأطعمها الله حتى رأت مكانها في الجنة . وقيل : لما قالت « رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بِيتًا فِي الْجَنَّةِ » أُورث بيتها في الجنة بيتي . وقيل : إنه من دوزة ، عن الحسن . ولما قالت : ( وَبَنِي ) لجها الله أكرم نجاه ، فرضاها إلى الجنة ، فهي تأكل وتشرب وتتمتع . ومعنى ( مِنْ فِرْعَوْنَ وَحَمِيمٍ ) تمنى بالعمل الكفر . وقيل : من عمله من مذابه وظلمه وشتمه . وقال ابن عباس : الجاه . ( وَبَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) قال الكلبي : أهل مصر . مقاتل : القبط . قال الحسن وابن كيسان : لجها الله أكرم نجاه ، ورضاها إلى الجنة ؛ فهي تأكل وتشرب .

قوله تعالى : وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا فَتْحٌ مِّنَ الْقَلَمِينَ ﴿١٣١﴾

قوله تعالى : ( وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ ) أي وأدكر مريم . وقيل : هو معطوف على امرأة فرعون . المنى : وضرب الله مثلا لمریم بنت عمران وصبرها على أذى اليهود . ( الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ) أي عن الفواحش . وقال المفسرون : إنه أراد بالفرج هنا الجيب ؛ لأنه قال : « فَصَفَعْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا » وجبريل عليه السلام إنما نفخ في جيبها ولم ينفخ في فرجها . وهي

في قراءة أبي « فغضنا في جيبها من رُوحنا » . وكل خرق في الثوب يسمى جيباً ؛ ومنه قوله تعالى : « وَمَا لَنَا مِنْ رُوحٍ » . <sup>(١)</sup> ويحتمل أن تكون أحصنت فرجها ونفخ الروح في جيبها . ومعنى ( فَتَضَعْنَا ) أرسلنا جبريل فنفخ في جيبها ( مِنْ رُوحِنَا ) أى رُوحاً من أرواحنا وهى روح عيسى . وقد مضى في آخر سورة « النساء » بيانه مستوفى والحمد لله . ( وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا ) قراءة العامة « وصَدَقَتْ » بالتشديد . وقرأ حُجيد والأُموي « وصَدَقَتْ » بالتخفيف . ( وَكَلِمَاتِ رَبِّهَا ) قول جبريل لها « إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ » الآية . وقال مقاتل : يبنى بالكلمات عيسى وأنه نبي وعيسى كلمة الله . وقد تقدم . وقرأ الحسن وأبو العالية « بِكَلِمَةِ رَبِّهَا وَكَلِمَةٍ » . وقرأ أبو عمرو وحفص عن مأمم « وَكَلِمَةٍ » جمعاً . وعن أبي رجا « وَكَلِمَةٍ » غشفت الراء . والباقون « بكلمة » على التوحيد . والكتاب يراد به المجلس ؛ فيكون في معنى كل كتاب أنزل الله تعالى . ( وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ) أى من المطيعين . وقيل : من المصلين بين المغرب والمشاء . وإنما لم يقل من القانتات ؛ لأنه أراد وكانت من القوم القانين . ويحوز أن يرجع هذا إلى أهل بيتها ؛ فإنهم كانوا مطيعين لله . وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة وهى تجود بنفسها : « أَنْكِهين ما قد نزل بك ولقد جعل الله في الكره خيراً فإِذَا قَدِمْتَ عَلَى ضَرَاكِ فَأَقْرِئِينِ نِي السَّلامِ مَرِّمَ بِنْتِ عِمْرَانَ وَأَسِيَةَ بِنْتِ مِزْحَامَ وَكَلِيمَةَ — أَوْ قَالَ حَكِيمَةَ — بِنْتِ عِمْرَانَ أُخْتِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ » . فقالت : بالراء والبيتن يارسول الله . وروى قتادة عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْجَ مَرِّمَ بِنْتِ عِمْرَانَ وَنَدِيَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ وَطَامَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ وَأَسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ بِنْتِ مِزْحَامٍ » . وقد مضى في « آل عمران » الكلام في هذا مستوفى والحمد لله .

(١) آية ٦ سورة ق . (٢) راجع ج ٦ ص ٢٢

(٣) آية ١٩ سورة مريم . راجع ج ١١ ص ٩١ (٤) راجع ج ٤ ص ٨٢

(٥) أخرجه الطبراني عن سعد بن جندة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ يُرِضُنِي بِالْجَنَةِ مَرِّمَ

بِنْتِ عِمْرَانَ وَامْرَأَةَ فِرْعَوْنَ وَأُخْتِ مُوسَى » . (٦) في بعض نسخ الأصل : « كلمة » .

(٧) في بعض نسخ الأصل : « حليمة » .

## سورة الملِك

مكية في قول الجميع . وتسمى الواقعة والمنجية . وهي ثلاثون آية

وروى الترمذي عن ابن عباس قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر ؛ فإذا قبر إنسان يقرأ سورة « الملِك » حتى ختمها ؛ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ؛ فإذا قبر إنسان يقرأ سورة « الملِك » حتى ختمها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هي المانعة هي المنجية تحييه من عذاب القبر » . قال : حديث حسن غريب . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَيَدْعُ أَنْ » تبارك الذي بيده الملك « في قلب كل مؤمن » ذكره الثعلبي . وعن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفت لرجل حتى أخرجه من النار يوم القيامة وأدخلته الجنة وهي سورة « تبارك » » . أخرجه الترمذي بمعناه ، وقال فيه : حديث حسن . وقال ابن مسعود : إذا وُضِعَ الميت في قبره فيؤتى من قبل رجله ، فيقال : ليس لك عليه سبيل ، فإنه كان يقوم بسورة « الملِك » على قدميه . ثم يؤتى من قبل رأسه ، فيقول لسانه : ليس لك عليه سبيل ، إنه كان يقرأ بي سورة « الملِك » . ثم قال : هي المانعة من عذاب الله ، وهي في التوراة : سورة « الملِك » من قراها في ليلة فقد أكثر وأطيب . وروى أن من قراها كل ليلة لم يضره الفتن .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : تَبَارَكَ الَّذِي بِيَمِينِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾  
 (تَبَارَكَ) تتفاعل من البركة . وقد هُتِمَ . وقال الحسن : تَقَدَّسَ . وقيل دام . فهو  
 الصائم الذي لا أول لوجوده ولا آخر لتمامه . (الَّذِي بِيَمِينِهِ الْمَلِكُ) أي ملك السموات

والأرض في الدنيا والآخرة . وقال ابن عباس : بيده الملك يُعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء ، ويحيي ويميت ، ويُغني ويُفقّر ، ويُعطي ويُمنع . وقال محمد بن إسحاق : له ملك النبوة التي عزّز بها من اتبعه وذلّ بها من خالفه . ( وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) من إنعام وانتقام .

قوله تعالى : **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** ①

فيه مسائلان :

الأولى — قوله تعالى : ( **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ** ) قيل : المعنى خلقكم الموت والحياة ؛ يعنى الموت في الدنيا والحياة في الآخرة . وقدم الموت على الحياة ؛ لأن الموت إلى القهر أقرب ؛ كما قدم النبات على البنين فقال : « **يَبِّ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا لَهُ** » . وقيل قدمه لأنه أقدم ؛ لأن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والقراب ونحوه . وقال قتادة : كان رسول الله صل الله عليه وسلم يقول : « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ بَنِي آدَمَ بِالْمَوْتِ وَجَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ حَيَاةٍ ثُمَّ دَارَ مَوْتٍ وَجَعَلَ الْآخِرَةَ دَارَ جَزَاءٍ ثُمَّ دَارَ بَقَاءٍ** » . وعن أبي السّريّة أن النبي صل الله عليه وسلم قال : « **ثَلَاثٌ مَا طَاعَ آدَمَ رَأْسَهُ الْفَقْرُ وَالْمَرَضُ وَالْمَوْتُ وَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَوَقَّابٌ** » .

المسألة الثانية : ( **الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ** ) فسلم الموت على الحياة ؛ لأن أقوى الناس داعياً إلى العمل من نصب موهبه بين عينيه ؛ فلقم لأنه بها يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم . قال العلماء : الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف ؛ وإنما هو انقطاع تعالى الروح بالبدن ومفارقته ، وحلولها بينهما ، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار . والحياة عكس ذلك . وحكى عن ابن عباس والكلبي ومقاتل أن الموت والحياة جسمان ؛ بفعل الموت في هيئة كبحش لا يمر بشيء ولا يجد ريمه إلا مات ، وخلق الحياة على صورة قرص أبيض بقاء — وهي التي كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها — خطوتها مدّ البصر ، فوق الحمار ودون البغل ؛

(١) آية ٤٩ سورة الشورى . (٢) هذه عبارة للكشاف أيضا . عبارة الخطيب القرطبي في تفسيره : « **وقيل إنما قدم الموت على الحياة لأن من نصب الموت بين يديه كان أقوى الفاعلين إلى العمل** » .

لا تتربشني بيد ريمها الإحبي، ولا تطأ على شيء إلا حبي. وهي التي أخذ السامري من أثرها فآلقاه على السجل الحبي<sup>(١)</sup>. حكاه الثعلبي<sup>(٢)</sup> والقشيري عن ابن عباس. والمساورى معناه عن مقاتل والكلي<sup>(٣)</sup>.

قلت : وفي التزييل « قُلْ يَتَوَلَّوْا كُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وَكَّلَ بِكُمْ » ، « وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَلَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ » ثم « تَوَفَّهُمْ رُسُلَنَا » ، ثم قال : « اللَّهُ يَتَوَلَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا »<sup>(٤)</sup> فالوسائل ملائكة مكرمون صلوات الله عليهم . وهو سبحانه الميت على الحقيقة ، وإنما يمثل الموت بالكشف في الآخرة وينزع على الصراط ؛ حسب ما ورد به الخبر الصحيح . وما ذكر عن ابن عباس يحتاج إلى خبر صحيح يقطع به . والله أعلم . وعن مقاتل أيضا : خلق الموت ؛ بمعنى النطفة والعلقة والمضغة ، وخلق الحياة ؛ بمعنى خلق إنسانا وتضع فيه الروح فصار إنسانا .

قلت : وهذا قول حسن ؛ يدل عليه قوله تعالى : ( لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) وتقدم الكلام فيه في سورة « الكهف » . وقال السدي في قوله تعالى : « الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » أي أكثركم الموت ذكرا وأحسن استملائنا ، ومنه أشد خوفنا وحذرا . وقال ابن عمر : تلا النبي صلى الله عليه وسلم « تَبَارَكَ الَّذِي يَبْدِئُ الْمَلِكُ — حتى بلغ — أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » فقال : « أَوْزَعُ عن عادم الله وأسرع في طاعة الله » . وقيل : معنى « لِيَبْلُوَكُمْ » ليعاملكم بمعاملة المختبر ؛ أي ليلو العبد بموت من يمز عليه ليبين صبره ، وبالحياة ليبين شكره . وقيل : خلق الله الموت للبحث والجزاء ، وخلق الحياة للابتلاء . فاللام في « لِيَبْلُوَكُمْ » تتعلق بخلق الحياة لا بخلق الموت ؛ ذكره الزجاج . وقال الفراء والزجاج أيضا : لم تقع البلوى على « أَيْ » لأن فيها بين البلوى و « أَيْ » إضمار فعل ؛ كما تقول : بلوكم لأنظر أيكم أطوع . ومثله قوله تعالى : « سَلِّمُوا لَهُمْ بِذَلِكَ رَحِيمٌ »<sup>(٥)</sup> أي سلمهم ثم انظر أيهم . ف « أَيْكُمْ » رفع بالابتداء و « أَحْسَنُ » خبره . والمعنى : ليلوكم فيعلم أو فينظر [ أيكم ] أحسن عملا . ( وهو الْمَرْزُوقُ ) في انتقامه ممن عصاه . ( التَّفَرُّوقُ ) لمن تاب .

(١) راجع ج ١١ ص ٢٢٩ (٢) آية ١١ سورة السجدة . (٣) آية ٥٠ سورة الأعراس .  
(٤) آية ١١ سورة الأنعام . (٥) آية ١٢ سورة الزمر . (٦) آية ٤٠ سورة القلم .

قوله تعالى : الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ  
الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ( الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ) أى بعضها فوق بعض . والمترق فيها  
أطرافها ؛ كما روى عن ابن عباس . و « طِبَاقًا » نعت لـ « سَبْعَ » فهو وصف بالمصدر .  
وقيل : مصدر بمعنى المطابقة ؛ أى خلق سبع سموات وطبقها تطبيقاً أو مطابقة . أو هل  
طوبقت طِبَاقًا . وقال سيوريه : نصب « طِبَاقًا » لأنه مفعول ثان .

قلت : فيكون « خلق » بمعنى جعل وصير . وطباق جمع طبق ؛ مثل جبل وجبال . وقيل :  
جمع طبقة . وقال أبان بن تغلب : سمعت بعض الأصحاب يذم رجلاً فقال : شره طباق ، وغيره  
غير باق . ويجوز في غير القرآن سبع سموات طباق ؛ بالخفض على الست لسموات . ونظيره  
« وَسَبْعَ سُبُلَاتٍ خُضِرَ » . ( مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُوتٍ ) قراءة حمزة والكسائي  
« مِن تَفَوُّتٍ » — بنير ألف — مشددة . وهى قراءة ابن مسعود وأصحابه . الباقون « من  
تفاوت » بألف . وهما لثان ؛ مثل التماهد والتعهد ، والتحمل والتعامل ، والتظهور والتظاهر ،  
وتضاغر وتضغر ، وتضاعف وتضعف ، وتباد وتبعد ؛ كله بمعنى . واختار أبو صيد  
« من تَفَوُّتٍ » وأصح بحديث عبد الرحمن بن أبي بكر : « أَشْبَلُ يَفَوُّتٌ طِيهٌ فِي بَنَاتِهِ »<sup>(١)</sup>  
الناس : وهذا أمر محدود هل أبى صيد ، لأن يَفَوُّتٌ يَفَاتُ بهم . « وتفاوت » في الآية  
أشبه . كما يقال تباين يقال : تفاوت الأمر إذا تباين وتباد ؛ أى فأت بعضها بعضها . ألا  
ترى أن قبله قوله تعالى : « الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا » . والمعنى : ما ترى في خلق الرحمن  
من أوجاج ولا تناقض ولا تباين — بل هى مستقيمة مستوية دالة على خالقها — وإن  
اختلفت صُورُهُ وبيئاته . وقيل : المراد بذلك السموات خاصة ؛ أى ما ترى في خلق  
السموات من عيب . وأصله من التَفَوُّت ، وهو أن يفوت شيء شيئاً فيقع الخلل لثقل استوائها ؛

(١) آية ٤٦ سورة يوسف . (٢) أى يغفل في شأنين فهو بنير أمره . قال طحاوي ما لم أن أخته  
السيدة عائشة زوجت إياه وهو نائب من المنقرين الزير . والرواية في الحديث : « أشبل يَفَاتُ » بدل « يفوت » .

يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ تَفَرَّقَ . وَقَالَ أَبُو عبيدة : يُقَالُ تَفَرَّقَتِ الشَّيْءُ أَيُ  
فَاتَتْ . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَنْظُرُوا فِي خَلْقِهِ لِيَتَبَيَّنُوا بِهِ فَيَعْمُرُوا فِي قُدْرَتِهِ فَقَالَ : ( فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ  
هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ) أَيُ ارْجِعْ طَرَفَكَ إِلَى الْمَاءِ . وَيُقَالُ : قَلْبُ الْبَصَرِ فِي الْمَاءِ . وَيُقَالُ :  
اجْهَدْ بِالْغُزْرِ إِلَى الْمَاءِ . وَالْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ . وَإِنَّمَا قَالَ : « فَأَرْجِعِ » بِالْفَاءِ وَلَيْسَ قَبْلَهُ فِعْلٌ  
مَذْكُورٌ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ : « مَا تَرَى » . وَالْمَعْنَى انْظُرْ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ؛ قَالَ  
قَتَادَةُ : وَالْفُطُورُ : الشَّقُوقُ ؛ عَنْ مُجَاهِدٍ وَالضَّمَاكُ . وَقَالَ قَتَادَةُ : مَنْ خَلَلَ . السُّدِّيُّ :  
مَنْ تَفَرَّقَ . ابْنُ عَبَّاسٍ : مَنْ وَهَنَ . وَأَصْلُهُ مِنَ التَّفَطُّرِ وَالْإِفْطَارِ وَهُوَ الْإِنْشِقَاقُ .  
قَالَ الشَّامِيُّ :

بَقِيَ لَكُمْ بِلَا عَمِيدٍ مِمَّا • وَزَيَّنَهَا لَهَا فِيهَا فُطُورُ

وَقَالَ آخَرُ :

شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ تَفَرَّقْتُ فِيهِ • هَوَاكَ قَلِمٌ فَأَلْصَقْتُ الْفُطُورُ

تَلْفَلُفٌ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ • وَلَا سَكْرًا وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

قوله تعالى : ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا

وَهُوَ حَاسِرٌ ①

قوله تعالى : ( ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ) « كَرَّتَيْنِ » فِي مَوْضِعِ الْمَعْدَرِ ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ  
رَجَعْتَنِي ؛ أَيْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . وَإِنَّمَا أَمَرَ بِالْغُزْرِ مَرَّتَيْنِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا نَظَرَ فِي الشَّيْءِ  
مَرَّةً لَا يَرَى فِيهِ مَا لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى . فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ وَإِنْ نَظَرَ فِي الْمَاءِ مَرَّتَيْنِ  
لَا يَرَى فِيهَا شَيْئًا بَلْ يَحْصِرُ بِالْغُزْرِ إِلَيْهَا ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ( يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا )  
أَيْ خَاسِئًا صَاحِرًا مُتَبَايِعًا عَنْ أَنْ يَرَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ . يُقَالُ : خَسَاتِ الْكَلْبُ أَيُ أَبْهَتَهُ  
وَطَرَدَهُ . وَخَسَا الْكَلْبُ بِنَفْسِهِ ؛ يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى . وَأَخْضَا الْكَلْبُ أَيُضًا . وَخَسَا بَصَرُهُ  
خَسَاً وَخُسُوءًا أَيُ سَدَرَ ؛ وَمَنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا » . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :

(١) لَمْ يَكُنْ يَبْصُرُ .

الخلق الذي لم يرمأ يهوى . ( وَهُوَ حَسِيرٌ ) أى قد بلغ الغاية فى الإعياء . فهو بمعنى فاعل ؛  
من الحسور الذى هو الإعياء . ويجوز أن يكون مفعولا من حسره بضم الحاء وهو معنى  
قول ابن عباس . ومنه قول الشاعر :

مَنْ مَدَّ طَرَفًا إِلَى مَا فَوْقَ غَايَتِهِ • ارْتَدَّ حَسَانَ مِنْهُ الطَّرْفُ قَدْ حَسِرَا

يقال : قد حَسَرَ بصره بِحَسَرٍ حَسْرًا ، أى كَلَّ واقطع نظره من طول مَدَى وما أشبه ذلك ؛  
فهو حسير وحسور أيضا . قال :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْحَصْبِ مِنْ مَنَى • فَادَّى إِلَى الطَّرْفِ وَهُوَ حَسِيرٌ

وقال آخر يصف ناقة :

(١) • فَشَطَرَهَا نَظَرَ الْيَمِينِ حَسُورٌ •

نصب « شطرها » على الطرف ؛ أى نحوها . وقال آخر :

وَالْخَيْلُ شُتَّتْ مَا تَزَلَّ جَانِبُهَا • حَسَرَى تَنَادَرُ بِالطَّرِيقِ مَخَالِمَا

وقيل : إنه التادم . ومنه قول الشاعر :

مَا أَنَا الْيَوْمَ عَلَى شَيْءٍ خَلَا • يَا بَنَةَ الْقَيْنِ تَوَلَّى بِحَسَرٍ

والمراد بـ « حَسَرٍ » هاهنا التكثير . والدليل على ذلك « يَتَقَلَّبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَسَرًا وَهُوَ حَسِيرٌ »  
ذلك دليل على كثرة النظر .

قوله تعالى : وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا

لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥٠﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ

عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ آلْمَصِيرُ ﴿٥١﴾

قوله تعالى : ( وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ) جمع مصباح وهو السراج . ويُسمى

الكواكب مصابيح لإضامتها . ( وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا ) أى جعلناها شُهَبًا ، لحذف المضاف .

(١) هذا مجزئ قيس بن عوفيد الخليل . وصدوره : • إن المصير بها داء خاشرها • والصدور :

ثلاثة إلى لم ترض (لم تزل) .

دليله « إِنْ مِنْ خَيْطٍ انْطَلَقَ فَاتَّبِعْهُ شَيْبَابٌ تَأْتِبُ » . وعلى هذا فالمصاييح لا تزول ولا يرجم بها . وقيل : إن الضمير راجع إلى المصاييح على أن الرجم من أنفس الكواكب ، ولا يسقط الكوكب نفسه إنما ينفصل منه شيء يرجم به من غير أن ينقص ضوءه ولا صورته . قاله أبو علي جواباً لمن قال : كيف تكون زينة وهي رجوم لا تبقى . قال المهدي : وهذا على أن يكون الاستراق من موضع الكواكب . والتقدير الأول على أن يكون الاستراق من الهوى الذي هو دون موضع الكواكب . التفسير : وأمثلة من قول أبي علي أن قول : هي زينة قبل أن يرجم بها الشياطين . والرجوم جمع رجم ، وهو مصدر شئى به ما يرجم به . قال قتادة : خلق الله تعالى النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يبتلى بها في البر والبحر والأوقات . فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به ، وتمتدّى وظلم . وقال محمد بن كعب : والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء نجم ، ولكنهم يفتنون الكهانة سبيلاً ويغفون النجوم طاعة . ( وَاعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ) أى اعتدنا للشياطين أشدّ الحريق ، يقال : سمرت النار فهي مسمرة وسعير ، مثل مقنولة وقتيل . ( وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسُ الْمَصِيرُ ) .

قوله تعالى : إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى : ( إِذَا أُلْقُوا فِيهَا ) يبنى الكفار . ( سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا ) أى صَوْتًا . قال ابن عباس : الشقيق لهم عند لقاء الكفار فيها ، تَشْتَقُّ إِلَيْهِمْ شَهْقَةً الْبَغْلَةُ لِلشَّعِيرِ ، ثم تفرز زفرة لا يبقى أحد إلا خاف . وقيل : الشقيق من الكفار عند إلقاءهم في النار ؛ قاله عطاء . والشقيق في الصدر ، والزفير في الحلق . وقد مضى في سورة « هود » . ( وَيَعَى تَفُورُ ) أى تنجلي ؛ ومنه قول حسان :

تَرَكَمَ قَدْرُكُمْ لَأَشْيَاءَ فِيهَا • وَقَدْرُ الْقَوْمِ حَايَةُ تَفُورُ

قال مجاهد : تصورهم كما يغور الحبّ القليل في الماء الكثير . وقال ابن عباس : نقل بهم على المرتجل ؛ وهذا من شدة لهب النار من شدة الغضب ؛ كما تقول فلان يغور غبظا .

قوله تعالى : تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلًّا أَلْقَى فِيهَا فَوْجًا سَالِمًا خَرَزْنَاهَا <sup>١</sup> أَلَّا يَأْتِيَنَّكَ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَاعْرِضُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝

قوله تعالى : ( تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ) يعنى تتقطع ويفصل بعضها من بعض ؛ فله سديد ابن جبير . وقال ابن عباس والضحاك وابن زيد : تتفوق . « مِنَ الْغَيْظِ » من شدة الغيظ على أعداء الله تعالى . وقيل : « من الغيظ » من التليان . وأصل « تَمَيِّزُ » تميز . ( كُلًّا أَلْقَى فِيهَا فَوْجًا ) أى جماعة من الكفار . ( سَالِمًا خَرَزْنَاهَا ) على جهة التوبيخ والتعزير . ( أَلَّا يَأْتِيَنَّكَ نَذِيرٌ ) أى رسول في الدنيا ينذركم هذا اليوم حتى تحذروا . ( قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ) انذروا وتخوفوا . ( فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ) أى على السحرة . ( إِنْ أَنْتُمْ ) يا معشر الرسل . ( إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ) اعترفوا بتكذيب الرسل ، ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا وهم في النار ( لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ ) من النذر — يعنى الرسل — ما جأوا به ( أَوْ نَعْقِلُ ) عنهم . قال ابن عباس : لو كنا نسمع الهدى أو نقله ، أو لو كنا نسمع سماع من يبنى ويحذر ، أو نقل عقل من يميز وينظر . ودل هذا على أن الكافر لم يحط من العقل شيئا . وقد مضى في « الطور » بيانه والحمد لله . ( مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ) يعنى ما كنا من أهل النار . وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لقد ندم القابض يوم القيامة قالوا لو كنا نسمع أو نقل ما كنا

في أصحاب البعير فقال الله تعالى فاحرقوا بذنبيهم " أى بتكديهم الرسل . والذنب هاهنا بمعنى الجمع ، لأن فيه معنى الفعل . يقال : خرج عطاء الناس أى أعطيتهم . ( فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ) أى قُبْعًا لهم من رحمة الله . وقال سعيد بن جبير وأبو صالح : هو واد في جهنم يقال له السُّحْق . وقرأ الكسائي وأبو جعفر « فَسَحَقَاءُ بِضَمِّ الحاء ، وَيُؤَيَّتْ عَنْ عَلَى . الْبَاقُونَ بِاسْكَانِهَا ، وَهِيَ لَفْتَانٌ مِثْلُ السَّحْتِ وَالرُّمْبِ . الزَّجَاجِ : وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ ؛ أَيْ أَصْحَفُهُمْ اللَّهُ تَحْقَقًا ، أَيْ بِأَعْلَمِهِمْ بُعْدًا . قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

يَجُولُ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ مُغْتَرِبًا ■ وَتَسَحَّقُهُ رِيحُ الصَّبَا كُلَّ مَسَحَقٍ

وقال أبو علي : القياس إسحاقا ، بقاء المصدر على الحذف ؛ كما قيل :

• وَإِنْ أَهْلَكَ فَتِلْكَ كَانَ قَدْرِي •

أى تقديرى . وقيل إن قوله تعالى « إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ » من قول خزنة جهنم لأهلها . قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ) نظيره « مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ » وقد مضى الكلام فيه . أى يخافون الله ويخافون عذابه الذى هو بالغيب ؛ وهو عذاب يوم القيامة . ( لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ) لذنوبهم ( وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ) وهو الجنة .

قوله تعالى : وَأَمِرُوا قَوْمَكُمُ أَنْ آجِهُرُوا بِهِ وَلَهُ عِلْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ( وَأَمِرُوا قَوْمَكُمُ أَنْ آجِهُرُوا بِهِ ) اللفظ لفظ الأمر والمراد به الخبر ؛ يعنى إن أخفيتكم كلامكم فى أمر عدى الله عليه وسلم أو جهرتم به فدله عليم بذات الصدور ( وَلَهُ عِلْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ )

بما في القلوب من الخير والشر . ابن عباس : نزلت في المشركين كانوا يتألمون من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه السلام ؛ فقال بعضهم لبعض : أيسروا قولكم كي لا يسمع رب عبد ؛ فنزلت : « وَأَيِّرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ » . يعني : أيسروا قولكم في أمر عبد صلى الله عليه وسلم . وقيل في سائر الأقوال . أَوْ اجْهَرُوا بِهِ ؛ أظنوه . ( إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ) ذات الصدور ما فيها ؛ كما يسمى ولد المرأة وهو جنتين « ذا بطنها » . ثم قال : ( أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ) يعني ألا يعلم المرء من خلق المرء . يقول أنا خلقت المرء في القلب أفلا أكون علما بما في قلوب العباد . وقال أهل المعاني : إن شئت جعلت « مَنْ » أسماء الخالق جل ومن ؛ ويكون للمنى : ألا يعلم الخالق خلقه . وإن شئت جعلته أسماء للخلق ، والمنى : ألا يعلم الله من خلق . ولا بد أن يكون الخالق علما بما خلقه وما يخلقه . قال ابن المسيب : بينما رجل واقف بالليل في شجر كبير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل أثرى الله يعلم ما يستقط من هذا الورق ؟ فنودى من جانب النبیضة بصوت عظيم : ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ! . وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني : من أسماء صفات الثبات ما هو للعلم ؛ منها « العليم » ومعناه تعمم جميع المعلومات . ومنها « الخبير » ويختص بأن يعلم ما يكون قبل أن يكون . ومنها « الحكيم » ويختص بأن يعلم دقائق الأوصاف . ومنها « الشهيد » ويختص بأن يعلم الغائب والحاضر ، ومعناه ألا يغيب عنه شيء . ومنها « الحافظ » ويختص بأنه لا ينسى . ومنها « المحصى » ويختص بأنه لا تسفله الكثرة من العلم ، مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الأوراق ؛ فيعلم عند ذلك أجزاء الحركات في كل ورقة . وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق ، وقد قال « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » .

قوله تعالى : هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى : ( هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا ) أى سهلة تستقرون عليها . والذُّلُوع المقاد الذي يذل لك ؛ والمصدر الذَّل وهو اللين والاعتقاد . أى لم يجعل الأرض بحيث يمتنع

المنى فيها بالخزونة والنفلة . وقيل : أى تبتها بالجبال لتلازول بأهلها ؛ ولو كانت لتتكفأ  
مقابلة لما كانت مقابلة لنا . وقيل أشار الى التكن من الزرع والفرس وسق العيون والأنهار  
وحفر الآبار . ( فَأَمَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ) هو أمر بإحاحة ، وفيه إظهار الامتنان . وقيل : هو  
خبر بلفظ الأمر ؛ أى لكي تمشوا في أطرافها ونواحيها وآكامها وجبالها . وقال ابن عباس  
وقتادة وبشير بن كعب : « في مناكبها » في جبالها . ودوي أن بشير بن كعب كانت له سرية  
فقال لها : إن أخبرتنى ما مناكب الأرض فانت حرة ؟ فقالت : مناكبها جبالها . فصار  
سرة ، فأراد أن يقرؤها فسال أبا العرداء فقال : دَعْ ما يريك الى ما لا يريك . مجاهد :  
في أطرافها . وعنه أيضا في طرفها وبخارجها . وقاله السدي والحسن . وقال الكلبي :  
في جوانبها . ومنتكبا الرجل : جانبها . وأصل المنتكب الجانب ؛ ومنه منتكب الرجل . والريح  
النبكاه . ومنتكب فلان عن فلان . يقول : أمشوا حيث أردتم فقد جعلتها لكم ذلولاً لا تمتنع .  
وسكى قتادة عن أبي الجلد : أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ ؛ وللسودان اثنا عشر لقاء  
والروم ثمانية آلاف ، وللفرس ثلاثة آلاف ، وللعرب ألف . ( وَكُلُّوا مِنْ رِزْقِهِ ) أى مما  
أحل له لكم ، قاله الحسن . وقيل : مما آتاه لكم . ( وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ) للرجع . وقيل :  
معناه أن الذى خلق المياه لا يخالط فيها ، والأرض ذلولاً قادر على أن ينشركم .

قوله تعالى : **ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ** ﴿١٠﴾

قال ابن عباس : أَلَمْتُمْ عذاب من في السماء إن عصيتموه . وقيل : تخذيره أَلَمْتُمْ مَنْ  
في السماء قدرته وسلطانه وعرشه ومملكته . وخص السماء وإن هم مملكته تنبها على أن الإله  
الذى تنفذ قدرته في السماء لا من يعظمونه في الأرض . وقيل : هو إشارة الى الملاكمة .  
وقيل : الى جبريل وهو الملك الموكل بالعذاب .

قلت : ويحتمل أن يكون المعنى أمنت خالق من في السماء أن ينسف بكم الأرض كما  
خسفها بقارون . ( فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ) أى تذهب وتجيء . والمُور : الاضطراب بالتهاب  
والجوىء . قال الشاعر :

وَمِنْ فَاغْبَضَنَ الْقُلُوبَ وَلَنْ تَرَى • دَمَا مَائِراً إِلَّا جَرَى فِي الْحَيَازِمِ

جمع خبزوم وهو وسط الصدر . وإذا خُسف بإنسان دارت به الأرض فهو المور . وقال  
المحققون : أمنت من فوق السماء ؛ كقوله « فَيُخَوِّضُ فِي الْأَرْضِ »<sup>(١)</sup> أى فوقها لا بالغامرة والتخدير  
لكن بالقهر والتدبير . وقيل : معناه أمنت من عل السماء ؛ كقوله تعالى : « وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُلُوعِ  
النَّحْلِ »<sup>(٢)</sup> أى عليها . ومعناه أنه مدبرها ومالكها ؛ كما يقال : فلان على العراق والجزائر ؛ أى  
والها وأميرها . والأخبار في هذا الباب كثيرة صحيحة مشهورة ، مشيرة إلى العلو ، لا ينفصها  
إلا مُلِمِدٌ أو جاهل معاند . والمراد بها توقيره وتقديره عن السفل والتحت . ووصفه بالعلو  
والعظمة لا بالأماكن والجهات والحدود لأنها صفات الأجسام . وإنما ترفع الأيدي بالثناء  
إلى السماء لأن السماء مهبط الوحي ، وينزل القطر ، وعمل القدس ، ومعدن المطهرين  
من الملائكة ، وإليها ترفع أعمال العباد ، وفوقها عرشه وجنته ؛ كما جعل الله الكعبة  
قِبْلَةً لِلدِّعَاءِ وَالصَّلَاةِ ، ولأنه خالق الأمكنة وهو خير محتاج إليها ، وكان في أوله قيل خالق  
المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان . وهو الآن على ما عليه كان . وقرأ قُتَيْلٌ عن  
ابن كثير : النشور وأمنت « بقلب الهمة الأولى وأوا وتخفيف الثانية . وقرأ الكوفيون  
والبصريون وأهل الشام سوى أبي عمرو ومشام بالتخفيف في المميزين ، ونخف الباقون .  
وقد تقدم جميعه .

قوله تعالى : أَمْ أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا

فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝

قوله تعالى : ( أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي الْمَاءِ أَنْ يُرْسَلَ عَلَيْكُمْ حَامِيًا ) أى حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل . وقيل : ريع فيها حجارة وحصباء . وقيل : صلاب فيه حجارة . ( فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ) أى إنذارى . وقيل : التذير بمعنى المنذر ؛ يبنى محمدا صل الله عليه وسلم فستعلمون صدقه وما قبله تكتفيكم .

قوله تعالى : وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٥﴾

قوله تعالى : ( وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) من كفار الأمم ؛ كقوم نوح واد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وأصحاب الرس وقوم فرعون . ( فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ) أى إنكارى ، وقد تقدم . وأثبت ورش الياء فى « نذيرى » ونكيرى ، فى الوصل . وأثبتها يعقوب فى الحاليين . وحذف الباقون اتباعا للصنف .

قوله تعالى : أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ<sup>١٦</sup> مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ( أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ ) أى كما ذلل الأرض للأدى ذلل المسواه للطير . و « صَافَّاتٍ » أى باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها ؛ لأنهن إذا بسطنها صَفَّنَ قوائمها صَفًّا . ( وَيَقْبِضْنَ ) أى يضربن بها جُنُوبَهُنَّ . قال أبو جعفر النحاس : يقال للطائر إذا بسط جناحيه : صَافَّ ، وإذا ضمهما فأصابا جَنَبَيْهِ : قابض ؛ لأنه يقبضهما . قال أبو نوح رَأْسُ :

يَبَادِرُ جُنْحُ اللَّيْلِ فَهُوَ مُوَأَّلٌ • يُمُتُّ الْجَنَاحُ بِالْتَّسِيطِ وَالْقَبْضِ

(١) راجع ج ١٢ ص ٧٣ (٢) كما فى نسخ الأصل . ورواها الطائر : بلسا وظن .  
والللكان : يادر . وراعى فى ديوان أشعار الملوك وكتب اللغة : « فهو مهايد » والمهايدة : الإسراع .

وقيل : وقبضن أجنتهن بعد بسطها إذا وقفن من الطيران . وهو معطوف على «وصافات»  
 عطف المضارع على اسم الفاعل كما عطف اسم الفاعل على المضارع في قول الشاعر :  
 بات يمتسجها بمضب باتر \* يقصد في أسوقها وجائر<sup>(١)</sup>  
 ( مَا يَمْسِكُهُنَّ ) أى ما يمسك الطير في الجوّ وهى طير إلا الله عز وجل . ( أَنَّهُ يَحْكُلُ  
 شَيْءٌ بَصِيرٌ ) .

قوله تعالى : أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَنْصُرُكَ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ  
 إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٥﴾

قوله تعالى : ( أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ ) قال ابن عباس : حزب ومنعة لك .  
 ( يَنْصُرُكَ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ) فيدفع عنك ما أراد بك إن عصيته . ولفظ الجند يوحد ،  
 ولهذا قال : « هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ » وهو استظهار الكفار ، أى لا جند لك يدفع عنك  
 مذهب الله ( مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ) أى من سوى الرحمن . ( إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ) من  
 الشياطين ، فتزعم بأن لا مذهب ولا حساب .

قوله تعالى : أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرِزُّكَ إِنَّ أَمْسَكَ يَرْزُقُهُ بَلْ لَجُوا  
 فِي هُتُورٍ وَتَفُورٍ ﴿٦﴾

قوله تعالى : ( أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرِزُّكَ ) أى يعطيك منافع الدنيا ، وقيل المطر من  
 التكم . ( إِنَّ أَمْسَكَ ) بنى الله تعالى رزقه : ( بَلْ لَجُوا ) أى تمالأوا وأصرروا . ( فِي هُتُورٍ )  
 طغيان ( وَتَفُورٍ ) عن الحق .

(١) لم يعلم الله ، وهو من الرين المسح . و «يمسجها» أى يسطرها . ويرى : «يمسجها» بالعين  
 المستبعدة من الشاء كالنشاء ، أى يسطرها . وصغير الغنث للجل ، وهو في وصف كرم بادير قرأه لغيره .  
 والمضب : السيف . و «يقصد» : من القصد وهو ضد الجور . و «أسوقها» : جمع ساق ، وهو ما بين الركبة إلى  
 القدم . و «جائر» من جاور إذا ظلم . أى يجور . ( راجع ترجمة الأدب في الشاهد السادس والتسعين بعد الثلاثة ) .

قوله تعالى : **أَلَمْ يَمْشِ مِثْلًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْلًا أَمَّنْ يَمْشِ سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴿١٧﴾

قوله تعالى : **(أَلَمْ يَمْشِ مِثْلًا عَلَىٰ وَجْهِهِ)** ضرب الله مثلا للمؤمن والكافر . « **مِثْلًا** » أى منكسا رأسه لا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله ؛ فهو لا يأمن من العنور ولا تكلم على وجهه . كمن يمشى سَوِيًّا معتدلا فأنظر ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله . قال ابن عباس : هذا في الدنيا ؛ ويجوز أن يريد به الأعمى الذى لا يتهدى إلى الطريق فيعتسف ؛ فلا يزال يكتب على وجهه . وأنه ليس كالرجل السوى الصحيح البصير الماشى في الطريق المهتدى له . وقال قتادة : هو الكافر أكب على معاصي الله في الدنيا فحشره الله يوم القيامة على وجهه . وقال ابن عباس والكوفي : عني بالذى يمشى مِثْلًا على وجهه أيا جهل ؛ وبالذى يمشى سَوِيًّا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل أبو بكر . وقيل حمزة . وقيل قتادة بن أنس ؛ قاله عكرمة . وقيل : هو عام في الكافر والمؤمن ؛ أى أن الكافر لا يدرى أعلى حق هو أم على باطل . أى أهدانا الكافر أهدى أو المسلم الذى يمشى سَوِيًّا معتدلا يُبصر للطريق وهو **(على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** وهو الإسلام . ويقال : أكب الرجل على وجهه ؛ فإيا لا يتهدى بالألف . فإذا تهدى قبل ؛ كبه الله لوجهه ؛ بنير ألف .

قوله تعالى : **قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ** ﴿١٨﴾

قوله تعالى : **(قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ)** أمر نبيه أن يعزفهم فبُح شركون مع أصنافهم بأن الله خلقهم . **(وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ)** يعنى القلوب **(قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)** أى لا تشكرون هذه النعم ، ولا توحّدون الله تعالى . يقول : قلنا أفضل كذا ؛ أى لا أفضله .

قوله تعالى : **قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴿١٩﴾  
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ( قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ) أى خلقكم فى الأرض ؛ قاله ابن عباس . وقيل : نشركم فيها وفتركم على ظهرها ؛ قاله ابن شجرة . ( وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ) حتى يحازى كلاً بعمله . ( وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) أى متى يوم القيامة ! ومتى هذا العذاب الذى يمدوننا به ! وهذا استهزاء منهم . وقد تقدم <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ( قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ ) أى قل لهم يا محمد صلِّ وقت قيام الساعة عند الله ؛ فلا يعلمه غيره . نظيره : « قُلْ إِنَّمَا عَلَّمْتُهَا عِنْدَ رَبِّى » الآية . ( وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ) أى مخوف ومبين لكم .

قوله تعالى : فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيَعَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى : ( فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً ) مصدر بمعنى مُرَدِّفًا ، أى قريباً ، قاله مجاهد . الحسن عياناً . وأكثر المفسرين على أن المعنى : فلما رأوه معنى العذاب ، وهو عذاب الآخرة . وقال مجاهد : معنى عذاب بدر . وقيل : أى رأوا ما وعدوا من الحشر قريباً منهم . ودل عليه « تحشرون » . وقال ابن عباس : لما رأوا عملهم السيئ قريباً . ( سِيَعَتْ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ) أى قُصِلَ بها السوء . وقال الزجاج : تُبَيِّنُ فيها السوء ؛ أى سامع ذلك العذاب وظهر على وجوههم سمة تدل على كفرهم ؛ كقوله تعالى : « يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ » . وقرأ نافع وابن حمزة وابن عامر والكسائي « سَلَّتْ » بإشمام الضم . وكسر الباقون بغير إشمام طلباً للتحفة . ومن ضم لاحظ الأصل . ( وَقِيلَ هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ) قال الفراء : « تَدْعُونَ » يفتعلون من الدعاء ؛ وهو قول أكثر العلماء . أى تتقنون وتسالون .

(١) راجع ج ٨ ص ٣٤٩ (٢) آية ١٨٧ سورة الأعراف . راجع ج ٧ ص ٢٣٥

(٣) آية ١٠٦ سورة آل عمران .

وقال ابن عباس : تَكْدُونُ ؛ وتأويله : هذا الذي كنتم من أجله تدعون الأباطيل والأحاديث ؛ قاله الزجاج . وقراءة العامة « تدعون » بالتشديد ، وتأويله ما ذكرناه . وقراءة ثالثة وأبى إسحاق والضحاك وسقوب « تَدْعُون » مخففة . قال ثالثة : هو قولهم « رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْلَهُ » . وقال الضحاك : هو قولهم « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هَوَالِقٍ مِنْ عِنْدِكَ فَأَعِزَّنَا بِطَيِّبَاتِ حِمَارَةٍ مِنَ السَّمَاءِ » الآية . وقال أبو العباس : « تدعون » تستعجلون ؛ يقال دعوت بكنا إذا طلبته ؛ وأدعيت أفضلت منه . النحاس : « تَدْعُونُ وَتَدْعُونُ » بمعنى واحد ؛ كما يقال : قَدَّرَ وَأَقْدَرُ ؛ وَدَعَى وَأُدْعَى ؛ إلا أن في « أفضل » معنى شيء بعد شيء ، وقيل : يقع على القليل والكثير .

قوله تعالى : قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا قُلْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى : ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ ) أى قل لم يا محمد - يريد مشركي مكة ، وكانوا يتخوفون موت محمد صلى الله عليه وسلم ؛ كما قال تعالى : « أَمْ يَقُولُونَ نَرْجُو بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ » - أَرَأَيْتُمْ إِنْ مِتْنَا أَوْ رَحِمْنَا فَانْتَرْتُمْ أَجَالَنا فَنُصَيِّرْكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ؛ فلاحاجة بكم إلى التريص بنا ولا إلى استعجال قيام الساعة . وأمكن الباء في « أهلكنى » أبى جحيسن والمسبى وشيبة والأعمش وحمنة . ونصحا الباقر . وكلهم فتح الباء في « وَمَنْ مَعِيَ » إلا أهل الكوفة لأنهم سكنوها . ونصحا حفص كالجماعة .

قوله تعالى : قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى : ( قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ ) قرا اليكسائى بالياء على الخبر ؛ ورواه عن علي . الباقر بالتاء على الخطاب ، وهو تهديد لهم . ويقال : لم أتر مفعول

« آتَا » وقدم مفعول « تَوَكَّلْنَا » فيقال : لَوْفَوْح « آتَا » تعريضاً بالكافرين حين ورد عقاب ذكرهم . كأنه قيل آتَا ولم تكفر كما كفرتم . ثم قال ( وَطَيْهِ تَوَكَّلْنَا ) خصوصاً لم تتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم ؛ قاله الزحَّاشي .

قوله تعالى : قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ

بِمَاءٍ مُعِينٍ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ ) يا معشر قريش ( إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ) أي غائراً ذاهباً في الأرض لا تناله الدلاء . وكان ماؤهم من بئرين : بئر زمزم وبئر معين . ( فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مُعِينٍ ) أي جاري ؛ قاله قتادة والضحاك . فلا بد لهم من أن يقولوا لا يأتيها إلا الله ؛ فقل لهم لِمَ تُشْرِكُونَ به من لا يقدر على أن يأتيكم . يقال : غار الماء بَقْوَرٍ غَوْرًا ؛ أي نَفَسَ . والغور : الغائر ؛ وَصِفَ بالمصدر للبالغة ؛ كما يقول : رجل مَلَّغٌ وريضاً . وقد مضى في سورة « الكهف » (١١) ومضى القول في المعنى في سورة « المؤمنون » (١٢) والحمد لله . وعن ابن عباس : « بِمَاءٍ مُعِينٍ » أي ظاهر تراه العينون ؛ فهو مفعول . وقيل : هو من مَعَنَ الماءُ أي كثر ؛ فهو على هذا فاعل . وعن ابن عباس أيضاً : أن المعنى فمن يأتيكم بماء مُعَلَّبٍ . والله أعلم .

## تفسير سورة « ن » والقلم

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وقال ابن عباس وقتادة : من أولها إلى قوله تعالى : « سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ » مَكِّيٌّ . ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى : « أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » مَدَنِيٌّ . ومن بعد ذلك إلى قوله « يَكْتُبُونَ » (٥) مَكِّيٌّ . ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى : « مِنَ الْعَابِلِينَ » (١١) مَدَنِيٌّ ، وما بقى مَكِّيٌّ ؛ قاله المسعودي .

وهي ثلثون ومحمسون آية

(١) راجع ج ١٠ ص ٤٠٩ (٢) راجع ج ١٢ ص ١١٢ (٣) آية ١٦

(٤) آية ٣٢ (٥) آية ٤٧ (٦) آية ٥٠

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : **ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾**

قوله تعالى : **( ت وَالْقَلَمِ )** ادغم التون الثانية في هجائها في الواو أبو بكر والمفضل وهبة وورش وابن مكي وابن عامر والكسائي ويقوب . والباقون بالإظهار . وقرا عيسى ابن عمر بفتحها ؛ كأنه أضر فعلا . وقرا ابن عباس ونصر وابن أبي إسحاق بكسرهما على إضمار حرف القسم . وقرا هارون وعبد بن السميع بضمها على البناء . واختلف في تأويله ؛ فروى معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **" ن توح من نور "** . وروى ثابت البناني أن **" ن "** الدواة . وقاله الحسن وقتادة . وروى الوليد بن مسلم قال حدثنا مالك بن أنس عن ثمي مولى أبي بكر عن أبي صالح التميمي عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **" أول ما خلق الله القلم ثم خلق التون وهي الدواة وذلك قوله تعالى « ن والقلم » ثم قال له أكتب قال وما أكتب قال ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر يجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة — قال — ثم ختم ثم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة . ثم خلق العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا أعجب إلى منك وعزتي وجلالي لأجلك فيمن أحبت ولا تفصنت فيمن أبغضت "** قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **" أكمل الناس عقلا أطوعهم لله وأعلمهم بطاعته "** . وعن مجاهد قال : **" ن "** الحوت الذي تحت الأرض السابعة . قال : **" والقلم "** الذي كتبه به الذكر . وكذا قال مقاتل ومرة الممداني وعطاء الخراساني والسدي والكلبي ؛ إن التون هو الحوت الذي عليه الأرضيون . وروى أبو عليان عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم يجرى بما هو كائن ، ثم رفع بخار الماء فخلق منه السماء ، ثم خلق التون فبسط الأرض

على ظهره، فمادت الأرض فأنبتت بالجبال، وإن الجبال لتصغر على الأرض . ثم قرأ ابن عباس  
« ن والقلم » الآية . وقال الكلبي ومقاتل : أسمه الهموت <sup>(١)</sup> . قال الزجاج :

مالى أراكم كلكم مكروتا • والله ربى خلق الهموتا

وقال أبو اليقظان والوافدى : ليوتا . وقال كعب : لوتوتا . وقال : بلهموتا . قال كعب :  
إن إبليس تغلب على الحوت الذى على ظهره الأرضون فوسوس في قلبه ، وقال : أتدرى  
ما على ظهره يا لوتوتا من الدواب والشجر والأرضين وغيرها ، لو لفظتهم القيهم عن ظهره  
أجمع ، فهم ليوتا أن يفعل ذلك ، فبعث الله إليه دابة فدخلت متخيره ووصلت إلى دماغه ،  
فضج الحوت إلى الله عز وجل منها فاذن الله لها فخرجت . قال كعب : فوالله إنه لينظر  
إليها وينظر إليه إن هم بشئ من ذلك عادت كما كانت . وقال الضحاك عن ابن عباس : إن  
« ن » آخر حرف من حروف الرحمن . قال : الر ، وحم ، ون ، الرحمن تعالى مقطعة .  
وقال ابن زيد : هو قسم أقسم الله تعالى به . وقال ابن كيسان : هو فاتحة السورة .  
وقيل : أسم السورة . وقال عطاء وأبو العسالية : هو افتتاح أسمه نصير ونور وناصر .  
وقال محمد بن كعب : أقسم الله تعالى بنصره للمؤمنين ، وهو حق . بيانه قوله تعالى : « وَكَانَ  
حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ » <sup>(٢)</sup> . وقال جعفر الصادق : هو نهر من أنهار الجنة يقال له نون .  
وقيل : هو المعروف من حروف المعجم ، لأنه لو كان غير ذلك لكان ممرَّباً ، وهو اختيار  
القشيري أبو نصر عبد الرحيم في تفسيره . قال : لأن « ن » حرف لم يمرَّب ، فلو كان كلمة  
تامة أعرب كما أعرب القلم ، فهو إذن حرف هجاء كما في سائر مفاتيح السور . وعلى هذا  
قيل : هو اسم للسورة ؛ أى هذه سورة ن . ثم قال « والقلم » أقسم بالقلم لما فيه من البيان

(١) ضبطه الألويسي في تفسيره فقال : « الهموت يفتح الحاء . الحنة النحبة وسكون الحاء . »

(٢) اضطربت الأصول والمراجع التي بين أيدينا في هذه الأسماء . وقد نرجح الخلف رحمه الله عما اشتهر في أنزل

تكملة حيث قال : « ... وأشرب من كثير من نصوص القسرين ، وأشباه القسرين ... » إلخ .

(٣) آية ٧ سورة القدر .

كالسان ؛ وهو واقع على كل قلم مما يكتب به من في السماء ومن في الأرض ؛ ومنه قول أبي الفتح البستي :

إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم • وصدّوه مما يكتبُ المجد والكرم  
كفى قلم الحُكَّابِ مَرًّا ورفضة • مَدَى النهرِ أن الله أقسم بالقلم

والشعراء في تفضيل القلم على السيف أبيات كثيرة ؛ ما ذكرناه أعلاه . وقال ابن عباس :  
هذا قسم بالقلم الذي خلقه الله ؛ فأمره بجرى بكاتبه جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة . قال :  
وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والأرض . ويقال : خلق الله القلم ثم نظر إليه فأنتق  
نصفين ؛ فقال : أجبر ؛ فقال : ياربِّ يم أجري ؟ قال بما هو كائن إلى يوم القيامة ؛ بجرى  
على اللوح المحفوظ . وقال الوليد بن عُباد بن الصامت : أوصاني أبي عند موته فقال : يا بُنَيَّ ،  
اتق الله ، وأعلم أنك لن تنق ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده ، والقدر خير من شره ،  
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال يارب  
وما أكتب فقال اكتب القدر بجرى القلم في تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد " .  
وقال ابن عباس : أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن ؛ فكتب فيما كتب " ثبت  
بنا أبي لعب " . وقال قتادة : القسم نعمة من الله تعالى على عباده . قال غيره : خلق الله  
القلم الأول فكتب ما يكون في الذكر ووضعه عنده فوق مرثه ، ثم خلق القلم الثاني ليكتب  
به في الأرض ؛ على ما يأتي بيانه في سورة « اقرأ باسم ربك »

قوله تعالى : ( وَمَا يَسْطُورُونَ ) أي وما يكتبون . يريد الملائكة يكتبون أعمال بني آدم ؛  
قاله ابن عباس : وقيل : وما يكتبون [ أي ] الناس ويتفاهون به . وقال ابن عباس : ومعنى « وما  
يسطرون » وما يملكون . و « ما » موصولة أو مصدرية ؛ أي ومسطوراتهم أو مسطروهم .  
ويراد به كل من يسطر أو الحفظة ؛ على الخلاف . ( مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمُنُونٍ ) هذا جواب  
القسم وهو تنبي ؛ وكان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم إنه مجنون ، به شيطان .

وهو قولهم « يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ » فانزل الله تعالى رقنا عليهم وتكنيها لقولهم « مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ » أى رحمة ربك . والنعمة هاهنا الرحمة . ويحتمل ثانيًا — أن النعمة هاهنا قسم ، وتهديره : ما أنت بنعمة ربك بمجنون ؛ لأن الواو والباء من حروف الغم . وقيل هو كما تحول : ما أنت بمجنون ، والحمد لله . وقيل : معناه ما أنت بمجنون ، والنعمة لربك ؛ كقولهم : سبحانك اللهم وبحمدك ؛ أى والحمد لله . ومنه قول لبيد :  
وَأَفْرَدْتُ فِي الدُّنْيَا بَقْعًا عَشِيرَى \* وَفَارَقَسْنِي جَارٌ بِأَرْبَدٍ نَافِعُ  
أى وهو أريد . وقال النابغة :

لَمْ يُحْسِرُوا حُسْنَ النِّبْذَاءِ وَأَمَّهُمْ \* طَفَحَتْ طِيكَ بَنَاتِي مَذْكَارِ

أى هو نائق . والباء فى « بنعمة ربك » متعلقة « بمجنون » متفياً ؛ كما يتلقى بغافل مثبثا . كما فى قولك : أنت بنعمة ربك غافل . وعمله التصب على الحال ؛ كأنه قال : ما أنت بمجنون مُتَعَمِّمًا عليك بذلك . ( وَإِنَّكَ لَكَّ لَاجِرٌ ) أى نوابها على ما تحملت من أفعال النبوة . ( غير مجنون ) أى غير مقطوع ولا منقوص ؛ يقال : منفت الحبل إذا قطعته . وحبل منين إذا كان غير منين . قال الشاعر :

\* نُبْنَا كَوَاسِبَ لَا يُمْنُ طَمَامُهَا \*

أى لا يقطع . وقال مجاهد : « غير ممنون » غير محسوب . الحسن : « غير ممنون » غير مكدر بالمتن . الضمك : أجرا بغير عمل . وقيل : غير مقدر وهو التفضل ؛ لأن الجزاء مقدر والتفضل غير مقدر ؛ ذكره الماوردي ، وهو معنى قول مجاهد .

( ١ ) آية ٦ سورة الحجر . ( ٢ ) الرعدة ( يضم فسكون ) : التيرة - ورواية الهيران فى هذا البيت :

رَدَدْتُ كَتَّ فِي أَكَّافٍ جَارِضَةٍ \* فَهَارَقِي ... .. نَحْوِ ... .. نَحْوِ ... ..

و « جَارِضَةٌ » : جارية .

( ٣ ) هذا مجزئ ليد . واختلف فى صدره . راجع مادة ( من ) فى اللسان . والنيسة : لون الزباد . والكواسب : الجوارح . يصف كلاباً متارية .

قوله تعالى : وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾

فيه مسائلان :

الأولى قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) قال ابن عباس ومجاهد : على خلق على دين عظيم من الأديان ؛ ليس دين أحب إلى الله تعالى ولا أرضى عنده منه . وفي صحيح مسلم عن عائشة : أَنَّ خُلُقَهُ كَانَ الْقُرْآنَ . وقال علي بن رضى الله عنه وعطية : هو أدب القرآن . وقيل : هو رُفْقُهُ بآمنته وإكرامه إياهم . وقال قتادة : هو ما كان ياتمه به من أمر الله وينتهى عنه مما نهى الله عنه . وقيل : أى إنك على طبع كريم . الماوردي : وهو الظاهر . وحقيقة الخلق في اللغة : ما هو يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب يُسمى خُلُقًا ؛ لأنه يصير كالخلق فيه . وأما ما طبع عليه من الأدب فهو الخُلُق (بالكسر) : السجية والطبيعة ، لا واحد له من لفظه . ويخيم : اسم جبل . فيكون الخلق الطبع المتكاثف . والخُلُق الطبع الغريزي . وقد أوضح الأعشى ذلك في شعره فقال :

وَإِذَا ذُو الْفَضُولِ صَنَعَ عَلَى الْمَوْءُودِ \* نَى وَعَادَتْ نِظْمُهُمَا الْأَخْلَاقُ

أى رجعت الأخلاق إلى طبيعتها .

قلت : ما ذكرته عن عائشة في صحيح مسلم أصح الأقوال . وسقط أيضا من خُلُقِهِ عليه السلام ؛ فقرأت « قد أفزع المؤمنين » إلى عشر آيات ، وقالت : ما كان أحد أحسن خُلُقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما دعاه أحد من الصعابة ولا من أهل بيته إلا قال لبيك ، ولذلك قال الله تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) . ولم يذكر خُلُقُ محمود إلا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم منه الخط الأوفر . وقال الجنيدي : سُمِّيَ خلقه عظيمًا لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى . وقيل سُمِّيَ خلقه عظيمًا لأجتماع مكارم الأخلاق فيه ؛ يدل عليه قوله عليه السلام : « إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق » . وقيل : لأنه أمثل تأديب الله تعالى إياه بقوله تعالى : « خُذِ الْقَوَاعِدَ وَالْأَمْرَ وَالْعُرْفَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » <sup>(٢)</sup> . وقد روى عنه عليه السلام

أنه قال : « أَذْبَحَ رَبِّي تَأْدِيَةً حَسَنَةً » إذ قال : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » فلما قبلت ذلك منه قال « إِنَّكَ لَمَلَكٌ شَتَّى عَظِيمٌ » .

الثانية - روى الترمذي عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَى اللَّهَ حِينًا كُنْتُ وَأَتْبَعَ السِّبْطَ الْحَسَنَةَ تَحْمِيًا وَخَالَقَ النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنٍ » . قال : حديث حسن صحيح .  
وعن أبي البرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا نِيَّ أَهْلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيُبَيِّضُ الْفَاحِشَ الْبُذِيءَ » . قال : حديث حسن صحيح .  
ومعه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا مِنْ شَيْءٍ يَوْضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَهْلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَإِنْ صَاحِبُ حُسْنِ الْخُلُقِ لِيَبْلُغَ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ » . قال :  
حديث غريب من هذا الوجه . وعن أبي هريرة قال : سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال : « تَهْوَى اللَّهُ وَحُسْنَ الْخُلُقِ » . وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟ فقال : « الْفَمُ وَالْقُرْجُ » قال : هذا حديث صحيح غريب . وعن عبد الله بن المبارك أنه وصف حُسْنَ الْخُلُقِ فقال : هو بسط الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى .  
وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا مِنْ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي جَلَسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ اخْلَافًا - قال - وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْجَدَكُمْ مِنِّي جَلَسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ وَالْمُتَشَقِّقُونَ » . قالوا : يا رسول الله ، قد عَلِمْنَا الثَّرَاوُونَ وَالْمُتَشَقِّقُونَ ، فما الْمُتَغَيِّقُونَ ؟ قال : « الْمُتَكَبِّرُونَ » . قال : وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حديث حسن غريب [ من هذا الوجه (١) ] .

قوله تعالى : فَسَبِّحْهُ وَبَيِّنْهُ ۖ وَيُصِرُّهُ ۚ بِأَيِّكُمُ الْمُتَّقُونَ (١) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٢)

(١) المقتضب : الذي يعامل كل الناس في الكلام ويذكر طبعهم .

(٢) زيادة من صحيح الترمذي .

قوله تعالى : ( فَتَبْصُرُ وَتُبْصِرُونَ ) قال ابن عباس : معناه فتعلم ويعلمون يوم القيامة . وقيل : فتسترون ويرون يوم القيامة حين يتبين الحق والباطل . ( بَأْيَكُمْ الْمُفْتُونُ ) الباء زائدة ؛ أى فتبصر وتبصرون أيكم المفتون . أى الذى فُتِنَ بالجنون ؛ كقوله تعالى : « تَبَتُّ وَالْمُهِنِ » و « يَتَرَبُّ بِهَا جِبَادُ اللَّهِ » . وهذا قول قتادة وأبى عبيد والأخفش . وقال الرازي :

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج • نضرب بالسيف ونزجو بالفرج <sup>(١)</sup>

وقيل : الباء ليست بزايدة ؛ والمعنى : « بَأْيَكُمْ الْمُفْتُونُ » أى الفتنة . وهو مصدر على وزن المفعول ، ويكون معناه المُفْتُونُ ؛ كما قالوا : ما لفلان مجلود ولا مقول ؛ أى عقل ولا جلادة . وقاله الحسن والضحاك وابن عباس . وقال الراعى :

حتى إذا لم يتركوا لمظامه • لحماً ولا لفساده مقلولا

أى حفلا . وقيل فى الكلام تقدير حذف مضاف ؛ والمعنى : بَأْيَكُمْ فتنة المفتون . وقال الفراء : الباء بمعنى فى ؛ أى فَتَنُصِرُ وَتُبْصِرُونَ فى أى الفريقين المجنون ؛ بالافترقة التى أنت فيها من المؤمنين أم بالفيرقة الأخرى . والمفتون : المجنون الذى فتته الشيطان . وقيل : المفتون المذهب . من قول السرب : فتنتُ الذهب بالنار إذا حتمته . ومنه قوله تعالى : « يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ » <sup>(٢)</sup> أى يمتحنون .

ومعظم السورة زلت فى الوليد بن المغيرة وأبى جهل . وقيل : المفتون هو الشيطان ؛ لأنه مفتون فى دينه . وكانوا يقولون : إن به شيطانا ، ومنّا بالمجنون هذا ؛ فقال الله تعالى فيعلمون فدا بأهم المجنون ؛ أى الشيطان الذى يحصل من مسّه الجنون واختلاط العقل .

(١) آية ٢٠ سورة المؤمنون . (٢) آية ٦ سورة الإنسان .

(٣) الفلج (فتح الفاء واللام) : مدينة بأرض الحجاز لى جعدة . ويمجوز فيه : • نحن بنو ... • بالنصب على الاختصاص - (رابع الشاهد التاسع والثمانين بعد السجدة فى نزاة الأدب) .

(٤) آية ١٣ سورة القدريات .

(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) أى إن الله هو العالم بمن ضل عن دينه . ( وَهُوَ  
أَعْلَمُ بِالْمُنَافِقِينَ ) أى الذين هم على الهدى فيجازي كلًا بما عمله .

قوله تعالى : فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٤﴾

نهاء عن مكالمة المشركين ؛ وكانوا يدعونه إلى أن ينكح منهم ليكفوا عنه ، فبين الله  
تعالى أن مكالمتهم كفر . وقال تعالى : « وَلَوْلَا أَنْ نَبِّئَكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شيئا  
قَلِيلاً » . وقيل : أى فلا تطع المكذبين فيما دعوك إليه من دينهم الخبيث . نزلت في مشرك  
قرين حين دعوه إلى دين آبائه .

قوله تعالى : وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ قَيْلِهُنَّوْنَ ﴿٥﴾

قال ابن عباس وعطية والضحاك والسدي : ودوا لو تكفر فيأتون على كفرهم . وعن  
ابن عباس أيضا : ودوا لو ترخص لهم فيخصون لك . وقال الفراء والكلبي : لو تلين  
فيليون لك . والأكثان : التلين لمن لا يلبى له التلين ؛ قاله الفراء . وقال مجاهد : المعنى ودوا  
لو ركنت إليهم وترك الحق فيالكفونك . وقال الربيع بن أنس : ودوا لو تكذب فيكذبون ،  
وقال قتادة : ودوا لو تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك . الحسن : ودوا لو تصالهم  
في دينك فيصالحوك في دينهم . وعنه أيضا : ودوا لو ترخص بعض أمرلك فيرخصون بعض  
أمرهم . زيد بن أسلم : لو تناق وتزأ فيداهون ويرامون . وقيل : ودوا لو تضعف  
فيضعفون ؛ قاله أبو جعفر . وقيل ودوا لو تناه في دينك فيداهون في أديانهم ؛ قاله  
الكتبي . وعنه : طلبوا منه أن يبدل آفتهم مدة ويبداوا لده مدة . فهذه اثنا عشر قولاً .  
ابن الصري : ذكر المفسرون فيما نحو عشرة أقوال كلها دعاوى على اللغة والمعنى . أمثلها  
قولهم : ودوا لو تكذب فيكذبون ، ودوا لو تكفر فيكفرون .

قلت : كلها إن شاء الله تعالى صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى ؛ فإن الاتهام اللين  
والمصانة . وقيل : بجملة المؤمات . وقيل : المقاربة في الكلام والتلين في القول .  
قال الشاعر :

لبعض النظم أكرم في أمور \* تنوبك من مذاكرة العدة

وقال المفضل : الضفاق وترك المناصحة . فهي على هذا الوجه مذمومة ، وعلى الوجه  
الأول غير مذمومة ، وكل شيء منها لم يكن . قال المبرد : يقال أدهن في دينه وداهن  
في أمره ؛ أي خان فيه وأظهر خلاف ما يُضمَر . وقال قوم : داهنت بمعنى وارت ،  
وداهنت بمعنى غششت ؛ قاله الجوهري . وقال : « فيدهنون » فساقه على العطف ،  
ولو جاء به جواب انتهى لقال فيدهنوا . وإنما أراد : إن تمتوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك ؛  
حطفا لا جزاء عليه ولا مكافأة ، وإنما هو تخيل وتنظير .

قوله تعالى : وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مِّمَّهِينَ ﴿١٦﴾ هَمَزَ مَشَاءِ  
يَمِينِ ﴿١٧﴾ مَنَاجٍ لِلتَّخَيَّرِ مُتَّعِدِ أُنِيعَ ﴿١٨﴾ عُنِيَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيعِ ﴿١٩﴾

يعني الأخلص بن قمر بن قيس ، في قول الشعبي والسدي وابن إسحاق . وقيل : الأسود  
ابن عبد يغوث ، أو عبد الرحمن بن الأسود ؛ قاله مجاهد . وقيل : الوليد بن المغيرة ، حرره  
على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف أن يعطيه إن رجع عن دينه ؛ قاله مقاتل . وقال  
ابن عباس : هو أبو جهل بن هشام . والحلاف : الكثير الحلف . والمهمين : الضعيف  
القلب ؛ عن مجاهد . ابن عباس : الكتاب . والكتاب مهمين . وقيل : المكاف في الثراء ؛  
قاله الحسن وقتادة . وقال الكلبي : المهمين الفاجر العاجز . وقيل : مبتدأ الخفير عند الله .  
وقال ابن خزيمة : إنه الليل . الثاني : المهيمن الوضع لإخثاره من القبيح . وهو فيل من  
المهانة بمعنى القلة . وهي هنا القلة في الرأي والتمييز . أو هو فيل بمعنى مقل ؛ والمعنى مهان .  
( هَمَزَ ) قال ابن زيد : الهمز الذي حمز الناس بيده ويضربهم . والهاز باللسان . وقال

الحسن : هو الذى يهزم ناحية فى المجلس ، كقوله تعالى : « هُزِمَتْ » . وقيل : المآثر التى يذكر الناس فى وجوههم . والآثار التى يذكرونها فى منيهم ، قاله أبو العالية وعطاء بن أبي رباح والحسن أيضا . وقال مقاتل ضد هذا الكلام : إن الهزيمة التى ينتاب بالنية . والهزيمة التى ينتاب فى الوجه . وقال مرة : هما سواء . وهو الفتات الطمان للره إذا غاب . ونحوه عن ابن عباس وقادة . قال الشاعر :

تُذِلُّ بؤدة إذا لاقيت كذبا \* وإن أغب فانت المامن للهمة

( مشاعر تميم ) أى يمشى بالنيمة بين الناس ليُفسد بينهم . يقال : تَمَّ نَمًّا ونَيْمًا ونَيْمَةً . أى يمشى ويسعى بالفساد . وفى صحيح مسلم عن حذيفة أنه بلغه أن رجلا يتم الحديث فقال حذيفة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة نمام » . وقال الشاعر :

وموتى كيت الغل لا خير عنده \* لمولاه إلا سميته بنميم

قال الفراء : هما لغتان . وقيل : التميم جمع نميعة . ( مناجي تميم ) أى لال أن ينقذ فى وجوهه . وقال ابن عباس : يمنع عن الإسلام ولده وعشيرته . وقال الحسن : يقول لم من دخل منك فى دين محمد لا أضعه بشيء أبدا . ( متصيد ) أى حلى الناس فى الظلم ، متجاوز للحد ، صاحب باطل . ( إنيح ) أى ذى إثم ، ومبناه أقوم ، فهو فيسيل بمعنى تسول . ( متئل بعد ذلك زهير ) المتئل الخافى الشديد فى كفره . وقال الكلبي والفراء : هو الشديد انحصومة بالباطل . وقيل : إنه الذى يتئل الناس فيجزمهم إلى حبس أو عذاب . مأخوذ من التئل وهو الجز ، ومنه قوله تعالى : « خُلِدُوا فَأُعْطُوا » . وفى الصراح : وهلت الرجل أخيله وأخيله إذا جذبته جذبا عنيفا . ورجل متئل ( بالكسر ) . وقال يصف فرسا :

« ففرعه فرحا ولسبنا تئله »

قال ابن السكيت : تئله وتئته ، باللام والنون جميعا . والتئل الغليظ الخافى . والتئل أيضا :

( ١ ) فى الأصول : « مأوم » . ( ٢ ) آية ١٧ سورة الحنان .

( ٣ ) هو أمير النجم الرايز . وفرغ فرسه فرحا : كبحه وكفه .

الريح الطليط . ورجل حَتْلُ ( بالكسر ) مِنَ التَّلِّ ؛ أَي مَرَجَ إِلَى الشَّرِّ . وَيُقَالُ : لَا أَمْتَلُ مَعَكَ ؛ أَي لَا أُبْرِجُ مَعَكَ . وَقَالَ مُعَيْدُ بْنُ مُعَيْدٍ : التَّلُّ الْأَكُولُ الشَّرُوبُ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ يُوَضِّعُ فِي الْمِيزَانِ فَلَا يَزِنُ شَعِيرَةً ؛ يُلْغِ الْمَلَكُ مِنْ أَوَّلِكَ فِي جَهَنَّمَ بِالذَّمَّةِ الْوَاحِدَةِ سَبْعِينَ أَلْفًا . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْحَسَنُ : التَّلُّ الْفَاحِشُ السَّيِّئُ الْخَلْقُ . وَقَالَ مَعْمَرٌ : هُوَ الْفَاحِشُ الْكَلِيمُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

يُسْتَلُّ مِنَ الرِّجَالِ زَيْنٌ \* غَيْرُ ذِي نَجْمَةٍ وَغَيْرُ كَرِيمٍ

وفي صحيح مسلم من حادثة بن وهب مع النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أَلَا أَخْبَرَكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ — قَالُوا بَلَى قَالَ — كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ <sup>(١)</sup> لَوْ أَقَامَ عَلَى اللَّهِ لَا يَجُزُّ . أَلَا أَخْبَرَكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ — قَالُوا بَلَى قَالَ — كُلُّ حَتْلٍ جَوَاطِئُ مُسْتَكْبِرٍ " . فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ " كُلُّ جَوَاطِئٍ زَيْنٌ مُسْتَكْبِرٌ " . الْجَوَاطِئُ : قِيلَ هِيَ الْجَمْعُ مِنَ النَّوعِ . وَقِيلَ الْكَثِيرُ الْهَلْمُ الْخُتَالُ [ فِي مَشِيئَةٍ ] . وَذَكَرَ الْمَاوَرِدِيُّ مِنْ تَهْرِيرِ حَوْشَبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَزَمٍ ، وَرَوَاهُ أَبُو مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ جَوَاطِئٌ وَلَا جَعْفَرِيٌّ وَلَا التَّلُّ الزَّيْمُ " . فَقَالَ رَجُلٌ : مَا الْجَوَاطِئُ وَمَا الْجَعْفَرِيُّ وَمَا التَّلُّ الزَّيْمُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْجَوَاطِئُ الَّتِي جَمَعَ وَمَتَعَ ، وَالْجَعْفَرِيُّ الْفُلَيْطُ . وَالتَّلُّ الزَّيْمُ الشَّدِيدُ الْخَلْقُ الرَّجِيبُ الْجَوْفُ الْمُصْبَحُ الْأَكُولُ الشَّرُوبُ الْوَاجِدُ لِلْعُلَامِ الظُّلُومِ النَّاسِ " . وَذَكَرَهُ التَّنْطِيزِيُّ عَنْ حَسَنَادِ بْنِ أَوْسٍ : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ جَوَاطِئٌ وَلَا جَعْفَرِيٌّ وَلَا حَتْلُ زَيْنٍ " . مَعْتَمِدِينَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ : وَمَا الْجَوَاطِئُ ؟ قَالَ : الْجَمْعُ الْمَتَاعُ . قُلْتُ : وَمَا الْجَعْفَرِيُّ ؟ قَالَ : التَّقَطُّ الْفُلَيْطُ . قُلْتُ : وَمَا التَّلُّ الزَّيْمُ ؟ قَالَ : الرَّجِيبُ الْجَوْفُ الرَّبِيعُ الْخَلْقُ الْأَكُولُ الشَّرُوبُ الْعَشُومُ الظُّلُومُ .

قُلْتُ : فَهَذَا التَّصْمِيمُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّلِّ قَدْ أَرَبَنِي عَلَى أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ . وَوَقَعَ فِي تَخْلِبِ أَبِي دَاوُدَ فِي تَفْسِيرِ الْجَوَاطِئِ أَنَّهُ التَّقَطُّ الْفُلَيْطُ . ذَكَرَهُ مِنْ حَلِيتِ حَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ

(١) رَوَى بِكسر اللام وفتحها . وَالْمَشْهُورُ نَحْوُ : وَسَاءَ : يَتَضَعَّفُ النَّاسُ وَيَحْتَضِرُونَ عَلَيْهِ لِنُصْفِ حَالِهِ فِي الدُّنْيَا . وَرِوَايَةُ الْكَسْرِ مِثْلُهَا : خَوَاضِعٌ مِثْلُ حَامِلٍ وَاضِعٌ مِنْ قَسَمِهِ . قَالَ الْقَاضِي : وَقَدْ يَكُونُ الضَّمُّ هُنَا رِقَّةً الْقُلُوبِ وَلِيْنًا وَإِعْجَابًا لِلْإِيمَانِ .

الْبُرْهَانُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْجَوَاطِ وَلَا الْجَمْعُطَرِي »  
 قَالَ : وَالْجَوَاطِ الْقَطْطُ النَّظِيطُ . فَقِيهٌ تَفْسِيرَانِ مَرْفُوعَانِ حَسَبَ مَا ذَكَرْتَاهُ أَوَّلًا . وَقَدْ قِيلَ :  
 إِنَّهُ الْجَانِي الْقَلْبَ . وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « عَتَلْتُ بِكَ زَيْنَمَ » قَالَ قَالَ النَّبِيُّ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَبَكَى السَّمَاءُ مِنْ رَجُلٍ أَحْبَبَ اللَّهُ جِسْمَهُ وَرَحِبَ جَوْفَهُ وَأَعْطَاهُ مِنَ الدُّنْيَا  
 بَعْضًا فَكَانَ لِلنَّاسِ ظُلُومًا فَذَلِكَ الْمُتَلَّى الزَّيْنَمُ . وَتَبَكَى السَّمَاءُ مِنَ الشَّيْخِ الزَّائِي مَا تَكَادُ الْأَرْضُ  
 تُقَلِّهَ » . وَالزَّيْنَمُ الْمُتَمَقِّقُ بِالْقَوْمِ الدَّيْعِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ . قَالَ الشَّاعِرُ :  
 زَيْنَمٌ تَدْلَعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً • كَمَا زَيْدٌ فِي عَرَضِ الْأَيْدِيمِ الْأَكَارِغِ

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ لَهُ زَنْمَةٌ كَرَمَةُ الشَّاةِ . وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ جَبْرِ أَنَّهُ  
 الَّذِي يُسَمَّى بِالشَّرْكَاءِ تُعْرَفُ الشَّاةُ بِزَنْمَتِهَا . وَقَالَ عِكْرِمَةُ : هُوَ اللَّيْمُ الَّذِي يُعْرَفُ بِزَنْمَتِهِ كَمَا  
 تُعْرَفُ الشَّاةُ بِزَنْمَتِهَا . وَقِيلَ : إِنَّهُ الَّذِي يُعْرَفُ بِالْأَبْنَةِ . وَهُوَ مَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا .  
 وَعَنْهُ أَنَّهُ الظُّلُومُ . فَهَذِهِ سِتَّةُ أَقْوَالٍ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : زَيْنَمٌ كَانَتْ لَهُ سِتَّةُ أَصَابِجٍ فِي يَدِهِ ، فِي كُلِّ  
 إِبْهَامٍ لَهُ أَصْبَعٌ زَائِدَةٌ . وَعَنْهُ أَيْضًا وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَصَرَفَةُ : هُوَ وَلَدُ الزَّيْنِ الْمُحَقَّقِ فِي اللَّسْبِ  
 بِالْقَوْمِ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ دَعِيًّا فِي قُرَيْشٍ لَيْسَ مِنْ سَيْتِهِمْ ؛ أَدْعَاهُ أَبُوهُ بَدْرُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً  
 مِنْ مَوْلَاهُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

زَيْنَمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مِنْ أَبِيهِ • بَنَى الْأُمَّ فَوَحِشٌ لَيْسَ

وَقَالَ حَسَّانُ :

وَأَنْتَ زَيْنَمٌ نَيْطُ فِي آلِ هَاشِمٍ • كَمَا نَيْطُ خَلْفِ الرَّابِكِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ

قُلْتُ : وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ بَيْنَهُ . وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَعَالَى أَنَّهُ الَّذِي لَا أَصْلَ  
 لَهُ ؛ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ . وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلَدُ زَيْنَى  
 وَلَا وَلَدُهُ وَلَا وَلَدُ وَلَدِهِ » . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ  
 أَوْلَادُ الزَّيْنِ يَحْشُرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورَةِ الْفَرْدَةِ وَالْخَازِرِ » . وَقَالَتْ مَيْمُونَةُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ

(١) هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ الْخَبَرَةِ الْخَزَرِيُّ . (٢) السَّخْ (بِالْكَسْرِ وَالْهَاءِ الْمَجْمُوعَةُ) : الْأَسْلُ .

صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تزال أمتي بخير ما لم يقش فمهم ولد الزنى فإذا فشا فمنا بهم ولد الزنى أو شك أن يسمهم الله بعباب » . وقال عكرمة : إذا كثروا ولد الزنى لخط المطر .

قلت : أما الحديث الأول والثاني فما أظن لما سندا يصح ، وأما حديث مجونة وما قاله عكرمة ففي صحيح مسلم عن زيب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فزعا محمراً وجهه يقول : « لا إله إلا الله » . وبئس للعرب من شر قد اقترب . فتح اليوم من ردم أجوج وأجوج مثل هذه « وحلق بإصبعيه الإبهام والتي عليها » قالت فقلت : يا رسول الله ، أتراك وفيها الصالحون ؟ قال : « نعم إذا كثرت الخبث » ترجمه البخاري . وكثرة الخبث ظهور الزنى وأولاد الزنى ، كما فسره العلماء . ويقول عكرمة « خط المطر » تبيين لما يكون به الهلاك . وهذا يحتاج إلى توقيف ، وهو أعلم من أين قاله . ومعظم المفسرين على أن هذا نزل في الوليد بن المغيرة ، وكان يعلم أهل مبي حياً ثلاثة أيام ، وينادي ألا لا يوقدت أحد تحت برية ، ألا لا يدخن أحد بكراع ، ألا ومن أراد الحيس فليأت الوليد بن المغيرة . وكان ينفي في الحجة الواحدة عشرين ألفاً وأكثر ، ولا يعطى المسكين درهما واحداً قليل « مناع الخير » . وفيه نزل : « وَيُؤْتِي الشُّرَكَاءَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ » . وقال محمد بن إسحاق : نزلت في الأخنس بن شريق ، لأنه حليف ملحق في بني زهرة ، فلذلك سمى زيباً . وقال ابن عباس : في هذه الآية نيت ، فلم يسرف حتى قتل فعرف ، وكان له زمة في عقه معلقة يعرف بها . وقال مرة الحمداق : إنما أدعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة .

قوله تعالى : أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١١﴾ إِذَا تَسَلَّى عَلَيْهِ عَائِلَتُكَ

قَالَ أَسْطِطُوا الْأَوَّلِينَ ﴿١٢﴾

(١) الحيس : الطعام المنفذ من التمر والاعط (الذين المنفذ من الجبن الحامض) واليمن .

(٢) آية ٦ سورة فصلت .

قوله تعالى : ( **أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ** ) قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو حيوة والمغيرة والأعرج « **أَنْ كَانَ** » بهزمة واحدة ممدودة على الاستفهام . وقرأ المفضل وأبو بكر وحزمة « **أَنْ كَانَ** » بهزتين محققتين . وقرأ الباقر بهزمة واحدة على الخبر ؛ فن قرأ بهزمة مطولة أو بهزتين محققتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ ، ويحسن له أن يقف على « **زَنِيمٌ** » ، ويبدئ « **أَنْ كَانَ** » على معنى **إِلَّا أَنْ كَانَ** ذا مال وبنتين طليعه . ويجوز أن يكون التقدير : **إِلَّا أَنْ كَانَ** ذا مال وبنتين يقول **إِنَّا تَتَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا** : أساطير الأولين !! ويجوز أن يكون التقدير : **الآن** كان ذا مال وبنتين يكفر ويستكبر . ودل عليه ما تقدم من الكلام فصار كالذكر بعد الاستفهام . ومن قرأ « **أَنْ كَانَ** » بغير استفهام فهو مفعول من أجله والعمل فيه فعل مضمر ، والتقدير : يكفر لأن كان ذا مال وبنتين . ودل على هذا الفعل « **إِنَّا تَتَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ** أساطير الأولين » . ولا يعمل في « **أَنْ** » : « **تَتَلَّى** » ولا « **قَالَ** » لأن ما بعد « **إِذَا** » لا يعمل فيها قبلها ، لأن « **إِذَا** » تضاف إلى الجمل التي بعدها ، ولا يعمل المضاف إليه فيها قبل المضاف . و « **قَالَ** » جواب الجزاء ولا يعمل فيها قبل الجزاء ؛ إذ حكم العامل أن يكون قبل المعمول فيه ، وحكم الجواب أن يكون بعد الشرط فيصير مقدما مؤثرا في حال . ويجوز أن يكون المعنى لا تطلع لأن كان ذا يسار ومدد . قال ابن الأنباري : ومن قرأ بلا استفهام لم يحسن أن يقف على « **زَنِيمٌ** » لأن المعنى لأن كان وبان كان ، فـ « **أَنْ** » متعلقة بما قبلها . قال غيره : يجوز أن يتعلق بقوله : « **مَشَاءُ بَنِيمٍ** » والتقدير يمشي بنيم لأن كان ذا مال وبنتين . وأجاز أبو علي أن يتعلق بـ « **تَتَلَّى** » . وأساطير الأولين : أباطيلهم وترفاتهم وترارهم . وقد تقدم .

قوله تعالى : **سَنَسِفُهُ عَلَى أَخْطَرُطُومٍ** ﴿١١﴾

فيه مسألتان :

الأولى — قوله تعالى : ( **سَنَسِفُهُ** ) قال ابن عباس : معنى « **سَنَسِفُهُ** » سنخبطه بالسيف . قال : وقد خُطم الذي نزلت فيه يوم بدر بالسيف ؛ فلم يزل يخطو ما إلى أن مات . (١) في بعض الأصول : « **ترترارهم** » بإتفاف . ولها ، « **وترارهم** » : (٢) رابع ٦٤ ص ٤٠٥

وقال ثالثة : سلمه يوم القيامة على أنه سمة يعرف بها ؛ يقال : وسمة وسما وسمة إذا أقرت  
فيه سمةً وثى . وقد قال تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » فهذه علامة ظاهرة .  
وقال تعالى : « ونحشر المحرمين يومئذ ذرّاً » وهذه علامة أخرى ظاهرة . فأفادت هذه  
الآية علامةً ثالثة وهى الوسم على الأنف بالنار ؛ وهذا كقوله تعالى : « يعرف المحرّمون  
بسيّام » قاله الكلبي وغيره . وقال أبو المالية ومجاهد : « سسمه على الخرطوم » أى على  
أفاه ، وتسود وجهه فى الآخرة فيعرف بسواد وجهه . والخرطوم : الأنف من الإنسان .  
ومن السباع : موضع الشفة . وخرطوم القوم : ساداتهم . قال الفراء : وإن كان الخرطوم  
قد خصّ بالسمة فإنه فى معنى الوجه ؛ لأن بعض الشيء يعبر به عن الكل . وقال الطبري :  
شيئ أمره تيانا وانما حتى يعرفوه فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخرطوم . وقيل :  
المعنى سليلي به عاراً وسمة حتى يكون كن وسم على أفاه . قال التقي : تقول العرب للرجل  
يسب سبة سوء فيحمة باقية : قد وسم يسم سوء ؛ أى ألصق به عاراً لا يفارقه ؛ كما أن  
السمة لا يتغي أثرها . قال جرير :

لما وضعت على الفزقة ميسى • وعلى البيت جدت أنف الأخطل<sup>(١)</sup>

أراد به المجهل . قال : وهذا كله نزل فى الوليد بن المغيرة . ولا نعلم أن الله تعالى بلغ من ذكر  
عيوب أحد ما بلغه منه ؛ فآلفه به عاراً لا يفارقه فى الدنيا والآخرة ؛ كالوسم على الخرطوم .  
وقيل : هو ما ابتلاه الله به فى الدنيا فى نفسه وماله وأهله من سوء وذلك وصغار ؛ قاله ابن  
جرير . واستشهد بقول الأعشى :

فدعها وما ينيك وأحمد لنيرها • بشرك وأعلب أنف من أنت واسم

(١) آية ١٠٦ سورة آل عمران . (٢) آية ١٠٢ سورة طه . (٣) آية ٤١ سورة الرحمن .

(٤) البيت : هو عذائش بن بشر (وبال شير) من بن مجاشع ؛ كان يابى جريراً .

(٥) مله يله طارطوريا : أثره وروحه أو عذته .

وقال النضر بن شميل : المني ستمعه على شرب الخمر . والخمرطوم : الخمر ، وجمعه خراطيم .  
قال الشاعر :

تَقَلَّ يومك في مَسْووفى طَرَب \* وأنت بالليل شَرَّاب الخراطيم  
قال الرازي :

\* صَبَاء نُطْلُوهُمَا عَقَارًا قَرَقَا <sup>(١٧)</sup>

وقال آخر :

أبا حاضر من يَزَن يُسْرِف زَفَاؤُهُ \* ومن يشرب الخمرطوم يُصْبِح مسكرا

الثانية — قال ابن العربي : « كان الوم في الوجه لدى المعصية قديما عند الناس ، حتى أنه روى — كما تقدم — أن اليهود لما أهملوا زَيِّم الزاني اعتاضوا منه بالضرب ونجم الوجه <sup>(١٨)</sup> وهذا وضع باطل . ومن الوم الصحيح في الوجه : ما رأى العلماء من تسويد وجه شاهد الزور ، علامة على قُبُح المعصية وتشديد لمن يتعاطاها لغيره ممن يرجى تجنبه بما يرجى من عقوبة شاهد الزور وشهرته ؛ فقد كان عزيزا بقول الحق وقد صار مهينا بالمعصية . وأعظم الإهانة [إهانة الوجه] ، وكذلك كانت الاستهانة به في طاعة الله سببا <sup>(١٩)</sup> نليمة الأبد والتحریم له على النار ؛ فإن الله تعالى قد حرم على النار أن تأكل من آبن آدم آثار السجود ؛ حسب ما ثبت في الصحيح .

قوله تعالى : إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَفْتُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾

- (١) هو المجاج . (٢) كل هذا من أسماء الخمر . وقيل : \* عليها حولين ثم استودعا \*  
وغشت النوى : غطيت . واستودع البئ : صب في الآنا . (٣) نجم الوجه : تسميته بالجمجم .  
(٤) عبارة ابن العربي في أحكامه : « ... لغيره لمن يرجى تجنبه بمن يرى من عقوبة ... » .  
(٥) في ابن العربي : « سببا لحياة الأبد » .

## فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( **إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ** ) يريد أهل مكة . والابتلاء الاختبار . والمعنى أعطيتهم أموالاً ليشكروا لا ليبتطروا ؛ فلما يبتطروا وعادوا عداً صلى الله عليه وسلم استيناهم بالجويع والقمح كما بلونا أهل الجنة المعروف ، خبرها عندهم . وذلك أنها كانت بأرض اليمن بالقرب منهم على فراعص من صنعاء — ويقال بفرععين — وكانت لرجل يؤدى حق الله تعالى منها ؛ فلما مات صارت لى ولده ، فمتوا الناس خبرها ويحلوا بحق الله فيها ؛ فأهلكها الله من حيث لم يمتهم دفع ما حل بها . قال الكلبي : كان بينهم وبين صنعاء فرسخان ؛ ابتلاهم الله بأن أحرقت جنتهم . وقيل : هى جنة بقُوران ، وضوران على فرسخ من صنعاء ، وكان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام يسير — وكانوا بخلاء — فكانوا يجنون الثريا من أجل المساكين ، وكانوا أرادوا حصاد زرعها وقالوا : لا يدخلها اليوم عليكم مسكين ، فعدوا عليها فإذا هى قد أقيمت من أصلها فأصبحت كالقصرم ؛ أى كالليل . ويقال أيضاً للنهار صريم . فإن كان أراد الليل فلا سوداد موضعها . وكأنهم وجدوا موضعها حماً . وإن كان أراد بالقصرم النهار فلنحباب الشجر والزرع وقاع الأرض منه . وكان الطائف الذى طاف عليها جبريل عليه السلام فاقطعها ، فيقال : إنه طاف بها حول البيت ثم وضعها حيث مدينة الطائف اليوم ؛ ولذلك سُميت الطائف . وليس فى أرض الجواز بلدة فيها الشجر والأعشاب والماء غيرها . وقال البكري فى المعجم : سُميت الطائف لأن رجلاً من الصُلف<sup>(١)</sup> يقال له السُّمُون ، بنى حائلاً وقال : قد بنيت لكم طائفاً حول بلدكم ؛ فسُميت الطائف . والله أعلم .

الثانية — قال بعض العلماء : حل من حصد زرعاً أو جد ثمرة أن يواشى منها من حضره ؛ وذلك معنى قوله : « **وَأَتُوا حَقَّ يَوْمٍ حَصَادِهِ** » وأنه غير الزكاة حل ما تقم فى « **الأنعام** »<sup>(٢)</sup> بيانه . وقال بعضهم : وعليه ترك ما أخطأه الحصادون . وكان بعض المباد يتقزون أقراتهم

(١) الصُلف (بالفتح ثم الكسر) : خلاف من اليمن مقرب الى القبية .

(٢) راجع ج ٧ ص ٩٩

(٣) فى نسخ الأصل : « من » .

من هذا . وروى أنه نُهي عن الحصاد بالليل . قيل : إنه لما ينقطع عن المساكين في ذلك من الرق . وتأكل من قال هذا الآية التي في سورة « ن » والقلم » . وقيل : إنما نهى عن ذلك خشية الحيات وهوام الأرض .

قلت : الأول أصح ، والثاني حسن . وإنما قلنا الأول أصح لأن العقوبة كانت بسبب ما أرادوه من منع المساكين كما ذكر الله تعالى . روى أسباط عن السدي قال : كان قوم باليمن وكان أبوم رجلا صالحا ، وكان إذا بلغ ثماره أتاه المساكين فلم يمنهم من دخولها وأن يأكلوا منها ويترددوا ؛ فلما مات قال بؤه بعضهم لبعض : علام نعطى أموالنا هؤلاء المساكين ! تمالأ فلندخل فنصرمتها قبل أن يعلم المساكين ؛ ولم يستنوا ؛ فأطلقوا وبعضهم يقول لبعض خفا : لا يدخلها اليوم عليكم مسكين ؛ فذلك قوله تعالى : ( إِذْ أَقْسَمُوا )<sup>(١)</sup> يعني حلفوا فيما بينهم ( لَيَصْرِمُنَّا مُصْرِمِينَ )<sup>(٢)</sup> يعني لنجذنها وقت الصبح قبل أن نخرج المساكين ؛ ولا يستنوا ؛ يعني لم يقولوا إن شاء الله . وقال ابن عباس : كانت تلك الجنة دون صنعاء بقرطيين ، غرسها رجل من أهل الصلاح وكان له ثلاثة بنين ، وكان للمساكين كل ما تملكه المتجبل فلم يجبه من الكرم ، فإذا طرأ على البساط فكل شيء سقط عن البساط فهو أيضا للمساكين ، فإذا حصدوا زرعهم فكل شيء تملكه المتجبل فهو للمساكين ، فإذا درسوا كان لهم كل شيء انتثر ؛ فكان أبوم يتصدق منها على المساكين ، وكان يعيش في ذلك في حياة أبيهم اليتامى والأرامل والمساكين ، فلما مات أبوم فعلوا ما ذكر الله عنهم . فقالوا : قل المال أكثر العيال ؛ ففعلوا بينهم ليفدون غدة قبل خروج الناس ثم ليصرمها ولا تعرف المساكين . وهو قوله : ( إِذْ أَقْسَمُوا ) أي حلفوا « لَيَصْرِمُنَّا » ليقطن ثمر نخيلهم إذا أصبحوا بسدة من الليل فلا يتبته المساكين لهم . والصرم القطع . يقال : صرم الميت عن النخلة . وأصرم النخل أي حان وقت صرامه . مثل أركب المهر وأحصد الزرع ، أي حان ركوبه وحصاده . ( وَلَا يَسْتَنْوُنَ )<sup>(٣)</sup> أي ولم يقولوا إن شاء الله . « فَتَنَادَوْا مُصْرِمِينَ »<sup>(٤)</sup> ينادى بعضهم بعضا . (١) التفت ( يوزن الست ) : إصرار الملق . (٢) اللدة : الطلبة ، والفسو . ولاحقة من الليل . (٣) اغتلاط الفسو . ولاحقة جميعا .

« أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَابِرِينَ » عازمين على الصرام والجسداد . قال قتادة : حاصدين زرعكم . وقال الكلبي : ما كان في جنتهم من زرع ولا نخيل . وقال مجاهد : كان حرثهم عنباً ولم يقولوا إن شاء الله . وقال أبو صالح : كان استنابهم قولهم سبحان الله ربنا . وقيل : معنى « ولا يستنون » أى لا يستنون حق المساكين ؛ قاله عكرمة . فغادوها ليلاً فراوا الجنة مسوقة قد طاف عليها طائف من ربك وهم قائمون . قيل : الطائف جبريل عليه السلام ؛ على ما تقدم ذكره . وقال ابن عباس : أمر من ربك . وقال قتادة : عذاب من ربك . ابن جرير : علق من نار تخرج من وادى جهنم . والطائف لا يكون إلا بالليل ؛ قاله الفراء .

الثالثة - قلت : في هذه الآية دليل على أن العزم مما يؤخذ به الإنسان ؛ لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم . ونظير هذه الآية قوله تعالى : « وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ » . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا اتقى المسلمان بسيفهما فالتقاتل والمقتول في النار » قيل : يا رسول الله ، هذا القتال فما بال المقتول ؟ قال : « لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه » . وقد مضى مبيناً في سورة « آل عمران » عند قوله تعالى : « وَلَمْ يَصْرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا »<sup>(٢١)</sup> .

قوله تعالى : فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٢﴾ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَابِرِينَ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى : فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ أى كالليل المظلم ؛ عن ابن عباس والفراء وغيرهما .

قال الشاعر :

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ الْجَنُونَُ الْيَسِيمُ \* فَايَجِبُ مِنْ صَبِيحٍ يَسِيمٍ<sup>(٢٢)</sup>

(١) آية ٢٥ سورة الحج . (٢) راجع ج ٤ ص ٢١٥ (٣) في اللسان مادة صرم :

\* فَايَجِبُ عَنْ لَيْلٍ صَرِيمٍ \*

أى احترقت فصارت كالليل الأسود . وعن ابن عباس أيضا : كالرماد الأسود . قال :  
الصرم الرماد الأسود بلغة خزيمية . التوى : كالزيع المصود . فالصرم بمعنى المصروم  
أى المقطوع ما فيه . وقال الحسن : صُرم عنها السير أى قطع ؛ فالصرم مفعول أيضا .  
وقال المؤنّج : أى كالرملة انصرفت من معظم الرمل . يقال : صرمة وصرائم ؛ فالرملة  
لا تنبت شيئا يتنفع به . وقال الأخفش : أى كالصبح انصرم من الليل . وقال المبرد :  
أى كالنهار ؛ فلا شيء فيها . قال سِمر : الصّرم الليل والصّريم النهار ؛ أى ينصرم هذا عن  
ذاك وذلك عن هذا . وقيل : سُمّي الليل صريما لأنه يقطع بظلمته عن التصرف ؛ ولهذا يكون  
فعل بمعنى فاعل . قال الفشيري : وفى هذا نظر ؛ لأن النهار يسمى صريما ولا يقطع عن  
تصرف .

قوله تعالى : فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿١٢﴾ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ  
عَلَيْكُمْ مِمَّكِينٌ ﴿١٣﴾ وَغَلَّوْا عَلَى حَرْدٍ قَلِيلِينَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ( فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ) أى يسأرون ؛ أى يخفون كلامهم ويسرونه  
للا يعلم بهم أحد ؛ قاله عطية وقتادة . وهو من خَفَتْ يَخِفْتُ إذا سكن ولم يبين . كما قال  
دريد بن الصمة :

وَإِنِّي لَمْ أَهْلِكْ سُلَالًا وَلَمْ أَمِتْ \* خُفَاتًا وَكُلًّا فَلَنَهَ فِي عَوْدِي

وقيل يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم . وكان أبوم يغير الفقراء والمساكين فيحضروا  
وقت الحصاد والصرام . ( وَقَدَّوْا عَلَى حَرْدٍ قَلِيلِينَ ) أى حل قصدة وقدرته فى أنفسهم ويطنون  
أنهم تمكنوا من مرادهم . قال معناه ابن عباس وغيره . والحرد القصيد . حرد يحرد ( بالكسر )  
حردًا قصيد . تقول : حَرَدْتُ حَرْدَكَ ؛ أى قصبت قصيدك . ومنه قول الزاجر :  
أقبل سبيل جاء من عند الله \* يحرد حرد الجنة المفضلة  
أنشد النحاس :

قد جاء سبيل جاء من أمر الله \* يحرد حرد الجنة المفضلة

قال المبرد : المِثْلَةُ ذات القَلَّة . وقال غيره : المِثْلَةُ التي يجري الماء في ظلها أي في أصولها . ومنه تَقَلَّتْ بالغايلة . ومنه تَقَلَّتْ ، أبطل من اللام ياء . ومن قال تَقَلَّتْ فمعناه عنده جعلها غلافا . وقال قتادة ومجاهد : « على حرد » أي على جرد . الحسن : على حاجة وفاة . وقال أبو عبيدة والفتنبي : « على حرد » على منع ، من قولهم حَارَدَتِ الإبلُ جراداً أي قَلَّتْ ألبانها . والحُرود من النوق القليلة النور . وحارَدَتِ السَّنةُ قَلَّ مطرُها وغيرها . وقال السَّدي وسفيان : « على حرد » على غضب . والحرد الغضب . قال أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأسمى : وهو غفغف ؛ وأُشْدَ شعرا :

إذا جباد الحبليل جاءت تزدى • مملوءة من قَفْصٍ وحرد

وقال ابن السكيت : وقد يحرك ؛ تقول منه : حَرَدَ ( بالكسر ) حرداً ، فهو حارِدٌ وحردان . ومنه قيل : أسدٌ حارِدٌ ، ولُيُوثٌ حوارد . وقيل : « على حرد » على انفراد . يقال : حَرَدَ يَحْرُدُ حُروداً ؛ أي تَقَيَّ من قومه ونزل متفردا ولم يخالطهم . وقال أبو زيد : رجل حَرِيد من قوم حَرْداء . وقد حَرَدَ يَحْرُدُ حُروداً ؛ إذا ترك قومه وتحول عنهم . وكوكب حَرِيد ؛ أي معتزل عن الكواكب . قال الأصبغ : ورجل حَرِيد ؛ أي فريد وحيد . قال : والمتحَرِّد المنفرد في لغة هذيل . وأُشْدَ لأبي ذؤيب :

• كأنه كوكب في الجَوْ مُنَحَرِد •

ورواه أبو عمرو بالجيم ، وقصره : منفرد . قال : وهو مهيل . وقال الأزهري : حَرَدَ أُمٌّ قريتهم . السدي : أُمٌّ جنتهم . وفيه لثان : حَرَدَ وحَرْدٌ . وقرأ العامة بالإسكان ؛ وقرأ أبو العالية وآبن السبيعي بالفتح ؛ وهما لثان . ومعنى « قادرين » قد قدروا أمرهم وبنوا عليه ؛ قاله الفراء . وقال قتادة : قادرين على جنتهم عند أنفسهم . وقال الشعبي : « قادرين » يعني على المساكين . وقيل : معناه من الوجود ؛ أي منعوا وهم واجدون .

(١) التي في كتب القلة : القليل : الماء الذي يجري في أصول الشجر ، أو الماء الظاهر الجارى .

قوله تعالى : فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٦٧﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى : ( فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ) أى لما راوها محترقة لا شئ فيها . قد صارت كالليل الأسود ينظرون إليها كالرماد ، أنكروها وشكوا فيها . وقال بعضهم لبعض ( إِنَّا لَضَالُونَ ) أى ضلنا الطريق إلى جنتنا ، قاله قتادة . وقيل : أى إننا لضالون عن الصواب في غدقنا على نية منع المساكين ، فلذلك عوقبنا . ( بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ) أى حرمتنا جنتنا بما صنعنا . روى أسباب عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والمعاصي إن العبد ليذنب الذنب فيُحرَم به رزقاً كان هَيَّ لَهُ — ثم تلا — » غفاب عليها طائف من ربك « الآيةين .

قوله تعالى : قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٧٠﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَامَمُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا يَبُولْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٧٢﴾ عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَلِّغَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٧٣﴾

قوله تعالى : ( قَالَ أَوْسَطُهُمْ ) أى اثنهم وأعدلهم وأعظمهم . ( أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ) أى هلا تستنثون . وكان استنثاؤهم تسبيحا ، قاله مجاهد وغيره . وهذا يدل على أن هذا الأوسط كان أمرهم بالاستثناء فلم يطعموه . قال أبو صالح : كان استنثاؤهم سبحان الله . فقال لهم : هلا تسبحون الله ، أى تقولون سبحان الله وتشكروه على ما أعطاكم . قال النحاس : أصل التسبيح التثنية لله عز وجل ، فجعل مجاهد التسبيح في موضع إنشاء الله ، لأن المعنى تثنية الله عز وجل أن يكون شئ إلا بشيئته . وقيل : هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون إليه من خبيث نيتكم ، لأن أوسطهم قال لهم حين عزوا على ذلك وذكروهم انتقامه من المجرمين . ( قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا ) اعترفوا بالمعصية وزعموا الله عن أن يكون ظالما فيا فصل . وقال ابن عباس في قولهم : « سبحان ربنا » أى نستعفر الله من ذنوبنا . ( إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ) لأنفسنا

في معنا المساكين . ( فَأَقْبِلْ بِعَظْمُهُمْ عَلَى بَعْضِ يَتَلَاوُمُونَ ) أى يلوم هذا هذا في القسم ومع المساكين ، ويقول : بل أنت أشرت علينا بهذا . ( قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ) أى عاصين بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء . وقال ابن كيسان : طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها آبائنا من قبل . ( عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا ) تماقدوا وقالوا : إن أبدلنا الله خيرا منها لنصنقن كما صنعت آبائنا ؛ فلدعوا الله وتضرعوا فأبدلهم الله من ليثهم ما هو خير منها ، وأمر جبريل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بؤرة من أرض الشام ، ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها . وقال ابن مسعود : إن القوم أخلصوا وعرف الله منهم صدقهم فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان ، فيها نخب يعمل البطل منها عقودا واحدا . وقال البخاري أبو خالد : دخلت تلك الجنة فرأيت كل عقود منها كالرجل الأسود الفاتم . وقال الحسن : قول أهل الجنة « إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ » لا أدرى إيماناً كان ذلك منهم ، أو على حدا ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة ؛ فيوقف في كونهم مؤمنين . وسئل قتادة عن أصحاب الجنة : أعم من أهل الجنة أم من أهل النار ؟ فقال : لقد كلمني نبياً ، والمعلم يقولون . إنهم تابوا وأخلصوا ، وحكاه التشيرى . وقراءة العامة « يُبَدِّلُنَا » بالتحفيف . وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو بالتشديد ، وهما لثان . وقيل : التبديل تغيير الشيء أو تغيير حاله وعين الشيء قائم . والإبدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه . وقد مضى في سورة « النساء » القول في هذا .

قوله تعالى : كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْأَخِيرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ( كَذَلِكَ الْعَذَابُ ) أى عذاب الدنيا وهلاك الأموال ؛ من ابن زيد . وقيل : إن هذا وصف لأهل مكة بالرجوع إلى الله لما ابتلاهم بالجلب لنداء النبي صلى الله عليه وسلم ، أى كيفلنا بهم فعل بن تسمى حدودنا في الدنيا . ( وَالْعَذَابُ الْأَخِيرَةُ أَكْبَرُ )

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وقال ابن عباس : هذا مثل لأهل مكة حين خرجوا إلى بدر وحلفوا ليقطن محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويرجعن إلى مكة حتى يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر ، وتضرب القينات على رؤوسهم ، فأخلف الله ظنهم وأسرؤا وقطلوا وأنزموا كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام نظائرا . ثم قيل : إن الحق الذي منه أهل الجنة المساكين يحتل أنه كان واجبا عليهم ، ويحتمل أنه كان تطوعا ، والأول أظهر ، والله أعلم . وقيل : السورة مكبة ؛ فبعد حل الآية على ما أصاب أهل مكة من القطع ، وعمل قتال بدر .

قوله تعالى : **إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١﴾ أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٢﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٥﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٦﴾**

قوله تعالى : **(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ)** تخدم القول فيه ؛ أى إن التقين في الآخرة جنات ليس فيها إلا النعم الخالصة ، لا يشوبه ما ينقصه كما يشوب جنات الدنيا . وكان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها ؛ فإذا سمعوا بمجئ الآخرة وما وعد الله للمؤمنين قالوا : إن مع أنا نبعت كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالم إلا مثل ما هي في الدنيا ، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلوا ، وأقصى أمرهم أن يساونا . فقال : **(أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ)** أى كالكفار . وقال ابن عباس وغيره : قالت كفار مكة إنا نعلم في الآخرة خيرا مما تعلمون ؛ فقلت « أفجعل المسلمين كالمجرمين » ثم وتجههم فقال : **(مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)** هذا الحكم الأعوج ؛ كان أمر الجزاء مفوض إليكم ، حتى تحكموا فيه مما شئتم أن لكم من الخير ما للمسلمين . **(أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ)** أى لكم كتاب تعبدون فيه المطبع كالماضي . **(إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ)** تختارون وتشترون . والمعنى : أن لكم (بالفتح) ولكنه كسر لدخول اللام ؛ هول علمت أنك عاقل (بالفتح) وعلمت

إِنَّكَ لَمَلِكٌ ( بالكسر ) . فالسائل في « إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لِمَا تَحْتَرُونَ » « تدرسون » في المعنى .  
 ومنعت اللام من فتح « إِنَّ » . وقيل : تَمَّ الكلام عند قوله : « تدرسون » ثم ابتدأ فقال :  
 « إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لِمَا تَحْتَرُونَ » أى إِنَّ لَكُمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِذَا مَا تَحْتَرُونَ ؛ أى لَيْسَ لَكُمْ ذَلِكَ .  
 والكتابة في « فِيهِ » الأولى والثانية راجعة إلى الكتاب . ثم زاد في التوبيخ فقال : « أَمْ لَكُمْ  
 إِيمَانٌ » أى عهود ومواثيق . « حَلِيلًا بِاللَّيْلِ » مؤكدة . وباللغة المؤكدة بالله تعالى . أى أَمْ  
 لَكُمْ عُهُودٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى اسْتَوْفَقْتُمْ بِهَا أَنْ يَدْخُلَكُمْ الْجَنَّةُ . « إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ » كُثِرَتْ  
 « إِنَّ » لِنُحُولِ اللام في الخبر . وهى من صلة « إِيْمَانٍ » ، والموضع النصب ولكن كُثِرَتْ لأجل  
 اللام ؛ تقول : حَلَلْتُ إِنَّ لَكَ لَكُنَّا . وقيل : تَمَّ الكلام عند قوله : « إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »  
 ثم قال : « إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ » إِذَا ؛ أى لَيْسَ الْأَمْرُ كَهَذَا . وقرأ ابنُ حُرَيْرٍ : « أَيْنَ لَكُمْ  
 فِيهِ لِمَا تَحْتَرُونَ » « أَيْنَ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ » ؛ بالاستفهام فهما جميعا . وقرأ الحسن البصرى  
 « بِاللَّيْلِ » بالنصب على الحال ؛ إما من الضمير في « لَكُمْ » لأنه خبر من « إِيْمَانٍ » ففيه ضمير  
 منه . وإما من الضمير في « حَلِيلًا » إن قلنا « حَلِيلًا » وصفاً للإيمان لا متعلقاً بنفس  
 الإيمان ؛ لأن فيه ضميراً منه ؛ كما يكون إذا كان خبراً عنه . ويصور أن يكون حالا من « إِيْمَانٍ »  
 وإن كانت نكرة كما أجازوا نصب « حَقًّا » على الحال من « متاع » في قوله تعالى : « مَتَاعٌ  
 وَالْمَعْرُوفُ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ » . وقرأ العامة « بِاللَّيْلِ » بالرفع نعت لـ « إِيْمَانٍ » .

قوله تعالى : سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ ذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٥٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَاثِرُوا

بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَالِحِينَ ﴿٥١﴾

قوله تعالى : ( سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ ذَلِكَ زَعِيمٌ ) أى سل يا محمد هؤلاء المخوفين من : أَعْمُ كَفِيلٍ  
 بما تقدم ذكره . [ وهو أن لهم من الخير ] ما للمسلمين . والزَّعِيمُ : الكفيل والضمين ؛ قاله  
 ابن عباس وقطادة . وقال ابن كيسان : الزعيم هنا القائم بالخدمة والدعوى . وقال الحسن :

الزيم الرسول . ( اَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ) اى الهم والميم صلة . « شركاء » اى شهاده . ( فَلْيَاثُوا  
بِشُرَكَائِهِمْ ) يشهدون على ما زعموا . ( اِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ) فى دعوام . وقيل : اى لياثوا  
بشركائهم ان امكنهم ؛ فهو امر معناه التحجيز .

قوله تعالى : يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا  
يَسْتَطِيعُونَ ﴿١٦﴾ خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى  
السُّجُودِ وَهُمْ سَالِينَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ( يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ) يجوز ان يكون العامل فى « يوم » « فلياثوا »  
اى فلياثوا بشركائهم يوم يكشف عن ساق ليشفع الشركاء لهم . ويجوز ان ينصب بإضمار  
فعل ، اى اذ كر يوم يكشف عن ساق ؛ فيوقف على « صادقين » ولا يوقف عليه على التقدير  
الاول ، وقرئ : « يوم تكشف » بالنون . « وقرأ » ابن عباس « يوم تكشف عن ساق »  
بتاء مسنن الفاعل ؛ اى تكشف الشدة أو القيامة من ساقها ؛ كقولهم : تيمرت الحرب  
عن ساقها . قال الشاعر :

لَقِيَ الْحَرْبَ اِنْ عَصَتْ بِهِ الْحَرْبُ عَصَهَا • وَإِنْ تَيَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَرَا<sup>(١)</sup>

وقال الراجر :

فَدَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا فَتَشُدُّوْا • وَجَعَلَتْ الْحَرْبُ بِكُمْ يَلْتَدُوْا

وقال آخر :

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا • وَمِنْ طَرَادِ الطَّيْرِ عَنْ أَرْضِهَا  
فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا • حَرَاهُ تَبْرِيءُ الْهَمِّ عَنْ عِرَاقِهَا<sup>(٢)</sup>

وقال آخر :

كَشَفَتْ لَهَا مِنْ سَاقِهَا • وَبِهَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

(١) البيت لحاتم المائى . ويرى : آخر الحرب . وأما الحرب .

(٢) العراق : العلم بغير علم . لأن كان عليه لم فهو مرق .

وعن ابن عباس أيضا والحسن وأبي العالصة « يُكشَف » بناء غير مسمى الفاعل . وهذا  
الفراسة راجعة إلى معنى « يُكشَف » وكأنه قال : يوم تُكشَف القيامة عن شدة . وقرئ  
« يوم تُكشَف » بالنساء المضمومة وكسر الشين ؛ من « أَكشَف إذا دخل في الكشف .  
ومنه : أَكشَف الرجل فهو مُكشِف ؛ إذا اُتلفت شَفَّتْه العليا . وذَكَر ابن المبارك قال :  
أخبرنا أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى : « يَوْمَ يُكشَفُ عَنْ سَاقٍ »  
قال عن كعب وشدة . أخبرنا ابن جريج عن مجاهد قال : شدة الأمر وجهه . وقال مجاهد :  
قال ابن عباس هي أشد ساعة في يوم القيامة . وقال أبو حنيفة : إذا اشتد الحرب والأمر  
قيل : كَشَف الأمر عن ساقه . والأصل فيه أن من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجِدَّة تَمَر  
عن ساقه ؛ فاستبرأ الساق والكشف عنها في موضع الشدة . وقيل : ساق الشيء أصله الذي  
به قوامه ؛ فساق الشجرة وساق الإنسان . أي يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق  
الأمر وأصلها . وقيل : يكشف عن ساق جهنم . وقيل : عن ساق العرش . وقيل :  
يريد وقت اقتراب الأجل وضعف البدن ؛ أي يكشف للمريض عن ساقه ليبره ضعفه ،  
ويد له المؤذن إلى الصلاة فلا يمكنه أن يقوم ويخرج . فاما ما روي أن الله يكشف عن  
ساقه فإنه عن وجل يتعالى عن الأعضاء والتبعيض وأن يكشف ويتغلى . ومعناه أن يكشف  
عن العظيم من أمره . وقيل : يكشف عن نوره عن وجل . وروي أبو موسى عن النبي صلى  
الله عليه وسلم في قوله تعالى « عن ساقٍ » قال : « يكشف عن نور عظيم يخفون له مجده » .  
وقال أبو الليث السمرقندي في تفسيره : حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا ابن مبيع قال حدثنا  
هذبة قال حدثنا حماد بن سلمة عن حدى بن زيد عن عمارة القرشي عن أبي ردة عن أبي موسى  
قال حدثني أبي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا كان يوم القيامة مثل  
لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويبقى أهل التوحيد  
فيقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون إن لنا رباً كنا نعبد في الدنيا ولم نره — قال —  
وتعرفونه إذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال فكيف تعرفونه ولم تروه قالوا إنه لا شيء له

فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجداً وتبقى أقوام ظهورهم من صَاحِبِ الْبَقَرِ فينظرون إلى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى : « يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ » فيقول الله تعالى عبادي اركعوا وموسى فقد جعلت بَدَل كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي النَّارِ . قال أبو بردة : حدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال : الله الذي لا إله إلا هو لقد حَدَّثَكَ أبوك بهذا الحديث ؟ غُفِلَ لَهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ؛ فقال عمر : ما سمعت في أهل التوحيد حديثاً هو أحبَّ إليَّ من هذا . وقال قيس بن السَّكَنِ : حَدَّثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَامَ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ أَرْبَعِينَ أَمَاماً شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ ، حَفَاةً حُرّاً يَلْجَمُهُمُ الْعَرَقُ ، فَلَا يَكْتَلِمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ أَمَاماً ، ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ : أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلَيْسَ عَدَلًا مِنْ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَصَوَّرَكُمْ وَأَمَاتَكُمْ وَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ جَعَلْتُمْ فِيهِ أَنْ يُؤْتَى كُلُّ قَوْمٍ مَا تَوَلَّوْا ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فِيرْفَعُ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَبْدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيُثْبِتُونَهَا حَتَّى تَهْتَفَهُمْ فِي النَّارِ ، فَيَقِي الْمُسْلِمُونَ وَالْمَنَافِقُونَ فَيَقَالُ لَهُمْ : أَلَا تَذْهَبُونَ قَدْ ذَهَبَ النَّاسُ ؟ فَيَقُولُونَ حَتَّى يَأْتِينَا رَبَّنَا ؟ فَيَقَالُ لَهُمْ : أَوْ تَرْفُوتُهُ ؟ فَيَقُولُونَ : إِنْ اعْتَرَفْنَا لَنَا عَرَفَانَهُ . قَالَ : فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيَقِيلُ لَهُمْ فَيُخْرِجُ مَنْ كَانَ يَبْهَةِ غُلْصًا سَاجِدًا ، وَيَقِي الْمَنَافِقُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِهِمْ السَّفَافِيدُ<sup>(١)</sup> ، فَيَنْهَبُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ، وَيَدْخُلُ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَيَسْتَبِشِرُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ) . ( خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ ) أَيْ ذَلِيلَةً مُتَوَاضِعَةً ؛ وَنَصَبَهَا عَلَى الْحَالِ . ( تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ) وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ التَّلَاجِ . وَتَسُودُ وَجُوهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ حَتَّى تَرْتَجِبَ أَسَدُ سَوَادًا مِنَ النَّارِ .

قلت : معنى حديث أبي موسى وابن مسعود ثابتٌ في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وغيره .

(١) مياصير البقر : قرونها . (٢) أي إذا رصف نفسه بصفة تحققت بها .

(٣) السفافيد : جمع السقود وزن السقود ، الخديعة التي يشرب بها الخمر .

قوله تعالى : ( وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى الشُّجُودِ ) أى فى الدنيا . ( وَهُمْ سَائِلُونَ )  
سَائِلُونَ إِسْمَاء . قال إبراهيم التيمى : أى يدعون بالأفان والإقامة فى أوطانهم . وقال سعيد  
ابن جبير : كانوا يسمعون حتى على الفلاح فلا يجيبون . وقال كعب الأحبار : والله ما نزلت  
هذه الآية إلا فى الذين يفتنون من الجماعات . وقيل : أى بالتكليف الموجه عليهم  
فى الشرع ، والمعنى مغارب . وقد مضى فى سورة « البقرة » الكلام فى وجوب صلاة  
الجماعة . وكان الربيع بن نعيم قد قُلع وكان يسأدى بين الرجلين إلى المسجد ، فقيل :  
يا أبا يزيد ، لو صليت فى بيتك لكنت لك رخصة . فقال : من سمع حتى على الفلاح فليجب  
ولو حبرا . وقيل لسعيد بن المسيب : إن طارقا يريد فتك فتعيب . فقال : أبحيث لا يقدر  
الله على ؟ فقيل له : اجلس فى بيتك . فقال : أسمع حتى على الفلاح ، فلا أجب !

قوله تعالى : فَلَذَرْنِي وَمَنْ يُكَلِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثَ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ  
حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ( فَلَذَرْنِي ) أى ذنى . ( وَمَنْ يُكَلِّبُ ) « مَنْ » مفعول معه أو معطوف  
على ضمير المتكلم . ( بِهِذَا الْحَدِيثِ ) يعنى القرآن ، قاله السدى . وقيل : يوم القيامة . وهذا  
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ، أى فانا أجازهم وأنقم منهم . ثم قال : ( سَنَسْتَدْرِجُهُمْ  
مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ) معناه سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون ، فعذبوا يوم بدر . وقال  
سفيان الثوري : نسيخ عليهم النعم ونفسهم الشكر . وقال الحسن : كم مستدرج بالإحسان  
إليه ، وكم مفتون بالثناء عليه ، وكم مغرور بالستر عليه . وقال أبو رزق : أى كلما أهدنوا  
خطية جلدنا لم نعمة وأنسبناهم الاستغفار . وقال ابن عباس : سنمكر بهم . وقيل : هو  
أن نأخذهم قليلا ولا نباغتهم . وفى حديث « أن رجلا من بنى إسرائيل قال يارب كم أصعبك

(١) راجع ج ١ ص ٢٤٨ وما بعدها طبع ثانية أرفقا .

(٢) أى يمشى فيها متندا عليها لضعفه وبهاية ، من « تهادت المرأة فى شيتها » : اذا تمايلت .

وَأَنْتَ لَا تَعْقِبُنِي — قَالَ — فَأَوْسَى اللَّهُ إِلَى نَجَى زَمَانِهِمْ أَنْ قُلْ لَهُمْ مِنْ عِقَابِي لِي عَلَيْكَ  
وَأَنْتَ لَا تَسْمُرُ . إِنَّ جُودَ عَيْنِكَ وَقِسَاوَةَ قَلْبِكَ اسْتَدْرَاجٌ مِنِّي وَعِقَابِي لَوْ عَقَلْتَ .  
وَالِاسْتَدْرَاجُ : تَرْكُ الْمَعَايِلَةِ . وَأَصْلُهُ النُّقْلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ كَالْتَدْرِجِ . وَمِنْهُ قِيلَ دَرَجَةٌ ؛  
وَهِيَ مِثْلَةٌ بَعْدَ مِثْلَةٍ . وَاسْتَدْرَجَ فَلَانٌ فَلَانًا ؛ أَيْ اسْتَخْرَجَ مَا عِنْدَهُ قَلِيلًا . وَيُقَالُ : دَرَجَهُ  
إِلَى كَذَا وَاسْتَدْرَجَهُ بِمَعْنَى ؛ أَذْنَاهُ مِنْهُ عَلَى التَّدْرِجِ فَتَدْرِجُ هُوَ . ( وَأُمِّلُ لَمْ ) أَيْ أَهْلُهُمْ  
وَأَطِيلُ لَمْ الْمُتَّة . وَالْمَلَاوَةُ : الْمُدَّةُ مِنَ الدَّهْرِ . وَأُمِّلُ اللَّهُ لَهُ أَيْ أَطَالَ لَهُ . وَالْمَقْوَانُ : اللَّيْلُ  
وَالنَّهَارُ . وَقِيلَ : « أُمِّلُ لَمْ » أَيْ لَا أَطِيلُهُمْ بِالْمَوْتِ ؛ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ . وَقَدْ مَضَى  
فِي « الْأَعْرَافِ » بَيَانُ هَذَا . ( إِنَّ كَيْدِي مِتِينٌ ) أَيْ إِنَّ عَذَابِي لَقَوِيٌّ شَدِيدٌ فَلَا يَفُوتُنِي أَحَدٌ .

قوله تعالى : أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَقْرَرٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾

عَادَ الْكَلَامُ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « أَمْ لَمْ تُشْرِكُوا » . أَيْ أَمْ تَسْأَلُهُمْ مِنْهُمْ ثَوَابًا عَلَى  
مَا نَهَضُوا إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ؟ فَهُمْ مِنْ غَرَامَةِ ذَلِكَ مَثْقَلُونَ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ مِنْ بَذْلِ الْمَالِ ؛  
أَيْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ كُفَّةٌ ، بَلْ يَسْتَوْلُونَ بِتَابِعَتِكَ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَيَصْلُونَ إِلَى جَنَاتِ النِّعَمِ .

قوله تعالى : أَمْ عَنْهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى : ( أَمْ عَنْهُمْ النَّبِيُّ ) أَيْ لَمْ يَغَابْ عَنْهُمْ . ( فَهُمْ يَكْتُمُونَ ) وَقِيلَ :  
أَيُّزَلُ عَلَيْهِمُ الْوَحْيُ بِهَذَا الَّذِي يَقُولُونَ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : الْغَيْبُ هُنَا الْوَحْيُ الْمَحْفُوظُ ؛ فَهُمْ  
يَكْتُمُونَ بِمَا فِيهِ يَخَاصُمُونَكَ بِهِ ، وَيَكْتُمُونَ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْكَ ، وَأَنَّهُمْ لَا يَجَاقِبُونَ . وَقِيلَ :  
« يَكْتُمُونَ » يَكْتُمُونَ لِأَفْضَلِهِمْ بِمَا يَرِيدُونَ .

قوله تعالى : فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُتُوتِ إِذْ  
نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى : ( فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ) أى لقضاء ربك . والحكم هنا القضاء . وقيل : فأصبر على ما حكم به عليك ربك من تبليغ الرسالة . وقال ابن جرير : فأصبر لنصر ربك . قال قتادة : أى لا تعجل ولا تفاضب فلا بد من نصرك . وقيل : إنه منسوخ بآية السيف . ( وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ) يعنى يونس عليه السلام . أى لا تكن مثله فى الغضب والضعف والسمجة . قال قتادة : إن الله تعالى يُزَيِّنُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم ، ويأمره بالصبر ولا يسجل كما سجل صاحب الحوت ، وقد مضى خبره فى سورة « يونس » ، والأنباء ، والصفات . والفرق بين إضافة ذى وصاحب فى سورة « يونس » فلا معنى للإعادة . ( إِذْ نَادَى ) أى حين دعا فى بطن الحوت فقال : « لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » . ( وَهُوَ مَكْظُومٌ ) أى مملوء غمًا . وقيل : كذا . الأول قول ابن عباس ومجاهد . والثانى قول عطاء وأبى مالك . قال السأوردى : والفرق بينهما أن النعم فى القلب ، والكره فى الأنفاس . وقيل : مكظوم محبوس . والكظم الحبس ، ومنه قولهم : فلان كظم غيظه أى حبس غضبه ، قاله ابن جرير . وقيل : إنه المأخوذ بكظمه وهو جرى النفس ، قاله المبرد . وقد مضى هذا وغيره فى « يوسف » .

قوله تعالى : لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِلَ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٣٥﴾ فَأَجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى : ( لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ ) قراءة العامة « تداركه » . وقرا ابن هُرْمُزٍ والحسن « تداركه » بتشديد الدال ، وهو مضارع ادغمت الداء منه فى الدال . وهو على تقدير حكاية الحال ، كأنه قال : لولا أن كان يقال فيه تداركه نعمة . ابن عباس وابن مسعود « تداركته » وهو خلاف المرسوم . و « تداركه » فعل ماضٍ مذكّر مجمل على معنى

(١) راجع ٨ ص ٢٨٢

(٢) راجع ١١ ص ٣٢٩

(٣) راجع ١٠ ص ١٢١

(٤) راجع ٩ ص ٢٤٩

النعمة؛ لأن تأييد النعمة خير حقيقى . و « تداركته » مل لفظها . واختلاف فى معنى النعمة هنا ؛ قيل التأييد؛ قاله الضحاك . وقيل عبادة التى سلفت؛ قاله ابن جبر . وقيل : نداءه « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين »؛ قاله ابن زيد . وقيل : نعمة الله عليه إخراجاه من بطن الحوت ؛ قاله ابن بحر . وقيل : أى رحمة من ربه ؛ فترجمه وتاب عليه . ( تَنبِذَ بِالرَّاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ) أى تَنبِذَ مَذْمُومًا وَلَكِنَّهُ تَنبِذَ سَفِيحًا غَيْرَ مَذْمُومٍ . ومعنى « مذموم » فى قول ابن عباس : مُلِيمٌ . وقال بكر بن عبد الله : مذنب . وقيل : مذموم مبدؤ من كل خير . والراء : الأرض الواسعة الفضاء التى ليس فيها جبل ولا شجر يستر . وقيل : لولا فضل الله عليه لبقى فى بطن الحوت إلى يوم القيامة، ثم نبذ بهراء القيامة مذمومًا . يدل عليه قوله تعالى : « قُلُوا لَهُ كَأَن مِّنَ الْمُسْلِمِينَ » . أَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ <sup>(١)</sup> . ( فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ ) أى اصطفاه واختاره . ( بِغَمَلَةٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ) قال ابن عباس : ردَّ الله إليه الوحش ، وشغفه فى نفسه وفى قومه ، وقيل توبته ، وجعله من الصالحين بأن أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون .

قوله تعالى : وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ <sup>(٢)</sup>

قوله تعالى : ( وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا ) « إن » هى المخففة من الثقيلة . ( لَيُزْلِقُونَكَ ) أى يمتانوك . ( بِأَبْصَرِهِمْ ) أخبر بشدة عدائهم التى صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا أن يصيبوه بالعين فنظر إليه قوم من قريش وقالوا : ما رأينا مثله ولا مثل ترجمه . وقيل : كانت العين فى بنى أسد ، حتى إن البقرة السمينية أو الناقة السمينية تمر بأحدهم فيعابها ثم يقول : يا جارية ، خذى المِثْكَلَ <sup>(٣)</sup> والدرهم فأتينا بلحم هذه الناقة ؛ فما ترح حتى تقع اللوت

(١) آية ١٤٣ سورة الصافات .

(٢) زيل يسل من الخوص يحمل فيه التروغرة .

تُصَحَّر . وقال الكلبي : كان رجل من العرب يمكث لا يأكل شيئا يومين أو ثلاثة ، ثم يرفع جانب الجباه فصر به الإبل أو الغنم فيقول : لم أركليوم أبلا ولا غنا أحسن من هذه ! لها تذهب إلا قليلا حتى تسقط منها طائفة هالكة . فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فاجابهم ؛ فلما حَرَّ النبي صلى الله عليه وسلم أنشد :  
قد كان قومك يحسبوك سيدا • وإخل ألك سيد مميوتا

فصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وزلت • وإن يكاد الذين كفروا ليزلفوك • . وذكر نحوه الماوردي . وأن العرب كانت إذا أراد أحدهم أن يصيب أحدا - يعني في نفسه وماله - تجرح ثلاثة أيام ، ثم يتعرض لنفسه وماله فيقول : ثأفه ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكثر منه ولا أحسن ، فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية . قال القشيري : وفي هذا نظر ؛ لأن الإصابة بالعين إنما تكون مع الاستحسان والإعجاب لابع الكراهية والبغض ؛ ولهذا قال : ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ مَن جَحَدَ بِأَيِّ سُلَيْمَانَ إِلَى الْغَنُونِ إِذَا رَأَوْكَ تَمَرَأَ الْقُرْآنَ .

قلت : أمثال المفسرين والفتويين تدل على ما ذكرنا ، وأن مرادهم بالنظر إليه قتله ، ولا يمنع كراهة الشيء من أن يصاب بالعين عداوة حتى يهلك . وقرا ابن عباس وابن مسعود والأعشى وأبو وائل وجاهد « ليزهقوك » أي ليهلكوك . وهذه قراءة على التفسير ؛ من زهقت نفسه وأزهقها . وقرا أهل المدينة « ليزلفوك » بفتح الاء . وسمها الباقون ؛ وهما لسان بمعنى ؛ يقال : زلقه يزلقه وأزلقه يزلقه إزلاقا إذا نحا وأبعده . وزلق رأسه يزلقه زلقا إذا حلقه . وكذلك أزلقه وزلقه زلقا . ورجل زلق وزلق - مثال هذيد - وزماني وزملي - بنشديد الميم - وهو الذي يتزل قبل أن يجامع ؛ حكاه الجوهرى وغيره . فمضى الكلمة إذا التعبة والإزالة ؛ وذلك لا يكون في حق النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهلاكه وموته . قال المروى : أراد ليعتانونك بيمينهم فيزيلوك من مقامك الذي أظلمك الله فيه عداوة لك . وقال ابن عباس : ينفذونك بأبصارهم ؛ يقال : زلق السم وزلق إذا نفذ .

وهو قول مجاهد . أى يَفْخُذُوكَ من شدة نظركم . وقال الكلبى : يَصْرَعُونَكَ . ومعه أيضا  
والسدى وسعيد بن جبير : يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة . وقال التوفى : يرمونك .  
وقال المؤرج : يُزِيلُونَكَ . وقال النضر بن شميل والأخفش : يفتنونك . وقال عبد العزيز  
أبن يحيى : ينظرون إليك نظراً شزرّاً بجديق شديد . وقال ابن زيد : ليمسوك . وقال جعفر  
الصادق : لياكلوك . وقال الحسن وابن كيسان : ليقطلونك . وهذا كما يقال : صرعى  
بطرفه ، وقتلى بيته . قال الشاعر :

ترميك مَرَقَّةَ العيون بطرفها • وتكلُّ عنك نصالَ نَيْلِ الراى

وقال آخر :

يتقاضون إذا التقوا فى مجلس • تَنْظَرًا يَزِلُّ مواطئ الأقدام

وقيل : المعنى أنهم ينظرون إليك بالملأوة حتى كادوا يسقطونك . وهذا كله راجع إلى  
ما ذكرنا ، وأن المعنى الجامع : يصيبونك بالعين . والله أعلم .

قوله تعالى : وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾

أى وما القرآن إلا ذكر للعالمين . وقيل : أى وما عهد إلا ذكر للعالمين يذكرون به .  
وقيل : معناه شرف ؛ أى القرآن . كما قال تعالى : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ » <sup>(١)</sup> « ولهى صلى  
الله عليه وسلم شرف للعالمين أيضا . شرفوا باتباعه والإيمان به صلى الله عليه وسلم .

## سورة الحاقة

مكيةٌ فى قول الجميع . وهى إحدى ومحمسون آية

روى أبو الزاهرية عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ  
إحدى عشرة آية من سورة الحاقة أجزر من فنة التجال . ومن قرأها كانت له نوراً يوم  
القيامة من فوق رأسه إلى قدمه » <sup>(٢)</sup>

(١) فى بعض الأصول والمان « ذيل » وكلاماً صحيح . (٢) آية ٤٤ سورة الزمر .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝  
قوله تعالى : ( الْحَاقَّةُ . مَا الْحَاقَّةُ ) يريد القيامة ، تُمَيِّت بذلك لأن الأمور تُحَقَّقُ فيها ؛  
قوله الطبري . كأنه جعلها من باب « ليل ياتم » . وقيل : تُمَيِّت حاقّة لأنها تكون من  
غير شك . وقيل : تُمَيِّت بذلك لأنها أحقّت لأقوام الجنة ، وأحقّت لأقوام النار . وقيل :  
تُمَيِّت بذلك لأن فيها يصير كل إنسان حقيقاً بجزاء عمله . وقال الأزهري : يقال حاقته  
لحَقَّقْتُهُ أَحَقَّهُ ، أى ظالبته حسبه . فالقيامة حاقّة لأنها تُحَقِّقُ كُلَّ عَمَلٍ فِي دِينِ اللَّهِ بِالْبَاطِلِ ؛  
أى كل غُضَامٍ . وفق الصراح : وحاقّه أى خاصمه وادّعى كل واحد منهما الحق ؛ فإذا ظفّه  
قيل حَقَّهُ . ويقال للرجل إذا خاصم في صغار الأشياء : إنه لتريق الحقائق . ويقال : ماله  
فيه حق ولا حقائق ؛ أى خصومة . والحقائق التخاصم . والاحتقاق : الاختصاص . والحاقّة  
والحقّة والحق ثلاث لغات بمعنى . وقال الكسائي والمؤرج : الحاقّة يوم الحق . ويقول  
العرب : لما حَرَفَ الحقّة منى هرب . والحاقّة الأولى رفع بالابتداء ، والخبر المبتدأ الثاني  
وغيره وهو « ما الحاقّة » لأن معناها ما هي . واللفظ استفهام ، ومعناه التعظيم والتضخيم لشأنها ؛  
كما تقول : زيد ما زيد ! هل التعظيم لشأنه . ( وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ) استفهام أيضاً ؛ أى  
أى شيء أمهلك ما ذلك اليوم . والتيّ صلى الله عليه وسلم كان حالاً بالقيامة ولكن بالصفة .  
فقل تضخيماً لشأنها : وما أدراك ما هي ؛ كأنك لست تعلمها إذ لم تماينها . وقال يحيى بن سلام :  
يلتقي أنت كل شيء في القرآن « وما أدراك » فقد أدراه إياه وعلمه . وكل شيء قال  
« وما يدريك » فهو مما لم يعلمه . وقال سفيان بن عيينة : كل شيء قال فيه « وما أدراك »  
فإنه أخبر به ، وكل شيء قال فيه « وما يدريك » فإنه لم يخبر به .

قوله تعالى : كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَى ۝ وَقَدْ جَاءَهُ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْهُ ۝ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ ابْنُ مَرْيَمَ أَنْطَبُوا لِحُكْمِ رَبِّكُمْ ۝ فَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسِهِمْ كَافُونَ ۝

ذكر من كذب بالقيامة . والقارعة القيامة ؛ تُمَيِّت بذلك لأنها تخرج الناس بأهوالها .  
يقال : أصابهم قوارع الضر ؛ أى أهواله وشدائده . ويعود بالله من قوارع للان ولواذمه

وقرارص لسانه ؛ جمع قارصة وهى الكلمة المؤذية ، وقوارع القرآن : الآيات التى يقرؤها الإنسان إذا فزع من الجن أو الإنس ، نحو آية الكرسي ؛ كأنها تفرع الشيطان . وقيل : القارعة مأخوذة من القرعة فى رفع قوم وحط آخرين ؛ قاله المبرد . وقيل : عنى بالقارعة العذاب الذى نزل بهم فى الدنيا ؛ وكان يتيهم بخولهم بذلك فيكذبونه . ثمود قوم صالح ؛ وكانت منازلهم بالمجرى بين الشام والحجاز . قال محمد بن إسحاق : وهو وادى القرى ؛ وكانوا عُرَبًا . وأما عاد فقوم هود ؛ وكانت منازلهم بالأحفاف . والأحفاف : الرمل بين عُمان إلى حضرموت واليمن كله ؛ وكانوا عُرَبًا ذوى خَلْقٍ وبَسْطَةٍ ؛ ذكره محمد بن إسحاق . وقد تقدم <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى : فَأَمَّا مَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥٠﴾

فيه إضمار ؛ أى بالفعللة الطاغية . وقال قتادة : أى بالصيحة الطاغية ؛ أى المجاوزة للحد ؛ أى لحد الصبغات من الغول . كما قال هـ « إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَيْئَةِ الْمُخْتَلِرِ » <sup>(٢)</sup> . والطينيان : مجاوزة الحد ؛ ومنه « إِنَّا لَأَطَقْنَا الْمَاءَ » أى جاوز الحد . وقال الكسبي : بالطاغية بالصاعقة . وقال مجاهد : بالذئوب . وقال الحسن : بالطينيان ؛ فهى مصدر كالكاذبة والعاقبة والمافية . أى أهلكوا بطينيانهم وكفرهم . وقيل . إن الطاغية عافر الناقة ؛ قاله ابن زيد . أى أهلكوا بما أقدم عليه طاغيتهم من عفر الناقة ؛ وكان واحدا ؛ وإنما هلك الجميع لأنهم رضوا بفعله ومآلوه . وقيل له طاغية كما يقال : فلان راوية الشعر ، وداهية وعلامة ونسابة .

قوله تعالى : وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٥١﴾ سَخَّرَمَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مَخَرَّتَهُمْ وَأَنسَافَهُنَّ أَنْفُسَهُنَّ يَوْمَ هُمْ كَاكِبَةٌ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى : ( وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ) أى باردة تحرق يريدها كإحراق النار؛ مأخوذ من الصر وهو البرد، قاله الضحاك . وقيل : إنها الشديدة الصوت . وقال مجاهد : الشديدة السموم . ( عاتية ) أى عنت على نحرانها فلم تطلعهم، ولم يطبقوها من شدة هبوبها؛ غضبت لغضب الله . وقيل : عنت على عاد فقهرتهم . روى سفيان الثوري عن موسى ابن المسيب عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما أرسل الله من نسمة من ريح إلا بمكآل ولا قطرة من ماء إلا بمكآل إلا يوم عاد ويوم نوح فإن الماء يوم نوح طفى على الخزان فلم يكن لهم عليه سيل — ثم قرأ — «إِنَّا نَسَا طَفَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ» والريح لما كان يوم عاد عنت على الخزان فلم يكن لهم عليها سيل، — ثم قرأ — «بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ» . ( مَطَرَهَا عَلَيْهِمْ ) أى أرسلها وسقطها عليهم . والتستير : استهلاك الشيء بالافتقار . ( سَبَّحَ لَيْلًا وَنَهَارًا أَيَّامٌ حُسُومًا ) أى متتابعة لا تتغير ولا تنقطع ، عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما . قال الفراء : الحُسُومُ التَّابع ؛ من حَمِير الدَّاهِ إِذَا كَوَّى صَاحِبُهُ ؛ لأنه يُكْوَى بِالْمَكَاةِ ثُمَّ يُتَابِعُ ذَلِكَ عَلَيْهِ . قال عبد العزيز بن زدارة الصكلائي :

لفزق بين بينهم زمان <sup>(١)</sup> • تساج فيه أحوامُ حُسُومٍ

وقال المبرد : هو من قولك حَسَمْتُ الشيء إذا قطعته وفصلته عن غيره . وقيل : الحسم الاستعمال . ويقال السيف حُسام ؛ لأنه يُحْصِمُ المدعو عما يريد من بلوغ دنياه . قال الشاعر :

حُسامٌ إِذَا قُتُّ مُتَّعِشًا بِهِ • كَفَى الْمَوَدَّ مِنْهُ الْبَدُّ لَيْسَ بِمُقْصِدٍ <sup>(٢)</sup>

والمعنى أنها حسمتهم ؛ أى قطعتهم وأذهبتهم . فهي القاطعة بمذاب الاستئصال . قال ابن زيد : حسمتهم فلم يُبقَ منهم أحدًا . وعنه أنها حَسَمَتِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ حَتَّى اسْتَوْعَبَتْهَا ؛

(١) وردت هذه الكلمة في نسخ الأصل : « نسمة » باقاة . والقي في الزخري : « سفة » .

(٢) الذين من الأنداد ؛ يطلق على الرسل وعلى القرعة . (٣) المضد والمضاد (بكر الميم) من

السيف الثمن في قطع الشجر .

لأنها بدأت طلوع الشمس من أول يوم واقطعت غرب الشمس من آخر يوم . وقال  
القيث : الحسوم الشؤم . ويقال : هذه ليلى الحسوم ؛ أى تحميم الخير عن أهلها ؛ وقاله  
في الصّباح . وقال عكرمة والربيع بن أنس : مشايخ ؛ دليله قوله تعالى : <sup>(١١)</sup> **فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ** .  
**عَلِيَّةٌ نَّوْفِيَّةٌ** : وحسوما ؛ أى حسمت الخير عن أهلها . واختطف في أولها ؛ قليل غداة يوم  
الأحد ؛ قاله السّدى . وقيل : غداة يوم الجمعة ؛ قاله الربيع بن أنس . وقيل : غداة يوم  
الأربعاء ؛ قاله يحيى بن سلام ووهب بن منبه . قال وهب : وهذه الأيام هى التى تسميها  
العرب أيام السجوز ، ذات برد وريح شديدة ، وكان أولها يوم الأربعاء وآخرها يوم الأربعاء ؛  
وتنسبت إلى السجوز لأن عجوزاً من ماله دخلت سراً تحتها الريح فقتلتها في اليوم الثامن . وقيل :  
نسبت أيام السجوز لأنها وقعت في عجز الشتاء . وهى في آذار من أشهر السريانيين . ولها  
أسماء مشهورة ؛ وفيها يقول الشاعر وهو ابن أحمز :

كَيْسُ الشَّتَاءِ بِسَجَّةٍ خَيْرٌ • أَيَّامُ شَيْتَانٍ مِنَ الشَّهْرِ .  
لَإِنَّا اقْتَضَتِ أَيَّامَهَا وَضَعَتْ • صَبْرٌ وَصَبْرٌ مَعَ الْقَوْرِ  
وَبَاحٍ وَأَخِيهِ مُؤَيَّرٌ • وَمَعَالٍ وَمُطَفِّرٌ بِالْجَنْرِ  
فَهَبِ الشَّتَاءُ مُؤَيَّسًا عَجَلًا • وَأَتَيْتُكَ وَاقِلَةً مِنَ النَّجْرِ <sup>(١٢)</sup>

وهـ حسوما ؛ نصب على الحال . وقيل على المصدر . قال الزجاج : أى تحميمهم حسوما ؛  
أى تحميمهم ، وهو مصدر مؤنك . ويجوز أن يكون مفعولاً له ؛ أى تحمروا عليهم هذه المدة  
للاستئصال ؛ أى لقطعهم واستئصالهم . ويجوز أن يكون جمع حاسم . وقرأ السّدى «حسوما»  
بالفتح ، حالاً من الريح ؛ أى تحمروا عليهم مستأصلة .

(١) آية ١٦ سورة ضلت . (٢) في اللسان مادة كسح أى أبرئ الأعراب .

(٣) الكسح : كسح الخ . وكسح بكذا وكذا إذا جبهه لأياً له وطعاً . . . (٤) الشبة : السجوز .

(٥) في اللسان : فإذا اقتضت أيام شيتان . (٦) في اللسان : «حراب» . (٧) النجر : الخمر .

قوله تعالى : ( قَرَى الْقَوْمَ فِيهَا ) أى فى تلك القبائل والأيام . ( صَرَخَ ) جمع صَرِيح ؛ أى صرخ موق . وقيل : « فيها » أى فى الریح . ( كَانَهُمْ أَشْجَارُ ) أى أصول . ( تَحِلَّ خَاوِيَةً ) أى بالية ؛ قاله أبو الطفیل . وقيل : خالية الأجواف لا شئ فيها . والنخل يذْكَرُ ويؤنثُ . وقد قال تعالى فى موضع آخر « كَانَهُمْ أَشْجَارٌ تَحِلُّ مُنْقَرِئَةً <sup>(١)</sup> » فیهتمل أنهم شُبِّهوا بالنخل التى صرعت من أصلها ، وهو إخبار عرب عظیم أجسامهم . ويحتمل أن يكون المراد به الأصول دون الجذوع ؛ أى إن الریح قد قطعتهن حتى صاروا كأصول النخل خاوية . أى الریح كانت تدخل أجوافهم قصرعهم كالنحلة الخاوية الجوف . وقال ابن شجرة : كانت الریح تدخل فى أفواههم فتخرج ما فى أجوافهم من الحشو من أديارهم ، فصاروا كالنخل الخاوية . وقال يحيى بن سلام : إنما قال خاوية لأن أبلانهم خوت من أرواحهم مثل النخل الخاوية . ويحتمل أن يكون المعنى كأنهم أشجار تَحِلُّ خاوية عن أصولها من البقاع ، كما قال تعالى : « قَلْبَكَ يَبْوِئُهُمْ خَاوِيَةً » أى خربة لاسكان فيها . ويحتمل الخاوية بمعنى البالية كما ذكرنا ؛ لأنها إذا يَلَيْتْ خلت أجوافها . فشبهوا بعد أن هلكوا بالنخل الخاوية .

قوله تعالى : فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٤٠﴾

أى من فرقة باقية أو نفس باقية . وقيل : من بقية . وقيل من بقاء . فاعلة بمعنى المصدر ؛ نحو العاقبة والعافية . ويجوز أن يكون أسماً ؛ أى هل تجد لهم أحداً باقياً . وقال ابن جرير : كانوا مسج ليال وثمانية أيام أحياء فى عذاب الله من الریح ، فلما أمسوا فى اليوم الثامن ماتوا ، فاحتملهم الریح فالتهم فى البحر ؛ فذلك قوله عز وجل : « فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ » ، وقوله عز وجل : « فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاجِدُهُمْ » .

قوله تعالى : وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْخِسَابَةِ ﴿٤١﴾

قوله تعالى : ( وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ ) قرأ أبو عمرو والكسائي « وَمَنْ قَبْلَهُ » بكسر القاف وفتح الباء ؛ أى ومن معه وتبعه من جنوده . واختاره أبو عبيد وأبو حاتم اعتباراً

(١) آية ٢٠ سورة هجر . (٢) آية ٢٢ سورة النمل . (٣) آية ٢٥ سورة الأحقاف .

بقراءة عبد الله وأبي • ومن معه • وقرأ أبو موسى الأشعري • ومن خلفه • الباقون  
 « قبله » بفتح القاف وسكون الباء ؛ أي ومن خلفه من القرون الخالية والأمم الماضية •  
 (وَالْمُؤْتَفِكَاتُ) أي أهل قري لوط • وقراءة العامة بالالف • وقرأ الحسن والحسين  
 « والمؤتفكة » على التوحيد • قال قتادة : إنما سميت قري قوم لوط « مؤتفكات » لأنها  
 استفتكت بهم ؛ أي اهلبت • وذكر الطبري عن محمد بن كعب القرظي قال : خمس قريات  
 صبية وصخرة وعمرة ودوما وسدوم ؛ وهي القرية المنطوى • (بِالْمُطَافَةِ) أي بالعملة المتطافعة  
 وهي المصيبة والكفر • وقال مجاهد : بالخطايا التي كانوا يفعلونها • وقال الجرجاني : أي  
 بالخطايا العظمى ؛ فالطافعة مصدر •

قوله تعالى : فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً ﴿١٥﴾

قوله تعالى : (فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ) قال الكلبي : هو موسى • وقيل : هو لوط لأنه  
 أقرب • وقيل : عن موسى ولو طاع طيعا السلام ؛ كما قال تعالى : « قُولُوا إِنَّا رَسُولُ  
 رَبِّ الْعَالَمِينَ » • وقيل : « رسول » بمعنى رسالة • وقد يبرهن الرسالة بالرسول ؛ قال الشاعر :  
 لقد كذب الواشون ما بُحَّتْ عندهم • يسر ولا أرسنهم برسول

(فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً) أي عالية زائلة على الأخطات وعلى مذاب الأمم • ومنه الرأ إذا  
 أخذ في الذهب والفضة أكثر مما أعطى • يقال : ربا الشيء يربو أي زاد وتضاعف • وقال  
 مجاهد : شديدة • كأنه أراد زائلة في الشدة •

قوله تعالى : إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُنَّ فِي الْبُحْرِ رَيْةً ﴿١٦﴾ لِنَجْعَلَهَا  
 لَكُنَّ تَذَكُّرًا وَنَعِيًّا أَذُنَّ وَعِيَةً ﴿١٧﴾

(١) راجع تاريخ الطبري ص ٣٨٢ من القسم الأول طبع أوديا •

(٢) آية ١٦ سورة الشعراء • (٣) هو كثير منه •

قوله تعالى : ( **إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ** ) أى ارتفع وعلا . وقال جل رضى الله عنه : طغى على نحرانه من الملائكة غضبا لربه فلم يقدروا على حمله . قال قتادة : زاد على كل شيء خمسة عشر ذراعا . وقال ابن عباس : طغى الماء زمن نوح على نحرانه فكثرت عليهم فلم يفتروا ثم خرج . وليس من الماء قطرة تنزل قبله ولا بعده إلا يهلك معلوم غير ذلك اليوم . وقد مضى هذا مرغوما أول السورة . والمقصود من قصص هذه الأمم وذكر ما حل بهم من العذاب : زجر هذه الأمة عن الانقياد بهم في معصية الرسول . ثم من طغيهم بأن جعلهم ذرية من نجسا من الفرق بقوله : « حملناكم » أى حملنا آباءكم وأتم في أصلابهم . ( في البخارية ) أى فى السفن البخارية . والمحمول فى البخارية نوح وأولاده ، وكل من على وجه الأرض من نسل أولئك . ( **لِنَجْعَلَنَّ لَكُمْ تَذَكُّرًا** ) بنى سفينة نوح عليه الصلاة والسلام . جعلها الله تذكرة وعظة لهذه الأمة حتى أدركها أولادهم ، فى قول قتادة . قال ابن جريج : كانت ألواحها على الجلودى . والمعنى أثبت لكم تلك الانذابات حتى تذكروا ما حل بقوم نوح ، وإنجاه الله آباءكم ، وكم من سفينة هلكت وصارت ترابا ولم يبق منها شيء . وقيل : لتجعل تلك القصة من إغراق قوم نوح وإنجاء من آمن معه موعظة لكم ، ولهذا قال الله تعالى ( **وَتَبَيَّنَّا أَذُنَ إِبْرَاهِيمَ** ) أى تطفئها وتسمعها أذن حافظها لما جاء من عند الله . والسفينة لا توصف بهذا . قال الزجاج : ويقال وَجِيتُ كذا أى حفظته فى نفسى ، أحيه وحيًا . وَوَجِيتُ العلم ، وَوَجِيتُ ما قلت ، كله بمعنى . وأوجيت المتاع فى الوعاء . قال الزجاج : يقال لكل ما حفظته فى غير نفسك : « أوجيته » بالالف ، ولما حفظته فى نفسك « وجيته » بغير الف . وقرا طلحة ومجيد والأعرج « وجيته » بإسكان العين ، تشبيها بقوله « أرتأ » . واختلف فيها عن عاصم وابن كثير . الباقون بكسر العين ، ونظير قوله تعالى : « **وَتَبَيَّنَّا أَذُنَ إِبْرَاهِيمَ** » ، « **إِذْ فِي ذَٰلِكَ لَدَّرَ زَرْى لَئِنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ** » . وقال قتادة : الأذن الواجبة أذن عقلت عن الله تعالى ، وانتفتحت بما سمعت من

(١) فى قوله تعالى : « **وَأَرَاتُ مَا سَكَا** » آية ١٢٨ سورة البقرة . وراجع ج ٢ ص ١٢٧ طبة ثانية .

(٢) آية ٣٧ سورة ق .

كتاب الله عز وجل . وروى مكحول أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند نزول هذه الآية :  
 «سألت ربي أن يجعلها أدنى عليّ» . قال مكحول : فكان عليّ رضي الله عنه يقول ما سمعت من  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فليسته إلا وحفظته . ذكره الماوردي . وعن الحسن  
 نحوه ذكره الثعلبي قال : لما نزلت «وَتَبَيَّنَّا أَذُنُ وَإِعْبُدْ» قال النبي صلى الله عليه وسلم : «سألت  
 ربي أن يجعلها أدنى عليّ» قال عليّ : «فوالله ما نسيت شيئا بعد ، وما كان لي أن أنسى .  
 وقال أبو بزة الأسديّ قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلّ : «يا عليّ إن الله أمرني أن أذكرك  
 ولا أقصيك وإن أعلمك وإن تبني وحق عليّ الله أن تبني» .

قوله تعالى : فَلَمَّا ذُفِّخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١١﴾

قال ابن عباس : هي النفخة الأولى لقيام الساعة ، فلم يبق أحد إلا مات . وجاز تذكر  
 «ذُفِّخَ» لأن تأنيث النفخة غير حقيق . وقيل : إن هذه النفخة هي الأخيرة . وقال «نفخة  
 واحدة» أي لا تثنى . قال الأخفش : وقع الفعل على النفخة إذ لم يكن قبلها اسم مرفوع  
 فقيل : نفخة . ويحوز «نفخة» نصباً على المصدر . وبها قرأ أبو السّمال . أو يقال اقتصر  
 على الإخبار عن الفعل كما تقول : ضرب ضرباً . وقال الزجاج : «في الصور» يقوم مقام  
 ما لم يسم فاعله .

قوله تعالى : وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٢﴾

قوله تعالى : (وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ) قراءة العامة بخفيف الميم ، أي دفت  
 من أمانتها . (فَدُكَّتَا) أي فُتَّتَا وكسرتا . (دَكَّةً وَاحِدَةً) لا يحوز في «دَكَّة» إلا النصب  
 لارتفاع الضمير في «دَكَّة» . وقال الفراء : لم يقل فَدُكَّتَا لأنّه جبل الجبال كلها كالجملة  
 الواحدة ، والأرض كالجملة الواحدة . ومثله «أَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ كَأَنَّهُمَا رَقْعًا» ولم يقل  
 كَرْن . وهذا الدك كالزلة ؛ كما قال تعالى : «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا» . وقيل : «دَكَّة»

أى يُسَطِّعُ سَطْعَةً واحدة؛ ومنه اندك سنام البحر إذا اغترش في ظهوره . وقد مضى في سورة « الأعراف » القول فيه . وقرأ عبد الحميد من ابن عامر « وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ » بالتشديد على إسناد الفعل إلى المفعول الثانى . كأنه فى الأصل وَحُمِلَتْ قُدْرَتُنَا أَوْ مَلَكُنَا من ملائكتنا الأرض والجبال؛ ثم أسند الفعل إلى المفعول الثانى فُئِي لَهُ . ولوحى بالمفعول الأول لأسند الفعل إليه؛ فكانه قال : وَحُمِلَتْ قُدْرَتُنَا الْأَرْضُ . وقد يجوز بناؤه الثانى على وجه القلب فيقال : حُمِلَتِ الْأَرْضُ الْمَلَكُ؛ كدواك : أليس زيد الجبىء، واليسب الجبىء زيدا .

قوله تعالى : فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ( فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ) أى قامت القيامة . ( وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ ) أى انصدعت وتفتت . وقيل : تنشق لتزول ما فيها من الملائكة؛ دليله قوله تعالى : « وَيَوْمَ تَشْهَقُ السَّمَاءُ دُخَانًا وَيَزُولُ السَّمَاءُ كَمَا تَزُولُ الْأَشْجَارُ » ( قُومِ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ) أى ضميقة . يقال : وهى البناء يسى وهيا فهو واه إذا ضُفَّ جُداً . ويقال : كلام واه؛ أى ضئيف . فقيل إنها تصير بعد صلاحها بمنزلة الصوف فى الوعى؛ ويكون ذلك لتزول الملائكة كما ذكرنا . وقيل : لمول يوم القيامة . وقيل : « واهية » أى متخرقة؛ قاله ابن شجرة . مأخوذ من قولهم : وهى السقاء إذا تحرق . ومن أمثالهم :

خَلَّ سَبِيلَ مَنْ وَهَى مِقَاؤُهُ . ومن مِرْبَقٍ بِالْفَلَاءِ مَلْؤُهُ

أى من كان ضئيف العقل لا يحفظ نفسه . ( وَالْمَلَكُ ) بنى الملائكة؛ اسم الجنس . ( عَلَى أَرْجَائِهَا ) أى على أطرافها حين تنشق؛ لأن السماء مكانهم؛ عن ابن عباس . الماورى : ولعله قول مجاهد وقتادة . وحكاى الصليبي عن الضحاك . قال : على أطرافها لما لم ينشق منها .

يريد أن السماء مكان الملائكة فإذا انشقت صاروا في أطرافها . وقال سعيد بن جبير : للمنى والملك على حافات الدنيا ، أى يتزلون إلى الأرض ويمرسون أطرافها . وقيل : إذا صارت السماء قطعاً تنف الملائكة على تلك القطع التى ليست منشقة فى أنفسهم . وقيل : إن الناس إذا رأوا جهنم هاتهم ، فَيَسْتَدُوا كَمَا تَبْدُ الْإِبِلُ ، فلا يأتون قطراً من أقطار الأرض إلا رأوا ملائكة فيرجعون من حيث جاءوا . وقيل : « هل أرجأها » ينظرون ما يؤمرون به فى أهل النار من السوق إليها ، وفى أهل الجنة من التمتع والكرامة . وهذا كله راجع إلى معنى قول ابن جبير . ويدل عليه « وَزَلَّ الْمَلَائِكَةُ تَزِيلًا » وقوله تعالى : « يَا مَعْشَرَ الْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُلُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ<sup>(١)</sup> » على ما بيناه هناك . والأجزاء الفواشى والأقطار بلفظ هُذَيْل ، واحدها رَبَاجٌ مقصور ، وتثنيته رَبَاجَانِ ، مثل عصا وعَصَوَان .

قال الشاعر :

فَلَا يَرَى فِي الرَّحْوَانِ أَفَى • أَفَلُ الْقَوْمِ مَنْ يُنْفَى

ويقال ذلك لحرف البر والقف .

قوله تعالى : ( وَيَجْعَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً ) قال ابن عباس : ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم صلحهم إلا الله . وقال ابن زيد : هم ثمانية أملاك . وعن الحسن : الله أعلم كم هم ، ثمانية أم ثمانية آلاف . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن حلة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أبدع الله تعالى بأربعة آخرين فكانوا ثمانية » . ذكره التلمبي . وترجمه الماوردى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحله اليوم أربعة وهم يوم القيامة ثمانية » . وقال العباس بن عبد الملك : هم ثمانية أملاك على صورة الأموال . ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم . وفى الحديث : « إن لكل ملك منهم أربعة أوجه وجه رجل ووجه أسد ووجه تور ووجه تمر وكل وجه منها يسأل الله الرزق فذلك المجلس » . ولما أنشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قول أبيه بن أبي الصلت :

وَبَلَّ وَتَوَرَّجَتْ رَجُلٌ يَمِينُهُ \* وَالْقَسْرُ لِلْأُخْرَى وَبَيْتٌ مَرَصِدٌ  
وَالشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ أَرْبَعِينَ<sup>(١)</sup> \* حَمْرَاءُ يُصْبِحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ<sup>(٢)</sup>  
لَيْسَتْ بِطَالِمَةٍ لَمْ فِي رِسْلِهَا \* إِلَّا مُعَذِّبَةٌ وَإِلَّا مُجْلَدٌ

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « صَدَقَ » . وفي الخبر « أن فوق السماء السابعة ثمانية أو عال  
بين أظلالهن وركبين مثل ما بين سماء إلى سماء وفوق ظهورهن العرش » . ذكره القشيري  
وخبره الترمذي من حديث العباس بن عبد المطلب . وقد مضى في سورة « البقرة »  
بجمله . وذكر نحوه التلميذ ولفظه . وفي حديث مرفوع « إن حلة العرش ثمانية أملاك  
على صورة الأوعال ما بين أظلالها إلى ركبها مسيرة سبعين عاما للطائر المسرع » . وفي تفسير  
الكلبي : ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة . وعنه : ثمانية أجزاء من عشرة أجزاء  
من الملائكة . ثم ذكر حلة الملائكة بما يطول ذكره . حكى الأول عنه التلميذ والثاني  
القشيري . وقال الماوردي عن ابن عباس : ثمانية أجزاء من تسعة وهم الكروبيون<sup>(٣)</sup> .  
والعنى يزل بالعرش . ثم إضافة العرش إلى الله تعالى كإضافة البيت ، وليس البيت للسكنى ،  
فكذلك العرش . ومعنى « فوقهم » أى فوق رؤوسهم . قال السدي : العرش تحمله الملائكة  
الحلة فوقهم ولا يحمل حلة العرش إلا الله . وقيل : « فوقهم » أى إن حلة العرش فوق  
الملائكة الذين في السماء على أرجائها . وقيل : « فوقهم » أى فوق أهل القيامة .

قوله تعالى : يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ( يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ) أى إلى الله ، دليله « وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا »  
وليس ذلك عرضاً يعلم به مالم يكن عالماً به ، بل معناه الحساب وتقرير الأعمال عليهم  
للبإزاء . وروى الحسن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يعرض

(١) في الأصول ح : « تصح » . (٢) في الأغاني ج : ص ١٢٠ طبعة دار الكتب المصرية :

• حمراء لونها يورده • (٣) في الأغاني : • تأتي ثلاثون في رسلها •

(٤) راجع ج ١ ص ٢٥٩ (٥) الكروبيون : سادة الملائكة ، وهم القهرون ، مأخوذ من الكبر بمعنى القرب .

الثاس يوم القيامة ثلاث عَرْضَات فاما عَرْضَتَانِ لِلْجَنَّةِ وَمَعَاذِيرُ وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطْبِقُ  
الْمَحْضَفُ فِي الْأَيْدِي فَأَخَذَ بِيَمِينِهِ وَأَخَذَ بِشِمَالِهِ . . . نَحْنُ لِقَوْلِهِ قَالَ : وَلَا يَصِحُّ مِنْ قِبَلِ  
أَنْ الْحَسَنُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . ( لَا تَحْقِقْ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ) أَيُّ هُوَ عَالَمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ  
أَعْمَالِكُمْ . ذ . « خَافِيَةٌ » هَلْ هَذَا بِمَعْنَى خَفِيَّةٍ ، كَانُوا يَخْفَوْنَهَا مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، قَالَ ابْنُ شَيْبَةَ .  
وَقِيلَ : لَا يَخْفَى طَيْبٌ إِلَّا عَلَى مَنْ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِمَا يَنْبَغِي . وَقَالَ جَدُّ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو  
أَبْنُ الْعَاصِ : لَا يَخْفَى الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ وَلَا الْبَرُّ مِنَ الْفَاجِرِ . وَقِيلَ : لَا تَسْتَرِ مِنْكُمْ عَوْرَةٌ  
كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُخْشَى النَّاسَ خِيفَةً عَرَاءَةً » . وَقَرَأَ الْكُوفِيُّونَ إِلَّا مَا صَامَا  
« لَا يَخْفَى » بِالْبَاءِ ، لِأَنَّ تَأْنِيثَ الْخَافِيَةِ غَيْرُ حَقِيقٍ ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ »  
وَاسْتِخَارَهُ أَبُو عَمِيَّةٍ ، لِأَنَّهُ قَدْ حَالَ بَيْنَ الْقَتْلِ وَبَيْنَ الْأَسْمِ لِلْمَوْتِ الْجَارِ وَالْغَيْرُورِ . الْبَاقُونَ بِالنَّاءِ .  
وَاخْتَارَهُ أَوْ حَاتَمُ التَّائِيثِ الْخَافِيَةِ .

قوله تعالى : فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مَا كُنْتُ بِهِنَّ  
كَتِيبَةً ❶ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِي ❷ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ❸  
فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ❹ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ❺ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا  
أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ❻ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ  
يَلَيْتَنِي لَرَأُوتُ كِتَابِيَةَ ❽ وَلَرَأُودَ مَا حَسْبِي ❾ يَلَيْتَنِي كَانَتْ  
أَلْفَاضِيَةٌ ❿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ⓫ هَلْكَ عَنِّي مُلْكُائِيَّةٌ ⓬  
خُدُودُهُ فَعَلُوهُ ⓭ ثُمَّ الْجَحِيمُ صَلْوُهُ ⓮ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ  
ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ⓯ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ⓰ وَلَا يَحْضُرُ  
عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ ⓱

اٰیٰتِیْ اِنِّیْ بِیَدِّیْكَ جَمِیْعِیْ • فَاَفْرَحْ اَمَّ صَبِیْرَتِیْ فِیْ شِمَاكِ

(١) هو ابن المدينة (٢) وفيها لغات أخرى فأرجع إليها في كتب اللغة .

فهو على نية الوقف . ( إِنْ عَلَّنْتُ ) أى أيقنت وعلقت ؛ عن ابن عباس وغيره . وقيل :  
أى إني ظننت أن يؤخذنى الله بسبيلى <sup>(١)</sup> قد تغفل عني بغيره ولم يؤاخذنى بها . قال  
الضحاك : كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين . ومن الكافر فهو شك . وقال مجاهد :  
ظَنُّ الآخرة يقين ، وظَنُّ الدنيا شك . وقال الحسن في هذه الآية : إن المؤمن أحسن الظن  
بربه فأحسن العمل ، وإن المنافق أساء الظن بربه فأساء العمل . ( أُنْزِلَتْ ) أى نزلت  
أى في الآخرة ولم أنكر البعث ؛ يعنى أنه ما نجى إلا بخوفه من يوم الحساب ، لأنه يتقن  
أن الله يحاسبه بعمل الآخرة : ( فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ) أى في قَبَشِ رِضاه لا مكروه فيه .  
وقال أبو عبيدة والقرطبي : رَاضِيَةٍ أى مرضية ؛ كقولك : ماء دافق ؛ أى مدفوق .  
وقيل : ذات رِضًا ؛ أى يرضى بها صاحبها . مثل لابن عباس ؛ أى صاحب اللين والرحم .  
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم " أنهم يمشون فلا يموتون أبداً و يمشون فلا  
يمرضون أبداً و يتمون فلا يبرون رؤسا أبداً و يشربون فلا يهرمون أبداً " . ( فِي جَنَّةٍ مَّالِيَةٍ )  
أى عظيمة في النفوس . ( قُتِلَتْهَا دَابَّةٌ ) أى قربة التاول ، يتاولها القائم والقاعد والمضطجع ؛  
على ما يأتي بيانه في سورة « الإنسان » . والقُتِلَتْ جمع قطف ( بكسر القاف ) وهو ما يقطع  
من الثمار . والقُتِفَ ( بالفتح ) المصدر . والقُتَاف ( بالفتح والكسر ) وقت القطف .  
( كُتِلُوا وَأَشْرَبُوا ) أى قتل لم ذلك . ( حِينًا ) لا تكبر فيه ولا تنقص . ( بِمَا أَسْلَفْتُمْ )  
قدمتم من الأعمال الصالحة . ( فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ) أى في الدنيا . وقال : « كلوا » بعد  
قوله : ( فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ) لقوله : « فَأَنَا مِنْ أُولَى » و « مَنْ » يتضمن معنى الجمع .  
وذكر الضحاك أن هذه الآية نزلت في أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ؛ وقاله  
مقاتل . والآية التي تليها في أخيه الأسود بن عبد الأسد ؛ في قول ابن عباس والضحاك  
أيضا ؛ قاله التميمي . ويكون هذا الرجل وأخوه سبب نزول هذه الآيات . ويمع المعنى  
جميع أهل الشفاعة وأهل السعادة ؛ يدل عليه قوله تعالى : « كُتِلُوا وَأَشْرَبُوا » . وقد قيل :

(١) كما في نسخ الأمل . ولها « هبطني » وقد أورد الخطيب في تفسيره هذا القول ولم يذكر فيه هذه الكلمة .

إن المراد بذلك كل من كان ميتوما في النيران والشر . فإذا كان الرجل رأسا في النيران ، يدمو إليه ويأمر به ويكثر تبعة عليه ، دُحِّي باسمه وأسم أبيه فيعظم ، حتى إذا دنا أُخرج له كتاب أبيض بخط أبيض ، في باطنه السيئات وفي ظاهره الحسنات ؛ فيبدأ بالسيئات فيقرأها فيُشفيق ويصفز وجهه ويتغير لونه ؛ فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه « هذه سيئاتك وقد غفرت لك » فيخرج عند ذلك فرحا شديدا ، ثم يقلب كتابه فيقرأ حسنه فلا يزداد إلا فرحا ؛ حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه « هذه حسناتك قد ضوّعت لك » فيبيض وجهه ويؤتي بتاج يوضع على رأسه ، ويكسى سُلُكِيْن ، ويُحَل كل مفصل منه ويطول ستين ذراعا وهي قامة آدم عليه السلام ؛ ويقال له : انطلق إلى أصحابك فأخبرهم وبشرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا . فإذا أدير قال : هَلُمُّوا أَقْرَبُوا كَتَابِيهِ . إني عَلَّمْتُ أَقْ مَلَكِي حِسَابِيهِ . قال الله تعالى : « تَهْوِي فِي يَمِينِي رَاضِيَةً » أي مرضية قد رضينا « فِي جَنَّةٍ طَالِيَةٍ » في السياه . « قُطُوفُهَا » ثمارها وصنائدها . « دَانِيَةً » أدنى منهم . يقول لأصحابه : هل تعرفوني ؟ فيقولون : قد غفرتك كرامة ، من أنت ؟ فيقول : أنا فلان بن فلان أبشركم رجل منكم بمنزل هذا . « كُتُّوا وَأَشْرُوا هَيْئًا يَمَا اسْتَقَمُّ فِي الْأَيَّامِ الْآخِلِيَّةِ » أي قدمت في أيام الدنيا . وإذا كان الرجل رأسا في الشر ، يدمو إليه ويأمر به فيكثر تبعة عليه ، تودى باسمه وأسم أبيه فيعظم له كتاب أسود بخط أسود في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات ، فيبدأ بالحسنات فيقرأها ويظن أنه سينجو ، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه « هذه حسناتك وقد رُدَّت عليك » فيسود وجهه ويعلوه الحزن ويقطع من النيران ، ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته فلا يزداد إلا حزنا ، ولا يزداد وجهه إلا سودا ، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه « هذه سيئاتك وقد ضوّعت عليك » أي يضاحف عليه العذاب . ليس المعنى أنه يزداد عليه ما لم يعمل — قال — فيعظم النار ويزرق عيناه ويسود وجهه ، ويكسى سراويل القيطران ويقال له : انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا ؛ فيطلق وهو يقول : « يَا لَيْتِي لَمْ أَدْرَ كَتَابِيهِ . وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ . يَا لَيْتَا كَانَتِ الْقَائِيَّةُ بِتَنِي الْمَوْتِ .

« هَلَكْتُ عَنْ سُلْطَانِيَّة » تفسيرا ابن عباس : هَلَكْتُ عَنْ نُحْتِي . وهو قول مجاهد ومكرمة  
والسدي والضحاك . وقال ابن زيد : يعني سلطانيه في الدنيا الذي هو المُلْك . وكان هذا  
الرجل مطاما في أصحابه ؛ قال الله تعالى ( خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ) قيل : يجتذره مائة ألف ملك ثم  
يجمع يده إلى عنقه وهو قوله عز وجل « فَنُفِثَ » أي شذوه بالأغلال ( ثُمَّ الْجَحِيمُ صَلْوَةٌ ) أي اجعلوه  
بصل الجحيم . ( ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ) الله أعلم بأي ذراع ؛ قاله الحسن . وقال  
ابن عباس : سبعون ذراعا بذراع الملك . وقال توف : كل ذراع سبعون باعًا ، وكل باع  
أحد ما بينك وبين مكة . وكان في رحبة الكوفة . وقال مقاتل : لو أن حلقة منها وضعت على  
ذروة جبل لذاب كما يذوب الزمصاص . وقال كعب : إن حلقة من السلسلة التي قال الله  
تعالى ذرعها سبعون ذراعا — أن حلقة منها — مثل جميع حديد الدنيا . ( فَاسْأَلُوهُ ) قال سفيان :  
بَلَّغْنَا أَنَّهُا تدخل في دُبره حتى تخرج من فيه . وقاله مقاتل . والمعنى ثم أسلكوا فيه سلسلة .  
وقيل : تدخل عنقه فيها ثم يُخْرِجُهَا . وجاء في الخبر : أنها تدخل من دبره وتخرج من  
مَخْرَجِهِ . وفي خبر آخر : تدخل من فيه وتخرج من دبره ؛ فيأخذ أصحابه هل تعرفوني ؟  
فيقولون لا ، ولكن قد نرى ما بك من الخزي فمن أنت ؟ فيأخذ أصحابه أنا فلان بن فلان .  
لكل إنسان منكم مثل هذا .

قلت : وهذا التفسير أصح ما قيل في هذه الآية ؛ يدل عليه قوله تعالى : « يَوْمَ نَدُوهُ  
كُلَّ أَنَسٍ بِأَسْمَائِهِمْ » . وفي الباب حديث أبي هريرة بمعناه ترجمه الترمذي . وقد ذكرناه  
في سورة « سبحان » فأنمله هناك . ( إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ) وَلَا يُحْشَى عَلَى عَظَامِ  
الْمُسِيكِينَ ) أي على الإطعام ؛ كما يوضع العظام موضع الإطعام . قال الشاعر :  
أَكْفَرًا بِدَرَدِ الْمَوْتِ عَنِّي • وَبِدِ صِلَاكِ الْمَاءَةِ الرَّثَامَا<sup>(١)</sup>

(١) آية ٧١ سورة الإسراء . راجع ج ١٠ ص ٢٩٦ (٢) البيت من قصيدة لقطاي ملح بها زفر  
ابن الخوارزمي الكلابي . قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء : « كان لقطاي أسره زفر في الحسب التي كانت بين فارس  
وعكب فأرادت فارس قتله فزال زفر بينهم ومن طيه راحلة مائة من الإبل وألقته ؛ قال : أكفرا الخ » . راجع  
( بكسر الراء ) : التي ترفع . ( راجع ترجمة الأدب في الشاهد التاسع والعشرين بعد الخمسة ) .

أراد بمد إطلائك . فيق أنه مُدَّب على ترك الإطعام وعل الأمر بالعمل ، كما عُدَّ بسبب الكفر . والحُص : التعريض والحث . وأصل « طعام » أن يكون منصوباً بالمصدر المقتدر . والطعام عبارة عن العين ، وأضيف للسكين للابسة التي بينهما . ومن أعمل الطعام كما يعمل الإطعام فوضع المسكين نصب . والتقدير عل إطعام المُطعم المسكين ؛ لحذف الفاعل وأضيف المصدر إلى المفعول .

قوله تعالى : فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَضِيلٍ ﴿٦٧﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْغَاطِقُونَ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى : ( فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ) خبر ليس قوله : « له » ولا يكون الخبر قوله : « هاهنا » لأن المعنى يصير ليس هاهنا طعام إلا من غَضِيلٍ ، ولا يصح ذلك ؛ لأن قَمَ طعاماً غيره . و « هاهنا » متعلق بما في « له » من معنى الفعل . والحميم هاهنا القريب . أى ليس له قريب يرق له ويدفع عنه . وهو مأخوذ من الحميم وهو الماء الحار ؛ كأنه الصديق الذى يرق ويمترق قلبه له . والنسِيلين فعْلين من النسْل ؛ فكأنه ينسل من أبنائهم ، وهو صبيد أهل النار السائل من جرحهم وفروجهم ؛ عن ابن عباس . وقال الضحاك والربيع بن أنس : هو شجر يأكله أهل النار . والنسْل ( بالكسر ) ما ينسل به الرأس من خَطْمٍ وغيره . الأخفش : ومنه النسْلين وهو ما أنفسل من لحوم أهل النار ودماهم . وزيد فيه الياء [ والنون ] كما زيد في غَضِيرٍ . وقال قتادة : هو شر الطعام وأبشمه . ابن زيد : لا يُطعم ما هو ولا يُزَقم . وقال في موضع آخر : « ليس لهم طعام إلا من ضريع » يجوز أن يكون الضريع من النسْلين . وقيل : في الكلام تقديم وتأخير ؛ والمعنى فليس له اليوم هاهنا حميم إلا من غَضِيلٍ ؛ ويكون الماء الحار . ( وَلَا طَعَامٌ ) أى وليس لهم طعام يقتضون به . ( لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْغَاطِقُونَ ) أى المذنبون . وقال ابن عباس : يسنى المشركين . وقرئ

« الخاطيئون » بإبدال الهمزة ياء، و« الخاطون » بطرحها . وعن ابن عباس : ما الخاطون؟ كلنا نخطو . وروى عنه أبو الأسود الدؤلي : ما الخاطون؟ إنما هو الخاطون، ما الصابون؟ إنما هو الصابون . ويحوز أن يراد الذين يخطئون الحق إلى الباطل ويتعمدون حدود الله من وجيل .

قوله تعالى : فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا لَا تَبْصِرُونَ ﴿٦٩﴾

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى : ( فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لَا تَبْصِرُونَ ) للمعنى أقسم بالأشياء كلها ما ترون منها وما لا ترون . و« لا » صلة . وقيل : هو رد لكلام سبق ؛ أى ليس الأمر كما يقوله المشركون . وقال مقاتل : سبب ذلك أن الوليد بن المغيرة قال إن عبدا سحر . وقال أبو جهل : شاعر . وقال عتبة : كاهن ؛ فقال الله عز وجل : ( فَلَا أَقْسِمُ ) أى أقسم . وقيل : « لا » هاهنا تى للقسمة ؛ أى لا يحتاج فى هذا إلى قسم لوضوح الحق فى ذلك ، وعلى هذا بغوابه بكواب القسم . ( إِنَّهُ ) يعنى القرآن . ( لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ) يريد جبريل ؛ قاله الحسن والكلبي ومقاتل . دليله « إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ<sup>(١)</sup> » . وقال الكلبي أيضا والفتي : الرسول هاهنا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لقوله : « وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ » وليس القرآن من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ إنما هو من قول الله عز وجل . ونسب القول إلى الرسول لأنه تاليه وبيلغته والماثل به ؛ كقولنا : هذا قول مالك .

قوله تعالى : وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَا يَقُولُ

كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٧١﴾

قوله تعالى : ( وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ) لأنه مبين لصنوف الشعر كلها . ( وَلَا يَقُولُ كَلِيبٌ ) لأنه ورد بسبب الشياطين وشتمهم فلا يتلون شيئا من يسهم . و « ما » زائدة في قوله : « قَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ » ، « قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ » ، والمعنى : قَلِيلًا قَوْمُونَ وَقَلِيلًا تَذَكَّرُونَ . وذلك القليل من إيمانهم هو أنهم إذا سئلوا مَنْ خَلَقَهُمْ قالوا : الله . ولا يجوز أن تكون « ما » مع الفعل مصدرا وتصب « قَلِيلًا » بما بعد « ما » ؛ لما فيه من تقديم الصلة على الموصول ؛ لأن ما عمل فيه المصدر من صلة المصدر . وقرأ ابن حُجَّيْن وابن كثير وابن عامر ويعقوب : « مَا يُؤْمِنُونَ » ، و « يَذْكُرُونَ » بالياء . الباقون بالياء لأن الخطاب قبله وبه . أما قبله فقوله : « تَصْرُونَ » وأما بعده « فَا مَنكُمْ » الآية .

قوله تعالى : تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ( تَنْزِيلٌ ) أى هو تنزيل . ( مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ) وهو عطف على قوله : « إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ » ، أى إنه لقول رسول كريم وهو تنزيل من رب العالمين .

قوله تعالى : وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأُنَايِلِ ﴿١٥﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ

بِالْيَمِينِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ( وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأُنَايِلِ ) « تَقَوَّلَ » أى تكلف وأتى بقول من قبل نفسه . وقرئ « وَلَوْ تَقَوَّلَ » على البناء للمفعول . ( لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ) أى بالقوة والقدرة ؛ أى لأخذناه بالقوة . و « من » صلة زائدة . وصبر عن القوة والقدرة باليمين لأن قوة كل شيء في يمينه ؛ قاله الفُتَيْي . وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد . ومنه قول الشماخ :

إِذَا مَا رَأَيْتُ رُمُتْ لِحْيَتِي • نَقَّاهَا عَسْرَابَةُ الْيَمِينِ

أى بالقوة . عَسْرَابَةُ أَسْمَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ الْأَوْسِ . وقال آخر :

ولما رأيت الشمس اشترق نورها • تسالوت منها حاجتى يمينى  
وقال السدى والحكم : « باليمين » إلخ . قال :  
• فقاسها عرابة باليمين •

أى بالاستحقاق . وقال الحسن : لقطعتا يده اليمين . وقيل : المعنى لقبضنا يمينه من  
التصرف ؛ قاله قطوبه . وقال أبو جعفر الطبرى : إن هذا الكلام نخرج مخرج الإدلال  
على عادة الناس فى الأخذ بيد من يُعاقب . كما يقول السلطان لمن يريد حوائه : خذوا يديه .  
أى لأمرنا بالأخذ بيده . وبالفن فى عقابه . ( ثم لقطعتا مِنْهُ الْوَيْتَيْنِ ) ببنى نياط القلب ؛  
أى لأهلكاه . وهو عِرْقٌ يتماق به القلب إذا انقطع مات صاحبه ؛ قاله ابن عباس  
وأكثر الناس . قال :

إذا بَلَّغْنِي وَحَلَّيْتُ رَحْلِي • عَرَابَةٌ فَأُشْرِقُ بِدَمِ الْوَيْتَيْنِ

وقال مجاهد : هو جبل القلب الذى فى الظهر وهو النخاع ؛ فإذا انقطع بطلت القوى  
ومات صاحبه . والموتون الذى قطع وئجه . وقال محمد بن كعب : إنه القلب ومراقه وما يليه .  
وقال الكلبي : إنه عرق بين العلاء والحلقوم . والعلاء عصب العنق . وهما علياوان بينهما  
ينبت العرق . وقال عكرمة : إن الويتين إذا قطع لا إن جاع عَرَفَ ، ولا إن شبع عَرَفَ .

قوله تعالى : قَامَ مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٌ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ لَبَّيْكَ لَتَذْكُرَ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ( قَامَ مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٌ ) « ما » قى و « أحد » فى معنى الجمع ؛  
فذلك منه بالجمع ؛ أى فقام منكم قوم يحجزون عنه ؛ كقوله تعالى : « لَا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ  
رُسُلِهِ » هذا جمع ؛ لأن « بين » لا تقع إلا على اثنين فإزاد . قال النبی صلى الله عليه وسلم :  
« لَمْ يَحِلَّ لِلنَّاسِ أَنْ يَحْجُزُوا أَحَدًا مِنْ رُسُلِ اللَّهِ » . لفظه واحد ومعناه الجمع . و « من » زائدة .

والجزر : النع . و « حاجزين » يجوز أن يكون صفة لأحد مل المعنى كما ذكرنا ؛ فيكون في موضع جر . والخبر « متكم » . ويجوز أن يكون منصوبا مل أنه خبر و « متكم » مثنى ، ويكون متعلقا بـ « حاجزين » . ولا يمنع الفصل به من انتصاب الخبر في هذا ؛ كما لم يمنع الفصل به في « إن فيك زينا راغب » .

قوله تعالى : ( وَإِنَّهُ ) يبنى القرآن ( تَذَكُّرٌ لِلْمُتَّقِينَ ) أى للتأهين الذين يمشون الله . وتظهر « فيه هدى للقيمين » على ما بيناه أول سورة البقرة . وقيل : المراد عهد صل الله عليه وسلم ؛ أى هو تذكرة ورحمة ونجاة .

قوله تعالى : وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿١٦١﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٦٢﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿١٦٣﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿١٦٤﴾

قوله تعالى : ( وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ) قال الربيع : بالقرآن . ( وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ ) ببنى التكذيب . والحسرة الندامة . وقيل : أى وإن القرآن لحسرة على الكافرين يوم القيامة إذا رأوا ثواب من آمن به . وقيل : هى حسرتهم في الدنيا حين لم يقدرُوا على معارضته عند تحسبهم أن يأتوا بسورة مثله . ( وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ) ببنى أن القرآن العظيم تنزيل من الله عز وجل ؛ فهو لحق اليقين . وقيل : أى حقا يقينا ليكون ذلك حسرة عليهم يوم القيامة . فمل هذا « وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ » أى لتحسر ؛ فهو مصدر بمعنى التحسر ؛ فيجوز تذكره . وقال ابن عباس : إنما هو كقولك : لعين اليقين وبعض اليقين . ولو كان اليقين تنافلا لم يحز أن يضاف إليه ؛ كما لا تقول : هذا رجل الغريف . وقيل : أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين . ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ) أى فصل ربك ؛ قاله ابن عباس . وقيل : أى تزه الله من السوء والنقص .

## سورة المارج

وهي مكية باثنا عشر . وهي أربع وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَارُجٌ ② مِّنْ أَتَىٰ ذِي الْمَارِجِ ③ تَفْرُجُ الْمَلْبَكَةُ ④ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ مِائِينَ أَلْفِ مِائَةٍ ⑤

قوله تعالى : ( سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ) قرأ نافع وابن عامر « سأل سائل » بنيد حمزة . الباقون بالهمز . فمن همز فهو من السؤال . والباء يجوز أن تكون زائدة ، ويجوز أن تكون بمعنى عن . والسؤال بمعنى الدماء ، أى دعا داع بسذاب ، عن ابن عباس وغيره . يقال : دعا على فلان بالويل ، ودعا عليه بالسذاب . ويقال : دعوت زيدا ، أى أكتسب إحصاره . أى أكتسب متمسكاً عذاباً للكافرين ، وهو واقع بهم لا محالة يوم القيامة . وعلى هذا فالباء زائدة ، كقوله تعالى : « تَبَّتْ وَالِدُهِنَّ ① » ، وقوله « وَهَزْنَىٰ إِلَيْكَ يَبْدُجُ ② » فهى تأكيد . أى سأل سائل عذاباً واقعاً . ( لِّلْكَافِرِينَ ) أى على الكافرين . وهو النضر ابن الحارث حيث قال : « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ » فتل سؤاله ، وقُتل يوم يَدْرُ صَبْرًا ③ هو وعقبه بن أبى سَيطٍ ، لم يُقتل صَبْرًا غيرهما ، قاله ابن عباس ومجاهد . وقيل : إن السائل هنا هو الحارث بن النعمان القهري . وذلك أنه لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وسلم فى عليّ - رضى الله عنه : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَقُلْ مَوْلَاهُ » ركب ناقته لجاؤ حتى أتاه رحلته بالأبطح ثم قال : يا محمد ، أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله

(١) آية ٢٠ سورة المؤمنون .

(٢) آية ٢٥ سورة مريم .

(٣) آية ٣٢ سورة الأتال .

(٤) العبر : صب الإنسان لقتل .

إلا الله وأنت رسول الله فقبلناه منك، وأن نصلّي خمساً فقبلناه منك، وتزكّي أموالنا فقبلناه منك،  
وأن نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك، وأن نحج فقبلناه منك ؟ ثم لم ترض بهذا حتى  
فضلت ابن عمك علياً ! أفهنا شيء منك أم من الله ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : " والله  
الذي لا إله إلا هو ما هو إلا من الله " فولى الخارث وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول عهد  
حقاً فامطر علياً حجارة من السماء أو آتتنا ببذاب ألم . فوالله ما وصل إلى ناقته حتى رماه الله  
بجعر فوقع على دماغه فخرج من دبره قتله ؛ فنزل « سأل سائلٌ ببذاب واقع » الآية . وقيل :  
إن السائل هنا أبو جهل وهو القائل لذلك ؛ قاله الربيع . وقيل إنه قول جماعة من كفار قريش .  
وقيل : هو نوح عليه السلام سأل المذاب على الكافرين . وقيل : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛  
أي دعا عليه السلام بالمقاب وطلب أن يوقمه الله بالكفار ؛ وهو واقع بهم لا محالة . وامتد  
الكلام إلى قوله تعالى : « فأصبر صبراً جليلاً » أي لا تستجلب فإنه قريب . وإذا كانت الباء  
بمعنى عن - وهو قول قتادة - فكان سائلاً من المذاب بمن يقع أو متى يقع . قال الله تعالى :  
« فأسال يد خبيراً <sup>(١)</sup> » أي سل عنه . وقال حكمة :

فإن تسألوني بالنساء فإني • بصير بادواء النساء طيب

أي عن النساء . ويقال : نرجنا نسال من فلان وفلان . فالمعنى سألوا بمن يقع المذاب  
ولمن يكون فقال الله : « للكافرين » . قال أبو عل وغيره : وإذا كان من السؤال فأصله أن  
يتمدى إلى مفعولين ويجوز الاقتصار على أحدهما . وإذا اقتصر على أحدهما جاز أن يتمدى  
إليه بحرف جر ؛ فيكون التقدير سأل سائل النبي صلى الله عليه وسلم أو المسلمين ببذاب أو من  
مذاب . ومن قرأ بغير همز فله وجهان : أحدهما أنه لفة في السؤال وهي لفة قريش ؛ تقول  
العرب : سال يسال ؛ مثل نال ينال وخاف يخاف . والثاني أن يكون من السيلان . ويؤيده  
قراءة ابن عباس « سال سيل » . قال عبد الرحمن بن زيد : سال وأد من أودية جهنم يقال له

سائل . وهو قول زيد بن ثابت . قال التلي : والأوّل أحسن . كقول الأعشى في تخفيف  
المهمزة :

سائاني الطلاق إذ رأاني \* قلّ مالي قد جفّاني بنكر

وفي الصراح قال الأخفش : يقال نرجنا نسال من فلان و بفلان . وقد تخفف هزته فيقال :  
سال يسال . وقال :

ومررتي سال إيماناً بأصدتي \* لم يستين وحوالي الموت تنشأ<sup>(١)</sup>

المهرق : الذي أدرك ليلته . والأصدة بالضم : قيص صغير يابس تحت الثوب . المهدي :  
من قرأ « سال » جاز أن يكون خفف المهمزة بإبدالها ألفاً ، وهو البديل مل غير قياس .  
وجاز أن تكون الألف متقلبة من واو مل لفة من قال : سالت أسال ؛ تخفت أخاف .  
النحاس : حكى سيديه سالت أسال ؛ مثل خفت أخاف ؛ بمعنى سالت . وأنشد :  
سالت هذيل رسول الله فاحشة \* خلت هذيل بما سالت ولم تصيب<sup>(٢)</sup>

ويقال : هما يتساولان . المهدي : وجاز أن تكون مبتلة من ياء ، من سال يسيل . ويكون  
سائل وادياً في جهنم ؛ فهمزة سائل مل القول الأوّل أصلية ، ومل الثاني بدل من واو ، ومل  
الثالث بدل من ياء . القشيري : وسائل مهموز ؛ لأنه إن كان من سأل بالهمز فهو مهموز ،  
وإن كان من غير الهمز كان مهموزاً أيضاً ؛ نحو قائل وخائف ؛ لأن العين اعتلّ في الفعل  
واحتل في اسم القائل أيضاً . ولم يكن الاختلال بالحذف لخوف الالتباس ، فكان بالقلب  
إلى المهمزة . ولك تخفيف المهمزة حتى تكون ين بين . ( وإقبح ) أى يقع بالكفار ، بين

(١) لم نجد البيت في شعر الأشعري . ولما كان سيدي ( ٢٩١ ص ١٠٢ ج ٢ ص ١٧٠ ) أنه زهد بن عمرو بن

تليل القرشي . وعاق طبع الأمل للشعري أنه يروي لنية بن الحجاج .

(٢) لم يسن أى لم يفتح حانه . وحوالي الموت وحواليه : أسابه .

قال ابن زبي : أشدّه أيرمل الباهل حيث بن عبد الكريم لبعض العرب يصف وبلا فريفا ، أثبت في بعض الماوك  
فما لم أن يتصوره بجمه ؛ أى لا يسلب .

(٣) البيت لحسان بن ثابت .

أنه من الله ذي المعارج. وقال الحسن: أنزل الله تعالى «سأل سائل بئذاب واقع» فقال لمن هو فقال للكافرين؛ فاللام في الكافرين متعلقة بـ «واقع». وقال القراء: التقدير بئذاب للكافرين واقع؛ فالواقع من نعم المذاب، واللام دخلت للمذاب لا للواقع؛ أي هذا المذاب للكافرين في الآخرة لا يذنبه عنهم أحد. وقيل إن اللام بمعنى مل، والمعنى: واقع على الكافرين. وروى أنها في قراءة أبي كثر: «وقيل: بمعنى عن؛ أي ليس له دافع عن الكافرين من الله. أي ذلك المذاب من الله ذي المعارج؛ أي ذي العلو والدرجات الفواضل والنعم»؛ قاله ابن عباس وتفاضة. فالمعارج مراتب إنعامه على الخلق. وقيل ذي المقلة والملاء. وقال مجاهد: هي معارج السماء. وقيل: هي معارج الملائكة؛ لأن الملائكة تخرج إلى السماء فوصف نفسه بذلك. وقيل: المعارج الغرف؛ أي إنه ذو الغرف، أي جعل لأوليائه في الجنة غرفاً. وقرأ عبد الله ذي المعارج بالياء. يقال: معرج ومعراج ومعارج؛ مثل مفتاح ومفاتيح. والمعارج الدرجات؛ ومنه «ومعارج طيها يظهر<sup>(١)</sup>ون». «تخرج الملائكة والروح» أي تصعد في المعارج التي جعلها الله لهم. وقرأ ابن مسعود وأصحابه والسائي والكسائي «يعرج» بالياء على إرادة الجمع؛ وقلوه: «ذكروا الملائكة ولا تؤثثوهم». وقرأ الباقون بالناء على إرادة الجماعة. «والروح» جبريل عليه السلام؛ قاله ابن عباس. دليله قوله تعالى: «تزل به الروح الأمين»<sup>(٢)</sup>. وقيل: هو ملك آخر عظيم الخلق. وقال أبو صالح: إنه خلق من خلق الله كهية الناس وليس بالناس. قال قيس بن ذؤيب: إنه روح الميت حين يقبض.

(إليه) أي إلى المكان الذي هو عليهم وهو في السماء؛ لأنها محل برّه وكرامته. وقيل: هو كقول إبراهيم «إني لأهيب إلى ربّي»<sup>(٣)</sup>. أي إلى الموضع الذي أمرني به. وقيل: «إليه» أي إلى عرشه. (في يوم كان مقداره تسعين ألف سنة) قال وهب والكلبي ومحمد ابن إسحاق: أي عروج الملائكة إلى المكان الذي هو عليهم في وقت كان مقداره على غيرهم

(١) آية ٢٣ سورة الزمر.

(٢) آية ١٩ سورة الصافات.

(٣) آية ١٩٣ سورة النمل.

لو صعد خمسين ألف سنة . وقال وهب أيضا : ما بين أسفل الأرض إلى العرش مسيرة خمسين ألف سنة . وهو قول مجاهد . وجمع بين هذه الآية وبين قوله « في يوم كان مقداره ألف سنة » في سورة السجدة فقال : « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » من منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسون ألف سنة ، وقوله تعالى في (السم تزيل) : « في يوم كان مقداره ألف سنة » يعني بذلك نزول الأمر من معاد الدنيا إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد فذلك مقدار ألف سنة ، لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام . وعن مجاهد أيضا والحكم وعكرمة : هو مدة عمر الدنيا من أول ما خلقت إلى آخر ما بقي خمسون ألف سنة . لا يدرى أحدكم مضى ولا كم بقي إلا الله عز وجل . وقيل : المراد يوم القيامة ، أي مقدار الحكم فيه لو تولاه مخلوق خمسون ألف سنة ، قاله عكرمة أيضا والكلي ومحمد بن كعب . يقول سبحانه وتعالى وأنا أفرغ منه في ساعة . وقال الحسن : هو يوم القيامة ، ولكن يوم القيامة لا فاضله . فالمراد ذكر موقفهم للحساب فهو في خمسين ألف سنة من سني الدنيا ، ثم حينئذ يستقر أهل الدارين في الدارين . وقال بختان : هو يوم القيامة ، فيه خمسون موطنًا كل موطن ألف سنة . وقال ابن عباس : هو يوم القيامة ، جملة الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة ، ثم يدخلون النار لا يستقر .

قلت : وهذا القول أحسن ما قيل في الآية إن شاء الله ، بدليل ما رواه قاسم بن أصبغ من حديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . قلت : ما أطول هذا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصلحها في الدنيا » . واستدل الثمالي على صحة هذا القول بما رواه سفيان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من رجل لم يؤد زكاة ماله إلا جعل شجاعاً<sup>(٢)</sup> من نار تكوى به جبهته وتظهره وجنانه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس »

قال : فهذا يدل على أنه يوم القيامة . وقال إبراهيم التيمي : ما قدرناك اليوم على المؤمنين إلا قدر ما بين الظهر والعصر . وروى هذا المعنى مرفوعاً من حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين الصلوتين ولذلك تبنى نفسه سريع الحساب وأسرع الحاسبين " . ذكره الماوردي . وقيل : بل يكون الفراغ لنصف يوم ؛ كقوله تعالى : « أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا » . وهذا على قدر فهم الخلائق ، وإلا فلا يشغله شأن عن شأن . وكما يرزقهم في ساعة كنا يحاسبهم في لحظة ؛ قال الله تعالى : « مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ إِلَّا كَفَّةً وَاحِدَةً » . وعن ابن عباس أيضاً أنه مثل عن هذه الآية وعن قوله تعالى : « في يوم كان مقداره ألف سنة » فقال : أيام سماها الله عز وجل هو أعلم بها كيف تكون ، وأكره أن أقول فيها ما لا أعلم . وقيل : معنى ذكر خمسين ألف سنة تمثيل ، وهو تصرف طويل مدة القيامة في الموقف ، وما يلحق الناس فيه من الشدائد ، والعرب تصف أيام الشدة بالطول ، وأيام الفرج بالقصر ؛ قال الشاعر :

ويوم كَيْظِ الرِّيحِ قَصَرَ طَوْلُهُ • دَمُ الزُّقِ مَتَا وَاصْطَفَاكَ الْمَزَاهِرُ <sup>(١)</sup>

وقيل : في الكلام تقديم وتأخير ؛ والمعنى : سألت سائل بمذاب واقع للكافرين ليس له من الله دافع ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ترجع الملائكة والروح إليه . وهذا القول هو معنى ما أخرناه ، والموقف الإله .

قوله تعالى : فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝

وَوَرَوْتُهُ قَرِيبًا ۝

(١) آية ٢٤ سورة الفرقان .

(٢) آية ٢٨ سورة لقان . (٣) قال ابن بري : نسب الجوهري هذا البيت ليزيد بن الحارثية ،

ومسواه أشهره بن العليل . (انظر لسان العرب مادة صفر) . والوق : وعاء من جلد . ويريد دم الزق انظر .

والمزاهر : البهتان . واصطقلت المزاهر : جاثوب بعضها بعضاً .

قوله تعالى : ( فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ) أى على أذى قومك . والمَصْبَرُ الجليلُ هو الذى لا يترج فيه ولا شكوى لغير الله . وقيل : هو أن يكون صاحب المصيبة فى القوم لا يُدْرَى من هو . والمعنى متقارب . وقال ابن زيد : هى منسوخة بآية السيف . ( إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ) يريد أهل مكة يرون العذاب بالنار بعيدا ؛ أى غير كائن . ( وَنَرَاهُ قَرِيبًا ) لأن ما هوأت لهو قريب . وقال الأعشى : يرون البعث بعيدا لأنهم لا يؤمنون به ؛ كأنهم يستبعدونه على جهة الإحالة . كما تقول لمن تناظره : هذا بعيد لا يكون ! وقيل : أى يرون هذا اليوم بعيدا « ونراه » أى نعلمه ؛ لأن الرؤية إنما تتحقق بالموجود . وهو كفوك : الشافى يرى فى هذه المسألة كذا وكذا ..

قوله تعالى : يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۚ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ۝

قوله تعالى : ( يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ) العامل فى « يوم » « واقع » ؛ تهديره يقع بهم العذاب يوم . وقيل « نراه » أو « يبصرونهم » أو يكون بدلا من قريب . والْهَيْلُ قُرْدَى الزيت وَكَرَّه ؛ فى قول ابن عباس وغيره . وقال ابن مسعود : ما أذنب من الرصاص والنحاس والقضبة . وقال مجاهد : « كالهيل » كقبح من دم وصديد . وقد مضى فى سورة « الدخان » ، و « الكهف » القول فيه . ( وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ) أى كالصوف المصبوغ . ولا يقال للصوف عِهْن إلا أن يكون مصبوغا . وقال الحسن : « وتكون الجبال كالعِهْنِ » وهو الصوف الأحمر ، وهو أخضف الصوف . ومنه قول زهير :

كَانَ ثَنَاتُ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَقَرٍّ • تَزِينُ بِهِ حَبَّ الْقَنَا لَمْ يُحْطَمِ<sup>(١)</sup>

(١) راجع ١٠٠ ص ٣٩٤ و ١٦٦ ص ١٤٩

(٢) القنا (مقصود الراحة فأن) : حب القطن . وقيل : هو حجر ذو حب أحمر ما لم يكسر ينفذ منه قناريد يوزن بها ؛ كل حبة تقيط . وقيل : ينفذ منه القنطرة . وقوله : « لم يحطم » أراد أن حب القنا صحيح ؛ لأنه إذا كسر ثاهله لونه غير الحرة .

الثَّنَاتُ الْقَطْع . وَالْمُهْنُ الصُّوفُ الْأَحْمَرُ . وَاحِدُهُ هَيْئَةٌ . وَقِيلَ : الْمُهْنُ الصُّوفُ ذُو الْأَوَانِ ، فَشَبَّهَ الْجِبَالَ بِهِ فِي تَلَوْنِهَا الْأَوَانُ . وَالْمَعْنَى : أَنَّهَا تَلِينُ بَعْدَ الشَّدَةِ ، وَتَتَفَرَّقُ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ . وَقِيلَ : أَقُولُ مَا تَتَغَيَّرُ الْجِبَالُ تَصِيرُ مَلَأًا مَهِيلًا ، ثُمَّ هَيْئًا مَتَفَوْشًا ، ثُمَّ هَيْئًا مُنْبَتًّا . ( وَلَا يُسَالُّ حَمِيمٌ ) أَيُ عَنْ شَأْنِهِ لَشَفَلُ كُلِّ إِنْسَانٍ بِنَفْسِهِ ؛ قَالَهُ قَتَادَةُ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : « لِكُلِّ أَمْرٍ يُؤْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ » . وَقِيلَ : لَا يُسَالُّ حَمِيمٌ عَنْ حَمِيمٍ ؛ لِحُذْفِ الْجَارِ وَوَصْلِ الْفِعْلِ . وَقِرَاءَةُ الْعَامَةِ « يُسَالُّ » بَفَتْحِ الْيَاءِ . وَقِرَاءُ شَيْئَةٍ وَالْبَرِّى عَنْ عَامِمٍ « وَلَا يُسَالُّ » بِالضَّمِّ عَلَى مَا لَمْ يَسْمَعْ قَاعِلُهُ ؛ أَيُ لَا يُسَالُّ حَمِيمٌ عَنْ حَمِيمِهِ وَلَا ذُو قَرَابَةٍ عَنْ قَرَابَتِهِ ، بَلْ كُلُّ إِنْسَانٍ يُسَالُّ عَنْ عَمَلِهِ . نَظِيرُهُ « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهِيَ » .

قوله تعالى : يَصْرُوفُهُمْ يُودُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَقْتُلِي مَنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَلَحِيَّتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَقَصِيلَتِهِ الَّتِي تُقْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤)

قوله تعالى : ( يَصْرُوفُهُمْ ) أَيُ يَرْوِيهِمْ . وَلَيْسَ فِي الْقِيَامَةِ مَخْلُوقٌ إِلَّا وَهُوَ نُصَبٌ مِنْ صَاحِبِهِ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ . فَيَصْرِفُ الرَّجُلَ أَبَاهُ وَأَخَاهُ وَقَرَابَتَهُ وَعَشِيرَتَهُ وَلَا يُسَالُّهُ وَلَا يَكَلِّمُهُ ؛ لِاسْتِغْنَائِهِمْ عَنْهُمْ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَتَمَارَفُونَ سَاعَةً ثُمَّ لَا يَتَمَارَفُونَ بَعْدَ تِلْكَ السَّاعَةِ . وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ : أَنَّ أَهْلَ الْقِيَامَةِ يَفْزَحُونَ مِنَ الْمَعَارِفِ غَنَاءَ الْمَظَالِمِ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا : « يَصْرُوفُهُمْ » يَصْرِفُهُمْ بَعْضُهُمْ فَيَتَمَارَفُونَ ثُمَّ يَفْشُرُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ . فَالضَّمِيرُ فِي « يَصْرُوفُهُمْ » عَلَى هَذَا الْكَفَّارِ ، وَالْهَاءُ وَالْيَاءُ لِلْأَقْرَبَاءِ . وَقَالَ جَاهِدٌ : الْمَعْنَى يَصْرِفُهُ الْمُؤْمِنِينَ الْكَافَرُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ فَالضَّمِيرُ فِي « يَصْرُوفُهُمْ » لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَالْهَاءُ وَالْيَاءُ لِلْكَافَرِ . ابْنُ زَيْدٍ : الْمَعْنَى يَصْرِفُهُ

(١) الجليل : الذي يحرك أسنانه فينال طبعه من أكله .

(٢) آية ٣٧ سورة مريم . (٣) آية ٣٨ سورة النحل .

الكفار في النار الذين أضلّوهم في الدنيا ؛ فالضمير في « يَصْرُونَهُم » للتابعين ، والميم للتبوعين . وقيل . إنه يصير المظلوم ظالماً والمقتول قاتله . وقيل : « يَصْرُونَهُم » يرجع إلى الملائكة ؛ أى يعرفون أحوال الناس فيسوقون كلّ فريق إلى ما يليق بهم . وتم الكلام عند قوله : « يَصْرُونَهُم » . ثم قال : ( يَوْمَ الْحُجُرِمِ ) أى يبنى الكافر . ( لَوْ يَفْقَهُ مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ ) يعنى من عذاب جهنم بأحرّ من كان عليه في الدنيا من أقالبه فلا يقدر . ثم ذكرهم فقال : ( بَيْنَهُ . وَمَصَاحِبُهُ ) زوجته . ( وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ ) أى عشيرته . ( الَّتِي تَوَلَّوْهُ ) تنصره ؛ قاله مجاهد وابن زيد . وقال مالك : أمه التى تربيته . حكاية الماوردي ورواه عنه أنشعب . وقال أبو عبيدة : الفصيلة دون القبيلة . وقال ثعلب : هم أبائهم الأذنون . وقال المبرد : الفصيلة القطعة من أعضاء الجسد ، وهى دون القبيلة . وسميت قرة الرجل فصيلته تشبيهاً بالبيض منه . وقد مضى في سورة « الحجرات » القول في القبيلة وغيرها . وهنا مسألة ، وهى : إذا حس على فصيلة أو أوصى لها فمن أذى العموم حمله على العشيرة ، ومن أذى الخاص حمله على الآباء ؛ الأدنى فالأدنى . والأول أكثر في النطق ؛ والله أعلم . ومعنى « تَوَلَّوْهُ » تفضّه وتؤمته من خوف إن كان به . ( وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ) أى ويؤدّ لو يُدّى بهم لأتدّى ( ثُمَّ يُجِيعُهُ ) أى يخلصه ذلك القداء . فلا بدّ من هذا الإخبار ؛ كقوله : « وَأَنَّهُ لَنَفْسٍ » أى وإن أكله لنفسى . وقيل : « يَوْمَ الْحُجُرِمِ » يقتضى جواباً بالقاء ؛ كقوله : « وَذُكُّوا لَوْ تَكُنْ قِيْدُهُنَّ » . والجواب في هذه الآية « ثُمَّ يُجِيعُهُ » لأنها من حروف المطف . أى يؤدّ الحريم لو يغتدى فينجيه الإقداء .

قوله تعالى : كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَبُ ﴿١٥﴾ تَزَاوَعًا لِلشَّوْثِ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ

وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾

(١) راجع ١٦ ص ٣٤٥ (٢) آية ١٢١ سورة الأنعام .

(٣) آية ٩ سورة النمل .

ثم قال : (كَلَامٌ) تقدم القول في «كَلَا» وأنها تكون بمعنى حَقًّا، وبمعنى لا . وهي هنا  
تعمل الأمرين ؛ فإذا كانت بمعنى حقا كان تمام الكلام «وَيُحْيِيهِ» . وإذا كانت بمعنى لا كان تمام  
الكلام عليها ؛ أي ليس يحييه من مذاب الله الانتداء . ثم قال : (إِنِّهَا لَنُفَى) أي هي جهنم ؛  
أي تنلفي نيرانها ؛ كقوله تعالى : «فَأَنزَلْنَاهُ نَارًا طَلْفِي»<sup>(١)</sup> . واشتقاق لنفى من التلظى . والْتِظَاءُ النَّارِ  
التَّهَابُهَا ، وتلفظ بها . وقيل : كان أصلها «لفظ» أي دامت لدوام مذابها ؛ فقلبت إحدى  
الظاين ألفا فبقيت لنفى . وقيل : هي الدركة الثانية من طبقات جهنم . وهي اسم مؤنث  
معروفة فلا ينصرف . (تَزَاةٌ لِلشَّوَى) قرأ أبو جعفر وشيبة وفتح وهاصم في رواية أبي بكره  
والأعمش وأبو عمرو وحزمة والكسائي «تَزَاةٌ» بالرفع . وروى أبو عمرو عن هاشم «تَزَاةٌ»  
بالنصب . فمن رفع فله نسبة أوجه : أحدها أن تجعل «لنفى» خبر «إت» وترفع «تَزَاةٌ»  
بإضافته ؛ فمن هذا الوجه يحسن الوقف على «لنفى» . والوجه الثاني أن تكون «لنفى» و«تَزَاةٌ»  
خبران لإت . كما قول إنه خلق غاصم . والوجه الثالث أن تكون «تَزَاةٌ» بدلا من «لنفى» و«لنفى»  
خبر «إن» . والوجه الرابع أن تكون «لنفى» بدلا من اسم «إت» و«تَزَاةٌ» خبر «إن» .  
والوجه الخامس أن يكون الضمير في «إنها» للقصة ، و«لنفى» مبتدأ و«تَزَاةٌ» خبر الابتداء  
والجملته خبر «إن» . والمعنى : أن القصة والخبر لنفى تَزَاةٌ للشوى . ومن نصب «تَزَاةٌ»  
حسن له أن يوقف على «لنفى» وينصب «تَزَاةٌ» على القطع من «لنفى» إذ كانت نكرة  
متصلة بمعرفة . ويجوز نصبها على الحال المؤكدة ؛ كما قال : «وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا»<sup>(٢)</sup> . ويجوز  
أن تنصب على معنى أنها تنلفي تَزَاةٌ ؛ أي في حال نزاعها للشوى . والعامل فيها ما دل عليه  
الكلام من معنى التلظى . ويجوز أن تكون حالا ؛ على أنه حال للكاذبين بنزاعها . ويجوز نصبها

(١) راجع ج ١٦ ص ١٤٧

(٢) آية ١٤ سورة البقر

(٣) آية ٩١ سورة البقرة

على القطع ؛ كما تقول : مردت يزيد المائل الفاضل . فهذه نحسة أوجه للنصب أيضا .  
والشوى جمع شواة وهى جلدة الرأس . قال الأمشى :

قالت قَيْلَة مَالَهُ • قد جُطِلَتْ شَيَا شَوَاتِهِ

وقال آخر :

لأصبحت هذلك الحوادث هَذَّة • لما فشواة الرأس بِإِدْقِيْمِهَا

القفير : الشهب . وفى الصلح « والشوى : جمع شواة وهى جلدة الرأس » . والشوى :  
البدان والرجلان والرأس من الآدميين ، وكل ما ليس مقتلا . يقال : رماه فأشواه إنما لم  
يسبب المقتل . قال الهذلى :

فإن من القول التى لا شوى لها • إنما زَلَّ من ظهر اللسان اغْلَاحُهَا

يقول : إن من القول كلمة لا شوى ولكن تقتل . قال الأمشى :

قالت قَيْلَة مَالَهُ • قد جُطِلَتْ شَيَا شَوَاتِهِ

قال أبو عبيدة : أنشدنا أبو الخطاب الأخفش أبا عمرو بن العلاء فقال له : « تحسفت ، إنما  
هو سراته » [ أى نواحيه ] فسكت أبو الخطاب ثم قال لنا : بل هو تحسف ، إنما هو شواته » .  
وشوى الفرس : قوائمه ؛ لأنه يقال : صِلَّ الشَّوَى ، ولا يكون هذا للرأس ؛ لأنهم وصفوا  
الجيل بإسالة الخدين ويصحب الوجه وهو رِقَّة . والشوى رُدَالُ المسال . والشوى هو الشيء  
الهيى السير . وقال ثابت البناتى والحسن : « نَزَاعَةُ الشَّوَى » أى لكارم وجهه . أبو العالية :  
لحسان وجهه . قتادة : لكارم خلقته وأطرافه . وقال الضمك : تَفَرَّى الهم والجلد عن  
المظم حتى لا تترك منه شيئا . وقال الكسائى : هى المفاصل . وقال بعض الأئمة . هى  
القوائم والجلود . قال امرؤ القيس :

سَلِمَ الشَّقْلُ مِثْلَ الشَّوَى شَنِجُ النَّاسِ \* لَهُ حَبَابَاتٌ مُتَرَفَاتٌ عَلَى الْفَصَالِ<sup>(١)</sup>

وقال أبو صالح : أطراف اليدين والرجلين ، قال الشاعر :

إِذَا نَظَرْتُ عَرَفْتُ الْفَخْرَ مِنْهَا \* وَعَيْلَهَا وَلَمْ تَعْرِفْ شَوَاهَا

يعنى أطرافها . وقال الحسن أيضا : الشَّوَى الهام . ( تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ) أى تدعو لظئ من

أدبر في الدنيا عن طاعة الله وتولى عن الإيمان ، ودعاؤها أن تقول : إلى يامشرك ، إلى ياكافر .

وقال ابن عباس : تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح : إلى ياكافر ، إلى يامنافق ؛

ثم تقتطعهم كما يقتطع الطير الحب . وقال ثعلب : « تدعو » أى تهلك . تقول العرب : دعاك الله ؛

أى أهلكك الله . وقال الخليل : إنه ليس كالدهاء « تمالوا » ، ولكن دعوها إياهم تمكنها

من تعذيبهم . وقيل : الداعى خزنة جهنم ؛ أضيف دعاؤهم إليها . وقيل : هو ضرب مثل ؛

أى إن مصير من أدبر وتولى إليها ؛ فكأنها الداعية لهم . ومثله قول الشاعر :

وَلَقَدْ هَيَّطْنَا الْوَالِدِينَ فَوَادِيَا \* يَدْعُو الْإِنْسَ بِهَ الْعَضِضِ الْإِبْكُ<sup>(٢)</sup>

العضض الإبك : الذباب . وهو لا يدعو وإنما طنه نبه عليه فدعا إليه .

قلت : القول الأزل هو الحقيقة ؛ حسب ما تقدم بيانه بأى القرآن والأخبار الصحيحة .

القصيرى : ودعا لظئ بخلق الحياة فيما حين تدعو ، وخوارق المادة غدا كثيرة . ( وَجَمَعَ

فَأَوْعَى ) أى جمع المال بفضله فى وعائه ومنع منه حق الله تعالى ؛ فكان جموعا منوعا . قال

الحكم : كان عبد الله بن عكيم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله يقول : « وَجَمَعَ فَأَوْعَى » .

قوله تعالى : إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا أَلْمَسَهُ أَلْمَشْرُ بَرُوعًا ۝

وَإِذَا مَسَّهُ الْغَيْرُ مَوْعًا ۝

قوله تعالى : ( إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ) يعنى الكافر ؛ عن الضحالك ، والمطلع فى اللغة :

أشد الحرص وأسوأ الجزع والخشخشة . وكذلك قال قتادة ومجاهد وغيرهما . وقد حلب ( بالكسر )

( ١ ) الشئ : حلق لازق بالذراع . وقيل : انتفان الصب . ودعى الشوى : غليظ الدين والرجلين . ودعى الشج

بحركة : قبض الجبل والأساج . ودعى القسا : مقصور : حرق فى الصلوة ؛ وفسر شيخنا : متبجعه ، وهو ملح

له . ودعى الحجابات : وروس مقام الرزكين . ودعى القال : لغة فى القائل وهو الهم الذى على الورك .

( ٢ ) وردت هذه الكلمة فى نسخ الأصل بحركة هكذا : « العضض » بالعين المهملة والعاد المسجمة . و « القصير » بإقفا . والعاد المهملة . و « العضض » بالعين والعاد المهملة . ولم نبتد إليها .

يَتَلَعُ فَهُوَ مَلُوعٌ وَعَلُوعٌ عَلَى التَّكْثِيرِ . والمعنى أنه لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي . عِزَّة : هو الضَّجُور . الضَّعَاك : هو الذي لا يَسْع . والنوع : هو الذي إذا أصاب المال منع منه حق الله تعالى . وقال ابن كيسان : خلق الله الإنسان يحب ما يسره ويرضيه ، ويحب مما يكرهه ويستخط ، ثم تمَّبه الله بإففاق ما يحب والصبر على ما يكره . وقال أبو عبيدة : المَلُوع هو الذي إذا مسه الخير لم يشكر ، وإذا مسه الضر لم يصبر ؛ قاله ثعلب . وقال ثعلب أيضا : قد فسر الله المَلُوع ، وهو الذي إذا ناله الشر أظهر شدة الجزع ، وإذا ناله الخير يَبْغِل به ومنعه الناس . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تَشْرُ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ شَيْءٌ مَالَعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ » . والعرب تقول : ناقة ملواعة وهلواع ؛ إذا كانت سريعة السير خفيفة . قال : صَحَّاحُ ذَيْفَالَةَ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهَا • حَرَجَ إِذَا اسْتَقْبَلَهَا هِلَوَاعُ  
الَّذَلْبُ وَالذَّلْبَةُ الناقصة السريعة . و « جَزُوعًا » و « مَنُوعًا » ثنائان ملووع ، مل أن ينوى بهما التقديم قبل « إذا » . وقيل : هو خبر كان مضمر .

قوله تعالى : إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَأِئُومُونَ ﴿٦٨﴾  
وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٦٩﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٧٠﴾ وَالَّذِينَ  
يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُنْفِقُونَ ﴿٧١﴾  
إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَقْرَبِهِمْ حَفِظُونَ ﴿٧٣﴾  
إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٧٤﴾ فَمَنْ  
ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ  
وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِسَهْلَتِهِمْ فَاهِمُونَ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ  
عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ ﴿٧٨﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَّمُونَ ﴿٧٩﴾

(١) في اللسان مادة ملح : « وأنشد الجاهل لسبب بن علي وصف ناقة شيها بالصاعة » وذكر البيت . قال الجاهل : قوله « سكا » شيها بالصاعة ، ثم وصف الصاعة بالمكان وليس المكان من وصف الناقة .

قوله تعالى : ( إِلَّا الْمُصَلِّينَ ) دلّ على أن ما قبله في الكفار ؛ فالإنسان اسم جنس بدليل الاستثناء الذي يعقبه ؛ كقوله تعالى : « إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا » . قال النخعي : المراد بالمصلين الذين يؤقنون الصلاة المكتوبة . ابن مسعود : الذين يصلونها لوقتها ؛ فأما تركها فكفر . وقيل : هم الصعبة . وقيل : هم المؤمنون طاعة ؛ فإنهم ينبئون قرط الجزع بقتلهم وبرهم وبقينهم . ( الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ) أى على مواقيتها . وقال عقبة ابن عامر : هم الذين إذا صلوا لم يفتنوا بينا ولا شمالا . والدائم الساكن ؛ ومنه : نهى عن البول في الماء الدائم ؛ أى الساكن . وقال ابن جريج والحسن : هم الذين يكثرون فعل التطوع منها . ( وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ) يريد الزكاة المفروضة ؛ قاله قتادة وابن سيرين . وقال مجاهد : سوى الزكاة . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : صلاة رَحِمَ وَحَمَلَ كُلِّ . والأول أصح ؛ لأنه وصف الحق بأنه معلوم ، وسوى الزكاة ليس بمعلوم ، إنما هو هل فسد الحاجة ، وذلك يقل ويكثر . ( السَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ) تهتم في « والذاريات » . ( وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّعَ الَّذِينَ ) أى بيوم الجزاء وهو يوم القيامة . وقد مضى في سورة « النافعة » القول فيه . ( وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ) أى حائفون . ( إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ) قال ابن عباس : لمن أشرك أو كذب أنبياءه . وقيل : لا يأمنه أحد ؛ بل الواجب على كل أحد أن يخافه ويشفق منه . ( وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ السَّادُونَ ) تقدم القول فيه في سورة « قد أفلح المؤمنون » . ( وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ) هزم أيضا . ( وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ) على من كانت [عليه] من قريب أو بعيد ؛ يقومونها عند

(١) راجع ج ١٧ ص ٢٨

(٢) راجع ج ١ ص ١٤٢

(٣) راجع ج ١٢ ص ١٠٢

(٤) زيادة من الطبيب الشرعي .

(١١) الحاكم ولا يكتمونها ولا يفرونها . وقد مضى القول في الشهادة وأحكامها في سورة « البقرة » . وقال ابن عباس : « بشهادتهم » أن الله واحد لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . وقرئ « لأما بهم » على التوحيد . وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن . فلا مانع من جنس ؛ فيدخل فيها أمانات الدين ؛ فإن الشرائع أمانات اتقن الله عليها عباده . ويدخل فيها أمانات الناس من الودائع . وقد مضى هذا كله مستوفى في سورة « النساء » . وقرأ عباس النوري عن أبي عمرو ويعقوب « بشهادتهم » جمعاً . الباقون « بشهادتهم » على التوحيد ؛ لأنها تؤدي عن الجمع . والمصدر قد يفرد وإن أضيف إلى جمع ؛ كقوله تعالى : « إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » (١٢) وقال الفراء : ويدل على أنها « بشهادتهم » توحيداً قوله تعالى : « وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ » (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) قال قتادة : هل وضوئها وركوعها وسجودها . وقال ابن جريج : التطوع . وقد مضى في سورة « المؤمنون » . فالنوم خلاف المحافظة . فدوامهم عليها أن يحافظوا على أدائها لا يُخلُّون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل . ومحافظة عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها وموافقتها ، ويقوموا أركانها ، ويكملوها بسنتها وأدائها ، ويحفظوها من الإحباط باقتراف المسائم . فالنوم يرجع إلى نفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها . (أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَّمُونَ) أي أكرمهم الله فيها بأنواع الكرامات .

قوله تعالى : قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿١٣﴾ عَنْ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿١٤﴾ أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمٍ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : (قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ) قال الأخفش : مسرعين . قال :

بِمَكَّةَ أَحَلُّهَا وَلَقَدْ أَرَاهُمْ • إِلَيْهِ مُهْطِعِينَ إِلَى الْمَبَاحِ

(١) راجع ٢٢ ص ٤١٥ (٢) راجع ٥٥ ص ٢٥٥ (٣) آية ١٩ سورة قحان .

(٤) راجع ١٢ ص ١٠٧

والمعنى : ما بالهم يُسرعون إليك ويحلبون حوالبك ولا يعملون بما تأمرهم . وقيل : أى ما بالهم مسرعين في التكذيب لك . وقيل : أى ما بال الذين كفروا يُسرعون إلى السماع منك ليعيبوك ويستنزوا بك . وقال عطية : مهطمين : معرضين . الكلبي : ناظرين إليك تعجباً . وقال قتادة : عامدين . والمعنى متقارب . أى ما بالهم مسرعين إليك ، ما ذين أعناقهم ، ممدنى النظر إليك . وذلك من نظر العدو . وهو منصوب على الحال . تزلت في جمع من المنافقين المستهزئين ؛ كانوا يحضرونه — عليه السلام — ولا يؤمنون به . و « قِيلَكَ » أى نحوك . ( عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَنِ الشَّامِيِّ ) أى عن بين النبي صلى الله عليه وسلم وشماله خلقاً خلقاً وجماعات . واليزين : جماعات في تفرقة ؛ قاله أبو عبيدة . ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج على أصحابه فرأهم خلقاً فقال : « مَا لِي أَرَأَكُمْ يَزِينُونَ أَلَا تَصِفُونَ كَمَا تَصِفُ لِلْمَلَائِكَةِ عِنْدَ رَبِّهَا — قَالُوا : وَكَيْفَ تَصِفُ الْمَلَائِكَةَ عِنْدَ رَبِّهَا ؟ قَالَ — : تُنَوِّنُ الصَّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاوَنُونَ فِي الصَّفِّ » أخرجه مسلم وغيره . وقال الشاعر :

تَرَأَا عِنْدَهُ وَاللَّيْلُ دَاجٌ • عَلَى أَبْوَابِهِ خَلْقًا عِزِينَا

أى متفرقين . وقال الراعي :

أَخْلَيْفَةَ الرَّحْمَنِ إِذَا مَشِيتُ • أَمْعَى مَرَأَتُهُمْ إِلَيْكَ عِزِينَا

أى متفرقين . وقال آخر :

كَأَنَّ الْجَاهِلَ مِنْ قَعْمَا • خَطَائِلُ يَوْمَيْنِ شَقَى عِزِينَا<sup>(١)</sup>

أى متفرقين . وقال آخر :

فَلَسَا أَنْ أَتِينَ عَلَى أَضَانِجٍ • ضَرَحَنَ حَصَاهُ أَشْتَاتَا عِزِينَا<sup>(٢)</sup>

وقال الكبيتي :

وَنَحْنُ وَجَسَدٌ بَاغٍ تَرَكَا • كَلَّابَ جَسَدِي شَقَى عِزِينَا

(١) الخطايل : لا واحد لها من جنسها ؛ وهي جماعات من الوحش والطيور في تفرقة .

(٢) أضانج (بالضم) : جهل يذكر ويؤنث . وقيل : هو موضع بالبادية يصرق ولا يصرق . ومعنى

« ضَرَحَنَ » : يحين ودفعن .

وقال عترة :

وَقِرْنُ قَدْ تَرَكْتُ لَدَى وَلِيٍّ • عَلَيْهِ الطَّيْرُ كَالْمَصِيبِ الْعِزِينَ

وواحد عيزين عزة ؛ بُعِثَ بالواري والنون ليكون ذلك عِرْضًا مما حلف منها . وأصلها عِرْزَةٌ ؛ فاعْتَصَتْ كما اعْتَصَتْ سَنَةٌ فِيمَنْ جَعَلَ أَصْلُهَا سَنَةً . وقيل : أصلها عِرْزَةٌ ؛ من عزاه يمزوه إذا أضافه إلى غيره . فكل واحد من الجماعات مضافة إلى الأخرى . والمخدوف منها الواري وفي الصالح : « وَالْعِزَّةُ الْفِرْقَةُ مِنَ النَّاسِ ، وَالْمَاءُ عَوْضٌ مِنَ الْيَاءِ ، وَالْجَمْعُ عِزَّى — عَلَى فَعْلٍ — وَعِزُونَ وَعِزُونَ أَيْضًا بِالضَّمِّ ، وَلَمْ يَقُولُوا عِزَاتٍ كَمَا قَالُوا تُجِبَاتٍ » . قال الأصمعي : يقال في الصالح عِزُونَ ؛ أى أصناف من الناس . و« عَنِ الْبَيْنِ وَعَنِ الشَّيْلِ » متعلق بـ « مُعْطَيْنِ » ويعوز أن يتلقى بـ « عِزِينَ » على حد قولك : أَخَذَهُ مِنْ زَيْدٍ . ( أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِثْمَ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَيمٍ ) قال المفسرون : كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَسْتَمْعُونَ حَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَسْتَمْعُونَ كَلَامَهُ فَيَكْذِبُونَهُ وَيَكْتُمُونَ عَلَيْهِ ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِأَصْحَابِهِ وَيَقُولُونَ : لَنْ يَدْخُلَ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ لَنَدَخَلْنَاهَا قَبْلَهُمْ ، وَلَنْ أُعْطُوا مِنْهَا شَيْئًا لَنُعْطِيَهُمْ أَكْثَرَ مِنْهُ ، فَقُلْتُ « أَيْطَعُ » الْآيَةَ . وقيل : كَانَ الْمُسْتَهْزِئُونَ نَحْمَةً أَرْهَطُ . وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَطَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ وَالْأَمْصَرَجُ « أَنَّ يُدْخَلَ » بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الْخَاءِ مَسْمًى الْقَاعِلِ . ورواه المفضل عن ماسم . الْبَاقُونَ « أَنَّ يُدْخَلَ » عَلَى الْفِعْلِ الْمَجْهُولِ . ( كَلَّا ) لَا يَدْخُلُونَهَا . ثُمَّ ابْتَدَأَ قَالُ : ( إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ ) يَأْمُرُ بِمَلَكُوتٍ ) أَيْ إِنَّهُمْ يَسْمَعُونَ أَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ مِنْ تَلْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عِلَاقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ ؛ كَمَا خَلَقَ سَائِرَ جُلُوسِهِمْ . فَلَيْسَ لَهُمْ فَضْلٌ يَسْتَوْجِبُونَ بِهِ الْجَنَّةَ ، وَإِنَّمَا تُسْتَوْجَبُ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَقِيلَ : كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَيَسْتَكْبِرُونَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ : « إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ يَوْمًا يَلْمُوتُونَ » مِنَ الْقَدَرِ ؛ فَلَا يُلِيقُ بِهِمْ هَذَا التَّكَبُّرُ . وَقَالَ قَتَادَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : إِنَّمَا خَلِقْتُ يَابْنَ آدَمَ مِنْ قَدَرٍ فَأَتَى اللَّهَ . وَرَوَى أَنَّ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ رَأَى الْمُهَاجِرَ ابْنَ أَبِي صَفْرَةَ يَتَخَفَّرُ فِي مُطَرِّفٍ نَحْرًا وَجِبَةً نَحْرًا فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، مَا هَذِهِ الْمِشْيَةُ الَّتِي يَغْضَاهَا

(١) الخوف (بكسر الميم وضما) واحد الخواف ؛ وهو أودية من نزمربة لها أعلام .

الله ؟ فقال له : أتعرفني ؟ قال نعم ، أذاك نطفة مَيِّزَةٍ ، وأتراك جيفة قَيِّزَةٍ ، وأنت [فيا بين ذلك] تحمل القَيِّزَةَ . فغضى للمهلب وترك مشيته . نظم الكلام محمود الوراق فقال :

عَجِبْتُ مِنْ مُتَّجِبٍ بِصُورِهِ • وَكَانَ فِي الْأَصْلِ نَظْفَةً مَيِّزَةٍ  
وَهُوَ غَدًا بَعْدَ حُسْنِ صُورِهِ • يَصْبِرُ فِي الْحَدِّ جِيفَةً قَيِّزَةٍ  
وَهُوَ عَلَى تَيْبِهِ وَنَحْوِهِ • مَا يَنْ تَوْبِيهِ يَحْمِلُ الْعَيِّزَةَ

وقال آخر :

هَلْ فِي ابْنِ آدَمَ غَيْرَ الرَّأْسِ مَكْرُومٌ • وَهُوَ بِغَيْسٍ مِنَ الْأَوْسَاحِ مَضْرُوبٌ  
أَنْفٌ يَسِيلُ وَأُذُنٌ رِيحُهَا سَيْكٌ • وَالَّذِينَ مُرَمَّصَةٌ وَالْفَرْسُ مَلُوبٌ  
يَابِنُ التُّرَابِ وَمَا كَوَّلَ التُّرَابُ غَدًا • قَصْرٌ فُتِكَ مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبٌ

وقيل : معناه من أجل ما يسلون ؟ وهو الأمر والنهي والتراب والمقاب ، كقول الشاعر وهو الأعشى :

أَلْزَمْتِ مِنْ آلِ لَيْلَى إِحْكَارًا • وَشَطَطَ عَلَى ذِي هَوَى أَنْ تُرَارَا

أى من أجل لَيْلَى .

قوله تعالى : فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَائِدُونَ ﴿١٠﴾  
عَلَى أَنْ تُبَدَّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿١١﴾

قوله تعالى : ( فَلَا أَقْسِمُ ) أى أقسم . وهـ لا « صلة » . ( رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ )  
هى مشارق الشمس ومغاربها . وقد مضى الكلام فيها . وقرأ أبو حيوة وابن عيسى وحيد  
« رب المشرق والمغرب » على التوحيد . ( إِنَّا لَقَائِدُونَ . عَلَى أَنْ تُبَدَّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ ) يقول :  
قد سر على أهلكم والنعاب بهم ، والمجىء بخير منهم فى الفضل والطوع والمسال .  
( وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ) أى لا يهوننا شيء ولا يسجنا أمر نريد .

قوله تعالى : فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي

يُوفُونَ<sup>(١)</sup>

أى اتركهم يحضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم ؛ على جهة الوعيد . واشتغل أنت بما أمرت به ولا ينظم عليك شركهم ؛ لأن لم يوما يتقون فيه ما وعدوا . وقرأ ابن محيىن ويعاهد وحيد « حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوفُونَ » . وهذه الآية منسوخة بآية السيف .

قوله تعالى : يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرًّا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ

يُوفُونَ<sup>(٢)</sup>

« يَوْمَ » بدل من « يَوْمَهُمُ » الذى قبله ، وقرائة العامة « يُخْرِجُونَ » بفتح الياء وضم الزاء على أنه مسمى الفاعل . وقرأ السُّلَمِيُّ والمنذرية والأعشى عن ماسم « يُخْرِجُونَ » بضم الياء ونسخ الزاء على الفعل المجهول . والأجداث : القبور ؛ واحداها جدت . وقد مضى في سورة « يس » . ( سِرًّا ) حين يسمعون الصيحة الآخرة إلى إجابة الداعى ؛ وهو نصب على الحال . ( كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفُونَ ) قراءة العامة بفتح النون وجرم الصاد . وقرأ ابن ماسم وحفص بضم النون والصاد . وقرأ عمرو بن ميمون وأبو رجاء وغيرهما بضم النون وإسكان الصاد . والنُصُب والنُصْب لفتان مثل النُصْف والنُصْف . الجوهري : والنُصْب ما يُنْصَب نُصْباً من دون الله ؛ وكذلك النُصْب بالضم ؛ وقد يحرك . قال الأعشى :

وَذَا النُّصْبِ الْمُنْصُوبِ لَا تَسْكُنُهُ • لِمَا فِيهِ وَأَنَّ رَبَّكَ فَاعْبُدْنَا

أراد « فَأَعْبُدْ » فوقف بالالف ؛ كما تقول : رأيت زيدا . والجمع الأنصاب . وقوله : « وَذَا النُّصْبِ » بمعنى إياك وَذَا النُّصْبِ . والنُصْب الشر والبلاء ؛ ومنه قوله تعالى : « أَلَمْ يَسْمَعْ الشَّيْطَانُ يُنْصَبْ وَمَدَّآبُ »<sup>(٣)</sup> . وقال الأخفش والفتوة : النُصْب جمع النُصْب مثل رَحْنٍ وَرَهْنٍ ؛ والأنصاب جمع نُصْب ؛ فهو جمع الجمع . وقيل : النُصْب والأنصاب واحد . وقيل :

النَّصَبُ جمع نصاب، وهو حجر أو صنم يذبح عليه؛ ومنه قوله تعالى: «وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ»<sup>(١)</sup>.  
وقد قيل: نَصَبٌ ونُصَبٌ ونُصْبٌ بمعنى واحد؛ كما قيل قَمَرٌ وقَمَرٌ وقَمَرٌ. ذكره النحاس.  
قال ابن عباس: «إلى نَصَب» إلى غاية، وهي التي تنصب إليها بصرك. وقال الكلبي: إلى  
شيء منصوب؛ علم أو راية. وقال الحسن: كانوا يتحدرون إذا طلعت الشمس إلى نصبهم  
التي كانوا يسيدها من دون الله لا يلوى أولم على آخرهم. (يُوفُضُونَ) يبرمون، والإيفاض  
الإسراع. قال الشاعر:

فوارس ذُبِيانَ تحت الحديـ • مد كالحق يُوفَضُ من مَبْقِرِ

مَبْقِرٌ: موضع تزعج العرب أنه من أرض الجن. قال لبيد:

• كهول وشبان يَكْنُةٌ مَبْقِرِ<sup>(٢)</sup>

وقال الأبيث: وقضت الإبل تخض وفضا؛ وأوفضا صاحبها. فالإفاض تمتد، والذي  
في الآية لازم. يقال: وفض وأوفض واستوفض بمعنى أسرع.

قوله تعالى: خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ فَلَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا  
يُوعَدُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: (خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ) أي ذليلة خاضعة، لا يرضونها لما يتوقعونه من عذاب  
الله. (تَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ) أي يغشاهم الهوان. قال قتادة: هو سواد الوجوه. والرهق: الغشيان؛  
ومنه ظلام مراهق إذا غشى الاحتلام. رَهَقَهُ (بالكسر) رَهَقَهُ رَهَقًا أي غَشِيَهُ؛ ومنه قوله  
تعالى: «وَلَا يَرْمَقُ وَجُوهُهُمْ قَمَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ». (ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) أي يوعده  
في الدنيا أن لهم فيه العذاب. وأخرج الخبر بلفظ الماضي لأن ما وعد الله به يكون ولا محالة.

(١) آية ٣ سورة المائدة. (٢) هنا جريئة؛ ومصدره:

• ومن قاد من إخوانهم وبنيهم •

(٣) آية ٢٦ سورة يونس.

## سورة نوح

مكية، وهي ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ  
أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾

فد مضى القول في « الأعراف » أن نُوحًا عليه السلام أول رسول أرسل . ورواه قتادة  
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أول رسول أرسل نوح وأرسل إلى جميع  
أهل الأرض » . فذلك لما كفروا أضرق الله أهل الأرض جميعا . وهو نوح بن لامك  
ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس بن يرد بن مهلايل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم  
عليه السلام . قال وهب : كلهم مؤمنون . أرسل إلى قومه وهو ابن خمسين سنة . وقال  
ابن عباس : ابن أربعين سنة . وقال عبد الله بن شداد : بث وهو ابن ثمانية وخمسين سنة .  
وقد مضى في سورة « النكبات » القول فيه . والحمد لله . ( أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ ) أى إِنْ أَنْذِرْ  
قَوْمَكَ ؛ فوضع « أَنْ » نصب بإسقاط الناقض . وقيل : موضعها جر لقوة ختمتها مع أَنْ .  
ويجوز « أَنْ » بمعنى المفسرة فلا يكون لها موضع من الإعراب ؛ لأن في الإرسال معنى الأمر ،  
فلا حاجة إلى إضمار الباء . وقراءة عبد الله « أَنْذِرْ قَوْمَكَ » بشر « أَنْ » بمعنى قلنا له أنذر  
قَوْمَكَ . وقد تقدم معنى الإنذار في أول « البقرة » . ( مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) قال  
ابن عباس : يعنى عذاب النار في الآخرة . وقال الكلبي : هو ما نزل عليهم من الطوفان .  
وقيل : أى أنذرهم العذاب الأليم على الجملة إن لم يؤمنوا . فكان يدعو قومه وينذرهم فلا يرى

(١) راجع ج ٧ ص ٢٢٢ (٢) راجع ج ١٣ ص ٢٢٢

(٣) راجع ج ١ ص ١٨٤ طبة آية أربعة .

منهم حياً؛ وكانوا يضربونه حتى يشق عليه فيقول : « رب أغفر لقوى إناهم لا يعلمون » .  
وقد مضى هذا مستوفى في سورة « العنكبوت » والحمد لله .

قوله تعالى : قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ إِنَّ أَعْدُوا اللَّهَ  
وَأَتَقَوْهُ وَأَطِيعُوا ﴿٢﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُزِيلَ إِلَاكُمْ أَجَلٍ  
مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

قوله تعالى : ( قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ ) أى عوف . ( مُبِينٌ ) أى مظهر لكم  
بساكنكم الذى تعرفونه . ( إِنَّ أَعْدُوا اللَّهَ وَأَتَقَوْهُ ) و « أن » المفسرة على ما تقدم فى « أن أنذر » .  
« أعبدا » ، أى وحدوا . واتقوا . خافوا . ( وَأَطِيعُوا ) أى فيا أئمةكم به ؛ لأنى رسول الله  
إليك . ( يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ) جزم « يغفر » بحواب الأمر . و « من » صلة زائدة .  
ومعنى الكلام يغفر لكم ذنوبكم ؛ قاله السدى . وقيل : لا يصح كونها زائدة ؛ لأن « من »  
لا تزداد فى الواجب ؛ وإنما هى هنا للتبويض ؛ وهو بعض الذنوب ؛ وهو ما لا يتعلق بحقوق  
المخلوقين . وقيل : هى لبيان المجلس . وفيه بُدء ؛ إذ لم يتقدم جلس يليق به . وقال زيد  
ابن أسلم : المعنى يخرجكم من ذنوبكم . ابن شجرة : المعنى يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتوه  
منها . ( وَيُزِيلُ إِلَاكُمْ أَجَلٌ مُسَمًّى ) قال ابن عباس : أى ينشئ فى أعماركم . ومعناه أن الله  
تعالى كان قضى قبل خلقهم أنهم إن آمنوا بآرك فى أعمارهم ؛ وإن لم يؤمنوا عولوا بالعذاب .  
وقال مقاتل : يؤخركم إلى منتهى أجالكم فى مائة ؛ فلا يساقىكم بالقسط وغيره . فالمعنى على هذا :  
يؤخركم من العقوبات والشكائد إلى أجالكم . وقال الزجاج : أى يؤخركم عن العذاب فتصونوا  
غير مومة المستأجرين بالعذاب . وعلى هذا قيل : « أجل مسمى » عندكم تعرفونه ؛ لا يبيكم خرقاً  
ولا حرقاً ولا قتلاً ؛ ذكره الفراء . وعلى القول الأول « أجل مسمى » عند الله . ( إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ  
إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ) أى إذا جاء الموت لا يؤخر بعذاب كان أو غير عذاب . وأضاف الأجل

إليه سبحانه لأنه الذي أنجته . وقد يضاف إلى النعم؛ كقوله تعالى : « ولما جاء أجلهم » لأنه مضروب لهم . و « لو » بمعنى « إن » أي إن كنتم تعلمون . وقال الحسن : معناه لو كنتم تعلمون لعلمت أن أجل الله إذا جاءكم لم يؤخر .

قوله تعالى : قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبًّا وَتَبَّارًا ﴿١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٢﴾

قوله تعالى : ( قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبًّا وَتَبَّارًا ) أي سراً وجهاً . وقيل : أي واصلت الدماء . ( فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ) أي تباعدوا من الإيمان . وقراءة العامة بفتح الياء من « دعائي » واسكنها الكوفيون ويسقوب والتدوير عن أبي عمرو .

قوله تعالى : وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِيْٓ أَذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٣﴾

قوله تعالى : ( وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ ) أي إلى سبب المنفرة ، وهي الإيمان بك والطاعة لك ، ( جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِيْٓ أَذَانِهِمْ ) فلا يسمعون دعائي . ( وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ) أي غطوا بها وجوههم فلا يروه . وقال ابن عباس : جعلوا ثيابهم على رؤوسهم فلا يسمعون كلامه . فاستنشأ الثياب إذا ، زيادة في سد الأذان حتى لا يسمعون ، أو لتكبرهم أنفسهم حتى يسكت ، أو ليحرقوه إعراسهم منه . وقيل : هو تخاية عن العداوة . يقال : ليس لي فلان ثياب العداوة . ( وَأَصْرُوا ) أي على الكفر فلم يتسويروا . ( وَاسْتَكْبَرُوا ) من قبول الحق ، لأنهم قالوا : « أَتُؤَيِّنُ لَكَ وَتَبْتَكَ الْأَرْدَالُونَ » . ( اسْتِكْبَارًا ) تخعير .

قوله تعالى : ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٤﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٥﴾

قوله تعالى : ( ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ) أى مُظهرًا لهم الدعوة . وهو منصوب . « دَعَوْتُهُمْ » نصب المصدر ؛ لأن الداء أحد نوعيه الجهار ، فنصب به نصب الترتيباء بقصد ؛ لكونها أحد أنواع القعود ، أو لأنه أراد به « دَعَوْتُهُمْ » جاهرتهم . ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعى أى دعا دعاء جهارًا ؛ أى مجاهرًا به . ويكون مصدرًا في موضع الحال ؛ أى دعوتهم مجاهرًا لهم بالدعوة . ( ثُمَّ إِنِّي أَكَلْتُ لَحْمَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ) أى لم أبق مجهودا . وقال مجاهد : معنى أكلت : صحت . وأسرت لهم إسرارًا بالداء عن بعضهم من بعض . وقيل : « أسرت لهم » أتيهم في منازلهم . وكل هذا من نوح عليه السلام مبالغة في الداء لهم ، وتكلف في الاستدعاء . وفتح الياء من « إِنِّي أَكَلْتُ لَحْمَهُمْ » الحريميون وأبو عمرو . وأمكن الباقون .

قوله تعالى : فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٠٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِئَنَّ وَيَجْعَلَ لَكُم جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُم أَنْهَارًا ﴿١٠٣﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ) أى سألوه المغفرة من ذنوبكم السابقة بإخلاص الإيمان . ( إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ) وهذا منه ترغيب في التوبة . وقد روى حذيفة بن إيمان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الاستغفار ممحاة للذنوب » . وقال الفضيل : يقول العبد استغفر الله ؛ وتفسيرها إقْبَلِي .

الثانية — قوله تعالى : ( يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ) أى يرسل ماء السماء ؛ ففيه إخبار . وقيل : السماء المطر ؛ أى يرسل المطر . قال الشاعر :

إذا سقط السماء بأرض قوم      رعيته وإن كانوا ضُفَابًا

و «مَغْرَارًا» ذَاتِ كَثِيرٍ . وَجَزَمَ «يُرْسِلُ» جواباً للأمر . وَقَالَ مَقَاتِلُ : لَمَّا كَذَبُوا نُوحًا زَمَانًا طَوِيلًا حَسِبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْمَطَرُ ، وَأَعْقَمَ أَرْحَامَ نَسَائِهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَهَلَكَتْ مَوَاسِمُهُمْ وَزَادَ عَنْهُمْ ، فَصَارُوا إِلَى نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاسْتَأْثَرُوا بِهِ . فَقَالَ : « اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا » أَيْ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ لِمَنْ أَتَى إِلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ تَرْفِيحًا فِي الْإِيمَانِ : « يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُبَدِّلُكُمْ بَأْمَوَالٍ وَبَيْنَ وَيَسَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَحْصِلْ لَكُمْ أَنْهَارًا » . قَالَ قَتَادَةُ : عَلَّمَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ حَرَصٍ عَلَى الدُّنْيَا فَقَالَ : « حَلُّوْا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ فَإِنَّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ دَرْكَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

الثالثة — في هذه الآية والتي في «هود» دليل على أن الاستغفار يستعمل به الرزق والأمطار . قال الشعبي : خرج عمر يستقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع ، فأمطروا فقالوا : ما رأيناك استسقيت ؟ فقال : لقد طلبت المطر يجادج السماء التي يستعمل بها المطر ، ثم قرأ : « اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا » . وقال الأوزاعي : خرج الناس يستسقون ، فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : اللَّهُمَّ إِنَّا سَمِعْنَاكَ قَوْلَ : « مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ » وَقَدْ أَقْرَبَنَا بِالْإِسَاءَةِ ، فَهَلْ تَكُونُ مَغْفِرَتُكَ إِلَّا لِمَنْ ؟ ! اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَاسْقِنَا / فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَرَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ فَسَقُوا . وَقَالَ ابْنُ صَبِيحٍ : شَكَرَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ الْجَلَدِيَّةِ فَقَالَ لَهُ : اسْتَغْفِرِ اللَّهَ . وَشَكَرَ آخَرُ إِلَيْهِ الْفَرَفَرِي فَقَالَ لَهُ : اسْتَغْفِرِ اللَّهَ . وَقَالَ لَهُ آخَرُ : ادْعِ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي وَلِقَاءَهُ ، فَقَالَ لَهُ : اسْتَغْفِرِ اللَّهَ . وَشَكَرَ إِلَيْهِ آخَرُ جَفَّافٌ بِسَاتِنَةٍ ، فَقَالَ لَهُ : اسْتَغْفِرِ اللَّهَ . فَقَالَا لَهُ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : مَا قُلْتُ مِنْ عِنْدِي شَيْءٌ ، إِنْ لَمْ يَنْصَلِ يَقُولُ فِي سُورَةِ نُوحٍ : « اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا » .

(١) آية ٥٢ راجع ج ٩ ص ٥١

(٢) قال ابن الأثير : « المجادج » واحدها مجدج والياء زائدة للاشباع . وتقاس أن يكون واحدها مجداج . والمجدج : نجم من النجوم ؛ وهو عند العرب من الأنواء . والله على كل أمر . بلعل الاستغفار مشبه بالأنواء . خاطبة لهم بما رحبوه ، لا تحولا بالأنواء . وجاء بلفظ الجمع لأنه أراد الأنواء جميعا التي يزعمون أن من شأنها المطر .

(٣) آية ٩١ سورة الشعراء .

وَيَعِدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينُ وَيَعْمَلُ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَعْمَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا . وقد مضى في سورة  
« آل عمران » كيفية الاستغفار ، وأن ذلك يكون عن إخلاص وإفلاخ من الذنوب .  
وهو الأصل في الإجابة .

قوله تعالى : مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٤﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٥﴾

قيل الرءاء هنا بمعنى الخوف ؛ أي ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرته على أحكم بالعقوبة .  
أي أي منكم ترك الخوف من الله . وقال سعيد بن جبير وأبو العالية وعطاء  
ابن أبي رباح : ما لكم لا ترجون لله ثواباً ولا تخافون له عقاباً . وقال سعيد بن جبير عن  
ابن عباس . ما لكم لا تخشون الله عقاباً وترجون منه ثواباً . وقال الوالي والمؤيد عنه :  
ما لكم لا تعلمون الله عظمة . وقال ابن عباس أيضاً وعاجد : ما لكم لا ترون الله عظمة .  
وعن عاهد والضحاك : ما لكم لا تبالون الله عظمة . قال قُطْرُبُ : هذه لغة حمازية .  
وهذيل ونزاعة ومُضَرِّيَقُولُونَ : لم أرج : لم أبال . والوقار : العظمة . والتوقير : التعظيم .  
وقال قتادة : ما لكم لا ترجون لله عاقبة ؛ كأن المعنى ما لكم لا ترجون لله عاقبة الإيمان .  
وقال ابن كيسان : ما لكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته أن يثيبكم على توقيركم خيراً . وقال  
ابن زيد : ما لكم لا توتون الله طاعة . وقال الحسن : ما لكم لا تعرفون الله حقاً ولا تشكرون  
له نعمة . وقيل : ما لكم لا توحدون الله ؛ لأن من عظمته فقد وحده . وقيل : إن الوقار  
البات لله عز وجل ؛ ومنه قوله تعالى : « وَفَرَّقَ فِي بُيُوتِكُمْ<sup>(١)</sup> » أي أثبتن . ومنه ما لكم  
لا تتبهتون وحدانية الله تعالى وأنه الهكم لا إله لكم سواه ؛ قاله ابن بحر . ثم دلهم على ذلك فقال :  
( وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ) أي جعل لكم في أنفسكم آية تدل على توحيده . قال ابن عباس :  
« أطوارا » يعني نطفة ثم عتقة ثم مضغة ؛ أي طَوْرًا بعد طور إلى تمام الخلق ، كما ذكر  
في سورة « المؤمنون » . والطَّوْرُ في اللغة : المرة ؛ أي من فعل هذا وقدر عليه فهو أحق  
أن تعظموه . وقيل : « أطوارا » صيئات ، ثم شبابا ، ثم شيوخا وضغفاء ، ثم أقوياء .

وقيل : أطوارا أى نواعا ، صحيحا وسقيا وبصيرا وضررا وغيا وفقيرا . وقيل :  
إن « أطوارا » أختلافهم فى الأخلاق والأعمال .

قوله تعالى : **أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥  
وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ مِرْجَا ۝١٦**

قوله تعالى : ( **أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا** ) ذكر لم دليلا آخر ، أى  
ألم تعلموا أن الذى قدر لى هذا ! فهو الذى يجب أن يُعبد . ومعنى « طِبَاقًا » بعضها فوق  
بعض ، كل سماء مطبقة على الأخرى كالقباب ؛ قاله ابن عباس والسدى . وقال الحسن :  
خلق الله سبع سموات طباقا على سبع أرضين ، بين كل أرض وأرض وسماء وسماء خلق  
وآخر . وقوله : « **أَلَمْ تَرَوْا** » على جهة الإخبار لا المأينة ؛ كما تقول : ألم ترى كيف صنعت  
فلان كذا . و « طِبَاقًا » نصب على أنه مصدر ، أى مطابقة طباقا . أو حال بمعنى ذات  
طباق ؛ لحذف ذات وأقام طباقا مقامه . ( **وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا** ) أى فى سماء الدنيا ؛  
كما يقال : أتانى بنو نعيم وأتيت بنى نعيم والمراد بعضهم ؛ قاله الأخفش . وقال ابن كيسان :  
إذا كان فى إحداهن فهو فيهن . وقال قطرب : « فيهن » بمعنى معهن ؛ وقاله الكلبي .  
أى خلق الشمس والقمر مع خلق السموات والأرض . وقال جلة أهل اللغة فى قول  
امرى القيس :

وهل نعلم من كان آخر عهد • ثلاثين شهرا فى ثلاثة أحوال

« فى » بمعنى مع . التماس : وسألت أبا الحسن بن كيسان عن هذه الآية فقال : جواب  
النحوين أنه إذا جعله فى إحداهن فقد جعله فيهن ؛ كما تقول : أعطى الثياب المعلمة  
وإن كنت إنما أعلمت أحدها . وجواب آخر : أنه يروى أن وجه القمر لى السماء ، وإذا  
كان لى داخلها فهو متصل بالسموات . ومعنى « نُورًا » أى لأهل الأرض ؛ قاله السدى .

( ١ ) الذى فى ديوان امرئ القيس ص . . ط هـ ط « أحدث » .

وقال عطلة : نورا لأهل السماء والأرض . وقال ابن عباس وابن عمر : وجهه يضيء لأهل الأرض وظاهره يضيء لأهل السماء . ( وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ) يضيء مصباحا لأهل الأرض ليتوصلوا إلى التصرف لما يشبههم . وفي إضافتها لأهل السماء التولان الأولان ؛ حكاية للملوك . وحكى القشيري عن ابن عباس أن الشمس وجهها في السموات وقفاها في الأرض . وقيل : على العكس . وقيل لعبد الله بن عمر : ما بال الشمس تَهْلِيْنَا أحياءا وتَبْرُدُ علينا أحياءا ؟ فقال : إنها في الصيف في السماء الزابعة ، وفي الشتاء في السماء السابعة عند عرش الرحمن ؛ ولو كانت في السماء الدنيا لما قام لها شيء .

قوله تعالى : **وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۖ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۖ** (١٨)

يعني آدم عليه السلام خلقه من أديم الأرض كلها ؛ قاله ابن جريج . وقد مضى في سورة « الأسماء والبقرة » بيان ذلك . وقال خالد بن برمك : خلق الإنسان من طين ؛ فلما تلين التلويب في الشتاء . « نباتا » مصدر على غير المصدر ؛ لأن مصدره أنبت إنباتا ، فجعل الاسم الذي هو النبات في موضع المصدر . وقد مضى بيانه في سورة « آل عمران » وغيرها . وقيل : هو مصدر محمول على المعنى ؛ لأن معنى « أنبتكم » يجعلكم تنبتون نباتا ؛ قاله الخليل والزجاج . وقيل أي أنبت لكم من الأرض النبات . فـ « نباتا » على هذا نصب على المصدر الصريح . والأوّل أظهر . وقال ابن جريج : أنبتهم في الأرض بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر . ( ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ) أي عند موتكم بالدفن . ( وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ) بالشور البعث يوم القيامة .

قوله تعالى : **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ سَاطِعًا ۖ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سَبِيلًا فِجَاجًا ۖ** (١٩)

(١) راجع ج ٦ ص ٣٨٨ و ج ١ ص ٢٧٩ وما بعدها طبعه قاعة أركانة . (٢) إسح ج ١ ص ٦٩

(٣) في بعض الأصول : « قاله ابن بحر »

قوله تعالى : ( وَآتَاهُ جَهَنَّمَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ) أى مبسوطة . ( لَتَسْلُكُنَّ مِنْهَا مِيلًا فَجَبَاً ) السبل : الطرق . والتعباج جمع فجّ ، وهو الطريق الواسعة ؛ قاله الفراء . وقيل : الفجج المسلك بين الجبلين . وقد مضى في سورة « الأنبياء » والج .

قوله تعالى : قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنُّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٦٦﴾

شكاهم إلى الله تعالى ، وأنهم عصوه ولم يتبعوه فيما أمرهم به من الإيمان . وقال أهل التفسير : لبت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما داعياً لهم وهم على كفرهم وعصيانهم . قال ابن عباس : رجا نوح طيه السلام الأنبياء بعد الآباء ؛ فباتى بهم الولد بعد الولد حتى بلغوا سبع قرون ، ثم دعا عليهم بعد الإياس منهم ، وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثرت الناس وفشوا . قال الحسن : كان قوم نوح يزعمون في الشهر مرتين ؛ حكاها الماوردي . ( وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ) أى كبراهم وأغنياهم الذين لم يزدكم كفرهم وأموالهم وأولادهم إلا ضللا في الدنيا وهلاكا في الآخرة . وقرأ أهل المدينة والشام وعاصم « وَوَلَدَهُ » بفتح الواو واللام . الباقون « وَلَدَهُ » بضم الواو وسكون اللام وهى لغة في الولد . ويجوز أن يكون جمعا للولد ؛ كالتكلم فإنه واحد وجمع . وقد تقدم .

قوله تعالى : وَمَكْرُوهًا مَكْرًا كِبَارًا ﴿٦٧﴾

أى كبيرا عظيما . يقال : كبير وكبار وكبار ؛ مثل عجيب وعجيب وعجائب بمعنى ؛ ومنه طويل وطويل وطووال . يقال : رجل حسن وحسان ، وجميل وبجمال ، وقزأ للقزأ ، ووَضَاهُ للوضى . وأشد آبن السكيت :

يَبِضَاهُ تَصْطَادُ الْقُلُوبِ وَتَسْتَبِي . بالحسن قلب المسلم الفزأ

(١) راجع ج ١١ ص ٢٨٥ و ج ١٢ ص ٤٠ (٢) راجع ج ٢ ص ١٩٤ طبة ثانية

(٣) في اللسان ( مادة قرأ ) : « التوى » بالتين المعجمة .

وقال آخر :

وَالْمَرْءُ يُلْقِيهِ يَفْتِنَانِ النَّدَى • خُلِقَ الْكَرِيمُ وَلَيْسَ بِالْوَضَاءِ

وقال المبرد : « جَارًا » ( بالتشديد ) لبالغة . وقرا ابن محيصن وحيد ويجاهد « جَارًا »  
بالخفيف . واختلف في مكرم ما هو ؟ قيل : تمريضهم سفلتهم على قتل نوح . وقيل :  
هو تمريض الناس بما أوتوا من الدنيا والولد ؛ حتى قالت الضعفة : لولا أنهم على الحق  
لما أوتوا هذه النعم . وقال الكلبي : هو ما جعلوه لله من الصاحبة والولد . وقيل :  
مكرم كفرهم . وقال مقاتل : هو قول كبرائهم لأتباعهم : « لَا تَدْرُونَ إِلَهَتَكُمْ وَلَا تَدْرُونَ  
وَدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَفُوتَ وَيُوقَ وَنَسْرًا » .

قوله تعالى : وَقَالُوا لَا تَدْرُونَ الْهِتَكَ وَلَا تَدْرُونَ وَدًّا وَلَا سُوعًا  
وَلَا يَفُوتَ وَيُوقَ وَنَسْرًا ﴿١٦﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ  
إِلَّا ضَلَالًا ﴿١٧﴾

قال ابن عباس وغيره : هي أصنام وصُور ، كان قوم نوح يعبدونها ثم صلبتها العرب  
وهذا قول الجمهور . وقيل : إنها العرب لم يعبدوا غيرها . وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها  
عندهم ؛ فذلك خصوصها بالذكر بعد قوله تعالى : « لَا تَدْرُونَ الْهِتَكُمْ » . ويكون معنى الكلام :  
كما قال قوم نوح لأتباعهم لَا تَدْرُونَ الْهِتَكُمْ قالت العرب لأولادهم وقومهم لَا تَدْرُونَ وَدًّا وَلَا  
سُوعًا وَلَا يَفُوتَ وَيُوقَ وَنَسْرًا ؛ ثم عاد بالذكر بعد ذلك إلى قوم نوح عليه السلام . وعلى  
القول الأول ، الكلام كله منسوق في قوم نوح . وقال عروة بن الزبير وغيره : اشتكى آدم عليه  
السلام وعنده بنوه : وُدٌّ ، وسُوعٌ ، ويَفُوتٌ ، ويُوقٌ ، ونَسْرٌ . وكان وُدٌّ أكبرهم وأبرهم  
به . قال محمد بن كعب : كان لآدم عليه السلام خمس بنين : وُدٌّ وسُوعٌ ويَفُوتٌ ويُوقٌ  
ونَسْرٌ . وكانوا عبادًا فأت واحد منهم فحزنوا عليه ؛ فقال الشيطان : أنا أصور لكم مثله إذا  
ظلمتم إليه ذكركموه . قالوا : فصل . فصوره في المسجد من صُفر ورمصاص ، ثم مات آخر ،

فصوّره حتى ماتوا كلهم فصوّرم . وتنفّست الأشياء كما تنفّس اليوم إلى أن تركوا عبادة الله تعالى بعد حين . فقال لهم الشيطان : ما لكم لا تصبدون شيئا ؟ قالوا : وما نعبد ؟ قال : أَلَمْ تَكُنْ وَاللّٰهُ أَبَاكُمْ ، أَلَا تَرُونَ فِي مَوْصَلَاكُمْ . فعبدها من دون الله ، حتى بعث الله نوحا فقالوا : « لَا تَدْرُكُ أَلَمْ تَكُنْ وَلَا تَدْرُكُ وَدَا وَلَا سَوَامَاءَ الْآيَةِ . وقال محمد بن كعب أيضا ومحمد بن قيس : بل كانوا قوما صالحين من آدم ونوح ، وكان لهم تبع يقتدون بهم ، فلما ماتوا زَيْنَ لَمْ يَلْبِسْ أَنْ يَصَوِّرُوا صُورَهُمْ لِيَتَذَكَّرُوا بِهَا اجْتِهَادَهُمْ ، وَلِيَسْتَلُوا بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا ، فَصَوَّرُوهُمْ . فلما ماتوا هم وجاء آخرون قالوا : لَيْتَ شَرَفًا ! هذه الصور ما كان آباؤنا يصنعون بها ! ؟ فغلغلم الشيطان فقال : كان آباؤكم يبدونها قترحهمس وتسقيم المطر . فعبدها فابتدئ عبادة الأوثان من ذلك الوقت .

قلت : وهذا المعنى فسر ما جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة ؛ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَثِيرَةً رَأَيْنَا بِالْجَنَّةِ تَسْمَى مَارِيَةً ، فِيهَا تَصَاوِيرُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَاتَتْ بَنَاتُ عَلِيٍّ قَبْرَهُ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرِ أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وذكر التلبي عن ابن عباس قال : هذه الأصنام أسماء رجال صالحين من قوم نوح ؛ فلماهلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها باسمائهم تذكروهم بها ؛ ففعلوا ، فلم تعبّد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم جدت من دون الله . وذكر أيضا عن ابن عباس أن نوحا عليه السلام ، كان يحرس جسد آدم عليه السلام على جبل بالفند ، فيمنع الكافرين أن يطوفوا بقلبه ؛ فقال لهم الشيطان : إن هؤلاء يخفون عليكم ويرضون أنهم بنو آدم دونكم ، وإنما هو جسد ، وإذا أصوّر لكم مثله تطوفون به ؛ فصوّر لهم هذه الأصنام الخمسة وحلهم على عبادتها . فلما كان أيام الطوفان دقها الطين والتراب والماء ؛ فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب . قال الماوردي : فأما ودّ

(١) قوله ، « رأينا » بنون الباع مل أن أكل البع اثنتان . أو مل أنه كان معها غيرها من النسوة . (القطان)

فهو أول صنم معبود، سُمِّيَ وَدًّا لَوَقَّعَ له ؛ وكان بعد قوم نوح لكَلْبٌ بِدُومَةِ الْجَنْتَلِ ؛  
في قول ابن عباس وعطاء ومقاتل . وفيه يقول شاعرهم :

حَيَّاكَ وَدًّا فَإِنَّا لَا بِجَلِّ لَنَا \* لَمَوِّالنِّسَاءِ وَإِنَّ الدِّينَ قَدْ عَزَمَا

وَأَمَّا سُوَأُفٌ فَكَانَ مُذْذِلٌ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ ؛ في قولهم .

وَأَمَّا يَنْوُثُ فَكَانَ لَفُطِيفٌ مِنْ مُرَادٍ بِالْخَوْفِ مِنْ سَبَا ؛ في قول قتادة . وقال المهدي :  
لَمُرَادٍ ثُمَّ لَفُطَفَانَ . التعليل : وأخذت أصل وأنهم - وهما من طيء - وأهل بَرَشٍ مِنْ مَذَّجٍ  
يَنْوُثُ فَنَذَبُوا بِهِ إِلَى مُرَادٍ فَمَبْدُوهُ زَمَانًا . ثم إن بنى تاجية أرادوا ترجمه من [ أصل ] وأنهم ،  
فَنَزَرُوا بِهِ إِلَى الْحَصِينِ أَيْ بَنَى الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ مِنْ نِزَامَةٍ . وقال أبو هِثَالٍ التَّيْلِيُّ : رأيت  
يَنْوُثَ وَكَانَ مِنْ رِصَاصٍ ، وَكَانُوا يَجْلِسُونَهُ عَلَى جِصْلٍ أَحْمَرٍ ، وَيَسِيرُونَ مَعَهُ وَلَا يَبْجُونَهُ حَتَّى  
يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَبْكُ ، فَلِذَا بَكَتْ تَزَلُّوا وَقَالُوا : قَدْ رَضِيَ لَكُمْ الْمَثَلُ ؛ فَيُضْرَبُونَ عَلَيْهِ بِنَاءً  
يَقْرَءُونَ حَوْلَهُ .

وَأَمَّا يَمُوقُ فَكَانَ حَمْدَانِ بِلَفْخٍ ؛ في قول عكرمة وقتادة وعطاء . ذكره الماوردي . وقال  
التعليل : وَأَمَّا يَمُوقُ فَكَانَ لَكَهْلَانٍ مِنْ سَبَا ، ثُمَّ تَوَارَثَهُ بَنُوهُ ؛ الْإَكْبَرُ [ فَلَا أَكْبَرَ ] حَتَّى صَارَ  
إِلَى هَمْدَانَ . وفيه يقول مالك بن نَعْمٍ الْهَمْدَانِيُّ :

يَرِيثُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَيَرِي \* وَلَا يَرِي يَمُوقُ وَلَا يَرِيثُ

وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَ لَدَى الْكَلَاعِ مِنْ حِمِيرٍ ؛ في قول قتادة ، ونحوه عن مقاتل . وقال  
الواقدي : كَانَ وَدًّا عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ ، وَسُوَأُفٌ عَلَى صُورَةِ أَمْرَأَةٍ ، وَيَنْوُثُ عَلَى صُورَةِ أَسَدٍ ،  
وَيَمُوقُ عَلَى صُورَةِ فَرَسٍ ، وَنَسْرٌ عَلَى صُورَةِ تَنْسَرٍ مِنَ الطَّيْرِ ؛ فَاللهُ أَعْلَمُ . وقرا نافع « وَلَا تَكْذِبُونَ »  
وَدًّا ؛ بِضَمِّ الْوَاوِ . وَفَتْحُهَا الْبَاقُونَ . قَالَ اللَّيْثُ : وَدًّا ( يَفْتَحُ الْوَاوِ ) صَنْمٌ كَانَ لِقَوْمِ نُوْحٍ .

(١) زيادة من تفسير التلي . (٢) الحرد (بالضريك) : ماء في القرام إذا شق البير فمض قوامه فغريب  
بين الأرض كثيرا .

(٣) موضع باليمن . (٤) زيادة من التلي .

وَوَدَّ (بالضم) صم لقريش ؛ وبه سُمِّي عمرو بن ود . وفي الصراح : والودّ (بالفتح) الودّ  
 في لغة أهل نجد ؛ كأنهم سَكَنُوا الماء وأدغموها في الدال . والودّ في قول امرئ القيس :  
 تَطْلُهُرُ الْوَدَّ إِذَا مَا أَتَجَلَّسْتُ \* وَتَوَارِيهِ إِذَا مَا تَتَكَبَّرُ<sup>(١)</sup>

قال ابن جرير : هو اسم جبل : وودّ صم كان لقوم نوح عليه السلام ثم صار لكلب وكان  
 يدعوهم الجندل ، ومنه سمّوه جدود وقال : « لَا تَذَرُوا آلَهُكُمْ » ثم قال « وَلَا تَذَرُوا رَمًا  
 وَلَا سُومًا » الآية . خصصها بالذكور لقوله تعالى : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ  
 وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ » . ( وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ) هذا من قول نوح ؛ أي أضلّ كبرائهم كثيرا من  
 أتباعهم ؛ فهو عطف على قوله « وَكَرُّوا مَكْرًا بَاطِلًا » . وقيل : إن الأصنام « أَضَلُّوا كَثِيرًا »  
 أي ضلّ بسببها كثير ؛ نظيره قول إبراهيم : « رَبِّ إِنِّي أَضَلُّنْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ » فاجرى عليهم  
 وصف ما يفعل ، لا اعتقاد الكفار بهم ذلك . ( وَلَا تَرِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ) أي ضلّاء ؛  
 داله ابن بحر . وأستشهد بقوله تعالى : « إِنَّ الْفُجُورِينَ فِي ضَلَالٍ وَسْعٍ » . وقيل إلا خسراة .  
 وقيل إلا فتنة بالمال والولد . وهو محتمل .

قوله تعالى : مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٥٠﴾

قوله تعالى : ( مِمَّا خَطَبَا<sup>(١)</sup>هُمْ أُغْرِقُوا ) « ما » صلة مؤكدة ؛ والمعنى من خطاياهم .  
 وقال الفراء : المعنى من أجل خطاياهم ؛ فأثت « ما » هذا المعنى . قال : و « ما » قل  
 على المجازاة . وقرأة أبي عمرو « خطاياهم » على جمع التكثير ؛ الواحدة خطيئة . وكان

(١) الضمير في « تظهير » للبيعة (المراد) في البيت قبل هذا . والرد (بالفتح) الرد . و « أجمعت » أظمت  
 وسكنت . و « تنكر » تشد ؛ يقال : اشكر المرء إذا أشد . ويرعى : « تنكر » أي تحفل . يريد : أن هذه  
 السباع تروى ، أرواد البيوت إذا اشقت وتيديها إذا كفت وأظمت .

(٢) آية ٧ سورة الأحزاب . (٣) آية ٣٦ سورة إبراهيم . (٤) آية ٤٧ سورة النمر .

(٥) حكاه في نسخ الأصل ، وهو قرأة .

الأصل في الجمع خطائي على ضال ، فلما اجتمعت الميزتان قُلبت الثانية ياء ، لأن قلبها كسرة ثم استقلت والجمع هـيل ، وهو مثل مع ذلك ، فقلبت الياء ألفا ثم قلبت الهمزة الأولى ياء لخلقها بين الألفين . الباقون « خطييتهم » على جمع السلامة . قال أبو عمرو : قوم كفروا ألف سنة فلم يكن لهم إلا خطيئات ، يريد أن الخطايا أكثر من الخطيئات . وقال قوم : خطايا وخطيئات واحد ، جمان مستعملان في الكثرة والقلّة ، واستدلوا بقوله تعالى : « مَا تَعِدْتُمْ كَلِمَاتُ اللَّهِ » <sup>(١)</sup> وقال الشاعر <sup>(٢)</sup> :

لَا الْخَفَاتُ النَّزِيمُ بِالضَّحَى • وَأَسَافُنَا يَقْطُرُونَ مِنْ تَجْدَةٍ دَمًا

وقرى « خطيائهم » و « خطييتهم » قلب الهمزة ياء وإدغامها . وعن الجحدري وعمر بن أبي شيبه والأعمش وأبي حنيفة وأشباه القليل « خطييتهم » على التوحيد ، والمراد الشرك . ( فَأَدْخِلُوا نَارًا ) أي بمد إخراجهم . قال القشيري : وهذا يدل على مذهب القدر . ومنكره يقولون : صاروا مستحقين دخول النار ، أو عرض عليهم أما كنهم من النار ، كما قال تعالى « النَّارُ بِمَرْضُونٍ عَلَيْهَا عُذْوٌ وَعِشْيَا » <sup>(٣)</sup> . وقيل : أشاروا إلى ما في الخبر من قوله : « بالبحر نار في نار » . وروى أبو روق عن الضحاك في قوله تعالى : « أَغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا » قال : يعني هُذبوا بالنار في الدنيا مع الفرق في الدنيا في حالة واحدة ، كانوا يفرقون في جانب ويحترقون في المساء من جانب . ذكره التلميح [قال] : أنشدنا أبو القاسم الحبيبي قال أنشدنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن ربيع قال أنشدني أبو بكر بن الأنباري :

الخلق جميع طُورًا ومُفَرَّق • وَالْحَادِثَاتُ فَنُونُ ذَاتِ أَطْوَارِ

لَا تَسْبِيحَ لِأَعْدَادِ إِنْ أَجْمَعْتُمْ • فَاللهُ يُجْمِعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ

( قَلَّمَ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ) أي من يدفع عنهم العذاب .

(١) آية ٢٧ سورة لقمان . (٢) حروسان بن ثابت . (٣) في بعض النسخ : « خطاياهم » .

(٤) آية ٦٦ سورة طه .

قوله تعالى : وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ  
دَيَّارًا ﴿٣٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٣٧﴾  
فيه أربع مسائل :

الأولى - دعا عليهم حين عيس من أتباعهم إياه . وقال قتادة : دعا عليهم بعد أن أوحى الله إليه « أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ بِنُوحٍ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ » فأجاب الله دعوته وأغرق أمته ؛ وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ مِثْلُ الْكَتَابِ [مرج الحساب] <sup>(١)</sup> وهازم الأوزاب أهنهم وزولهم » . وقيل : سبب دعائه أن رجلاً من قومه حمل ولداً ضغيماً على كتفه فزى بنوح فقال : « احذر هذا فإنه يضلك » . فقال : يا أبت أتزلى ؛ فأثرله فرماه فتشبه ؛ فليلتذ غضب ودعا عليهم . وقال محمد بن كعب ومقاتل والريعي وعلية وآبن زيد : إنما قال هذا حيناً أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسبهم . وأقم أرحام النساء وأصلاب الرجال قبل العذاب بسبعين سنة . وقيل : بأربعين . قال قتادة : ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب . وقال الحسن وأبو العالية : لو أهلك الله أطفالهم معهم كان هذا من الله لهم وعدلاً فيهم ؛ ولكن الله أهلك أطفالهم ونذرهم بنير مذاب ، ثم أهلكهم بالمذاب ؛ بدليل قوله تعالى : « وَقَوْمٌ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ » <sup>(٢)</sup> .

الثانية - قال ابن العربي : « دعا نوح على الكافرين أجمعين ، ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من تحزب على المؤمنين وآب عليهم . وكان هذا أصلاً في النباه على الكافرين في الجبل ، فاما كافر معين لم تسلم خاتمته فلا يدعى عليه ؛ لأن ما له عندنا مجهول ، وربما كان عند الله معلوم الخاتمة بالسعادة . وإنما خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنباه حجة وشيئة وأصحابهما ؛ لعلهم بما لهم وما كُشف له من النباه من حالهم . والله أعلم » .  
قلت : قد مضت هذه المسألة مجودة في سورة « البقرة » والحمد لله .

(١) آية ٣٦ سورة هود . (٢) الزيادة عن ابن العربي . (٣) آية ٢٧ سورة الفرقان

(٤) راجع ٢ ص ١٨٨ طبع ثانية .

الثالثة - قال ابن العربي : « إن قيل لم جعل نوح<sup>ك</sup> دعوته على قومه سببا لتوقفه عن طلب الشفاعة لخلق من الله في الآخرة ؟ قلنا قال الناس في ذلك وجهان : أحدهما - أن تلك الدعوة نشأت عن غضب وقسوة ؛ والشفاعة تكون عن رضا ورقة ، يخاف أن يمانب بها ويقال : دعوت على الكفار بالأسس وتشفع لهم اليوم . الثاني - أنه دعا غضبا بغير نص ولا إذن صريح في ذلك ؛ يخاف أن يترك فيه يوم القيامة ؛ كما قال موسى عليه السلام : « إني قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها » . قال : وهذا أقول » .

قلت : وإن كان لم يؤمر بالدعاء نسا فقد قيل له : « أَتَنْتَ يُؤْمِنُ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ » . فاعلم عواقبهم فلما عليهم بالهلاك ؛ كما دعا نبينا صلى الله عليه وسلم على شيعة وضبة ونظرائهم فقال : « اللَّهُمَّ طِيحْ بِهِمْ » لما أعلم عواقبهم ؛ وعلى هذا يكون فيه معنى الأمر بالدعاء . والله أعلم .

الرابعة - قوله تعالى : ﴿ دَبَّارًا . إِنَّكَ إِذْ تَنْذَرُهُمْ يُضِلُّوْا عِبَانِكَ وَلَا يَلْبُدُوا إِلَّا فَاغْرًا كَغَارًا ﴾ أي من يسكن الدبار ؛ قاله السدي . وأصله دَبَّارٌ على قِيعَالٍ من دار يدور ؛ فعلبت الواو ياء وأدغمت إحدىهما في الأخرى . مثل القيام ؛ أصله قِيَامٌ . ولو كان فعلا لكان دَوَّارًا . وقال الفتح : أصله من الدار ؛ أي تازل بالدار . يقال : ما بالدار دَبَّارٌ ؛ أي أحد . وقيل : الدَبَّارُ صاحبُ الدار .

قوله تعالى : رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ دعا لنفسه ولوالديه وكانا مؤمنين . وهما : ملك بن موشلخ وقمحي بنت أنوش ؛ ذكره القشيري والتلمبي . وحكى الماوردي في آسم أنه منجل .

(١) الموك (سكن وجرى) : الحية . (٢) في حاشية الجبل : « ملك » بفتحين أو بفتح فسكون .

و « موشلخ » بضم الميم وفتح الشاء والواو وسكون الشين وكر اللام . و « قمحي » بوزن سكرى

وقال سعيد بن جبّر : أراد بوالديه أباه وجده . وقرا سعيد بن جبّر « ولوالدي » بكسر اللام  
 على الواحد . قال الكلبي : كان بينه وبين آدم عشرة آباء كلهم مؤمنون . وقال ابن عباس :  
 لم يكفر لنوح والد فبا بينه وبين آدم طيعما السلام . ( وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ) أى مسجدى  
 ومصلى مصليا مصدقا بالله . وكان إنما يدخل بيوت الأنبياء من آمن منهم لجلل المسجد  
 سببا للدعاء بالمغفرة . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الملائكة تصلى على أحدكم ما دام  
 في مجلسه الذى صلى فيه ما لم يحدث فيه تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه » الحديث . وقد  
 تقدم <sup>(١)</sup> . وهذا قول ابن عباس : « بيتى » مسجدى ؛ حكاية الشلبى وقاله الضحاك . وعن ابن  
 عباس أيضا : أى ولن دخل دينى ؛ فاليث بمعنى الدين ؛ حكاية القشيري وقاله جرير .  
 وعن ابن عباس أيضا : يعنى صديق الداخل إلى منزلى ؛ حكاية المسوردي . وقيل : أراد  
 دارى . وقيل سفيلى . ( وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ) عاتقة إلى يوم القيامة ؛ قاله الضحاك .  
 وقال الكلبي : من أئمة عهد صلى الله عليه وسلم . وقيل : من قومه ؛ والأول أظهر . ( وَلَا تَرِدْ  
 الظَّالِمِينَ ) أى الكافرين . ( إِلَّا تَبَارًا ) إلا هلاكًا ؛ فهى عاتقة فى كل كافر ومشرک .  
 وقيل : أراد مشرك قومه . والتبار : الهلاك . وقيل : التضران ؛ حكاية السدى . ومنه  
 قوله تعالى : « إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِفِيهِ » <sup>(٢)</sup> . وقيل : التبار الدمار ؛ والمعنى واحد . والله  
 أعلم بذلك . وهو الموفق للصواب .

(١) راجع ١٦ ص ٣٥١ طبة ثانية لرواية . (٢) آية ١٢٩ سورة الأعراف .



# بسم الله الرحمن الرحيم

## سورة الجن

مكية في قول الجميع . وهي ثمان وعشرون آية

قوله تعالى : قُلْ أُوْحِيَ إِلَىٰ أَنِّي اسْتَمَعْتُ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا  
مَعِنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا  
أَحَدًا ② وَاتَّقُوا تَعْلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ③

فيه خمس مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( قُلْ أُوْحِيَ إِلَىٰ ) أى قل يا عبد لأمتك أوحى الله إليّ من  
لسان جبريل ( أَنِّي اسْتَمَعْتُ ) إليّ ( نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ ) وما كان عليه السلام عالماً به قبل أن  
أوحى إليه . حكنا قال ابن عباس وغيره على ما يأتى . وقرا ابن أبي عمير « أوحى » على الأصل ؛  
يقال : أوحى إليه ووحى فقلت الراو همزة ؛ ومنه قوله تعالى : « وَإِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا » وهو  
من القلب المطلق جواره في كل واو مضهومة . وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضا  
كإشباع وإسادة و « إِنَّمَا أَخِيهِ » ونحوه .

الثانية — وأختلف هل رآهم النبي صلى الله عليه وسلم أم لا ؟ فظاهر القرآن يدل على  
أنه لم يره ؛ لقوله تعالى : « اسْتَمَعْتُ » وقوله تعالى : « وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ  
الْقُرْءَانَ » وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابن عباس قال : ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الخط لم ياما الترمذي عن قتبه زيادة .

حل الجن وما رآهم ، أنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه حامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما ذلك إلا من شيء حدث ، فأضربوا مشارق الأرض ومغاريها ، فأظفروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ؟ فأطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاريها ، فتر الثور الذين أخذوا نحو تامة وهو يخل حامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصل بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن أستمعوا له وقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء . فرجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » فأنزل الله عز وجل حل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم « قُلْ أَوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ سَمِعَ مُقَرَّبِينَ مِنْ الْجِنِّ » . رواه الترمذي عن ابن عباس قال : قول الجن لقومهم « لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَّ » قال : لما رآه يصل وأصحابه يصلون بصلاته فيسجدون بسجوده قال : فسجدوا من طوامية أصحابه له قالوا لقومهم « لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَّ » قال : هذا حديث حسن صحيح ، ففي هذا الحديث دليل على أنه عليه السلام لم ير الجن ولكنهم حضروه وسمعوا قراءته . وفيه دليل على أن الجن كانوا مع الشياطين حين تجسسوا الخبر بسبب الشياطين لما رموا بالشهب . وكان المريسون بالشهب من الجن أيضا . وقبل لم شياطين كما قال : « شَيَاطِينُ الْإِنسِ وَالْجِنِّ » فإن الشيطان كل متفرد وخارج عن طاعة الله . وفي الترمذي عن ابن عباس قال : كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون إلى الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا ، فاما الكلمة فتكون حقا وأما ما زاد فيكون باطلا ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منبأهم ، فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرى بها قبل ذلك ، فقال لم إبليس : ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض ! فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصل بين جبلين — أراه قال بمكة — فأنوه فأخبروه فقال : هذا الذي حدث في الأرض . قال : هذا حديث حسن صحيح . فدل

هذا الحديث على أن الجن رموا كما رميت الشياطين . وفي رواية السدي : أنهم لما رموا  
أثرا إليس فاخبروه بما كان من أمرهم فقال : آيتوني من كل أرض قبضة من تراب أثمها  
فاتوه فثم فقال : صاحبكم بمكة . فبعث نفرا من الجن قيل : كانوا سبعة . وقيل : تسعة  
منهم زوبعة . وروى حاصم عن زرقال : قدم رط زوبعة وأصحابه على النبي صلى الله عليه  
وسلم . وقال الثعالبي : بلغني أنهم من بني الشَّيْبَان ، وهم أكثر الجن ملدا ، وأقوام  
شوكا ، وهم عامة جنود إليس . وروى أيضا حاصم عن زرقال أنهم كانوا سبعة نفر ، ثلاثة من  
أهل حرّان وأربعة من أهل نصيبين . وحكى جوير عن الضحاك أنهم كانوا تسعة من أهل  
نصيبين ، قرية باليمن غير التي بالعراق . وقيل : إن الجن الذين أوثروا مكة جن نصيبين ، والذين  
أوثروا بغضلة جن يثوى . وقد مضى بيان هذا في سورة «الأحقاف» . قال عكرمة : والسورة  
التي كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم «أقرأ باسم ربك» وقد مضى في سورة «الأحقاف»  
التعريف باسم النفر من الجن فلا معنى لإعادة ذلك . وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى  
الجن ليلة الجن وهو أثبت ، روى حاصر الشعبي قال : سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد  
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ فقال علقمة : أنا سألت ابن مسعود فقلت : هل  
شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال : لا ، ولكننا كنا مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب ، فقلنا أَسْطُير أو أُغْثِيل ،  
قال : فبقينا بشريّة بات بها قوم ، فلما أصبح إذا هو بحي من قبل حراء ، فقلنا : يا رسول الله !  
فقدناك وطلبناك فلم نجدك فبقينا بشريّة بات بها قوم ، فقال : «أتأتاني داعي الجن فلتعبد معه  
فقرأت عليهم القرآن» فأطلق بنا فأرانا آثامهم وأثام نيرانهم ، وسألوه الزاد وكانوا من جن  
الجزيرة ، فقال : «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بيرة  
عَلَفَ لدوابكم» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم  
الجن» قال ابن العربي : وابن مسعود أعرف من ابن عباس ، لأنه شاهده وابن عباس سمعه

وليس الخبر كالمأينة . وقد قيل : إن الجن أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلن إحداهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود ، والثانية غيلة وهي التي ذكرها ابن عباس . قال البيهقي : الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعلمت بحاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرم كما حكاه ، ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن كما حكاه عبد الله بن مسعود . قال البيهقي : والأحاديث الصراح تدل على أن ابن مسعود لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ، وإنما سار معه حين انطلق به وبغيره يريه آثار الجن وآثار نيرانهم . قال : وقد روى من خبره أنه كان معه ليلاً ، وقد مضى هذا المعنى في سورة «الأحزاب» والحمد لله . روى عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أمرت أن أتلو القرآن على الجن فن يذهب مني» فسكتوا ، ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة ، ثم قال عبد الله بن مسعود : أنا أنذهب معك يا رسول الله ، فأطلق حتى جاء الجبّون عند شغب أبي ذؤيب <sup>(١)</sup> فخطب على خطبائه فقال : «لا تجاوزوه» ثم مضى إلى الجبّون فأخبرهم عليه أمثال التجمل يحذرون بالمجازة بأقداسهم ، يشون يرمون في دغوفهم كما تحرق النسوة في دغوفها حتى خشوه فلا أراه ، فقامت فأوى إلى بيده أن أجلس ، فلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ، ولصقوا بالأرض حتى ما أراهم ، فلما أفتل إلى قال : «أردت أن تأتيني» قلت : نعم يا رسول الله . قال : «ما كان ذلك لك هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن ثم ولّوا إلى قومهم منذرين فسألوني الزاد فزادتهم العظم والبحر فلا يستطيع أحدهم بعظم ولا بحر» قال عكرمة : وكانوا آتني عشر ألفاً من جزيرة الموصل . وفي رواية : أطلق بي عليه السلام حتى إذا جئنا المسجد الذي عند حائط عوف خطب لي خطباً ، فأتاه نفر منهم فقال أصحابنا كأنهم رجال الزط وكان وجوههم المكّاكي ، فقالوا : ما أنت ؟ قال : «أنا نبي الله» قالوا : فن

(١) شغب أبي ذؤيب يقال فيه مدقن آتة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) الزط : جنس من السودان والحود .

(٣) المكّاكي : جمع مكوك وهو طاس يثرب فيه أهله ضيق روسه واسع ، ويكّال معروف لأهل العراق بهذه الصفة أيضاً . والله من باب قول العرب : ضرب مكوك رأسه على التثنية .

يشهد لك هل ذلك ؟ قال : « هذه الشجرة » فقال : « يا شجرة » بلغات تجوز صرورها لما  
فماض حتى أتصبت بين يديه ، فقال : « على ماذا تشهدين » قالت : أشهد أنك رسول الله .  
فرجعت كما جاءت تجوز صرورها الجارة ، لما فماض حتى ماذت كما كانت . ثم روى أنه عليه  
السلام لما فرغ وضع رأسه على حجر ابن مسعود فرقد ثم استيقظ فقال : « هل من وضوء »  
قال : لا ، إلا أن مى إداوة فيها نبيذ . فقال : « هل هو إلا تمر وماء » فتوضأ منه .  
الثالثة - قد مضى الكلام في الماء في سورة « الحجر » وما يستجى به في سورة « براءة »<sup>(١)</sup>  
فلا معنى للإعادة .

الرابعة - وأختلف أهل العلم ، في أصل الجنة ، فروى إسماعيل عن الحسن البصري :  
أن الجنة ولد إبليس والإنس ولد آدم ، ومن هؤلاء ومؤمنون وكافرون ، وهم شركاء  
في الثواب والعقاب ، فمن كان من هؤلاء ومؤمن فهو ولي الله ، ومن كان من هؤلاء  
وهؤلاء كافرا فهو شيطان . وروى الضمك عن ابن عباس : أن الجنة هم ولد إبليس وليسوا  
بشياطين وهم يؤمنون ، ومنهم للمؤمن ومنهم الكافر ، والشياطين هم ولد إبليس لا يؤمنون إلا  
مع إبليس . وأختلفوا في دخول مؤمن الجنة الجنة على حسب الاختلاف في أصلهم ، فمن زعم  
أنهم من الجنان لا من ذرية إبليس قال : يدخلون الجنة بإيمانهم . ومن قال : إنهم من ذرية  
إبليس فلهم فيه قولان : أحدهما - وهو قول الحسن يدخلونها . الثاني - وهو رواية مجاهد  
لا يدخلونها وإن صرروا عن النار . حكاه الماوردي . وقد مضى في سورة « الرحمن » عند قوله  
تمامي : « لَمْ يَلْبِسْهُمْ إِنْسٌ فَلْيَهُمْ وَلَا جَانٌّ » بيان أنهم يدخلونها .

الخامسة - قال البيهقي في روايته : وسأله الزاد وكافرا من جن الجزيرة فقال : « لكم كل  
عظم » دليل على أنهم يأكلون ويضعفون . وقد أنكر جماعة من كفرة لأطباء والفلاسفة الجنة ،  
وقالوا : إنهم بساط ولا يصح طعامهم . أجابهم على الله وأقرء القرآن والسنة نرد عليهم ،

(١) راجع ج ١٠ ص ١٥ فابعدا .

(٢) راجع ج ٨ ص ٢٥٩ فابعدا .

(٣) راجع ج ١٧ ص ١٨١

وليس في المخلوقات بسيط مركب مزدوج إنما الواحد الواحد سبحانه ، وغيره مركب ليس  
 بواحد كيفما تصرف حاله . وليس ينتج أن يراهم النبي صلى الله عليه وسلم في صورهم كما يرى  
 الملائكة . وأكثر ما يتصورون لنا في صور الحيات ؛ ففي الموطأ أن رجلا حديث عهد  
 بمرس استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصناف الثمار أن يرجع إلى أهله . الحديث ،  
 وفيه : فإذا حجة عظيمة منطوية على الفراش فأهوى إليها بالرجح فانتظمتها . وذكر الحديث .  
 وفي الصحيح أنه عليه السلام قال : " إن لهذه البيوت حوامر فإذا رأيتم منها شيئا فتخرجوا  
 عليها ثلاثا فإن ذهب وإلا فاقولوه فإنه كافر " وقال : " أنهبوا فادفئوا صاحبكم " وقد مضى  
 هذا المعنى في سورة « البقرة »<sup>(١)</sup> وبين التحريج طبعين . وقد ذهب قوم إلى أن ذلك مخصوص  
 بالمدينة ؛ لقوله في الصحيح : " إن بالمدينة جئا قد أسلموا " وهذا لفظ مختص بها فيختص  
 بحكمها . قلنا : هذا يدل على أن فيها من البيوت مثلهما ؛ لأنه لم يطل بجمرة المدينة فيكون  
 ذلك الحكم مخصوصا بها ، وإنما طل بالإسلام ، وذلك عام في غيرها ، ألا ترى قوله في الحديث  
 مخبرا عن الجن الذي لقي : وكانوا من جن الجزيرة ؛ وهذا بين بمضد قوله : " ونهى عن  
 حوامر البيوت " وهذا عام . وقد مضى في سورة « البقرة » القول في هنا فلا معنى للإعادة .  
 قوله تعالى : ( فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ) أى في فصاحة كلامه . وقيل : عجبا  
 في بلاغة مواضعه . وقيل : عجبا في عظم بركته . وقيل : قرآنا عزيزا لا يوجد مثله . وقيل :  
 يعنون عظيما . ( يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ) أى إلى مرشد الأمور . وقيل : إلى معرفة الله تعالى .  
 و « يَهْدِي » في موضع الصفة أى هاديا . ( قَامَاتُ يَه ) أى قَامَتَيْنِ به وصلفنا أنه من عند  
 الله ( وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ) أى لا نرجع إلى إبليس ولا نطيعه ؛ لأنه الذي كان يشهم  
 لياتوه بالخبر ثم رى الجن بالشهب . وقيل : لا نتخذ مع الله إلها آخر ؛ لأنه المتفرد بالربوبية .  
 وفي هذا تصحيح المؤمنين بنهاب مشرك قريش عما أدركته الجن بتدبرها القرآن . وقوله

(١) هذا ينبغي أن يكون قبل الحديث السابق كما في ابن العربي .

(٢) راجع ١ ص ٣١٠ فما بعدها طبع ثانية

تعالى : « أَصْنَعُ قَرْنَيْنِ الْجُنَّ » أى أَسْمَعُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلِمُوا أَنَّ مَا يَقْرَأُهُ  
كَلَامُ اللَّهِ . ولم يذكر المستمع إليه لدلالة الحال عليه . والنظر الرهط ؛ قال الخليل : ما بين  
ثلاثة إلى عشرة . وقراء مسمى التفتى « يَهْدِي إِلَى الرَّشَدِ » بفتح الراء والشين .

قوله تعالى : ( وَأَنَّهُ تَمَالَى جَدُّ رَبِّنَا ) كَانَ طَعْمَةً وَيَجِيءُ وَالْأَعْمَشُ وَحِزَّةٌ وَالْكَسَائِي  
وَأَبْنُ عَاصِرٍ وَخَلْفٌ وَفُصٌّ وَالسَّابِيُّ يَنْقُصُونَ « أَنْ » فِي جَمِيعِ السُّورَةِ فِي آخِي عَشْرِ مَوَاضِعَ  
وَهُوَ « أَنَّهُ تَمَالَى جَدُّ رَبِّنَا » « وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ » « وَأَنَا ظَنَنْتُ » « وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ » « وَأَنَّهُمْ  
ظَنُّوا » « وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ » « وَأَنَا نَحْنَا قَهْمَدُ » « وَأَنَا لَا تَدْرِي » « وَأَنَا مِثْلُ الصَّالِحِينَ »  
« وَأَنَا ظَنَنْتُ أَنَّ لَنْ نَسْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ » « وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَى » « وَأَنَا مِثْلُ الْمُسْلِمِينَ »  
عطفًا على قوله : « أَنَّهُ أَصْنَعُ قَرْنَيْنِ » وَأَنَّهُ أَصْنَعُ لَا يَجُوزُ فِيهِ إِلَّا الْفَتْحُ ؛ لِأَنَّهُ فِي مَوْضِعِ أَمٍّ  
فَاعِلٌ « أَوْجِيءُ » فَا بَعْدَهُ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ . وَقِيلَ : هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَاءِ فِي « أَمَّا يَدِي » أَيْ وَبِ « أَنَّهُ  
تَمَالَى جَدُّ رَبِّنَا » وَجَازَ ذَلِكَ وَهُوَ مُضْمَرٌ مَجْرُورٌ لِكَثْرَةِ حُرُوفِ الْجَارِ مَعَ « أَتَ » . وَقِيلَ :  
الْمَعْنَى أَيْ وَصَدَقْنَا أَنَّهُ جَدُّ رَبِّنَا . وَقَرَأَ الْبَاقُونَ كُلُّهَا بِالْكَسْرِ وَهُوَ الصَّوَابُ ، وَأَخْتَارَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ  
وَأَبُو حَاتِمٍ عطفًا على قوله : « فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا » لِأَنَّهُ كُلُّهُ مِنْ كَلَامِ الْجُنِّ . وَأَمَّا أَبُو جَعْفَرٍ  
وَشَيْبَةُ فَالْهِمَا لِمَا ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَأَنَّهُ تَمَالَى جَدُّ رَبِّنَا » « وَأَنَّهُ كَانَ  
يَقُولُ » « وَأَنَّهُ كَانَتْ رِجَالٌ » قَالَا : لِأَنَّهُ مِنَ الْوَحْيِ وَكُسِرَا مَا بَقِيَ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ كَلَامِ الْجُنِّ .  
وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ حَدُّ اللَّهِ » فَكُلُّهُمْ فَتَحُوا إِلَّا نَافِثًا وَشَيْبَةُ وَزُرَّ بْنُ حَبِشٍ  
وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمَنْصُورُ عَنْ عَاصِمٍ فَلِزِمَ كُسْرُهَا لِأَخِيرٍ . وَلَا خِلَافَ فِي فَتْحِ هِزَةٍ « أَنَّهُ أَصْنَعُ قَرْنَيْنِ  
مِنَ الْجُنِّ » « وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا » « وَأَتَى الْمَسَاجِدَ فِيهِ » « أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا » وَكَذَلِكَ لِاخْتِلَافِ  
فِي كُسْرِ مَا بَعْدَ الْقَوْلِ ؛ لِخَوْفِهِ تَعَالَى : « فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا » وَ « قَالَ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي »  
وَ « قُلْ إِنْ أَدْرِي » وَ « قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ » وَكَذَلِكَ لِاخْتِلَافِ فِي كُسْرِ مَا كَانَ بَعْدَ الْفَاءِ الْخِزَاءِ ؛  
لِخَوْفِهِ تَعَالَى : « قَاتِلْهُ تَارَ جَهَنَّمَ » وَ « لِأَنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ » لِأَنَّهُ مَوْضِعُ ابْتِدَاءِ .

قوله تعالى : « جَدُّ رَبِّنَا » الجَدُّ في اللغة العظمة والجلال ؛ ومنه قول أنس : كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جَدَّ في عيوننا . أى عَظُمَ وِجِلٌ ؛ فمعنى « جَدُّ رَبِّنَا » أى عظمته وجلاله ؛ قاله عكرمة ومجاهد وقتادة . وعن مجاهد أيضا : ذكره . وقال أنس بن مالك والحسن وعكرمة أيضا : غناه . ومنه قيل لفظ جَدُّ ورجل مجدود أى محظوظ ؛ وفي الحديث : «ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ» قال أبو عبيدة والخليل : أى ذا الغنى ، منك التنى إنما تنفع الطاعة . وقال ابن عباس : قدرته . الضحاك : فضله . وقال القرطبي والضحاك أيضا : آلاؤه ونعمه على خلقه . وقال أبو عبيدة والأخفش : ملكه وسلطانه . وقال السدي : أمره . وقال سعيد بن جبير : « وَأَنَّهُ تَمَّآى جَدُّ رَبِّنَا » أى تعالى ربنا . وقيل : إنهم عنوان بذلك الجَدِّ الذى هو أب الأب ويكون هذا من قول الجن . وقال محمد بن حل بن الحسين وأبوه جعفر الصادق والربيع : ليس لله تعالى جَدُّ ، وإنما قاله الجن جهالة فلم يؤخذوا به . وقال القرطبي : ويجوز إطلاق لفظ الجَدِّ في حق الله تعالى ؛ إذ لو لم يزل ذكر في القرآن ، غير أنه لفظ موهم فتجنبه أولى . وقرأة عكرمة « جَدَّ » بكسر الجيم على ضد الهزل . وكذلك قرأ أبو حيوة ومحمد بن السَّمِيع . وروى عن ابن السَّمِيع أيضا وأبي الأشهب « جَدَّا رَبِّنَا » وهو الجدوى والمُعْظَمَة . وقرأ عكرمة أيضا « جَدَّا » بالتثنية « رَبَّنَا » بالرفع على أنه مرفوع بـ « تعالى » و « جَدَّا » منصوب على التمييز . وعن عكرمة أيضا « جَدَّ » بالتثنية والرفع « رَبَّنَا » بالرفع على تقدير : تعالى جَدُّ جَدُّ رَبَّنَا ، فجَدَّ الثانى بدل من الأول وحذفوا تيم المضاف إليه مقامه . ومعنى الآية ؛ وأنه تعالى جلال ربنا أن يتخذ صاحبة وولدا للأستئناس بهما والحاجة إليهما ، والرب تعالى عن ذلك كما يتعالى عن الإنناد والنظراء .

قوله تعالى : وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَهْوَىٰ سَفِينًا عَلَىٰ اللَّهِ شَطَطًا ﴾ الماء في « أنه » للامر أو الخسيت ، وفي « كان » أجمها وما بسدها الخبر . ويحوز أن تكون « كان » زائدة . والسفيه هنا إبليس في قول بجاهد وآبن جريح وقادة . ورواه أبو بزة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل : المشركون من الجن ؛ قال قتادة : عصاه سفية الجن كما عصاه سفية الإنس . والشطط والأشتطاط الفلأ في الكفر . وقال أبو مالك : هو الجور . الكلبى : هو الكذب . وأصله البعد فيعبر به عن الجور لبعده عن العدل ، وعن الكذب لبعده عن الصدق ؛ قال الشاعر :

بَابِهِ حَالٍ حَكَمُوا فِيكَ فَاشْتَطُوا • وما ذاك إلا حيث يَمُكُّ الْوُحْطُ

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا ﴾ أى حسبنا ﴿ أَن لَّنْ يَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ فلذلك صدقاهم في أن الله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن وتبيننا به الحق . وقبرا يعقوب وابجهدى وآبن أبي إسحق « أَن لَّنْ يَقُولَ » . وقيل : أقطع الخبر عن الجن ها هنا : قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ ﴾ فمن نصح وجعله من قول الجن رقا إلى قوله : « أَنَّهُ أَسْمَعَ » ومن كسر جعلها مبتدا من قول الله تعالى . والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول الرجل إذا نزل براد : أعود بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه ؛ فيبيت في جواره حتى يصبح ؛ قاله الحسن وآبن زيد وفيهما . قال مقاتل : كان أول من تصود بالجن قوم من أهل اليمن ، ثم من بنى حنيفة ، ثم فشا ذلك في العرب ، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم . وقال كرتيم بن أبي السائب : خرجت مع أبى إلى المدينة أول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأوانا المبيت إلى راعى غنم ، فلما آتتصف الليل جاء الذئب فجعل يحلأ من الغنم ، فقال الراعى : يا طاهر الوادى [ أنا ] جارك . فتأدى مناد بإسرحان أرسله ، فأتى الجمل يشتد . وأزل الله تعالى على رسوله بمكة ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَمْشُونَ بِجِلْبِ مِنْ ﴾

(١) يملك تمسكك . والرخط اللعن بالرخ ، ومن سانية أيضا الشيب .

(٢) قال الألويس : « يَقُولُ » أصله يَقُولُ بتأنيث لغفت إحداهما ، فكذا مصدر مؤنك لأن الكذب هو القتل .

(٣) الزيادة من القدر المتصور السويلى . (٤) يشتد : يندو .

الْجَنِّ قَرَأُوهُمْ رَهَقًا ) أى زاد الجنُّ الإنسان رَهَقًا أى خبطة وإثما ، قاله ابن عباس ومجاهد وقادة . والرهق الإجم فى كلام العرب وبشيان المحارم ، ورجل رَهَقٌ إذا كان كذلك . ومنه قوله تعالى : « وَتَعَفُّهُمْ ذَلَّةٌ » وقال الأعمش :

لا شيء ينفى من دون رؤيتها • هل يستنى وإيق ما لم يصب رَهَقًا

بنى إثما ، وأضيفت الزيادة إلى الجنِّ إذ كانوا سببا لها . وقال مجاهد أيضا : « قَرَأُوهُمْ » أى إن الإنسان زادوا الجنَّ طغيانا بهذا التصوّد ، حتى قالت الجنُّ سدا الإنسان والجنِّ . وقال قادة أيضا وأبو العالية والربيع وابن زيد : أزداد الإنسان بهذا قرقا وخوفا من الجنِّ . وقال سعيد ابن جبير : كفرا . ولا خفاء أن الاستمادة بالجنِّ دون الاستمادة بالله كفر وشرك . وقيل : لا يطلق لفظ الرجال على الجنِّ ، فالمنى : وأنه كان رجال من الإنسان يوفون من شر الجنِّ رجال من الإنسان ، وكان الرجل من الإنسان يقول مثلا : أعوذ بمخيفة بن بدر من جنِّ هذا الوادى . قال القشيري : وفى هذا تحكّم إذ لا يعد إطلاق لفظ الرجال على الجنِّ .

قوله تعالى : ( وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَنَ يَمِيتَ اللَّهُ أَحَدًا ) هذا من قول الله تعالى للإنسان ، أى وأن الجنَّ ظنوا أن لن يميت الله الخلق كما ظنتم . الكهلى : المنى ظنت الجنُّ كما ظنت الإنسان أن لن يميت الله رسولا إلى خلقه يقيم به الجمة عليهم . وكل هذا تأكيد للجملة على قرين ، أى إذا آمن هؤلاء الجنُّ بمحمد فاتم أحق بذلك .

قوله تعالى : وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ① وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمِيعِ ② فَنَ سَمِعَ ③ أَلَّا نَ يَجِدَ لَهٗ شِهَابًا رَّصَدًا ④ وَأَنَا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمْسُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ⑤

قوله تعالى : ( وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ ) هذا من قول الجنِّ أى طلبنا خبرها كما جرت عادتنا ( فَوَجَدْنَاهَا ) قد ( مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا ) أى حفظت بنى اللاتكة والحرس جمع حارس

(وَشَهَابًا) جمع شهاب وهو آقضاض الكواكب المحرقة لم عن استراق السمع . وقد مضى القول فيه في سورة « الحجر »<sup>(١)</sup> و « الصافات »<sup>(٢)</sup> و « وجد » يجوز أن يقدر متعديا إلى مفعولين فالأول الماء والألف ، و « مُلِئَتْ » في موضع المفعول الثاني . ويجوز أن يتعدى إلى مفعول واحد ويكون « مُلِئَتْ » في موضع الحال على إضمار قد و « حَرَمًا » نصب على المفعول الثاني بـ « حُلِيتْ » و « شديدا » من نعت الحرس أى ملئت ملائكة شدادا . ووحد الشديد على لفظ الحرس ؛ وهو كما يقال : السلف الصالح بمنى الصالحين ، وجمع السلف أسلاف وجمع الحرس أحراس ؛ قال :

« تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا وَأَهْوَالَ مَعْشَرٍ »

ويجوز أن يكون « حَرَمًا » مصدرا على معنى حُرست حراسة شديدة .

قوله تعالى : ( وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ) « منها » أى من السماء و « مقاعد » مواضع يقعد في مثلها لاستماع الأخبار من السماء ؛ يبنى أن مرادة الحق كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها إلى الكهنة على ما تنظم بيانه ، فحرمها الله تعالى حين بعث رسوله بالشهب المحرقة ؛ فقالت الحق حيلئذ : « فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا » يبنى بالشهاب الكوكب المحرق ؛ وقد تنظم بيان ذلك . ويقال : لم يكن آقضاض الكواكب إلا بعد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو آية من آياته . وأخطف السلف هل كانت الشياطين تُخَلِّف قبل المبعث ، أو كان ذلك أمرا حدث لمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال الكلبي : وقال قوم لم تكن تحرس السماء في الفترة بين عيسى وعبد صلوات الله عليهما وسلامه جميعا عام ، وإنما كان من أجل بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث عبد صلى الله عليه وسلم متعوا من السموات كلها وحرمت بالملائكة والشهب .

(١) تابع جـ ١٠ ص ١٠ فا يندط (٢) تابع جـ ١٥ ص ٦٦ فا يندط .

(٣) هو أركن القوس ويرى : \* تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا فَلَمَّا وَصَلْتُهَا وَنَمَامُ الْبَيْتِ وَهُوَ مِنْ مَسْجِدِهِ :

\* عَلَى حَرَامَا لَوْ يَشْرُونَ مَقْتَلِ \*

قلت : ورواه عطية العوفي عن ابن عباس ؛ ذكره البيهقي . وقال عبد الله بن عمر : لما كان اليوم الذي نُهي رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنت الشياطين وروى بالشَّهْب . وقال عبد الملك بن سَابُور : لم تكن السماء تمحوس في الفتحة بين عيسى وعهد عليهما الصلاة والسلام ، فلما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم حُرست السماء ، ورُويت الشياطين بالشَّهْب ، ومنعت عن الدنو من السماء . وقال نافع بن جبير : كانت الشياطين في الفتحة تسمع فلا تُرى ، فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رُويت بالشَّهْب . ونحوه من أبي بن كعب قال : لم يَمْ يَجْم منذ رُفع عيسى حتى نُهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فَرِي بها . وقيل : كان ذلك قبل المبعث ، وإنما زادت بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إنذارا بجماله ؛ وهو معنى قوله تعالى : « مُلِئَتْ » أي زيد في حرمها ؛ وقال أَوْس بن حَجْر وهو جاهلي : فَأَقْفَصْ كَالدُّرَى يَقْبُصُهُ . قَحَّحْ يَشُورُ نَحَالَهُ طُنْبًا

وهذا قول الأكثرين . وقد أذكر الجاحظ هذا البيت وقال : كل شمر روى فيه فهو مصروع ، وأن الرمي لم يكن قبل المبعث . والقول بالرمي أصح ؛ لقوله تعالى : « قَوَّبْنَاَهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا » . وهذا إخبار عن الجن ، أنه زيد في حرس السماء حتى أمثلت منها ومنهم ؛ ولما روى عن ابن عباس قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من أصحابه إذ رُمي بهم فقال : <sup>٢٥</sup> ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية ؟ قالوا : كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : <sup>٢٦</sup> إنما لا تُرى لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا سبحانه وتعالى إذا قضى أمرا في السماء صبح حملة العرش ثم صبح أهل كل سماء حتى يتهى التسبيح إلى هذه السماء ويستنبر أهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء حتى يتهى الخبر إلى هذه فتصطف الجن فيهبون فما جاءوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه <sup>٢٧</sup> وهذا يدل على أن الرجم كان قبل المبعث . وروى الزهري نحوه عن علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب عن ابن عباس . وفي آخره قيل للزهري : أكان يرمى في الجاهلية ؟ قال : نعم . قلت : أفرأيت قوله سبحانه « وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ

بَيْنَهَا مَقَايِدَ لِّلْسَمْعِ قَتْنٌ يَسْتَمِيعُ الْآنَ يَحْدُ لَهُ شَيْبًا رَّصَدًا ۖ قَالَ : ظَلَمْتُ وَشَدَّدْتُ أَمْرَهَا حِينَ  
بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَنَحْوَهُ قَالَ الْقَتْنِي . قَالَ أَبُو قَتْبِيَّةَ : كَانَ وَلَكِنْ أَشْتَدَّتْ  
الْحِرَاسَةُ بِسَدِّ الْمَجِثِ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَرْقُونَ وَيُرْمُونَ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ ، فَلَمَّا بُعِثَ  
عِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنِمَتْ مِنْ ذَلِكَ أَصْلًا . وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ هَذَا فِي سُورَةِ « وَالصَّافَّاتِ »  
عِنْدَ قَوْلِهِ : « وَيَقْدِرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَيْصَبٌ » قَالَ الْخَافِظُ : فَلَوْ قَالَ  
قَاتِلٌ كَيْفَ تَعْرِضُ الْجَنِّ لِإِحْرَاقِ نَفْسِهَا بِسَبَبِ اسْتِمَاعِ خَبَرِ عِيسَى أَنْ صَارَ ذَلِكَ مَعْلُومًا لَهُمْ ؟  
فَالْجَوَابُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَفْهِمُهُمْ ذَلِكَ حَتَّى تَعْظُمَ الْحَنَنَةُ ، كَمَا يَنْبَغِي لِإِبْلِيسَ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَنَّهُ  
لَا يَسْلِمُ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَهُ : « وَإِنَّ عَلَيْكَ الْآمَنَةَ إِلَى يَوْمِ الْبَاقِ » . وَلَوْلَا هَذَا لَمَا تَحَقَّقَ  
التَّكْلِيفُ . وَالرَّصَدُ قِيلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، أَيْ وَرَصَدًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ . وَالرَّصَدُ الْخَافِظُ لِلشَّيْءِ  
وَالْجَمْعُ أَرْصَادٌ ، وَفِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ يَمُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعًا كَالْحِرَاسِ وَالوَاحِدُ رَاصِدٌ . وَقِيلَ :  
الرَّصَدُ هُوَ الشَّابُّ أَيْ شَبَابًا قَدْ أَرْصَدَ لَهُ لِيَرْجَمَ بِهِ ، فَهُوَ قَعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ كَالْخَبِيطِ  
وَالْقَفْصِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمْنُنَ فِي الْأَرْضِ) أَيْ هَذَا الْحِرَاسُ الَّذِي حَرَسَتْ  
بِهِمُ السَّمَاءُ (أَمْ أَرَادَ يَمْنُنُ رَبُّهُمْ رَشَدًا) أَيْ خَيْرًا . قَالَ أَبُو زَيْدٍ : قَالَ الْإِبْلِيسُ لَا نَدْرِي هَلْ أَرَادَ اللَّهُ  
بِهَذَا الْمَنْعِ أَنْ يَتَرَكَلَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ عَذَابًا أَوْ يَرْصَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا . وَقِيلَ : هُوَ مِنْ قَوْلِ الْجَنَّ  
فِيمَا بَيْنَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعُوا قِرَاءَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَيْ لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمْنُنَ فِي الْأَرْضِ  
بِإِرْسَالِ عِدِّهِمْ ، فَإِنَّهُمْ يَكْتُبُونَهُ وَيَهْلِكُونَ بِتَكْنِيهِهِ كَمَا هَلَكَ مِنْ كَذِبٍ مِنَ الْأُمَمِ ، أَمْ أَرَادَ  
أَنْ يُؤْمِنُوا فَيَتَدَبَّعُوا ، فَالْأَشْرُ وَالرَّشْدُ عَلَى هَذَا الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ ، وَصَلَّى هَذَا كَانَ عِنْدَهُمْ طَمَعِيْمَتْ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمَّا سَمِعُوا قِرَاءَتَهُ عَلِمُوا أَنَّهُمْ مَتَعُوا مِنَ السَّمَاءِ حِرَاسَةَ الْوَحْيِ . وَقِيلَ :  
لَا ، بَلْ هَذَا قَوْلٌ قَالُوهُ لِقَوْمِهِمْ بِسَدِّ أَنْ أَنْصَرَفُوا إِلَيْهِمْ مُنْذِرِينَ ، أَيْ لَمَّا أَسْمَعُوا أَشْفَقُوا  
أَلَّا يُؤْمِنَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَقَالُوا : إِنَّا لَا نَدْرِي أَيْكُفَرُ أَهْلُ الْأَرْضِ بِمَا كُنَّا بِهِ  
أَوْ يُؤْمِنُونَ .

قوله تعالى : **وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ۖ** ﴿١٧﴾ **وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنَ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَكِنِ نُعْجِزُهُ هَرَبًا ۖ** ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ( **وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ** ) هذا من قول الجن ؛ أى قال بعضهم لبعض لما دعوا أصحابهم إلى الإيمان بحمد صل الله عليه وسلم ، وإنا كنا قبل استماع القرآن منا الصالحون ومنا الكافرون . وقيل : « **وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ** » أى ومن دون الصالحين فى الصلاح ، وهو أشبه من حمله على الإيمان والشرك . ( **كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا** ) أى فرقا شتى ؛ قاله السدى . الضمك : أديانا مخففة . قتادة : أمواء متباعدة ، ومنه قول الشاعر :

الْفَاقِصُ الْبَاسِطُ الْمَادِي بِطَاحِيهِ • فِي قَتْنَةِ النَّبَسِ إِذْ أَعْوَأُوهُمْ قَدَدٌ

والمنى : أى لم يكن كل الجن كفارا بل كانوا مختلفين ، منهم كفار ومنهم مؤمنون صلحاء ، ومنهم مؤمنون غير صلحاء . وقال المسيب : كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس . وقال السدى فى قوله تعالى : « **طَرَائِقَ قِدْدًا** » قال : فى الجن مظهر قَدَرِيَّة ومرجئة وخوارج ورافضة وشيعة وسلفية . وقال قوم : أى وأنا بعد استماع القرآن غثقفون منا المؤمنون ومنا الكافرون . أى ومنا الصالحون ومنا مؤمنون لم يتأهوا فى الصلاح . والأول أحسن ؛ لأنه كان فى الجن من آمن بموسى وعيسى وقد أخبر الله عنهم أنهم قالوا : « **إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ مُصَدِّقًا لِّمَا يَتْلُو رَبُّكَ** » وهذا يدل على إيمان قوم منهم بالثورة ، وكان هذا مبالغة منهم فى دعاء من دعاهم إلى الإيمان . وأيضا لا فائدة فى قولهم : نحن الآن منقسمون إلى مؤمن وإلى كافر . والطرائق جمع الطريقة وهى مذهب الرجل ؛ أى كنا فرقا مخففة . ويقال : القوم طرائق أى على مذاهب شتى . واليد نحو من الطرائق وهو تأكيد لما واحد قَدَرِيَّة . يقال : لكل طريق قَدَرٌ وأصلها من قَدَر السور وهو قطعها ؛ قال لبيد يرى أخاه أُرَيْدَ :

لم تبليغ العين كل نهمتها \* ليلة تسمى إحياء كالقيد<sup>(١)</sup>

وقال آخر :

ولقد قلت وزيد حاسر \* يوم ولت خيل عمرو قلدا

والقد بالكسر سريخذ من جلد غير مدبوغ ؛ ويقال : ماله قد ولا تحف فالقد إناء من جلد والقيحف من خشب .

قوله تعالى : ( وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ ) الظن هنا بمعنى العلم واليقين وهو خلاف الظن في قوله تعالى : « وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ » وأنهم ظنوا ؛ أى علمنا بالاستدلال والتفكر في آيات الله أنا في قبضته وسلطانه لن نقوته بهرب ولا غيره . و ( هرباً ) مصدر في موضع الحال أى هارين .

قوله تعالى : وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ فَن يُّؤْمِنُ رِبِّهِ فَلَا يَحَافُ بِحَسَا وَلَا رَمَقًا ١٥ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَن أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ١٦ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ١٧

قوله تعالى : ( وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰ ) بنى القرآن ( آمنا به ) وباقه وصدقنا بما صلى الله عليه وسلم حل رسالته . وكان صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى الإنس والجن . قال الحسن : بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الإنس والجن ، ولم يبعث الله تعالى قط رسولا من الجن ولا من أهل البادية ولا من النساء ؛ وذلك قوله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا بِوَحْيِ الْيَمِّ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى » وقد تقدم هذا المعنى . وفي الصحيح : « بعثت إلى الأحمر والأسود »

(١) يقول : لم تبليغ العين من الكاء كل ما تريد في هذه الآية التي فيها التحليل كالقيد من شدة الحير

والإصجاب .

(٢) راجع ٩٦ ص ٢٧٤

أى الإنسان والجن . ( قَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحْزَنُ بِنَحْسٍ وَلَا رَهَقًا ) قال ابن عباس : لا يخاف أن ينقص من حسنة ولا أن يزداد في سيئة ؛ لأن البخس النقصان والرهق المدوان وخشيان المحارم ؛ قال الأعمش :

لَا شَيْءَ يَنْقُصُنِي مِنْ دُونِ رُؤْيَايَا • هَلْ يَسْتَنِي وَيَأْبِقُ مَا لَمْ يُصِبْ رَهَقًا

الواقى الحب ؛ وقد وثقه بيقه بالكسر أى أحبه فهو واقى . وهذا قول حكاه الله تعالى عن الجن ؛ لقوة إيمانهم وصحة إسلامهم . وقراءة العامة « فَلَا يَحْزَنُ » ربما على تقدير إفاته لا يخاف . وقرأ الأعمش ويحيى وإبراهيم « فَلَا يَحْزَنُ » جزاء على جواب الشرط وإنشاء الفاء .

قوله تعالى : ( وَأَنَا يَأُتِي الْمُسْلِمُونَ وَمِنَ الْقَاسِطُونَ ) أى وأنا بعد استماع القرآن غنظون منا من أسلم ومنا من كفر ، والقاسط الجائر ؛ لأنه عادل عن الحق والمقيسط العادل ؛ لأنه عادل إلى الحق [ يقال : قسط أى جاور وأسط إذا عدل ؛ قال الشاعر :

قَوْمٌ هُمْ قَسَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنَّةً • عَمَرُوا وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى الثَّمَانِ

( قَنِ اسْلَمْ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا وَرَدُّنَا ) أى قصدوا طريق الحق وتوخوه ومنه تحووا القبلة ( وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ ) أى الجائرون عن طريق الحق والإيمان ( فَكَانُوا لِيَجْهَنَّمَ حَطَبًا ) أى وقودا . وقوله : « فَكَانُوا » أى فى علم الله تعالى .

قوله تعالى : ( وَأَلَوْ اسْتَقْلَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا )

لَيَقْتَنِبْنَهُمْ فِيهِ <sup>E</sup> وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا )

قوله تعالى : ( وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ) هذا من قول الله تعالى . أى لو آمن من هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم فى الدنيا وبسطنا لهم فى الرزق . وهذا مجول على الوسى ؛ أى أوصى إلى أن لو استقاموا . ذكر ابن بحر : كل ما فى هذه السورة من « إن » المكسورة المنقلة فهى حكاية لقول الجن الذين استمعوا القرآن فرجعوا إلى قومهم منذرين ، وكل ما فيها من

أن المفتوحة المخففة فهي وحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن الأنباري : ومن كسر الحروف وضع « وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا » أضربيتها تاما فأولها : والله أن لو استقاموا على الطريقة ؛ كما يقال في الكلام : والله أن لست لست ووالله لو لست لست ؛ قال الشاعر :

أَمَا وَاللَّهِ أَنِّي لَوْ كُنْتُ حُرًّا • وَمَا بِالْحَسْرِ أَنْتَ وَلَا السِّيقُ

ومن فتح ما قبل المخففة نسفها - أعني الخفيفة - على « أَوْحَى إِلَى اللَّهِ » « وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا » أو على « آمَنَّا بِهِ » « وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا » ويحذف من كسر الحروف كلها إلى « أَنْ » المخففة أن يطفئ المخففة على « أَوْحَى إِلَى » أو على « آمَنَّا بِهِ » ويستغنى عن إضمار الجمين . وقراءة العامة بكسر الواو من « لَوْ » لاكتفاء الساكنين . وقرأ ابن وثاب والأعمش بضم الواو . و « مَا هَذَا » أى وإسماعيل ؛ وكانوا قد حس منهم الطرسيح سنين ؛ يقال : ضَيَّعَتِ الْعَيْنُ تَفْذَقَ فِيهِ فِدَقَةٌ إِذَا كَثُرَ مَاؤُهَا . وقيل : المراد الخلق كلهم أى « لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ » طريقة الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين « لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا » أى كثيرا ( لَفَتْنَهُمْ فِيهِ ) أى لتضربهم كيف شكرهم فيه من تلك النعم . وقال عمر في هذه الآية : أينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة . فعنى « لَأَسْقِيَنَّهُمْ » لوسعنا عليهم في الدنيا ؛ وضرب الماء الغنى الكثير لذلك مثلا ؛ لأن الخير والرزق كله بالمطر يكون فأقيم مقامه ؛ كقوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا ظُهُبَ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » وقوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ » أى بالمطر . والله أعلم . وقال سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والضحاك وقتادة وعطية وعبيد بن عمير والحسن : كان الله أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، فتحت عليهم كنوز كسرى وقصر المقوقس والتجاشى ففتنوا بها ، فوثبوا على إمامهم فقتلوه . يعنى عثمان بن عفان . وقال الكلبي وغيره : « وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا »

(١) وفي حاشية الجمل تعلقا عن القرطبي « قال ابن الأنباري : ومن قرأ بالكسر لما قدم وضع « وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا » أضربتها قدره : والله أن لو استقاموا على الطريقة ، أو طهه على « أنه استمع » أو على « آمَنَّا بِهِ » وعلى هذا يكون صحيح ما تقدم مترجما بين المطوف والمطوف عليه . »

لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ « التي هم عليها من الكفر فكانوا كلهم كفارا لو سمعنا أرواحهم مكرها بهم واستدراجا لهم ، حتى يفتنوا بها فنعذبهم بها في الدنيا والآخرة . وهذا قول قتادة الربيع ابن أنس وزيد بن أسلم وأبنة والكلبي والثعالبي وعيسى بن رباب وابن كيسان وأبو جازر ؛ واستدلوا بقوله تعالى : « فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ نَجْوٍ » الآية ؛ وقوله تعالى : « وَلَوْلَا أَنْ يُكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَفَنَعُنَا لِيَن يَكْفُرُوا بِالرَّحْمَنِ لِيُؤَيِّدَهُمْ سُلُفًا مِنْ قَبْلِهِ » الآية ؛ والأول أشبه ؛ لأن الطريقة معروفة بالألف واللام فالأول واجب أن تكون طريقته طريقة الهدى ؛ ولأن الاستقامة لا تكون إلا مع الهدى . وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أخوف ما أخاف عليكم ما يُخرج الله لكم من زهرة الدنيا » قالوا : وما زهرة الدنيا ؟ قال : « بركات الأرض » وذكر الحديث . وقال عليه السلام : « فإني ما الفقير أخشى عليكم وإنما أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا [ كما تبسط على من قبلكم ] فتنافسوها كما تنافسوها قتلكم كما أهلكتهم »

قوله تعالى : ( وَمَنْ يُرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ) يعني القرآن ؛ قاله ابن زيد . وفي إصراره عنه وجهان : أحدهما من القبول إن قيل إنها في أهل الكفر . الثاني عن العمل إن قيل إنها في المؤمنين . وقيل : « وَمَنْ يُرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي » أي لم يشكر نعمه ( يَسْلُكُهُ صَدَابًا صَدًا ) قرأ الكوفيون وعياش عن أبي عمرو « يَسْلُكُهُ » بالياء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ؛ لذكر اسم الله أولا فقال : « وَمَنْ يُرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي » . الباقون « تَسْلُكُهُ » بالنون . وروى عن مسلم بن جندب ضم النون وكسر اللام . وكذلك قرأ طلحة والأعرج وهما لفتان سلكه وأسلكه بمعنى أي ندخله . « صَدَابًا صَدًا » أي شاقا شديدا . قال ابن عباس : هو جبل في جهنم كلما جعلوا أيديهم عليه ذابت . وعن ابن عباس : أن المعنى مشقة من العذاب . وذلك معلوم في اللغة أن الصَّعْدَ المشقة ، قول : تَصْعَدُنِي الْأُمْرُ إِذَا شَقَّ عَلَيْكَ ؛ ومنه قول عمر : مَا تَصْعَدُنِي شَيْءٌ مَا تَصْعَدُنِي خِطْبَةُ النَّكَاحِ . أي ما شق علي

وعذاب صَعْدَ أى شديد . والصَّعْد مصدر صَعِدَ ؛ يقال : صَعِدَ صَعْدًا وصُعُودًا  
فوصف به العذاب ؛ لأنه يتصعد المَعَذَّب أى يعلوه ويغلبه فلا يطيعه . وقال أبو عبيدة :  
الصَّعْد مصدر أى عذابًا ذا صَعْدٍ ، والمشي في الصُّعُود يشق . والصُّعُود العقبة الكؤود ، وقال  
سكرة : هو صحرة ملساء في جهنم يُكَلَّف صعودها فإذا انتهى إلى أعلاها حُدِر إلى جهنم .  
وقال الكلبي : يكلف الوليد بن المغيرة أن يصعد جبلًا في النار من صحرة ملساء ، يجنُب  
من أمامه بسلاسل ، ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها ، ولا يبلغ في أربعين سنة ،  
فإذا بلغ أعلاها أُحْدِر إلى أسفلها ، ثم يكلف أيضًا صعودها ، فذلك دأبه أبداً ، وهو قوله  
تعالى : « سَارِعُهُ صُعُودًا » .

قوله تعالى : وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾

فيه ست مسائل :

الأولى — قوله تعالى : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) « أَنَّ » بالفتح قيل : هو مراد إلى قوله  
تعالى : « قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ » أى قل أوحى إليّ أن المساجد لله . وقال الخليل : أى ولأن  
المساجد لله . والمراد البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة ، وقال سعيد بن جبير : قالت الجن  
كيف لنا أن نأتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن نأبون عنك ؟ فترتل : « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ  
لِلَّهِ » أى بنيت لذكر الله وطاعته . وقال الحسن : أراد بها كل البقاع ؛ لأن الأرض كلها  
مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم ، يقول : « إنما كنتم فصلوا » « فأبى صليتم فهو مسجد »  
وفي الصحيح : « وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » . وقال سعيد بن المسيب وطائفة  
آبن حبيب : أراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها العبد ، وهي القدمان والركبتان واليدان  
والوجه ؛ يقول : هذه الأعضاء أتم الله بها عليك فلا تسجد لغيره بها فتجحد نعمة الله . قال  
عطاء : مساجدك أعضاؤك التي أمرت أن تسجد عليها لا تنزلها لغير خالقها . وفي الصحيح  
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أعبد على سبعة أعظم الجبهة —  
وأشار بيده إلى أنفه — واليسدين والركبتين وأطراف القدمين » . وقال البيهقي قال النبي

صل الله عليه وسلم : " إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراء " . وقيل : المساجد هي الميولات : أي لأن السجود لله . قاله الحسن أيضا ؛ فإن جعلت المساجد المواضع فواحدها مسجدا بكسر الجيم ، ويقال بالفتح ؛ حكاه الفراء . وإن جعلتها الأعضاء فواحدها مسجدا بفتح الجيم . وقيل : هو جمع مسجدا وهو السجود ، يقال : سجدت بمهودا ومسجدا ؛ كما تقول : ضربت في الأرض ضربة ومضربا بالفتح إذا سرت في ابتغاء الرزق . وقال ابن عباس : المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسُميت مكة المساجد ؛ لأن كل أحد يسجد إليها . والقول الأول أظهر هذه الأقوال إن شاء الله ، وهو مروى عن ابن عباس رحمه الله .

الثانية — قوله تعالى : « وَهُدًى وَبُحْرَانٌ » إضافة تشریف وتكريم ، ثم خص بالدكر منها البيت العتيق فقال : « وَطَهَّرَ بَيْتِي » وقال عليه السلام : " لَا تُعْمَلُ الْمِطْلَى إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ " الحديث نرجه الإمامة . وقد مضى الكلام فيه . وقال عليه السلام : " صلاة في مسجدي هنا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام " قال ابن العربي : وقد روى من طريق لا بأس بها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " صلاة في مسجدي هنا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام فإن صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدي " ولو صح هذا لكان نصا .

قلت : هو صحيح بنقل العدل من العدل حسب ما ي بناء في سورة « إبراهيم » .

الثالثة — المساجد وإن كانت لله ملكا وتشريفها فإنها قد تسب إلى غيره تعريفا فيقال : مسجد فلان . وفي صحيح الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ساق بين الخليل التي أضمرت من الحيفا وأملها ثنية الوداع ، وساق بين الخليل التي لم تضم من الثنية إلى مسجد بني زريق . وتكون هذه الإضافة بحكم المحلية كأنها في قبليهم ، وقد تكون بتجسيمهم ، ولا خلاف بين الأمة في تجسيم المساجد والقطاير والمقابر وإن أخطوا في تجسيم غير ذلك .

(١) آراء : أعضاء واحدا « آرب » بالكسر والكون .

(٢) راجع ج ١٠ ص ٢١١ والزيادة المشهورة في الصباح " لا تفتد الرجال " كما مر للترجي .

(٣) راجع ج ٩ ص ٣٧١ فافهم .

الرابعة - مع أن المساجد لا يذكر فيها إلا الله فإنه يجوز التسمية فيها لا موال .  
 ويجوز وضع الصدقات فيها على رسم الاشتراك بين المساكين وكل من جاء أكل . ويجوز  
 حبس الغريم فيها ، ووريط الأسير والنوم فيها ، وسكنى المريض فيها ، وفتح الباب ليجار إليها ،  
 وإنشاد الشعر فيها إذا عرى عن الباطل . وقد مضى هذا كله مبدئاً في سورة « براءة » .  
 « والنور » <sup>(٢)</sup> وغيرهما .

الخامسة - قوله تعالى : ( فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ) هذا توبيخ للشركين في دعائهم  
 مع الله فيه في المسجد الحرام . وقال مجاهد : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم  
 ويصيحون أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد كلها .  
 يقول : فلا أشركوا فيها صنفاً وبقية مما يعبد . وقيل : المعنى أفردوا المساجد لذكر الله ،  
 ولا تغضوها هنوا ومتجرأ وجلساء ، ولا طرقات ولا تجملوا لتبر الله فيها نصيباً ، وفي الصحيح :  
 « من تشد ضالة في المسجد تقولوا لا ردها الله عليك لأن المساجد لم تُبَن لهذا » وقد مضى  
 في سورة « النور » ما فيه كفاية من أحكام المساجد والحمد لله .

السادسة - روى الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : كان إذا  
 دخل المسجد قدم رجله اليمنى . وقال : « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » اللهم  
 أنا عبدك ووزارك وعلى كل منور حق وأنت خير منور فأمالك برحمتك أن تفك رقبتى من النار  
 فإذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى ؛ وقال : « اللَّهُمَّ صُبَّ عَلَى الْغُلَامِ صَبًّا وَلَا تَقْرَعْ عَنِي  
 صَاحٌ مَا أَصْطَلِقِي أَبَدًا وَلَا تَجْمَلْ مَعِيشَتِي كَمَا وَأَجْمَلْ لِي فِي الْأَرْضِ جَنًّا » أى غنى .

قوله تعالى : وَأَقْرَأْ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ  
 عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿٢٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٧﴾  
 قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ يحوز الفتح أى أوحى الله إليه أنه .  
ويحوز الكسر على الاستئناف . و « عبد الله » هنا عبد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى  
ببطن نخلة وقرأ القرآن ، حسب ما تقدم أول السورة . ﴿ يَدْعُوهُ ﴾ أى يعبده . وقال  
أبن جريج : « يَدْعُوهُ » أى قام إليهم داعيا إلى الله تعالى . ﴿ كَانُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾  
قال الزبير بن العوام : هم الجن حين استموا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم . أى كاد  
يركب بعضهم بعضا أزدحاما ويسقطون حرصا على سماع القرآن . وقيل : كادوا يركبونه  
حرصا ؛ قاله الضحاك . أبن عباس : رغبة في سماع الذكر . وروى بُرْد عن مكحول : إن  
الجن يابعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة وكانوا سبعين ألفا ، وقرعوا من  
بيته عند أنشعاق الفجر . وعن أبن عباس أيضا : إن هذا من قول الجن لَمَّا رجعوا إلى  
قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعهم به في الركوع  
والسجود . وقيل : المعنى كاد المشركون يركب بعضهم بعضا حرصا على النبي صلى الله عليه  
وسلم . وقال الحسن وقتادة وأبن زيد : معنى « لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ » عهد بالدعوة تَبَيَّنَتْ  
الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه وأبى الله إلا أن ينصره ويتم نوره . وأخبار النبى  
أن يكون المعنى : كادت العرب يجمعون على النبي صلى الله عليه وسلم ويتظاهرون على  
إطفاء النور الذى جاء به . وقال مجاهد : قوله « لِبَدًا » جماعات وهو من لبَد الشيء على  
الشيء أى جمع ، ومنه اللبد الذى يفرش لثراكم صوفه ، وكل شيء ألصقته الصفا شديدا  
فقد لبده ، وجمع اللبدة لَبَد مثل قربة وقرب . ويقال للشعر الذى على ظهر الأسد لبدة  
ويجمعها لِبَد ؛ قال زهير :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِيَ السَّلَاحِ مُقَدِّفٌ = لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُحْلَمِ

ويقال للجراد الكتير لبدة . وفيه أربع لغات وقراءات ؛ فتح الباء وكسر اللام ، وهى قراءة  
العامة . وضم اللام وفتح الباء ، وهى قراءة مجاهد وأبن عيسى وعشام عن أهل الشام واحتجتها  
بُشْدَة . وضم اللام والباء ، وهى قراءة أبى حنيفة ومحمد بن السَّمِيعِ وأبى الأشهب السَّمِيلِ

البحدري واحدها ليد مثل سقيف وسقيف ورهن ورهن . وبضم اللام وشد الباء وفتحها .  
وهي فراهة الحسن وأبي العالية والأعرج والبحدري أيضا واحدها لايد مثل رابع ورثم  
وسايد ويثجد . وقيل : اللبد بضم اللام وفتح الباء الشئ الباثم ؛ ومنه قيل لنسر لقمان لبد  
لنوامه وبقاته ؛ قال النابغة :

• أَخْنَىٰ عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَىٰ عَلَىٰ لَيْدٍ •

التشيري : وقرئ «لبد» بضم اللام والباء وهو جمع ليد وهو الجوالق الصغير . وفي الصحاح :  
[ وقوله تعالى ] « أَهْلَكْتُ مَالًا لَّيْسًا » أي جمًّا . ويقال أيضا : الناس لبد أي مجتمعون ،  
واللبد أيضا الذي لا يسافر ولا يرجع [ مثله ] . قال الشاعر :

مِنْ أَمْرِئِي ذِي تَمَلَّحٍ لَا تَزَالُ لَهُ • بَزْلَاءُ يَمَاسِيهَا الْجَنَازَةُ اللَّيْسُ

ويروى اللبد . قال أبو عبيد : وهو أشبه . وللبلاء ذوالرأى الجليد وفلان نهاض بيزلاء إذا كان  
من يقوم بالأمور العظام ؛ قال الشاعر :

إِنِّي إِذَا شَقَلْتُ قَوْمًا فُرُوجُهُمْ • رَحِبُ الْمَسَالِكِ نَهَاضٌ بِبَزْلَاءِ

ولبد أترسور لقمان وهو ينصرف ؛ لأنه ليس بمعدول . وزعم العرب أن لقمان هو الذي  
بعثته عاد في وفدتها إلى الحرم يستسق لها ، فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بهرات<sup>(١)</sup>  
سمر من أظلم غفر في جبل وغير لا يمسها القطر أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك أنسر خلف  
بعده أنسر فأختار النسور ، وكان أترسوره يسمى ليدا ، وقد ذكرته الشعراء ؛ قال النابغة :

أَخْنَتْ خِلَاءَ وَأَمْسَىٰ أَهْلُهَا أَحْتَمَلُوا • أَخْنَىٰ عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَىٰ عَلَىٰ لَيْدٍ

والليد الجوالق الصغير ؛ يقال : البلد القربة جعلتها في ليد . وليد أمم شاعر من بني عامر .  
قوله تعالى : ( قَالَ إِنَّمَا أَذْعُ رَبِّي ) أي قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا أَذْعُ رَبِّي » .

( وَلَا أَشِيرُكَ بِهِ أَحَدًا ) وكذا قرأ أكثر القراء « قَالَ » على الخبر . وقرأ حمزة وطاحم « قُلْ » على

(١) الزيادة من المسان مادة « ليد » . (٢) هو الراعي ؛ وللبلاء أيضا الحاجة التي أحكم أمرها ،  
والجنابة التي لا يرجع من عملها وبهذه . (٣) قال شارح القاموس : هو بالعين المهملة ، ويوجد في بعض نسخ  
الصحاح « بهرات » بالفتح والياء في نسخ القاموس هو الأنثى إذا لا تنزل البقر من القنابل .

الأمر . وسبب نزولها أن كفار قريش قالوا له : إنك جئت بأمر عظيم وقد ماديت الناس كلهم فأرجع عن هذا فنعن نجبرك فقلت .

قوله تعالى : ( قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ) أى لا أقدر أن ادفع عنكم ضرا ولا أسوق لكم خيرا . وقيل : « لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا » أى كفرا « وَلَا رَشَدًا » أى هدى أى إنما على التبليغ . وقيل : الضر العذاب والرشد النعم . وهو الأول بعبته . وقيل : الضر الموت والرشد الحياة .

قوله تعالى : قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿١٦﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿١٧﴾ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْخَرُونَ مِنْ أُضْعَفٍ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿١٨﴾ قُلْ إِنْ أَذْرَى أَقْرَبَ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ( قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ ) أى لا يدفع عنه أحد إن استخففته ؛ وهذا لأنهم قالوا أترك ما تدينوا إليه ونحن نجبرك . وروى أبو الجوزاء عن ابن مسعود قال : أنطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجفن حتى أتى الجحون فلفظ على خطأ ، ثم تقدم إليهم فأزدهموا عليه فقال سيدلم يقال له وزدان : أنا أزجلهم منك ؛ فقال : « إني لن يجيرني من الله أحد » ذكره الماوردي . قال : ويحتمل معنيين أحدهما لن يجيرني مع إجابة الله لى أحد . الثانى لن يجيرني مما قدره الله تعالى على أحد . ( وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ) أى ملجأ ألبا إليه ؛ قاله قتادة . وعنه : نصيرا ومولى . السدى : حرزا . الكلبي : مدخلا فى الأرض مثل السرب . وقيل : وليا ولا مولى . وقيل : منجيا ولا مسلكا . حكاه ابن شبرة والمفسى واحد ؛ ومنه قول الشاعر :

( ١ ) أنزلهم أى أحضهم وفى نسخة أنزلهم بألف أى أنضمهم .

بِالْمَقْصُودِ وَتَقْبَلُ غَيْرُ عَجَلِيَّةٍ \* عَنِّي وَمَا مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ مُتَعَدِّ

(إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالًا) فَإِنَّ فِيهِ الْإِيمَانَ وَالنَّجَاةَ ، قَالَ الْحَسَنُ . وَقَالَ ثَنَادٌ : « إِنْ بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ » فَذَلِكَ الَّذِي أَمْلَكَهُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ ، فَأَمَّا الْكُفْرُ وَالْإِيمَانُ فَلَا أَمْلَكُهُمَا ، فَهَذَا يَكُونُ مَرْدُودًا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا » أَيْ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ إِلَّا أَنْ أَمْلِكُكُمْ . وَقِيلَ هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ مِنْ قَوْلِهِ : « لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا » أَيْ إِلَّا أَنْ أَمْلِكُكُمْ أَيْ لَكِنْ أَمْلِكُكُمْ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ ، قَالَ الْفَرَاءُ . وَقَالَ الزَّجَّاجُ : هُوَ مُنْصَوِّبٌ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ قَوْلِهِ : « مُتَعَدِّ » أَيْ « وَلَنْ أَجِدَ مِنْ تَوْبِهِ مُتَعَدِّ » إِلَّا أَنْ أَلِغَ مَا يَأْتِيهِ مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ ، أَيْ وَمِنْ رِسَالَتِهِ الَّتِي أَمْرُنِي بِقَبْلَتِهَا . أَوْ إِلَّا أَنْ أَلِغَ عَنْ اللَّهِ وَأَعْمَلَ بِرِسَالَتِهِ فَتَأْخُذُ نَفْسِي بِمَا أَمَرَ بِهِ غَيْرِي . وَقِيلَ هُوَ مُصَدِّرُ « لَا » بِمَعْنَى لَمْ وَ « إِنَّ » لِلشَّرْطِ وَالْمَعْنَى لَنْ أَجِدَ مِنْ تَوْبِهِ مُتَعَدِّ أَيْ إِنَّ لَمْ أَلِغْ رِسَالَاتِ رَبِّي بَلَاغًا .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ) فِي التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ . ( فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ) كَسَرَتْ إِنْ ، لِأَنَّ مَا يَبْدُو فَاهُ الْجُزْءُ مَوْضِعَ ابْتِدَاءٍ وَقَدْ تَقَسَّمَ . ( خَالِدِينَ فِيهَا ) نَصَبَ عَلَى الْحَالِ ، وَجَمْعُ « خَالِدِينَ » لِأَنَّ الْمَعْنَى لِكُلِّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَوَسَدَ أَوَّلًا لِلْفِعْلِ « مِنْ » ثُمَّ جَمَعَ لِلنَّاسِ . وَقَوْلُهُ ( أَبَدًا ) دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَصِيَّانَ هُنَا هُوَ الشَّرْكُ . وَقِيلَ : هُوَ الْمَعَاصِي غَيْرُ الشَّرْكِ ، وَيَكُونُ مَعْنَى « خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » إِلَّا أَنْ أَصْفَوْا وَتَطَهَّرُوا شَفَاعَةً وَلَا عَمَالَةً إِذَا خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِيمَانِ يَلْحَقُهُمُ النَّفْعُ . وَقَدْ مَضَى هَذَا الْمَعْنَى مِثْلًا فِي سُورَةِ « النَّسَاءِ » وَغَيْرِهَا .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ) « حَتَّىٰ » هُنَا مُبْتَدَأٌ أَيْ « حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ » مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ أَوْ مَا يُوعَدُونَ مِنَ عَذَابِ الدُّنْيَا ، وَهُوَ الْقَتْلُ بِسِلَاحٍ ( قَسِيحِينَ ) حَيْثُ ( مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا ) أَهْمُ أَمِ الْمُؤْمِنُونَ . ( وَأَقْلَ عِدَدًا )

مُطَوِّفٌ .

قوله تعالى : ( قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ ) بنى قيام الساعة . وقيل : مذاب  
الغيا أي لا أدري فـ«إن» بمعنى «ما» أو «لا» أي لا يعرف وقت نزول العذاب ووقت قيام  
الساعة إلا الله ، فهو غيب لا أعلم منه إلا ما يعرفه الله . و«ما» في قوله «مَا تُوْعَدُونَ»  
يعوز أن تكون بمعنى الذى ويقدر حرف العائد . ( أَمْ يَحْسِلُ لَهُ رَبِّي أَمْنًا ) أى غاية وأجلا .  
وقرأ العامة بإسكان الياء من ربى . وقرأ الحرميان وأبو عمرو بالفتح .

قوله تعالى : عَلَّمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿١٦﴾ إِلَّا مَنِ  
أَرَادْنَاهُ مِنْ رَسُولٍ فَلَمْ نُؤْتِرْ سُلْطَانًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿١٧﴾  
فيه مستطاب :

الأولى — قوله تعالى : ( عَلَّمُ الْغَيْبِ ) « عالم » رفعا معنا لقوله « رَبِّي » . وقيل :  
أى هو « عالم الغيب » والغيب ما غاب عن العباد . وقد تقدم بيانه في أول سورة « البقرة »  
( فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ أَرَادْنَاهُ مِنْ رَسُولٍ ) لأنه يظهره على ما يشاء من غيبه ؛  
لأن الرسل يؤيدون بالمعجزات ، ومنها الإخبار عن بعض الغائبات ؛ وفى التنزيل « وَأَنْبِئْكُمْ  
بِمَا تَكُونُونَ وَمَا تَقْدِرُونَ فِي يَوْمَيْكُمْ » . وقال ابن جبير : « إِلَّا مَنِ أَرَادْنَاهُ مِنْ رَسُولٍ » هو  
جبريل عليه السلام . وفيه جدد والأولى أن يكون المعنى ؛ أى لا يظهره على غيبه إلا من أَرَادْنَاهُ  
أى أصعقنا للتبوة لأنه يعلمه على ما يشاء من غيبه ؛ ليكون ذلك دالا على نبوته .

الثانية — قال العلماء رحمة الله عليهم : لما تمتح سبحانه بعلوم الغيب وأستأثر به دون خلقه ،  
كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ، ثم استثنى من أَرَادْنَاهُ من الرسل ، فأودعهم  
ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم ، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم . وليس  
المتعم ومن ضابهاه ممن يضرب بالحصى وينظر فى الكتب ويزهر بالطير عن أَرَادْنَاهُ من

(١) جامع ١ ج ١ ص ١٦٢ لما يبدأ طبعه ثانية أو الثالثة .

(٢) جامع ٤ ج ١ ص ٩٠

رسول يظلمه على ما يشاء من غيبه ، بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخينه وكذبه . قال بعض العلماء : وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان على اختلاف أحوالهم ، وتباين رتبهم ، فيهم الملك والسوقة ، والعالم والجاهل ، والفقير والغني ، والكبير والصغير ، مع اختلاف طوائفهم ، وتباين مواليدهم ، ودرجات نجومهم ، فمهمهم حكم الفرق في ساعة واحدة ؟ فإن قال المنجم قبحه الله : إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه ، فيكون على مقتضى ذلك أن هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوائف كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم ، وما يقتضيه طالعهم المخصوص به فلا فائدة أبدا في عمل المواليد ، ولا دلالة فيها على شئ ولا سعيد ، ولم يبق إلا مائدة القرآن العظيم . وفيه استمالة دمه على هذا التنجيم ، ولقد أحسن الشاعر حيث قال :

حَكَمَ الْمُنْجِمُ أَنَّ طَالَعَ مَوْلَايَ • يَقْضِي عَلَى بَيْتِي النَّسْرَ  
قُلْ لِلْمُنْجِمِ صَبِيحَةُ الطُّلُوفَانِ هَلْ • وَلَيْدَ الْجَيْشِ بِكُتُبِ النَّسْرِ

وقيل لأمر المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه لما أراد لقاء الخوارج : ألقاهم والقمر في القرب ؟ فقال رضى الله عنه : فأين قرهم ؟ وكان ذلك في آخر الشهر . فأنظر إلى هذه الكلمة التي أجاب بها ، وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم ، والإلزام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم . وقال له مسافر بن عوف : يا أمير المؤمنين ! لا تيسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار . فقال له على رضى الله عنه : ولم ؟ قال : إنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد ، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبحت ما طلبت . فقال على رضى الله عنه : ما كان لحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بده — في كلام طويل يحجج فيه بآيات من التنزيل — فمن صدقت في هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن أخذ من دون الله نذا أَوْضَحًا ، اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك . ثم قال لتكلم : تكلمك وبخالفك ونسبر في الساعة التي تهاونا عنها . ثم أقبل على الناس فقال : يا أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهنتون

به في ظلمات البر والبحر ؛ وإنما المنجم كالساحر والساحر كالكاثر والكافر في النار ، والله  
 أثنى بلفني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأغلبك في الخس ما بقيت وبقيت ، ولأحرمتك  
 المعطاء ما كان لي سلطان . ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها ، ولقي القوم ففعلهم وهي وقعة  
 النهروان الثابتة في الصحيح لمسلم . ثم قال : لو سرفنا في الساعة التي أمرنا بها وظفرفنا وظهرفنا  
 لقال قال سار في الساعة التي أمر بها المنجم ، ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم  
 ولا لنا من بعده ، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان — ثم قال : يا أيها الناس !  
 توكلوا على الله ويحقوا به ، فإنه يكنى عن سواء . ( فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا )  
 يعني ملائكة يحفظونه عن أن يقرب منه شيطان ، فيحفظ الوحي من استراق الشياطين  
 والإلقاء إلى الكهنة . قال الضحاك : ما بعث الله نبيًا إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين  
 عن أن يتشبهوا بصورة الملك ، فإذا جاءه شيطان في صورة الملك قالوا : هذا شيطان فأحذروه .  
 وإن جاءه الملك قالوا : هذا رسول ربك . وقال ابن عباس وابن زيد : « رَصَدًا » أي  
 حفظة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من أمامه وورائه من الجن والشياطين . قال قتادة  
 وسعيد بن المسيب : هم أربعة من الملائكة حفظة . وقال القراء : المراد جبريل ، كان  
 إذا نزل بالرسالة نزلت معه ملائكة يحفظونه من أن تستمع الجن الوحي فيلقوه إلى كهنتهم  
 فيسبقوا به الرسول . وقال السدي : « رَصَدًا » أي حفظة يحفظون الوحي ، فما جاء من  
 عند الله قالوا إنه من عند الله ، وما ألقاه الشيطان قالوا إنه من الشيطان . و « رَصَدًا »  
 نصب على المفعول . وفي الصباح : والرَّصَد القوم يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد  
 والجمع والمذكر والمؤنث وربما قالوا أرصادا والرَّاصِد الشيء الراقب له ، يقال : رَصَدَهُ يرصده  
 رَصَدًا ورَصَدًا . والرَّصَد الترقب والمُرَصِد موضع الرصد .

(١) هذا الكلام يناق قوله صلى الله عليه وسلم : "إن الله قد عصى من الإنس والجن" (الحديث ج ٦ ص ٢٤٤)  
 وأن الشياطين لا يمكن أن يتلوا ما عليه السلام ، فكيف يلقون إليه حتى لا يفرق بين ما يقترعون الوحي إلى أن  
 يتبعه له الملائكة .

قوله تعالى : لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَتَلَفُوا رَسَلَتِي رَزِيمًا وَأَحَاطَ بِمَا لَتَيْهِمْ  
وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٧٨﴾

قوله تعالى : ( لِيَعْلَمَ ) قال قتادة ومقاتل : أى يعلم عهد أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة . وفيه حذف يتعلق به اللام ؛ أى أخبرناه بحفظنا الوحي يعلم أن الرسل قبله كانوا على مثل حاله من التبليغ بالحق والصدق . وقيل : يعلم عهد أن قد أبلغ جبريل ومن معه إليه رسالة ربه ؛ قاله ابن جبير . قال : ولم يزل الوحي إلا ومعه أربعة حفظة من الملائكة عليهم السلام . وقيل : يعلم الرسل أن الملائكة بلغوا رسالات ربهم . وقيل : يعلم الرسول أى رسول كان أن الرسل سواه بلغوا . وقيل : أى يعلم إبليس أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم سليمة من تخطيطه وأسراق أصعابه . وقال ابن قتيبة : أى يعلم الحق أن الرسل قد بلغوا ما أنزل عليهم ولم يكونوا هم المبينين بأسراق السمع عليهم . وقال مجاهد : يعلم من كتب الرسل أن المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم . وقراءة الجماعة « لِيَعْلَمَ » بفتح الياء وتأويله ما ذكرناه . وقرأ ابن عباس ومجاهد وحيد ويقوب بضم الياء أى يُعْلِمُ النَّاسَ أَنَّ الرسل قد أبلغوا . وقال الزجاج : أى يعلم الله أن رسله قد أبلغوا رسالاته بفتح الياء ؛ كقوله تعالى : « وَلَمَّا بَسَّلَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ » المعنى ؛ يعلم الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيا . ( وَأَحَاطَ بِمَا لَتَيْهِمْ ) أى أحاط علمه بما عندهم ؛ أى بما عند الرسل وما عند الملائكة . وقال ابن جبير : المعنى ؛ يعلم الرسل أن ربهم قد أحاط علمه بما لديهم فيبلغوا رسالاته . ( وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ) أى أحاط بعداد كل شيء ومعرفة علمه فلم يخف عليه منه شيء . و« عددًا » نصب على الحال ؛ أى أحصى كل شيء في حال العدد ، وإن شئت على المصدر ؛ أى أحصى وعد كل شيء عددًا ؛ فيكون مصدر الفعل المحذوف . فهو سبحانه المحصى المحيط العالم الحافظ لكل شيء . وقد بينا جميعه في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى . والحمد لله وحده .

## سورة المزمل

وهي سبع وعشرون آية مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر .  
وقال ابن عباس وقتادة : إلا آيتين منها « وَأَصْبِرْ هَلْ مَا يَقُولُونَ » والتي تليها ؛ ذكره  
الماوردي . وقال الطبري : قوله تعالى « لَاتَرْبِكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى » إلى آخر السورة  
فإنه نزل بالمدينة .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴿١﴾ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ  
أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْفُرْقَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾  
فيه ثمان مسائل :

الأول — قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ) قال الأخفش سعيد : « المزمل » أصله  
المتزمل فادغمت التاء في الزاى وكذلك « المذتر » . وقرأ أبو بن كعب على الأصل « المتزمل »  
و « المذتر » . وسعيد « المزمل » . وفي أصل « المزمل » قولان : أحدهما أنه المتحمل ؛  
يقال : زَمَلْتُ الشيءَ إذا حملته ، ومنه الزاملة ؛ لأنها تحمل القماش <sup>(١)</sup> . الثاني أن المزمل هو  
المتلفف ؛ يقال : تَزَمَلْتُ وتَذَرْتُ بثوبه إذا تغطى وزَمَلْتُ غيره إذا غطاه ، وكل شيء لُفِّفَ فقد  
زَمِلَ وَذَرَّتْ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

كَيْفَ أَنَا فِي مَجَادِ مُزْمِلٍ <sup>(٢)</sup>

(١) لعل هذا ما أراده بعض القسرين بقولهم : قرأ بعض السلف « المزمل » بفتح الزاى وتخفيفها وفتح الميم .

ونحوها . (٢) قاتل البيت منه .

(٣) مذهب البيت . • كان أباه في آيتين ودعه •

الثانية — قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ » هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة أقوال : الأول قول عكرمة « يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ » بالنبوة والمترم للرسالة . وعنه أيضا : يا أيها الذي زُمِلَ هذا الأمر أي حُمِلَ ثم قرأ ؛ وكان يقرأ « يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ » بتخفيف الزاي وفتح الميم وتشديد باءه على حذف المفعول ، وكذلك « الْمُدْتَرُ » والمعنى المزمل نفسه والمُدْتَرُ نفسه ، أو الذي زَمَلَهُ غيره . الثاني « يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ » بالقرآن ، قاله ابن عباس . الثالث المزمل بئبائه ، قاله قتادة وغيره . قال النخعي : كان متزمتا بقطيفة . حائسة : يمرط طولها أربعة عشر ذراعا ، نصفه على وأنا نائمة ، ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصل ، واقع ما كان حرا ولا قزا ولا مبرحزا ولا إبريسيا ولا صوفا ؛ كان سدا شعرا ولحمته وبرأ ذكره التعلي .

قلت : وهذا القول من حائسة يدل على أن السورة مدنية ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بها إلا في المدينة . وما ذكر من أنها مكية لا يصح . والله أعلم . وقال الضحاك : زميل بعبابه لمنامه . وقيل : بلغه من المشركين سوء قول فيه ، فأشد عليه قتريل في ثيابه وتقدرتزلت : « يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ » و « يَا أَيُّهَا الْمُدْتَرُ » . وقيل : كان هذا في ابتداء ما أوحى إليه ، فإنه لما سمع قول الملك ونظر إليه أخذته الرعدة فألقى أهله فقال : « زغلوني دثروني » روى معناه عن ابن عباس . وقالت الحكيمة : إنما خاطبه بالمزمل والمُدْتَرُ أو أول الأمر ؛ لأنه لم يكن بعد أكثر شيئا من تبليغ الرسالة . قال ابن السري : وأختلف في تاويل « يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ » ففهم من حمله على حقيقته ، قيل له : يا من تنفخ في ثيابه أو قطيعته قم ؛ قاله إراهم وقتادة . ومنهم من حمله على المجاز كأنه قيل له : يا من تزل بالنبوة ؛ قاله عكرمة . وإنما يسوغ هذا التفسير لو كانت الميم مفتوحة مشددة بصيغة المفعول الذي لم يسم فاعله ، وأما وهو بلفظ الفاعل فهو باطل .

قلت : وقد بينا أنها على حذف المفعول ، وقد قرئ بها فهي صحيحة المعنى . قال : وأما من قال إنه زمل القرآن فهو صحيح في المجاز لكنه قد قدمنا أنه لا يحتاج إليه .

(١) المرعئ . بكسر الميم والسين : الرعب الذي تحت شمر السهم .

الثالثة — قال السبيل : ليس المزمل بأسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يعرف به كما ذهب إليه بعض الناس وعثوه في أسمائه ، وإنما المزمل أسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب ، وكذلك المدثر . وفي خطابه بهذا الأسم فائدتان : إحداهما الملاحظة فإذ العرب إذا قصدت ملاحظة المخاطب وترك المعاتب سموه بأسم مشتق من حالته التي هو عليها ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعل حين غضب فاطمة رضى الله عنها ، فأتاه وهو نائم وقد لمص يمينه التراب فقال له : « قم يا أبا تراب » إشعاراً له أنه غير مهاب عليه وملاحظة له . وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة : « قم يا نومان » وكان تأملاً لملاحظة له وإشعاراً بترك التنبؤ والتأنيب . فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : « يا أيها المزمل . قم » فيه تأنيص وملاحظة ، ليستشعر أنه غير مهاب عليه . والفائدة الثانية التنبيه لكل متأمل واقعده ليلته لينتبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه ، لأن الأسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل وأنصف بتلك الصفة .

الرابعة — قوله تعالى : ( قُمِ اللَّيْلُ ) قراءة العامة بكسر الميم لانتفاء الساكنين . وقرا أبو السَّيَّال بضم الميم إتباعاً لضمة الفاف . وحكى النسخ لنفسه . قال مثان بن جنى . الفرض بهذه الحركة التبليغ بها هرباً من انتفاء الساكنين ، فبأى حركة تحركت فقد وقع الفرض . وهو من الأعمال المتاصرة غير المتعمدة إلى مفعول ، فأما ظرف الزمان والمكان فساغ فيه إلا أن ظرف المكان لا يتعمد إلى إلا بواسطة ، لا تقول : قلت الفار حتى تقول قلت وسط الفار وخارج الدار . وقد قيل : إن « قم » هنا متباد صلب ، عبر به عنه وأستعير له حتى صار حرفاً بكثرة الاستعمال .

الخامسة — « اللَّيْلُ » حدّ الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر . وقد تسمّى بيانه في سورة « البقرة » وأختلف هل كان قيامه فرضاً وحتماً ، أو كان ندباً وحضاً ، والدلائل تقوى أن قيامه كان حتماً وفرضاً ، وذلك أن الندب والحض لا يقع على بعض الليل

دون بعض ؛ لأن قيامه ليس مخصوصا به وقتا دون وقت . وأيضا فقد جاء التوقيت بذلك عن عائشة وغيرها على ما يأتي . وأختلف أيضا هل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده ، أو عليه وعلى من كان قبله من الأنبياء ، أو عليه وعلى أمته ؛ ثلاثة أقوال : الأول قول سعيد بن جبير لوجه الخطاب إليه خاصة . الثاني قول ابن عباس ، قال : كان قيام الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الأنبياء قبله . الثالث قول عائشة وابن عباس أيضا وهو الصحيح ، كما في صحيح مسلم عن زرارة بن أوفى أن سعد بن هشام بن حمار أراد أن يترؤف في سبيل الله ؛ الحديث . وفيه قلت لعائشة : أنبئني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : ألسنتي تقرا « يَا أَيُّهَا الْمَوْمِلُ » قلت : بلى ! قالت : فإن الله عز وجل أقترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا ، وأسك الله عز وجل خاتمها حتى عثر شمرا في السماء ، حتى أنزل الله عز وجل في آخر هذه السورة التخفيف ، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة . وذكر وكيع ويحيى قالوا : حدثنا يسعر عن سماك الحنظلي قال : سمعت ابن عباس يقول لما أنزل أول « يَا أَيُّهَا الْمَوْمِلُ » كانوا يقومون نحووا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها ، وكان بين أولها وآخرها نحو من سنة . وقال سعيد بن جبير : مكث النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزل بعد عشر سنين « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِّ اللَّيْلِ » تخفف الله عنهم .

السادسة - قوله تعالى : (إِلَّا قَلِيلًا) استثناء من الليل ، أي صلى الليل كله إلا يسيرا منه ؛ لأن قيام جميعه على الدوام غير ممكن ، فاستثنى منه القليل لراحة الجسد . والتفصيل من الشيء ما دون النصف ؛ فحكى عن وهب بن منبه أنه قال : القليل ما دون المعشار والسدس . وقال الكلبي ومقاتل : الثلث . ثم قال تعالى : (نِصْفُهُ أَوْ تَقْصُ مِنْهُ قَلِيلًا) فكان ذلك تخفيفا إذ لم يكن زمان القيام محذورا ، فقام الناس حتى ورمت أقدامهم ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : « وَلَمْ أَنْ تَنْتَحِصُوا » . وقال الأخفش : « نِصْفُهُ » أي أو نصفه ؛ يقال : أعطه درهما بدرهمين ثلاثي يريد أو درهمين أو ثلاثة . وقال الزجاج : « نِصْفُهُ » بدل من الليل

ر « إِلَّا قَلِيلًا » استثناء من النصف . والضمير في « منه » و « عليه » للنصف . المعنى :  
 قم نصف الليل أو أقص من النصف قليلا إلى الثلث أو زد عليه قليلا إلى الثلثين ، فكانه  
 قال : ثم ثلث الليل أو نصفه أو ثلثه . وقيل : إن « نصفه » بدل من قوله « قليلا » وكان  
 مخبرا بين ثلاث : بين قيام النصف بتمامه ، وبين الناقص منه ، وبين قيام الزائد عليه ، كأن  
 تقدير الكلام : قم الليل إلا نصفه ، أو أقل من نصفه ، أو أكثر من نصفه . وفي صحيح مسلم  
 عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : <sup>٢٠</sup> « ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا  
 كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب  
 له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفري فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء  
 الفجر » ونحوه عن أبي هريرة وأبي سعيد جميعا وهو يدل على تزييف قيام ثلث الليل .  
 وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>٢١</sup> « إذا مضى شطر  
 الليل - أو ثلثه - ينزل الله » الحديث . ورواه من طريقين عن أبي هريرة هكذا في الشك .  
 وقد جاء في تخاب السائل عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم : <sup>٢٢</sup> « إن الله عز وجل يهمل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر ناديا  
 يقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى » صححه أبو محمد  
 عبد الحق فيين هذا الحديث مع صحته معنى التزول ، وأن ذلك يكون عند نصف الليل .  
 ونرجح أن ما جاء من حديث ابن شهاب ، عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأعمش ، عن أبي هريرة  
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : <sup>٢٣</sup> « ينزل ربنا تبارك وتعالى حين يبقى ثلث الليل الآخر  
 كل ليلة فيقول من يسألني فأعطيه من يدعوني فأستجيب له من يستغفري فأغفر له حتى  
 يطلع الفجر » فكانوا يستجيبون صلاة آخر الليل على أذنه . قال صاحبنا : وهذا الترتيب  
 أنظم الحديث والقرآن فإنهما يصيران من مشكاة واحدة . وفي الموطأ وغيره من حديث  
 ابن عباس : بث عند خاتمي سمعته حتى إذا أتت نصف الليل أو قبله قليل أو بعده قليل  
 استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام إلى شئ معلق فتوضأ وضوءا خفيفا ، وذكر الحديث .

السابعة - أخطف العلماء في الناحع للأمر بقيام الليل ؛ فمن أين عباس ومائشة  
 أن الناحع للأمر بقيام الليل قوله تعالى : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ »  
 إلى آخر السورة . وقيل قوله تعالى : « عَلِمَ أَنَّ لَكَ مَحْصُورَهُ » . وعن ابن عباس أيضا :  
 هو منسوخ بقوله تعالى : « عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضَىٰ » . وعن عائشة أيضا والشافعي  
 ومقاتل وابن كيسان : هو منسوخ بالصلوات الخمس . وقيل الناحع لذلك قوله تعالى :  
 « قَاٰقُرْءُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » . قال أبو عبد الرحمن السلمي : لما نزلت « يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِي قَامُوا حَتَّى  
 وَرَيْتَ أَفْعَادَهُمْ وَسُوقَهُمْ » ثم نزل قوله تعالى : « قَاٰقُرْءُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » . قال بعض العلماء :  
 وهو فرض منسوخ به فرض ؛ كان على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لفعله ؛ كما قال تعالى :  
 « وَبَيْنَ الْقَلِيلِ تَهَيَّجُهُ بِهٖ تَاٰفَلَةً لَّكَ » .

قلت : القول الأول يعم جميع هذه الأقوال ، وقد قال تعالى : « وَأَقِمُّوا الصَّلَاةَ »  
 فدخل فيها قول من قال إن الناحع بالصلوات الخمس . وقد ذهب الحسن وأبو سيرين إلى  
 أن صلاة الليل فريضة على كل مسلم ولو على قدر حلب شاة . وعن الحسن أيضا أنه قال  
 في هذه الآية : الحمد لله تطوع بعد الفريضة . وهو الصحيح إن شاء الله تعالى ؛ لما جاء  
 في قيامه من الترغيب والفضل في القرآن والسنة . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت  
 أجعل للنبي صلى الله عليه وسلم حصيرا يصل عليه من الليل ، فسمعت الناس به ، فلما رأى  
 جماعتهم كره ذلك ، وخشى أن يكتب عليهم قيام الليل ، فدخل البيت كالمنضب ، بغسلوا  
 يتصحنون ويتفلون فخرج إليهم فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ أَكْتَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يُطْعِمُونَ فَإِنَّ اللَّهَ  
 لَا يَمْلَأُ مِنَ الثَّوَابِ حَتَّى تَمَلُّوا مِنَ الْعَمَلِ وَإِنْ خَيْرَ الْعَمَلِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ » <sup>(١)</sup> نزلت « يَا أَيُّهَا  
 الْمَرْءُ الَّذِي قَامُوا حَتَّى وَرَيْتَ أَفْعَادَهُمْ وَسُوقَهُمْ » ، فكتب عليهم ، فأنزل بمثله الفريضة حتى إن كان أحدهم ليربط الحبل فيمعلق به ،  
 فكانوا ثمانية أشهر فرحمهم الله وأنزل « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ » فردهم  
 الله إلى الفريضة ، ووضع عنهم قيام الليل إلا ما تطوعوا به .

(١) اكْتَفُوا : هو من كَاتَ الْأَمْرَ إِذَا أَرَادَ بِهِ مَا حَيْثُ .

قلت : حديث عائشة هذا ذكره الثعلبي ، ومعناه ثابت في الصحيح إلى قوله : « وإن قل » وإليه يدل على أن قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ » نزل بمدينة وأنهم مكثوا ثمانية أشهر يقومون . وقد تقدم عنها في صحيح مسلم : حولا . وحكى الماوردي عنها قولاً ثالثاً وهو ستة عشر شهراً لم يذكر غيره عنها . وذكر عن ابن عباس أنه كان بين أول النزول وآخرها ستة ؛ قال : فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان فرضاً عليه ؛ وفي نسخه عنه قولان : أحدهما — أنه كان فرضه عليه إلى أن قبضه الله تعالى . الثاني — أنه نسخ عنه كما نسخ من أمته . وفي مدة فرضه عليه أن نسخ قولان : أحدهما — المدة المفروضة على أمته في التولين الماضيين يريد قول ابن عباس حولا وقول عائشة ستة عشر شهراً . الثاني — أنها عرضت إلى أن تخفف عنه بالنسخ زيادة في التكليف ليميزه بفعل الرسالة ؛ قاله ابن جبير .

قلت : هذا خلاف ما ذكره الثعلبي عن سعيد بن جبير حسب ما تقدم فأنمله . وسيأتي لهذه المسئلة زيادة بيان في آخر السورة إن شاء الله تعالى .

الثامنة — قوله تعالى : ( وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ) أى لا تسجل بقراءة القرآن بل أقرأه في مهل وبيان مع تدبر المعاني . وقال الضحاك : أقرأه حرفاً حرفاً . وقال مجاهد : أحب الناس في القراءة إلى الله أحفظهم عنه . والترتيل التثنيذ والتسقيط وحسن النظام ؛ ومنه قرأ <sup>(١)</sup> رَتِّلَ وَرَتَّلَ بكسر الميم وتثنيذها إذا كان حسن التثنيذ . وقد تقدم بيانه في مقدمة الكتاب . وروى الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرأ آية ويكسى فقال : « ألم تسموا إلى قول الله عز وجل « وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً » هذا الترتيل » . وسمع علقمة رجلاً يقرأ قراءة حسنة فقال : لقد رتل القرآن فداء أبي وأمي . وقال أبو بكر بن طاهر : تدبر في لطائف خطابه ، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه ، وقلبك بفهم معانيه ، وسرك بالإقبال عليه . وروى عبد الله بن عمرو قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة فيوقف في أول درج الجنة ويحال له أقرأ وأرتقي ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن مترلك

(١) راجع ج ١ ص ١٧ طبة ثانية أمر ثالثة .

آية هزؤها " نرجه أبو داود وقد تقدم في أول الكتاب <sup>(١)</sup> . وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمدّ صوته بالقراءة مقلداً .

قوله تعالى : **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ⑤

قوله تعالى : **(إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)** هو متصل بما فرض من قيام الليل أي سئلني عليك باقراض صلاة الليل قولاً ثقيلاً يتقل حمله ؛ لأن الليل للنام ، فمن أمر بقيام أكثره لم يتبأ له ذلك إلا بجهل شديد على النفس ومجاهدة للشيطان ، فهو أمر يتقل على العبد ، وقيل : **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ الْقُرْآنَ** وهو قول ثَقِيل يتقل العمل بشرائه . قال قتادة : ثَقِيل واثق فرائضه وحلوه . مجاهد : حلاله وحرامه . الحسن : العمل به . أبو العالية : ثَقِيلاً بالروم والوعد والحلال والحرام . محمد بن كعب : ثَقِيلاً على المنافقين . وقيل : على الكفار ؛ لما فيه من الاحتجاج عليهم ، والبيان لفضائلهم وسبب لعنتهم ، والكشف عما حربه أهل الكتاب . السدي : ثَقِيل بمعنى كرم ؛ مأخوذ من قولهم : فلان ثَقِيل على أي يكرم على . القزاعي : **«ثَقِيلًا»** رزينا ليس بالخفيف السفساف لأنه كلام ربنا . وقال الحسين بن الفضل : ثَقِيلاً لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ، وقسم منزلة بالتوحيد . وقال ابن زيد : هو واثق ثَقِيل مبارك كما همل في الدنيا يتقل في الميزان يوم القيامة . وقيل **«ثَقِيلًا»** أي ثابثاً ككتوب الثَقِيل في عمله ، ويكون معناه أنه ثابت الإعجاز لا يزول إعجازه أبداً . وقيل : هو القرآن نفسه ؛ كما جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت رحلتها - يعني صدرها - على الأرض لما تستطيع أن تتحرك حتى يُسرَى عنه . وفي الموطأ وضحه أنه عليه السلام سئل كيف يأتيك الوحي ؟ فقال : **«أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»** . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته يتقل عليه الروح في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليغصّ عرقاً . قال ابن العربي : وهذا أولى ؛ لأنه الحقيقة ، وقد جاء

(١) راجع ج ١ ص ٨ طبة ثانية أو ثالثة . (٢) أي الروح .

« وَمَا جَلَّ مَلِكٌ فِي الْقَيْنِ مِنْ حَرَجٍ » وقال عليه السلام : « بُنِيت بِالْحَنِيفَةِ السَّامَةِ »  
 وقيل : القول في هذه السورة هو قول لا إله إلا الله ؛ إذ في الخبر : خفيفة على اللسان ثقيلة  
 في الميزان ؛ ذكره التهذيب .

قوله تعالى : **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝**  
**إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا ۝**  
 فيه خمس مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ** ) قال العلماء : ناشئة الليل أى أوقاته وساعاته  
 لأن أوقاته تنشأ أولاً فالأول ؛ يقال : نشأ الشيء إذا ابتدأ وأقبل شيئاً بعد شيء فهو ناشئ  
 وأنشأ الله فئساً ، ومنه نشأت السحابة إذا بدأت وأنشأها الله ؛ فناشئة فاعلة من نشأت  
 تنشأ فهي ناشئة ، ومنه قوله تعالى : « **أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي اللَّيْلِ وَهْوَ فِي الْخِصَامِ قِيَمِينَ** » والمراد  
 أن ساعات الليل الناشئة ، فأكفى بالوصف عن الأمم فلأنشئت للفظ ساعة ، لأن كل ساعة  
 تحدث . وقيل : الناشئة مصدر بمعنى [ قيام الليل ] كالمخاطبة والكاذبة ؛ أى إن نشأة الليل هى  
 أشد وطأ . وقيل : إن ناشئة الليل قيام الليل . قال ابن مسعود : الحبشة يقولون نشأ  
 أى قام . فلمله أراد أن الكلمة عربية ولكنها شائعة في كلام الحبشة غالباً عليهم ، وإلا فليس  
 في القرآن ما ليس في لغة العرب . وقد تقدم بيان هذا في مقالة الكتاب مستوفى .<sup>(١)</sup>

الثانية — بين تعالى في هذه الآية فضل صلاة الليل على صلاة النهار ، وأن الاستكثار  
 من صلاة الليل بالقرءاءة فيها ما أمكن أعظم للأجر ، وأجلب للثواب .

وأختلف العلماء في المراد بناشئة الليل ؛ فقال ابن عمر وأنس بن مالك : هو ما بين  
 المغرب والشاء ، تسمكاً بأن لفظ نشأ يعطى الابتداء فكان بالأولية أحق ؛ ومنه قول الشاعر :

(١) زيادة تخضيب البارة ؛ وهى كذلك في كتب التفسير .

(٢) راجع ١٧٠ ص ٦٨ فاعلم طبع ثانياً أرفأه .

### ولولا أن يُقال مَبَا تَصَيَّبُ = لَقَلْتُ يَنْفَعِي النَّشْأُ الْمَسْنَأُ

وكان على ابن الحسين يصل بين المغرب والعشاء ويقول: هذا ناشئة الليل. وقال عطاء وعكرمة: إنه بدء الليل. وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: هي الليل كله؛ لأنه ينشأ بعد النهار وهو الذي اختاره مالك بن أنس. قال ابن السري: وهو الذي يعطيه اللفظ وتقتضيه اللغة. وقالت عائشة وابن عباس أيضا ومجاهد: إنما الناشئة القيام بالليل بعد النوم. ومن قام أول الليل قبل النوم لما قام ناشئة. فقال يمان وابن كيسان: هو القيام من آخر الليل. وقال ابن عباس: كانت صلاتهم أول الليل. وذلك أن الإنسان إذا نام لا يدري متى يستيقظ. وفي الصباح: ناشئة الليل أول ساعاته. وقال القتيبي: إنه ساعات الليل؛ لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة. وعن الحسن ومجاهد: هي ما بعد العشاء الآخرة إلى الصبح. وعن الحسن أيضا: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة. ويقال: ما ينشأ في الليل من الطاعات؛ حكاية الجوهري.

الثالثة - قوله تعالى: ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً ﴾ فراء أبو العالبة وأبو عمرو وابن أبي عمير ومجاهد وحيد وابن محيصن وابن عامر والمخيرية وأبو حنيفة «وطأ» بكسر الواو وفتح الطاء والمدة، وأختره أبو حنيد. الباقون «وطأ» بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة، وأختره أبو حاتم؛ من قولك: أشدنت على القوم وطأة سلطانهم. أي ثقل عليهم ما حملهم من المؤن ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم أشدد وطأتك على مقرر» فالمني أنها أثقل على المصل من ساعات النهار. وذلك أن الليل وقت منام وتودع وإجماع، فمن شغله بالمعبادة فقد تحمل المشقة العظيمة. ومن مذ فهو مصدر وأطأت وطاء ومواطأة أي وافقته. ابن زيد: وأطأت على الأمر مواطأة إذا وافقته من الوفاق، وفلان يواطئ اسمه آسمى، وتواطؤوا عليه أي توافقوا؛ فالمني أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان؛ لاختطاط الأصوات والحركات؛ قاله مجاهد وابن أبي مليكة وغيرهما. وقال ابن عباس بمعناه أي يواطئ السمع القلب؛ قال الله تعالى: «لِيُؤْاطُوا عِلَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ» أي ليوافقوا. وقيل: المعنى أشد مهادنة للتصرف في التفكير والتدبر. والوطء خلاف النطاء. وقيل: «أشدُّ وطأً» نسكون الطاء وفتح

الوارى أى أشد نباحاً من النهار ؛ فإن الليل يغلو فيه الإنسان بما يعمله فيكون ذلك أثبت للعمل وأحق لما يلهم ويشتغل القلب . والوطء الثبات تقول : وطئت الأرض بقدى . وقال الأخفش : أشد قياماً . القراء : أثبت قراءة وقياماً . وعنه : « أَشَدُّ وَطْأً » أى أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة ، والليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش ، فعبادته تدوم ولا تنقطع . وقال الكلبي : « أَشَدُّ وَطْأً » أى أشد نشاطاً للصلى ؛ لأنه في زمان راحته . وقال عبادة : « أَشَدُّ وَطْأً » أى نشاطاً للصلى وأخف ، وأثبت للقراءة .

الرابعة — قوله تعالى : ﴿ وَأَقْرَأْ قِيلًا ﴾ أى القراءة بالليل أقوم منها بالنهار ، أى أشد استقامة واستمراراً على الصواب ؛ لأن الأصوات هادئة ، والدنيا ساكنة ، فلا يضطرب على المصلى ما يقرؤه . قال قتادة ومجاهد : أى أصوب للقراءة وأثبت للقول ؛ لأنه زمان التفهم . وقال أبو علي : « أَقْرَأُ قِيلًا » أى أشد استقامة لقراءة الليل بالليل . وقيل : أى أعمل إجابة للدعاء . حكاه ابن خزيمة . وقال عكرمة : عبادة الليل أتم نشاطاً ، وأتم إخلاصاً ، وأكثر بركة . وعن زيد ابن أسلم : أجدر أن يتفقه في القرآن . وعن الأصمش قال : قرأ أنس بن مالك « إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ مِنْ أَشَدِّ وَطْأٍ وَأَصْوَبُ قِيلًا » فقيل له : « وَأَقْرَأُ قِيلًا » فقال : أقوم وأصوب وأهيا سواء . قال أبو بكر الأنباري : وقد ترى ببعض هؤلاء الزائغين إلى أن قال : من قرأ بحرف يوافق معنى حرف من القرآن فهو مصيب إذا لم يخالف معنى ولم يأت بغير ما أراد الله ويقصد له ، وأصبحوا يقول أنس هذا ، وهو قول لا يرجح عليه ولا يلتصق إلى قائله ؛ لأنه لو قرأ بالفاظ تخالف ألفاظ القرآن إذا قاربت معانيها وأشتملت على ما منها يلزم أن يقرأ في موضع « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » الشكر للبارئ ملك المخلوقين ، ويقع الأمر في هذا حتى يبطل لفظ جميع القرآن ، ويكون التالي له مفترى على الله عز وجل ، كاذب على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا حجة لهم في قول ابن مسعود : نزل القرآن على سبعة أحرف ، إنما هو كقول أحدكم : هلم وتعال وأقبل ، لأن هذا الحديث يوجب أن القراءات الماثورة المقولة بالأسانيد

الصالح من النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخطفت ألقاها، وآخفت معانيها، كان ذلك فيها بمثلة اختلاف في علم وتعال وأقبل، فأما ما لم يقرأ به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعهم رضي الله عنهم فإنه من أورد حرفاً منه في القرآن بهت ومال ونرج عن مذهب الصواب . قال أبو بكر: والحديث الذي جعلوه قاعدتهم في هذه الضلالة حديث لا يصح عن أحد من أهل العلم؛ لأنه مبنى على رواية الأعمش عن أنس، فهو مقطوع ليس بمتصل فيؤخذ به من قبل أن الأعمش رأى أنساً ولم يسمع منه .

الخامسة - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا ﴾ قراءة العامة بالخاء غير معجمة أى تصرفاً في حوائجك، وإقبالا وإدباراً ونهجاً ومجيئاً . والسبح الجرى والدهوران، ومنه السابح في المساء؛ لتقلبه يديه ورجليه . وفرس سابح شديد الجرى؛ قال أسد القيس :

سَبَحٌ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَقَى • أَثَرُ النَّبَارِ بِالْكَرِيدِ الْمُرْكَلِ<sup>(١)</sup>

وقيل: السبح الفراغ، أى إن لك فراغاً لحاجات النهار . وقيل: « إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا » أى ثوماً والسبح التمدد؛ ذكره الخليل . وعن ابن عباس وعطاء: « سَبْعًا طَوِيلًا » معنى فراغاً طويلاً لنومك وراحتك، فأجمل ناشئة الليل لمبادتك . وقال الزجاج: إن فاعلك في الليل شيء فلك في النهار فراغ الاستدراك .

وفراً يحيى بن يعمر وأبو وائل « سَبْعًا » بالخاء المعجمة . قال المهدوي: ومعناه النوم؛ روى ذلك عن الثوريين بهذه القراءة . وقيل: مساء الخفة والسعة والاستراحة؛ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد دعت على سارق وداتها: « لَا تُسَيِّخِي عَنْهُ بِمَا لَكَ عَلَيْهِ » أى لا تخففي عنه إثمه؛ قال الشاعر:

(١) سح: مساء حسب الجرى سا . والقرى: الضمير والكلال . والكريد: الموضع الخفيف . والمركل: الذي يركل بالأرجل . ومعنى البيت: إن الخليل السريمة إذا فطرت فأنارت للبار بأرجلها من الصبح جري هذا الفرس جرياً سهلاً كما يسح السحاب المطر .

قَسَّيْخَ مِلْكِ الْمَمِّ وَأَمَلَّ يَأْتَهُ \* إِذَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ شَيْئًا فَكُنَّا

الْأَصْمَى : يقال سَخَّ اللهُ عَنْكَ الْمَيَّ أَيْ خَفَّهَا . وَسَخَّ الْحَيْرُ قُرْخَف . وَالسَّيْخُ  
النَّوْمُ الشَّدِيدُ . وَالسَّيْخُ أَيْضًا تَوْسِيعُ الْقَطَنِ وَالْكَنِّ وَالصَّوْفِ وَتَنْبِيشُهَا ؛ يُقَالُ الرَّاءُ :  
سَجَّيْتُ قَطْلَكَ . وَالسَّيْخُ مِنَ الْقَطَنِ مَا يَسْخُ بِمَدِّ النَّفِّ أَيْ يُنْفِ لِنَفْسِهِ الْمَرَاةَ ، وَالْقَطْمَةُ  
مِنْهُ سَيْخَةٌ ، وَكَذَلِكَ مِنَ الصَّوْفِ وَالْوَبْرِ ، وَيُقَالُ لِقَطْعِ الْقَطَنِ سَبَاخٌ ؛ قَالَ الْأَخْطَلُ يَصِفُ  
النَّصَّاصَ وَالْكَلَّابَ :

فَأَرْسَلُونِي يَلْبِزِينَ التَّنَابَ كَمَا \* يَذِي سَبَاخَ قَطَنِ نَفِّ أَوْبَارِ

وقال سَلَبُ : السَّيْخُ بِالْخَاءِ التَّرْقُدُ وَالْاضْطِرَابُ ؛ وَالسَّيْخُ أَيْضًا السُّكُونُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْيَتَى مِنْ يَتَيْحِ جَهَنَّمَ فَسَجَّوْهَا بِالْمَاءِ » أَيْ سَكَّنُوْهَا ؛ وَقَالَ  
أَبُو عَمْرٍو : السَّيْخُ النَّوْمُ وَالْفِرَاقُ .

قلت : فَمِنْ هَذَا يَكُونُ مِنَ الْأَضْلَالِ ، وَتَكُونُ بِمَعْنَى السَّيْخِ بِالْخَاءِ فِرَاقُ الْمُجَمَّةِ .

قوله تعالى : **وَإِذْ ذُكِّرَ آسَمَ رَبِّكَ وَتَبَيَّنَ لَكَ تَبْيِيلًا** ٨

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : **(وَإِذْ ذُكِّرَ آسَمَ رَبِّكَ)** أَيْ أَدْعَاهُ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى لِيَحْصَلَ لَكَ  
مَعَ الصَّلَاةِ مَجْدُ الْعَاقِبَةِ . وَقِيلَ : أَيْ أَقْصِدْ بِعَمَلِكَ وَجْهَ رَبِّكَ . وَقَالَ سَهْلٌ : أَقْرَأُ بِاسْمِ  
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي أَوَّلِ صَلَاتِكَ تَوْصِيْلَكَ بِرُكْعَةِ قِرَآئَتِهَا إِلَى رَبِّكَ ، وَتَقَطُّعَكَ عَنْ سِوَاهُ .  
وَقِيلَ : إِذْ ذُكِّرَ آسَمَ رَبِّكَ فِي وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ، تَتَوَقَّرُ مِنْ طَاعَتِهِ وَتَمْلِكُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ :  
صَلَّ رَبِّكَ أَيْ بِالْهَارِ .

قلت : وَهَذَا حَسَنٌ فَإِنَّهُ إِذَا ذُكِّرَ اللَّيْلُ ذَكَرَ النَّهَارَ ؛ إِذْ هُوَ قَسِيمُهُ ؛ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :  
« وَهُوَ الَّذِي جَسَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْقَةً لِيَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ » ص ١١ مَا تَقْتَضِي .

الثانية - قوله تعالى: ﴿وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ التبتل الأقطاع إلى عبادة الله من وجل .  
 أى أقطع عبادتك إليه ولا تشرك به غيره . يقال : تبئت الشيء أى قطعته ، ومنه قولهم  
 طلقها بئنة بئلة ، وهذه صدقة بئنة بئلة ، أى بائنة مقطوعة عن صاحبها ، أى قطع ملكه عنها  
 بالكلية ، ومنه مريم التبتل لأقطاعها إلى الله تعالى ، ويقال للراهب متبتل ، لأقطاعه عن  
 الناس وأفراده بالعبادة . قال :

يُضَيُّ الظَّلَامَ بِالْإِشَاءِ كَأَنَّهَُا • مَنَارَةٌ تُنْمِي رَاهِبٍ مُتَبْتِلٍ<sup>(١)</sup>

وفي الحديث النبى من التبتل وهو الأقطاع عن الناس والجماعات . وقيل : إن أصله  
 عند العرب التردد ، قاله ابن عرفة . والأوّل أقوى لما ذكرنا . ويقال : كيف قال  
 « تبتّلا » ولم يقل تبتلا ؟ قيل له : لأن معنى تبتل بئل نفسه ، بجى به حل معناه مراعاة  
 الحق للقواصل .

الثالثة - قد مضى في « المسألة » في تفسير قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
 لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ » [حال الدين في الكراهية]<sup>(٢)</sup> لمن تبتل وأقطع وسلك سبيل  
 الرهبانية بما فيه كفاية . قال ابن العربي : وأما اليوم وقد مرجعت جهود الناس ، وخفت  
 أماناتهم ، وأستولى الحرام على الحطام<sup>(٣)</sup> ، فاللزلة خير من الخلطة ، والعزبة أفضل من  
 التامل ، ولكن معنى الآية : أقطع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله ، وكذلك  
 قال مجاهد : معناه أخلص له العبادة ، ولم يرد التبتل فصار التبتل مأمورا به في القرآن  
 منيا عنه في السنة ، ومتعلق الأمر غير متعلق التبتل فلا ينافيان ، وإنما يستلزم للناس  
 ما تزل إليهم ، فالتبتل المأمور به الأقطاع إلى الله بإخلاص العبادة كما قال تعالى :  
 « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » والتبتل المنهى عنه هو سلوك مسلك النصارى

(١) البيت من حكمة امرئ ههيس وساء : إذا أقبست بالليل وأبئت لتأبها برقا وضوا ، وإذا برزت  
 في الظلام أستاذ وجبها حتى يطلب ظلة الليل . ومعنى راهب أى إسماعيل .

(٢) راجع ج ٦ ص ٢٦١ فابدها . (٣) الزيادة من ابن العربي .

(٤) في نسخة : الحكم .

في ترك النكاح والتزويج في المصامع، لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنا يتبع بها شرف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن .

قوله تعالى : رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿١﴾ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاجْهَرْهُمْ جَهْرًا جَمِيلًا ﴿٢﴾ وَذَرِنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿٣﴾

قوله تعالى : ( رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ) قرأ أهل الحرمين وآبن عجمين ومجاهد وأبو عمرو وآبن أبي إسحق وحفص « رَبِّ » بالرفع على الابتداء والخبر ( لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ) .  
وقيل : حل اضمار « هو » . الباقون « رَبِّ » بالخفض على نعت الرب تعالى في قوله تعالى : « وَادْعُ أَكْثَرَ أَسْمَاءِ رَبِّكَ » « رَبِّ الْمَشْرِقِ » ومن علم أنه رب المشارق والمغرب آقطع بعمله وأمله إليه . ( فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ) أى قائما بأمورك . وقيل : كفيلا بما عندك .

قوله تعالى : ( وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ) أى من الأذى والسب والاضتهاء ، ولا تجزع من قولهم ولا تمتنع من دعائهم . ( وَاجْهَرْهُمْ جَهْرًا جَمِيلًا ) أى لا تتعرض لهم ، ولا تستغل بمكافاتهم ، فإن في ذلك ترك الدماء إلى الله . وكان هذا قبل الأمر بالقتال ، ثم أمر بعد بقتالهم وقتلهم ، فمسخت آية القتال ما كان قبلها من الترك ، قاله قتادة وضريح . وقال أبو الدرداء : إنا لَنَكْثِرُ في وجوه [ أقول ] ونفضحك إليهم وإن قلوبنا لتلطمهم أو لتلطمهم .

قوله تعالى : ( وَذَرِنِي وَالْمُكَذِّبِينَ ) أى أرض بني لمقباسم . تزلت في صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين . وقال مقاتل : تزلت في المطمئنين يوم بدر وهم عشرة . وقد تهاشم ذكهم في « الأفضال » . وقال يحيى بن سلام : إنهم بنو النضير . وقال سعيد بن جبير أخبرت أنهم اثنا عشر رجلا . ( أُولَى النَّعْمَةِ ) أولى النسي والترغ واللذة في الدنيا . ( وَمَهِّلْهُمْ )

قِيلَ) يَتَنى إِلَى مَدَّةِ أَجَالِهِمْ . قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا سَبِيحًا حَتَّى وَقَعَتْ وَقْعَةً بِدَرٍ . وَقِيلَ : « وَهُمْ قَلِيلٌ » يَتَنى إِلَى مَدَّةِ الدُّنْيَا .

قوله تعالى : **إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٧** وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَغِيًّا مِهْبَلًا ۝١٩

قوله تعالى : **(إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا)** الْأَنْكَالُ الْقِيُودُ . عَنْ الْحَسَنِ وَجَاهِدٍ وَغَيْرِهِمَا وَاحِدُهَا يَنْكُلُ وَهُوَ مَا مَنَعَ الْإِنْسَانَ مِنَ الْحَرَكَةِ . وَقِيلَ سُمِّيَ يَنْكَلًا لِأَنَّهُ يَنْكُلُ بِهِ . قَالَ الشَّعْبِيُّ أَتَرُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْأَنْكَالَ فِي أَرْجُلِ أَمَلِ النَّارِ خَشْيَةً أَنْ يَهْرَبُوا ؟ لَا وَاللَّهِ وَلَكِنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَرْفَعُوا اسْتَقَلَّتْ بِهِمْ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : الْأَنْكَالُ الْأَغْلَالُ . وَالْأَوَّلُ أَصْرَفُ فِي الْقِتَّةِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْخَلَسَاءِ :

دَمَاكَ تَقَطَّعَتْ أَنْكَالُهُ . وَقَدْ كُنَّ قَبْلَكَ لَا تُقَطَّعُ

وقيل : إِنَّهُ أَنْوَاعُ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ، قَالَ مَقَاتِلُ . وَقَدْ جَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ النَّكْلَ عَلَى النَّكْلِ » بِالصَّحْرِيِّ ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ . قِيلَ : وَمَا النَّكْلُ ؟ قَالَ : « الرَّجُلُ الْقَوِيُّ الْمُجَرَّبُ عَلَى الْفَرَسِ الْقَوِيِّ الْمُجَرَّبِ » ، ذَكَرَهُ الْمَسَاوِدِيُّ . قَالَ : وَمِنْ ذَلِكَ سُمِّيَ الْقَتِيدُ يَنْكَلًا لِقُوَّتِهِ ، وَكَذَلِكَ الْفُلُّ وَكُلُّ عَذَابٍ قَوِيٍّ فَاشْتَدَّ . وَاجْتَمَعَ النَّارُ الْمُؤْجِمَةُ . **(وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ)** أَيْ غَيْرُ سَائِعٍ ، يَأْخُذُ بِالْحَلْقِ لَا هُوَ نَازِلٌ وَلَا هُوَ خَارِجٌ ، وَهُوَ التَّسْلِيلُ وَالزُّقُومُ وَالضَّرِيعُ ، قَالَ أَبُو عِيَّاسٍ . وَمِنْهُ أَيْضًا : أَنَّهُ شَوْكٌ يَدْخُلُ الْحَلْقَ فَلَا يَتَرَلُّ وَلَا يَخْرُجُ . وَقَالَ الزَّجَّاجُ : أَيْ طَعَامُهُمُ الضَّرِيعُ ، كَمَا قَالَ : « لَيْسَ هَهُنَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ » وَهُوَ شَوْكٌ كَالْمَرْج . وَقَالَ جَاهِدٌ : هُوَ الزُّقُومُ ، كَمَا قَالَ : « إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَنْيَمِ » . وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ وَقَالَ حُرَّانُ بْنُ أَسْتَمٍ : قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا . وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ »

فصمق . وقال خلود بن حسان : أسمى الحسن عندنا صائما ، فأتيته بطعام فمررت  
له هذه الآية « إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا » وَطَعَامًا » فقال : أرفع طعامك . فلما كانت الثانية  
أتيته بطعام فمررت له هذه الآية ، فقال : أرفضه . ومثله في الثالثة ، فَأَنطَلَقَ أَبْنَاهُ إِلَى ثَابِتِ  
الْبَيْتَانِي وَزَيْدِ الضَّمِّي وَيَحْيَى الْبَكَّاءَ لِحَدِيثِهِمْ بِفَاعُوهُ فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى شَرِبَ شَرِبَةً مِنْ سَوِيْقٍ .  
وَالنَّصْبَةُ الشَّجَا وَهُوَ مَا يَنْشَبُ فِي الْحَاقِ مِنْ عَظَمٍ أَوْ فِئْرَةٍ وَجَمْعُهَا غُصَصٌ . وَالْفَصَصُ بِالْفَتْحِ  
مَصْدَرُ قَوْلِكَ : غُصِصْتَ بِأَجَلٍ تَنْصُ فَانْتَ غَاصَ بِالطَّعَامِ وَغَصَبَانِ ، وَأَغْصَصْتَهُ أَنَا ،  
وَالْمَنْزِلُ غَاصٌّ بِالْقَوْمِ أَيْ عَمِلَ بِهِمْ .

قوله تعالى : ( يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ) أى تهزك وتضطرب بمن عليها .  
وأنتصب « يوم » مل الطرف أى ينكل بهم ويمدبون « يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ » . وقيل :  
يرجع الخافض معنى هذه المقوبة فى يوم ترجف الأرض والجبال . وقيل : العامل « خَرْنِي »  
أى وخرنى والمكتبين يوم ترجف الأرض والجبال . ( وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا ) أى وتكون  
والكتيب الرمل المجتمع ؛ قال حسان :

عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْلَبَ بِالْكَتِيبِ \* تَخْطُ الْوَحْيَ فِي الْوَرَقِ الْقَشِيبِ<sup>(١)</sup>

والمهيل الذى يز تحت الأرجل . قال الضحاك والكلبي : المهيل هو الذى إذا وطئته يالقوم  
زَلَّ مِنْ تَحْتِهَا ، وَإِذَا أَخَذْتَ أَسْفَلَ أَنْهَالٍ . وقال ابن عباس : « مَهِيلًا » أى رملا ساللا  
متناثرا . وأصله مهبول وهو مفعول من قولاك : حَلَّتْ عَلَيْهِ الرِّبَابُ أَهْيَلَهُ هَيْلًا إِذَا صَبَتْهُ .  
يقال : مَهِيلٌ وَمَهْمُولٌ ، وَمَيْكِلٌ وَمَكْيُولٌ ، وَمَيْدِينٌ وَمَدْيُونٌ ، وَمَعِينٌ وَمَعْيُونٌ ؛ قال الشاعر<sup>(٢)</sup> :  
قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسَبُونَكَ سَيِّدًا \* وَإِخْلَالَكَ سَيِّدٌ مَعْيُونٌ

وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنهم شكوا إليه الجذوبة ؛ فقال : « أَتَكُونُونَ أَمْ تَهْلُونَ »

(١) ويرى فى الرق والرقص هنا الكناية . والقشيب : الجله . شبه حسان رضى الله عنه آثار الدباب بالسطور .

(٢) هو عباس بن مرداس .

قالوا : نَبِيل . قال : « يَكْلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ » . وَأَهْلَتْ الدَّقِيقَ لَسَةً فِي هِلَتِ فَهُوَ مُهَالٌ وَمِهِيلٌ . وَإِنَّمَا حَذَفَتْ الْوَاوَ ؛ لِأَنَّ الْيَاءَ تَحْتَلُّ فِيهَا الضَّمَّةُ فَحَذَفَتْ فَسَكَنَتْ هِيَ وَالْوَاوُ حَذَفَتْ الْوَاوُ لَاقْتِضَاءِ السَّاكِنِينَ .

قوله تعالى : إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥٠﴾ فَقَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ﴿١٥١﴾ فَكَيْفَ نَنقُوتُ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٥٢﴾ السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةٌ بِهِ ؕ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٥٣﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَٰهًا رَبَّهُ سَبِيلًا ﴿١٥٤﴾

قوله تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا) يريد النبي صلى الله عليه وسلم أرسله إلى قريش (كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا) وهو موسى (فَقَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ) أى كذب به ولم يؤمن . قال مقاتل : ذكر موسى وفرعون ؛ لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ أَرْدَدُوا عِجْدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْتَحْضَوْا بِهِ ؛ لِأَنَّهُ وَلَدَ فِيهِمْ كَمَا أَنَّ فِرْعَوْنَ أَرْدَدَىٰ مُوسَى ؛ لِأَنَّهُ رِبَاهُ وَنَشَأَ فِيهِمَا بَيْنَهُمَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : « أَلَمْ تُرَبِّكُنَا فِيْنَا وَلِيدًا » . قَالَ الْمُهَدَّبِيُّ : وَدَخَلَتْ الْأَلْفُ وَاللَّامُ فِي الرُّسُولِ لَتَقْدَمُ ذِكْرُهُ ؛ وَلِئِنَّكَ أَخْتَرْتَنِي أَوَّلَ الْكُتُبِ سَلَامَ عَلَيْكُمْ وَفِي آخِرِهَا السَّلَامُ عَلَيْكُمْ . ( وَبِيلًا ) أى ثَقِيلًا شَدِيدًا وَضَرْبٌ وَبِيلٌ وَعَذَابٌ وَبِيلٌ أَيْ شَدِيدٌ ، قَالَه أَبُو عِيَّاسٍ وَجَاهِدٌ . وَمِنْهُ مَطَرٌ وَابِلٌ أَيْ شَدِيدٌ ؛ قَالَه الْأَخْفَشُ . وَقَالَ الزَّجَّاجُ : أَيْ ثَقِيلًا ظَهِيرًا . وَمِنْهُ قِيلَ لِلطَّرِّ وَابِلٌ . وَقِيلَ : مَهْلِكٌ [ وَالْمَعْنَى عَاقِبَتُهُ عَقُوبَةُ غَلِيظَةٍ ] قَالَ :

أَكَلْتُ يَدَكَ أَكَلْتُ الشَّبَّ حَتَّى • وَجَدْتُ مَرَارَةَ الْكَلَالِ الْوَبِيلِ  
وَأَسْتَوِيلُ فَلَانَ كَمَا أَيْ لَمْ يَحْدِ عَاقِبَتُهُ . وَمَاءٌ وَبِيلٌ ؛ أَيْ وَخِمٌ ضَرْمِيٌّ ، وَكَلَامٌ مُسْتَوِيلٌ  
وَطَعَامٌ وَبِيلٌ وَمُسْتَوِيلٌ إِنَّمَا لَمْ يَمُوتْ وَلَمْ يُسْتَمِرَّ ؛ قَالَ زُهَيْرٌ :

(١) الزيادة من حاشية الجمل قلا عن القرطبي ونسب بأنها عبارة .

فَقَضَوْا أُمْنِيًّا بِمَنْهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا • إِلَى كَلِيلٍ مُسْتَوِيلٍ مُنْوَخٍ

وقالت الخساء :

لَقَدْ أَكَلْتُ بِجِيلَةٍ يَوْمَ لَأَقْتُ • فَوَارِسَ مَالِكَ أَكْثَلًا وَيَسَلًا

والويل أيضا العصا الضخمة ؛ قال :

لَوْ أَصْبَحَ فِي يُمْنِي يَدَيَّ زِمَامُهَا • وَفِي كَفِّي الْأُخْرَى وَيَسَلٌ مُخَاذِرُهُ

وكذلك المويل بكسر الباء ، والموتولة أيضا الحزمة من الحطب ، وكذلك الويسيل ؛

قال طرفة :

• حَقِيلَةٌ شَيْخٌ كَالْوَيْلِ بِلَنْدٍ •

قوله تعالى : ( فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَعْلَمُ الْوَلَدَانِ شَيْئًا ) هو توبيخ وتهريج .

أى كيف تتقون العذاب إن كفرتم . وفيه تقديم وتأخير ؛ أى كيف تتقون يوما يعضل الولدان شيئا إن كفرتم . وكذا قراءة عبد الله وعطية . قال الحسن : أى بأى صلاة تتقون العذاب ؟ بأى صوم تتقون العذاب ؟ . وفيه إضمار ؛ أى كيف تتقون عذاب يوم . وقال قتادة : والله ما يتقن من كفر بالله ذلك اليوم بشئ . و « يوما » مفعول بـ « تتقون » على هذه القراءة وليس بطرف ، وإن قدر الكفر بمعنى الجحود كان اليوم مفعول « كفرتم » . وقال بعض المفسرين : وقف التمام على قوله « كفرتم » والأبتداء « يوما » ينصب إلى أن اليوم مفعول « يعضل » والقمل لله عز وجل ، وكأنه قال : يعضل الله الولدان شيئا في يوم . قال ابن الأنبارى : وهذا لا يصلح ؛ لأن اليوم هو الذى يفعل هذا من شدة حوله . المهدوى : والضمير فى « يعضل » يجوز أن يكون لله عز وجل ، ويجوز أن يكون لليوم ، وإن كان لليوم صلح أن يكون صفة له ، ولا يصلح ذلك إذا كان الضمير لله عز وجل إلا مع تقدير حذف ؛ كأنه قال : يوما يعضل الله الولدان فيه شيئا . ابن الأنبارى : ومنهم من نصب اليوم

(١) يندد شديداً بالخصومة . ومردا لبيت :

• فَرَّتْ كِهْلَةُ ذَاتِ عَيْفٍ بِجِلَّةٍ •

بـ « كُفِرْتُمْ » وهذا قبيح ؛ لأن اليوم إذا ملئ بـ « كُفِرْتُمْ » احتاج إلى صفة . أى كُفِرْتُمْ  
 بيوم . فإن أحتاج عتج بأن الصفة قد تحذف وينصب ما يمسها ، أحتجنا عليه بقراءة  
 عبد الله « فَكَيْفَ تَقُولُونَ يَوْمًا » .

قلت : هذه القراءة ليست متواترة ، وإنما جاءت على وجه التفسير . وإذا كان الكفر  
 بمعنى الجحود فـ « يَوْمًا » -مفعول صريح من غير صفة ولا حذفها ؛ أى فكيف تقولون الله  
 وتحشونه إن جحدت يوم القيامة والجزاء . وقرأ أبو السَّهْلِ قَتَبَ « فكيف تقولون » بكسر التون  
 على الإضافة . و« أَلَيْتُمْ » الصبيان . وقال السدى : هم أولاد الزنى . وقيل : أولاد المشركين .  
 والعموم أعم ؛ أى يشيب فيه الصغير من غير كبر . وذلك حين يقال : « يا آدم قم فأبست  
 النار » . على ما تقدم في أول سورة « الحج » . قال القرطبي : ثم إن أهل الجنة يغير الله أحوالهم  
 وأوصافهم على ما يريد . وقيل : هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم وهو عجاز ؛ لأن يوم  
 القيامة لا يكون فيه ولَّانٌ ، ولكن معناه أن هيئة ذلك اليوم بحال لو كان فيه هناك صبي  
 لشاب رأسه من الهيئة . ويقال : هذا وقت الفزع ، وقبل أن ينفع في الصور فحة الصق ؛  
 فانه أعلم . الزمخشري : وقد مر في بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر حكت  
 التراب ، فأصبح وهو أبيض الرأس والهيئة كالقيامة ، فقال : أُرِيتَ القيامة والجنة والنار  
 في المنام ، ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار ، فمن هول ذلك أصبحت كما ترون .  
 ويعجز أن يوصف اليوم بالطول ، وأن الأطفال يلقون فيه أوان الشيخوخة والشيب .

قوله تعالى : ( « السَّيِّئَةُ مُقْتَرَةٌ » ) أى متشقة لشدة . ومعنى « يَوْمًا » أى فيه ؛ أى  
 في ذلك اليوم لموله . هذا أحسن ما قيل فيه . ويقال : مثله به إتحالا يؤتى إلى أنظارها  
 لعظمته عليها وخشيتها من وقوعه ؛ كقوله تعالى : « تَحُلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » .  
 وقيل « يَوْمًا » أى له أى لذلك اليوم ؛ يقال : فعلت كذا بحرمته والباء واللام  
 وفي متغاربة في مثل هذا الموضع ؛ قال الله تعالى : « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ »  
 أى في يوم القيامة . وقيل : « يَوْمًا » أى بالأمر أى المياه متطهر بما يعمل الوادان شيئا .  
 (١) راجع - ١٢ ص ٢ فابعدا .

ونيل : مضطربه أى بأمره . وقال أبو عمرو بن العلاء : لم يقل مضطربه ؛ لأن مجازما السقف ؛ يقول : هذا ماء البيت ؛ قال الشاعر :

فَلَوْ رَفَعَ الْمَاءُ إِلَيَّ قَوْمًا • لَحَقْنَا بِالْمَاءِ وَالسَّحَابِ

وفى التنزيل : « وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْفُوظًا » . وقال الفراء : السماء يذكر ويؤنث . وقال أبو علي : هو من باب الجراد المنتشر ، والشجر الأخضر ، و « أَجْجَازُ نَحْلٍ مُتَغَيِّرٍ » . وقال أبو علي أيضا : أى السماء ذات أقطار ؛ كقولهم : امرأة مريض أى ذات إرضاع يجرى على طريق النسب . ( كَانَ وَطْئُهُ ) أى بالقبيلة والحساب والجزاء ( مَقْمُولًا ) كأننا لاشك فيه ولا خلف . وقال مقاتل : كان ومده بأن يظهر دينه على الدين كله .

قوله تعالى : ( إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ ) يريد هذه السورة أو الآيات عظة . وقيل : آيات القرآن إذ هو كالسورة الواحدة . ( فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ ) أى من اراد أن يؤمن ويقبض بذلك إل ؛ ربه ( سَبِيلًا ) أى طريقا إلى رضاه ورحمته فليرب فقد أمكن له ؛ لأنه أظهر له المصيح والدلائل . ثم قيل : نسخت آية السيف ، وكذلك قوله تعالى : « فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ » قال الصلي : والأشبه أنه غير منسوخ .

قوله تعالى : إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي الضُّلَيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ الضُّلَيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَلَّنْ نَحْضُوهُ فَنَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضِعَةٌ وَأَعْرُوفٌ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاعْرُوفٌ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا وَاللَّهُ قَرِضًا حَسَنًا وَمَا تَقْلُمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

فيه ثلاث عشرة مسألة :

الأولى - قوله تعالى : ﴿ إِنْ رَبَّكَ يَسْأَلُ أَتَىكَ لُحُومٌ ﴾ هذه الآية تفسير لقوله تعالى : « قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا . نِصْفَهُ أَوْ اطْمَئِنَّ مِنْهُ قَلِيلًا . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ » كما تقدم ، وهي الناحية لقرضية قيام الليل كما تقدم . « لُحُومٌ » معناه تصلى و ﴿ أَتَى ﴾ أى أقل . وقرأ ابن السكيت وأبو حنيفة وهشام عن أهل الشام « تَتَّى » بإسكان اللام . « وَنِصْفَهُ وَتَتَّى » بالنقص قراءة العامة عطفا على « تَتَّى » ؛ المعنى : تقوم أدنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه . وأختره أبو عبيد وأبو حاتم ؛ كقوله تعالى : « عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُحْصَوْهُ » فكيف يقومون نصفه لو ثلثه وهم لا يحصونه . وقرأ ابن كثير والكوفيون « وَنِصْفَهُ وَتَتَّى » بالنصب عطفا على « أَتَى » التقدير : قوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه . قال الفراء : وهو أشبه بالصواب ؛ لأنه قال أقل من الثلثين ، ثم ذكر نفس القليلة لا أقل من القليلة . الفشيري : وعلى هذه القراءة يحتمل أنهم كانوا يصيرون الثلث والنصف ؛ لحفة القيام عليهم بذلك القد ، وكانوا يزنون وفى الزيادة إصابة المقصود ، فاما الثلثان فكان يتقل عليهم قياسه فلا يصيبونه وينقصون منه . ويحتمل أنهم أمروا بقيام نصف الليل ، وخص لهم فى الزيادة والنقصان ، فكانوا يتبون فى الزيادة إلى قريب من الثلثين وفى النصف إلى الثلث . ويحتمل أنهم قدر لهم النصف وأخص إلى الثلث والزيادة إلى الثلثين ، وكان فهم من وفى بذلك ، وفهم من يترك ذلك إلى أن نسخ عنهم . وقال قوم : إنما أقرض الله عليهم الربع وكانوا ينقصون من الربع . وهذا القول تحكم .

الثانية - قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ أى يعلم مقادير الليل والنهار على حقائقها ، وأتم تعديرات بالصحة والاجتهاد التى يقع فيه الخطأ . ﴿ عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُحْصَوْهُ ﴾ أى لن تطبقوا معرفة حقائق ذلك والقيام به . وقيل : أى لن تطبقوا قيام الليل . والأول أجمع ؛ فإن قيام الليل ما فرض كله قط . قال مقاتل وغيره : لما نزلت « قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا . نِصْفَهُ

أَوْ أَقْصَىٰ مِنْهُ قَلِيلًا . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ۖ شَقَّ ذَاكَ عَلَيْهِمْ ، وكان الرجل لا يدرى متى نصف الليل من ثلثه ، فيقوم حتى يصبح غافلة أن يخطئ ، فأنتفضت أفئداتهم ، وأثقلت ألوانهم ، فرحمهم الله وخفف عنهم ، فقال تعالى : « عَلِمَ أَنَّ لَنَ مُّحْصَوُهُ » و « أَنَّ » غففة من التثنية ، أى علم أنك لن تحصوه ، لأنكم إن زدتم هزل عليكم ، وأحتجتم إلى تكليف ما ليس فريضا ، وإن نقصتم شق ذلك عليكم .

الثالثة - قوله تعالى : ( قَاتِبْ عَلَيْهِمُ ) أى ضاد عليكم بالرفع ، وهذا يدل على أنه كان فيهم من ترك بعض ما أمر به . وقيل : أى قاتب عليكم من فرض القيام إذ عزمت . وأصل التوبة الرجوع كما هتلم ، فالمنى رجوع لكم من تثقل إلى تخفيف ، ومن صرلى إلى يسر . وإنما أمروا بحفظ الأوقات على طريق التحوى ، تخفف عنهم ذلك التحوى . وقيل : معنى « وَأَلَّهُ بِقَدْرِ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ » يخففهما مقدرين ، كقوله تعالى : « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَحْدِيدًا » . أبى العري : تقدير الخلقة لا يتعلق به حكم ، وإنما يربط الله به ما يشاء من وظائف التكليف . الرابعة - قوله تعالى : ( فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ) فيه قولان : أحدهما إن المراد نفس القراءة ، أى فأقروا فيما تصلون به بالليل ما خفف عليكم . قال السدى : مائة آية . الحسن : من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن . وقال كعب : من قرأ في ليلة مائة آية كتب من القانتين . وقال سعيد : خمسون آية .

قلت : قول كعب أصح ، لقوله عليه السلام : « من قام بمشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقطيرين » <sup>(١)</sup> ترجمه أبو داود الطيالسي في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو . وقد ذكرناه في مقدمة الكتاب <sup>(٢)</sup> والحمد لله . القول الثانى : ( فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ) أى فصلوا ما تيسر عليكم والصلاة تسمى قرآنا ، كقوله تعالى : « وَقرآن الفجر » أى صلاة الفجر . أبى العري : وهو الأصح ، لأنه عن الصلاة أخبر وإليها يرجع القول .

(١) أى أحسن من الأبرصا . (٢) راجع ج ١ ص ٩ طبة ٤٤٤ أرفعة .

قلت : الأول أجمع حلا لخطاب على ظاهر اللفظ ، والقول الثاني مجاز فإنه من تسمية الشيء ببعض ما هو من أعماله .

الخامسة - قال بعض العلماء قوله تعالى : « فَأَقْرُبُوا مَاتِمَّ مِنْهُ » تسخّ قيام الليل ونصفه والنصف من النصف والزيادة عليه . ثم أحتمل قول الله عز وجل : « فَأَقْرُبُوا مَاتِمَّ مِنْهُ » معنيين أحدهما أن يكون فرضاً ثانيها ؛ لأنه أزيل به فرض غيره . والآخر أن يكون فرضاً منسوخاً أزيل به غيره كما أزيل به غيره ؛ وذلك لقوله تعالى : « وَبِالنَّيْلِ قَهْرَهُ يَهْدِيهِ فَإِنَّهُ لَكَ عَصَى أَنْ يَمُوتَ رَبُّكَ مَقَامًا مَجْمُودًا » فأحتمل قوله تعالى : « وَبِالنَّيْلِ قَهْرَهُ يَهْدِيهِ فَإِنَّهُ لَكَ عَصَى أَنْ يَمُوتَ رَبُّكَ مَقَامًا مَجْمُودًا » أي يهتد به غير الذي فرض عليه ما تيسر منه . قال الشافعي : فكان الواجب طلب الاستدلال بالسنة على أحد المعنيين ، فوجدنا سنة رسول الله صل الله عليه وسلم تدل على أن لا واجب من الصلاة إلا الخمس .

السادسة - قال القشيري أبو نصر : والمشهور أن نسخ قيام الليل كان في حق الأمة ، وبقيت الفريضة في حق النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل : نسخ التقدير بمقدار وفي أصل الوجوب ؛ كقوله تعالى : « قَا أَتَسْمِعُونَ الْمُهَذَّبِينَ » فاللهي لا يبد منه ، كذلك لم يكن بد من صلاة الليل ، ولكن فوض قدره إلى اختيار المصل ، وعلى هذا فقد قال قوم : فرض قيام الليل بالليل الباقي . وهو مذهب الحسن . وقال قوم : نسخ بالكلية فلا تجب صلاة الليل أصلا . وهو مذهب الشافعي . ولعل الفريضة التي بقيت في حق النبي صلى الله عليه وسلم هي هذا ، وهو قيامه ومقداره مفوض إلى غيره . وإذا ثبت أن القيام ليس فرضا كقوله تعالى : « فَأَقْرُبُوا مَاءَ بَيْتِهِ مِنْهُ » معناه أقربوا إن تيسر عليكم ذلك وصلوا وإن شتم . وصار قوم إلى أن النسخ بالكلية محذور في حق النبي صلى الله عليه وسلم أيضا ، فما كانت صلاة الليل واجبة عليه . وقوله : « نَالَيْتُكَ » محمول على حقيقة الثقل . ومن قال : نسخ المقدار وفي أصل وجوب قيام الليل ثم نسخ ، فهذا النسخ الثاني وقع ببيان مواقيت الصلاة ؛ كقوله تعالى : « أَقِمِ الصَّلَاةَ لَكُلِّكَ الشَّمْسِ » وقوله : « فَبَيَّنَّا لِلْهَادِئِينَ مَخْرَجَهُمْ »

تُصَيِّحُونَ » وما في الخبر من أن الزيادة على الصلوات الخمس تطوع . وقيل : وقع النسخ بقوله تعالى : « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ » والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واللامه ، كما أنه فريضة الصلاة وإن خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ . قُمْ اللَّيْلَ » كانت عامة له ولغيره . وقد قيل : إن فريضة الليل امتدت إلى ما بعد الهجرة ونسخت بالمدينة ؛ لقوله تعالى : « لَمْ أَلَمْ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِتُونَ مِنِّي فَضَّلِلَ اللَّهُ وَآخَرُونَ يَخْتَلِفُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » وإنما فرض القتال بالمدينة ؛ فعل هذا بيان المواقف جرى بمكة فقيام الليل نسخ بقوله تعالى : « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ » . وقال ابن عباس : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نسخ قول الله تعالى : « إِنَّ رَبَّكَ بِمَا تَعْمَلُ خَبِيرٌ » وجوب صلاة الليل .

السابعة — قول الله تعالى : « لَمْ أَلَمْ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى » الآية ؛ بين سبحانه ملة تخفيف قيام الليل ، فإن انشأنا منهم المريض ويشق عليهم قيام الليل ، ويشق عليهم أن تفوتهم الصلاة ، والمسافر في التجارات قد لا يطيق قيام الليل ، والمجاهد كذلك تخفف الله عن الكل لأجل هؤلاء . و « أَلَمْ » في « أَنْ سَيَكُونُ » مخففة من الثقيلة ؛ أي علم أنه سيكون .

الثامنة — سَوَّى اللهُ تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكنتسين المال الحلال للشفقة على نفسه وعياله والإحسان والإفضال ، فكان هذا دليلا على أن كسب المال بمقتلة الجهاد ؛ لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله . وروى إبراهيم عن عذبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من جالب يطلب طعاما من بلد إلى بلد فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِتُونَ مِنِّي فَضَّلِلَ اللَّهُ وَآخَرُونَ يَخْتَلِفُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » وقال ابن مسعود : أبما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا ، فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء . وقرأ « وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ » الآية . وقال ابن عمر : ما خلق الله مائة أمة أوتيتهم بمسد الموت في سبيل الله أحب إلى من الموت بين شعبي رحلي أبتغي من

فضل الله ضاريا في الأرض . وقال طاووس : الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله . وعن بعض السلف أنه كان بواسط ، فجهز سفينة حطلة إلى البصرة ، وكتب إلى وكيله : يسع الطعام يوم تدخل البصرة ، ولا تؤخره إلى غد ؛ فوافق سعة في السعر ؛ فقال التجار للوكيل : إن أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه ، فأنزه جمعة فربح فيه أمثاله ، فكتب إلى صاحبه بذلك ، فكتب إليه صاحب الطعام : يا هذا ! إننا كنا فتننا بربح يسير مع سلامة ديننا ، وقد جئت طينا جناية ، فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال وتصلق به على فقراء البصرة ، وليتقى أنجو من الاحتكار كفافا لا على ولا لى . ويروى أن غلاما من أهل مكة كان ملازما للسجد ، فأفقهه ابن عمر ، فثنى إلى بيته فقالت أمه : هو على طعام له يمينه ؛ فلقبه فقال له : يا بني ! مالك وللطعام ؟ فهلا إبلا ، فهلا بقرا ، فهلا غنما : إن صاحب الطعام يحب التحل ، وصاحب المشاة يحب النيث .

الثامنة - قوله تعالى : « فَأَقْرُبُوا مَا يَنْصُرُهُ » أى صلوا ما أمكن ؛ فأوجب الله من صلاة الليل ما ينصر ، ثم نسخ ذلك بإيجاب الصلوات الخمس على ما تقدم . قال ابن العربي : وقد قال قوم إن فرض قيام الليل من هذه الآيات ؛ قاله البخارى وضربه ، وعقد بابا ذكر فيه حديث <sup>(١)</sup> « يَعِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يُضْرَبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ » فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان <sup>(٢)</sup> وذكر حديث شجرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤيا قال : « أَمَا الَّذِي يَنْتَعِزُ رَأْسُهُ بِالْجَمْرِ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ » وحديث عبد الله بن مسعود قال : ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل ينام الليل كله فقال : « ذَلِكَ رَجُلٌ بَالُ الشَّيْطَانِ فِي أُذُنِهِ » فقال ابن العربي : فهذه أحاديث مقتضية حل مطلق الصلاة على المكتوبة فيحمل المطلق على المقيد ؛ لأحتماله له ، وتسقط الدعوى من حيث

(١) « قَافِيَةُ الرَّأْسِ مَوْجُهُ » وقيل : وسطه ؛ أراد تحفله في النوم وإطلاعه .

(٢) التبع : وهو ضربك التي . الرطب بالتي اليابس حتى يشتدخ . (٣) يرفضه : يتركه .

لقيام الليل . وفي الصحيح واللفظ البخارى : قال عبد الله بن عمرو ، قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل » ولو كان فرضا ما أقوه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ، ولا أخبر بمثل هذا الخبر عنه ، بل كان يذنه غاية القم . وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر قال : كان الرجل فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيا قصها على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكنت غلاما شابا مرّيا ، وكنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيت فى النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بى إلى النار ، فإذا هم مطوية كلتيّ البئر ، وإذا هما قرنان ، وإذا قيسا ناس قد حرقتهم ، فقلت أقول : أعود بالله من النار . قال : ولقيت ملك آخر ، فقال لى : لم ترج . فقصصتها على حفصة ، فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « نيم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل » فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلا ، فلو كان ترك القيام مصيبة لما قال له الملك : لم ترج . والله أعلم .

الماضرة -- إذا ثبت أن قيام الليل ليس بفرض ، وأن قوله : « فَأَقْرُبُوا مَا تَسِيرُونَ الْقُرْآنَ » . « فَأَقْرُبُوا مَا تَسِيرُونَهُ » محمول على ظاهره من القراءة فى الصلاة ، فأختلف العلماء فى قدر ما يلزمه أن يقرأ به فى الصلاة ، فقال مالك والثانى : فاتحة الكتاب لا يحرزى المدول عنها ولا الاقتصار على بعضها ، وقدره أبو حنيفة آية واحدة من آى القرآن كانت . وعنه ثلاث آيات ، لأنها أقل سورة . ذكر القول الأوّل الماوردى والثانى ابن العربي . والصحيح ما ذهب إليه مالك والثانى على ما بيناه فى سورة « الفاتحة » أوّل الكتاب والحمد لله . وقيل : إن المراد به قراءة القرآن فى غير الصلاة ، قال الماوردى : فعلى هذا يكون مطلق هذا الأمر محمولا على الوجوب ، أو على الاستحباب دون الوجوب . وهذا قول الأكثرين ، لأنه لو وجب عليه أن يقرأه لوجب عليه أن يحفظه . الثانى أنه محمول على الوجوب ، ليقف بقرائه على إعجازه ، وما فيه من دلائل التوحيد وبعث الرسل ، ولا يلزمه إذا قرأه وعرف إعجازه ودلائل

التوحيد منه أن يحفظه؛ لأن يحفظ القرآن من القرب المستحبة دون الواجبة . وفي تفسير ما تضمنته هذا الأمر من القراءة خمسة أقوال : أحدها جمع القرآن، لأن الله تعالى يسره على عباده ؛ قاله الضحاك . الثاني ثلث القرآن ؛ حكاه جوير . الثالث ماثنا آية ؛ قاله السدي . الرابع مائة آية ؛ قاله ابن عباس . الخامس ثلاث آيات كأقصر سورة ؛ قاله أبو خالد الكافى . الحادية عشرة - قوله تعالى : ( وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ) يعنى المفروضة وهى الخمس لوقتها . ( وَأَتُوا الزَّكَاةَ ) الواجبة فى أموالكم ؛ قاله عكرمة وقتادة . وقال الحرث المكنى : صدقة القطر لأن زكاة الأموال وجبت بعد ذلك . وقيل : صدقة التطوع . وقيل : كل أنصال الخير . وقال ابن عباس : طاعة الله والإخلاص له .

الثانية عشرة - قوله تعالى : ( وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ) القرض الحسن ما قصد به وجه الله تعالى خالصا من المال الطيب . وقد مضى فى سورة « الحديد »<sup>(١)</sup> بيان . وقال زيد ابن أسلم : القرض الحسن النفقة على الأهل . وقال عمر بن الخطاب : هو النفقة فى سبيل الله . الثالثة عشرة - ( وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ) تقدم فى سورة « البقرة »<sup>(٢)</sup> وروى عن عمر بن الخطاب أنه أخذ حيا - بنى تمرا بلن - بغاه مسكين فأخذته ودفعه إليه . فقال بعضهم : ما يدرى هذا المسكين ما هنا ؟ فقال عمر : لكن رب المسكين يدرى ما هو . وكأنه تأول « وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ » أى مما تركتم وخلفتم ، ومن الشئ والتقصير . ( وَأَعْظَمُ أَجْرًا ) قال أبو هريرة : الجنة ؛ ويحتمل أن يكون أعظم أجرا ، لإعطائه بالحسنة عشرة . ونصب « خيرا وأعظم » على المفعول الثانى لـ « يَجِدُوهُ » و « هو » فصل عند البصريين ، وعماد فى قول الكوفيين لا عمل له من الإعراب . و « أجرا » تمييز . ( وَاسْتَفِرُّوا اللَّهَ ) أى سلوه المنفرة لذنوبكم ( إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ) لما كان قبل التوبة ( رِيمٌ ) لكم بعدها ؛ قاله سعيد بن جبير . ختمت السورة .

(١) راجع ١٧٠ ص ٢٥٢

(٢) راجع ٢ ص ٧٧ طبة ثانية .

## سورة المدثر

مكية في قول الجميع وهي ست ومحمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَيَبَايَكَ فَطَعْنَرْ ﴿٤﴾

فيه ست مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ) أى يا ذا الذى قد تدثر ببابه ، أى تفضى بها وتام ، وأصله المدثر فادخلت التاء فى الالف لتجانسهما . وقرا أبى « المدثر » على الأصل . وقال مقاتل : معظم هذه السورة فى الوليد بن المغيرة . وفى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث — قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي — قال فى حديثه : « فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسى فإذا الملك الذى جاءنى بجبراء جالسا على كرسى من السماء والأرض » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَخِيتُ مِنْهُ فَرَقَا فَرَجْتَ قُلْتَ زَقَلُونِي زَقَلُونِي فَدَثَرُونِي فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ . وَيَبَايَكَ فَطَعْنَرْ . وَالْأَنْزَجُ قَاتِلُهُ ) » فى رواية — قبل أن تخرس الصلاة — وفى الأوثان قال : « ثم تابع الوحي » ترجمه الترمذى أيضا وقال : حديث حسن صحيح . قال مسلم : وحديثنا زهير بن حرب ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا الأوزاعي قال : سمعت يحيى يقول : سألت أبا سلمة أى القرآن أنزل قبل ؟ قال : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » قلت : أو « اقرأ » قال :

(١) جئت أى لمعت وغفت وفى رواية جئت بظاهر معناه .

سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل ؟ قال : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » فقلت : أو « أَقْرَأ » فقال جابر : أخذتكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت فنظرت أمانى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى فلم أر أحدا ثم نوديت فنظرت فلم أر أحدا ثم نوديت فرفعت رأسى فإذا هو على العرش فى الهواء - يعنى جبريل صلى الله عليه وسلم - فأخذنى رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت دثرونى فدثرونى نصبوا على ماء فأنزل الله عز وجل « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبِّكَ فَكْبَرُ . وَيَا بَاكٍ فَطَهَّرْ » خرجه البخارى وقال فيه : « فأتيت خديجة فظلت دثرونى وضبوا على ماء باردا فدثرونى وضبوا على ماء باردا فنزلت » « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبِّكَ فَكْبَرُ . وَيَا بَاكٍ فَطَهَّرْ . وَالزَّحْرَفَاءُ حُمْرٌ . وَلَا تَمَنَّيَنَّ تَسْكِينُهُ » . ابن العربى : وقد قال بعض المفسرين إنه جرى على النبى صلى الله عليه وسلم من عُنْبَةٍ [ بن ربيعة ] أمر فرجع إلى منزله مغموما ، فغلق وأسطجع فزلت : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » وهذا باطل . وقال الشبى أبو نصر . وقيل بلغه قول كفار مكة أنت صاحر فوحد من ذلك عما وهم فندثر بثبابة ، فقال الله تعالى : « قُمْ فَأَنذِرْ » أى لا تنكر فى قولهم ولظنهم الرسالة . وقيل : أجمع أولمب وأبو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وأميمة بن خلف والمعاص بن وائل ومطعم بن عدي وقالوا : قد أجمعت وفود العرب فى أيام الحج ، وهم يتساملون من أمر محمد وقد آخفتهم فى الإخبار عنه ، لمن قائل يقول مجنون ، وآخر يقول كاهن ، وآخر يقول شاعر ، وتسلم العرب أن هذا كله لا يجمع فى رجل واحد ، فسموا مجدا بأسم واحد يجمعون عليه وتسميه العرب به ، فقام منهم رجل فقال : شاعر ؛ فقال الوليد : سمعت كلام ابن الأبرص وأميمة بن أبى الصلت ، وما يشبه كلام محمد كلام واحد منهما ؛ فقالوا : كاهن . فقال : الكاهن يصدق ويكذب وما تكذب محمد قط ؛ فقام آخر فقال : مجنون ؛ فقال الوليد : المجنون يخفى الناس وما خفى محمد قط . وأنصرف الوليد إلى بيته فقالوا : صبا الوليد بن المنيرة ؛ فدخل عليه أبو جهل وقال : مالك يا أبا عبد شمس !

هذه قرىش تجمع لك شيئا يعطونك ، زعموا أنك قد أحضجت وصيات . فقال الوليد : مالى إلى ذلك حاجة ، ولكنى فكرت فى عهد ، فقلت : ما يكون من السحر ؟ قليل : يفرق بين الأب وأبنته ، وبين الأخ وأخيه ، وبين المرأة وزوجها ، فقلت : إنه سحر . شاع هذا فى الناس وصاحوا يقولون : إن هذا سحر . ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته عزوزا فتدثر بقطيفة ، ونزلت : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » . وقال عكرمة : معنى « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » أى المدثر بالنبوة وأقامها . ابن العربي : وهذا عجز بعيد ، لأنه لم يكن تقياً بعد . وعلم أنها أقل القرآن لم يكن تمكن منها بعد أن كانت ثانيا ما نزل .

الثانية — قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » ملاطفة فى الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذا ناداه بحاله ، ومبرعه بصفته ، ولم يقل يا عهد ويا فلان ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم فى سورة « المزمل » . ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم لعل إذا نام فى المسجد : « ثم أبا تراب » وكان خرج مغاضبا لفاطمة رضى الله عنها فسقط رداءه وأصابه ترابه ، فخرجه مسلم . ومثله قوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة ليلة الخندق : « ثم يا نومان » وقد تقدم .

الثالثة — قوله تعالى : « قُمْ فَأَنذِرْ » أى خوف أهل مكة وحذرهم العذاب إن لم يُسلموا . وقيل : الإنذار هنا إعلامهم بنبوته ، لأنه مقدمة الرسالة . وقيل : هو دعاؤهم إلى التوحيد ؛ لأنه المقصود بها . وقال الفراء : قم فصل وأمر بالصلاة .

الرابعة — قوله تعالى : « وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ » أى سبِّك ومالكك ومصطحك أمرك فعظم ، وصفه بأنه أكبر من أن يكون له صاحبة أو ولد . وفى حديث أنهم قالوا : بم تُفَسِّح الصلاة ؟ فقلت « وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ » أى وصفه بأنه أكبر . قال ابن العربي : وهذا القول وإن كان يقتضى بمومه تكبير الصلاة ، فإنه مراد فيه تكبير التقديس والتزبيح بخلق الأنداد والأصنام دونه ، ولا تتخذ وليا غيره ، ولا تعبد سواه ، ولا ترى لغيره فعلا إلا له ، ولا نعمة إلا منه ، وقد روى أن أبا سفيان قال يوم أُحد : أهلُ حُبَل ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قولوا الله أهل وأجل » وقد صار هذا اللفظ يعرف الشرع فى تكبير العبادات كلها أذانا

وصلاة وذكر بقوله : « الله أكبر » وحمل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد من الإطلاقي في مواردنا ، منها قوله : « تحريرا التكبير وتحليها التسليم » والشرع يقتضي بمرنه ما يقتضي بعمومه ، ومن موارد أوقات الإحلال بالذباح لله تخليصا له من الشرك ، وإعلانا باسمه في النكاح ، وإفرادا لما شرع منه لأمره بالسفك .

قلت : قد تقدم في أول سورة « البقرة »<sup>(١)</sup> أن هذا اللفظ « الله أكبر » هو المعبود به في الصلاة ، المقول عن النبي صلى الله عليه وسلم . وفي التفسير : إنه لما نزل قوله تعالى « وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ » قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « الله أكبر » فكبرت خديجة وعلمت أنه الوحي من الله تعالى ؛ ذكره المشيخي .

الخامسة - الفاء في قوله تعالى : « وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ » دخلت على معنى جواب الجزاء كما دخلت في « فَتَنْذِرُ » أي قم فانذر وقم فكبر ربك ؛ قاله الزجاج . وقال ابن جني : هو كقولك زيدا فأضرب ؛ أي زيدا أضرب ؛ فالفاء زائدة .

السادسة - قوله تعالى : « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » فيه ثمانية أقوال : أحدها أن المراد بالثياب العمل . الثاني القلب . الثالث النفس . الرابع الجسم . الخامس الأهل . السادس الخلق . السابع الدين . الثامن الثياب الملبوسات على الظاهر . فنذهب إلى القول الأول قال : تأويل الآية وعملك فأصلح ؛ قاله مجاهد وابن زيد . وروى منصور عن أبي زرين قال : يقول وعملك فأصلح ؛ قال : وإذا كان الرجل خيث العمل قالوا إن فلانا خيث الثياب ، وإذا كان حسن العمل قالوا إن فلانا طاهر الثياب ؛ ونحوه عن السدي . ومنه قول الشاعر :

لَاهُمْ إِنْ عَامَرَ بَنَ جَهِيمٍ \* أَوْتَمَّ حِمَا فِي يَابِئِ تُسَمِّ

(١) راجع ج ١ ص ١٧٥ .

(٢) ثياب دم : رجعة ؛ ومعنى البيت : أنه حج وهو متنفس بالقبوب . وأردم الحج أربعة .

ومنه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يُحْشَرُ الْمَرْءُ فِي تَوْبِهِ الَّذِينَ مَاتَ طَعِمَا »<sup>(١)</sup> يعني عمله الصالح والطالح ؛ ذكره الماوردي . ومن ذهب إلى القول الثاني قال : إن تأويل الآية وقلبك فطهر ؛ قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ؛ دليله قول امرئ القيس :  
 \* فَسَلِّ تِيَابِي مِنْ تِيَابِكَ تَقْلِيلًا<sup>(٢)</sup> \*

أي قلبي من قلبك . قال الماوردي : ولحسم في تأويل الآية وجهان ؛ أحدهما — معناه وقلبك فطهر من الإجم والمعاصي ؛ قاله ابن عباس وقاعدة . الثاني — وقلبك فطهر من الندرة ؛ أي لا تندر فتكون دنس التياب . وهذا مروى عن ابن عباس ، وأستشهد بقول خيلان بن سلمة الثقفي :

فَأَنِي بِحَمْدِ اللَّهِ لَا ثَوْبَ قَلْبِي \* لَيْسَتْ وَلَا مِنْ غَدَرَةٍ أَتَمَّعْتُ

ومن ذهب إلى القول الثالث قال : تأويل الآية وقصك فطهر ؛ أي من الذنوب . والعرب تكنى عن النفس بالتياب ؛ قاله ابن عباس . ومنه قول عنترة :  
 فَشَكَّكْتُ بِالرَّيْحِ الطَّوِيلِ تِيَابَهُ \* لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْفَنَاءِ بِمُحَرَّمٍ  
 وقال امرؤ القيس :

\* فَسَلِّ تِيَابِي مِنْ تِيَابِكَ تَقْلِيلًا \*

وقال<sup>(٣)</sup> :

تِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى قَبِيَّةٌ \* وَأَوَجُّهُمْ بِيضُ الْمَسَافِرِ غُرَانُ

أي أنفس بني عوف طهارة قبيلة . ومن ذهب إلى القول الرابع قال : تأويل الآية وجسمك فطهر ؛ أي عن المعاصي الظاهرة . وما جاء عن العرب في الكناية عن الجسم بالتياب قول ليل ، وذكرنا إبلا :

رَمَوْهَا بِأَتْيَالٍ خَفَافٍ فَلَا تَرَى \* لَهَا شَبَهَا إِلَّا التَّعَامُ الْمُتَقَرَّا

(١) صدر البيت : \* وَإِنْ كُنْتَ قَدْ مَاتَ مِنْ خَلِيقَةٍ \*

(٢) نسب المؤلف هذا البيت نياسياي لأن أبي كبشة مرة ولامرئ القيس مرة أخرى ، وفي « الممان »

و « شرح القاموس » أنه لامرئ القيس ولم يخرطه في ديوانه ، وقد نسب ابن العربي لابن أبي كبشة .

أى ركبوها فرموها بأنفسهم . ومن ذهب إلى القول الخامس قال : تأويل الآية وأهلك  
فطهرهم من الخطايا بالوضوء والتأديب ؛ والعرب تسمى الأهل ثوبا ولباسا وإزارا ؛ قال الله  
تعالى : « هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ » . الماوردى : ولم في تأويل الآية وجهان ؛  
أحدهما - معناه ونسائك فطهر بأختيار المؤمنات المغائف . الثاني - الاستمتاع بهن  
في القبل دون الدبر ، في الطهر لا في الحيض . حكاه ابن بحر . ومن ذهب إلى القول  
السادس قال : تأويل الآية وخلقتك حسن . قاله الحسن والقرطبي ؛ لأن خلق الإنسان  
مشمعل على أحواله أشتمال ثيابه على نفسه . وقال الشاعر :

وَيْحِي لَا يَلَامُ بِسَوْءِ خُلُقِي \* وَيَحِي طَاهِرُ الْأَثْوَابِ حُرُ

أى حسن الأخلاق . ومن ذهب إلى القول السابع قال : تأويل الآية ودينك فطهر .  
وفى الصحيحين عنه عليه السلام قال : " ورأيت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدي ومنها  
ما دون ذلك ورأيت عمر بن الخطاب وعليه إزار يجزه " . قالوا : يا رسول الله فما أزلت  
ذلك ؟ قال : الدين . وروى ابن وهب عن مالك أنه قال : ما يسجني أن أقرأ القرآن  
إلا في الصلاة والمساجد لا في الطرق ، قال الله تعالى : « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » يريد مالك أنه  
كنى عن الثياب بالدين . وقد روى عبد الله بن نافع عن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الله  
ابن عمر بن الخطاب عن مالك بن أنس في قوله تعالى : « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » أى لا تلبسها  
على فدره ؛ ومنه قول أبي كبشة :

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ \* رَأَوْهُمْ يَبْصُ الْمَسَافِرِ غُرَانُ

يعنى بطهارة ثيابهم سلامتهم من الدنات ، ويعنى بفسرة وجوههم تزيينهم عن المحرمات ،  
ووجاههم في الخلقة أو كليهما ؛ قاله ابن العربي . وقال سفيان بن عيينة : لا تلبس ثيابك على  
كذب ولا جور ولا فدر ولا إثم ؛ قاله عكرمة . ومنه قول الشاعر :

\* أَوَدَمَ حَجًّا فِي ثِيَابِ نَمِيمِ \*

أى مد دنسها بالمعاصي . وقال النابغة :

رِقَاقُ السَّمَلِ طَيِّبٌ مُجْزَأَتُهُمْ • يُحْيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ <sup>(١)</sup>

ومن ذهب إلى القول الثامن قال : إن المراد بها الثياب الملبوسات فلهم في تأويله أربعة أوجه ؛ أحدها — معناه وثيائك فأني ؛ ومنه قول امرئ القيس :

• ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى قَبِيَّةٌ •

الثاني — وثيائك فشمّ وقصّر ؛ فإن قصير الثياب أبعد من النجاسة ، فإذا أُنْجِزَتْ على الأرض لم يؤمن أن يصيبها ما ينجسها ؛ قاله الزجاج وطاوس . الثالث — « وَثِيَابُكَ فَطَهَّرْ » من النجاسة بالماء ؛ قاله محمد بن سيرين وأبن زيد والفقهاء . الرابع — لا تلبس ثيابك إلا من كسب حلال لتكون مطهرة من الحرام . وعن ابن عباس : لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طاهر . ابن العربي وذكر بعض ما ذكرناه : ليس بممتنع أن تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز ، وإذا حملناها على الثياب الملوثة الطاهرة فهي تناول معنيين : أحدهما — تقصير الأذيال ؛ لأنها إذا أرسلت تدنست ، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لفلان من الأصبار وقد رأى ذيله مسترخيا : أرفع إزارك فإنه أثق وأثقل وأثقل . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقِهِ لَا جَنَاحَ عَلَيْهِ فَيَا بَنِيهِ وَبَيْنَ الْكَمِينَ وَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فِي النَّارِ » فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الناية في لباس الإزار الكعب وتومد ما تحته بالنار ، فما بال رجال يرسلون أذيالهم ويطيلون ثيابهم ، ثم يتكلفون رفعها بأيديهم ، وهذه حالة الكبر ، وقائلة العجب ، [ وأشد ما في الأمر أنهم يصمون ويخسون ويحقون أنفسهم ] <sup>(٢)</sup> بمن يعمل الله معه غيره ولا الحق به سواء . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا » ولفظ الصحيح : « مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ خِيَلًا لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . قال أبو بكر : يارسول الله ! إن أحد

(١) البيت من قصيدة مدح بها عمرو بن الحرث الساسي . وأراد برقاق السمل أنهم ملوك لا يصفون نساءهم ، ولبس هجراتهم ختمهم . والسباسب يوم « السنين » وهو يوم عيد الصاري وكان المذبح صرايا .

(٢) الإزرة بالكسر : الحلة وعبية الأتزار .

(٣) الإزادة من ابن العربي .

شقي إزارى يستزنى إلا أنى أتعاهد ذلك منه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لست بمن يصنع خيلاء » فم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبي وأستقى الصديق ، فأراد الأدياء إلحاق أنفسهم بالرفاء<sup>(١)</sup> ، وليس ذلك لهم . والمعنى الثانى - غسلها من النجاسة وهو ظاهر منها صحيح فيها . المهذون : وبه استدل بعض العلماء على وجوب طهارة الثوب ؛ قال ابن سيرين وأبن زيد : لا تصل إلا فى ثوب طاهر . وأحسب بها الشافعى على وجوب طهارة الثوب . وليست عند مالك وأهل المدينة بفرض ، وكذلك طهارة البدن ، ويدل على ذلك الإجماع على جواز المسلاة بالاستنجار من غير غسل . وقد مضى هذا القول فى سورة « براءة »<sup>(٢)</sup> مستوفى .

### قوله تعالى : وَالرِّجْزَ فَاجْهَرُ ⑤

قوله تعالى : ( وَالرِّجْزَ فَاجْهَرُ ) قال مجاهد وعكرمة : يعنى الأوثان ؛ دليله قوله تعالى : « فَاجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ » وقوله ابن عباس وأبن زيد . وعن ابن عباس أيضا : والمائم فاجهر ، أى فأترك . وكذا روى مغيرة عن إبراهيم النخعى قال : الرجز الإثم . وقال قتادة : الرجز إساف وثأله صفان كانا عند البيت . وقيل : الرجز العذاب على تقدير حذف المضاف ؛ المعنى وحمل الرجز فاجهر ، أو العمل المؤدى إلى العذاب . وأصل الرجز العذاب ، قال الله تعالى : « لَنْ نَكْشِفَ عَنْ الرِّجْزِ لَكُمْ مَنْ لَكَ » وقال تعالى : « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ » فسميت الأوثان رجزا ؛ لأنها تؤدى إلى العذاب . وقراءة العامة «الرِّجْزَ بكسر الراء . وقراء الحسن وعكرمة ومجاهد وأبن محصن وحفص عن عاصم . «والرِّجْزَ بضم الراء وهما لفظان مثل الله كز والأذكر . وقال أبو العالية والربيع والكسائى : الرجز بالضم الصنم والكسر النجاسة والمصيبة . وقال الكسائى أيضا : بالضم الوزن والكسر العذاب . وقال السدى : الرجز بضم الراء الوحيد<sup>(٣)</sup> .

(١) فى آبن العرب : بالأصهار . (٢) وأبج ج ٨ ص ٢٦١ فاجدها .

(٣) قوله بضم الراء ... كما فى نسخ الأصل ولم تقتره فى المراجع على ما بينا .

قوله تعالى : وَلَا تَمْنُنْ تَسْكَرُ ①

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( وَلَا تَمْنُنْ تَسْكَرُ ) فيه أحد عشر تأويلاً ؛ الأول — لا تمنن على ربك بما تحمله من أقال النبوة ، كالذي يستكثر ما يحمله بسبب الغير . الثاني — لا تعط عطية تنسب بها أفضل منها ؛ قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة . قال الضحاك : هذا حرمه الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه مأمور بأشرف الآداب وأجل الأخلاق ، وأباحه لأئمة ؛ وقاله مجاهد . الثالث — عن مجاهد أيضاً : لا تضعف أن تستكثر من الخير ؛ من قولك حبل متين إذا كان ضعيفاً ؛ ودليله قراءة أن مسعود « وَلَا تَمْنُنْ تَسْكَرُ مِنَ الْخَيْرِ » . الرابع — عن مجاهد أيضاً والربيع : لا تعظم عملك في عيتك أن تستكثر من الخير فإنه مما أنعم الله عليك . قال ابن كيسان : لا تستكثر عملك قراءه من نفسك ، إنما عملك منه أن الله عليك ؛ إذ جعل الله لك سبيلاً إلى عبادته . الخامس — قال الحسن : لا تمنن على الله بعملك تستكثره . السادس — لا تمنن بالنبوة والقرآن على الناس فتأخذ منهم أجراً تستكثره . السابع — قال القرطبي : لا تعط مالك مصانعة ، الثامن — قال زيد بن أسلم : إذا أعطيت عطية فأعطها لربك . التاسع — لا تقل دعوت فلم يستجب لي . العاشر — لا تعمل طاعة وتطلب ثوابها ، ولكن أصبر حتى يكون الله هو الذي يشيك عليها . الحادى عشر — لا تفعل الخير لترأى به الناس .

الثانية — هذه الأقوال وإن كانت مرادة فأظهرها قول ابن عباس : لا تعط لتأخذ أكثر مما أعطيت من المال ؛ يقال : مننت فلاناً كذا أى أعطيته . ويقال للعطية المنة ؛ فكانه أمر بأن تكون عطاياه لله لا لأرقاب ثواب من الخلق عليها ؛ لأنه عليه السلام ما كان يجمع الدنيا ؛ ولهذا قال : « ما لي مما آتاه الله عليكم إلا الخمس والجنس مردود عليكم » وكان ما يفضل من نفقة غياله مصروفاً إلى مصالح المساكين ؛ ولهذا لم يورث ؛ لأنه كان لا يملك لنفسه الاختار والاختاء ، وقد عصمه الله تعالى عن الرغبة في شيء من

الدنيا ، ولذلك حرمت عليه الصدقة وأباحت له الهدية ، فكان يقبلها ويثيب عليها . وقال :  
 « لو دعيت إلى كراع<sup>(١)</sup> لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت » ابن السري : وكان يقبلها  
 سنة ولا يستكرها شربة ، وإذا كان لا يعطى عطية يستكر بها فلا غنياء أولى بالأجتناب ؛  
 لأنها باب من أبواب المذلة ، وكذلك قول من قال : إن منأها لا تعطى عطية تنتظر ثوابها ،  
 فإن الانتظار تعالى بالأطاع ، وذلك في حيزه بحكم الامتناع ، وقد قال الله تعالى له :  
 « وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَتْهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ  
 غَيْرَ وَابِقٍ » وذلك جائز لسائر الخلق ؛ لأنه من متاع الدنيا ، وطلب الكسب والتكثير بها .  
 وأما من قال أراد به العمل أى لا تمنع بمملك على الله فستكره فهو صحيح ؛ فإن ابن آدم  
 لو أطاع الله عمره من غير فتور لما بلغ لنعم الله بعض الشكر .

الثالثة - قوله تعالى : « وَلَا تَمْنُنْ » قراءة العامة بإظهار التضعيف . وقرأ أبو السمال  
 المدوي وأشباهه المعقل والحسن « وَلَا تَمْنَنَّ » مدغمة مفتوحة . « تَسْتَكْتِرُ » قراءة العامة  
 بالرفع وهو فى معنى الحال ، تقول : جاء زيد يركض أى راكضا ؛ أى لا تعط شيئا مقدرا  
 أن تأخذ بدله ما هو أكثر منه . وقرأ الحسن بالجزم على جواب النهى وهو ردى ؛ لأنه  
 ليس بجواب . ويجوز أن يكون بدلا من « تَمْنُنْ » كأنه قال : لا تستكر . وانكره أبو حاتم  
 وقال : لأن المتى ليس بالاستكر فيسدل منه . ويحتمل أن يكون سكن تخفيفا كمضد .  
 أو أن يستبر حال الوقف . وقرأ الأعمش ويحيى « تَسْتَكْتِرُ » بالنصب توهم لام كي كأنه  
 قال : ولا تمنن لتستكر . وقيل : هو بإسماخ « أن » كقوله :

« أَلَا أَهْلُهَا الرَّابِرَى أَحْضِرُ الْوَحَى »

ويؤيده قراءة ابن مسعود « وَلَا تَمْنُنْ أَنْ تَسْتَكْتِرَ » . قال الكسائي : فإذا حذف « أن »  
 رفع وكان المعنى واحدا . وقد يكون المتى بمعنى التمسدد على المنعم عليه بالنعم ، فيرجع إلى

(١) الكراع يوزان غراب وهو مستنق الساق من الرجل . وهو من البر والتمن بمنزلة التوليف من القرم والبر .

(٢) البيت للقرطبي بن العبد من مملته وتماه :

« وَأَنْ أَتَمْنَى الْفَاتِ هَلْ أَنْتَ غَدَى »

القول [الثاني] ، وَيُضَاهِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : « لَا تَبْتَغُوا مَوَدَّةَ الَّذِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ » وقد يكون مراداً في هذه الآية . والله أعلم .

قوله تعالى : وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿١٥﴾

قوله تعالى : ( وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ) أى ولربك فاصبر على أداء فرائضه وعبادته . وقال مجاهد : على ما أوديت . وقال ابن زيد : حلت أمراً عظيماً ؛ بحاربة العرب والسجم فاصبر عليه . وقيل : فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله تعالى . وقيل : فاصبر على الهوى ؛ لأنه يتعمد أولياءه وأصفياءه . وقيل : على أوامره ونواهيه . وقيل : على فراق الأهل والأوطان .

قوله تعالى : فَلَمَّا نُبْقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿١٦﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ

عَسِيرٌ ﴿١٧﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ( فَلَمَّا نُبْقِرَ فِي النَّاقُورِ ) إذا نهض في الصور . والناقور فاعول من النقر ؛ كأنه الذى من شأنه أن يتقرب به للتصويت ، والنقر في كلام العرب الصوت ؛ ومنه قول امرئ القيس :

أَخْفَضَهُ بِالنَّقْرِ لَمَّا صَلَوْتُهُ • وَرَفَعَهُ طَرَفًا فَيَرَاخُفِ قَيْضِيضُ

وهم يقولون : نقر بأم الرجل إذا دعاه فاختصاه بدعائه . وقال مجاهد وغيره : هو كهية البوق ويبنى به الضمة الثانية . وقيل : الأولى ؛ لأنها أول الشدة الملاحظة العامة . وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في « النمل » و « الأنعام » وفي كتاب « التذكرة » والحمد لله . وعن أبي حنبل قال : أَمَّا زُرَّاءُ بْنُ أَوْفَى فَلَمَّا بَلَغَ « فَلَمَّا نُبْقِرَ فِي النَّاقُورِ » تَرْمِيَةً ( فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ) أى فذلك اليوم يوم شديد ( عَلَى الْكَافِرِينَ ) أى على من كفر

بأنه وبأنيائه صلى الله عليه وسلم (غير يسير) أى غير سهل ولا حين؛ وذلك أن مقدم لا تعمل إلا إلى عقدة أشد منها، بخلاف المؤمنين الموحدين للذين فلانها تعمل إلى ما هو أخف منها حتى يدخلوا الجنة برحمة الله تعالى. و «يومئذ» نصب على تقدير ذلك يوم صير يومئذ. وقيل: من بتقدير حرف جر مجازة: فذلك في يومئذ. وقيل: يجوز أن يكون رضا إلا أنه يحى على الفتح لإضافته إلى غير ممكن.

قوله تعالى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْلُوءًا ۖ وَبَنِينَ مְهُودًا ۖ وَمَهَلْتُ لَهُ مَهْجِدًا ۖ ثُمَّ يَظْمَعُ ۖ أَنْ أَزِيدَ ۖ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۖ سَأَرْفَعُهُ ۖ صَعُودًا ۖ قوله تعالى: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) أى ذنى، وهى كلمة وميد وتهديد. و «مَنْ خَلَقْتُ» أى ذنى والذى خلقته وحيداً؛ فهو وحيداً على هذا حال من ضمير المفعول المخوف؛ أى خلقته وحده لا مال له ولا ولد؛ ثم أعطته بعد ذلك ما أعطته. والمفسرون على أنه الوليد بن المغيرة المخزومي، وإن كان الناس خلقوا مثل خلقه. وإنما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وإيذاء الرسول عليه السلام، وكان يسمى الوحيد فى قومه. قال ابن عباس: كان الوليد يقول أنا الوحيد بن الوحيد ليس لى فى العرب نظير، ولا لى المغيرة نظير، وكان يسمى الوحيد؛ فقال الله تعالى: «ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ» بضمه و«وَحِيدًا» لا أن الله تعالى صدقه بأنه وحيد. وقال قوم: إن قوله تعالى «وَحِيدًا» يرجع إلى الرب تعالى على معنيين؛ أحدهما - ذرنى وحدى معه فانا أبزىك فى الانتقام منه من كل مستقم. والثانى - أنى أتفرد بخلقك ولم يشركنى فيه أحد، فانا أهلكك ولا أحتاج إلى ناصر فى إهلاكك؛ فهو وحيداً على هذا حال من ضمير الفاعل وهو الله فى «خَلَقْتُ» والأكل قول مجاهد؛ أى خلقته وحيداً فى بطن أمه لا مال له ولا ولد فأمنت عليه فكفر؛ فقوله «وَحِيدًا» على هذا يرجع إلى الوليد؛ أى لم يكن له شيء فملكته. وقيل: أراد بذلك ليفه على أنه يبعث وحيداً

كما خلق وحيدا . وقيل : الوحيد الذي لا يُعْرِفُ أبوه وكان الوليد معسوبا بأنه دعى ؛ كما ذكرنا في قوله تعالى : « مَثَلُ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ » وهو في صفة الوليد أيضا .

قوله تعالى : ( وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ) أى خولته وأعطيته مالا ممدودا ، وهو ما كان للوليد بين مكة والطائف من الإبل والجحور والتسم والحنان والسيد والجواري ؛ كما كان ابن عباس يقول . وقال مجاهد : غلة ألف دينار ؛ وقاله سعيد بن جبير وابن عباس أيضا . وقال قتادة : ستة آلاف دينار . وقال سفيان الثوري وقاتدة : أربعة آلاف دينار . الثوري أيضا : ألف ألف دينار . مقاتل : كان له بستان لا يقطع خيره شئ ولا صيفا . وقال عمر رضي الله عنه : « وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا » غلة شهر بشهر . الثمان بن سالم : أرضا يزوع فيها . القشيري : والأظهر أنه إشارة إلى ما لا يقطع رزقه ، بل يسوالى كالزراع والضرع والتجارة .

قوله تعالى : ( وَبَيْنَ شُهودًا ) أى حضورا لا يشيرون عنه في تصرف . قال مجاهد وقاتدة : كانوا عشرة . وقيل : اثنا عشر ؛ قاله السدي والضحاك . قال الضحاك : سبعة ولدوا بمكة ونحسة ولدوا بالطائف . وقال سعيد بن جبير : كانوا ثلاثة عشر ولدا . مقاتل : كانوا سبعة كلهم رجال ؛ أسلم منهم ثلاثة ؛ خالد وحشام والوليد بن الوليد . قال : لما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في قصص من ماله وولده حتى هلك . وقيل : شهودا ؛ أى إذا ذكر ذكروا معه ؛ قاله ابن عباس . وقيل : شهودا ؛ أى قد صاروا مثله في شهود ما كان يشهده ، والقيام بما كان يباشره . والأول قول السدي ؛ أى حاضرين مكة لا يظنون منه في تجارة ولا يشيرون .

قوله تعالى : ( وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ) أى بسطت له في البش بسطا حتى أقام يبلده مطمئنا متفهما يرجع إلى رأيه . والتمهيد عند العرب التوطئة والتبعية ومنه مهّد الصبي . وقال ابن عباس : « وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا » أى وسعت له ما بين اليمن والشام ؛ وقاله مجاهد . ومن مجاهد أيضا في « مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا » أنه المال بضمة فوق بعض كما يهده الفراش .

قوله تعالى : ( ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ) أى ثم إن الوليد طمع بعد هذا كله أن أزيده في المال والولد . ( كَلَّا ) أى ليس يكون ذلك مع كفره بالنعم . وقال الحسن وغيره : أى ثم طمع أن أدخله الجنة ، وكان الوليد يقول : إن كان عهد صادقاً فما خلقت الجنة إلا لى ، فقال الله تعالى رداً عليه وتكذيباً له « كَلَّا » أى لست أزيده ، فلم يزل يرى النقصان في ماله وولده حتى هلك . و « ثُمَّ » في قوله تعالى : « ثُمَّ يَطْمَعُ » ليست ثم التى للنسب ولكنها تعجيب ، وهى كقوله تعالى : « وَجَعَلَ الظَّالِمَاتِ وَالنَّورِ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَسْتَكْبِرُونَ » وذلك كما يقول : أعطيتك ثم أنت تجفوني كالتعجب من ذلك . وقيل : يطمع أن أترك ذلك في عقبه ، وذلك أنه كان يقول : إن عهداً مبتور أى أبر وينقطع ذكره بموته . وكان يظن أن مازنى لا ينقطع بموته . وقيل : أى ثم يطمع أن أنصره على كفره . و « كَلَّا » قطع للرجاء عما كان يطمع فيه من الزيادة ، فيكون متصلاً بالكلام الأول . وقيل : « كَلَّا » بمعنى حقاً ويكون ابتداء . ( إِنَّهُ ) بنى الوليد ( كَلَّا ) لَأَيَّانَا عَيْدًا ) أى مماندا التى صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، يقال : عائد فهو عييد مثل جالس فهو جاليس ، قاله مجاهد . وعند عييد بالكسر أى خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عييد وعائد . والعائد البعير الذى يبور عن الطريق ويسدل عن القصد والجمع عهد مثل راكع ورعك ، وأشد أبو عبيدة قولاً جارياً :  
إِذَا رَكِبْتُ فَأَجْعَلَنِي وَسْطًا ١١ إِنْ كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنْدَا

وقال أبو صالح : « عَيْدًا » معناه مباحداً ، قال الشاعر :

أَرَأَيْتَ عَلَى حَالٍ تُفْشِقُ بَيْنَنَا ١٢ قَوًى غَرَبَتْهُ إِنْ الْفِرَاقُ مَتَوَدَّ

قناة : جاعدا . مقاتل : معرضا . ابن عباس : مجودا . وقيل : إنه المتجاهر بدوانه . وعن مجاهد أيضاً قال : بجانب الحق مماندا له معرضا عنه . والمعنى كله متناوب . والعرب تهول : عند الرجل إذا عتا وجاوز قدره . والعنود من الإبل الذى لا يخالط الإبل إنما هو في ناحية . ورجل عنود إذا كان يحمل وحده لا يخالط الناس . والعيند من التجبر . وعرف

(١) رواية لبان العرب : ١١ إذا ركبته فاجعلني وسطاً

(٢) قوى غريبة : بعيدة .

عائد اذا لم يرقا دمه ، كل هذا قياس واحد وقد مضى في سورة « إبراهيم » . وجمع المنبد عند مثل رغيث ورغف .

قوله تعالى : ( سَأَرْمُقُهُ ) أى سأكلفه . وكان ابن عباس يقول : سألجته ، والإرهاق في كلام العرب أن يحمل الإنسان على الشيء . ( صموداً ) الصمود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفاً يهوى به كذلك فيه أبداً . رواه أبو سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ترجمه الترمذى وقال فيه حديث غريب . وروى عطية عن أبي سعيد قال : حفرة في جهنم إذا وضعوا عليها أيديهم ذابت فإذا رفعوها عادت ، قال : فيلج أعلاها في أربعين سنة فيجذب أمامه سلاسل و يضرب من خلفه بمقامع ، حتى إذا بلغ أعلاها رمى به إلى أسفلها ، فذلك دأبه أبداً . وقد مضى هذا المعنى في سورة « قُلْ أَوْحَى » . وفي التفسير : إنه حفرة لمساها يكلف صمودها فإذا صار في أعلاها حُدر في جهنم ، فيقوم يهوى ألف طام من قبل أن يبلغ قرار جهنم ، يهترق في كل يوم سبعين مرة ثم يعاد خلقاً جديداً . وقال ابن عباس : المعنى سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيه . ونحوه من الحسن وقتادة . وقيل : إنه تعاهد نفسه للترع وإن لم يتعبه موت ، ليعذب من داخل جسده كما يعذب من خارجه .

قوله تعالى : إِنَّهُمْ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا خَرٌّ يُوْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ قوله تعالى : ( إِنَّهُمْ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ) بنى الوليد فكر في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن . و « قَدَّرَ » أى حيا الكلام في نفسه ، والعرب تقول : قدرت الشيء إذا حيأه ، وذلك أنه لما نزل « سَمِ » تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم « إلى قوله « إِلَيْهِ الْمَصِيرُ » سمعه الوليد بقرؤها فقال : والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ،

وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أحلاه لمثمر ، وإن أسفله لمخيق ، وإنه ليحلو ولا يمل عليه ، وما يقول هذا بشر . فقالت قريش : صبا الوليد لتصبوة قريش كلها . وكان يقال للوليد ريحانة قريش ، فقال أبو جهل : أنا أكفيكوه ففضي إليه حزينا ؟ فقال له : مالي أراك حزينا . فقال له : ومالي لا أحزن وهذه قريش يعمون لك نفقة يمينوك بما على كبرسك ، وزعمون أنك زينت كلام محمد ، وتدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي شاة لتنال من فضل طامهما ، فغضب الوليد ونكبر وقال : أنا احتاج إلى كسر محمد وصاحبه ، فاتم تعرفون قدر مالي ، والآلات والعزى ما بي حاجة إلى ذلك ، وإنما أتم زعمون أن محمدا مجنون ، فهل رأيتموه قط يفتق ؟ قالوا : لا والله . قال : وزعمون أنه شاعر ، فهل رأيتموه نطق بشعر قط ؟ قالوا : لا والله . قال : فزعمون أنه كذاب فهل جريتم عليه كذبا قط ؟ قالوا : لا والله . قال : فزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه تكهن قط ، ولقد رأينا للكهنة أصعبا وتخالجا فهل رأيتموه كذلك ؟ قالوا : لا والله . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الصادق الأمين من كثرة صدقه . فقالت قريش للوليد : فاهو ؟ فتعكرن نفسه ، ثم نظر ، ثم حبس ، فقال : ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ؟ ! فذلك قوله تعالى : « إِنَّهُ نَزَرُ » أي في أمر محمد والقرآن « وَقَدَرُ » في نفسه ماذا يمكنه أن يقول فيهما . (فَقَتِلَ) أي لمن ، وكان بعض أهل التأويل يقول : مماتها فظهر وظب ، وكل مثل مقل ومقتل ؛ قال الشاعر :

وَمَا ذَرَفَتْ حَيْتَاكَ إِلَّا تَقْدَحِي • بِنَهْمِيكَ فِي أَضْغَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ

وقال الزهري : مدب ، وهو من باب البطاء . (كَيْفَ قَدَرُ) قال ناس : « كيف » تعجب ؛ كما يقال للرجل تعجب من صليبه : كيف فعلت هذا ؟ وذلك كقوله : « أَنْظَرُ كَيْفَ ضَرَبُوا أَكَّ الْأَمْثَالِ » . (ثُمَّ قُتِلَ) أي لمن لما بعد لمن . وقيل : فقتل بضرب من العقوبة ، ثم قتل بضرب آخر من العقوبة (كَيْفَ قَدَرُ) أي على أي حال قدر . (ثُمَّ نَظَرَ) أي شيء يرد الحق ويدفعه . (ثُمَّ حَبَسَ) أي قَطَبَ بين صليبه في وجوه المؤمنين ؛ وذلك

أنه لما حمل قرشنا على ما حلهم عليه من القول في محمد صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر من  
على جماعة من المسلمين فدعوه إلى الإسلام فبعض في وجوههم . وقيل : عبس وبسر على  
النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه . والبس مصدر عبس عبساً وعبوساً إذا قطب .  
والعبس ما يتعلق بأذنان الإبل من أبارها وأبوالها ؛ قال أبو النجيم :

كَانَتْ فِي أَذْنَيْهِ الشُّوْلُ • مِنْ عَبَسَ الصَّيْفُ قُرُونَهُ الْأَيْلُ

( وبسر ) أى كَلَح وجهه وتغير لونه ؛ قاله قتادة والسدي ؛ ومنه قول بشر بن أبي خازم :

صَبَحْنَا تَمِيماً فَعَدَا الْخَفَارُ • يَتَهَمُهُ مَلُومَةٌ بِأَسْرَةٍ

(٢١)  
وقال آخر :

وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا صُدُودَ رَأْيَتُهُ • وَإِعْرَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُورُهَا

وقيل : إن ظهور الميوس في الوجه بعد المحاورة ، وظهور البسور في الوجه قبل المحاورة .  
وقال قوم : بسر وقف لا يتقدم ولا يتأخر . قالوا : وكذلك يقول أهل اليمن إذا وقف المركب  
فلم يمين ولم يذهب قد بسر المركب وأبسر أى وقف وقد أبسرتا . والعرب تقول : وجه بأسر  
بين البسور إذا تغير وأسود . ( ثم أدبر ) أى ولى وأعرض ذاهباً إلى أهله . ( وأستكبر )  
أى تعظم عن أن يؤمن . وقيل : أدبر عن الإيمان وأستكبر حين دعى إليه . ( فَقَالَ إِنَّ  
هَذَا ) أى ما هذا الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ( إِلَّا سِحْرٌ يُورِثُ ) أى ياتره عن غيره .  
والسحر الخديعة وقد تقدم بيانه في سورة « البقرة » . وقال قوم : السحر إظهار الباطل  
في صورة الحق . والأثر مصدر قولك : أثرت الحديث أثره إذا ذكرته عن غيرك ؛ ومنه قيل :  
حديث مأثور أى يتقلده خلف عن سلف ؛ قال أمروء القيس :

(١) الجفار : موضع . وقيل هو ما ليس بهم . (٢) حوترة بن الحير . وزاد بعض النسخ بد هذا

اليت ما يأتى كشاشة ؛ قوله شياء أراد بكناية شياء ومنه قول عنترة :

وَكُنْيَةُ لَيْسَتْهَا بِكُنْيَةٍ • شَيْءٌ بِأَسْمَاءٍ يَخَافُ رِذَا

ويقال : كنيسة ملهولة أى أيضاً أى مجنونة مضروب بضرباً إلى بعض . وصخرة ملهولة وملهولة أى مستهزئة

ملهولة ؛ قاله الجوهري . (٣) راجع ج ٢ ص ٤٣ فافهم .

وَلَوْ عَنْ نَبَا غَيْرِهِ جَاءَنِي • وَجِئْتُ النَّاسَ بِكُفْرِ الْيَدِ  
لَقُلْتُ مِنَ الْقَوْلِ مَا لَا يَزَا • لُ يُؤْثَرُ عَنِ يَدِ الْمُسَيِّدِ<sup>(١)</sup>

يريد آخر الخبر . وقال الأعمش :

إِنِّ الَّذِي فِيهِ تَمَارَيْتُ<sup>(٢)</sup> • يَمِينُ السَّامِعِ وَالْأَمْرِ

وروى يمين . (إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) أى ما هذا إلا كلام المخلوقين يختدع به القلوب كما  
تختدع بالسحر . قال السدى : ينعون أنه من قول سيار عبد لبنى الحضرمي . كان يجالس النبي  
صل الله عليه وسلم ففسبوه إلى أنه تعلم منه ذلك . وقيل : أراد أنه ظفنه من أهل يابل . وقيل :  
عن مسيلة . وقيل : عن عدى الحضرمي الكاهن . وقيل : إنما ظفنه من أدعى النبوة قبله  
ففسج حل منوالهم . قال أبو سعيد الضرير : إن هذا إلا بحر يؤثر أى يورث

قوله تعالى : سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٣٧﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرٌ ﴿٣٨﴾ لَا تُبْقِي  
وَلَا تَذَرُ ﴿٣٩﴾ لَوْ أَهْلُ الْبَشَرِ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى : (سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ) أى سادخله سقر كما يصل حرما . وإنما سميت سقر من  
سقره الشمس إذا أذابته ولوحت وأحرقت جلدة وجهه . ولا ينصرف للتعريف والتأنيث .  
قال ابن عباس : هى الطبق السادس من جهنم ، وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال : «سأل موسى ربه فقال أى رب أى عبادك أقترق قال صاحب سقر» ذكره الثعلبي :  
(وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرٌ) هذه بالغة فى وصفها ؛ أى وما أهلك أى شيء ، وهى كلمة  
تعظيم ، ثم فسر حالما فقال : (لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ) أى لا تترك لهم حظا ولا لحما ولا دما إلا أحرقتهم .

(١) يقول : لو أننى هذا الدأ عن حديث غيره فقلتولا يشع فى الناس يؤثر عن آخر الخبر . والله ما يحدث به من  
غيره . والله المستدبر .

(٢) الذى فى ديوان الأعمش طبع أوربا : تماريتا .

(٣) فى بعض النسخ : من قول ابن اليسريار .

وكرر اللفظ ثانيا كيدا . وقيل : لا تبقى منهم شيئا ، ثم يبادون خلقا جديدا ، فلا تذكر أن تعاود  
إحراقهم هكذا أبدا . وقال مجاهد : لا تبقى من فيها حيا ولا تذره ميتا تحرقهم كلما جددوا .  
وقال السدي : لا تبقى لهم لحما ولا تذر لهم عظام . (لَوْأَحَةُ لَيْشِير) أى مُفِيرَةٌ من لاهه إذا فُيرِه .  
وقراءة السامة « لَوْأَحَةُ » بالرفع نصت له «سَقَرُ» فى قوله تعالى : « وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرُ » .  
وقرأ عطية العوفى ونصر بن عاصم وعيسى بن عمر « لَوْأَحَةُ » بالنصب على الاختصاص  
للتحويل . وقال أبو رزين : تنقح وجوههم لصفة تدعى أشد سوادا من الليل ، وقاله مجاهد .  
والرب يقول : لاهه البؤد والحُرُّ والسُّقْمُ والحُزْنُ إذا فُيرِه ، ومنه قول الشاعر :  
تَقُولُ مَا لَأَحَكْ يَا مُسَافِرُ • يَا بَنَةَ عَمِّ لَأَحْنَى الْمَوَافِرُ <sup>(١)</sup>  
وقال نكر :

وَتَسْجُبُ هَذَا أَنْ تَرَأَى شَايِحًا • تَقُولُ لَتَنَى لَوْحَتَهُ السَّيِّئُ <sup>(٢)</sup>

وقال رؤبة بن السجاج :

لَوْحٌ مِنْهُ بَعْدُ بَيْنٍ وَسَقَى • تَلَوِيحُكَ الصَّائِرُ طَوَى لِسَبَقِ <sup>(٣)</sup>

وقيل : إن اللوح شاة العطش ، يقال : لاهه العطش ولوَّحه أى فُيرِه . والمعنى أنها مُعطشة  
للشراى لأهلها ، قاله الأخفش ، وأشد :

سَقَيْتِ عَلَى لَوْحٍ مِنَ الْمَاءِ ثَرِبَةً • سَقَاهَا بِهَا اللَّهُ الرَّهَامَ الْفَوَادِيَا

يعنى باللوح شاة العطش ، والتاح أى عطش . والرَّهَامُ جمع رَهْمَةٍ بالكسروهى المطرة الضعيفة ،  
وأرهمت السحابة أنت بالرَّهَامِ . وقال ابن عباس : «لَوْأَحَةُ» أى تلوح للبشر من سيرة نعمائة  
مام . الحسن وأبن كيسان : تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا ؛ نظيره : «وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ»

(١) الموابر جمع هابرة وهى شاة الحر عند منتصف النهار .

(٢) السَّيِّئُ جمع سيوم وهى الريح الحارة .

(٣) لوحه المفترضة وآخره واليدن السن واكتاز الهم . والسقى الشبع حتى يكون كالنخلة . الضامر :

القرص . بطوى يجرع لأجل السباق .

وفي البشر وجهان : أحدهما - أنه الإنس من أهل النار ، قاله الأخفش والأكثر  
الثاني - أنه جمع بشرة وهي جملة الإنسان الظاهرة ؛ قاله مجاهد وقطادة . وجمع البشر أشرار  
وهذا على التفسير الأول ، وأما على تفسير ابن عباس فلا يستقيم فيه إلا الناس لا الجلود ؛  
لأنه من لاج الشيء يلوح إنال مع .

قوله تعالى : عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٦٦﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ  
إِلَّا مَلَكًا وَمَا جَعَلْنَا عَدُتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِيقُنَ  
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ءِيمَنَّا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ  
أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ  
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ  
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَـُٔى إِلَّا ذِكْرًا  
لِّلْبَشَرِ ﴿٦٧﴾

قوله تعالى : (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) أى على مقر تسعة عشر من الملائكة يلقون فيها أهلها .  
ثم قيل : على جملة النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها ؛ مالك . وثمانية عشر ملكا .  
ويحتمل أن تكون التسعة عشر نفيا ، ويحتمل أن يكون تسعة عشر ملكا بإيمانهم .  
وعلى هذا أكثر المفسرين . التعليل : ولا ينكر هذا ، فإذا كان ملك واحد يقبض أرواح  
جميع الخلق كان أحرى أن يكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلق . وقال ابن جريج :  
نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم . فقال : " فكأن أحييهم البرق وكان أرواحهم  
العياشي يحزون أشعارهم لأحدم من القوة مثل قوة الثقلين يسوق أحدم الأئمة وعلى رقبته  
جبل فيرميهم في النار ويرى فوقهم الجبل " .

قلت : وذكر ابن المبارك قال حدثنا حماد بن سلمة ، عن الأزرق بن قيس ، عن رجل من بني تميم قال : كنا عند أبي العوام فقرأ هذه الآية « وَمَا آدَاكَ مَا سَقَرٌ - لَا تَنْتَقِي وَلَا تَذَرُوا لَوَاحِئَ الشَّيْءِ - عَلَيْهَا نَسَمَةُ عَشْرٍ » فقال ما تسعة عشر ؟ تسعة عشر ألف ملك أو تسعة عشر ملكاً ؟ قال قلت : لا بل تسعة عشر ملكاً . فقال : وأنت تعلم ذلك ؟ قلت : لقول الله عز وجل : « وَمَا جَعَلْنَا عَنْهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا » قال : صدقت هم تسعة عشر ملكاً بيد كل ملك منهم مرزبة لها شعبتان فيضرب الضربة فيبوي بها في الاربعة سبعين ألفاً . وعن عمرو بن دينار : كل واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر . وخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله قال : قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قالوا : لا ندري حتى نسأل نبينا . فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد غلب أصحابك اليوم ، فقال : « وبم غلبوا » قال : سالم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قال : « فلماذا قالوا » قال : قالوا لا ندري حتى نسأل نبينا . قال : « أغضب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا لكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا أرنا الله جهرة حل - بأعطاء الله إلى سائلهم عن تربة الجنة وهي الدرمك فلما جاؤوا قالوا : يا أبا القاسم كم عدد خزنة جهنم ؟ قال : « هكنا وهكنا » في مرة عشرة وفي مرة تسعة . قالوا : نعم . قال لم النبي صلى الله عليه وسلم : « ما تربة الجنة » قال : فسكوا هنية ثم قالوا : أخبرت يا أبا القاسم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انلجزم من الدرمك » قال أبو بصير : هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجاهد عن الشعبي عن جابر . وذكر ابن وهب قال : حدثنا عبد الرحمن بن زيد ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم : « ما بين متيكي أحدهم كما بين المشرق والمغرب » . وقال ابن عباس : ما بين متيكي الواحد منهم مسيرة سنة ، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقفع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم .

قلت: والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والقباء، وأما جنهم فالعبارة  
تصغر عنها كما قال الله تعالى: «وَمَا يَسْمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ». وقد ثبت في الصحيح عن  
عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى عليه وسلم: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ مِائَةً مِنْ  
زَلَمٍ مَعَ كُلِّ زَلَمٍ مِائَةٌ مِنْهُمْ». وقال ابن عباس وقتادة والضحاك  
لما نزل «وَعَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ» قال أبو جهل لقريش: نكلتكم أمهاتكم! أسمع ابن أبي كبة  
يخبركم أن نخرة جهنم تسعة عشر، وأتم الله — أي العبد — والشجبان، فيمجز كل عشرة  
منكم أن يبطلوا بواحد منهم! قال السدي: فقال أبو الأشد بن كلثة الحمصي لاهولتكم  
التسعة عشر، أنا أدفع بمئتي الأيمن عشرة من الملائكة، وبمئتي الأيسر التسعة، ثم ترون  
إلى الجنة. يقولوا مستهزأ. في رواية: إن الحرث بن كلثة قال أنا أكفيكم سبعة عشر  
وأكفوني أتم اثنين. وقيل: إن أبا جهل قال أيمجز كل مائة منكم أن يبطلوا بواحد  
منهم ثم يخرجون من النار؟ فنزل قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً» أي  
لم نجعلهم رجالا فتضاؤون مغالبتهم. وقيل: جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذنين  
من الجن والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ الجناس من الزافة والرقعة ولا يسترحون إليهم، ولأنهم  
أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هواتهم، ولأنهم أشد خلق الله بأسا وأقواما  
بطشا. «وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً» أي بلية. وروى عن ابن عباس من غير وجه قال:  
ضلالة الذين كفروا يريد أبا جهل وذويه. وقيل: إلا عذابا، كما قال تعالى: «يَوْمَ هُمْ  
 عَلَى النَّارِ يَنْتَوُونَ. دُوفُوا فِتْنَتَكُمْ» أي جعلنا ذلك سبب سكفرهم وسبب العذاب.  
وفي «تِسْعَةَ عَشَرَ» سبع قراءات: قراءة العامة «تِسْعَةَ عَشَرَ». وقرأ أبو جعفر بن القعقاع  
وطلمة بن سليمان «تِسْعَةَ عَشَرَ» بإسكان العين. وعن ابن عباس «تِسْعَةُ عَشَرَ» بضم الهاء.

(١) ورد في الأصول ست قراءات فقط ونزل السابعة قراءة سليمان بن قة «تسعة عشر» بضم الهاء، وحرزة مفتوحة  
وسكون العين وضم الشين وجر الزاء. وتعقب السمين هذه القراءات فقال: «في هذه الكلمة قراءات شاذة وتوجيهات  
تشاكلها».

وعن أنس بن مالك « تِسْعَةُ وَعَشْرَ » وعنه أيضا « تِسْعَةُ وَعَشْرَ » . وعنه أيضا « تِسْعَةُ  
 أَعْشَرَ » ذكرها المهدوي وقال : من قرأ « تِسْعَةَ عَشَرَ » أسكن العين لتوالي الحركات .  
 ومن قرأ « تِسْعَةَ وَعَشْرَ » جاء به على الأصل قبل التركيب ، وعطف عشرا على تسعة ،  
 وحذف التنوين لكثرة الاستعمال ، وأسكن الراء من عشر على نية السكوت عليها . ومن قرأ  
 « تِسْعَةَ عَشْرَ » فكأنه من التداخل ، كأنه أراد العطف وترك التركيب فرفع هاء التانيث  
 ثم راجع البناء وأسكن . وأما « تِسْعَةُ أَعْشَرَ » فغير معروف ، وقد أنكرها أبو حاتم .  
 وكذلك « تِسْعَةُ عَشْرَ » لأنها محمولة على « تِسْعَةُ أَعْشَرَ » والواو بدل من الهزمة وليس  
 لذلك وجه عند النحويين . والخمسة : « تِسْعَةُ أَعْشَرَ » جمع عَشِيرَة مثل يَمِين  
 وَأَيْمَنُ .

قوله تعالى : ( لَيَسْتَفِيقَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ) أى ليقف الذين أعطوا التوراة والإنجيل  
 أن عدد خزنة جهنم موافقة لما عندهم ؛ قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم .  
 ثم يحتمل أنه يريد الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام . ويحتمل أنه يريد الكل .  
 ( وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ) بذلك ؛ لأنهم كلما صدقوا بما فى كتاب الله آمنوا ، ثم أزدادوا  
 إيمانا لتصديقهم بعد خزنة جهنم . ( وَلَا يَرْتَابَ ) أى ولا يشك ( الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ )  
 أى أعطوا الكتاب ( وَالْمُؤْمِنُونَ ) أى المصدقون من أصحاب عهد صل الله عليه وسلم فى أن  
 عدد خزنة جهنم تسعة عشر . ( وَلَيَقُولَنَّ الَّذِينَ فى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ) أى فى صدورهم شك  
 وفاق من منافق أهل المدينة ، الذين يَجُمُونَ فى مستقبل الزمان بعد الهجرة ، ولم يكن بمكة  
 ففاق وإنما تجم بالمدينة . وقيل : المعنى ؛ أى ويقول المنافقون الذين يَجُمُونَ فى مستقبل  
 الزمان بعد الهجرة . ( وَالْكَافِرُونَ ) أى اليهود والنصارى ( مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَا مَثَلًا ) ببنى  
 بعد خزنة جهنم . وقال الحسين بن الفضل : السورة مكية ولم يكن بمكة ففاق ؛ فالمرء  
 فى هذه الآية الخلاف و « الْكَافِرُونَ » أى مشركو العرب . وعلى القول الأول أكثر المفسرين .  
 ويموز أن يراد بالمرء الشك والارتباب ؛ لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبمعصم

فاطمين بالكذب، وقوله تعالى إخبارا عنهم : « مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ » أى ما أراد الله « هَذَا » العدد الذى ذكره حديثا أى ماهذا من الحديث ، قال الليث : المثل الحديث ، ومنه « مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ » أى حديثها والخبر عنها ( كَذَلِكَ ) أى كإضلال الله أبا جهل وأصحابه المنكرين لخزنة جهنم ( يُضِلُّ اللَّهُ ) أى يضل ويضل ( مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي ) أى ويرشد ( مَنْ يَشَاءُ ) كإرشاد أصحاب عهد صلى الله عليه وسلم . وقيل : « كَذَلِكَ يضل الله » عن الجنة « مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي » إليها « مَنْ يَشَاءُ » . ( وَمَا يَلْمِ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ) أى وما يدرى عدد ملائكة ربك الذين خلقهم لتعذيب أهل النار « إِلَّا هُوَ » أى إلا الله جل ثناؤه . وهذا جواب لأبي جهل حين قال : أما محمد من الجنود إلا تسعة عشر ؟ وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم خاتم حنين ، فأتاه جبريل بفلس عنده ، فأتى ملك فقال : إن ربك يأمر بك بكذا وكذا ، فغشى النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون شيطانا ، فقال : « يا جبريل أتمرره » فقال : هو ملك وما كل ملائكة ربك أعرف . وقال الأوزاعي قال موسى : « يَا رَبِّ مَنْ فِي السَّمَاءِ قَالَ مَلَائِكَتِي قَالَ كَمْ عِثْتُهُمْ يَا رَبِّ قَالَ أَنْتِ عَشْرُ مِثْبَاطٍ قَالَ كَمْ عِثْتَهُ كُلِّ مِثْبَاطٍ قَالَ حُدُودُ التُّرَابِ » . ذكرهما التلمبى . وفى الترمذى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أَكَلَتِ السَّمَاءُ وَحُقِّ لَهَا أَنْ تَبْسُطَ مَا فِيهَا مَوْضِعَ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جِهَتَهُ فِيهَا سَاجِدًا » .

قوله تعالى : ( وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ) معنى الدلائل والنجس والقرآن . وقيل : « وَمَا هِيَ » أى وما هذه النار التى هى سقر « إِلَّا ذِكْرٌ » أى عظة « لِلْبَشَرِ » أى لخلق . وقيل : نار الدنيا تذكرة لنار الآخرة . قاله الزجاج . وقيل : أى ما هذه العلة « إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ » أى ليتذكروا ويسلموا بحال قدرة الله تعالى ، وأنه لا يمتلح إلى أعوان وأنصار ، فالكتابة على هذا فى قوله تعالى : « وَمَا هِيَ » ترجع إلى الجنود ، لأنه أقرب مذكور .

قوله تعالى : **كَلَّا وَالْقَمَرِ ١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ١٧ وَالصُّبْحِ ١٨ إِذَا أَصْفَرَ ١٩** إِنَّمَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ ٢٠ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ٢١ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ٢٢ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينٌ ٢٣ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ٢٤ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٥ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ٢٦ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ٢٧ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ٢٨ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ٢٩ وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَاطِئِينَ ٣٠ وَكُنَّا نَكْتُبُ يَوْمَ الدِّينِ ٣١ حَقًّا أَتُنَّا الْآلِفِينَ ٣٢ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشُّفَعِينَ ٣٣

قوله تعالى : ( **كَلَّا وَالْقَمَرِ** ) قال الفراء : « كَلَّا » حيلة للقم ، التقدير أى والقمر . وقيل : المعنى ، حقاً والقمر فلا يوقف على هذين التقديرين على « كَلَّا » وأجاز الطبري الوقف عليها ، وجعلها رداً للذين زعموا أنهم يقامون خزنة جهنم ؛ أى ليس الأمر كما يقول من زعم أنه يقام خزنة النار . ثم أقسم على ذلك جل وعز بالقمر وما بعده فقال : ( **وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ** ) أى ولّى وكذلك « دبر » . وقرأ نافع وحفص « **إِذَا أَدْبَرَ** » الباقون « **إِذَا** » بالفتح و« دبر » بغير ألف وهما لغتان بمعنى ؛ يقال : دبر وأدبر ، وكذلك قيل الليل وأقبل . وقد قالوا أمس الدابر والمدير ، قال صخر بن عمرو بن الشريد السلمى :

وَلَقَدْ قَتَلْنَاكُمْ شَاءَ وَمَوْحَدًا • وَتَرَكْتُ مُرَّةً مِثْلَ أَمْسِ الدَّابِرِ

ويرى المدير . وهذا قول الفراء والأخفش . وقال بعض أهل اللغة : دبر الليل إذا مضى وأدبر أخذ في الإدبار . وقال مجاهد : سألت ابن عباس عن قوله تعالى « **وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ** » فسكت حتى إذا دبر قال : يا مجاهد ! هذا حين دبر الليل . وقرأ محمد بن السميع « **وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ** » بالفتح ، وكذلك في مصحف عبد الله وأبى بالفتح . وقال قطرب من قرأ « **دبر** » فبني أقبل ، من قول العرب دبر فلان إذا جاء من خلفي . قال أبو عمرو : وهي لغة قريش .

وقال ابن عباس في رواية عنه : الصواب « أدبر » إنما يدير ظهر البعير . وأختار أبو عبيد  
 « إذا أدبر » قال : لأنها أكثر موافقة للحروف التي تليه ؛ ألا تراه يقول ( والصبيح إذا أسفر ) فكيف  
 يكون أحدهما « إذ » والآخر « إذا » وليس في القرآن قَمَ تعقبه « إذ » وإنما يتعقبه « إذا » .  
 ومعنى « أسفر » أضاء . وقراءة العامة « أسفر » بالالف . وقرا ابن السميع « سفر » .  
 وهما لفتان . يقال : سَفَر وجه فلان وأسفر إذا أضاء . وفي الحديث : « اسفروا بالفتور فإنه  
 أعظم للأجر » أي صلوا صلاة الصبح مسافرين ، ويقال : طَوَّلُوها إلى الإسفار والإسفار الإناوة .  
 وأسفر وجهه حسا أي أشرق ، وسَفَرَت المرأة كشفت عن وجهها فهي سافرة . ويجوز أن  
 يكون [ من ] سَفَر الظلام أي كسه كما يُسَفَر البيت أي يُكَلَس ، ومنه السَّفير لما سقط من  
 ورق الشجر ونحمت ؛ يقال : إنما سمى سفيرا لأن الريح تُسَفِرُه أي تَكْنُسه . والمُسَفِرَةُ المُكْنُسه .

قوله تعالى : ( إِنَّمَا لِإِحْدَى الْكُبَرَى ) جواب القسم ؛ أي إن هذه النار « لِإِحْدَى الْكُبَرَى »  
 أي لإحدى النواهي . وفي تفسير مقاتل « الْكُبَرَى » أسم من أسماء النار . وروى عن ابن عباس  
 « إِنَّمَا » أي إن تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم « لِإِحْدَى الْكُبَرَى » أي لكبيرة من الكبائر .  
 وقيل : أي إن قيام الساعة لإحدى الْكُبَرَى . وَالْكُبَرَى المعطام من العفوبات ؛ قال الزجاج :  
 يا بن المعلِّ نزلت إحدى الْكُبَرَى . داهية الدهر وممها النَّيِّرُ

وواحدة « الْكُبَرَى » كُبَرَى مثل الصُّفْرَى والصَّبْرَى والعُظْمَى والعُظْمُ . وقرا العامة « لِإِحْدَى »  
 وهو أعم بنى ابتداءً للثانيتين وليس مبنيا على المذكر ؛ نحو عقي وأخرى وألفه ألف قطع  
 لا تخب في الوصل . وروى جرير بن حازم عن ابن كثير « إِنَّمَا لِإِحْدَى الْكُبَرَى » بخفف  
 الهزلة . ( نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ) يريد النار أي إن هذه النار الموصوفة « نَذِيرًا لِلْبَشَرِ » فهو  
 نصب على الحال من المضمر في « إِنَّمَا » قاله الزجاج . وذكر ؛ لأن معناه معنى العذاب ،  
 أو أراد ذات إنذار على معنى النَّسَب ؛ كقولهم امرأة طالق وطاهر . وقال الخليل : النذير  
 مصدر كالنكير ولذلك يوصف به المؤمن . وقال الحسن : والله ما أنذر الخلاق بشيء أدهى  
 منها . وقيل : المراد بالنذير محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أي قم نذيرا للبشر أي خفوا لهم

« نذيرا » حال من « قم » في أول السورة حين قال : « قم فَأَنْذِرْ » قاله أبو علي الفارسي وأبو زيد، وروى عن ابن عباس وأتاه الفراء . أبو الأنباري : وقال بعض المفسرين معناه « يا أيها المدثر قم نذيرا للبشر . وهذا قبيح ؛ لأن الكلام قد طال فيما بينهما . وقيل : هو من صفة الله تعالى . روى أبو معاوية الضرير : حدثنا إسماعيل بن عمار عن أبي ذر بن « نذيرا للبشر » قال يقول الله عز وجل : أنا لكم منها نذير فَأَتَقَوْهَا . و « نذيرا » على هذا نصب على الحال ؛ أي « وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً » مننوا بذلك البشر . وقيل : هو حال من « هو » في قوله تعالى : « وَمَا يَلْمِزُكَ رَبُّكَ إِلَّا هُوَ » . وقيل : هو في موضع المصدر كأنه قال : إنذارا للبشر . قال الفراء : يجوز أن يكون النذير بمعنى الإنذار أي أُنذِر إنذارا؛ فهو كقوله تعالى : « فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرٌ » أي إنذارى؛ فعل هذا يكون واجبا إلى أول السورة أي « قم فَأَنْذِرْ » أي إنذارا . وقيل : هو منصوب بإخبار فعل . وفرا أبو أبي حنيفة « نذيرٌ » بالرفع على إخبار هو . وقيل : أي إن القرآن نذير للبشر لما تضمنت من الوعد والوعيد .

قوله تعالى : ( لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ) اللام متعلقة بـ « نذيرا » ؛ أي نذيرا لمن شاء منكم أن يتقدم إلى الخير والطاعة ، أو يتأخر إلى الشر والمعصية ؛ نظيره : « وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْكُمْ » أي في الخير « وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَكَلِّمِينَ » عنه . قال الحسن : هذا وحي وتهديد وإن خرج نخرج الخبره ، كقوله تعالى : « لَقَدْ عَلِمْنَا لَمَعَتِ أَعْيُنُهُمْ فِي غَمَامٍ مُبِينٍ » وقال بعض أهل التأويل : معناه لمن شاء الله أن يتقدم أو يتأخر ؛ فالمشيئة متصلة بالله جل شأوه ، والتقدم الإيمان والتأخير الكفر . وكان ابن عباس يقول : هذا تهديد وإعلام أن من تقدم إلى الطاعة والإيمان بحمد صلى الله عليه وسلم جوزى بثواب لا يتقطع ، ومن تأخر عن الطاعة وكذب محمدا صلى الله عليه وسلم عوقب عقابا لا يتقطع . وقال السدي : « لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ » إلى التأخر المتقدم ذكرهما « أَوْ يَتَأَخَّرَ » منها إلى الحق .

قوله تعالى : ( كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ) أى مرتبة يكسبها ، مأخوذة بعملها ، إما خالصها وإما أودعها وليست « رهينة » تأنيث رهين في قوله تعالى : « كُلُّ أَمْرٍ إِذٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ » تأنيث النفس ؛ لأنه لو فصلت الصفة لقييل رهين ؛ لأن لقيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكور والمؤنث . وإنما هو اسم بمعنى الرهن كالشئحة بمعنى الشتم ، كأنه قيل : كل نفس بما كسبت رهين ؛ ومنه بيت الحماسة :

أبعد الذي بالتغيب تَغَيُّفٌ كَوَيْكِبٍ • رَهْنَةٌ رَمِيْسٌ ذِي تَرْابٍ وَجَسَدٍ<sup>(١)</sup>

كأنه قال رهن رميس . والمعنى : كل نفس رهن يكسبها عند الله غير مفكوك ( إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ) فانهم لا يرتنون بذنوبهم . وأختلف في تعيينهم ؛ فقال ابن عباس : الملائكة . حل بن أبي طالب : أولاد المسلمين لم يكتبوا فيرتنوا بكسبهم . الضحاك : الذين سبق لهم من الله الحسنى ، ونحوه عن ابن جريج ؛ قال : كل نفس بعملها عاصبة « إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ » وهم أهل الجنة فانهم لا يحاسبون . وكذا قال مقاتل أيضا : هم أصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق حين قال الله لهم : هؤلاء في الجنة ولا أبالي . وقال الحسن وابن كيسان : هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتبهين ؛ لأنهم ألقوا ما كان عليهم . وعن أبي ثعلبان عن ابن عباس قال : هم المسلمون . وقيل : إلا أصحاب الحق وأهل الإيمان . وقيل : هم الذين يعملون كتبهم بأيامهم . وقال أبو جعفر الباقر : نحن وشيعتنا أصحاب اليمين ، وكل من أبقضنا أهل البيت فهم المرتنون . وقال الحكم : هم الذين أختارهم الله لخدمته فلم يدخلوا في الرهن ؛ لأنهم خدام الله وصفوته وكسبهم لم يضرهم . وقال القاسم : كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلا من أعتد على الفضل والرحمة دون الكسب والخدمة ، فكل من أعتد على الكسب فهو مرهون ، وكل من أعتد على الفضل فهو غير مأخوذ به . ( فِي جَنَّاتٍ ) أى في بساطين ( يَتَسَامَوْنَ ) أى يسألون ( عَنِ الْخَيْرِ ) أى للمشركين

(١) نصف من الأرض المكان المرتفع في أنقاض . والبيت من قول عبد الرحمن بن زيد هطلى وقد قيل نحوه ومرتض عليه السلام أنه إن أخذنا وأخذ بآثاره .

( مَا سَلَكَكُمْ ) أى أدخلكم ( فى سَقَر ) كما تحول : سلكت الخيط فى كذا أى أدخلته فيه . قال الكلبي : يسأل الرجل من أهل الجنة الرجل من أهل النار باسمه ، فيقول له : يا فلان . وفى قراءة عبد الله بن الزبير « يا فلانُ ما سَلَكَكَ فى سَقَر » . وعنه قال : قرأ عمر بن الخطاب « يا فلانُ ما سَلَكَكُمْ فى سَقَر » وهى قراءة على التفسير لا أنها قرآن كازم من طعن فى القرآن ، قاله أبو بكر بن الأنباري . وقيل : إن المؤمنين يسألون الملائكة عن أقرانهم فقال الملائكة المشركين فيقولون لهم « مَا سَلَكَكُمْ فى سَقَر » . قال الفراء : فى هذا ما يقوى أن أصحاب الجحيم الولدان ؛ لأنهم لا يعرفون الذنوب . ( قَالُوا ) أى أهل النار ( لَمْ تَكْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) أى المؤمنين الذين يصلون . ( وَلَمْ تَكْ تُطِمْ الْمُسْلِمِينَ ) أى لم تك تصدق . ( وَكُنَّا نَحْزُصُ مع انْتِخَافِضِينَ ) أى كنا نحافظ أهل الباطل فى باطلهم . وقال ابن زيد : نخوض مع الخافضين فى أمر جد صلى الله عليه وسلم ، وهو قولهم — لنهم الله — كاهن مجنون شاعر ساحر . وقال السدي : أى وكنا نكذب مع المكذبين . وقال قتادة : كلما غوى فإوغينا معه . وقيل مناه : وكنا أتباعا ولم تكن متبعين . ( وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ النَّارِ ) أى لم تك نصلي يوم القيامة يوم الجلاء والحكم . قوله تعالى : ( حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ ) أى جاءه ونزل بنا الموت ، ومنه قوله تعالى : « وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » .

قوله تعالى : ( لَمَّا تَفْقَهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ) هذا دليل على صحة الشفاعة للذين ، وذلك أن قوما من أهل التوحيد مذنبوا بذنوبهم ثم شُفِعَ فيهم فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة فأخرجوا من النار ، وليس للكفار شفيع يشفع فيهم . وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : يشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع أربعة ؛ جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ، ويبي قوم فى جهنم يقال لهم : « مَا سَلَكَكُمْ فى سَقَر . قَالُوا لَمْ تَكْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَلَمْ تَكْ تُطِمْ الْمُسْلِمِينَ » إلى قوله : « لَمَّا تَفْقَهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ » قال عبد الله بن مسعود : فهؤلاء هم الذين يبقون فى جهنم وقد ذكروا إسناده فى كتاب « التذكرة » .

قوله تعالى : **لَا تَلْمِزُوا الْمُؤْمِنِينَ** ❶ **كَانْتُمْ حُرٌّ**  
**مُسْتَفْرَّةً** ❷ **قَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ** ❸ **بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ**  
**يُؤْنِئَ صُحُفًا مُنْقَرَةً** ❹ **كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآزِفَةَ** ❺

قوله تعالى : **(لَا تَلْمِزُوا الْمُؤْمِنِينَ)** أى فلا لأهل مكة قد أعرضوا وولوا عما  
جنتهم به . وفى تفسير مقاتل : الإعراض عن القرآن من وجهين ؛ أحدهما الجحد والإنكار ،  
والوجه الآخر ترك العمل بما فيه . و « مؤمنين » نصب على الحال من الماء والميم فى « لم »  
وفى اللام معنى الفعل ؛ فانتصاب الحال على معنى الفعل . **(كَانْتُمْ حُرٌّ)** أى كأن هؤلاء الكفار  
فى فراهم من عهد صلى الله عليه وسلم **(حُرٌّ مُسْتَفْرَّةً)** قال ابن عباس : أراد الحر الوحشية .  
وقرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء أى منقرة مذحورة ؛ وأخطره أبو عبيد وأبو حاتم . البافون  
بالكسر أى نافرة . يقال : قَرَّتْ وأسفرت بمعنى ؛ مثل عجيت وأسفجت وبخرت  
وأسفخرت ؛ وأنشد الفراء :

أَيْسَكَ حِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَفِرٌّ • فى إثر أحمرة ممدن ليزرب

قوله تعالى : **(قَرَّتْ)** أى هزت وهزيت **(مِنْ قَسْوَرَةٍ)** أى من رماة يرمونها .  
وقال بعض أهل اللغة : إن القسور الزاوى وجمعه القسورة . وكذا قال سعيد بن جبير وحكمة  
وجاهد وقادة والفساك وابن كيسان : القسورة هم الزمأة والصيادون ، ورواه عطاء عن ابن  
عباس وأبو [عليان] ❶ عن أبي موسى الأشعرى . وقيل : إنه الأسد . قاله أبو هريرة وابن عباس  
أيضا . ابن عرفة : من القسر بمعنى القهر أى إنه يقهر السباع والحر الوحشية تهرب من  
السباع . وروى أبو جرعة عن ابن عباس قال : ما أعلم القسورة الأسد فى لغة أحد من العرب  
ولكنها صعب الرجال ؛ قال : فالقسورة جمع الرجال وأنشد :

(١) غريب ككر أسم موضع وجعل دون الشام فى بلاد بنى كلاب .

(٢) فى الأصول : أبو حيان وعر محريف والتصحیح من قدير التلوى « والتلبيب » .

يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ خُذُوا زِينَتَكُمْ إِذْ تَخْرُجُونَ إِلَى الْمَوَاقِدِ وَكُلُوا وَشَرِبُوا وَلَا تُفْسِدُوا أَمْوَالَكُمْ الَّتِي آتَاكُم بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

ومنه : يَرْكُزُ النَّاسُ أَى حَتْمِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمْ . وعنه أيضا : « تَوَتَّ مِنْ قَسْوَرَةٍ » أى من جبال الصيادين . وعنه أيضا القسورة بلسان العرب الأسد ، ولسان الحبشة الزباء ؛ ولسان فارس شير ، ولسان التُّبَط أريا . وقال ابن الأعرابي : القسورة أَثْلُ اللَّيْلِ ، أى تَوَتَّ مِنْ ظِلْمَةِ اللَّيْلِ . وقاله مِكْرَمَة أيضا . وقيل : هو أَثْلُ سَوَادِ اللَّيْلِ ، ولا يقال لِأَخْرَسَوَادِ اللَّيْلِ قَسْوَرَةٌ . وقال زيد بن أسلم : من رجال أَقْرِيَاءَ ، وكل شديد عند العرب فهو قَسْوَرَةٌ وَقَسُورٌ . وقال ليلى بن ربيعة :

إِذَا مَا حَضَفَ حَضَفَةً فِي نَيْبِنَا • أَنَا وَالرَّجَالُ الْمَالِدُونَ الْقَسَاوِدَ

قوله تعالى : ( بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى كُفْرًا مِمَّا مَنَعَهُ ) أى يسطى كتب مفتوحة ، وذلك أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا : يا محمد ! أبقنا بكتب من رب المالمين مكتوب فيها أى قد أرسلت إليكم محمدا ، صل الله عليه وسلم ، نظيره : « وَتَنْزِيلَ رُؤْيَاكَ حَتَّى تَنْتَهَلَ مَلِيحًا كَتَبًا تَهْرُؤُهُ » . وقال ابن عباس : كانوا يقولون إن كان محمد صادقا فليصبح عند كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمه من النار . قال مطر الزقاق : أرادوا أن يُعْطُوا بغير عمل . وقال الكلبي : قال المشركون بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصيح عند رأسه مكتوبا ذنبه وكفاره فأتنا بمثل ذلك . وقال مجاهد : أرادوا أن يتل على كل واحد منهم كتاب فيه من الله عز وجل إلى فلان بن فلان . وقيل : المعنى أن يذكر بذكر جميل ، فحُفَّتِ الصُّحُفُ مَوْضِعَ الذِّكْرِ مجازا . وقالوا : إذا كانت ذنوب الإنسان تكتب عليه لما بالنا لا نرى ذلك . ( كَلَّا ) أى ليس يكون ذلك . وقيل : حقا . والأوّل أجود ؛ لأنه رد لقولهم . ( بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ) أى لا أعطهم ما يخشون لأنهم لا يخافون الآخرة آخرارا بالدين . وقرأ سعيد بن جبير « كُفْرًا مِمَّا مَنَعَهُ » بسكون الميم والنون ، فأما تسكين الميم فتخفيف ، وأما النون فثاق . إنما يقال : نثرت الثوب وشبهه ولا يقال أنثرت . ويعبوز أن يكون شبه الصحيفة بالميت كأنها ميتة بطيها ، فإذا نثرت حييت ، بلغة على أنثرت الله الميت كما شبه إحياء الميت بنشر الثوب ؛ فقبل فيه نشر الله الميت فهي لغة فيه .

قوله تعالى : **كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ۝ كَلَّا إِنَّهُ يَذْكُرُ ۝ كَلَّا إِنَّهُ يَذْكُرُ ۝ كَلَّا إِنَّهُ يَذْكُرُ ۝** (قُلْ شَاءَ ذِكْرُهُ) أى أتعظ به . (وَمَا يَذْكُرُونَ) أى وما يتعظون (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) أى ليس يتدرون على الأماظ والتذكر إلا بمشيئة الله ذلك لم . وقرأ أفع ويسقوب بالياء وأخثاره أبو عبيد لقوله تعالى : « **كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ** » . وقرأ أفع ويسقوب بالياء وأخثاره أبو حاتم لأنه أعم وأضعف على تخفيفها . (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) فى الترمذى وسنن ابن ماجه عن أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى هذه الآية « **هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ** » قال : « قال الله تبارك وتعالى أنا أهل أن أتقن فن أتعانى فلم يعمل معى إلها فانا أهل أن أغفرله » لفظ الترمذى وقال فيه : حديث حسن غريب . وفى بعض التفسير : هو أهل المغفرة لمن تاب إليه من الذنوب الكبار ، وأهل المغفرة أيضا للذنوب الصغار باجتناب الذنوب الكبار . وقال محمد بن نصر : أنا أهل أن يتقنى عدى ، فإن لم يفعل كنت أهلا أن أغفرله وأرحمه ، وأنا الغفور الرحيم .

## سورة القيامة

مكية وهى تسع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : **لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝** **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتَجَمَعَ عِظَامُهُ ۝** **بَلْ قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ أُسَوِّى بَنَاتُهُ ۝** **بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝** **يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ ۝**

قوله تعالى : ( لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) قيل : إن « لا » صلة وجاز وقوعها في أول السورة ؛ لأن القرآن متصل ببعضه بعض فهو في حكم كلام واحد ؛ ولهذا قد يذكر الشيء في سورة ويحيى جوابه في سورة أخرى ؛ كقوله تعالى : « وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ » وجوابه في سورة أخرى : « مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ » ومعنى الكلام أقسم يوم القيامة ؛ قاله ابن عباس وابن جرير وأبو صيدة ؛ ومثله قول الشاعر :

تَذَكَّرْتُ لَيْلَ فَاغْرَقَتِي صَبَابُهُ • فَكَادَ صَيِّمُ الْقَلْبِ لَا يَنْقَطِعُ

وحكى أبو الليث السمرقندي : أجمع المفسرون أن معنى « لَا أَقِيمُ » أقسم ، واختلفوا في تفسير « لا » قال بعضهم : « لا » زيادة في الكلام للزينة ويمر في كلام العرب زيادة « لا » كما قال في آية أخرى : « قَالَ مَا مَنَّكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ » يعني أن تسجد ، وقال بعضهم : « لا » رد لكلامهم حيث أنكروا البعث فقال : ليس الأمر كما زعمتم .

قلت : وهذا قول الفراء ؛ قال الفراء ؛ وكثير من الصحابة يقولون « لا » صلة ولا يجوز أن يبدأ بمحمد ثم يعمل صلة ؛ لأن هذا لو كان كذلك لم يعرف خبر فيه محمد من خبر لا محمد فيه ؛ ولكن القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار ، بغاء الإقسام بالرد عليهم [ في كثير من الكلام المبتدأ منه وغير المبتدأ<sup>(١)</sup> ] وذلك كقولهم لا والله لا أقول فـ « لا » رد لكلام قد مضى ، وذلك كقولك : لا والله إن القيامة لحق ، كأنك أكذبت قوما أنكروه . وأشد غير الفراء لأمرئ القيس :

فَلَا وَابْنِ أُنْتِ السَّامِرِيِّ لَا يَدْعِي الْقِسْمَ أَنِّي أَفْرُ

وقال غوية بن سلسي :

أَلَا نَأْتِ أُمَامَةً بِأَحْتَالٍ • لِيَحْزِنَنِي فَلَا يَكُ مَا أَبَالِي

وقالبتها توكيد القسم في الرد . قال الفراء ؛ وكان من لا يعرف هذه الجهة يقرأ « لَا أَقِيمُ » بغير ألف ؛ كأنها لام تأكيد دخلت على أقسم وهو جواب ؛ لأن العرب تقول : لأقسم بالله

(١) الزيادة من ضمير الفراء .

وعلى قراءة الحسن وأبن كثير والزهرى وأبن هرمن . ( يَوْمُ الْقِيَامَةِ ) أى يوم يقوم الناس فيه لربهم ، وقه عز وجل أن يقسم بما شاء . ( وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ) لا خلاف في هذا بين القراء وهو أنه أقسم سبحانه بيوم القيامة تعظيما لشأنه [ ولم يقسم بالنفس ] . وعلى قراءة أبن كثير أقسم بالأولى ولم يقسم بالثانية . وقيل : « وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ » رد آخر وأبتداء قسم بالنفس اللوامة . قال الثعلبي : والمصحيح أنه أقسم بهما جميعا . ومعنى « بالنفس اللَّوَامَةِ » أى بنفس المؤمن الذى لا تراه إلا يوم نفسه ، يقول : ما أردتُ بكنا ؟ فلا تراه إلا وهو يمايب نفسه ، قاله أبن عباس وبجاهد والحسن وغيرهم . قال الحسن : هى والله نفس المؤمن ما يرى المؤمن إلا يوم نفسه : ما أردتُ بكلامى ؟ ما أردتُ بأى ؟ ما أردتُ بحديث قسى ؟ والتعاجل لا يحاسب نفسه . وقال مجاهد : هى التى تلوم على ما فات وتندم ، تلوم نفسها على الشر لم فعلته ، وعلى الخير لم لا تستكثر منه . وقيل : إنها ذات اللوم . وقيل : إنها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها ، فعل هذه الوجوه تكون اللوامة بمعنى اللائمة وهو صفة مدح ؛ وعلى هذا يحى القسم بها سائفا حسنا . وفى بعض التفسير أنه آدم عليه السلام لم يزل لاتما لنفسه على معصيته التى أخرج بها من الجنة . وقيل : اللوامة بمعنى الملوثة المذمومة — عن أبن عباس أيضا — فهى صفة ذم وهو قول من قى أن يكون قسما ؛ إذ ليس للعاصى خطر يقسم به ، فهى كثيرة الألوم . وقال مقاتل : هى نفس الكافر يوم نفسه ، ويقتصر فى الآخرة على ما لوط فى جنب الله . وقال القراء : ليس من نفس حسنة أو سيئة إلا وهى تلوم نفسها ، فالحسن يوم نفسه أن لو كان أزداد إحسانا ، والسيء يوم نفسه ألا يكون أروعى عن إساءته .

قوله تعالى : ( يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ يَجْعَلَ عِظَامُهُ ) فتعبد لها خلقا جديدا بعد أن صارت رفاتا . قال الزجاج : أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة ليجتمع العظام البعث ، فهذا جواب القسم . وقال التمام : جواب القسم محذوف أى لنبعث ؛ ودل عليه قوله تعالى : ( يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ يَجْعَلَ عِظَامُهُ ) لإحياء والبعث . والإنسان هنا الكافر

المكتّوب للبعث . والآية نزلت في عدّى بن ربيعة قال النبي صلى الله عليه وسلم : حدثني عن يوم القيامة متى تكون ، وكيف أمرها وحالها ؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال : لو مايت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن به ، أو يجمع الله العظام ؟ ! ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم أكفني جاري السوء عدّى بن ربيعة والأخلس بن شريق » . وقيل نزلت في عدوّ الله أبي جهل حين أنكر البعث بعد الموت . وذكر العظام والمراد نفسه كلها ؛ لأن العظام قائل الخلق . ( بَلِّ ) وقف حسن ثم تبدئ ( قَادِرِينَ ) . قال سيويه : على معنى بجمعها قادرين وقَادِرِينَ . حال من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف على ما ذكرناه من التقدير . وقيل : المعنى على قدر قادرين . قال الفراء : « قَادِرِينَ » نصب على الخروج من « يجمع » أى قدر وقوى « قَادِرِينَ » على أكثر من ذلك . وقال أيضا : يصلح نصبه على التكرار أى « بَلِّ » فليحصن قادرين . وقيل : المضمر كما أى كما قادرين في الابتداء . وقد أترف به المشركون . وقرأ ابن أبي حبة وابن السميع « بَلِّ قَادِرُونَ » بتأويل نحن قادرون . ( مَلَّ أَنْ تُسَوَّى بَنَاتُهُ ) البنات عند العرب الأصابع واحدها بناة ؛ قال النابغة :

يُخَصِّبُ رَخِصَ كَانَ بَنَاتُهُ \* مَمَّ يَكْدُ مِنْ الْأَطَافِ يَمُودُ

وقال عنترة :

وَأَنَّ الْمَوْتَ طَوَّعَ يَدِي إِذَا مَا \* وَصَلْتُ بَنَاتَهَا بِالْمُسْلَوَاتِ

فنبه بالبنات على بقية الأعضاء . وأيضاً فإنها أصغر العظام لنفسها بالذكر لذلك . قال الفقيه والراجح : وزعموا أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام ؛ فقال الله تعالى : على قادرين على أن نعيد السَّلاَمَاتِ على صفرها ، وتؤلف بينها حتى تستوى ، ومن قدر على هذا فهو على جمع الجوارق . وقال ابن عباس وطائفة المفسرين : المعنى « مَلَّ أَنْ تُسَوَّى بَنَاتُهُ » أى نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً تحفّ البعير أو كافر الجمار أو كظلف الخنزير ، ولا يمكنه أن يعمل به شيئاً ، ولكنا نرقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء . وكان الحسن

يقول : جعل لك أصابع فانت تبسطهن ، وتقبض بين ، ولو شاء الله لجمعهن فلم تنق الأرض إلا بكفك . وقيل : أى قدر أن نعيد الإنسان في هيئة البهائم ، فكيف في صورته التي كان عليها ، وهو كقوله تعالى : « وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَى أَنْ نَبْدُلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فَيَا لَا تَعْلَمُونَ » .

قلت : والتأويل الأول أشبه بمساق الآية . والله أعلم .

قوله تعالى : ( بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَانَهُ ) قال ابن عباس : يعنى الكافر يكذب بما أمامه من البعث والحساب . وقاله عبد الرحمن بن زيد ، ودليله ( يَسْأَلُ أَيَّانُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ) أى يسأل متى يكون ؟ على وجه الإنكار والتكذيب . فهو لا يقع بما هو فيه من التكذيب ، ولكن ياتم لما بين يديه . وما يدل على أن الفجور التكذيب ما ذكره الفتي وضهر : أن أحرايا قصدهم من الخطاب رضى الله عنه وشكا إليه قعب إبله ودبرها ، وسأله أن يحمله على غيرها فلم يحمله ، فقال الأحرابي :

أَقْسَمَ بِاللَّهِ إِبْرَهِيمُ عُصْرٌ \* مَا مَسَّهَا مِنْ تَقَبٍّ وَلَا دَبَرٍ

\* فَأَغْضِرْهُ اللَّهُ إِنْ كَانَ بِحَرٍّ \*

يعنى إن كان كذبى فيما ذكرت . وعن ابن عباس أيضا : يسجل المعصية ويسوف التوبة . وفي بعض الحديث قال : يقول سوف أئوب ولا يتوب ، فهو قد أخلف فكذب . وهذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدى وسعيد بن جبير يقول : سوف أئوب ، سوف أئوب حتى ياتي الموت على أشتر أحواله . وقال الضحاك : هو الأمل يقول سوف أميش وأصيب من الدنيا ولا يذكر الموت . وقيل : أى يزم على المعصية أبدا وإن كان لا يعيش إلا مدة قليلة . فالهاء على هذه الأقوال للإنسان . وقيل : الهاء ليوم القيامة . والمعنى بل يريد الإنسان ليكفر بالحق بين يدي يوم القيامة . والفجور أصله الميل عن الحق . ( يَسْأَلُ أَيَّانُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ) أى متى يوم القيامة .

قوله تعالى : فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ  
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَقَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا  
لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَّا رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يَتَّبِعُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ  
بِمَا قَدَّمُوا وَأَثَرَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى : ( فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ) قرأ نافع وأبان عن عاصم « برق » بفتح الراء معناه لمع  
بصره من شدة شغوه فتراه لا يطرف . قال مجاهد وغيره : هذا عند الموت . وقال الحسن :  
هذا يوم القيامة . وقال فيه معنى الجواب عما سأل عنه الإنسان كأنه يوم القيامة « إِذَا بَرَقَ  
البَصَرُ . وَخَسَفَ الْقَمَرُ » . والباقون بالكسر « برق » ومعناه تحير فلم يطرف ؛ قاله أبو عمرو  
والزجاج وغيرهما . قال ذو الرقة :

وَلَوْ أَنَّ ثَقَلَانَ الْحَكِيمِ تَمَرَّضَتْ • لِيَلْبِيَهُ نَحْيٌ سَافِرًا كَادَ بِبَرَقِ

الفزاء والخليل : « برق » بالكسر فزع ويبت . والعرب تقول للإنسان المتحير المبهوت :  
قد برق فهو برق ؛ وأشد الفزاء :

فَتَصَلَكَ فَاتَّحَ وَلَا تَنْتَهَى • وَدَاوِيَ الْكُلُومَ وَلَا تَبْرِقِ<sup>(١)</sup>

أى لا تفزع من كثرة الكلوم التى بك . وقيل : برق يبرق بالفتح شق عليه وفتحهما . قاله  
أبو عبيدة ؛ وأشد قول الكلابى :

لَمَّا أَتَانِي أَبْنُ عُثْمَرَ دَاغِيَا • أَعْطَيْتُهُ حِيَا صِهَابًا فَبَرَقَ

أى فتح عليه . وقيل : إن كسر الراء وفتحها لفتان بمعنى .

١ (١) كاتبة طرفة .

(٢) فى غير القرطبي : لَمَّا أَتَانِي أَبْنُ مَيْح . والعربى الصواب هى الإبل الى خالف . ياصها حربة روى عنه عبد  
الرب من أشرفها .

قوله تعالى : ( وَخِيفَ الْقَمَرُ ) أى ذهب ضوءه . والخسوف في الدنيا إلى انجلاء بخلاف الآخرة فإنه لا يعود ضوءه . ويحتمل أن يكون بمعنى غاب ؛ ومنه قوله تعالى : « نَحْشَقُهَا وَيَدَّارِهِ الْأَرْضُ » وقرأ ابن أبي إسحق وعيسى والأعرج . « وَخِيفَ الْقَمَرُ » بضم الخاء وكسر السين يدل عليه « وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ » . وقال أبو حاتم محمد بن إدريس : إذا ذهب بنفسه فهو الكسوف ، وإذا ذهب كله فهو الخسوف . ( وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ) أى جمع بينهما في ذهاب ضوءهما فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه ، قاله الفراء والزجاج . قال الفراء : ولم يقل جمعت ؛ لأن المعنى جمع بينهما . وقال أبو حنيفة : هو مل تغليب المذكر . وقال الكسائي : هو محمول على المعنى كأنه قال الضوءان . المبرد : الثالث غير حقيقي . وقال ابن عباس وأبن مسعود : جمع بينهما أى قرن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مَكُونِينَ مَظْلَمِينَ مُقَرَّنِينَ كأنهما ثوران عقيران . وقد مضى الحديث بهذا المعنى في آخر سورة « الْأَنْعَام » . وفي قراءة عبد الله « وَجُمِعَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ » وقال عطاء بن يسار : يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى . وقال علي وأبن عباس : يحللان في [ نور ]<sup>(١)</sup> انجيب . وقد يجمعان في نار جهنم ؛ لأنهما قد حُيدا من دون الله ولا تكون النار علما لهما لأنهما جداد ، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تهكيت الكافرين وحسرتهم . وفي مسند أبي داود الطيالسي ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «<sup>٢</sup> إن الشمس والقمر ثوران مقبران في النار » وقيل : هذا الجمع أنهما يجتمعان ولا يفترقان ، وقربان من الناس فيلحقهم العرق لثمة الحر ، فكان المعنى يجمع حرهما عليهم . وقيل : يجمع الشمس والقمر فلا يكون ثم تعاقب ليل ولانهار .

قوله تعالى : ( يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْعُ ) أى يقول أين آدم ، ويقال أبو جويل ؛ أى أين المهرب . قال الشاعر :

(١) تاج ص ٧٦ نا بهما . (٢) الزيادة من كتب التفسير .

أَيْنَ الْمَفْرُ وَالْكَفَّاشُ تَنْطَحُ \* وَأَيُّ كَيْشٍ حَادٍ عَنْهَا يَنْتَضِعُ

المساوردي : ويحمل وجهين ؛ أحدهما « أَيْنَ الْمَفْرُ » من الله استعجاء منه . الثاني « أَيْنَ الْمَفْرُ » من جهنم حذرا منها . ويحمل هذا القول من الإنسان وجهين : أحدهما — أن يكون من الكافر خاصة في عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ دون المؤمن ؛ لقلة المؤمن بشرى وبه . الثاني — أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لحول ما شاهدوا منها . وقراءة العامة « الْمَفْرُ » بفتح الفاء وأختاره أبو عبيد وأبو حاتم ؛ لأنه مصدر . وقرا آبن عباس ومجاهد والحسن وقنادة بكسر الفاء مع فتح الميم ؛ قال الكسائي ؛ هما لفتان مثل مَدَبٍ وَمَدَبٍ وَمَصْبَحٍ وَمَصْبَحٍ . ومن الزهري بكسر الميم وفتح الفاء . المهدوي : من فتح الميم والفاء من «المفر» فهو مصدر بمعنى الفرار ، ومن فتح الميم وكسر الفاء فهو الموضع الذي يفر إليه . ومن كسر الميم وفتح الفاء فهو الإنسان الجليد الفرار ؛ فالمعنى أَيْنَ الْإِنْسَانُ الْجَلِيدُ الْفَرَارُ وَلَنْ يَنْصُرَ مَعَهُ ذَلِكَ .

قلت : ومنه قول أمريئ القيس :

\* يَكْثُرُ مَقْبِلُ مَذْرَمًا ۝

يريد أنه حسن الكز والفر جوده . (كَلَّا) أي لا مفر من هلاكه رد وهو من قول الله تعالى ، ثم فسر هذا الرق فقال : (لَا وَزْدَ) أي لا ملجأ من النار . وكان آبن مسعود يقول : لا حصن . وكان الحسن يقول : لا جبل . وآبن عباس يقول : لا ملجأ . وآبن جبير : لا حصن ولا منعة . والمعنى في ذلك كله واحد . والوزد في اللغة ما يلجأ إليه من حصن أو جبل أو غيرها ؛ قال الشاعر :

لَتَمَرِّي مَا لَفَتِي مِنْ وَزْدَ \* مِنْ الْمَوْتِ يُنِيرُهُ وَالْكَبَرِ

قال السدي : كانوا في الدنيا إذا فزعوا تحصنوا في الجبال ، فقال الله لهم : لا وزد يصصمكم يومئذ مني ؛ قال طرفة :

وَلَقَدْ تَسَلَّمْتُ بِكَرَأَتَا \* فَانْظُرُوا الرَّأْيَ فِي الرَّوْعِ وَزْدَ

\* بكتلود صرخته السيل من عل \*

(١) تمام البيت :

أى ملياً فثابت . وروى : وثق . (إلى ربك يومئذ المستقر) أى المنتهى؛ قاله قتادة . ونظيره : «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ» . وقال ابن مسعود : إلى ربك المصير والمرجع . وقيل : أى المستقر فى الآخرة حيث يقف الله تعالى ؛ إذ هو الحاكم بينهم . وقيل : إن «كلاً» من قول الإنسان لنفسه إذا علم أنه ليس له مفز قال لنفسه : «كَلَّا لَا وَزَرَ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ» .

قوله تعالى : (يُطَبِّأُ الْإِنْسَانُ) أى يجرأ ابن آدم برا كان أو فاجرا (بِمَا قَدَّمُ وَأَخَّرُ) أى بما أسلف من عمل سيء أو صالح ، أو أتر من سنة سيئة أو صالحة يُسَلِّ بها بعده؛ قاله ابن عباس وابن مسعود . وروى منصور بن مجاهد قال يئأ بأقول عمله وآخره . وقاله النخعي . وقال ابن عباس أيضا : أى بما قدم من المصيبة وأتر من الطاعة . وهو قول قتادة . وقال ابن زيد : «بِمَا قَدَّمُ» من أمواله لنفسه «وَأَخَّرُ» خلف للوثة . وقال الضمكلى : يئأ بما قدم من فرض وأتر من فرض . قال القشيري : وهذا الإيأاء يكون فى القيامة عند وزن الأعمال . ويجوز أن يكون عند الموت .

قلت : والأوّل أظهر؛ لما خرج ابن ماجه فى سننه من حديث الزهري؛ حدثنى أبو عبد الله الأغر عن أى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنا مما يتحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته صلأا عليه ونشره وولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجرأه أو صدقة أخرجها من ماله فى محبة وحياته تلحقه من بعد موته» وخرجه أبو نعيم الحافظ بمعناه من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «سبع يجرى أجرهن للميت بعد موته وهو فى قبره من لم يمت طاهرا أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو حرم نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته» فقوله : «بعد موته وهو فى قبره» نص على أن ذلك لا يكون عند الموت ، وإنما يجرى جميع ذلك عند وزن عمله ، وإن كان يشتر بذلك فى قبره . ودل على هذا أيضا قوله الحق : «وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ» وقوله تعالى : «وَبَيْنَ أَوَارِيرِ الَّذِينَ يَشْتَأُونَهُمْ وَبَيْنَ مِمَّنْ لَّهُمْ» وهذا لا يكون إلا فى الآخرة بعد وزن الأعمال . والله أعلم .

وفي الصحيح : <sup>٢٥</sup> من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها معه من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها beside من غير أن ينقص من أوزارهم شيء <sup>٢٦</sup> .

قوله تعالى : **بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۖ وَلَٰكِن مَّا نَذِيرُهُ ۝١٥**

قوله تعالى : ( **بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ** ) قال الأخفش : جعله هو البصيرة ، كما تقول للرجل أنت حجة على نفسك . وقال ابن عباس : « **بَصِيرَةٌ** » أي شاهد وهو شهود جوارحه عليه : يده بما يبلش بهما ، ورجلاه بما منى عليهما ، وعينه بما أبصرهما . والبصيرة الشاهد ، وأشد الفراء :

كَأَنَّ عَلَى ذِي الْعَقْلِ عَيْنًا بَصِيرَةً • بِمَقْعِدِهِ أَوْ مَقْعَدِهِ هُوَ نَاطِقُهُ  
يُحَادِثُ حَتَّى يَحْسَبَ النَّاسُ كُلَّهُمْ • مِنَ الْخَوَافِ لَا تَقْنَى عَلَيْهِمْ مَرَاتِرُهُ

ودليل هذا التأويل من الترتيل قوله تعالى : « **يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي الْإِرَادَةِ** » . وجاء تأنيث البصيرة لأن المراد بالإنسان هاهنا الجوارح ، لأنها شاهدة على نفس الإنسان ؛ فكأنه قال : بل الجوارح على نفس الإنسان بصيرة ؛ قال معناه القتيبي وفيه . وناس يقولون هذه الهاء في قوله : « **بَصِيرَةٌ** » هي التي يسميها أهل الإصراب هاء المبالغة كالكلام في قولهم : داهية وعلامة وراوية . وهو قول أبي عبيد . وقيل المراد بالبصيرة الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير أو شر ؛ يدل عليه قوله تعالى : « **وَلَوْ أَنفَىٰ مَنَازِرُهُ** » فيمن جعل المنازير السُّور . وهو قول السدي والضحاك . وقال بعض أهل التفسير : المعنى بل على الإنسان من نفسه بصيرة ؛ أي شاهد تخلف حرف الجر . ويجوز أن يكون بصيرة نعمتا لأسم مؤنث فيكون تقديره : بل الإنسان على نفسه عين بصيرة ؛ وأشد الفراء :

• **كَأَنَّ عَلَى ذِي الْعَقْلِ عَيْنًا بَصِيرَةً** •

وقال الحسن في قوله تعالى : « يَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ » بصر بعيوب غيره  
جاهل بعيوب نفسه . ( وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِرُهُ ) أى ولو أَرخى سُتوره . والسُّتر لغة أهل اليمن  
مِئزار؛ قاله الضحاك؛ وقال الشاعر :

ولكنها ضَلَّتْ بِمِزَلِ سَاعَةٍ • طينا وأطَّتْ فوقها بالمعاذير

قال الزجاج : المعاذير السُّتور والواحد معذار ؛ أى وإن أَرخى مستره ؛ يريد أن يخفى  
عمله فنعسه شاهدة عليه . وقيل : أى ولو أَعْزَرَ فقال لم أَفعل شيئا لكان عليه من نفسه  
من يشهد عليه من جوارحه ، فهو وإن أَعْزَرَ وجادل عن نفسه فعليه شاهد يكتب  
عنده ؛ قاله مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وأبو العالية وعطاء والفراء  
والسدي أيضا ومقاتل . قال مقاتل : أى لو أدل بمنزلة أو حجة لم ينفعه ذلك ، نظيره قوله  
تعالى : « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ » وقوله : « وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ » فالمعاذير  
على هذا مأخوذ من المنذر ؛ قال الشاعر :

ولمَّا يَكْ وَالْأَمْرُ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعَتْ • مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِيرُ

فما حَسُنَ أَنْ يَمْنَحَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ • وليس له من سائر الناس طائرُ

وأعْزَرَ رجل إلى إبراهيم النَّخَعِي فقال له : قَدْ صَدَرَتْكَ غَيْرُ مُعْذِرٍ ، إن المعاذير يُشَوِّها  
الكتب . وقال ابن عباس : « وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِرُهُ » أى لو تجرَّد من ثيابه . حكاها  
الساوودي .

قلت : والأظهر أنه الإدلاء بالجملة والأعْزَار من الذَّنْب ؛ ومنه قول النابغة :

هَذَا إِنْ ذِي عِذْرَةٍ إِلَّا تَكُنْ قَعْمٌ • فَإِنَّ صَاحِبَهَا مُشَارِكُ النُّكَدِ

والدليل على هذا قوله تعالى في الكفار : « وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ » وقوله تعالى  
في المنافقين : « يَوْمَ يَبْسُطُ اللَّهُ جَنَابَهُ فَيُفْلِحُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِقُونَ لَكُمْ » . وفي الصحيح أنه  
يقول : « يَا رَبِّ أَمْتُ بِكَ وَبِكَائِكَ وَبِرَسُولِكَ وَصَلَيْتُ وَصَمْتُ وَتَعَسَّيْتُ وَفِي بَيْتِي

ما أستطاع<sup>(١)</sup> الحديث. وقد تقدم في «حم السجدة» وغيرها، والمعاذير والمعاذير جمع معذرة؛ ويقال: معذرتي فيما صنع أعذره عذرا وعذرا والأسم المعذرة والمعذري؛ قال الشاعر:

• إني حُذِنْتُ ولا عذري يُحْدُو •

وكذلك العذرة وهي مثل الركة والجلمة؛ قال النابغة:

هَارِبٌ تَاعِذَةٌ إِلَّا تَكُنْ قَعْتُ • فَإِنَّ صَاحِبَهَا قَدْ تَاهَ فِي الْبَلَدِ<sup>(٢)</sup>

وتضمنت هذه الآية خمس مسائل:

الأولى — قال القاضي أبو بكر بن العربي قوله تعالى: «يَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ يَصْبِيحًا» ولو أُلْقِيَ مَعَاذِرُهُ: فيها دليل على قبول إقرار المرء على نفسه ولأنها شهادة منه عليها؛ قال الله سبحانه وتعالى: «يَوْمَ تَشْهَدُ عَنْهُمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» ولا خلاف فيه؛ لأنه إخبار على وجه يفتى التهمة عنه؛ لأن الماثل لا يكتب على نفسه، وهي المسئلة:

الثانية — وقد قال سبحانه في كتابه الكريم: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخْلَقْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ أَمْصِرُوا فَقَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» ثم قال تعالى: «وَأَنزَلْنَا أَعْرَافَهُمْ يَدْعُوهُمْ تَخْلُفُوا وَتَحَرَّجُوا وَتَوَخَّوْا وَأَنزَلْنَا أَعْرَافَهُمْ يَدْعُوهُمْ تَخْلُفُوا وَتَحَرَّجُوا وَتَوَخَّوْا» وهو في الآثار كثير؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَعْدُ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ عَلَىٰ أَمْرَةٍ هَذَا فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَأَرْجِعْهَا». فاما إقرار النير على النير بوارث أو دين فقال مالك: الأمر المجتمع عليه عندنا في الرجل يهلك وله بنون، فيقول أحلهم: إن أبي قد أقر أن غلاتا أبسه أن ذلك النسب لا يثبت بشهادة إنسان واحد،

(١) راجع ج ١ ص ٥٠٠ فقه متى ما أثار إليه القرطبي وأما الحديث فتقاربه في سورة الأنعام ج ١ ص ٥٢

(٢) قاله الجوزي للقرطبي. وقيل: هو راشد بن جدي. ودعى مقصور. وفي اللسان: حوارب إيشاده؛ لولا حدث. مل لإادة أن، قد يره؛ لولا أن حدث لأن لولا التي معناه أمتاع التي. لوجود خبره في غير مرة بالأسم. وقد تقع بعدا الأصل مل قد يره أن. (٣) تقدم البيت برؤية: ط إن ذى — مشارك الكند. وما يعايناه.

ولا يجوز إقرار الذي أقر إلا على نفسه في حصته من مال أبيه، يعطى الذي شهد له قدر الذي يصيبه من المال للذي في يده . قال مالك: وتفسير ذلك أن يهلك الرجل ويترك أبين ويترك ستمائة دينار، ثم يشهد أحدهما بأن أباه المالك أقر أن فلانا أبنه، فيكون على الذي شهد للذي استطلق مائة دينار، وذلك نصف ميراث المستطلق ولو لحق، وإن أقر له الآخر أخذ المائة الأخرى فأستكمل حقه وثبت نسبه . وهو أيضا بمنزلة المرأة تنقر بالدين على أبيها أو على زوجها وينكر ذلك الورثة، فعلى أن تدفع إلى الذي أقرت له قدر الذي يصيبها من ذلك الدين لو ثبت على الورثة كلهم، إن كانت امرأة فورثت الثمن دفعت إلى الغريم ثمن دينه، وإن كانت أبنية ورثت النصف دفعت إلى الغريم نصف دينه، على حساب هذا يدفع إليه من أقر له من النساء .

الثالثة - لا يصح الإقرار إلا من مكلف لكن بشرط ألا يكون محجورا عليه؛ لأن المحر يسقط قوله إن كان لحق نفسه، فإن كان لحق غيره كالمرضى كان منه ساقط ومنه جائز وبسببه في مسائل الفقه . وللعبد حالتان في الإقرار إحداها في آبئائه ولا خلاف فيه على الوجه المتقدم . والثانية في آتئائه وذلك مثل إيهام الإقرار، وله صور كثيرة وأمهات ست : الصورة الأولى - أن يقول له عندي شيء؛ قال الشافعي : لو قسره بقرعة أو كسرة قبل منه والذي تنقضه أصولنا أنه لا يقبل إلا فيما له قدر، فإذا قسره به قبل منه وحلف عليه . الصورة الثانية - أن يقسره هذا بغير أو خنزير أو مالا يكون مالا في الشرعة لم يقبل بأخلاق ولو ساعده عليه المقتول له . الصورة الثالثة - أن يقسره بخنث في مثل جلد الميتة أو صرغين أو كلب، فإن رده لم يحكم عليه حاكم آخر غيره بشيء؛ لأن الحكم قد نفذ بإبطاله . وقال بعض أصحاب الشافعي : يلزم المحر والخنزير وهو قول باطل . وقال أبو حنيفة : إذا قال له على شيء لم يقبل تخسيره إلا بمكيل أو موزون؛ لأنه لا يثبت في الذمة بنفسه إلا ما . وهذا ضيف فإن فيه ما يثبت في الذمة إذا وجب ذلك إجماعا . الصورة الرابعة - إذا قال له : عندي مال قبل تفسيره بما لا يكون مالا في العادة كالدرهم والدرهمين عالم بمعي من قرينة

الحال ما يحكم عليه بأكثر منه . الصورة الخامسة — أن يقول له : عندى مال كثير أو عظيم ؛ فقال الشافى : يقبل فى الحبسة . وقال أبو حنيفة : لا يقبل إلا فى نصاب الزكاة . وقال ملائقنا فى ذلك أقوالا غنقة ؛ منها نصاب السرقة والزكاة والدية وإقله عندى نصاب السرقة ؛ لأنه لا يبان عضو المسلم إلا فى مال عظيم . وبه قال أكثر الحنفية . ومن يصحب فيتعجب لقول الليث بن سعد : إنه لا يقبل فى أقل من اثنين وسبعين درهما . فقيل له : ومن أين تقول ذلك ؟ قال : لأن الله تعالى قال : « لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ » وغزواته ومراياه كانت اثنتين وسبعين . وهذا لا يصح ؛ لأنه أخرج حنينا منها ، وكان حقه أن يقول يقبل فى أحد وسبعين ، وقد قال الله تعالى : « أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا » وقال : « لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ » وقال : « وَلَعَنَهُمْ لَعْنًا كَثِيرًا » . الصورة السادسة — إذا قال له عندى عشرة أو مائة أو ألف فإنه يفسرها بما شاء ويقبل منه ؛ فإن قال ألف درهم أو مائة وعبد أو مائة وخمسون درهما فإنه يفسر للمهم ويقبل منه . وبه قال الشافى . وقال أبو حنيفة : إن عطف على العدد المهم ميلا أو موزونا كان تفسيرا ؛ كقوله : مائة وخمسون درهما ؛ لأن الدرهم تفسير الخمسين ، والخمسين تفسير المائة . وقال ابن خيران الأصبهاني من أصحاب الشافى : الدرهم لا يكون تفسيرا فى المائة والخمسين إلا الخمسين خاصة ويُفسر هو المائة بما شاء .

المسئلة الرابعة — قوله تعالى : « وَلَوْ أَلْقَى مَسَاكِينُهُ » ومناه لو احتذر بعد الإقرار لم يقبل منه . وقد اختلف العلماء فىمن رجع بعد ما أقر فى الحدود التى هى خالص حق الله ؛ فقال أكثرهم منهم الشافى وأبو حنيفة : يقبل رجوعه بعد الإقرار . وقال به مالك فى أحد قوليهِ ، وقال فى القول الآخر : لا يقبل إلا أن يذكر رجوعه وجها صحيحا . والصحيح جواز الرجوع مطلقا ؛ لما روى الأئمة منهم البخارى ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم رد المقر بالزنى مرارا أو بما كل مرة يمرض عنه ، ولما شهد على نفسه أربع مرات دعاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « بَايَعْتُكَ جُنُونَ » قال : لا . قال : « أُخِصِّصَتْ » قال : تَمَّ . وفى حديث البخارى : « لَمَّا كَلَّ قَبِلْتُ أَوْ غَمَزْتُ أَوْ نَظَرْتُ » . وفى النسائي وأبى داود : حتى قال له فى الخامسة

«اجابتم» قال : نعم . قال : «حتى غاب ذلك منك في ذلك منها» قال : نعم . قال : «كما يعيب المروء في الكُحْلة والرَّشَاء في البئر» . قال : نعم . ثم قال : «هل تدري ما ألقى» قال : نعم ؛ أبيت منها حراما مثل ما يلقى الرجل من أهله حلالا . قال : «فأريد مني» قال : أريد أن تطهرني . قال : فأمر به فُرْجِم . قال الترمذي وأبو داود : فلما وجد مَسَّ الحجارة فَرِيشتَه فضربه رجل بلحي بحمل وضربه الناس حتى مات . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «هَلَا تَرَكَمُوهُ» وقال : أبو داود والنسائي ؛ لَيَنْتَهتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما ترك حَدِّ فلا . وهذا كله طريق للرجوع وتصريح بقبوله . وفي قوله عليه السلام : «لَمَّا كَبَلَتْ أَوْ تَحَزَمَتْ» إشارة إلى قول مالك : إنه يقبل رجوعه إذا ذكر وجهه .

الخامسة - وهذا في الحر المالك لأمر نفسه ، فأما العبد فإن إقراره لا يخلو من أحد قسمين : إما أن يقر على بَدَنه ، أو على ما في يده وذمته ، فإن أقر على بَدَنه فيما فيه عقوبة من القتل لما دونه فقد ذلك عليه . وقال محمد بن الحسن : لا يقبل ذلك منه ؛ لأن بَدَنه مستغرق لحق السيد ، وفي إقراره إتلاف حقوق السيد في بَدَنه ، ودليلنا قوله صلى الله عليه وسلم : «من أصاب من هذه الفاذوات شيئا فليستريستر الله فإن من يُبَدِّلنا صفحته نُقِمَ عليه الحد»<sup>(١)</sup> المعنى أن محل العقوبة أصل الخلقة وهي [الْبُدْنِيَّة] في الآدمية ولا حقَّ للسيد فيها ، وإنما حقه في الوصف والتابع وهي المألية الطارئة عليه ، ألا ترى أنه لو أقر بما لم يقبل حتى قال أبو حنيفة : إنه لو قال سرقت هذه السِّلعة أنه لم تقطع يده وأخذها المقر له . وقال علماؤنا : السِّلعة للسيد ويُباع العبدُ بقيمتها إذا عتق ؛ لأن مال العبد للسيد إجماعا ، فلا يقبل قوله فيه ولا إقراره عليه ، لا سيما وأبو حنيفة يقول : إن العبد لا ملك له . ولا يصح أن يملك ولا يملك ، ونحن وإن قلنا إنه يصح تملكه ، ولكن جميع ما في يده لسيده بإجماع على القولين . والله أعلم .

(١) القتل في رواية لأبي داود . (٢) يشد : يهجو .

(٣) التصحيح من كين العربي وفي الأصول «الامة» .

قوله تعالى : لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُحْصِلَ بِهِ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ  
وَقُرْآنَهُ ﴿١٢﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٣﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٤﴾  
كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١٥﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ( لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُحْصِلَ بِهِ ) في الترمذى عن سعيد بن جبيرة  
ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه القرآن يحرك به لسانه ، يريد أن  
يحفظه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُحْصِلَ بِهِ » قال : فكان يحرك به  
شفته . وحرك شفيان شفثيه . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . ولفظ مسلم عن  
أبي جبير عن أبي عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة ، كان يحرك  
شفثيه ، فقال لي أبي عباس : أنا أحركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما ، فقال  
سعيد : أنا أحركهما كما كان أبي عباس يحركهما يحرك شفثيه ، فأنزل الله عز وجل ( لَا تُحَرِّكْ  
بِهِ لِسَانَكَ لِتُحْصِلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ) قال جمعه في صدرك ثم قرأه ( فَإِذَا قَرَأْتَهُ  
فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ) قال فاستمع له وانصت . ثم إن علينا أن نقرأه ، قال : فكان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليهما السلام استمع ، وإذا أنطلق جبريل عليه السلام  
قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما أقرأه ؛ ترجمه البخارى أيضا . ونظير هذه الآية قوله تعالى :  
« وَلَا تَجْعَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ » وقد تقدم <sup>(١)</sup> وقال عامر الشعبي : إنما  
كان يسجل بذكره إذا نزل عليه من حبه له ، وسلاوته في لسانه ، فنهى عن ذلك حتى يستمع ؛  
لأن بعضه مرتبط ببعض . وقيل : كان عليه السلام إذا نزل عليه الوحي حرك لسانه  
مع الوحي مخافة أن يسهأ فزلت « وَلَا تَجْعَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ »  
ونزل « سَتَرْتُكَ فَلَا تَنسَى » ونزل « لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ » قاله أبي عباس . « وَقُرْآنَهُ » أى  
وقراءته عليك . والقراءة والقرآن في قول القراء مصدران . وقال قتادة : « فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ »

أى فأتبع شرائعه وأحكامه . وقوله : ( ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ ) أى تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام؛ قاله قتادة . وقيل : ثم إن علينا بيان ما فيه من الوعد والوعيد وتحفيقهما . وقيل : أى إن علينا أن نبيته بلسانك . قوله تعالى : ( كَلَّا ) قال ابن عباس : أى إن أبا جهل لا يؤمن بتفسير القرآن وبيانه . وقيل : أى « كَلَّا » لا يُصلون ولا يزكون يريد كفار مكة . ( بَلْ يُحِيبُونَ ) أى بل يحبون يكفرون أهل مكة ( السَّاجِدَةَ ) أى الدار الدنيا والحياة فيها ( وَتَذَرُونَ ) أى تدعون ( الْآخِرَةَ ) والعمل لها . وفى بعض التفسير قال : الآخرة الجنة . وقرأ أهل المدينة والكوفيون « بَلْ يُحِيبُونَ » « وَتَذَرُونَ » بآلاء فهما على الخطاب واختاره أبو حنيفة؛ قال : ولولا الكراهة لخلاف هؤلاء القراء لقرأتها بالياء ؛ لذكر الإنسان قبل ذلك . الباقيون بالياء على الخبر وهو اختيار أبى حاتم ، فمن قرأ بالياء فردا على قوله تعالى : « يُبَيِّنُ الْإِنْسَانُ » وهو بمعنى الناس . ومن قرأ بآلاء فعل أنه واجههم بالتفريع ؛ لأن ذلك المبلغ فى المقصود ؛ نظيره : « إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ السَّاجِدَةَ وَتَذَرُونَ وَرَأَيْتُمْ يَوْمًا قَبِيلًا » .

قوله تعالى : وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١٦﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿١٧﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرٍ ﴿١٨﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ) الأول من النضرة التى هى الحسن والتمتع . والثانى من النظر أى وجوه المؤمنين مشرقة حسنة ناعمة ؛ يقال : نَضَرَم اللهُ يَضْرُمُ نَضْرَةً وَنَضَارَةً وهو الإشراق والعيش والنعيم ؛ ومنه الحديث « نَضَرَةُ أُمِّمَاءَ سَمِيعٌ مَقَاتِي نَوَاطِئَهُ » . « إِلَىٰ رَبِّهَا » إلى خالقها ومالكها « نَاظِرَةٌ » أى تنظر إلى ربها ؛ على هذا جمهور العلماء . وفى الباب حديث ضُحَيْبُ خَرَجَهُ مُسْلِمٌ وَقَدْ مَضَىٰ فِي « يُونُسَ » عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَلْيَنْزِلْ أَعْسَتُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ » . وكان ابن عمر يقول : أكرم أهل الجنة

(١) نضرة ونضرة بالتشديد وأنضرة أى نعمة ، يروى الحديث بالتنجيف والتشديد من التنارة وهى فى الأصل حسن

الوجه والبريق . (٢) راجع ٨ ص ٢٣٠

حل الله من ينظر إلى وجهه فُدوة وعشية . ثم تلا هذه الآية « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ » . وروى يزيد النحوي عن عكرمة قال : تنظر إلى ربها نظرا . وكانت الحسن يقول : فضرت وجوههم ونظروا إلى ربهم .

وقيل : إن النظر هنا انتظار ما لهم عند الله من الثواب . وروى عن ابن عمر ومجاهد . وقال عكرمة : تنظر أمر ربها . حكاه الماوردي عن ابن عمر وعكرمة أيضا . وليس معروفا إلا من مجاهد وحده . وأحسبوا بقوله تعالى : « لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ » وهذا القول ضعيف جدا ، خارج عن مقتضى ظاهر الآية والأخبار . وفي الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنته وأزواجه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة وأكرمهم حل الله من ينظر إلى وجهه فُدوة وعشية » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ » قال هذا حديث غريب . وقد روى عن ابن عمر ولم يرفعه . وفي صحيح مسلم عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « جنتان من فضة آيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم جل وعز إلا رداء الكبرياء حل وجهه في جنة عدن » . وروى جرير بن عبد الله قال : « كما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسا ، فنظر إلى التمر ليلة البدر فقال : « إنكم سترون ربكم حيا ناكما ترون هذا التمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تنلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ « وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ » متفق عليه . ونحوه أيضا أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وتخرج أبو داود عن أبي رزين المقرئ قال : قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه ؟ قال ابن معاذ : تخليا به يوم القيامة ؟ قال : « نعم يا أبا رزين » قال : وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : « يا أبا رزين ليس كلكم يرى التمر » قال ابن معاذ : ليلة البدر تخليا به . قلنا : بلى . قال : « فانه أعظم » [ قال ابن معاذ قال : (١)

« فَإِنَّمَا هُوَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ - بِعَنِي الْقَمَر - فَأَنَّهُ أَجَلَ وَأَعْظَمَ ». وفي كتاب النَّسَاقِ  
عن صيب قال : « فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَاقَهُ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ  
مِنَ النَّظَرِ وَلَا أَفْزَلَ لَأَعْيُنِهِمْ » وفي التفسير لأبي إسحق التلمبي عن الزبير بن جابر قال  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَحْمِلُ رَبُّنَا عِزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِهِ  
فَيَخْزُونَ لَهُ تَحِيَّةً فَيَقُولُ أَرَفَعُوا رُءُوسَكُمْ فَلَيْسَ هَذَا يَوْمَ عِيسَاءَ » قال التلمبي : وقول  
جَاهِدُ أَنَّهُ بِمَعْنَى تَنْتَظِرُ الثَّوَابَ مِنْ رَبِّهَا وَلَا يَرَاهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ فَتَأْوِيلُ مَدْخُولٍ ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ  
إِذَا أَرَادَتْ بِالنَّظَرِ الْإِنْتِظَارَ قَالُوا نَظَرْتُهُ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : « هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ » « هَلْ  
يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ » وَ « مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً » وَإِذَا أَرَادَتْ بِهِ التَّفَكُّرَ وَالتَّدَبُّرَ قَالُوا  
نَظَرْتُ فِيهِ ، فَمَا إِذَا كَانَ النَّظَرُ مَقْرُونًا بِذِكْرِ الْوَجْهِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا بِمَعْنَى الرُّؤْيَا وَالْعِيَانِ .  
وَقَالَ الْأَزْمَرِيُّ : إِنْ قَوْلُ جَاهِدُ تَنْتَظِرُ ثَوَابَ رَبِّهَا خَطَأٌ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ نَظَرْتُ إِلَى كَذَا بِمَعْنَى  
الْإِنْتِظَارِ ، وَإِنْ قَوْلُ الْقَاتِلِ نَظَرْتُ إِلَى فُلَانٍ لَيْسَ إِلَّا بِرُؤْيَا عَيْنٍ ، كَذَلِكَ تَقُولُهُ الْعَرَبُ ؛  
لَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِذَا أَرَادُوا نَظَرَ الْعَيْنِ ، فَإِذَا أَرَادُوا الْإِنْتِظَارَ قَالُوا نَظَرْتُهُ ؛ قَالَ : -  
فَإِنَّمَا إِنْ تَنْتَظِرَانِي سَاعَةً \* مِنْ اللَّحْمِ تَتَفَعَّنِي لَدَى أُمِّ جَنْدَبٍ  
لَمَّا أَرَادَ الْإِنْتِظَارَ قَالَ تَنْتَظِرَانِي وَلَمْ يَقُلْ تَنْتَظِرَانِ إِلَيَّ ؛ وَإِذَا أَرَادُوا نَظَرَ الْعَيْنِ قَالُوا نَظَرْتُ  
إِلَيْهِ ؛ قَالَ : -

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالتَّجُومُ كَأَنَّهَا \* مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُنْسَبُ لِقَفَالٍ<sup>(١)</sup>

وقال آخر : -

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُصَّبِ مِنْ مَيِّ \* وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّعْرِجُ حَارِمُ<sup>(٢)</sup>

وقال آخر :

إِنِّي إِلَيْكَ لِمَا وَعَدْتَ لَنَاظِرٌ \* نَظَرْتُ الْفَقِيرَ إِلَى الْغَنِيِّ الْمُوسِرِ

(١) تَب : تَبَه . وَالْقَفَالُ جَمْعُ قَافِلٍ وَهُوَ الرَّاجِعُ مِنَ السَّفَرِ . وَالْقَيْتُ مِنْ صَيْدَةِ لَأَمْرِ الْقَيْسِ .

(٢) فِي نَسْخِ الْأَسْلَاطِ تَقْرِ ، وَالْمُصَابِ مَا ذَكَرْنَا كَمَا فِي دِيْوَانِ تَالَه وَهُوَ عَرَبِيٌّ وَبِيَّةٌ .

أى إني أنظر إليك بذل ؛ لأن نظرك الذل والخضوع أرق لقلب المسئول ؛ فأتأما  
 أسئلوا به من قوله تعالى : « لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ » فأتأ ذلك  
 فى الدنيا . وقد مضى القول فيه فى موضعه مستوفى . وقال عطية السوفى : ينظرون  
 إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمتهم ، ونظره يحيط بهم ، يدل عليه « لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ  
 وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ » قال القشيرى أبو نصر : وقيل : « إلى » واحد الآلاء أى نعمه منتظرة .  
 وهذا أيضا باطل ؛ لأن واحد الآلاء يكتب بالكاف لا بالياء ، ثم الآلاء نعمه الدفع ، وهم  
 فى الجنة لا ينتظرون دفع قمة عنهم ، والمتنظر للشيء مُتَنَصِّصُ العيش فلا يوصف أهل الجنة  
 بذلك . وقيل : أضاف النظر إلى الوجه ؛ وهو كقوله تعالى : « تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِ الْأَنْهَارُ »  
 والماء يجرى فى النهر لا النهر . ثم قد يذكر الوجه بمعنى العين ؛ قال الله تعالى : « فَآقُوهُ لَعَلَّ  
 وَجْهَهُ إِلَى يَمِينٍ يُصَبِّرُ » أى على عينيه . ثم لا يبعد قلب المادة غذا حتى يخلق الرؤية والنظر  
 فى الوجه ؛ وهو كقوله تعالى : « أَفَلَمْ يَمْشِ مِجَاً عَلَى وَجْهِهِ » قيل : يارسول الله كيف  
 يمشون فى النار على وجوههم ؟ قال : « الذى أسماهم على أقدامهم قادر أن يشيمهم على وجوههم » .  
 ( وَوَجْهٌ يُؤْمَدُ بِأَسْرَةٍ ) أى وجوه الكفار يوم القيامة كالحة كاسفة مابسة . وفى الصحاح :  
 وبسر الفحل الناقصة وأبسرهما إذا ضربها من غير ضربة ، وبسر الرجل وجهه بسورا أى كلع  
 يقال : عَسَ وبَسَرَ . وقال السدى : « بِأَسْرَةٍ » أى متفجرة والمضى واحد . ( تَنْظُرُ أَنْ تُفْعَلَ بِهَا  
 فَاقْرَأْ ) أى توقن وتعلم ، والناقرة الداهية والأمر العظيم ؛ يقال : فقرته الناقرة أى كسرت  
 فقار ظهره . قال معناه مجاهد وغيره . وقال قتادة : الناقرة الشر . السدى : الهلاك . أبى  
 عباس وآبى زيد : دخول النار . والمضى متقارب . وأصلها الوسم على أنف البعير بمدينة أو  
 نارسى يخلص إلى العظم ؛ قاله الأصمعى . يقال : قَرَرْتُ أَنْفَ البعير إذا حزته بمدينة  
 ثم جعلت على موضع الحز الجريرو عليه وترملوى<sup>(١)</sup> لِنِثْلِهِ بذلك وتروضه ؛ ومنه قولهم : قد  
 عُجِّلَ به الناقرة . وقال التائبة :

(١) راجع ٧٤٥ هـ (٢) هكذا فى كل الأصول . (٣) الجريرو حيل من آدم يضمم به البعير

أَبَى لِي قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُقَابِلِي • وَضَرْبَةُ نَائِسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَةٌ  
أَي كَاسِرَةٌ .

قوله تعالى : **كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ** ﴿١٧﴾ **وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ** ﴿١٨﴾ **وَعَلَّنَ**  
**أَنَّهُ الْغَرَّاقُ** ﴿١٩﴾ **وَالْتَفَتَتْ أَلْسَانُ بِالسَّاقِ** ﴿٢٠﴾ **إِلَىٰ وَدَيْكَ يَوْمَئِذٍ**  
**الْمَسَاقُ** ﴿٢١﴾

قوله تعالى : **(كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ)** «كَلَّا» رَدْعٌ وَذَجْرٌ أَي بَعِيدٌ أَنْ يَمُوتَ مِنَ الْكَافِرِ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ : **« إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ »** أَي بَلَغَتِ النَّفْسُ أَوِ الرُّوحُ التَّرَاقِي ؛ فَخَبِرَ  
عَالِمٌ بِمِثْلِهِ ذَكَرَ لِمِ الْخَطَاطِ بِهِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : **« حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ »** وَقَوْلُهُ تَعَالَى :  
**« قُلُوبًا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ »** وَقَدْ هَدَمَ <sup>(١)</sup> . وَقِيلَ : **« كَلَّا »** مَعْنَاهُ حَقًّا أَي حَقًّا إِنَّ الْمَسَاقَ إِلَى  
الله **« إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ »** أَي إِذَا ارْتَحَتِ النَّفْسُ إِلَى التَّرَاقِ . وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : إِذَا  
بَلَغَتِ نَفْسُ الْكَافِرِ التَّرَاقِي . وَالتَّرَاقِي جَمْعُ تَرَقُّوةٍ وَهِيَ الْعِظَامُ الْمَكْتَنِفَةُ لِنُقْرَةِ النَّحْرِ ، وَهُوَ مُقَدِّمُ  
الْحَاقِ مِنْ أَعْلَى الصَّدْرِ ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْحَشْرِجَةِ ؛ قَالَ دُرَيْدُ بْنُ الْقَعْمَةِ <sup>(٢)</sup> .

وَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَتْ عَنْهُمْ • وَقَدْ بَلَغَتْ نَفْسُهُمُ التَّرَاقِي

وَقَدْ يَكُونُ عَنِ الْإِشْفَاءِ عَلَى الْمَوْتِ بِإِلَافَةِ النَّفْسِ التَّرَاقِي ، وَالْمَقْصُودُ تَذَكِيرُهُمْ شِدَّةَ الْحَالِ  
عِنْدَ تَزُولِ الْمَوْتِ .

قوله تعالى : **(وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ)** أَخْطَفَ فِيهِ نَقِيلٌ : هُوَ مِنَ الرِّقَةِ ؛ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ  
وَعِكْرَمَةَ وَغَيْرِهِمَا ، رَوَى سَيِّدُكَ عَنْ عِكْرَمَةَ قَالَ : مَنْ رَاقٍ يَرْتَقِي أَي يَتَشَبَّهِ . وَرَوَى مِيمُونُ بْنُ  
مِهْرَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَي هَلْ مِنْ طَبِيبٍ يَشْفِيهِ ؛ وَقَالَ أَبُو قِلَابَةَ وَتَلَدَةُ ؛ وَقَالَ الشَّاعِرُ :  
هَلْ لِقَتْنِي مِنْ بَنَاتِ الدُّعْرَيْنِ وَاقٍ • أَمْ هَلْ لَهِنَّ مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مَنْ رَاقٍ

(١) راجع ج ١٥ ص ١٩٥ و ج ١٧ ص ٢٢٠ قًا بعدا .

(٢) كَذَا فِي الْأَمَلِ وَالْبَيْتِ لِأَنَّهُ عَمْرَةٌ مِنْ تَصْيِدَةِ مَا تَزَلُّ بِهَا إِبَاهَا كَمَا فِي شِعْرَاءِ تَخْصِرَانِي .

وكان هذا على وجه الاستبعاد والياس ؛ أى من يقدّر أن يرقّ من الموت : وعن ابن عباس أيضا وأبى الجوزاء أنه من رَقَّ يرقّ إذا صعد ، والمعنى : من يرقّ بروحه إلى السماء ؟ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ وقيل : إن ملك الموت يقول من راق ؟ أى من يرقّ بهذه النفس ؛ وذلك أن نفس الكافر تكره للملائكة قربها ، فيقول ملك الموت : يا فلان أحصم بها . وأظهر حاصم وقوم النون في قوله تعالى : « مَنْ رَاقٍ » واللام في قوله : « بَلْ رَأَى » لئلا يشبه مَرَّاق وهو بائع المرقّة ، ورَّان في تهيئة البرّ ، والصحيح ترك الإظهار ، وكسرة التثاق في « مَنْ رَاقٍ » وفصحة النون في « بَلْ رَأَى » تكفى في زوال اللبس . وأمثلة مما ذكره قصد الوقوف على « مَنْ » و « بَلْ » فأظهرهما ؛ فله التشديد .

قوله تعالى : ( وَتَلَى ) أى أيقن الإنسان ( أَنَّهُ الْفِرَاقُ ) أى فراق الدنيا والأهل والمسال والولد ، وذلك حين ماين الملائكة . وقال الشاعر :

فِرَاقٌ لَيْسَ يُشَبَّهُ فِرَاقٌ • قد أقطع الريداء عن التَّلَاقِ

(وَالْتَفَتَ السَّاقُ وَالسَّاقُ) أى فاصتلت الشدة بالشدة؛ شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة؛ قاله ابن عباس والحسن وغيرهما . وقال الشعبي وغيره : المعنى ألفت ساقا الإنسان عند الموت من شدة الكرب . وقال قتادة : أما رأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجله على الأخرى . وقال سعيد بن المسيّب والحسن أيضا : هما ساقا الإنسان إذا افتتا في الكفن . وقال زيد ابن أسلم : ألفت ساق الكفن بساق الميت . وقال الحسن أيضا : ماتت رجلاه ، ويست ساقاه فلم تحملاه ، ولقد كان عليهما جزّالا . قال النحاس : القول الأول أحسنها . وروى عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس : « وَالْتَفَتَ السَّاقُ وَالسَّاقُ » قال آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة ، فتلقى الشدة بالشدة إلا من رحمه الله ؛ أى شدة كرب الموت بشدة هول المطلق ؛ والدليل على هذا قوله تعالى : « إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ » وقال : مجاهد : بلاد بلاء . يقول : تنابعت عليه الشدائد . وقال الضحاك وابن زيد : اجتمع عليه أمران شديدان الناس يُجهّزون جسده والملائكة يُجهّزون رُوحه ، والعرب لا تذكر الساق إلا في المحن

والشدائد العظام ، ومنه قولهم : قامت الدنيا على ساق ، وقامت الحرب على ساق

قال الشاعر :

« وقامت الحرب بنا على ساق »<sup>(١)</sup>

وقد مضى هذا المعنى في آخر سورة « ن وَالْقَلَمِ » . وقال قوم : الكافر تُدَبُّ رُوحه عند خروج نفسه فهذه الساق الأولى ، ثم يكون سدها ساق اليث وشدائده . ( إِلَى رَبِّكَ )<sup>(٢)</sup>  
أى إلى خالقك ( يَوْمَئِذٍ ) أى يوم القيامة ( الْمَسَاقُ ) أى المرجع . وفى بعض التفسير قال :  
يسوقه ملكه الذى كان يحفظ عليه السيئات . والمَسَاق المصدر من ساق يسوق ، كالقَالَ من  
قال يقول .

قوله تعالى : فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿١٦﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾  
ثُمَّ دَعَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿١٨﴾ أَوْلَى لَكَ فَأُولَى ﴿١٩﴾ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ  
فَأُولَى ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ( فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ) أى لم يصدق أبو جهل ولم يُصَلِّ . وقيل : يرجع  
هذا إلى الإنسان في أوّل السورة وهو آدم جنس . والأوّل قول ابن عباس . أى لم يصدق  
بالرسالة « وَلَا صَلَّى » ودعا لربه وصلى على رسوله . وقال قتادة : فلا صدق بكتاب الله  
ولا صلى لله . وقيل : ولا صدق بماله فخراله عند الله ، ولا صلى الصلوات التى  
أمره الله بها . وقيل : فلا آمن بقلبه ولا عمل بيده . قال الكشاف : « لا » بمعنى لم  
ولكنه يقرن بشيء ، تقول العرب : لا جدد الله خارج ولا فلان ، ولا تقول : مردت  
يرسل لا تخمين حتى يقال ولا تجمل ، وقوله تعالى : « فَلَا أَقْتَمَ الْعَقِبَةَ » ليس من هذا  
التعبير ؛ لأن معناه أغلا أقتم ، أى فهلا أقتم غذف ألف الاستفهام . وقال الأخفش :  
« فَلَا صَدَقَ » أى لم يصدق ؛ كقوله : « فَلَا أَقْتَمَ » أى لم يقتحم ولم يشترط أن يعقبه

(١) صدر البيت : « صبرا أمام إله شريك »

(٢) راجع ١٨٥ ص ٢٤٨ وما بعدها .

بشيء آخر، والعرب تقول : لاذهب أى لم يذهب ، غسرف الشيء يغسرفه الماضى كما يغسرف المستقبل ، ومنه قول زهير :

• فَلَا هُوَ أَبْدَلُهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمْ <sup>(١)</sup> •

قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ أى كذب بالقرآن وتولى عن الإيمان ﴿ ثُمَّ كَذَّبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمْتَقِلُ ﴾ أى يفتخر افتخارا بذلك ، قاله مجاهد وغيره . مجاهد : المراد به أبو جهل . وقيل : « يَمْتَقِلُ » من المَطَا وهو الظُّهْر والمعنى يُلَوِّى مَطَاه . وقيل : أصله يَمْتَطِط وهو التمدد من التكسل والتناقل ، فهو يَتَنَاوَل من الداعى إلى الحق ، فأبدل من الطاء ياء كراهة التضعيف والتمطى يدل على قلة الأكرات وهو التمدد ، كأنه يمد ظُهوره ويلَوِّيه من التبيخر . والمُطِيط الماء الخافى أسفل الحوض ، لأنه يَمْتَطِط أى يمتد ، وفى الخبر <sup>(٢)</sup> إذا مشى أمتى المُطِيطاء <sup>(٣)</sup> وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم " والمُطِيطاء التبخر ومدة اليدين فى المشى .

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْ لَكَ قَاوِلٌ ﴾ ثُمَّ أَوَلَيْ لَكَ قَاوِلٌ تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد، أى فهو وعيد أربعة لأربعة ، كما روى أنها نزلت فى أبى جهل الجاهل بربه فقال : « فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى . وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى » أى لاصدق رسول الله ، ولا وقف بين يدى فصلى ، ولكن كذب رسولى وتولى عن التصلة بين يدى . فترك التصديق خَصْلَةً ، والتكذيب خَصْلَةً ، وترك الصلاة خَصْلَةً ، والتولى عن الله تعالى خَصْلَةً ، فجاء الوعيد أربعة مقابلة لترك الخصال الأربعة . والله أعلم . لا يقال : فإن قوله « ثُمَّ كَذَّبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمْتَقِلُ » خَصْلَةٌ خامسة ؛ فإنما يقول : تلك كانت عادته قبل التكذيب والتولى ماخبر عنها . وذلك بين فى قول قتادة على ما ذكره . وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المسجد ذات يوم ، فاستقبله أبو جهل على باب المسجد مما يلي باب بنى مخزوم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) صدق البيت : • وكان طوى كشفا على مستكة •

(٢) الميطاء يمد ويغسرف قال ابن الأثير : وهى من المصغرات التى لم يستعمل لها مكبر .

(٣) فى نسخة ذات لية .

بيده ، فنهزه مرة أو مرتين ثم قال له : « أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى » فقال له أبو جهل : أتهدني فوافقه إلى لأعرش أهل الوادي وأكرمه . ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال لأبي جهل . وهي كلمة وعيد . قال الشاعر :

فَأَوَّلَى ثُمَّ أَوَّلَى ثُمَّ أَوَّلَى • وَهَلْ لِلدَّرِجِطِ مِنْ مَرَدٍّ

قال قتادة : أقبل أبو جهل بن هشام فيختر فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده فقال : « أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى » فقال : ما تستطيع أنت ولا ربك لي شيئا ، إلى لأعرش من بين جبلينا . فلما كان يوم بدر أشرف على المسلمين فقال : لا يُعْبَدُ الله بعد هذا اليوم أبدا . فضرب الله عنقه وقتله شر قتلة . وقيل : معناه الويل لك ، ومعنى قول الخنساء :

مَمَتٌ بِنَفْسِ كُلِّ الْمُعَمِّمِ • فَأَوَّلَى لِنَفْسِ أَوَّلَى لِمَا

سَاحِلُ نَفْسِي عَلَى آلَةٍ • فَلَمَّا طَلِبَا وَإِنَّمَا لِمَا

الآلة الخالصة والآلة السريضا الذي يحمل عليه الميت ، وعلى هذا التأويل : هو من المقلوب ، كأنه قيل : أويل ، ثم أنحر الحرف المضلل ، والمعنى الويل حيا والويل لك ميتا ، والويل لك يوم البعث ، والويل لك يوم تدخل النار ، وهذا التكرير كما قال <sup>(١)</sup> :

• لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلٌ •

أي لك الويل ثم الويل ثم الويل ، وضُحِفَ هذا القول . وقيل : معناه ألتم لك أولى من تركه إلا أنه كثير في الكلام لحذف . وقيل : المعنى أنت أولى وأجدر بهذا المذاب . وقال أبو العباس أحمد بن يحيى : قال الأصمعي أوَّلَى في كلام العرب معناه مُقَارَبَةُ المَلَاك ، كأنه يقول : قد وُلِّيتَ المَلَاك ، قد قَاتَيْتَ المَلَاك ، وأصله من الوَلَّى وهو التَّوَرَّب ، قال الله

(١) في نسخ من الأصل على أنه يفتح فقد وهي الحرة وموابه آلة أي حافة .

(٢) هو كرمو القيس ، والبيت بتمامه :

وهم دخلت الخلد وخدمت عذرة • فقالت لك الويلات إنك مرجل

تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ » أى يَقْرُبُونَكُمْ ، وأنشد  
الأممى :

• وَأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ الْوَلَاءُ •

أى قارب أن يكون له ، وأنشد أيضا :

• أَوَّلَى لَنْ هَلَجْتُ لَهُ أَنْ يَكُنَّا •

أى قد دنا صاحبها الكد ، وكان أبو العباس تطلب يستحسن قول الأممى ويقول : ليس  
أحد يفسر كفسير الأممى . النحاس : العرب تقول أَوَّلَى لَكَ يَكُنْ تَهْلِكُ ثم أَثَلْتُ ، وكان  
تقديره : أَوَّلَى لَكَ وَأَوَّلَى بِكَ الْمَلَكَةُ . المهدوى قال : ولا تكون أَوَّلَى أَثَلْتُ مِنْكَ ، وتكون خير  
مبتدأ محذوف ، كأنه قال : الوعيد أَوَّلَى لَهُ مِنْ غَيْرِهِ ، لأن أبا زيد قد حكى : أَوَّلَاؤُ الْآنَ  
إِذَا أَوْصَلُوا . فدخل علامة التأييد دليل على أنه ليس كذلك . و « لَكَ » خبر من « أَوَّلَى » .  
ولم ينصرف « أَوَّلَى » لأنه صار ملما للوعيد فصار كرجل اسمه أحد . وقيل : التكرير فيه مل  
معنى أزم لك على عملك السيئ الأول ، ثم مل الثانى والثالث والرابع كما خذم .

قوله تعالى : أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٦٨﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْقَةً  
مِنْ مَخْرَجٍ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ كَانَتْ عَلَقَةً نَحْلَقُ فَسَوَى ﴿٧٠﴾ لَجَعَلْ مِنْهُ  
أَرْزُوقَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٧١﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَسِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُخْرِجَنِي  
الْمَوْتُ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى : ( أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ ) أى يظن ابن آدم ( أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ) أى أن يُجْل  
مُهْمَلًا فلا يَرَى ولا يَنْبَى ، قاله ابن زيد ومجاهد ، ومنه إل سُدًى تَرَى بلا راجع . وقيل :  
أَيْحَسِبُ أَنْ يُتْرَكَ فِي قَبْرِهِ كَذَلِكَ أَبَدًا لَا يَمُت . وقال الشاعر :

فَأَقِمْ بَلْقَهْ جَهْدَ الْبَيْنِ • مَا تَرَكَ اللَّهُ شَيْئًا سُدًى

قوله تعالى : ( أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ امْرَأَةٍ ) أى من قطرة ماء مُنِيَّ أى رُجْم أى ثُرَاب فيه ؛ وذلك سميت مِنِّي لإِزْوَاجِ النِّسَاء . وقد تقدّم . والنطفة الماء القليل ؛ يقال : نطف الماء إذا قطر . أى ألم يك ماء قليلا فى مُصْلَب الرجل وَثَرَاتِ المرأة . وقرا حفص « مِنْ مَنِيِّ امْرَأَةٍ » بإلواء وهى قراءة ابن محيصن وبجاهد ويسقوب وعياش عن أبي عمرو وأختره أبو حنيفة لأجل المني . الباقون بالياء ؛ لأجل النطفة وأختره أبو حاتم . ( ثُمَّ كَانَ طَلَقًا ) أى دما بعد النطفة ، أى قد رُتِبَ تعالى بهذا كله على خِصَّة قدره . ثم قال : ( فَتَلَقَّى ) أى قَدَّرَ ( قَسْوَى ) أى فسَّوَاه قسوية وعُدَّله تعديلا يجعل الروح فيه ( بِحَمْلٍ مِنْهُ ) أى من الإنسان . وقيل : من المني . ( الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ) أى الرجل والمرأة . وقد احتج بهذا من رأى إسقاط الحنث . وقد مضى فى سورة « الشورى » أن هذه الآية وقريتها إنما خرجتا نخرج النال . وقد مضى فى أول سورة « النساء » أيضا القول فيه ، وذكرنا فى آية الموارد حكمة فلا معنى لإِمامته ( أَلَيْسَ لَكَ بِأَقْدَرِ ) أى أليس الذى قدر على خلق هذه النَّسَمَة من قطرة من ماء ( بِأَقْدَرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ) أى على أن يعيد هذه الأجسام كهيئتها للبعث بعد البلى . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال : « سبحانك اللهم ولى » وقال ابن عباس : من قرأ « سَبِّحْ أَمْرَ رَبِّكَ الْأَعْلَى » إماما كان أو غيره فليقل : « سبحان ربى الأعلى » ومن قرأ « لَا أَقْسِمُ بِسَوْحِ الْقِيَامَةِ » إلى آخرها إماما كان أو غيره فليقل : « سبحانك اللهم ولى » ذكره الطبري من حديث أبي إسحق السبيعي عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس . ختمت السورة والحمد لله .

(١) راجع ج ١٧ ص ١١٨ و ص ٢١٦

(٢) راجع ج ١٦ ص آية ٥٢

(٣) راجع ج ٥ ص ٢

## سورة الانسان

وهي إحدى وثلاثون آية

مكية في قول ابن عباس ومقاتل والكلبي . وقال الجمهور : مدنية . وقيل : فيها مكي . من قوله تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا » إلى آخر السورة وما تقدمه مدني .

وذكر ابن وهب قال : وحدثنا ابن زيد قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرأ « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ » وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له عمر بن الخطاب : لا تُثقل على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « دَعَاهُ يَأْبَى الْخَطَابُ » قال : فترت عليه هذه السورة وهو عنده ، فلما قرأها عليه وبلغ صفة الجنان زفر زفرته فخرجت نفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرج نفس صاحبكم - أو أخيك - الشوق إلى الجنة » وروى عن ابن عمر بخلاف هذا اللفظ وسيأتي . وقال الفشيري : إن هذه السورة نزلت في علي بن طالب رضى الله عنه . والمقصود من السورة عام . وهكذا القول في كل ما يقال إنه نزل بسبب كذا وكذا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ بِجَهَنَّمَةِ سَعِيمًا ﴿٢﴾ بَصِيرًا ﴿٣﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٤﴾

قوله تعالى : ( هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ) « هَلْ » بمعنى قد ، قاله الكسائي والفراء وأبو عبيدة . وقد حكى عن سيويه « هل » بمعنى قد . قال الفراء : هل تكون بحمدا وتكون خبرا فهذا من الخبر ؟ لأنك تقول : هل أعطيتك ؟ يُقرره

بأنك أعطيت، واجحد أن تقول : هل يقدر أحد على مثل هذا . وقيل : هي بمثلة الاستفهام ، والمعنى آتى . والإنسان هنا آدم عليه السلام ، قاله قتادة والثوري وعكرمة والسدي . وروى عن ابن عباس « حين من الشعر » قال ابن عباس في رواية أبي صالح : أربعون سنة صرت به ، قبل أن ينفخ فيه الروح وهو ملق بين مكة والطائف . وعن ابن عباس أيضا في رواية الضحاك أنه خلق من طين ، فأقام أربعين سنة ، ثم من حمى مسنون أربعين سنة ، ثم من صلصال أربعين سنة ، ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة . وزاد ابن مسعود فقال : أقام وهو من تراب أربعين سنة ، ثم خلقه بعد مائة وستين سنة ، ثم نفخ فيه الروح . وقيل : الحين المذكور هاهنا لا يعرف مقداره . عن ابن عباس أيضا . حكاه السائدي . « لم يكن شيئا مذكورا » قال الضحاك عن ابن عباس : لا في السماء ولا في الأرض . وقيل : أى كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يُدرى ما أمه ولا ما يراد به ، ثم نُفِخ فيه الروح فصار مذكورا ، قاله الفراء وقطرب وتعلب . وقال يحيى بن سلام : لم يكن شيئا مذكورا في الخلق وإن كان عند الله شيئا مذكورا . وقيل : ليس هذا الذكر بمعنى الإخبار فإن إخبار الرب عن الكائنات قديم ، بل هذا الذكر بمعنى الخطر والشرف والقدر ، هول فلان مذكور أى له شرف وقدر . وقد قال تعالى : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ » أى قد آتى على الإنسان حين لم يكن له قدر عند الخليفة . ثم لما عرف أنه الملائكة أنه جعل آدم خليفة ، وحمله الأمانة التي عجز عنها السموات والأرض والجبال ، ظهر فضله على الكل فصار مذكورا . قال القشيري : وعلى الجملة ما كان مذكورا للخلق وإن كان مذكورا لله . وحكى محمد بن الجهم عن الفراء : « لم يكن شيئا » قال : كان شيئا ولم يكن مذكورا . وقال قوم : التقى يرجع إلى الشيء ، أى قد مضى مُتَد من الدهر وآدم لم يكن شيئا يذكر في الخليفة ، لأنه آخر ما خلقه من أصناف الخليفة ، والمعموم ليس بشيء حتى يأتي عليه حين . والمعنى قد مضت عليه أزمنة وما كان آدم شيئا ولا مخلوقا ولا مذكورا لأحد من الخليفة . وهذا معنى قول قتادة ومقاتل . قال قتادة : إنما خلق الإنسان حديثا ما تعلم من خليفة الله جل ثناؤه خليفة

كانت بعد الإنسان . وقال مقاتل : في الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره : هل أتى حين من الدهر لم يكن الإنسان شيئا مذكورا ؛ لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله ، ولم يخلق معه حيوانا . وقد قيل : « الإنسان » في قوله تعالى : « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ » عني به المجلس من ذرية آدم ، وأن الحين تسعة أشهر مدة حمل الإنسان في بطن أمه « لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا » إذ كان طلقا ومضغاً ؛ لأنه في هذه الحالة جاد لا خطر له . وقال أبو بكر رضى الله عنه لما قرأ هذه الآية : ليتنا نمت فلا نبتل . أى ليت الملة التى أتت على آدم لم تكن شيئا مذكورا نمت على ذلك فلا يلد ولا يبتلى أولاده . وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقرأ « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا » فقال ليتنا نمت .

قوله تعالى : ( إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ) أى ابن آدم من غير خلاف ( مِنْ نُطْفَةٍ ) أى من ماء يطر وهو المني ، وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة ؛ كقول عبد الله بن ربيعة يباب نفسه :  
مَالِي أَرَاكَ تَكْرِمِينَ الْجَنَّةَ • هَلْ أَنْتَ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَيْءٍ

وجمعا نطف ونطاف . ( أَمْشَاجٌ ) أخلط واحدها مشج ومشيح مثل خدن وخدين ؛ قال رؤبة :

يَطْرَحْنَ كُلُّ مُعْجِلٍ نَسَاجَ • لَمْ يَكُنْ جِلْدًا فِي دَمٍ أَمْشَاجَ

ويقال : مَشَّجْتُ هذا بهذا أى خلطته فهو ممشوج ومشيح مثل مخلوط ومخيلط . وقال المبرد : واحد الأمشاج مشج يقال مَشَّجَ يَمْشِجُ إذا أخلط وهو هنا أخلط النطفة بالماء ؛ قال الشَّاعِرُ :

طَوْتُ أَحْشَاءَ مُرْجَةٍ لَوْفَتِ • عَلَى مَشَجٍ سُلَّاتُهُ مَهِينُ

وقال الفراء : أمشاج أخلط ماء الرجل وماء المرأة والدم والعلقة ، ويقال للشيء من هذا إذا خُلِطَ مَشِيجٌ كقولك خَلِيطٌ ، وممشوج كقولك مخلوط . وروى عن ابن عباس رضى الله عنه

قال : الأمشاج الحمر في البياض واللبياض في الحمر . وهذا قول يخرجه كثير من أهل اللغة ؛ قال المذنب<sup>(١)</sup> :

كَانَ الرِّيشَ وَالْقَوَقَيْنِ مِنْهُ • خِلَافَ التَّصْلِيلِ سَيْطَ بِهِ مَسِيحٌ

وعن ابن عباس أيضا قال : يخطط ماء الرجل وهو أبيض غليظ بماء المرأة وهو أصفر رقيق فيخلق منهما الولد ، فإكان من عصب وعظم وقوة فهو من ماء الرجل ، وما كان من لحم ودم وشعر فهو من ماء المرأة . وقد روى هذا مرفوعا ؛ ذكره البزار . وروى عن ابن مسعود : أمشاجا عروق المضغة . وعنه : ماء الرجل وماء المرأة وهما لونان . وقال مجاهد : نقطة الرجل بيضاء وحمراء ونقطة المرأة خضراء وصفراء . وقال ابن عباس : خلق من ألوان ؛ خلق من تراب ، ثم من ماء الفرج والرحم ، وهي نقطة ثم علقه ثم مضغه ثم عظم ثم لحم ونحوه . قال قتادة : هي أطوار الخلق ؛ طور علقه وطور نقطة وطور عظاما ثم يكسو العظام لحما ؛ كما قال في سورة «المؤمنين» «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ» الآية . وقال ابن السكيت : الأمشاج الأخلط ؛ لأنها ممتزجة من أنواع خلق الإنسان منها ذا طبائع غثظة . وقال أهل المعاني : الأمشاج ما جمع وهو في معنى الواحد ؛ لأنه تمت للنقطة ؛ كما يقال : برمة أعشار<sup>٢</sup> وثوب أخلاق . وروى عن أبي أيوب الأنصاري : قال جاء جبر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أخبرني عن ماء الرجل وماء المرأة ؛ فقال : «ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فإذا علا ماء المرأة آنت وإذا علا ماء الرجل آذ كرت» فقال الجبر : أشهد أن لا إله إلا الله وأك رسول الله . وقد مضى هذا القول مستوفى في سورة «البقرة» . (تَبَيَّنَ) أى تَحْتَرَفَ . وقيل : قد تفرقه الابتلاء وهو الاختبار . وفيما يختبر به وجهان ؛ أحدهما —

(١) هو عمرو بن الماحل المذنب : سيط به أى تخرج قذ من الريش يخطط من اللحم والماء .

(٢) وفي حاشية الجمل قولا من القرطبي ما يأتي :

والمنى : «من نقطة قد أمتزج فيها الماءان وكل منهما غثظ الأجزاء . نبات الأوصاف في الرقة والنعن والقوام ، والمخوام تنجم من الأخلط وهي العناصر الأربعة ، ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأجمعا فلا كان

نَحْبِرُهُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ : قَالَ الْكَلْبِيُّ . الثَّانِي — نَحْبِرُ شُكْرَهُ فِي السَّرَّاءِ وَصَبْرَهُ فِي الضَّرَّاءِ : قَالَ الْحَسَنُ .  
 وَقِيلَ . « نَبْتِلِيهِ » نَكَلَفُهُ . وَفِيهِ أَيْضًا وَجْهَانِ : أَحَدُهُمَا — بِالْعَمَلِ بَعْدَ الْخَلْقِ : قَالَ مَقَاتِلُ .  
 الثَّانِي — بِالذِّينِ لِيَكُونَ مَأْمُورًا بِالطَّاعَةِ وَمَنْعًا عَنِ الْمَعَاصِي . وَرَوَى عَنْ أَبِي عُبَيْسٍ : « نَبْتِلِيهِ »  
 نَصَرَفَهُ خَلْقًا بَعْدَ خَلْقٍ ؛ لِنَبْتِلِيهِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ . وَحَكَى مُحَمَّدُ بْنُ الْجَهْمِ عَنْ الْقِرَاءِ قَالَ : الْمَعْنَى  
 وَاقِعُهُ أَمَلُ ( جَعَلْنَاهُ تَمِيمًا بَصِيرًا ) لِنَبْتِلِيهِ وَهِيَ مُقَدِّمَةٌ مَعْنَاهَا التَّأْخِيرُ .

قُلْتُ : لِأَنَّ الْإِبْتِلَاءَ لَا يَقَعُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ الْخَلْقَةِ . وَقِيلَ : « جَعَلْنَاهُ تَمِيمًا بَصِيرًا » يَمْنَى  
 جَعَلْنَاهُ لَهُ سَمًّا يُسَمَّعُ بِهِ الْهُدَى وَبَصِيرًا يَبْصُرُ بِهِ الْهُدَى .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ( إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ) أَيْ يَتَنَا لَهُ وَصَرَفْنَاهُ طَرِيقَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ  
 وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِمِثِ الرِّسْلِ فَأَمَّنْ أَوْ كَفَّرَ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ » . وَقَالَ  
 مُجَاهِدٌ : أَيْ يَتَنَا لَهُ السَّبِيلَ إِلَى الشُّفَاءِ وَالسَّعَادَةِ . وَقَالَ الضَّمَاكُ وَأَبُو صَالِحٍ وَالسَّيِّدُ :  
 الدَّبِيلُ هُنَا تَخْرُوجُهُ مِنَ الرَّحْمِ . وَقِيلَ : مُنَافِقُهُ وَمُضَاهَاةُ الْغِيِّ يَتَنَدَّى إِلَيْهَا بِطَبِيعِهِ وَكَيْلَ عَقْلِهِ .  
 ( إِنَّمَا شَايَرَا إِنَّمَا كَفُّورًا ) أَيْ أَيُّهُمَا قَصِدَ يَتَنَا لَهُ . قَالَ الْكُوفِيُّونَ : « إِنَّ » هَا هُنَا  
 تَكُونُ جَزَاءً وَ « مَا » زَائِدَةٌ أَيْ يَتَنَا لَهُ الطَّرِيقَ إِنْ شَكَرَ أَوْ كَفَّرَ . وَاخْتَارَهُ الْقِرَاءُ وَلَمْ يَحْزِ  
 الْبَصَرِيُّونَ ؛ إِذْ لَا تَدْخُلُ « إِنَّ » لِلْجَزَاءِ عَلَى الْأَسْمَاءِ إِلَّا أَنْ يَضُمَّ بَعْدَهَا فَعِلٌ . وَقِيلَ :  
 أَيْ هَدَيْنَاهُ الرُّشْدَ أَيْ يَتَنَا لَهُ سَبِيلَ التَّوْحِيدِ بِنَصَبِ الْأَدَلَةِ عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ إِنْ خَلَقْنَا لَهُ الْهُدَايَةَ أَهْتَدَى  
 وَأَمَّنْ ، وَإِنْ خَذَلْنَاهُ كَفَّرَ . وَهُوَ كَمَا تَقُولُ : قَدْ تَصَبَّحْتَ لَكَ إِنْ شِئْتَ فَأَقْبِلْ وَإِنْ شِئْتَ  
 فَأَتْرِكْ ؛ أَيْ إِنْ شِئْتَ فَتَحْضِفِ الْهَاءَ وَكُنَّا « إِنَّمَا شَايَرَا » وَاقِعُهُ أَعْلَمُ . وَيُقَالُ : هَدَيْتُهُ السَّبِيلَ  
 وَلِلسَّبِيلِ وَإِلَى السَّبِيلِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي « الْفَاتِحَةِ » وَضَعُهَا . وَجَمَعَ بَيْنَ الشَّاكِرِ وَالْكَافِرِ  
 وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ الشَّاكِرِ وَالْكَافِرِ مَعَ آجِنَايَهُمَا فِي مَعْنَى الْمُبَالَغَةِ ؛ فَيَا لِبَالِغَةِ فِي الشُّكْرِ وَإِثْبَاتِهَا  
 فِي الْكُفْرِ ؛ لِأَنَّ شُكْرَهُ تَعَالَى لَا يُؤَدَّى فَأَتَتْ عَنْهُ الْمُبَالَغَةُ ، وَلَمْ تَتَفَّ عَنْ الْكُفْرِ الْمُبَالَغَةِ ،  
 فَقَلَّ شُكْرُهُ لَكَثْرَةِ النَّعَمِ عَلَيْهِ وَكَثْرَةِ كُفْرِهِ وَإِنْ قَلَّ مَعَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ . حِكَاةُ الْمَاوَرَدِيِّ .

قوله تعالى : **إِنَّا أَخَذْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا** ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : **( إِنَّا أَخَذْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا )** بين حال الفريقين ، وأنه قُبِدَ القلاء وكَفُفَهم ومَكَّنَهم مما أضرهم فن كَفَرَفَ له العقاب ، ومن وَحَّدَ وشَكَرَفَ له الثواب . والسلاسل القيود في جهنم طول كل سلسلة سبعون ذراعا كما مضى في «الحافاة» . وقرا نافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم ومشام عن ابن عامر « سَلْسِلًا » متوفا . الباقون بشر تنوين . ووقف قُتِبِلَ وابن كثير وحزمة بغير ألف . الباقون بالألف . فاما « قَوَائِرِ » الأول فنُسِوه نافع وابن كثير والكسائي وأبو بكر عن عاصم ، ولم يتون الباقون . ووقف فيه يعقوب وحزمة بغير ألف . والباقون بالألف . وأما « قَوَائِرِ » الثانية فنُسِوه أيضا نافع والكسائي وأبو بكر ، ولم يتون الباقون ، فن تون قراها بالألف ، ومن لم يتون أسقط منها الألف ، واختار أبو عبيد التنوين في الثلاثة ، والوقف بالألف اتباعا لخط المصحف ، قال : رأيت في مصحف عثمان « سَلْسِلًا » بالألف و « قَوَائِرًا » الأول بالألف وكان الثاني مكتوبا بالألف فَكُتْ فَرَأَيْتُ أَنَّهُ هُنَاكَ بَيِّنًا . فن صرف له أربع جميع : أحدها — أن المجموع أشبهت الآحاد بجمعت جمع الآحاد ، فخطت في حكم الآحاد فصرفت . الثانية — أن الأخفش حكى عن العرب صرف جمع ما لا ينصرف إلا أقبل منك ، وكذا قال الكسائي والقراء هو على لغة من يُعْرِ الأسماء كلها إلا قولهم هو أطرف منك فأنهم لا يُعْرَوُه ، وأنشد ابن الجباري في ذلك قول عمرو بن كُثَيم :

كَأَنَّ سُبُوقَنَا يَنَا وَفِيهِمْ • عَنَّا يَنْقُ يُبْشِرُ لَا يَمِينَا

وقال زيد :

وَبَزُورُ أَيْسَارِ دَعَوْتُ لِحَيْفِهَا • عَمَّا لِي مَتَقَاوِي أَجْسَامِهَا

وقال زيد أيضا :

فَقَلَّ وَذُو كَرَمٍ يَمِينُ عَلَى النَّدَى • سَمِعَ كُسُوبَ وَغَايِبَ غَضَامِهَا

فصرف عَنَّا رِيقِي وَمَتَّاقِي وَرَغَابِي وَسِيلَهَا الْأَتَّصَرَفُ . والحجة الثالثة — أن يقول تَوْتِ قَوَائِرِ الْأَوَّلِ لأنه رأس آية ، ورموس الآي جاءت بالنون؛ كقوله جَلَّ وَهَرَّ : «مَذْكُورًا» . سَيِّعًا بَصِيرًا » فتوتا الأول ليوقف بين رموس الآي ، وتوتا الثاني على الجوار الأول . والحجة الرابعة — أتباع المصاحف وذلك أنهما جميعا في مصاحف مكة والمدينة والكوفة بالالف . وقد أحسج من لم يصرفهن بأن قال : إن كل جمع بعد الألف منه ثلاثة أحرف أو حرفان أو حرف مشدد لم يصرف في معرفة ولا نكرة ، فالذي بعد الألف منه ثلاثة أحرف فواك : فتاديل ودناير ومناذيل ، والذي بعد الألف منه حرفان قول الله عز وجل : «لَمُدَّتْ صَوَابِغُ» لأن بعد الألف منه حرفين ، وكذلك قوله : «وَمَسَاجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا» والذي بعد الألف منه حرف مشدد شَوَابٍ ودَوَابٍ . وقال خلف : سمعت يحيى بن آدم يحدث عن ابن إدريس قال : في المصاحف الأول الحرف الأول بالالف والثاني بنير الف ؛ فهذا حجة لمنهز حزة . وقال خلف : رأيت في مصحف يندب إلى قراءة ابن مسعود الأول بالالف والثاني بنير الف . وأما أفضل منك فلا يقول أحد من العرب في شعره ولا في غيره هو أفضل منك متوتا ؛ لأن من تقوم مقام الإضافة فلا يجمع بين تسوين وإضافة في حرف ؛ لأنهما دليان من دلائل الأسماء ولا يجمع بين دليلين ؛ قاله القراء وغيره .

قوله تعالى : ( وَأَغْلَلَا ) جمع غُلَّ تَغْلُّ بها أيديهم إلى اعناقهم . وعن جبير بن نفير عن أبي الدرداء كان يقول : أرضوا هذه الأيدي إلى الله جل ثناؤه قبل أن تَغْلَّ بالأغلال . وقال الحسن : إن الأغلال لم تَحْمِلَ في أعناق أهل النار ؛ لأنهم أعجزوا الرب سبحانه ولكن إذلالا . ( وَسَيِّعًا ) تقدم القول فيه .

قوله تعالى : إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝

تريه تعالى : ( إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ ) الأبرار أهل الصلوة واحدهم برّ، وهو من أمثل أمر الله تعالى . وقيل : البر الموحد والأبرار جمع بآز مثل شاهد وأشهاد، وقيل : هو جمع برّ مثل نهر وأنهار ؛ وفي الصحاح : وجمع البر الأبرار وجمع البار البرّة، وفلان ببرّ خالقه ويبرّه أى يطعمه والام برّة يولدها . وروى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنما سماهم الله جل ثناؤه الأبرار لأنهم برّوا الآباء والأبناء كما أن لوالدك عليك حقاً كذلك لوالدك عليك حقاً " . وقال الحسن : البرّ الذى لا يؤذى القتر . وقال قتادة : الأبرار الذين يؤذون حق الله ويوقون بالنذر . وفي الحديث : " الأبرار الذين لا يؤذون أحداً " . ( يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ ) أى من إناء فيه الشراب . قال ابن عباس : يريد الخمر . والكأس في اللغة الإناء فيه الشراب ، وإنما لم يكن فيه شراب لم يُسم كأساً . قال عمرو بن كلثوم :

صَبَّيْتُ الْكَأْسَ مِمَّا أَمْ عَمِرُوا • وَكَانَ الْكَأْسُ عَجْرًا أَيْمِينًا

وقال الأصمى : يقال صَبَّيْتُ عَنَّا الْهَدِيَّةَ أَوْ مَا كَانَ مِنْ مَعْرُوفٍ تَصْبِيْنٌ صَبْنَا بِمَعْنَى كَفَفْتُ ؛ قاله الجوهري . ( كَانَ مِرْاجِيهَا ) أى شوبها وخلطها ؛ قال حسان :

كَانَ سَيْفَةً مِنْ يَدِ رَأْسٍ • يَكُونُ مِرْاجِيهَا حَلًّا وَمَاءً

ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء والحمررة والبرودة . ( كَأْفُورًا ) قال ابن عباس : هو اسم عين ماء في الجنة يقال له عين الكافور . أى يمازجه ماء هذه العين التي تسمى كافورا . وقال سعيد بن قتادة : مُزَجَّجٌ لَمْ بِالْكَافُورِ وَنُحْتَمَ بِالْمَسْكِ . وقاله مجاهد . وقال عكرمة : مِرْاجِيهَا طَمْعُهَا . وقيل : إنما الكافور في ريحها لا في طعمها . وقيل : أراد كالكافور في بياضه وطيب رائحته وبرّده ؛ لأن الكافور لا يشرب ؛ كقوله تعالى : « حَتَّىٰ إِذَا جَسَدُهُ نَارًا » أى كآثر . وقال ابن كثير : طُيِّبَ بِالْمَسْكِ وَالْكَافُورِ وَالزَّيْتُونِ . وقال

(١) الرأية المشهورة في المقاتل : صعدت الكأس .

(٢) السيف : الخمر . وصيبت بذلك لأنها تشبى أى تشرب تشرب ؛ وفي بعض النسخ : كان عجة ، وهي المصرة

المضروبة لنفاسها . وبيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمر .

مقال : ليس بكافور الدنيا ولكن صمى الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدى لها القلوب، وقوله : « كَانَتْ مِرْاجِعُهَا » « كان » زائدة أى من كأس مِرْاجِعُهَا كافور . ( عَيْنًا يَتَرَبُّ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ) قال الفراء : إن الكافور اسم لعين ماء في الجنة ؛ فـ « عَيْنًا » بدل من كافور على هذا . وقيل : بدل من كأس على الموضع . وقيل : هى حال من المضمر في مِرْاجِعُهَا . وقيل : نصب على المدح ؛ كما يُذَكَّرُ الرجلُ فقول : العاقل اللبيب أى ذكركم العاقل اللبيب فهو نصب بإضمار أئني . وقيل : يشربون عينا . وقال الزجاج : المعنى من عين . وقال : كافور وقافور . والكافور أيضا ولاء طلع النخل وكذلك الكُفْرَى . قاله الأصمى .

وأما قول الراعى :

تَكْسُو الْمَقَارِقَ وَالْبَابَاتِ قَا أَرْج • مِنْ قُصْبٍ مُتَلِفٍ الْكَافُورِ دَرَج

فإن الظهي الذى يكون منه المسك إنما يرى سُبُلَ الطَّيِّبِ بجله كافورا . ( يَتَرَبُّ بِهَا ) قال الفراء : يشرب بها ويشربها سواء في المعنى ، وكأت يشرب بها يروى بها وينقع ؛ وأشد : شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّتْ • مَتَى بَلَغَ خُضْرُ لَهْفٍ تَبِيج<sup>(١)</sup>

قال : ومثله فلان يتكلم بكلام حسن ويتكلم كلاما حسنا . وقيل : المعنى يشربها والباء زائدة . وقيل : الباء بدل « من » تقديره يشرب منها ؛ قاله القتيبي . ( يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ) فيقال : إن الرجل منهم يمشى في بيوتاته ويصعد إلى قصوره ، ويده قضيب يشربه إلى الماء فيجرى معه حيثما دار في منزله على مستوى الأرض في غير أخدود ، ويتبعه حيثما صعد إلى أصل قصوره ؛ وذلك قوله تعالى : « عَيْنًا يَتَرَبُّ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا » أى يُشَقُّقُونَهَا شَقًّا كما يفجر الرجل النهر ها هنا وها هنا إلى حيث يريد . وعن ابن أبي نجيح من مجاهد « يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا » يقودونها حيث شاءوا ، وتبهم حيثما مالوا مالت معهم . وروى

(١) قاله أبو ذؤيب يصف السحابات ، والباء في « ماء » بمعنى « من » و « متى » هنا « متى » في لغة مدني وشج : أى مر سرج مع موت .

أبو مقاتل عن أبي صالح عن سعد عن أبي سهل<sup>(١)</sup> عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع حيون في الجنة عيان تجران من تحت العرش إحداهما التي ذكر الله « يُفَجَّرُونَهَا تَجِيرًا » [والأخرى الزنجبيل<sup>(٢)</sup>] والأخرى تَضَاخَتَانِ من فوق العرش إحداهما التي ذكر الله [عينها تسمى] « سَلْسِيلَا » والأخرى التَّسْلِيمُ » ذكره الترمذي الحكيم في « نوادر الأصول » . وقال : فَالتَّسْلِيمُ للقرين خاصة شرابا لهم ، والكافور للأبرار شرابا لهم ، ويزج للأبرار من التَّسْلِيمِ شرابهم ، وأما الزنجبيل والسلسيل فلا يزالان منها مزاج هكذا ذكره في التزويل وسكت عن ذكر ذلك لمن هو شراب ، لما كان للأبرار مزاج فهو للقرين صرف وما كان للأبرار صرف فهو لسائر أهل الجنة مزاج ، والأبرار هم الصادقون ، والمؤمنون هم الصديقون .

قوله تعالى : يُؤْتُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّامِعَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾

قوله تعالى : (يُؤْتُونَ بِالنَّذْرِ) أى لا يُخْلِفُونَ إِذَا نَذَرُوا . وقال معمر عن قتادة : بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات . وقال مجاهد وعكرمة : يؤتون إِذَا نَذَرُوا في حق الله جل شأؤه . وقال الصوّال والبرجاني : وفي الكلام إسماع ؛ أى كانوا يؤتون بالنذر في الدنيا . والعرب قد تزيد مرة « كان » ويختلف أخرى . والنذر حقيقته ما أوجبه المكلف على نفسه من شيء يفعله . وإن شئت قلت في حله : النذر هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه . وقال الكلبي : « يُؤْتُونَ بِالنَّذْرِ » أى يمتثلون اليهود والمعنى واحد ؛ وقد قال الله تعالى :

(١) هذا الحديث في الأصول : أبو مقاتل عن صالح بن سعيد عن أبي سهل الخ ورواه عن التذكرة للقرطبي .

(٢) الزيادة من الدر المنثور . (٣) الزيادة من التذكرة والدر المنثور .

« ثُمَّ لْيَقْضُوا تَتْمِيمَهُمْ وَلِيُؤْفِقُوا تَقْوَاهُمْ » أى أعمال نذكهم إلى الزموا أنفسهم بإحرامهم بالبحر . وهذا يقوى قول قتادة . وإن النذر يندرج فيه ما أكرمه الله بإيمانه من أمثال أسرافه ؛ قاله القشيري . وروى أشهب عن مالك أنه قال : « يُؤْفَقُونَ بِالنَّذْرِ » هو نذر العتق والصيام والصلاة . وروى عنه أبو بكر بن عبد العزيز قال مالك « يُؤْفَقُونَ بِالنَّذْرِ » قال : النذر هو العيب .

قوله تعالى : ( وَيَتَذَكَّرُونَ ) أى يَتَذَكَّرُونَ ( يَوْمًا ) أى يوم القيامة . ( كَانَتْ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ) أى مالياً فاشياً وهو فى اللغة ممتداً ، والسرب تقول : استطار الصَّدْعُ فى القارورة والزجاجة واستطال إذا امتد ؛ قال الأعشى :  
وَبَاتَتْ وَقَدْ أَسَارَتْ<sup>(١)</sup> فى الْقَوَا \* دِ صَدْمًا عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِيرًا  
وقال : استطار الحريق إذا انتشر . واستطار الصجر إذا انتشر الضوء .  
وقال حسان :

وَمَهَانَ عَلَى سَرَاتِ نَبِي لُسَوَى \* حَرِيقٌ بِالْبُورَةِ مُسْتَطِيرٌ<sup>(٢)</sup>

وكان قتادة يقول : استطار والله شرُّ ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض . وقال مقاتل : كان شره فاشياً فى السموات فأنتشت ، وتناثرت الكواكب ، وفزعت الملائكة ، وفى الأرض نُفِيت الجبال وفارت المياه .

قوله تعالى : ( وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ) قال ابن عباس وبجاهد : على قلبه وحبه من إياه وشبهتهم له . وقال النaráنى : على حب الله . وقال الفَصِيل بن عياض : على حب إعطام الطعام . وكان الربيع بن خثيم إذا جاءه السائل قال : أطلعموه سُكْرًا فإن الربيع يحب السُّكْرَ . ( يَسْكِنُوا ) أى ذا مسكنة . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : هو الطواف بسألك مَالَك ( وَيَتَّقُوا ) أى من يتأوى المسلمين . وروى منصور عن الحسن : أن

(١) وروى : أوزنت .

(٢) سراته بنى أى خيامه . والبورة : موضع بنى قريظة ؛ يشير إلى ما فعله المسلمون بنى قريظة .

يقا كان يحضر طعام ابن عمر ، فدعا ذات يوم بطعامه ، وطلب اليتيم فلم يجده ، جاءه بعد ما فرغ ابن عمر من طعامه فلم يجد الطعام ، فدعا له يسوي وصل ؛ فقال . ذلكت هذا فواء ما عُثِلَتْ ؛ قال الحسن وابن عمر : والله ما عُثِنَ . ( وَأَسِيرًا ) أى الذى يؤسر فيهمس . فروى أبو صالح عن ابن عباس قال : الأسير من أهل الشرك يكون فى أيديهم . وقاله قتادة . وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : الأسير هو المحبوس . وكذا قال سعيد ابن جبيرة وعطاء . هو المسلم يُهمَسُ بحق . وعن سعيد بن جبيرة مثل قول قتادة وابن عباس . قال قتادة : لقد أمر الله بالأسرى أن يُحْسِنَ إليهم ، وأن أسراهم يومئذ لأهل الشرك ، وأخوك المسلم أحق أن تطعمه . وقال مكرمة : الأسير العبد . وقال أبو حمزة الثمالى : الأسير المرأة ، يدل عليه قوله طيه السلام : «أستوصوا بالنساء خيرا فإنهن حوائض عندكم» أى أسيرات . وقال أبو سعيد الخدرى : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَطَعِمُواْ الْعُمَّانَ عَلَى حَيْهٍ مُّسْكِيَةً وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » فقال : «المسكين الفقير واليتيم الذى لا أب له والأسير المملوك والمسيجون» ذكره الثمالى . وقيل : نسخ إطعام المسكين آية الصدقات ، وإطعام الأسير [ آية ] السيف ؛ فإله سعيد بن جبيرة . وقال غيره : بل هو ثابت الحكم ، وإطعام اليتيم والمسكين على التطوع ، وإطعام الأسير لحفظ نفسه إلى أن يخفى فيه الإمام . المساورى : ويشتمل أن يريد بالأسير التافص العقل ؛ لأنه فى أسر خيله وجنونه ، وأسر المشرك انتقام يقف على رأى الإمام ؛ وهذا ير وإحسان . وعن عطاء قال : الأسير من أهل القبلة وضيعهم .

قلت : وكأن هذا القول عام يجمع جميع الأقوال ، ويكون إطعام الأسير المشرك قرينة إلى الله تعالى ، فيه أنه من صدقة التطوع ، فأما المفروضة فلا . والله أعلم . ومضى القول فى المسكين واليتيم والأسير واشتقاق ذلك من اللغة فى « البقرة » مستوفى والحمد لله .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُطِئُكُمْ لُجُجُهُ اللَّهِ ﴾ أى يقولون بالسلم للكين واليقيم واليسير  
 « إِنَّمَا تُطِئُكُمْ » فى الله جل ثناؤه فرما من منابه وطعما فى ثوابه . ﴿ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً ﴾  
 أى مكافأة . ﴿ وَلَا شُكُورًا ﴾ أى ولا أن تشنوا علينا بذلك ؛ قال ابن عباس : كذلك كانت  
 نياتهم فى الدنيا حين أطعموا . وعن سالم عن مجاهد قال : أما لأنهم ما تكلموا به ولكن علمه  
 الله جل ثناؤه منهم فأنهى به عليهم ؛ ليرض فى ذلك راغب . وقاله سعيد بن جبير حكاه عنه  
 القشيري . وقيل : إن هذه الآية نزلت فى مطعم بن ورقاء الأنصاري نذرنا فوفى به .  
 وقيل : نزلت فيمن تكفل بأسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين ؛ أبو بكر وعمر وعطى والزبير  
 وعبد الرحمن بن عوف وسعد وأبو حبيدة رضى الله عنهم ؛ ذكره المساوردي . وقال مقاتل :  
 نزلت فى رجل من الأنصار أطعم فى يوم واحد مسكينا ویتیا وأسيرا . وقال أبو حمزة  
 الثمالی : بلغنى أن رجلا قال يا رسول الله أطعنى فإني والله مجهود ؛ فقال : « والذى قمى  
 يده ما عندى ما أطعمك ولكن أطلب » فأتى رجلا من الأنصار وهو يتعشى مع أمرأته  
 فسأله وأخبره بقول النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقالت المرأة : أطعمه وأسقيه . ثم أتى النبي  
 صلى الله عليه وسلم يقيم فقال : يا رسول الله ! أطعنى فإني مجهود . فقال : « ما عندى  
 ما أطعمك ولكن أطلب » فاستطعم ذلك الأنصاري فقالت المرأة : أطعمه وأسقيه ، فأطعمه  
 ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم أسير فقال : يا رسول الله ! أطعنى فإني مجهود . فقال :  
 « والله ما عنى ما أطعمك ولكن أطلب » . فجاء الأنصاري فطلب ، فقالت المرأة : أطعمه  
 وأسقيه . فنزلت : « وَيُطْعِمُونَ الطَّامَّ عَلَى حَبِّ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » ذكره الصلي . وقال  
 أهل التفسير : نزلت فى علي وفاطمة رضى الله عنهما وجارية لهما اسمها فضة .

قلت : والصحيح أنها نزلت فى جميع الأبرار ، ومن فعل فلا حسنا ؛ فهي عامة . وقد ذكر  
 النقاش والتملي والقشيري وغير واحد من المفسرين فى قصة علي وفاطمة وجاريتهما حديثا  
 لا يصح ولا يثبت ، رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله عز وجل : « يُؤْتُونَ الزَّكَّاتَ  
 وَيُطْفِئُونَ نَارَ مَا كَانَ لَهُمُ مَسْجِدًا . وَيُطْعِمُونَ الطَّامَّ عَلَى حَبِّ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » قال :

مرض الحسن والحسين فادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وادهما طمة العرب؛ فقالوا : يا أبا الحسن - ورواه جابر الجعفي - من قَبَر مولى عليّ قال : مرض الحسن والحسين حتى عادهما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا أبا الحسن - رجع الحديث إلى حديث ليث بن أبي سليم - لو نذرت عن ولدك شيئا ، وكل نذر ليس له وفاء فليس بشيء . فقال رضي الله عنه : إن برأ ولداي صحت لله ثلاثة أيام شكرا . وقالت جارية لهم نورية . إن برأ سيدي صحت لله ثلاثة أيام شكرا . وقالت فاطمة مثل ذلك . وفي حديث الجعفي : فقال الحسن والحسين : طينا مثل ذلك فأليس الفلامان العافية ، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير ، فأطلق عليّ إلى شمعون بن حاريا الجعري وكان يهوديا فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير ، بغاه به فوضعه ناحية البيت ، فقامت فاطمة إلى صاع فطعمته وأخبرتته ، وصلى عليّ مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى المقل فوضع الطعام بين يديه . وفي حديث الجعفي : فقامت الجارية إلى صاع من شعير فخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرص ، فلما مضى صياهم الأكل وضع بين أيديهم الخبز والملح الجريش ؛ إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب وقال : السلام عليكم أهل بيت محمد - في حديث الجعفي - أنا مسكين من مساكين أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنا والله جائع ، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة . فسمعه عليّ رضي الله عنه فأنتأ يقول : <sup>(١)</sup>

فاطم ذات الفضل واليقين • يا بنت خير الناس أجمعين  
أما ترين البائس المسكين • قد قام بالباب له حين  
يشكو إلى الله ويستكين • يشكو إلينا جائع حزين  
كل أمرئ بكسبه رهين • وفاطر الخيرات يستعين

(١) هذه الأبيات والتي بعدها كل التسخ بجملة على نحوها ، ولقد أحسن أبو حيان إذ يقول فيها : وذكر القفاش في ذلك حكاية طريفة جدا ، ظاهرة الاختلاق ، وفيها أشعار لكين واليقين والأسير يتخاطبون بها بيت النبوة ، وأشعار لطيفة رضي الله عنها تتخاطب كل واحد منهم ، فظاهر الاختلاق لفساد أفعالها وكبر أيتها وسفاهة معانيها . وسائر القوافل رحمه الله ما ينصف هذا الحديث وينصفه .

مَوْعِدًا جَنَّةَ عِلِّيِّينَ • حَرَّمَا اللَّهُ عَلَى السَّاعِتِينَ  
وَالْمُجِيزِينَ مَوْفِقَ مَعِينٍ • تَهْوِي بِهِ النَّارُ إِلَى سَعِيرِينَ  
شَرَابُهُ الْحَمِيمُ وَالنَّصِيلِينَ • مَنْ يَغْلِ الْحَمِيمَ يَغْمَسُ فِيهِ  
• وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَيَّ حِينٍ •

فَانشَأَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ :

أَمْرُكَ عِنْدِي يَا بَنَ عَمَّ طَاعَةٌ • مَا يِي مِنْ لُؤْمٍ وَلَا وَضَاعَةٌ  
فَقَدَيْتُ فِي الْحَبِزِ لَهُ صِنَاعَةٌ • أَطْعَمَهُ وَلَا أَبَالِي السَّاعَةَ  
أَرْجُو إِذَا أَشْبِثُ ذَا الْمَجَاعَةِ • أَنَّ الْحَقَّ الْأَخْيَارَ وَالْجَمَاعَةَ  
• وَادْخُلُ الْجَنَّةَ لِي شَفَاعَةٌ •

فَأَطْعَمُوهُ الطَّعَامَ، وَكَتَبُوا يَوْمَهُمْ وَلَيْتَهُمْ لَمْ يَنْوُقُوا شَيْئًا إِلَّا الْمَاءَ الْقَرَّاحَ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ  
فِي الْيَوْمِ الثَّانِي قَامَتْ إِلَى صَاعٍ فَطَحْتَهُ وَأَخْتَبَرْتَهُ، وَصَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
ثُمَّ أَتَى الْمَنْزِلَ فَوَضَعَ الطَّعَامَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَوَقَفَ بِالْبَابِ يَقِيْمُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ بَيْتِ عَبْدِ  
يَتِيمٍ مِنْ أَوْلَادِ الْمُهَاجِرِينَ اسْتَشْهَدُوا لِي يَوْمَ الْعُقُوبَةِ (١) . أَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُمْ اللَّهُ مِنْ مَوَائِدِ الْجَنَّةِ .  
فَسَمِعَهُ عَلَى فَاثِنَا يَقُولُ :

فَاعْلَمْ يَا بِنْتَ السَّيِّدِ الْكَرِيمِ • بِنْتُ نَسِيِّ لَيْسَ بِالزَّرْنِيمِ  
لَقَدْ أَتَى اللَّهُ بِذِي الْيُسُيْمِ • مَنْ يَرْحَمُ الْيَوْمَ يَكُنْ رَحِيمًا  
وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَيَّ سَلِيمٍ • قَدْ حُرِّمَ الْخَلْدُ عَلَى الْكَلِيمِ  
أَلَّا يَحْجُوزَ الصَّرَاطُ الْمُسْتَعِيمِ • يَزُلُّ فِي النَّارِ إِلَى الْبَحْمِيمِ  
• شَرَابُهُ الْعَصِيدُ وَالْحَمِيمِ •

فَانشَأَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ :

أَطْعَمَهُ الْيَوْمَ وَلَا أَبَالِي • وَأَوْثَرَ اللَّهُ عَلَى عِيَالِي  
أَسْوَاجِيَاءَ وَهُمْ أَقْبَالِي • أَصْفَرُهُمْ يُقْتَلُ فِي الْقِتَالِ

(١) كَذَلِكَ الْأَمَلُ •

يَكْرَهُلَا يُقْتَلُ بِأَغْيَالٍ • يَأْوِلُ لِلْقَاتِلِ مِنْ وَبَالٍ  
تَهْوَى بِهِ النَّارُ إِلَى سِفَالٍ • وَفِي يَدَيْهِ النَّفْلُ وَالْأَخْلَافُ  
• كَبُولَةٌ زَادَتْ عَلَى الْأَكْبَالِ •

فأطعموه الطعام ومكثوا يومين وليتين لم ينوقوا شيئا إلا الماء القراح ، فلما كانت في اليوم الثالث قامت إلى الصاع الباقي فطعمته وأخترته ، وصلى على مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين أيديهم ، إذ أنهم أسير فوقف بالباب فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد تأمرونا وتؤثرونا ولا تطعمونا ! أطعموني فأتى أسير محمد . فسمعه على فأنشأ يقول :

فأطعم يا بنت النبي أحمد • بنت نبي سيد مسود  
وسماه الله فهو محمد • قد زانه الله بحسن أغيد  
هذا أسير للنبي المهتد • متقل في غلة مقيد  
يشكو إلينا الجوع قد تمدد • من يطعم اليوم يحده في غد  
عند العلى الواحد الموحد • ما يزرع الزارع سوف يحصد  
• أحطيه لالا تجعله أهد •

فأنشأت فاطمة رضى الله تعالى عنها تقول :

لم يَسْقُ بما جاء غير صاع • قد ذهبت كفى مع النراع  
أبنائى والله مَسَا جِاع • يارب لا تتركهما ضياع  
أبوهما الحريد ذو أصطناع • يصطليح المعروف وأبتناع  
عجل النراعين شديد الباع • وما على رأيتى من قِباع  
• إِلَّا قَطَامًا تَسْبِيهِ أُنْسَاع •

فأطعوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام وليالها لم ينوقوا شيئا إلا الماء القراح ، فلما إن كان في اليوم الرابع ، وقد قضى الله النذر أخذ بيده النبي الحسن وبيده اليمرى الحسين وأقبل نحو

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرتشون كالفرخ من شدة الجوع، فلما أبصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يا أبا الحسن ما أشد ما يسودني ما أرى بكم أنطلق بنا إلى أختي فاطمة " فأنطلقوا إليها وهي في محرابها ، وقد لصق عليها بظهرها ، وغارت حينها من شدة الجوع ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف الجماعة في وجهها بكى وقال : " واغوثاه يا الله أهل بيت عدي موتون جوعاً " فبهط جبريل عليه السلام وقال : السلام عليك ربك يقرئك السلام يا عدي خذ هنيئاً في أهل بيتك . قال : " وما أخذ يا جبريل " فافرقه " هل أتى على الإنسان حين من الدهر " إلى قوله : " وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِنَاتٍ وَأَيَّامٍ وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا " قال الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول : فهذا حديث مَرْثُوقٌ مُرْتَبِّفٌ قد تطرّف فيه صاحبه حتى نسبته إلى المستمعين ، فالجاهل بهذا الحديث يمتدّ شفتيه تلهفاً ألا يكون بهذه الصفة ، ولا يعلم أن صاحب هذا القمل مذموم ، وقد قال الله تعالى في تنزيهه : " يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْمُنفَقُ " وهو الفضل الذي يفضل عن نفسك وعيالك ، وجرى الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترة بأن " خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى " . " وأبدأ بنفسك ثم بمن تسول " وأقرض الله على الأزواج نفقة أهلهم وأولادهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت " أفيعصب عاقل أن علياً جهل هذا الأمر حتى أجهد صديقاته صفاراً من أبناء خمس أو ست حل جوع ثلاثة أيام وليالين ؟! حتى تقصروا من الجوع ، وغارت العيون منهم ؛ فخلا أجوافهم ، حتى أبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهم من الجوع . هبّ أنه آثر على نفسه هذا السائل ، فهل كان يجوز له أن يحمل أهله على ذلك ؟! وهبّ أنه أهله سمحت بذلك لعلّ - فهل جاز له أن يحمل أطفاله على جوع ثلاثة أيام وليالين ؟! ما يروج مثل هذا إلا على حقّ جهال ؛ أي الله لقلوب متنبهة أن تظن بلى - مثل هذا . وليت شعري من حفظ هذه الآيات كل ليلة عن علي - وفاطمة ، وإجابة كل واحد منهما صاحبه ، حتى أذا إلى هؤلاء الرواة ؟! فهذا وأشباهه من أحاديث أهل السجون فيما أرى ؛ بليني أن قوماً

يُطْلَوْنَ فِي السُّجُونِ فَيَقُونَ بِهَا حِيلَةً ، فَيَكْتُبُونَ أَحَادِيثَ فِي السُّتُرِ وَأَشْبَاهِهِ ، وَمِثْلَ هَذِهِ  
الْأَحَادِيثِ مُنْتَظَّةٌ ، فَإِذَا صَارَتْ إِلَى الْجِهَانَةِ رَمَوْهَا وَزَيَّفُوهَا ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَلَهُ آفَةٌ  
وَمَكِيدَةٌ ، وَآفَةُ النَّاسِ وَكَيْدُهُ أَكْثَرُ .

قوله تعالى : إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيُوبًا قَطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّهُمْ  
اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾

قوله تعالى : ( إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيُوبًا قَطَرِيرًا ) « غُيُوبًا » من صفة اليوم ،  
أى يوما تمس فيه الوجوه من هولهِ وشِدَّتِهِ ، فالمعنى نخاف يوما ذا غُيُوبٍ ، وقال ابن عباس :  
يمس الكافر يومئذ حتى يسيل منه عرق كالقطران . وعن ابن عباس : الغُيُوبُ الضيقُ  
والقطرير الطويل ، قال الشاعر :  
• شَدِيدًا غُيُوبًا قَطَرِيرًا •

وقيل : القَطَرِيرُ الشديد ؛ تقول العرب : يوم قَطَرِيرٌ وقَطَايِرٌ وعَصِيبٌ بمعنى ؛ وأنشد  
البزء :

يَنِي حَمًّا هَلْ تَذْكُرُونَ بَلَاءَنَا • مَلِيحًا إِذَا مَا كَانَ يَوْمُ قَطَايِرُ

بضم الفاء ، وأَقَطَرْنَا إِذَا أَشَدَّ . وقال الأخفش : القَطَرِيرُ أشدُّ ما يكون من الأيام  
وأطولهُ في البلاء ؛ قال الشاعر :

فَفَرُّوا إِذَا مَا الْحَرْبُ ثَارَ غُبَاهَا • وَبَجَّ بِهَا الْيَوْمُ الْغُيُوبُ الْقَطَايِرُ

وقال الكاسي : يقال أَقَطَرُ الْيَوْمُ وَأَزْمَرُ الْقَطَارَا وَأَزْمَهَارَا وهو القَطَرِيرُ والزَمْهَرِيرُ ،  
ويوم مُقَطَّرٌ إِذَا كَانَ صَبَا شَدِيدًا ؛ قال المَلَقِيُّ (١) :

بَنُو الْحَرْبِ أَرْضُنَا لَمْ مُقَطَّرَةٌ • وَنَ يَلْقَى مِنَّا ذَلِكَ الْيَوْمَ يَرْبُ

(١) البيت لحديقة بن أسد المذلي والقي في ديوان المخلين :

بَنُو الْحَرْبِ أَرْضُنَا بِهَا مُقَطَّرَةٌ • وَمَنْ يَلْقَى مِنَّا يَلْقَى سِدَّ مَدْبَرِ

أَرْضُنَا مِنِّي الْجَهْلُ . مُقَطَّرَةٌ مَنْ أَظْهَرَتْ ثَائِفَةً إِذَا تَمَتَّ . وَيَلْقَى فِي الْجَهْلِ فِي الْقَتْلِ . وَالسِّدَّ عَدُوٌّ .  
الْأَسَدُ . وَالْمَدْبَرُ الْغَدَاوَى •

وقال مجاهد : إنا البؤس بالشفتين والقمطرير بالجبهة والحاجبين فجعلها من صفات الوجه  
التي هي من شدائد ذلك اليوم ؛ وأشد ابن الأعرابي :

يَنُودُ عَلَى الصَّيْدِ يَوْدُ مُنْكَبِرٌ \* وَيَقْمِطِرُ سَاعَةً وَيَصْكَفُهُ

وقال أبو عبيدة : يقال رجل قَطَرِيرٌ أى متقبض ما بين العينين . وقال الزجاج : يقال  
أَقْطَرْتُ الناقةَ إذا رَفَعْتَ ذَنَبَهَا وَجَمَعْتَ قَطَرِيهَا وَزَمْتَ بِأُفْهَى ؛ فأشبهه من القَطَرِ وجعل  
الميم مزينة . قال أسد بن قيس :

وَأَصْطَلَيْتُ الْحُرُوبَ فِي كُلِّ يَوْمٍ \* بِإِسْلِيلِ الشَّرِّ قَطَرِيرِ الْمَبَاجِ

قوله تعالى : ( فَوَقَّامُ اللَّهِ ) أى دفع عنهم ( شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ) أى بأسه وشدته وعذابه  
( وَلَقَامُ ) أى إناهم وأعظام حين لقوه أى رأوه ( نَضْرَةً ) أى حسنا ( وَسُرُورًا ) أى حبورا .  
قال الحسن ومجاهد : « نَضْرَةً » فى وجوههم « وَسُرُورًا » فى قلوبهم . وفى النضرة ثلاثة أوجه :  
أحدها أنها اليابس والبقاء ؛ قاله الضحاك . الثانى الحسن والبهاء ؛ قاله ابن جبير . الثالث  
أنها أثر النعمة ؛ قاله ابن زيد .

قوله تعالى : وَبَرَّانُهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٧﴾ مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا  
عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٨﴾ وَذَانِبَةً ظِلِّمِ  
ظِلْلُهَا وَذَلَّلَتْ قُطُوفُهَا تَلِيلًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ( وَبَرَّانُهُمْ بِمَا صَبَرُوا ) على الفقر . وقال القرطبي : على الصوم . وقال  
عطاء : على الجوع ثلاثة أيام وهى أيام النذر . وقيل : يصبرهم على طاعة الله ، وصبرهم على  
معصية الله وعارمه . و « ما » مصبرية وهذا على أن الآية نزلت فى جميع الأبرار ومن فعل  
فلا حسنا . وروى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر فقال : « الصبر  
أربعة أولها الصبر عند الصدمة الأولى والصبر على أداء الفرائض والصبر على اجتناب محارم الله  
الصبر على المصائب » . ( جَنَّةً وَحَرِيرًا ) أى أدخلهم الجنة والسمهم الحرير . أى يسمى

بحرير الدنيا وكذلك الذي في الآخرة [ وفيه ] ما شاء الله عز وجل من الفضل . وقد تقدم أن من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، وإنما لبسه من البسه في الجنة عوضاً عن محسوم أنفسهم في الدنيا عن الملابس التي حرم الله فيها .

قوله تعالى : ( مُتَكِبِينَ فِيهَا ) أى في الجنة ، ونصب « مُتَكِبِينَ » على الحال من الهاء والميم في « جَزَاءَهُم » والعامل فيها جزي ولا يعمل فيها « صَبْرًا » ؛ لأن الصبر إنما كان في الدنيا والآنكاه في الآخرة . وقال الفراء . وإن شئت جعلت « مُتَكِبِينَ » تابعا كأنه قال جزاءهم جنة « مُتَكِبِينَ فِيهَا » . ( مَلِ الْأَرْضِ ) السرور في الجمال وقد تقدم . ونجاة عن العرب أسماء تحوى على صفات : أحدها الأريكة لا تكون إلا في سجلة على سرير ، ومنها السجل وهو الدلو المحتلى ماء فإذا صيرت لم تُسم سجلا ، وكذلك الذئوب لا تُسمى ذئوبا حتى تملأ ، والكاس لا تُسمى كاسا حتى تفرغ من الخمر ، وكذلك الطبق الذي تُهدى عليه الهدية يهدى ، فإذا كان فارغا قيل طبق أو خوان ، قال ذو الرمة :

خُدُودٌ جَعَتْ فِي السَّيْرِ حَتَّى كَانَتْ • يُسَاسِرُنَ بِالْمَسَرِّاءِ مَسَّ الْأَرْضِ (١)

أى الفرس على السرور . ( لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا ) أى لا يرون في الجنة شمساً تحرك الشمس ( وَلَا زَمْهَرِيرًا ) أى ولا بردا مغوطا ، قال الأحنف :

مُعَمَّةٌ طِفْلَةٌ كَالْهَيَا • لَمْ تَرَحْمَسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (٢)

وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَشْنَكْتُ النَّارَ إِلَى رِيْمَا عَزَّ وَجَلَّ قَالَتْ يَا رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضُ بَعْضًا لِحُلِّ لَهَا تَقْسِيمٌ قَسَا فِي الشَّمَاءِ وَتَقَسَا فِي الصَّيْفِ فَشَلَّةٌ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْبَرْدِ مِنْ زَمْهَرِيرِهَا وَشَلَّةٌ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ فِي الصَّيْفِ

(١) داجع : ج ١٢ ص ٢٩ (٢) داجع : ج ١٠ ص ٣٩٨

(٣) المعراء الأرض الصلبة يقول : من شلة الحاجة إلى الترم يرون الأرض الصلبة ذات الحجارة مثل القروش على الأرائك على السرور . ويعنى : خمدوا على أنه مغرول قبل في البيت قبله .

(٤) الذى في ديوان الأحنف طبع أوربا : منة الخلق مثل الهامة ... الخ .

من تتوهم<sup>١</sup> . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن هواء الجنة يتنجس لأحر ولا برد<sup>٢</sup> »  
والسجسج النخل المتد كما بين طلوع الصبح وطلوع الشمس . وقال مرة الهذلي : الزمهرير  
البرد القاطع . وقال مقاتل بن حيان : هو شيء مثل رهوس الإبريق من السماء في غاية  
البرد . وقال ابن مسعود : هو لون من العذاب وهو البرد الشديد ، حتى إن أهل النار إذا  
ألقوا فيه سألو الله أن يمتهم بالنار ألف سنة أحون عليهم من عذاب الزمهرير يوما واحدا .  
قال أبو التيجم :

• أو كنت رجما كنت زمهرياً •

وقال طبل : الزمهرير القمر بلغة طي<sup>٣</sup> ، قال شاعرهم :

وليلاً ظلاماً قد أضحك • قطعاً والزمهرير ما ره

وروى : ما ظهر ، أي لم يطلع القمر . فالمعنى لا يرون فيها شمساً كشمس الدنيا ولا نورا  
كقمر الدنيا ، أي إنهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار ، لأن ضوه النهار بالشمس  
وضوه الليل بالقمر . وقد مضى هذا المعنى مجوذاً في سورة « مريم » عند قوله تعالى :  
« وَلَمْ يَرْزُقْهُمْ فِيهَا نُورًا وَنَارًا » . وقال ابن عباس : بينا أهل الجنة في الجنة إذ رأوا نورا  
ظنوه شمساً قد أشرقت بذلك النور الجنة ، فيقولون : قال ربنا « لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا  
وَلَا زَمْهَرِيرًا » فما هذا النور ؟ فيقول لهم رضوان : ليست هذه شمس ولا قمر ، ولكن هذه  
فاطمة وعل حنكفا فاشرقت الجنان من نور حنكفهما ، وفيما أنزل الله تعالى « هَلْ أَتَى عَلَى  
الْإِنْسَانِ » . وأند :

أنا مسوئلي قسقى • أنزل فيه هل أتى

ذاك عل المرتقى • وأين عم المصطفى

قوله تعالى : ( وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ) أي ظل الأشجار في الجنة قريبة من الأبرار ، فهي  
مظلة عليهم زياده في نعيمهم وإن كان لا شمس ولا قمر ، كما أن أشراطهم الذهب والفضة

وإن كان لا وضح ولا حَسَتْ قَمٌّ . ويقال : إن ارتفاع الأشجار في الجنة مقدار مائة عام ، فإذا أشتى روى الله ثمرتها دانت حتى يتناولها . وأنتصبت « دَانِيَّة » على الحال عطفاً على « مُنَكِّيْن » كما تقول : في الدار عبد الله متحكماً ومرسلاً عليه الجمال . وقيل : أنتصبت نمتا للجنة ؛ أي وجزاهم جنة دانية فهي صفة لموصوف محذوف . وقيل : على موضع « لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا » ورون دانية . وقيل : على المدح أي دنت دانية . قاله الفراء . « ظِلًا » الظلال مرفوعة بدانية ، ولو قرئ رفع دانية على أن تكون الظلال مبتدأ ودانية الخبر لحاز ، وتكون الجملة في موضع الحال من الماء والميم في « جزاهم » وقد قرئ بذلك . وفي قراءة عبد الله « وَدَانِيًّا طَيِّبٌ » لتقدم الفعل . وفي حرف أبي « وَدَانٍ » رفع على الاستئناف . ( وَذَلَّتْ ) أي نُحِطَّتْ لم ( قُطِفَتْهَا ) أي ثمارها ( تَذِيلًا ) أي تسخيراً فيتناولها القائم والقاعد والمضطجع لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك ؛ قاله قتادة . وقال مجاهد : إن قام أحد أرتفعت له ، وإن جلس تدلت عليه ، وإن اضطجع دنت منه فأكل منها ، وعنه أيضاً : أرض الجنة من ورق ، وثرابها الزعفران ، وطيبها مسك أذفر ، وأصول نجرها ذهب وورق ، وأفنانها اللؤلؤ والبرجد والياقوت ، والتمر تحت ذلك كله ؛ فمن أكل منها قائماً لم تؤذ ، ومن أكل منها قاعداً لم تؤذ ، ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذ . وقال ابن عباس : إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت إليه حتى يتناول منها ما يريد ، وتذليل القطوف تسهيل تناول . والقطوف الثمار الواحد يطف بكسر القاف سمى به لأنه يطف ، كما سمى الجنى لأنه يحنى . « تَذِيلًا » تأكيد لما وصف به من اللذات كقوله تعالى : « وَزَيْنًا تَذِيلًا » « وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا » . الماوردي : ويحتمل أن يكون تذليل قطفها أن تبرز لهم من أكلامها ، وتخلص لهم من نواها .

قلت : وفي هذا بعد ؛ فقد روى ابن المبارك ، قال أخبرنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر ، وكرها ذهب أحمر ، وسعفها نسوة لأهل الجنة ، منها مقطعاتهم وحلهم ، وثمرها أمثال الفلال والدلاء ، أشد

بياضا من اللبن ، وأحل من العسل ، والين من الزبد ليس فيه عجم . قال أبو جعفر النعمان :  
 وقال المذلل الذي قد ذلّه الماء أى أرواه . ويقال المذلل الذى يُعَيِّثُهُ أدنى ربح تشمتة ،  
 ويقال المذلل المسوّى ؛ لأن أهل المجاز يقولون : ذلّل نخلك أى مسّوه ، ويقال المذلل  
 القريب المتناول ؛ من قولهم : حاط ذليل أى قصير . قال أبو حنيفة : وهذه الأقوال التى  
 حكيناها ذكرها أهل العلم بالغة وقالوها فى قول امرئ القيس :  
 • وساقى كأنبوب السقي المذلل<sup>(١)</sup> •

قوله تعالى : وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتٍ مِنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ  
 قَوَارِيرًا ۝ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ۝ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا  
 كَمًّا كَانَ مِرْجَاهَا زَمْجِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ۝

قوله تعالى : ( وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتٍ مِنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ ) أى يدور على هؤلاء الأبرار  
 انخدع إذا أرادوا الشراب « بِآيَاتٍ مِنْ فَضَّةٍ » قال ابن عباس : ليس فى الدنيا شيء مما  
 فى الجنة إلا الأسماء ؛ أى ما فى الجنة أشرف وأعلى وأبقى . ثم لم تنف الأواني الذهبية بل المعنى  
 يسقون فى أواني الفضة ، وقد يسقون فى أواني الذهب . وقد قال تعالى : « يَطَافُ عَلَيْهِمْ  
 بِصِصَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ » . وقيل : ليه بذكر الفضة على الذهب ؛ كقوله : « سَرَابِيلُ  
 تَقِيكُمْ الْحَرَّ » أى البرد فيه بذكر أحدهما على الثانى . والأكواب الكيكران العظام التى  
 لا أذان لها ولا عرى ، الواحد منها كؤب ؛ وقال مكي :

مَشْكَا تَقْرِعُ<sup>(٢)</sup> إِبْرَاهُ • يَسَى عَلَيْهِ الْعَبْدُ بِالْكُوبِ

وقد مضى فى « الزمزم » . ( كَانَتْ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ ) أى فى صفاء القوارير  
 وبياض الفضة ؛ فصفاؤها صفاء الزجاج وهى من فضة . وقيل : أرض الجنة

(١) الأنبوب : البردى . والسق : الحبل المسق . شيء ساق المرأة يردى قد نبت تحت نخل ، كالنخل يله  
 من الشمس وذلك أحسن ما يكون منه . ومعد البيت : وكشع لطيف كالبلدى غصن .  
 (٢) يردى : يثقب . يله تقريح . (٣) راجع ج ١٦ ص ١١١ فى بعدها .

من فُتْسة ، والأواني تنقص من تربة الأرض التي هي منها . ذكره ابن عباس وقال : ليس في الجنة شيء إلا قد أعظم في الدنيا شبه إلا القوارير من فُتْسة . وقال : لو أخذت فُتْسة من فُتْسة الدنيا فضربتها حتى تحصلها مثل جناح النُّبَّاب لم ترمن ورائها الماء ، ولكن قوارير الجنة مثل الفُتْسة في صفاء القوارير . ( قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ) قراءة العلة بفتح الغاف واللام ؛ أى قَدَرُوهَا لم السقاة الذين يطوفون بها عليهم . قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : أمروا بها على قدر رِجْمٍ بغير زيادة ولا نقصان . الكلبي : وذلك اللد وأشهى ؛ والمعنى قَدَرْتُهَا الملائكة التي تطوف عليهم . وعن ابن عباس أيضا : قَدَرُوهَا على ملء الكف لا تريد ولا تنقص حتى لا تؤذيهم بشغل أو بإفراط صغر . وقيل : إن الشارين قَدَرُوهَا لها مقادير في أنفسهم على ما أشتوا وقَدَرُوهَا . وقرأ عبيد بن عمير والشَّعْبِيُّ وابن سيرين « قَدَرُوهَا » بضم القاف وكسر الدال أى جعلت لهم على قدر لإرادتهم . وذكر هذه القراءة المهدوى عن ملء وابن عباس رضى الله عنهما ؛ وقال : ومن قرأ « قَدَرُوهَا » فهو راجع إلى معنى القراءة الأخرى ، وكان الأصل قَدَرُوهَا طمحا لحذف حرف الجر ؛ والمعنى قَدَرْتُ عليهم ؛ وأشد سيويه :

آلَتِ حَبَّ السَّرَاقِ النَّهْرَ أَكَلَهُ . وَالْحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي الْقَسْرِ السُّوسُ

وذهب إلى أن المعنى على حَبِّ العراق . وقيل : هذا التقدير هو أن الأفلح تطير فتتفرق بمقدار شهوة الشارب ؛ وذلك قوله تعالى : « قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا » أى لا يفضل من الرى ولا ينقص منه ، فقد أُلْهِمَتِ الأفلح معرفة مقدار رى المشتى حتى تنفق بذلك المقدار . ذكر هذا القول الترمذى الحكيم في « نوارد الأصول » .

قوله تعالى : ( وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا ) وهى الخمر في الإثاء . ( كَانَ مَزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ) « كان » صلة أى مزاجها زنجبيل أو كان في حكم الله زنجبيل . وكانت العرب تستلذ من

(١) أى في بيائها .

(٢) قاله الخليل - ويرى : ألعنه - والرواية الصحيحة في « آلت » بالفتح لأنه يحاطل عمرو بن هند الملك ، وكان قد أسلم ألا يحطم الخليل حَبَّ السَّرَاقِ . فقال له الخليل سترنا آلت على حب الرقاق لا ألعنه ، وقد وجدت منه بالأمم ما يخفى عما حذرك منه هناك كثير بحيث يأكله السوس . وأراد بالقراءة الشام .

الشراب ما يمزج بالزنجبيل لطيب رائحته ؛ لأنه يَحْمِلُ اللسانَ ، ويهضم المأكول ، فرغبوا في نعيم الآخرة بما أمضوه نهاية النعمة والطيب . وقال المصيب بن هلس يصف نعيم المرأة :  
وَكَاثَ طَعْمَ الزَّجْبِيلِ بِهِ • إِذْ ذُقْتُهُ وَسُلَاقَةَ الْخَمْرِ  
ويروى : الكرم . وقال آخر :

كَانَ جَنِيًّا مِنَ الزَّجْبِيلِ • لِي بَاتَ فِيهَا وَارِثًا مُشَارًا  
ونحوه قول الأعمى :

كَانَ الْقَرْقَلُ وَالزَّجْبِيلِ • لِي بَاتًا فِيهَا وَارِثًا مُشَوَّرًا

وقال مجاهد : الزنجبيل اسم للعين التي منها مزاج شراب الأبرار . وكذا قال قتادة : والزنجبيل اسم العين التي يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة . وقيل : هي عين في الجنة يوجد فيها طعم الزنجبيل . وقيل : إن فيه معنى الشراب المزوج بالزنجبيل .

والمنى كان فيها زنجبيلًا . ( عَيْنًا ) بدل من كأس . ويحوز أن ينصب بإخمار فعل أى يسقون عينا . ويحوز نصبه بإسقاط الخافض أى من عين على ما تقدم في قوله تعالى :  
« عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ » . ( فِيهَا ) أى في الجنة ( تُسَمَّى سَلْسِيلًا ) السلسيل الشراب اللذيذ وهو قليل من السلاسة ؛ تقول العرب : هذا شراب سَلِسٌ وسَلَسٌ وسَلْسَلٌ وسَلْسِيلٌ بمعنى أى طيب الطعم لذيقه . وفي الصحاح : وتسلسل الماء في الحلق جرى ، وسلسلته إذا صبغته فيه ، وماء سَلْسَلٌ وسَلْسَالٌ سهل الدخول في الحلق لمذوبته وصفائه ، والسلاسل بالضم مثله . وقال الزجاج : السلسيل في اللغة اسم لما كان في غاية السلاسة فكانت العين سميت بصفتها . وعن مجاهد قال : سَلْسِيلًا حديدية الجُرَى تسيل في حلقهم أنسلا . ونحوه عن ابن عباس : إنها الحديدية الجُرَى . ذكره الماوردي ؛ ومنه قول حصان بن ثابت رضى الله عنه :

(١) الذى في ديوان الأعمى هذا البيت لا الذى بعده ، وفيه : خالطها ... الخ والتظاهر أن البيت واحد

واختفت الرواية .

يَسْقُونَ مِنْ رَدَدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ \* بَرْدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلِيلِ<sup>(١)</sup>

وقال أبو العالية ومقاتل : إنما سميت سَلِيلًا ؛ لأنها تسيل طيمم في الطرق وفي منازلهم ، تقيع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنة . وقال قتادة : ماسة مفاد ماؤها حيث شاموا . ونحوه من حكمة . وقال القفال : أى تلك مِين شرفة قَسَل سِيلًا إليها . وروى هذا عن علي رضي الله عنه ، وقوله : « تُسَمَّى » أى إنها مذكورة عند الملائكة وعند الأبرار وأهل الجنة بهذا الاسم . وصرف مسيليل ؛ لأنه رأس آية ؛ كقوله تعالى : « الثَّلَاثَا » و « السَّيْلَا » .

قوله تعالى : وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا<sup>(٢)</sup> وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلُكًا كَبِيرًا<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِمْ قِبَابٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ قُبَارًا ظُهُورًا<sup>(٤)</sup> إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُنْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى : ( وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ) بين من الذى يطوف عليهم بالآنية ؛ أى ويخدمهم وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ فإنهم أخف في الخدمة . ثم قال : « مُخَلَّدُونَ » أى باقون على ما هم عليه من الشباب والقباضة والحسن ، لا يهرمون ولا يتغيرون ويكونون على سن واحدة على سائر الأزمنة . وقيل : مُخَلَّدُونَ لا يموتون . وقيل : مُسَوَّرُونَ مُعْرَطُونَ ؛ أى مُخَلَّدُونَ والتخليد التولية . وقد تقدم هذا<sup>(٦)</sup> ( إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ) أى ظننتهم من حسنهم وكبرتهم وصفاء ألوانهم لؤلؤًا مغروقًا في عرصة المجلس ، واللؤلؤ إذا تَرَبَّسَاطًا كان أحسن منه منظوما . وعن المأمون أنه ليلة زُفَّت إليه بوران بنت الحسن بن سهل ، وهو

(١) البريص : نهري دمشق . ويرى نهري دمشق أيضا أى ما يرى . ويصفق : يزوج . والرحيق : الخمر البهية . (٢) راجع ج ١٧ ص ٢٠٢ لما بعدها .

عل بساط ملسوج من ذهب، وقد تَرَت عليه نساء دار الخليفة اللؤلؤ، فنظر إليهن مشورا  
عل ذلك البساط فأستحسن المنظر وقال : **هَـ دَرَأِي نَوَاسَ كَأَنه أَبصر هنا حيث يقول :**  
**كَأَن صُفْرِي وَكُبْرِي مِن قَدَاقِصِهَا • حَصْبَاءُ دَرَّ عَلِ أَرْضِ مِن النَّهَبِ**

وقيل : إنما شبههم بالمتور ؛ لأنهم سراع في الخلعة، بخلاف الحور العين إذ شبهن باللؤلؤ  
المكون المخزون لأنهن لا يمتنن بالخلعة .

قوله تعالى : **(وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَ رَأَيْتَ نِعْمًا وَمَلَأَكُمُوهَا) «ثَمَ»** ظرف مكان أى هناك  
في الجنة، والعامل في **«ثَمَ»** معنى **«رَأَيْتَ»** أى وإذا رأيت بعصرك **«ثَمَ»** . وقال الفراء :  
في الكلام **«ما»** مضمرة أى وإذا رأيت ما **«ثَمَ»** كقوله تعالى : **«لَقَدْ قَطَعَ بَيْنَكُمْ»**  
أى ما بينكم . وقال الزجاج : **«ما»** موصولة **«ثَمَ** على ما ذكره الفراء، ولا يجوز إسقاط  
الموصول وترك الصلة، ولكن **«رَأَيْتَ»** يتعدى في المعنى إلى **«ثَمَ»** والمعنى إذا رأيت  
بعصرك **«ثَمَ»** ويعنى **«ثَمَ** الجنة، وقد ذكر الفراء هذا أيضا . والتعم سائر ما ينتم به .  
والمَلَك الكبير استئذان الملائكة عليهم ؛ قاله السدس وغيره . قال الكلبي : هو أن  
يأتى الرسول من عند الله بكرة من الكسوة والطعام والشراب والتحف إلى ولئ الله  
وهو في منزله فيستأذن عليه، فذلك المَلَك العظيم . وقوله مقاتل بن سليمان . وقيل :  
المَلَك الكبير هو أن يكون لأحدهم سبعون حاجبا ، حاجبا دون حاجب ، فبينما ولئ الله  
فيها هو فيه من اللذة والسرور إذ يستأذن عليه مَلَك من عند الله، قد أرسله الله بكتاب وهدية  
ومُحْفَةٍ من رب العالمين لم يرها ذلك الولئ في الجنة قط ، فيقول للحاجب الخارج : استأذن  
على ولئ الله فإن مى كتابا وهدية من رب العالمين . فيقول هذا الحاجب للحاجب الذى يليه :  
هذا رسول من رب العالمين ، معه كتاب وهدية يستأذن على ولئ الله ؛ فيستأذن كذلك  
حتى يبلغ إلى الحاجب الذى يلي ولئ الله فيقول له : يا ولئ الله ! هذا رسول من رب العالمين  
يستأذن عليك ، معه كتاب ومُحْفَةٍ من رب العالمين أفؤنن له ؟ فيقول : نعم ! فأذنوا له .  
فيقول ذلك الحاجب الذى يليه : نعم فأذنوا له . فيقول الذى يليه لا تتركك حتى يبلغ

الحاجب الآخر، فيقول له : نَمَ أَمَّا الْمَلِكُ ؛ قد أذن لك ، فيدخل فيسلم عليه ويقول : السَّلام  
 بفرحك السَّلام ، وهذه تحفة وهذا كتاب من رب العالمين إليك . فإذا هو مكتوب عليه :  
 من الحى الذى لا يموت إلى الحى الذى لا يموت . فيفتحه فإذا فيه : سلام على عبدي وولي  
 ورحمى وبركائى يا ولي أمان لك أن تشاق إلى رؤية ربك ؟ فيستخفه الشوق فيركب البراق  
 فيطير به البراق شوقا إلى زيارة علام الغيوب ، فيعطيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر  
 على قلب بشر . وقال سفيان الثوري : بلغنا أن الملك الكبير تسلم الملائكة عليهم ؛ دليله  
 قوله تعالى : « وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى  
 الدَّارِ » . وقيل : الملك الكبير كون التيجان على رؤوسهم كما تكون على رأس ملك من الملوك .  
 وقال الترمذي الحكيم : يَنْبَغُ لَكَ أَنْ تَكُونَ كَمَا تَكُونُ عَلَى رَأْسِ مَلِكٍ مِنْ الْمُلُوكِ .  
 مُلْكٌ لَا يَتَّبِعُهُ هَلَكٌ . وفي الخبر من النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنْ الْمَلِكُ الْكَبِيرُ هُوَ [ أَيْ ]<sup>(١)</sup>  
 أَذْنَاهُمْ مَرَّةً يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِي عَامٍ يَرَى أَفْصَاءَ كَمَا يَرَى أَذْنَاهُ » قال : « وَإِنْ أَفْضَلُهُمْ  
 مَرَّةً يَنْظُرُ فِي وَجْهِ رَبِّهِ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ » سبحانه المنعم .

قوله تعالى : (عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ) قرأ نافع وحزمة وابن عيص  
 « عَالِيَهُمْ » ساكنة الياء ، وأختره أبو عبيد اعتبارا بقراءة ابن مسعود وابن وثاب وغيرهما  
 « عَالِيَهُمْ » وب تفسير ابن عباس : أما رأيت الرجل عليه ثياب يعلوها أفضل منها . الفراء :  
 وهو صر فروع بالأبتداء وخبره « ثِيَابٌ سُنْدُسٌ » وأسم الفاعل يراد به الجمع . ويجوز في قول  
 الأخفش إفراده على أنه اسم فاعل متقدم و « ثِيَابٌ » مرقعة به وسنت مسند الخبر والإضافة  
 فيه في تقدير الانفصال لأنه لم يُخَصَّ ، وأبتدئ به لأنه أخص بالإضافة . وقرأ الباقون  
 « عَالِيَهُمْ » بالنصب . وقال الفراء : هو كقولك فوقهم ، والعرب تقول : قومك داخل الدار  
 فينصبون داخل على الظرف لأنه محل . وأكرر التاج هذا وقال : هو ما لا تشره في الظروف ،  
 ولو كان ظرفا لم يحز إسكان الياء ولكنه نصب على الحال من شيئين : أحدهما الهواء والميم في قوله :

(١) زيادة يقتضيا المعنى .

« يَكُونُ عَلَيْهِمْ » أى على الأبرار « وَلَدَانِ » عاليا الأبرار ثيابٌ سندس، أى يطوف عليهم فى هذه الحال ، والثانى أن يكون حالا من ولدان أى « إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَبِيبَهُمْ لَوْلَا مَتَوَرَّأ » فى حال علق الثياب أبدانهم . وقال أبو عل : العامل فى الحال إما « لَقَاهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا » وإما « حَزَانًا مِمَّا صَبَرُوا » قال : ويموز أن يكون ظرفا نُصِرَف . المهسدى : ويموز أن يكون اسم فاعل ظرفا ؛ كقولك هو ناحية من الغار ، وعلى أن عاليا لما كان بمعنى فوق أُجْرِى نُجْرَاهُ فجعل ظرفا . وقرأ ابن محيصن وابن كثير وأبو بكر عن عاصم « خُضِرُ » بالجر على نعت السندس « وَإِسْتَبْرَقُ » بالرفع نَسَقًا على الثياب ، ومعناه حالهم [ ثياب ] سندس وإسْتَبْرَقُ . وقرأ ابن حاصر وأبو عمرو ويقوب « خُضِرُ » رفعا نعتا للثياب « وَإِسْتَبْرَقُ » بالخفض نعتا للسندس ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم بلحوة معناه ؛ لأننى انخفض أحسن ما كانت نعتا للثياب فهى مرفوعة ، وأحسن ما عطف الإستبرق على السندس عطف جنس على جنس ، والمعنى حالهم ثيابٌ خُضِرُ من سندس وإسْتَبْرَقُ أى من هذين اللونين . وقرأ نافع وحفص كلاهما بالرفع ويكون « خُضِرُ » نعتا للثياب ؛ لأنهما جميعا يلفظ الجمع « وَإِسْتَبْرَقُ » عطفًا على الثياب ، وقرأ الأعمش وابن وثاب وحزمة والكسائى كلاهما بالخفض ويكون قوله « خُضِرُ » نعتا للسندس ، والسندس اسم جنس وأجاز الأخفش وصف اسم الجنس بالجمع على استنباح له ؛ ويقول : أهلك الناس الدينارُ الصُّفْرُ والدرهمُ البَيْضُ ؛ ولكنه مُسْتَعِدٌّ فى الكلام . والمعنى على هذه القراءة : حالهم ثيابٌ سندس خُضِرُ وثيابٌ إسْتَبْرَقُ . وكلهم صرف الإستبرق إلا ابن محيصن فإنه فتحه ولم يصرفه فقرأ « وَإِسْتَبْرَقُ » نصبا فى موضع الجر على منع الصرف لأنه أعمى وهو غلط ؛ لأنه نكرة يدخله حرف التثنية ؛ تقول الإستبرق إلا أن يزعم أنه قد يعمل عليها لهذا الضرب من الثياب . وقرأ « وَإِسْتَبْرَقُ » بوصل الحمزة والفتح على أنه سُمِّيَ بِاسْتَفْعَلٍ مِنَ الْبَرَقِ وليس بصحيح أيضا ؛ لأنه مُعْرَبٌ مشهور تعريبه وأن أصله اسْتَبْرَكَ <sup>(١)</sup> والسندس ما رُقِيَ مِنَ اللَّيْلِيَّاتِ وَالْإِسْتَبْرَقُ مَا عَظُمَ مِنْهُ . وقد تقدم <sup>(٢)</sup> .

(١) زيادة تختصها الباءة . (٢) فى الأصل إسْتَبْرَق وهو تحريف وتصويب من القنوم وفى الأقطاف الفارسية وشرح القنوم أصله : « استبر » - (٣) راجع ج ١٠ ص ٣٩٧ و ج ١٧ ص

قوله تعالى : ( وَحُلُوا ) عطف على « وَيَطُوفُ » . ( أَسَاوِدَ مِنْ قَفْصَةٍ ) وفي سورة  
فاطر « يُحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِدَ مِنْ ذَهَبٍ » وفي سورة الحج « يُحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِدَ مِنْ ذَهَبٍ  
وَلَوْ لَوَا » قيل : حُلِيَ - الرجل القضة وحُلِيَ المرأة الذهب . وقيل : تارة يلبسون الذهب وتارة  
يلبسون الفضة . وقيل : يجمع في يد أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران  
من لؤلؤ ليجمع لهم ع الحسن الجنة ، قاله سعيد بن المسيب . وقيل : أى لكل قوم ما تميل  
إليه فوسمهم . ( وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ) قال علي - رضي الله عنه في قوله تعالى :  
« وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا » قال : إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من  
تحت ساقها عيان فيشربون من أحدها ، فصجرى طعيم بنضرة النسيم ، فلا تنفخ إشارهم ،  
ولا تشمت أشعارهم أبدا ، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من الأذى ، ثم  
تستعملهم خزنة الجنة فيقولون لهم : « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَيْمٌ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ » . وقال النخعي  
وابو قلابة : هو إذا شربوه بعد أكلهم طهورهم ، وصار ما أكلوه وما شربوه رَفَحَ مِسْكٌ ،  
ومثرت بطونهم . وقال مقاتل : هو من عين ماء على باب الجنة ، تنبع من ساق شجرة ، من  
شرب منها تزج الله ما كان في قلبه من غلٍّ وغشٍّ وحسد ، وما كان في جوفه من أذى وقذر .  
وهذا معنى ما روى عن علي - إلا أنه في قول مقاتل بين واحدة وعليه فيكون قصولا للبالغة ، ولا يكون  
فيه حجة لمنزى أنه بمعنى الطاهر . وقد مضى بياحه في سورة « الفرقان » والحمد لله . وقال  
طبيب الجبال : صليت خلف سهل بن عبد الله التيمي فقرا « وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا »  
وجعل يترك شفتيه وله كأنه يحس شيئا ، فلما فرغ قيل له : أنت شرب أم قرا ؟ قال :  
والله لو لم أجد لذته عند قراءته كلذته عند شربه ما قرأته .

قوله تعالى : ( إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ) أى يقال لهم إنما هذا جزاء لكم أى ثواب .  
( وَكَانَ سَعْيُكُمْ ) أى عملكم ( مَشْكُورًا ) أى من قبل الله ، وشكره للعبد قبول طاعته ، وثناؤه  
عليه ، وإثابته إياه . وروى سعيد عن قتادة قال : غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسن . وقال

جاهد : « مَشْكُورًا » أى مقبولا والمضى متقارب ، فإنه سبحانه إذا قبل العمل شكره ، فإذا شكره أناب عليه بالجزيل ، إذ هو سبحانه ذو الفضل العظيم . روى عن ابن عمر : أن رجلا حَبَشِيًّا قال : يا رسول الله ! فضلم علينا بالصَّوَر والألوان والنِّبَوة ، أنفَرَيْتَ إِنْ آمَنْتُ بِمَا آمَنْتَ بِهِ ، وعَمَلْتُ بِمَا عَمَلْتُ أَكُنَّ إِنْ أَمَكْتُ فِي الْجَنَّةِ ؟ قال : « نعم والذي قسمي بيده إنه لَيُرى بِياضُ الأَسود في الجنة وضيائوه من مسيرة ألف عام » ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قال لا إله إلا الله كان له بها عند الله عهدٌ ومن قال سبحان الله والحمد لله كان له بها عند الله مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة » فقال الرجل : كيف تلك بعد ما يا رسول الله ؟ فقال : « إن الرجل لِيَأْتِي يوم القيامة بالعمل لو وضعه على جبل لأثقله فضجء السمعة من يَمِّ الله فتكاد أن تستفد ذلك كله إلا أن يَطْفَأَ<sup>(١)</sup> الله برحمته » قال : ثم تزلت « هل أُنَى عَلَى الْإِنْسَانِ شَيْءٌ مِنَ النَّعْمِ » إلى قوله : « وَمَلَكًا كَثِيرًا » قال الحبشي : يا رسول الله ! وإن عني لثرى ما ترى عينك في الجنة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « نعم » فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه . قال ابن عمر : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلّيه في حفرة ويقول : « إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا » قلنا : يا رسول الله وما هو ؟ قال : « والذي قسمي بيده لقد أوقفه الله ثم قال أى عبدي لأبيضن وجهك وَلَا يَوْنُتَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ حيث شئت فنعَم أجز العالمين » .

قوله تعالى : إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٦٦﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ وَأَذْكُرْ أَنْتَ رَبَّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٦٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٦٩﴾

قوله تعالى : ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ) ما اقتربته ولا جفت به من عندك ولا من تلقاء نفسك كما يدعيه المشركون . ووجه اتصال هذه الآية بما قبل أنه سبحانه لما ذكر أصناف الرعد والوعيد بين أن هذا الكتاب يتضمن ما بالناس حاجة إليه ، فليس يسحر

ولا كهانة ولا شعر وأنه حق . وقال ابن عباس : أنزل القرآن متفرقا آية بعد آية ولم يزل جملة واحدة ؛ فذلك قال « نزلنا » وقد مضى القول في هذا مبينا والحمد لله .

قوله تعالى : ( فَأَصْبَحَ لُكُم رِبَّكَ ) أى لقضاء ربك . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : أصبر على أذى المشركين ؛ هكذا قضيت . ثم نسخ بآية القتال . وقيل : أى أصبر لما حكم به عليك من الطاعات ، أو أنتظر حكم الله إذ وعدك أنه ينصرك عليهم ولا تستعجل فإنه كان لا محالة . ( وَلَا يُطِيعُ مِنْهُمْ آيِمًا ) أى ذا إثم ( أَوْ كُفُورًا ) أى لا تطع الكفار . فروى مَعْمَرُ بْنُ قَدَادَةَ قَالَ قَالَ أَبُو جَهْلٍ : إِنْ رَأَيْتُ عَبْدًا يُصَلِّي لَأَطَاعَ عَلَى عَقْبِهِ . فَأَنزَلَ اللَّهُ عَنْ وَجَلٍ : « وَلَا يُطِيعُ مِنْهُمْ آيِمًا أَوْ كُفُورًا » . ويقال : نزلت في حُتَيْبِ بْنِ رَبِيعَةَ الْوَلِيدِ ابْنِ الْمُغيرة ، وكانا أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه الأموال والترويح على أن يترك ذكر النبوة ، ففعلهما نزلت « وَلَا يُطِيعُ مِنْهُمْ آيِمًا أَوْ كُفُورًا » . قال مقاتل : الذى عرض الترويح حُتَيْبُ بْنُ رَبِيعَةَ ، قال : إِنْ بَنَيْتُ مِنْ أَجْلِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ ، فَأَنَا أَزْوَاجُكَ أَبْقَى مِنْ غَيْرِ مَهْرٍ ، وَأَرْجِعُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ . وقال الوليد : إِنْ كُنْتُ صَنَعْتُ مَا صَنَعْتَ لِأَجْلِ الْمَالِ ، فَأَنَا أَصْلُكَ مِنَ الْمَالِ حَتَّى تَرْضَى وَأَرْجِعُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ؛ فَتَرَلْتُ . ثم قيل « أَوْ » فى قوله تعالى : « آيِمًا أَوْ كُفُورًا » أو كد من الواو ؛ لأن الواو إذا قلت : لا تطع زيدا وعمرا فاطماع أحدهما كان غير طاع ؛ لأنه أمره ألا يطيع الاثنين ، فإذا قال : « لَا يُطِيعُ مِنْهُمْ آيِمًا أَوْ كُفُورًا » فـ « أَوْ » قد دللت على أن كل واحد منهما أهل أن يُصصى ؛ كما أنك إذا قلت : لا تخالف الحسن أو ابن سيرين ، أو أتبع الحسن أو ابن سيرين فقد قلت : هذان أهل أن يُقيما وكل واحد منهما أهل لأن يُتبع ؛ قاله الزجاج . وقال الفراء : « أَوْ » هنا بمنزلة « ولا » كأنه قال : ولا كُفُورًا ؛ قال الشاعر :

لَا وَجَدَ تَحْكَى كَمَا وَجَدْتُ وَلَا • وَجَدَ عَجُولَ أَضْلُهُا رُبْعًا  
أَوْ وَجَدَ شَيْخَ أَضْلَ نَاقَتِهِ • يَوْمَ تَوَاقَى الْجَبَّاحُ فَأَنْدَفَعُوا

(١) راجع ج ١٣ ص ٢٩ (٢) العيول من النساء والإبل الرواة التى فقدت ردها ، ميتة بذلك لمحبتيها في حبستها وذخاها جزءا . وفى هذا القصة . والرابع كسر التفصيل يخرج في الرابع .

أراد ولا وجد شيخ . وقيل : الآثم الماتق ، والكفور الكافر الذي يظهر الكفر ؛ أى لا تطعم  
منهم انما ولا كفورا . وهو قريب من قول الفراء .

قوله تعالى : ( وَأَذْكُرْ اسمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ) أى صلّ لربك أوّل النهار وآخره ،  
فى أوّله صلاة الصبح وفى آخره صلاة الظهر والمصر . ( وَيَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ ) يبنى صلاة  
المغرب والمشاء الأتمة ( وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ) يبنى التطوع فى الليل ، قاله ابن حبيب .  
وقال ابن عباس وسفيان : كلّ تسبيح فى القرآن فهو صلاة . وقيل : هو الذكر المطلق سواء  
كان فى الصلاة أو فى غيرها . وقال ابن زيد وغيره : إن قوله « وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا »  
منسوخ بالصلوات الخمس . وقيل : هو نداء . وقيل : هو مخصوص بالنبي صلى الله عليه  
وسلم . وقد تقدّم القول فى مثله فى مسودة « المنزل » وقول ابن حبيب حسن . وجمع  
الأصيل الأصائل والأصل ؛ كقولك سقائن وسقن ، قال :

• ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل •

وقال فى الأصائل وهو جمع الجمع :

لعمري لَأَنْتَ الْيَتُّ أَكْرَمُ أَهْلُهُ • وَأَقْدُفُ آفِيَّاهِ بِالْأَصَائِلِ

وقد مضى هذا فى آخر « الأعراف » مستوفى . ودخلت « مِن » على الظرف للتبويض ،  
كما دخلت على المفعول فى قوله تعالى : « يَنْفِرُ لَكُمْ مِنْ دُونِهِمْ » .

قوله تعالى : إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا  
ثَقِيلًا ﴿٧٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرُوطَهُمْ وَإِنَّا لَنَشُدُّكُمْ بِأَمْثَلِهِمْ  
تَبْدِيلًا ﴿٧٧﴾

قوله تعالى : ( إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ) توبخ وتخرج ، والمراد أهل مكة .  
والعاجلة الدنيا ( وَيَذُرُونَ ) أى ويدعون ( وَرَاءَهُمْ ) أى بين أيديهم ( يَوْمًا ثَقِيلًا )

أى عبدا شديدا كما قال : « تَمَلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » أى يتركون الإيمان يوم  
القيامة . وقيل : « وَرَأَيْتُمْ » أى خلقهم ، أى يذرون الآخرة خلف ظهورهم فلا يهتمون  
لها . وقيل : نزلت في اليهود فيما كنتموه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته .  
وجبه المأجلة أخذهم الزنا على ما كنتموه . وقيل : أراد المنافقين ؛ لاستبطانهم الكفر  
وطلب الدنيا . والآية تعم . واليوم الثقيل يوم القيامة . وإنما سمي ثقيلًا لشدائده وأهواله .  
وقيل : للقضاء فيه بين عباده .

قوله تعالى : ( نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ ) أى من طين . ( وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ) أى خلقهم ؛ قاله  
أبن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم . والأسر الخلق ؛ قال أبو عبيد : يقال نرس  
شديد الأسر أى الخلق . ويقال : أسره الله جل ثناؤه إذا شَدَدَ خَلْقَهُ ؛ قال لبيد :  
سَاهِمُ الْوَجْهِ شَدِيدُ أَمْرِهِ \* مُشْرِفُ الْحَارِكِ مَحْبُوكُ الْكَيْدِ<sup>(١)</sup>  
وقال الأخطل :

مِنْ كُلِّ مَجْتَلِبٍ شَدِيدُ أَمْرِهِ \* مَلِيسُ الْقِيَادِ تَحَالُهُ مُتَحَالًا<sup>(٢)</sup>

وقال أبو هريرة والحسن والربيع : شددنا مفاصلهم وأوصلهم بعضها إلى بعض بالعروق  
والنصب . وقال مجاهد في تفسير الأمر : هو الشرح ؛ أى إذا خرج النائط والبول تقبض  
الموضع . وقال ابن زيد : الأمر القوة . وقال ابن أحرر يصف فرسا :

يَمْشِي بِأَوْطَافَةٍ شَدِيدٍ أَسْرَهَا \* صُمُ السَّائِكِ لَا تَقِي بِالْجُدْجِدِ<sup>(٣)</sup>

وأشفاقه من الإسار وهو الفد الذى يشد به الأقطاب ؛ يقال : أَسْرْتُ الْقَتَبَ أَسْرًا  
أى شدته وربطته ؛ ويقال : ما أحسن أَمْرَ قَتَبِهِ أى شدته وربطته ؛ ومنه قولهم : خذه

(١) ورد في اللسان مادة ( حك ) : أنتدجت ليد على هذه الصورة : مشرف الحاركة محبوك الكفل ( وكذا  
هو في ديوانه ) ؛ ومحبوك الكفل : حذبه . وفي مادة ترك أنتد الشطر :  
\* ضبط الحاركة محبوك الكفل \*  
أما الشطر الذى في النصيب هنا فهو لأنى دؤاد وقد مر في ج ١٧ ص ٣٢ .

(٢) مجتنب مفتل من الجنية وهي الهرس تضاد ولا تركب ؛ وكانوا يركبون الإبل ويجنبون الخيل فإذا ماوروا  
على الحرب وكروا الخيل . (٣) الجلد : الأرض الصلبة . ولا تقى : لا تنقذ ولا تنج .

بأسره إذا أرادوا أن يقولوا هو لك كله ؛ كأنهم أرادوا تمكيكه وشده لم يفتح ولم ينقص منه شيء . ومنه الأسير لأنه كان يكف بالأسار . والكلام نخرج نخرج الاثنان عليهم بالتم حين قابلوها بالمصيبة . أى سَوَّيْتُ خَلْقَكَ وأحكته بالقوى ثم أنت تكفري . ( وَإِنَّا شِئْنَا بِذَلِكَ أَسْأَلُكُمْ تَبْدِيلًا ) قال ابن عباس : يقول لو نشاء لأهلكهم وجئنا بأطوع قه منهم . وعنه أيضا : لنيرنا عاسنهم إلى أسمع الصور وأقبحها . كذلك روى الضحاك عنه . والأول رواه عنه أبو صالح .

قوله تعالى : **إِنَّ هَٰئِلِهِ تَذَكُّرَةٌ ۖ فَنِّ شَاءَ الْخَلْدُ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا** ﴿١٨﴾ **وَمَا تَسْأَلُونَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴿١٩﴾ **يَدْخُلُ مَنْ يَسْأَلُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ( **إِنَّ هَٰئِلِهِ** ) أى السورة ( **تَذَكُّرَةٌ** ) أى موعظة ( **فَنِّ شَاءَ الْخَلْدُ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا** ) أى طريقا موصلا إلى طاعته وطلب مرضاته . وقيل : « سَبِيلًا » أى وسيلة . وقيل : وجهة وطريقا إلى الجنة . والمعنى واحد . ( **وَمَا تَسْأَلُونَ** ) أى الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل إلى الله ( **إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ** ) فأخبر أن الأمر إليه سبحانه ليس إليهم ، وأنه لا تنفذ مشيئة أجد ولا تتقدم إلا أن تتقدم مشيئته . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو « **وَمَا يَسْأَلُونَ** » بإلقاء على معنى الخبر عنهم . والباقيون بالياء على معنى المخاطبة لله سبحانه . وقيل : إن الآية الأولى منسوخة بالثانية . والأشبه أنه ليس بفسخ بل هو تعيين أن ذلك لا يكون إلا بمشيئته . قال الفراء : « **وَمَا تَسْأَلُونَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ** » جواب لقوله : « **فَنِّ شَاءَ الْخَلْدُ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا** » ثم أخبرهم أن الأمر ليس إليهم فقال : « **وَمَا تَسْأَلُونَ** » ذلك السبيل « **إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ** » لكم . ( **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا** ) بأعمالكم ( **حَكِيمًا** ) في أمره ونهيه لكم . وقد مضى في غير موضع .

( ١ ) حكمت الخلق شدة ، والكلام الخليل الذى يسم به ، ومكنت الجبر شدة طبع العزم .

( ٢ ) في نسخة : إلى التبر .

(يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) أى يدخله الجنة راحا له (وَالظَّالِمِينَ) أى ويمتدب الظالمين  
فتمتبه بإختيار يمتدب . قال الزجاج : نصب الظالمين لأن قبله منصوب ؛ أى يدخل من يشاء  
في رحمته ويمتدب الظالمين أى المشركين ويكون (أَعَدَّ لَهُمْ) تفسيرا لهذا المضمرة كما قال الشاعر :  
أَصْبَحْتُ لَا أَجِلُ السَّلَاحَ وَلَا • أُنْكَرُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ تَمَرَا  
وَاللَّيْلُ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ • وَحَدَى وَأَخْفَى الرِّيحَ وَالْمَطَرَا  
أى أخشى اللئب أخشاه . قال الزجاج : والاختيار النصب وإن جاز الرفع ؛ تقول : أعطيت زيدا  
وعمرأ أعلدلت له برا يختار النصب ؛ أى وبررت عمرا أو أبر عمرا . وقوله في « حم عسق » :  
« يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ » أرفع لأنه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فينصب  
في المعنى ؛ فلم يميز المطفل من المنصوب قبله فأرفع بالابتداء . وها هنا قوله : « أَعَدَّ لَهُمْ  
مَدَابَا » يدل على ويمتدب بإجاز النصب . وقرأ ابن بن حبان « وَالظَّالِمُونَ » رفعا بالابتداء  
والخبر (أَعَدَّ لَهُمْ) . (مَدَابَا أَلِيَا) أى مؤلجا موجعا . وقد تقدم هذا في سورة « البقرة »<sup>(١)</sup>  
وفيها والحمد لله . ختمت السورة .

### سورة المرسلات

مكية في قول الحسن وعكرمة ومطاء وجابر . وقال ابن عباس وقفاة : إلا آية منها وهى  
قوله تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ » مدنية . وقال ابن مسعود : نزلت  
« وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا » على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجحى ونحن معه نسبح حتى أوبنا  
إلى غار بجى فترلت ، فبينما نحن نتلقاها منه ، وإذ قاله أرطب بها إذ وثبت حية فوثبتا عليها  
لنقتلها فذهبت ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وَوَقَّعْتُمْ شَرَّهَا كَمَا وَقَّعْتُمْ شَرَّكُمْ » . وعن  
كريب مولى ابن عباس قال : قرأت سورة « وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا » فسمعت أم الفضل أمراة  
العباس فيكث وقالت : والله يا بنى لقد أذكركم بقراءة هذه السورة أنها لا تحرم سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في صلاة المغرب . والله أعلم . وهى بمسوح آية .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : **وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ①** **فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ②**  
**وَالنَّشْرِثِ نَشْرًا ③** **فَالْقُرَيْثِ فَرْقًا ④** **فَالْمَلْفَيْثِ ذِكْرًا ⑤**  
**عُدْرًا أَوْ نُفْرًا ⑥** **إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعَ ⑦** **فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ⑧**  
**وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑨** **وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ⑩** **وَإِذَا الْأَرْضُ**  
**أُقِفَتْ ⑪** **لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ⑫** **لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑬** **وَمَا أَدْرَاكَ**  
**مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ⑭** **وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑮**

قوله تعالى : **(وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا)** جمهور المفسرين على أن المرسلات الرياح . وروى مسروق عن عبد الله قال : هي الملائكة أرسلت بالمعروف من أمر الله تعالى ونبيه والنجى والوحى . وهو قول أبى هريرة ومقاتل وأبى صالح والكلبي . وقيل : هم الأنبياء أرسلوا بلا إله إلا الله ؛ قاله ابن عباس . وقال أبو صالح : إنهم الرسل تُرسل بما يُعزفون به من المعجزات ، وعن ابن عباس وابن مسعود : إنها الرياح ؛ كما قال تعالى : **« وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ »** وقال : **« وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ »** . ومعنى **« عُرْفًا »** يتبع بعضها بعضا كعُرْفِ القَرَس ؛ تقول العرب : الناس إلى فلان عُرْفٌ واحد إذا توجهوا إليه فاكثروا . وهو نصب على الحال من **« والمرسلات »** أى والرياح التى أرسلت متتابعة . ويحوز أن تكون مصدرا أى تباعا . ويحوز أن يكون النصب على تهدير حرف الجر ، كأنه قال : والمرسلات بالتسرف والمراد الملائكة أو الملائكة والرسل . وقيل : يمتثل أن يكون المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نعمة وقمة عارفة بما أرسلت فيه ومن أرسلت إليه . وقيل : إنها الزواجر والمواظ . **« وعُرْفًا »** على هذا التأويل متناهيات كعُرْفِ القَرَس ؛ قاله ابن مسعود . وقيل : جاريات ؛ قاله الحسن ؛ يسنى فى القلوب . وقيل : معروفة فى المقصور .

( قَالَمِصَاتٍ عَصْفًا ) الرياح بغير اختلاف ؛ قاله المهدي . وعن ابن مسعود :  
 هي الرياح العواء تأتي بالعصف وهو ورق الزرع وحطامه ؛ كما قال تعالى : « قُبِّرَ سَلْ  
 طِيكُمْ قَاصِفًا » . وقيل : العاصفات الملائكة الموكلون بالرياح يصفون بها . وقيل : الملائكة  
 تعصف بروح الكافر ؛ يقال : عصف بالشيء أى أباده وأهلكه ، وثافة عَصُوف أى تعصف  
 براكيها بمعنى كأنها ربح في السرعة ، وعصفت الحرب بالقوم أى ذهبت بهم . وقيل :  
 يشمل أنها الآيات المهلكة كالزلازل والחסوف . ( وَالتَّائِيَرَاتِ نَشْرًا ) الملائكة الموكلون  
 بالسحب ينشرونها . وقال ابن مسعود ومجاهد : هي الرياح يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي  
 رحمته ؛ أى تشر السحاب للغيث . وروى ذلك عن أبي صالح . وعنه أيضا : الأمطار ؛  
 لأنها تشر الثبات فاللشر بمعنى الإحياء ؛ يقال : نشر الله الميت ونشره أى أحياه . وروى  
 عنه السدي : أنها الملائكة تشر كتب الله من وجل . وروى الضحاك عن ابن عباس  
 قال : يريد ما ينشر من الكتب وأعمال بني آدم . الضحاك : إنما العصف تنشر على الله  
 بأعمال العباد . وقال الربيع : إنه البعث للقيامه تنشر فيه الأرواح . قال : « وَالتَّائِيَرَاتِ »  
 بالواو ؛ لأنه استئناف قسم آخر . ( قَالَقَارِئَاتٍ فَرَقًا ) الملائكة تنزل بالفرق بين الحق  
 والباطل ؛ قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وأبو صالح . وروى الضحاك عن ابن عباس  
 قال : ما تفرق الملائكة من الأقوات والأرزاق والآجال . وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد  
 قال : الفارقات الرياح تفرق بين السحاب وتبذره . وعن سعيد عن قتادة قال : « الفارقات  
 فرقاً » الفرقان فرق الله فيه بين الحق والباطل والحرام والحلال . وقاله الحسن وابن كيسان .  
 وقيل : يعنى الرسل فرقوا بين ما أمر الله به ونهى عنه أى بينوا ذلك . وقيل : السحابات  
 الماطرة تشبهها بالنافثة الفارق وهي الحامل التي تخرج وتنبذ في الأرض حين تضع ، ونوق

(١) كنا في الأصول ؛ ولعل المناسب الاستنباد بقوله تعالى : « جَاءَتْهُ رِيحٌ صَامِتٌ » كما أشار إليه

أبو حيان بقوله : « وأن الصف من صفات الريح ... الخ » .

فسأرق وُفِرُق . [ وريماً ] شهبوا السحابة التي تنفرد من السحاب بهذه النافقة ؛ قال ذو الرقة :

أَوْ مُزْنَةٌ فَارُقٌ يَحْلُو حَوَارِبَهَا • سَبَّوحَ الْبَرَقِ وَالظُّلُمَاءِ حُلُومُ<sup>(١)</sup>

(فَالْمَلَقِيَّاتِ ذِكْرًا) الملائكة بإجماع ؛ أي تلقى كتب الله عز وجل إلى الأنبياء عليهم السلام ؛ قاله المهدوي . وقيل : هو جبريل وسُمي بأسم الجمع ؛ لأنه كان يقرئ بها . وقيل : المراد الرسل يلقون إلى أمهم ما أتى الله عليهم ؛ قاله قطرب . وقرأ ابن عباس « فَاَلْمَلَقِيَّاتِ » بالتشديد مع فتح الفاف ؛ وهو كقوله تعالى : « وَأَنكَ لَتَلَقِيَ الْقُرْآنَ » . (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) أي تلقى الوحي إلهامًا من الله أو إنذارًا إلى خلقه من عذابه ؛ قاله الفراء . وروى عن أبي صالح قال : يعني الرسل يمدنون وينذرون . وروى سديد عن قتادة « مُذْرًا » قال : مُذْرًا لله جل ثناؤه إلى خلقه ، ونذرا للؤمنين يخشعون به ويأخذون به . وروى الضحاك عن ابن عباس . « مُذْرًا » أي ما يلقيه الله جل ثناؤه من معاذير أوليائه وهي التوبة « أَوْ نُذْرًا » ينذر أعداءه . وقرأ أبو عمرو وحزوة والكسائي وحفص « أَوْ نُذْرًا » بإسكان التال وجميع السبعة على إسكان ذال « مُذْرًا » سوى ما رواه الجعفي والأعشى عن أبي بكر عن حاتم أنه ضم التال . وروى ذلك عن ابن عباس والحسن وغيرهما . وقرأ إبراهيم التيمي وقاتدة « مُذْرًا وَنُذْرًا » بالواء العاطفة ولم يعملوا بينهما ألفًا . وهما منصوبان على الفاعل له أي للإلهام أو للإنذار . وقيل : على المفعول به . وقيل : على البهل من « ذِكْرًا » أي فَاَلْمَلَقِيَّاتِ مذكرا أو نذرا . وقال أبو علي : يجوز أن يكون النذر والنذر بالتثنية على جمع طائر ونائر ؛ كقوله تعالى : « هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذِيرِ الْأُولَى » فيكون نصبا على الحال من الإلقاء ؛ أي يلغون الذكر في حال المنذر والإنذار . أو يكون مفعولا لـ « ذِكْرًا » أي « فَاَلْمَلَقِيَّاتِ » أي تُذَكِّرُ « مُذْرًا أَوْ نُذْرًا » . وقال المبرد : هما بالتثنية جمع الواحد عَذِيرٌ ونَذِيرٌ . (إِنَّمَا تَوْصَدُونَ لِقَاعٍ) هذا جواب ما تقدم من القسم ؛ أي ما توصدون من أمر القيامة لواقع بكم وتزل عليكم .

(١) الزيادة من اللسان من البحرى مادة « فرق » .

(٢) تبيح الفرق ؛ فتحه وكشفه . طبعه غدير السواد .

ثم بين وقت وقوعه فقال: ( فَإِذَا التَّجُومُ طُمِسَتْ ) أى ذهب ضوعها ونُحِيَ نورها كطمس الكتاب؛ يقال: طُمِسَ الشيء إذا دُرس وطُمِسَ فهو مطموس، والريح تطمس الآثار فتكون الريح طامسة والأثر طامسا بمعنى مطموس. ( وَإِذَا السَّمَاءُ فُرجَتْ ) أى نُفِثَتْ ونُفِثَتْ؛ ومنه قوله تعالى: « وَنُفِثَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ». وروى الضعاف عن ابن عباس قال: فُرجت للعلی. ( وَإِذَا الْجِبَالُ أُسِفت ) أى دُهب بها كلها بسرمة؛ يقال: نُسِفَتِ الشيء وأُسِفَتْ إذا أُخذته كله بسرمة. وكان ابن عباس والكلبي يقول: سُويت بالأرض، والعرب تقول: قُرسَ نسوف إذا كان يؤخر الحزام بمرفقيه؛ قال بشر:

نَسُوفٌ لِلْحِزَامِ بِمَرْفِقِيهَا

وَنُسِفَتِ النَّافَةُ الْكَلَاءُ [ إذا ظفنته من أصله ] . وقال المبرد: نُسِفَتْ قُلِمَتٌ من موضعها؛ يقول الرجل للرجل يقطع رجله من الأرض: أُنُسِفَتْ رجله. وقيل: النُسْفُ تهرىق الأجزاء حتى تذروها الرياح. ومنه نُسِفَ الطعام؛ لأنه يُهْرَقُ حتى يذهب الريح بعض ما فيه من النُفْسِ. ( وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ ) أى جمعت لوقتها ليوم القيامة، والوقت الأجل الذى يكون عنده النشء المؤخر إليه؛ قللمنى: جعل لها وقت وأجل للفصل والفضاء بينهم وبين الأمم؛ كما قال تعالى: « يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ ». وقيل: هذا فى الدنيا أى جمعت الرسل ليجاتها الذى ضرب لها فى إزال السذاب بمن كذبهم بأن الكفار مُمهلون. وإنما تزول الشوك يوم القيامة. والأول أحسن؛ لأن التوقيت معناه شيء يقع يوم القيامة، كالطمس ونُسِفَ الجبال وتُسَفِقُ السماء ولا يليق به التأنيق قبل يوم القيامة. قال أبو حنبل: أى جعل يوم الدين والفصل لها وقتا. وقيل: أَقْنَتْ وَصَدَتْ وَأَجَلَتْ. وقيل: « أَقْنَتْ » أى أرسلت لأوقات معلومة على ما علمه الله وأراد. والمهمزة فى « أَقْنَتْ » بدل من الواو؛ قاله الفراء والزجاج. قال الفراء: وكل واو مُضْمَةٌ وكانت ضمتها لازمة جاز أن يبدل منها همزة؛ تقول: صُلِّيَ النجوم إحسانا تريد إحسانا، ويقولون هذه وجوه حسان [ أجوه<sup>(١)</sup> ]. وهذا

(١) الزيادة من كتب اللغة؛ وفى الأصول: إنداره. (٢) زيادة يقتضيا المقام.

لأن ضمة الواو هيلة . ولم يحز البسمل في قوله : « وَلَا تَسْأَلُوا الْقَضَل بِنْتُمْ » لأن الضمة غير لازمة . وقرأ أبو عمرو وحيد والحسن ونصر عن عاصم وبجاهد «وَقَتَّ» بالواو وتشديد القاف على الأصل . وقال أبو عمرو : وإنما يقرأ « أَقَتَّ » من قال في وُجوه أجوه . وقرأ أبو جعفر وشيبة والأصمج « وُقَتَّ » بالواو وتخفيف القاف . وهو فُعِلَت من الوقت ومنه « يَكَايَا مَوْثُوقًا » . وعن الحسن أيضا : « وُوقَتَّ » بواوين وهو فُوقِلَت من الوقت أيضا مثل حُودِلَت . ولو قلبت الواو في هاتين القراءتين ألفا لجاز . وقرأ يحيى وأيوب وخالد بن إلياس وسلام « أَقَتَّ » بالهمزة والتخفيف ؛ لأنها مكتوبة في المصحف بالالف . ( لَيْلَى يَوْمَ أَجَلْتِ ) أى انزلت وهذا تعظيم لذلك اليوم فهو استعظام على التعظيم . أى ( لَيْلَى الْقَضَلِ ) أَجَلْتِ . وروى سعيد عن قتادة قال : يفصل فيه بين الناس بأعمالهم إلى الجنة أو إلى النار . وفي الحديث : « إِنْ أُحْشِرَ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَامُوا أَرْبَعِينَ عَامًا عَلَى رُءُوسِهِمُ الشَّمْسُ شَاخِصَةً أَبْصَارِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ يَنْتَظِرُونَ الْفَصْلَ » . ( وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الْقَضَلِ ) انزع التعظيم تعظيما ؛ أى وما أهلك ما يوم الفصل . ( وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ) أى عذاب ونزى لمن كذب بالله وبرسله وكتبه ويوم الفصل فهو وحيد . وكرره في هذه السورة عند كل آية لمن كذب ؛ لأنه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم ، فإن لكل مكذب بشيء عذاب سوى تكذيبه بشيء آخر ، ورُبَّ شيء كذب به هو أعظم جرما من تكذيبه بشيء ؛ لأنه أقيح في تكذيبه ، وأعظم في الرد على الله ، وإنما يقسم له من الويل على قدر ذلك ، وعلى قدر وفاته وهو قوله : « جَزَاءٌ وَفَاقًا » . وروى عن الثعلب بن بشير قال : وَيَلْ واد في جهنم فيه ألوان العذاب . وقاله ابن عباس وغيره . قال ابن عباس : إِنْ أُخِيتْ جَهَنَّمُ أَخَذَ مِنْ جَهَنَّمَ قَالِي طَلِيهَا فَيَا كُلَّ بَعْضِهَا بَعْضًا . وروى أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تُعْرِضُ عَلَى جَهَنَّمَ فَمِ أَرْفِئُهَا وَأَدَايَا أَعْظَمُ مِنَ الْوَيْلِ » وروى أنه يجتمع ما يسيل من فيج أهل النار وصديعهم ، وإنما يسيل الشيء فيما سفل من الأرض وأقطر ، وقد علم العباد في الدنيا أن شر المواضع في الدنيا ما أمنتع فيها مياه الأنداس والأقذار والنسالات من الحيف وماء الحمامات ، فذكر أن ذلك

الوادي مستنقع صديد أهل الكفر والشرك؛ يعلم ذوو العقول أنه لا شيء أفقر منه قفارة ،  
ولا أقر منه تناء ، ولا أشد منه مرارة ، ولا أشد سوادا منه ، ثم وصفه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بما تضمن من العذاب ، وأنه أعظم وأد في جهنم ، فذكره الله تعالى في وصيه  
في هذه السورة .

قوله تعالى : **أَلَمْ نُنَبِّكَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥٥﴾ ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ﴿١٥٦﴾**  
**كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٥٧﴾ وَيَلِ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥٨﴾**

قوله تعالى : ( **أَلَمْ نُنَبِّكَ الْأَوَّلِينَ** ) أخبر عن إهلاك الكفار من الأمم الماضية من لدن  
آدم إلى عبد صلى الله عليه وسلم . ( **ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ** ) أي طعن الآخرين بالآولين .  
( **كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ** ) أي مثل ما فعلناه بمن تقدم فعل بمشرك قريش إما بالسيف  
وإما بالهلاك . وقرأ العامة « **ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ** » بالرفع على الاستئناف وقرأ الأعرج « **تَتَّبِعُهُمُ** »  
بالجزم عطفا على « **نُنَبِّكَ الْأَوَّلِينَ** » كما تقول : ألم تدرى ثم أكرمك . والمراد أنه أهلك  
قوما بعد قوم على اختلاف أوقات المرسلين . ثم استأنف بقوله : « **كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ** »  
يريد من يهلك فيما بعد . ويجوز أن يكون الإسكان تخفيفا من « **تَتَّبِعُهُمُ** » لتوالي الحركات .  
وروى عنه الإسكان للتخفيف . وفي قراءة ابن مسعود « **ثُمَّ سَتَتَّبِعُهُمُ** » والكاف من  
« **كَذَلِكَ** » في موضع نصب أي مثل ذلك الهلاك نفعله بكل مشرك . ثم قيل : معناه التهويل  
لحلاكم في الدنيا اعتبارا . وقيل : هو إخبار بمنابهم في الآخرة .

قوله تعالى : **أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿١٥٩﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ**  
**مَّكِينٍ ﴿١٦٠﴾ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٦١﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَيَلِ**  
**يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٦٣﴾**

قوله تعالى : ( **أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ** ) أي ضئيف حقير وهو النطفة وقد تقدم . وهذه  
الآية أصل لمن قال إن خالق الجنين إنما هو من ماء الرجل وحده . وقد مضى القول فيه .

(بَلَمَّاهُ فِي قَرَارٍ مَيَّكِينَ) أى فى مكان حرىز وهو الرحم . (إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ) قال مجاهد : إلى أن نصوره . وقيل : إلى وقت الولادة . (فَقَدَرْنَا) وقرا فافع والكسائى « قَدَرْنَا » بالتشديد . وخفف الباقون وهما لغتان بمعنى . قاله الكسائى والقراء والقُتَيْبَى . قال القُتَيْبَى : قَدَرْنَا بمعنى قَدَرْنَا مشددة : كما تقول : قَدَرْتُ كَذَا وَقَدَرْتُهُ ؛ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فى الحلال : « إِذَا هُمْ عَلَيْكُمْ فَأَقْدَرُوا لَهُ » أى قَدَرُوا لَهُ المسير والمنازل . وقال محمد بن الجهم من القراء : « فَقَدَرْنَا » قال : وذكر تشديدها عن عليّ رضى الله عنه وتحفيظها ؛ قل : ولا يبعد أن يكون المني فى التشديد والتخفيف واحدا ؛ لأن العرب تقول : قَدَر عليه الموت وَقَدَر : قال الله تعالى : « وَنَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ » قرئ بالتخفيف والتشديد ، وَقَدَر عليه رزقه وَقَدَر قال : وأحجج الذين خَفَفُوا فقالوا ؛ لو كانت كذلك لكانت ختم المقدرون . قال القراء : ويجمع العرب بين التثنية ؛ قال الله تعالى : « قَهْلِلِ الْكَافِرِينَ أَهْمِلُهُمْ رُؤْيَا » قال الأعشى : وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَلِمَ الَّذِي نَكَرْتُ . من الحوادث إلا الشَّيْبَ وَالصَّلَاةَ

وروى عن عكرمة « قَدَرْنَا » غففة من القدرة وهو اختيار أبى عبيد وأبى حاتم والكسائى لقوله : (فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) ومن شدد فهو من التقدير أى فَقَدَرْنَا الشقى والسعيد فعم المقدرون . رواه أبى مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل : المعنى قَدَرْنَا قصيرا أو طويلا . ونحوه عن أبى عباس : قَدَرْنَا ملكا . المهلوى : وهذا التفسير أشبه بقراءة التخفيف .

قلت : هو صحيح فإن عكرمة هو الذى قرأ « قَدَرْنَا » غففا قال : معنا ملكا فنعم المالكون ، فأفادت الكلمتان معنيين متنايرين ؛ أى قَدَرْنَا وقت الولادة وأحوال النطفة فى الثقل من حالة إلى حالة حتى صارت بشرا سويا ، أو الشقى والسعيد ، أو الطويل والقصير ، كله مل قراءة التشديد . وقيل : هما بمعنى كما ذكرنا .

قوله تعالى : أَلَّا يَجْعَلَ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيَسِّرْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

فيه مستطانت :

الأول - قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾ أي ضائفة تضم الأحياء على ظهورها والأموات في بطنها . وهذا يدل على وجوب مواواة الميت ودفعه ، ودفن شعره وسائر ما يزيله عنه . وهو قوله عليه السلام : « قُصُّوا أظفاركم وأدفنوا قُلَامَاتِكُمْ » وقد مضى في « البقرة » بيانه . يقال : كَفَّتْ الشيءَ أَخَفَّتْهُ إِذَا جَمَعْتَهُ وَضَمَمْتَهُ ، وَالكَفَّتِ الضم والجمع ، وَأَنْشَدَ سيبويه .

كِرَامٌ حِينَ تَتَكَفَّتُ الْإِنْعَامُ • إلى أن يحارقه من الصبيح  
وقال أبو عبيد : « كِفَاتًا » أوعية ويقال لِلنَّحْيِ كِفَتْ وَكَفَيْتَ لِأَنَّهُ يَمُوتُ اللَّيْلَ وَبِضْمِهِ  
قال :

فَانْتَ الْيَوْمَ فَوْقَ الْأَرْضِ حَيًّا • وَأَنْتَ فَنَّا تَضْمُكَ فِي كِفَاتٍ

ونرج الشَّعْبِيَّ في جَنَازَةٍ فَنَظَرَ إِلَى الْجَنَائِنِ فَقَالَ : هَذِهِ كِفَاتُ الْأَمْوَاتِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْبُيُوتِ فَقَالَ : هَذِهِ كِفَاتُ الْأَحْيَاءِ .

و[الثانية] - روى عن ربيعة في النَّبَاشِ قَالَ قُطِّعَ بِهِ قَتِيلٌ لَهُ : لِمَ قُتِلَ ذَلِكَ ؟ قَالَ :  
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : « أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا » فَالْأَرْضُ حَرْزٌ . وَقَدْ  
مَضَى هَذَا فِي سُورَةِ « الْمَائِدَةِ » وَكَانُوا يَسْمُونَ بَقِيْعَ الْفَرَقْدِ كِفَتَةً ، لِأَنَّهُ مَقْبَرَةٌ تَضُمُّ الْمَوْتَى ،  
فَالْأَرْضُ تَضُمُّ الْأَحْيَاءَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَالْأَمْوَاتَ فِي قُبُورِهِمْ . وَأَيْضًا اسْتِقْرَارُ النَّاسِ عَلَى وَجْهِ  
الْأَرْضِ ، ثُمَّ اضْطِجَاعُهُمْ عَلَيْهَا ، أَنْضَابُهُمْ مِنْهُمْ إِلَيْهَا . وَقِيلَ : هِيَ كِفَاتٌ لِلْأَحْيَاءِ يَمُوتُ دَفِنُ  
مَا يُخْرِجُ مِنَ الْإِنْسَانِ مِنَ الْفَضْلَاتِ فِي الْأَرْضِ ؛ إِذَا لَا خَمَّ فِي كَوْنِ النَّاسِ عَلَيْهَا ، وَالْقَمَرُ يَشِيرُ  
إِلَى الْاِخْتِفَافِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ . وَقَالَ الْأَخْفَشُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَبِجَاهِدٍ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ : الْأَحْيَاءُ  
وَالْأَمْوَاتُ يَرْجِعُ إِلَى الْأَرْضِ أَيْ الْأَرْضُ مُنْقَسِمَةٌ إِلَى حَيٍّ وَهُوَ الَّذِي يَنْهَتْ ، وَإِلَى مَيِّتٍ

(١) راجع ج ٢ ص ١٠٢ فإيضاحه • (٢) لم يذكر في الأصول قط المسألة الثانية والحاددان هنا مرصها  
كما يستفاد من أحكام القرآن لأبي العربي • (٣) راجع ج ٦ ص ١٦٨ فإيضاحه •

وهو الذى لا ينبت . وقال الفراء : أنتصب « أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتًا » بوقوع الكفات عليه ؛ أى  
 ألم نجعل الأرض كفات أحياء وأموات . فإذا توت نصبت ؛ كقوله تعالى : « أَوْ إِنْ طَأْمَمُ  
 فى يوم ذى مَسْفِيَةٍ . يَتِيًّا » . وقيل : نصب على الحال من الأرض أى منها كذا ومنها  
 كذا . وقال الأخفش : « كِفَاتًا » جمع كافة والأرض يراد بها الجس ففتت بالجس . وقال  
 الخليل : التكتيف تهليل الشيء ظهرًا لبطن أو بطنًا لظهر . ويقال : أنكتفت القوم إلى  
 منازلهم أى اتقلبوا . فمضى الكفات أنهم يتصرفون على ظهرها ويتقلبون إليها ويدخون  
 فيها . ( وَجَعَلْنَا فِيهَا ) أى فى الأرض ( رَوَاسِيَّ شَاخَاتٍ ) ببنى الجبال ، والرواسي  
 الثوابت ، والشاخات الطوال ؛ ومنه يقال : شمع بأفنه إذا رفه كبراً . قال : ( وَأَسْقَيْنَاكُمْ  
 مَاءً قُرًّاتًا ) أى وجعلنا لكم سقيا والقرات الماء العذب يشرب ويسقى منه الزرع . أى خلقنا  
 الجبال وأنزلنا الماء الفرات . وهذه الأمور أعجب من البعث . وفى بعض الحديث قال  
 أبو هريرة : فى الأرض من لجنة القرات والتجلة ونهر الأردن . وفى صحيح مسلم : سحان  
 وسحان والنيل والقرات كل من أنهار الجنة .

قوله تعالى : أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٦٦﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى  
 ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٦٧﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهَا  
 تَرَى بِسَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٦٩﴾ كَأَنَّهَا جَمَلَةٌ صُفْرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ  
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٧١﴾

قوله تعالى : ( أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ) أى يقال للكفار سهوا إلى ما كنتم به  
 تكذبون . من العذاب ببنى النخيل الذى يرفع ثم يثقب إلى ثلاث شعب . وكذلك شان  
 النخيل العظيم إذا أرفع تشعب . ثم وصف الظل فقال : ( لَا ظَلِيلٍ ) أى ليس كالظل  
 الذى فى حر الشمس ( وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ) أى لا يدفع من هب جهنم شيئا . والهب

ما يعلو على النار إذا اضطربت من أحمر وأصفر وأخضر . وقيل : إن الشعب الثلاث هي  
الضريح والرقوم والفلسين ؛ قاله الضحاك . وقيل : الله ثم الشر ثم الدخان ؛ لأنها ثلاثة  
أحوال هي غاية أوصاف النار إذا اضطربت واشتدّت . وقيل : حتى يخرج من النار فيلشعب  
ثلاث شعب . فأما النور فيقف على رموس المؤمنين ، وأما الدخان فيقف على رموس المنافقين ،  
وأما اللهيب الصافي فيقف على رموس الكافرين . وقيل : هو الشراذق وهو لسان من نار يحيط  
بهم ثم يشعب منه ثلاث شعب تظلمهم حتى يفرغ من حسابهم إلى النار . وقيل : هو الظل  
من يحوم ؛ كما قال تعالى : « فِي سُبُوحٍ وَحَمِيمٍ ، وَظِلٍّ مِنْ يَحُومٍ ، لَا يُارَى وَلَا يَرَى » على ما تقدم .  
وفي الحديث : « إن الشمس تدنو من رموس الخسائي وليس عليهم يومئذ لباس ولا لم  
أكفان تظلمهم الشمس وتأخذ بأفاسهم ومد ذلك اليوم ثم يغى الله برحمته من يشاء  
إلى ظل من ظله فهناك يقولون « قَنَّ اللَّهُ مَلَكًا وَقَفَا صَدَابَ السُّعُومِ » » ويقال للكافرين  
« أَنْظِلُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ » من مذاب الله وعقابه « أَنْظِلُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ  
شُعَبٍ » فيكون أولياء الله جل ثناؤه في ظل عرشه أو حيث شاء من الظل إلى أن يفرغ من  
الحساب ثم يؤمر بكل فريق إلى مستقره من الجنة والنار . ثم وصف النار فقال : ( إِنَّمَا  
تَرَى مِنْ شَرَرٍ كَالْقَصْرِ ) الشر واحدته شررة . والشرار واحدته شرارة وهو ما تطاير من النار  
في كل جهة ، وأصله من شَرَرْتُ الثوبَ إذا بسطته للشمس ليَجِفَ . والقصر البناء العالي .  
وقراءة العامة « كَالْقَصْرِ » بإسكان الصاد أي الحصون والمدائن في العظم وهو واحد القصور .  
قاله ابن عباس وابن مسعود . وهو في معنى الجمع على طريق الجنس . وقيل : القصر جمع  
قصرة ساكنة الصاد مثل بجرة وجرى وعمرة وعمر . والقصرة الواحدة من جزل الحطب الغليظ .  
وفي البخاري عن ابن عباس أيضا : « تَرَى مِنْ شَرَرٍ كَالْقَصْرِ » قال كما نزع الخشب بقصر  
ثلاثة أذرع أو أقل فنرضه للشتاء فنسميه القصر . وقال سعيد بن جبير والضحاك : هي

(١) راجع ج ١٧ ص ٢١٣ (٢) كما في الأصول ولعل الخط تصحيم .

(٣) نصب ثلاثة ويحوز إناة بقصر إليها أي بقدر ثلاثة أذرع .

أصول الشجر والنخل النظام إذا وقع وقُطِع . وقيل : أعناقهم . وقرا ابن عباس ومجاهد وحيد والسلمي « كالثَّغِير » ففتح الصاد أراد أعناق النخل . والقَصْرَةُ المنق جمعها قَصَر وقصرات . وقال قتادة : أعناق الإبل . وقرا سعيد بن جبير بكسر القاف وفتح الصاد ، وهي أيضا جمع قَصْرَة مثل بَدْرَة وبَدَر وقَصْعَة وقَصْع وحَقَّة وحَقَّ لِحَاق الحديد . وقال أبو حاتم : ولعله لغة كما قالوا حاجة وحوَج . وقيل : القَصْر الجبل فشبّه الشرر بالقصر في مقاديره ، ثم شبه في لونه بالجمالات الصُّفْر وهي الإبل السود والعرب تسمى السود من الإبل صُفْرًا ، قال الشاعر :<sup>(١)</sup>

بَلَّكَ خَيْلٌ مِنْهُ وَتَمَلَّكَ رِيَابِي \* هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَا دُهَا كَأَنِّي بِيَب

أى هن سود . وإنما سميت السود من الإبل صُفْرًا لأنه يشوب سوادها شيء من صُفْرَة ، كما قيل لبيض الظباء : الأَدَم ؛ لأن يابضها تملوه كُدَّة ؛ والشرر إذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار أشبه الإبل السود لما يشوبها من صُفْرَة . وفي شعر عمران بن حطان الشاعري :

دَحَمَهُمْ بِأَهْلِ صَوْنِهَا وَرَمَمَهُمْ \* بِمِثْلِ الْجَمَالِ الصُّفْرِ نَزَاعَةُ الشَّوْى

وضمف الترمذى<sup>(٢)</sup> هذا القول فقال : وهذا القول محال في اللغة أن يكون شيء يشوبه شيء قليل فلسب كله إلى ذلك الشائب ، فالجيب لمن قد قال هذا ، وقد قال الله تعالى : « جَمَالَاتٌ صُفْرٌ » فلا تعلم شيئا من هذا في اللغة ، ووجهه عندنا أن النار خلت من النور فهي نار مضية ، فلما خالق الله جهنم وهي موضع النار حشا ذلك الموضع بتلك النار وبست إليها سلطانه وغبضه ، فأسودت من سلطانه وأزدادت حدة ، وصارت أحد سوادا من النار ومن كل شيء سوادا ، فإذا كان يوم القيامة وجرى بهم في الموقف رمت بشرورها على أهل الموقف غضبا لغضب الله ، والشرهرو أسود لأنه من نار سواد ، فإذا رمت النار بشرورها فلأنها ترى الأعداء به فهن سود من سواد النار ، لا يصل ذلك إلى الموحدين ؛ لأنهم

(١) هو الأمل . (٢) في نسخة : البريدى .

في مرادق الرحمة قد أحاط بهم في الموقف ، وهو التمام الذي يأتي فيه الرب تبارك وتعالى  
ولكن يأتون ذلك الرمي ، فإذا علموا نزع الله ذلك السلطان والغضب عنه في رأي العين منهم  
حتى يروها صفراء ؛ ليعلم الموحدون أنهم في رحمة الله لا في سلطانه وغضبه . وكان ابن عباس  
يقول : الجمالات الصفر جبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال .  
ذكر البخاري . وكان يقرؤها « جمالات » بضم الجيم ، وكذلك قرأ مجاهد وحيد « جمالات » بضم  
الجيم وهي الجبال الفلاظ وهي قلوس السفينة أي جبالها . وواحد القلوس قلنس . وعن ابن عباس  
أيضا على أنها قطع النحاس . والمعروف في الجبل الفليظ جبل بتشديد الميم كما قدم في « الأعراف » .  
« وجمالات » بضم الجيم جمع جمالة بكسر الجيم موحدنا كأنه جمع جهل نحو مجمر ومجارة وذكر  
وذكره . وقرأ يعقوب وابن أبي إسحق وعيسى والبخاري « جمالة » بضم الجيم موحدنا وهي  
الشيء العظيم المجموع بعضها إلى بعض . وقرأ حفص وحمزة والكسائي « جمالة » وبقية  
السبعة « جمالات » قال القراء : يجوز أن تكون الجمالات جمع جمال كما يقال رجل ورجال  
ورجالات . وقيل : شجها بالجمالات لسرعة سيرها . وقيل : لما تها بها بعضها . والتقصير  
واحد القصور . وقصر الظلام اختلاطه . ويقال : أتيته قصرا أي عتيقا فهو مشترك ؛ قال :  
كَانَهُمْ قَصْرًا مَصَابِيحُ رَاهِبٍ \* يَمُوزْنَ رَوَى بِالسَّلِيلِ ذُبَابًا

مسئلة - في هذه الآية دليل على جواز آذخار الحطب والفحم وإن لم يكن من القوت ،  
فإنه من مصالح المرء ومنافعي مفاقره . وذلك مما يقتضي النظر أن يكتسبه في غير وقت  
حاجته ؛ ليكون أرخص وحالة وجوده أمكن ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يذخر القوت  
في وقت عموم وجوده من كسبه وماله ، وكل شيء محمول عليه . وقد بين ابن عباس هذا  
بقوله : كما نمذ إلى الخشب فتقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه ونقنره للشتاء وكما  
نسميه القصير . وهذا أجمع ما قيل في ذلك والله أعلم .

(١) راجع ج ٧ ص ٢٠٧

(٢) تامة كثير غرة . وموزن كقصد به بالبرية .

قوله تعالى : هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿١٦٦﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿١٦٧﴾  
وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٦٨﴾

قوله تعالى : ( هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ) أى لا يتكلمون ( وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ) أى  
إن يوم القيامة له مواطن ومواقيت ، فهذا من المواقيت التى لا يتكلمون فيها ولا يؤذن  
لهم فى الاحتذار والتصل . وعن عكرمة عن ابن عباس قال : سأل ابن الأوزق عن قوله  
تعالى : « هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ » و « لَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا » وقد قال تعالى : « وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ  
عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ » فقال له : إن الله عز وجل يقول : « وَإِنْ يَوْمًا حَسَدَ رَبُّكَ كَأَنَّ  
سَيِّئَةً يَمِئًا تَمْشُونَ » فإن لكل مقدار من هذه الأيام لونا من هذه الألوان . وقيل : لا ينطقون  
بجبة ناعمة ومن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكأنه ما نطق . قال الحسن : لا ينطقون بجبة  
وإن كانوا ينطقون . وقيل : إن هذا وقت جوابهم « أَحْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ » وقد تقدم .  
وقال أبو عثمان : أسكتهم رؤية الهيبة وحياء الذنوب . وقال الجنيد : أى منبرلن أعرض  
عن منيعة وبجده وكفر أياديه ونعمه . و « يوم » بالرفع قراءة السامة على الابتداء والخبر ، أى  
تقول الملائكة « هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ » . ويمسوز أن يكون قوله « أَنْطَقُوا » من قول  
الملائكة ، ثم يقول الله لأوليائه : هذا يوم لا ينطق الكفار . ومعنى اليوم الساعة والوقت .  
وروى يحيى بن سليمان عن أبي بكر عن عامر « هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ » بالنصب ورويت عن  
أبي هريرة وغيره ، بلغاز أن يكون مبنيا لإضافته إلى الفعل وموضعه رفع . وهذا مذهب  
الكوفيين . وجاز أن يكون فى موضع نصب على أن تكون الإشارة إلى غير اليوم . وهذا  
مذهب البصريين ؛ لأنه إنما بنى عندهم إذا أضيف إلى مبنى والفعل هاهنا معرب . وقال  
القرءاء فى قوله تعالى « وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ » الفاء نسق أى عطف على « يُؤْذَنُ » وأجيز  
ذلك ؛ لأن أواخر الكلام بالنون . ولو قال : فيعتذروا لم يوافق الآيات . وقد قال :

« لَا يَقْنِي عَنْهُمْ قِيَمَتُهُمْ » بالنصب وكله صواب ، ومثله : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ » بالنصب والرفع .

قوله تعالى : هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَى ﴿١٥٠﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿١٥١﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥٢﴾

قوله تعالى : ( هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ) أى ويقال لم هذا اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق ، فيبين الحق من المبطل . ( جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَى ) قال ابن عباس جمع الذين كذبوا عهدا والذين كذبوا التبيين من قبله . رواه عنه الضحاك . ( فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ ) أى حيلة فى الخلاص من الهلاك ( فَكِيدُونِ ) أى فاحالوا لأنفسكم وقاوموني وإن تجسّدوا ذلك . وقيل : أى « فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ » أى قدرتم على حرب « فَكِيدُونِ » أى حاربوني . كما روى الضحاك عن ابن عباس . قال : يريد كنتم فى الدنيا تمحاربون عهدا صلى الله عليه وسلم وتمحاربوني فالיום حاربوني . وقيل : أى إنكم كنتم فى الدنيا تعملون بالمعاصى وقد عجزتم الآن عنها وعن الدفع عن أنفسكم . وقيل : إنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود « فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ » .

قوله تعالى : إِنَّ الْأُمْتَقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعِوْنِ ﴿١٥٣﴾ وَفَوَكَهٍ مِمَّا يَسْتَهْوَونَ ﴿١٥٤﴾ كُلُّوْا وَأَمْرُوْا هَيْثُمَا مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ ﴿١٥٥﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٦﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥٧﴾

قوله تعالى : ( إِنَّ الْأُمْتَقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعِوْنِ ) أخبر بما يصير إليه المتفنون خدا ، والمراد بالظلال ظلال الأشجار وظلال النصور مكان الظل فى الشعب السلاط ، وفى سورة يس « هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكئونَ » . ( وَفَوَكَهٍ مِمَّا يَسْتَهْوَونَ ) أى يفتنون . وقرأة العامة « ظلال » . وقرأ الأعرج والزهرى وطلحة « ظَلِيل » جمع غلة يسى

في الجنة . ( كُلُوا وَاشْرَبُوا ) أى يقال لهم قدا هذا بل ما يقال للشركين « فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا » . « كُلُوا وَاشْرَبُوا » في موضع الحال من ضمير « المتقين » في الظرف الذى هو « فِي ظِلِّينِ » أى هم مستقرون « فِي ظِلِّينِ » مقولا لهم ذلك . ( إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ) أى نثيب الذين أحسنوا في تصديقهم بحمد صلى الله عليه وسلم وأعمالهم في الدنيا ، قوله تعالى : كُلُوا وَشَرِبُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ

قوله تعالى : ( كُلُوا وَشَرِبُوا قَلِيلًا ) هنا مردود إلى ما تقدم قبل المتقين ، وهو وعيد وتهديد وهو حال من « المكذبين » أى الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم : « كُلُوا وَشَرِبُوا قَلِيلًا » . ( إِنَّكُمْ تَجْرِمُونَ ) أى كأفرون . وقيل : مكتسبون نصلا بضرركم في الآخرة من الشرك والمعاصي .

قوله تعالى : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَبُوا لَا يَرْكَبُونَ ﴿١٨﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَبُوا لَا يَرْكَبُونَ ) أى إذا قيل لهؤلاء المشركين « أركبوا » أى صلبوا « لا يركبون » أى لا يصلون ، قاله مجاهد . وقال مقاتل : نزلت في ثقيف آمنتوا من الصلاة فترك ذلك فهم . قال مقاتل : قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم « أسلموا » وأمرهم بالصلاة فقالوا : لا ننسى فإنها مسبة علينا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود » . يذكر أن مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد صلاة العصر وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر بغلس ولم يركع ، فقال له صبي : يا شيخ قم فاركع . فقام فركع ولم يجابه بما يراه مذهبا ، فقيل له في ذلك فقال : خشيت أن أكون من الذين « إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَبُوا لَا يَرْكَبُونَ » . وقال ابن عباس : إنما يقال لهم هذا في الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون . فتادة : هذا في الدنيا . ابن العربي : هذه الآية

حجة على وجوب الركوع وإزالته ركنا في الصلاة وقد أنقذ الإجماع عليه ، وظن قوم أن هذا إنما يكون في القيامة وليست بدار تكليف فيتوجه فيها أمر يكون عليه ويل وعقاب ، وإنما يدعون إلى السجود كشفا لحال الناس في الدنيا ، فمن كان يسجد له يمكن من السجود<sup>(١)</sup> ، ومن كان يسجد رياء لفسده صار ظهره طبقا واحدا . وقيل : أي إذا قيل لم أخضعوا للحق لا يخضعون ، فهو عام في الصلاة وغيرها وإنما ذكر الصلاة ، لأنها أصل الشرائع بعد التوحيد . وقيل : الأمر بالصلاة أمر بالإيمان ، لأنها لا تصح من غير إيمان .

قوله تعالى : ( قَائِلٌ حَدِيثَ بَدَّةٍ يُؤْمِنُونَ ) أي إن لم يصدقوا بالقرآن الذي هو المعجز والدلالة على صدق الرسول عليه السلام قباى شيء يصدقون . وكرر « وَيَلُومُنَ الْكَافِرِينَ » للمنى تكرير التخويف والوعيد . وقيل : ليس بتكرار ، لأنه أراد بكل قول منه غير الذي أراده بالآخر ، كأنه ذكر شيئا فقال : ويل لمن يكذب بهذا ، ثم ذكر شيئا آخر فقال : ويل لمن يكذب بهذا ، ثم ذكر شيئا آخر فقال : ويل لمن يكذب بهذا ، ثم كذا إلى آخرها . ختمت السورة وقه الحمد .

### سورة « عم » مكية وتسمى سورة « النبأ » وهي أربعون أو إحدى وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ① عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ② الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ③ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ④ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ⑤  
قوله تعالى : ( عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ) « عم » لفظ استفهام ، ولذلك سقطت منها ألف « ما » ، لتمييز الخبر عن الاستفهام . وكذلك فم وم إذا استفهمت . والمعنى عن أى شيء (١) في نسخة : يمكن من السجود .

يسأل بعضهم بعضاً . وقال الزجاج : أصل « عم » من ما فادغمت النون في الميم ؛ لأنها تشاركها في الفنة . والضمير في « يَتَسَاءَلُونَ » قريش . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : كانت قريش تجلس لما نزل القرآن فتحدث فيما بينها فمنهم المصنف ومنهم المكذب به فترت « عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ » . وقيل : « عم » بمعنى قيم يشتد المشركون ويختصمون .

قوله تعالى : ( عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ) أى يتساءلون « عن النبي العظيم » فمن ليس يتعلق به يتساءلون « الذى فى التلاوة » لأنه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيكون « عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ » كقولك : كم مالك أتلون أم أرى عيون ؟ فوجب لما ذكرناه من امتناع تعلقه به « يتساءلون » الذى فى التلاوة ، وإنما يتعلق يتساءلون آخر مضمير . وحسن ذلك لتقدم يتساءلون ، قاله المهدوى . وذكر بعض أهل العلم أن الاستفهام فى قوله : « عن » مكرر إلا أنه مضمير كأنه قال عم يتساءلون أم عن النبي العظيم . فعلى هذا يكون متصلاً بالآية الأولى . والنبا العظيم أبى الخليل الكبير . ( الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ) أى يخالف فيه بعضهم بعضاً فيصدق واحد ويكذب آخر ؛ فروى أبو صالح عن ابن عباس قال : هو القرآن ، دليله قوله : « قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ . أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ » فالقرآن نبأ وخبر وقصص وهو نبأ عظيم الشأن . وروى سعيد عن قتادة قال : هو البعث بعد الموت صار الناس فيه رجلين مصنف ومكذب . وقيل : أمر النبي صلى الله عليه وسلم . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : وذلك أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء كثيرة ، فأخبره الله جل ثناؤه باختلافهم ثم حثهم فقال : ( كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ) أى سيعلمون عاقبة القرآن ، أو سيعلمون البعث أحق هو أم باطل . و « كَلَّا » رده عليهم فى إنكارهم البعث أو تكذيبهم القرآن فيوقف عليها . ويجوز أن يكون بمعنى حقاً أو « أَلَا » فيبدأ بها . والأظهر أن سؤالهم إنما كان عن البعث ؛ قال بعض ملابثنا : والذى يدل عليه قوله عز وجل « إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتاً » يدل على أنهم كانوا يتساءلون عن البعث . ( ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ) أى حقاً يعلمون صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن وما ذكره لهم من البعث بعد الموت . وقال الضحاك : « كَلَّا

سَيِّمُونَ» يعنى الكافرين عاقبة تكذيبهم «وَمَنْ كَلَّا سَيِّمُونَ» يعنى المؤمنين عاقبة تعبدتهم .  
وقيل : بالعكس أيضا . وقال الحسن : هو وعيد بد وعيد . وقراءة العامة فيهما بإيالة  
على الخبر ؛ لقوله تعالى : « يَسَاءَ لَوْ » وقوله : « هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ » . وقسراً الحسن  
وأبو العالية ومالك بن دينار بالقائه فيهما .

قوله تعالى : أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝  
وَحَفَلْنَاهُ أَزْوَاجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ  
لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝  
وَجَعَلْنَا مَرَجًا وَهَاجًا ۝ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝  
لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ ۝

قوله تعالى : ( أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ) دلم على قدرته على البعث ؛ أى قدرتنا  
على إيجاد هذه الأمور أعظم من قدرتنا على الإعادة . والمهاد الوطاء والقراش . وقد قال  
تعالى : « الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا » وقرئ « مِهْدًا » ومعناه أنها لم كالهد للمي وهو  
ما يهد له فيقوم عليه . ( وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ) أى تسكن ولاسكفا ولاتميل بأهلها . ( وَحَفَلْنَاكُمْ أَزْوَاجًا )  
أى أصنافا ذكرا وأنثى . وقيل : ألوانا . وقيل : يدخل فى هذا كل زوج من فيج وحسن  
وطويل وقصير ؛ لتختلف الأحوال فيقع الاختيار فيشكر الفاضل ويصبر المفضل . ( وَجَعَلْنَا  
نَوْمَكُمْ ) « جعلنا » معناه صيرنا ؛ ولذلك تلت إلى مفعولين . ( سُبَاتًا ) المفعول الثانى أى  
راحة لأبدانكم ، ومنه يوم السبت أى يوم الراحة ؛ أى قيل لى إسرائيل : أستريحوا فى هذا  
اليوم فلا تعملوا فيه شيئا . وأنكر ابن الأثيرى هذا وقال : لا يقال الراحة سبات . وقيل :  
أصله التمدد ؛ يقال : سبت المرأة شعرها إذا حلته وأرسلته ، فالسبت كالتمدود ورجل  
مسيبوت الملقب أى ممدود . وإذا أراد الرجل أن يستريح تمدد فسميت الراحة سبوتا .

وقيل : أصله القطع ؛ يقال : سبت شعره سبنا حلقه ؛ وكأنه إذا قام أقطع عن الناس ومن الاشتغال بالسبات يشبه الموت إلا أنه لم تارقه الروح . ويقال : سبر سبت أى سهل لين ؛ قال الشاعر <sup>(١)</sup> :

ومطوية الأقرب أتا تبارها • فسببت وأتا يسلبها فثبيل

( وَجَعَلْنَا الْقِيلَ لِيَاسًا ) أى تلبسكم ظلمته وتنشاكم ؛ قاله الطبري . وقال ابن جبر والسدي : أى سكتا لكم . ( وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ) فيه إضمار أى وقت معاش أى متصرفاً لطلب المعاش وهو كل ما يماش به من الطعام والمشرب وغير ذلك فـ « مَعَاشًا » على هذا اسم زمان ليكون الثانى هو الأول . ويعوز أن يكون مصدرا بمعنى العيش على تقدير حذف المضاف . ( وَبَيَّنَّا فَرُوقَكُمْ مِثْمًا شَدِيدًا ) أى سيج سموات محركات ؛ أى حكمة الخلق وثيقة البیان . ( وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ) أى وقادنا وهى الشمس . وجعل هنا بمعنى خلق ؛ لأنها تعدت لفعل واحد والوهاج الذى له وهج ؛ يقال : وَّجَّحَ يَوْجٌ وَهْجًا وَوَهْجًا . ويقال للجوهر إذا تلالا توهج . وقال ابن عباس : وهجا مثيرا متللاً . ( وَأَوْرَثْنَا مِنَ الْمَعِصَرَاتِ مَاءً حَمِيمًا ) قال مجاهد وقتادة : المعصرات الرياح . وقاله ابن عباس . كأنها تمصر السحاب . ومن ابن عباس : المعصرات هى السحاب . وقال سفيان والربيع وأبو العالقة والضحاك : أى السحاب التى تتمصر بالماء ولما تمطر بعد ؛ كالمراة المعصر التى قد دنا حوضها ولم تمحض ؛ قال أبو التيجم :

[ تَمَيَّنِي الْمُتَوَيْنَا مَا لَمْ تَبَارْهَا • قَدْ أَصْرَتْ أَوْقَدَتَا ] <sup>(٢)</sup> [عصارها]

[ وقال آخر ] :

فَكُنْ يَحْنَى دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي • ثَلَاثُ تُخْصُوصِ كَعِيبَانٍ وَمُصْصَرٍ

(١) هو محمد بن ثور . والبيت المرسل والقبيل السير العن .

(٢) هذه الزيادة من ابن حبان دل عليها إجماع نسخ الأصل على ذكر ابن التيم وأما البيت الذى يده طبريز

أبو ربيعة .

وقال آخر:

وَذِي أَثَرٍ كَالْأَخْشَوَانِ يَزِينُهُ • ذَهَبُ الصَّبَا وَالْمُعْصِرَاتُ الرَّوَابِحُ

فالرياح تسمى معصرات؛ يقال: أعصرت الريح تمصر أعصارا إذا أغرت السجاج وهي الأعصار، والسحب أيضا تسمى المعصرات لأنها تمطر. وقال قتادة أيضا: المعصرات السماء. الثامن: هذه الأقوال صحاح؛ يقال للرياح التي تأتي بالمطر معصرات والرياح تلقح السحاب فيكون المطر والمطر يقتل من الريح كل هذا. ويجوز أن تكون الأقوال واحدة ويكون المعنى وأنزلنا من فوات الرياح المعصرات «ماء تمجيا» وأصح الأقوال أن المعصرات السحاب كنا المعروف أن الفيت منها، ولو كان بالمعصرات لكان الريح أولى. وفي الصحاح: والمعصرات السحاب تتمطر بالمطر وأعصر القوم أي أطرأهم ومنه قرأ بعضهم «وفيه بمصرون» والمعصر الجارية أول ما أدركت وحاضت؛ يقال: قد أعصرت كأنها دخلت عصر شبها أو بلغت؛ قال الرابن:

جَارِيَةٌ بَسَقَوَانٌ دَارُهَا • تَمِثُّ الْمَوِينَا سَاقِطًا نِمَارُهَا

• قَدْ أَعْصَرَتْ أَوْ قَلَعَتْهَا إِعْصَارُهَا •

والجمع معاصر، ويقال: هي التي قارت الخيض؛ لأن الإعصار في الجارية كالمرافقة في الغلام. سمته من أبي الفوت الأعرابي. قال غيره: والمعصر السحابة التي حان لها أن تمطر؛ يقال آتت الزرع فهو يجئ أي صار إلى أن يجئ وكذلك السحاب إذا صار إلى أن يطر فقد أعصر. وقال المبرد: يقال سحاب معصر أي يحسك لاء ويتصمر منه شيء بعد شيء، ومنه التصر بالتحريك للبا الذي يلحق إليه، والتصرة بالضم أيضا للمبا. وقد مضى هذا المعنى في سورة «يوسف» والجدد. وقال أبو زيد:

(١) هو البيت كافي السان وروايه البيت:

وَذِي أَثَرٍ كَالْأَخْشَوَانِ تَتَرَفُّهُ • ذَهَابُ الصَّبَا وَالْمُعْصِرَاتُ الدَّرَاخُ

والدراخ السحاب التي ألقها الماء. اللطاب بكسر اللام: الأسطار القديمة. (٢) هو مصدريين من محمد الأسدي

(٣) راجع ج ٩ ص ٢٠٥ (٤) قاله في رثاء ابن أخته وكان مات عطشا، طريق مكة.

صَادِيًا يَتَنَبِّئُ غَيْرَ مُغَاتٍ • وَلَقَدْ كَلَّمْنَا عُصْرَةَ الْمُتَجَوِّدِ

ومنه الْمُعْصِرَةُ بجارية التي قد قربت من البلوغ يقال لما مُعْصِرٌ؛ لأنها تمسح في البيت فيكون البيت لما عَصَرَ • وفي قراءة ابن عباس وعكرمة « وَأَتَرْنَا بِالْمُعْصِرَاتِ » والذي في المصاحف « مِنْ الْمُعْصِرَاتِ » قال أبي بن كعب والحسن وأبن جبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان « مِنْ الْمُعْصِرَاتِ » أي من السموات • « مَا نُجَابَا » مَبَابَا متابعا، عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما • يقال : تَجَبَّعْت دمه فَأَا أَنَّهُ تَجَّعَا وقد تَجَّعَ الدمُ يَتَجَّعُ تَجْجَعًا وكذلك الماء فهو لَازِمٌ ومتعد • والتَّجَابُجُ في الآية المنصِبُ • وقال الزجاج : أي العباب وهو متعد كأنه يَتَجَّعُ نفس أي يَصْبُ • وقال عبيد بن الأبرص :

فَنَجَّعَ أَهْلَهُ ثُمَّ أَرْجَعَ أَتْسَفَهُ • وَصَلَّى قَرْنًا يَحْمِلُ الْمَاءَ مُنْصَاجًا

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الرجل للبرود فقال : « السَّجَّعُ والتَّجَّعُ » فالسَّجَّع رفع الصوت بالتلية والتَّجَّع إزاحة الدماء وذيح الهدايا • وقال ابن زيد : تَجَابَا كثيرا • والمضى واحد • قوله تعالى : ( لِيُخْرِجَ بِهِ ) أي بذلك الماء ( حَيًّا ) كالخطة والشعر وغير ذلك ( وَتَبَاتًا ) من اللَّبِّ وهو ما تأكله الدواب من الحشيش • ( وَتَبَاتٍ ) أي بساتين ( أَفْقَانًا ) أي مظنة بعضها ببعض لتشمب أخصانها ولا واحد له كالأزواج والأخفاف • وقيل : واحد الأفقاف لِفَ بالكسر وأُفَ بالضم • ذكره الكسائي؛ قال :

جَنَّةٌ لَفٌ وَعَيْشٌ مُفْدِقٌ • وَنَدَائِي سَكُّهُمْ بِضِ زُهُرُ

ومنه أيضا وأبي عبيدة : لفيف كثير رف وأشراف • وقيل : هو جمع الجمع حكاه الكسائي • يقال : جنة لَفَةٌ ونبت لَفٌ والجمع لَفٌ بضم اللام مثل حُرْمٍ جمع أَلْفٌ أَفْقَانًا • الزخشرى : ولو قيل جمع مظنة بتقدير حذف الزوائد لكان وجها • ويقال : شجرة لفاء وشجر لَفٌ وأمرأة

(١) البيت في مصف المطر ومنصاح : متفق بالماء •

(٢) لسوره : والجمع لف بضم اللام راجع إلى جنة لفاء بفتح الف • مثل حر لاف جمع حر لاف وأما لف بالكسر والفتح فلهه ألقاف •

فَقَدْ أَمَّ غِلْظَةُ السَّاقِ مَجْتَمِعَةً إِلَيْهِمْ . وَقِيلَ : التَّعْدِيرُ وَنُجْرَجُ بِهِ جَنَاتُ أَلْفَاظٍ خَفِيفَةٍ لِذِلَّةِ  
الْكَلَامِ عَلَيْهِ . ثُمَّ هَذَا الْإِكْتِفَاءُ وَالْإِسْتِغْنَاءُ عَنْهُ أَنَّ الْأَشْخَارَ فِي الْبَسَائِمِ تَكُونُ مُتَقَارِبَةً ،  
فَالْإِسْتِغْنَاءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُتَقَارِبَةٍ لِقَوْتِهَا .

قوله تعالى : **إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ  
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝ وَسُيِّرَتِ  
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝**

قوله تعالى : **(إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا)** أى وقتاً وجمعاً ومبدأً للآولين والآخرين ،  
لما وعدهم من الجزاء والثواب . وسمى يوم الفصل لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه .  
قوله تعالى : **(يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ)** أى البعث **(فَتَأْتُونَ)** أى إلى موضع العرض  
**(أَفْوَاجًا)** أى إما كل فئة مع إمامهم . وقيل : زمراً وجماعات الواحد فوج . ونصب  
يوماً بدلاً من اليوم الأول . وروى من حديث معاذ بن جبل قلت : يا رسول الله ! أرايت  
قول الله تعالى **(يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا)** فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " يا معاذ  
لقد سألت عن أمر عظيم " ثم أرسل عينيه بإيحاء قال : " يحشر عشرة أصناف من أمي  
أشتاتاً قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبذل صورهم فثم على صورة القرعة وبعضهم  
على صورة الخنازير وبعضهم متكئون أرجلهم أعلام ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم على  
يتقدمون وبعضهم هم بكى لا يعقلوا وبعضهم يمشون السهم فهم مدلاة على صدورهم  
يسيل الفحج من أفواههم لما بدأ يتقدم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيلهم وأرجلهم وبعضهم  
مصلبون على جذوع من النار وبعضهم أشد نفاً من الحليف وبعضهم ملبسون جلابيب  
سابتة من القطران لاصقة بجلودهم فاما الذين على صورة القرعة فالثقات من الناس - يعنى  
النعم - وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس وأما المتكئون

(٢) في نسخة من الأصل : متقاربة الأصناف ... الخ .

ومهم ووجوههم فأكله الربا والعسى من يحور في الحكم والعلم البكم الذين يمجون بأعمالهم والذين يعضون ألسنتهم فالعلاء والقصاص الذين يخالف قولهم فلهم والمقطعة أيهم وأرجلهم فالذين يؤذون البحيران والمصلوبون على جذوع النار فالساعة بالناس إلى السلطان والذين هم أشد تناسا من الخيف فالذين يتممون بالشهوات والذات ويمتدون حتى الله من أموالهم والذين يلهسون الجلايب فأهل الكبر والتفخر والتعلاء .

قوله تعالى : ( وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ) أي لنزول الملائكة ؛ كما قال تعالى : « وَيَوْمَ تَنفَقُ السَّمَاءُ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا » . وقيل : قطعت فكانت قطعاً كالأبواب . فأنتصاب الأبواب على هذا التأويل يحذف الكاف . وقيل : التقدير فكانت ذات أبواب ؛ لأنها تصير كلها أبواباً . وقيل : أبوابها طرفها . وقيل : تحمل وتتناثر حتى تصير فيها أبواباً . وقيل : إن لكل جسد باين في السماء باباً لعمله وباباً لرزقه فإذا قامت القيامة أفتحت الأبواب . وفي حديث الإسراء : « ثم صرح بنا إلى السماء فأستفتح جبريل فقبل من أنت قال جبريل قبل ومن مملك قال بعد قبل وقد بحث إليه قال قد بحث إليه ففتتح لنا » . ( وسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ) أي لا شيء كما أن السراب كذلك يظنه الراي ماء وليس بماء . وقيل : « سُيِّرَتِ » يسفت من أصولها . وقيل : أزيلت عن مواضعها .

قوله تعالى : إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلطَّاغِينَ مَنَآبًا ۝ لِّئَلَّا يَعْلَمَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝ لَا يَدْخُلُوهَا فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا جَمِيمًا ۝ وَغَسَّاقًا ۝ جَزَاءً وِفَاقًا ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝ وَكُتِبُوا بِعَابِقَتْنَا كِتَابًا ۝ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۝ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝

قوله تعالى : ( **إِنْ جِئْتُمْ كُنْتُمْ مِرْصَادًا** ) مِفْعَالٌ مِنَ الرِّصْدِ وَالرِّصْدُ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ أَمَامَكَ . قَالَ الْحَسَنُ : إِنْ عَلَى التَّارِصِدَا لَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ حَتَّى يَخْتَارَ عَلَيْهِ ، فَمَنْ جَاءَ بِمُجَازٍ جَازٍ وَمَنْ لَمْ يَخُجْ بِمُجَازٍ حُسٍّ . وَعَنْ سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : عَلَيْهِمَا ثَلَاثُ قَنَاطِرٍ . وَقِيلَ : « **مِرْصَادًا** » ذَاتُ أَرْصَادٍ عَلَى النِّسْبِ أَيْ رِصْدٍ مِنْ يَزِيدُهَا . وَقَالَ مَقَاتِلُ : عَجَسًا . وَقِيلَ : طَرِيقًا زَمِيرًا فَلَا سَبِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ حَتَّى يَقْطَعَ جَهَنَّمَ . وَفِي الصَّحَاحِ : وَالْمِرْصَادُ الطَّرِيقُ . وَذَكَرَ الْقَشِيرِيُّ : أَنَّ الْمِرْصَادَ الْمَكَانَ الَّذِي رِصْدُ فِيهِ الْوَاحِدُ الْمَدَى ، نَحْوُ الْمُضَيَّارِ الْمَوْضِعِ الَّذِي تُصَمِّرُ فِيهِ الْخَيْلُ . أَيْ هِيَ مَعْتَدَةٌ لَهُمْ ؛ فَالْمِرْصَادُ بِمَعْنَى الْمَحَلِّ ، فَالْمَلَأْتُكَ رِصْدُونَ الْكُفَّارِ حَتَّى يَزُولُوا بِجَهَنَّمَ . وَذَكَرَ السَّائِدِيُّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهَا بِمَعْنَى رَاصِدَةٍ تَجَازِيهِمْ بِأَفْصَالِهِمْ . وَفِي الصَّحَاحِ : الرَّاصِدُ الشَّيْءُ الرَّاقِبُ لَهُ ؛ فَهَوْلُ : رَصَدَتْهُ رِصْدَةً وَرَصَدًا وَرَصَدًا . وَالرَّصْدُ . التَّرَقُّبُ وَالرَّصْدُ مَوْضِعُ الرِّصْدِ . الْأَصْمَعِيُّ : رَصَدَتْهُ أَرْصُدَهُ تَرَقُّبَهُ وَأَرْصَدَتْهُ أَعْدَدَتْ لَهُ . وَالْكَسَائِيُّ مِثْلُهُ .

قلت : بَعْضُهُمْ مَعْتَدَةٌ مَرَصُودَةٌ مَقْتُولٌ مِنَ الرِّصْدِ وَهُوَ التَّرَقُّبُ ؛ أَيْ هِيَ مُتَطَلِّعَةٌ لِمَنْ يَأْتِي . وَالْمِرْصَادُ مِفْعَالٌ مِنْ أَلْبِنَةِ الْمُبَالَغَةِ كَالْمِعْطَارِ وَالْمُنْيَارِ فَكَأَنَّهُ يَكْثُرُ مِنْ جَهَنَّمَ أَنْتَظَارُ الْكُفَّارِ . ( **لِلطَّاغُوتِ مَكَابٍ** ) يَدُلُّ مِنْ قَوْلِهِ : « **مِرْصَادًا** » وَالْمَلَأْتُ الْمَرْجِعَ أَيْ مَرَجِمًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا ؛ يَحَالُ : أَبْ يَرْوِبُ أَوْ يَرْجِعُ . وَقَالَ قَتَادَةُ : مَاوَى وَمَتَلَا . وَالْمَرَادُ بِالطَّاغُوتِ مَنْ طَغَى فِي دِينِهِ بِالْكَفَرِ أَوْ فِي دُنْيَاهُ بِالظُّلْمِ .

قوله تعالى : ( **لَا يَبْقَى فِيهَا آتِقًا** ) أَيْ مَا كَثُرَ فِي التَّارِمَادَاتِ الْأَحْقَابِ وَهِيَ لَا تَنْتَقِعُ ، فَكُلُّهَا مَعْنَى حُطْبٍ جَاءَ حُطْبٌ . وَالْحَقْبُ بضمين الدَّهْرِ وَالْأَحْقَابُ الْهُجُورُ . وَالْحَقْبَةُ بِالْكَسْرِ السَّنَةُ وَالْجَمْعُ حَقَبٌ ؛ قَالَ تَهْمِيذُ بْنُ قُورَةَ الْجَمِيُّ :

وَكُنَّا كَعَنَدَانِيَّ جَذِيمَةٍ خَبِيَّةٍ . مِنْ التَّغْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّقَا  
فَلَمَّا خَفَرْنَا كَأَنِّي وَمَالِيكَ . لِمَا لَوَّلُ اجْتِنَاجٍ لَمْ يَنْتِ لَيْلَةٌ مَعَا

والْحَقْبُ بالضم والسكون ثمانون سنة . وقيل : أكثر من ذلك وأقل على ما يأتي والجمع أحقاب .  
والمنى في الآية ؛ لاثنين لها أحقاب الآخرة التي لا نهاية لها ؛ لحذف الآخرة دلالة الكلام  
عليه ؛ إذ في الكلام ذكر الآخرة وهو كما يقال أيام الآخرة ؛ أى أيام بعد أيام إلى غير نهاية ؛  
وإنما كان يدل على التوقيت لو قال خمسة أحقاب أو عشرة أحقاب ونحوه . وذكر الأحقاب لأن  
الحقب كان أبعد شئ . منهم ، فتكلم بما تنحب إليه أرواحهم ويرفونها ، وهي كناية عن  
التأييد أى يمتدحون فيها أبداً . وقيل : ذكر الأحقاب دون الأيام ؛ لأن الأحقاب أصول  
في القلوب وأصل على الخلود . والمنى متقارب ؛ وهذا الخلود في حق المشركين . ويمكن حمل  
الآية على المعصاة الذين يخرجون من النار بعد أحقاب . وقيل : الأحقاب وقت لشربهم الخمر  
والنفاق ؛ فإذا اكتضت فيكون لهم نوع آخر من العقاب ؛ ولهذا قال : « لا يَتَيْنِي فِيهَا أَحْقَاباً » .  
« لا يَدْخُلُونَ فِيهَا بَرّاً وَلَا شَرّاً » . « إِلَّا حَيّاً وَغَسّاً » . و« لا يَتَيْنِي » اسم فاعل من لَبِثَ ويعويه  
أن المصدر منه اللبث بالإسكان كالشرب . وفرا حزمة والكسائي « لا يَتَيْنِي » بنير ألف وهو  
اختيار أبى حاتم وأبى حيد وهما لنتان ؛ يقال : رجل لا يَتِي ويَتِي مثل طِمَعٍ وطامِعٌ وقِرَّةٍ  
وقِرَّةٌ . ويحال : هو لا يَتِي بمكان كذا أى قد صار اللبث شانه ، فَشَبَّ بما هو خلقه في الإنسان  
نحو حَيْدَرٍ وقِرَّةٍ ؛ لأن باب قِيل إنما هو لما يكون خلقه في الشيء في الأظلم وليس كذلك  
اسم الفاعل من لا يَتِي . والحَقْبُ ثمانون سنة في قول ابن عسروا بن مجيص وأبى هريرة ،  
والسنة ثمانية أيام وستون يوماً واليوم ألف سنة من أيام الدنيا ؛ فله ابن عباس . وروى  
ابن عمر هذا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وقال أبو هريرة : والسنة ثمانية أيام  
وستون يوماً كل يوم مثل أيام الدنيا . وعن ابن عمر أيضاً : الحَقْبُ أربعون سنة .  
السدى : سبعون سنة . وقيل : إنه ألف شهر . رواه أبو أمامة مرفوعاً . بشر بن كعب :  
ثلاثة سنة . الحسن : الأحقاب لا يدري أحدكم هي ولكن ذكروا أنها مائة حَقْب ، والحَقْبُ  
الواحد منها سبعون ألف سنة ، اليوم منها كالف سنة مما تعدون . وعن أبى أمامة أيضاً  
عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الحَقْبَ الواحد ثلاثون ألف سنة » ذكره المهدوى .  
والأصل المسودى . وقال قطرب : هو الدهر الطويل غير المحدود . وقال عمر بن الخطاب

رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يكون فيها أحقابا الحُقب بضع وثمانون سنة والسنة ثمانمائة وستون يوما كل يوم ألف سنة مما تعدون فلا يشك أن أحدكم هل أنه يخرج من النار " . ذكره القسطلي . القرطبي : الأحقاب ثلاثة وأربعون حُقا كل حُقب سبعون خريف كل خريف سبعائة سنة كل سنة ثمانمائة وستون يوما كل يوم ألف سنة .

قلت : هذه أقوال متعارضة والتعميد في الآية للخلود يحتاج إلى توقيف يقطع العذر ، وليس ذلك بثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم . وإنما المعنى والله أعلم ما ذكرناه أولا ؛ أي لا يبين فيها أزمانا ودعورا كلما مضى زمن يعقبه زمن ، ودهر يعقبه دهر ، هكذا أبد الآبدين من غير انقطاع . وقال ابن كيسان : معنى « لا يبين فيها أحقابا » لا غاية لها ولا انتهاء فكانه قال أبدا . وقال ابن زيد ومقاتل : إنها منسوخة بقوله تعالى : « فتوَفَّوْا فَلَنْ تَرِيدَكمُ إِلَّا عَذَابًا » . يعني إن العدد قد انقطع والخلود قد حصل .

قلت : وهذا بعيد ؛ لأنه خبر وقد قال تعالى : « وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجِلْدُ فِي سَمِّ الْخِلَاطِ » . على ما تقدم . هذا في حق الكفار فأما المصاة الموحدون فصحيح ويكون النسخ بمعنى التخصيص . والله أعلم . وقيل : المعنى « لا يبين فيها أحقابا » أي في الأرض ؛ إذ قد تقدم ذكرهما ويكون الضمير في « لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا » لجهنم . وقيل : واحد الأحقاب حُقبٌ وحِقْبَةٌ ؛ قال :

فَإِنْ تَنَا عَنْهَا حِقْبَةً لَا تَلْفِيهَا • فَأَنْتَ بِمَا أَحْدَثْتَهُ وَالْجَبْرُ  
وقال الكشي : <sup>(٢١)</sup>

• مَرَّهَا بِدَحِقْبَةٍ حَقْبُ •

(١) راجع ٧٦٠ ص ٢٠٦

(٢) صدر البيت : • ولا حول قلت ولا من •

قوله تعالى : ( لَا يَذُقُونَ فِيهَا ) أى فى الأحقاب ( بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ) البرد النوم فى قول  
ابن عيينة وفيه ؛ قال الشاعر :  
وَلَوْ شِئْتُ حَرَمْتُ النِّسَاءَ مِوَاكُمُ \* وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ قَهَاقًا وَلَا بَرْدًا  
وقاله مجاهد والسدى والكسائى والفضل بن خالد وأبو معاذ النحوى ؛ وأنشدوا قول  
الكندى :  
بَرْدَتْ مَرَاشِفُهَا عَلَى قَصْدِي \* عَنْهَا وَعَنْ تَقِيلِهَا الْبَرْدُ  
يعنى النوم . والعرب قول : منع البرد البرد يعنى أذهب البرد النوم .

قلت : وقد جاء الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل فى الجنة نوم . فقال :  
« لا ؛ النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها » فكذلك النار ؛ وقد قال تعالى : « لَا يَغْفَى  
عَلَيْهِمْ يَمُوتُوا » وقال ابن عباس : البرد برد الشراب . وعنه أيضا : البرد النوم والشراب  
الماء . وقال الزجاج : أى لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظل ولا نوم فجعل البرد برد كل شيء  
له راحة ، وهذا برد ينفعهم فأما الزمهرى فهو برد يتأذون به فلا ينفعهم فهم منه من العذاب  
ما الله أعلم به . وقال الحسن وعطاء وآبن زيد : بردا أى روحا وراحة ؛ قال الشاعر :  
فَلَا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الشَّمْسِ تَسْتَبِيحُهُ \* وَلَا النَّارُ أَوْقَاتِ الْعَيْشِ تَدُوقُ<sup>(١)</sup>

« لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا » جملة فى موضع الحال من الطافين ، أو نعمت للأحقاب ؛  
فالأحقاب ظرف زمان والعامل فيه « لَا يَتَيْنَ » أو « لَيْتَيْنِ » على تعديّة قيل . ( إِلَّا حَيًّا  
وَعَسَاقًا ) استثناء منقطع فى قول من جعل البرد النوم ، ومن جعله من البرودة كان بدلا منه .  
والجيم الماء الحار ؛ قاله أبو عيينة . وقال آبن زيد : الجيم دموع أعينهم تجمع فى حياض ثم  
يسقونه . قال النحاس : أصل الجيم الماء الحار ومنه اشتق الحمام ومنه الحمى ومنه « وَظِلٌّ مِنْ »

(١) حوالى الحسن جده بن عمرو بن عمرو بن عثمان . ونسب إلى العرج وهو موضع قبل الطائف كان يزل  
به . والظاغ كثراب : الماء الطيب .

(٢) قاله حميد بن ثوب يصف مرة وكى بها عن امرأة .

(٣) كذا فى الأصل وفى كتب اللغة مادة « نأ » ولا تفرق من برد العيش ... الخ .

يُجْزَى » إنما يراد به النهاية في الحر . والتساق صديد أهل النار وفيهم . وقيل : الزمهرير .  
 وقرا حمزة والكسائي بتشديد السين وقد مضى في « ص » القول فيه . ( جَزَاءً وَفَقًا ) أى  
 موافقا لأعمالهم . عن ابن عباس وعجاءد وغيرهما ؛ فالوفاق بمعنى الموافقة كالقتال بمعنى  
 المقاتلة . و « جزاء » نصب على المصدر أى جازيناهم جزاء وافق أعمالهم ؛ قاله الفراء  
 والأخفش . وقال الفراء أيضا : هو جمع الوفاق والوفق واللفق واحد . وقال مقاتل : وافق  
 المذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ، ولا عذاب أعظم من النار . وقال الحسن وعكرمة :  
 كانت أعمالهم سيئة فانهم الله بما يسوعم . ( إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ ) أى لا يخافون ( حِسَابًا )  
 أى محاسبة على أعمالهم . وقيل : معناه لا يرجون ثواب حساب . الزجاج : أى أنهم كانوا  
 لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم . ( وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ) أى بما جاءت به الأنبياء .  
 وقيل : بما أنزلنا من الكتب . وقراءة العامة « كَذَابًا » بتشديد الذال وكسر الكاف على كذب  
 أى كذبوا تكليها كبيرا . قال الفراء : هى لغة بمانية فصيحة ؛ يقولون : كَذَبْتُ ( به ) كَذَابًا وَتَرَفَّتْ  
 التميمى تحرفا ؛ وكل فعل فى وزن فَعَلَ فصدره فَعَالٌ مشدد فى لغتهم ؛ وأشد بعض  
 الكلابيين :

لَقَدْ كَذَّبَ مَا تَبَيَّنَتْ عَنْ صَحَابِي . وعن جَوَاحِرٍ فَيُضَاوَاهَا مِنْ شِفَاتِيَا  
 وقرا على رضى الله عنه « كَذَابًا » بالتخفيف وهو مصدر أيضا . وقال أبو حنبل : التخفيف  
 والتشديد جميعا مصدر المكاذبة ؛ كقول الأعشى :

فَصَدَّقَتْهَا وَكَذَّبَتْهَا <sup>(١)</sup> . وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كَذَابُهُ

أبو الفتح : جاء جميعا مصدر كَذَّبَ وَكَذَّبَ جميعا . الأعشى : « كَذَابًا » بالتخفيف  
 مصدر كَذَّبَ ؛ بدليل قوله :

فَصَدَّقَتْهَا وَكَذَّبَتْهَا <sup>(٢)</sup> . وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كَذَابُهُ

(١) راجع ١٥٥ ص ٢٢١ فابعدا .

(٢) الزيادة من الفراء . (٣) قال الشاب : ضمير صديقها وكذبها لغس والمراد أنه صدق قسه  
 فانه بان يقول إن أمانتها محقة وكذبها بخلافه أجل العكس .

وهو مثل قوله : « أَنتُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَأٌ » ، وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذاباً . أو تنصيه  
بـ « كَذَّبُوا » ، لأنه يتضمن معنى كذبوا ؛ لأن كل مكذب بالحق كاذب ؛ لأنهم إذا  
كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فينهم مكاذبة . وقرأ ابن عمر  
« كُذِّبَا » بضم الكاف والتشديد جمع كاذب ؛ قاله أبو حاتم . ونصبه على الحال الزمخشرى .  
وقد يكون الكُذِّاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب ؛ يقال : رجل كُذِّاب كقولك حُصَان  
وَبُخَال فيجعله صفة المصدر « كَذَّبُوا » أى تكذبا كُذِّاباً مفرداً كذبه . وفى المصاح  
وقوله تعالى : « وَكُذِّبُوا بِآيَاتِنَا كُذِّبَا » وهو أحد مصادر التشديد لأن مصدره قد يسمى على فعليل  
مثل التكليم وعلى فِعال مثل كِذَابٍ وعلى فَعِيلَةٍ مثل توصية وعلى مُفْعِلٍ مثل « دَمَّرْتَهُمْ كُلَّ  
مُحَرِّقٍ » . ( وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ) « كُلُّ » نصب بإسماه فعل بدل عليه « أَحْصَيْنَاهُ »  
أى راحصناه كل شيء أحصيناه . وقرأ أبو الميال « وَكُلُّ شَيْءٍ » بالرفع على الابتداء « كِتَابًا »  
نصب على المصدر ؛ لأن معنى أحصينا كتبنا أى كتبناه كتاباً . ثم قيل : أراد به العلم فإن  
ما كتب كان أبعد من النسيان . وقيل : أى كتبناه فى اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة . وقيل :  
أراد ما كتب على العباد من أعمالهم . فهذه كتابة صدرت عن الملائكة الموكلين بالعباد بأمر  
الله تعالى إياهم بالكتابة ؛ دليله قوله تعالى : « وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ . كَرَامًا كَاتِبِينَ » .  
( فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ) قال أبو برزة : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أشد  
آية فى القرآن فقال : قوله تعالى : « فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا » أى « كُتِبَا نَضِجَتْ  
جُلُودُهُمْ بِدَلَامِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا » و « كُتِبَا حَتَّى زِدْتَهُمْ مَعِيرًا » .

قوله تعالى : إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿١٥٦﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿١٥٧﴾ وَكَوَاعِبَ  
أُتْرَابًا ﴿١٥٨﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿١٥٩﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿١٦٠﴾  
جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حَسَابًا ﴿١٦١﴾

قوله تعالى : ( إِنَّ لِلتَّيْنِ مَقَارًا ) ذكر جزء من آتقى مخالفة أمر الله « مَقَارًا » موضع فوز ونجاة وخلص مما فيه أهل النار . ولذلك قيل للفلاة إذا قل ماؤها مفازة فاقولا بالخلص منها . ( حَدَائِقُ وَأَعْنَابٌ ) هذا تفسير الفوز . وقيل : « إِنَّ لِلتَّيْنِ مَقَارًا » إن التين حدائق؛ جمع حديقة وهي البستان المحوط عليه؛ يقال أحاط به أى أحاط . والأعنان جمع عنب أى كروم أعنان غنخ . ( وَكَوَاعِبَ أَزْرَابٍ ) كوَاعِب جمع كَاعِب وهو الناهد؛ يقال : كَعَبَتِ الجارية تَكْعَبُ كَعُوبًا وَكَعَبَتْ تُكْعَبُ تَكْعِيًا وَتَهْدَتْ تَهْدُ تَهُودًا . وقال الضحاك : الكواعب المذارى؛ ومنه قوله قيس بن ماصم :

وَمِنْ حَصَانٍ قَدْ حَوَيْنَا كَرِيمَةً • وَمِنْ كَاعِبٍ لَمْ تَدْرِ مَا الْبُؤْسُ مُعْصِرٌ

والأزراب الأفران فى السن . وقد مضى فى سورة « الواقعة » الواحد ترب . ( وَكُأْسًا يَدْعَاكَ ) قال الحسن وقتادة وآبن زيد وآبن عباس : مترمة مملوءة؛ يقال : أدهقت الكأس أى ملاءها وكأس دهاق أى مملئة؛ قال :

أَلَا أَسْقِي صِرْتًا سَقَانِي السَّاقِي • مِنْ مَائِيَا يَكْأِسُهُ الدَّهَاقِي

وقال خدش بن زهير :

أَنَا عَامِرٌ يَسْنِي قِرَافًا • فَاتْرَعْنَا لَهُ كَكَا دَهَاقًا

وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وآبن عباس أيضا : متتابعة يبع بعضها بعضا؛ ومنه أَدَهَقَتِ المِجَارَةُ أَدَهَاقًا وهو شدة تلازبها ودخول بعضها فى بعض؛ فالمتابع كالمتداخل . وعن عكرمة أيضا وزيد بن أسلم : صافية؛ قال الشاعر :

لَأَنْتَ إِلَى الْقُسُودِ أَحَبُّ قُرْبًا • مِنَ الصَّالِدِ إِلَى كَأْسِ دِهَاقٍ

وهو جمع دَهَقٍ وهو خششان [ يُعْمَزُ ] بهما [ الساق ] . والمراد بالكأس الخمر والتقدير ونعمرا ذات دهاق أى عصرت وصفيت؛ قاله القشيري . وفى الصلح : وَأَدَهَقْتُ الْمَاءَ أَى أَفْرَغْتَهُ

(١) داجع ١٧ ص ٢١١

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) تصحيح من كتب اللغة

وفى الأصول : خششان يصيرهما .

إفراغا شديدا . قال أبو عمرو والفتح : بالتحريك ضرب من السذاب . وهو بالفارسية اشكنجه . المبرد : والمدهوق المنسوب بجميع السذاب التي لا فرجة فيه . ابن الأعرابي : دعت الشيء كسره وقطعته ؛ وكذلك دعتته ؛ وأشد مجربن خالد :

تَحْدِقُ بَضْعَ الْحَمِّ لِلْبَاغِ وَالنَّدَى • وَبَعْضُهُمْ تَقْلِي بِدَمِّ مَنَاقِبِهِ<sup>(١)</sup>

ودعتته بزيادة الميم مثله . وقال الأصمعي : الدَّهْقَةُ لِينُ الطَّعَامِ وَطِيبُهُ وَرِقَّتُهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ لِينٌ ؛ ومنه حديث عمر : لو شئت أن يدهق لي لفتحت ولكن الله عاب قوما فقال : « أَفْهَمُ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا » .

قوله تعالى : ( لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا ) أى فى الجنة ( لَقُوا وَلَا كَذَابًا ) النور الباطل وهو ما يلغى من الكلام ويخرج ؛ ومنه الحديث : « إِنْ أَلْقَيْتَ لِصَاحِبِكَ أَنْصَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَنْطَبُ فَقَدْ لَقِيتَ » وذلك أن أهل الجنة إذا شربوا لم تنير عقولهم ولم يتكلموا بلغو ؛ بخلاف أهل الدنيا . « وَلَا كَذَابًا » مقدم ، أى لا يكذب بعضهم بعضا ولا يسمعون كذبا . وقرا الكسائي « كَذَابًا » بالتخفيف من كَذَبْتُ كَذَابًا أى لا يتكاذبون فى الجنة . وقيل : هما مصدران للتكذيب وإنما خففها هنا لأنها ليست بمقيد بفعل يصير مصدرا له ، وشدد قوله : « وَكَذَّبُوا يَا بَاتَا كَذَابًا » لأن كَذَّبُوا يقيد المصدر بالكتاب . ( جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ ) نصب على المصدر . لأن المعنى جِزَاءٌ بما تقدم ذكره جزاء وكذلك ( عَطَاءٌ ) لأن معنى أعطاهم وجزاهم واحد . أى أعطاهم عطاء . ( حَسَابًا ) أى كثيرا ؛ فانه قسادة ؛ يقال : أَحْسَبْتُ فلانا أى كَثُرْتُ لَهُ الْعَطَاءُ حَتَّى قَالَ حَسْبِي . قال :

وَقَفْنِي وَلَيْدَ الْحَيِّ إِنْ كَانَ جَانِبًا • وَنَحْبُهُ إِنْ كَانَ لِبَسِ يَمَانِي

(١) يروى هكذا فى اللسان مادة « دحى » . وفى الأصول « مراجه » . والمائق : القدر اليسير واحدا مع دسقة . (٢) قاله امرأة من بنى قيس . وحقه أى توتره بالفتية وحى ما يؤثره الشريف واليسى .

وقال الثقبى : وزى أصل هذا أنت يعطيه حتى يقول حسبي . وقال الزجاج : « حَسَابًا »  
 أى ما يكفيم . وقاله الأخفش . يقال : أَحَسَبْتُ كذا أى كفاينى . وقال الكلبي : حاسبهم  
 فأعطاهم بالحسنة عشرا . مجاهد : حاسبنا لما عملوا فالحساب بمعنى المد . أى بقلدر ماوجب  
 له فى وعد الرب فإنه وعد للحسنة عشرا ، ووعد لقوم بسجاسة ضعف ، وقد وعد لقوم جزاء  
 لا نهاية له ولا مقدار ، كما قال تعالى : « إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » .  
 وقرأ أبو هاشم « عَطَاءَ حَسَابًا » بفتح الحاء وتشديد السين على وزن فَعَالٍ أى كَفَافًا ، قال  
 الأصمى : تقول العرب حَسَبْتُ الرجل بالشديد إذا أكرمته ، وأشد قول الشاعر :

• إِذَا أَنَا ضَيْقُهُ يُحْسِبُهُ •

وقرأ ابن عباس « حَسَنًا » بالنون .

قوله تعالى : رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ  
 لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿١٥٠﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ  
 إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿١٥١﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ  
 اتَّخَذْ إِلَهًا رَبَّهُ مَقَابَ ﴿١٥٢﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكَ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ  
 مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿١٥٣﴾

قوله تعالى : ( رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ ) قرأ ابن مسعود ونافع  
 وأبو عمرو وآبن كثير وزيد عن يعقوب والمفضل عن طامم « رَبِّ » بالرفع على الاستئناف  
 « الرَّحْمَنُ » خبره . أو بمعنى هو رب السموات ويكون « الرَّحْمَنُ » مبتدأ ثانيًا . وقرأ ابن  
 عامر ويعقوب وآبن مجيمن كلاهما بالخفض فتأ لقوله : « جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ » أى جزاء من  
 ربك رب السموات الرحمن . وقرأ ابن عباس وطامم وحزمة والكسائي « رَبِّ السَّمَوَاتِ »

خفضا على النبت « الرَّحْمَنُ » رضا على الإبتلاء أى هو الرحمن . وأخاره أبو عبيد وقال :  
 هذا أصلها خفض « رب » لقربه من قوله « مِنْ رَبِّكَ » فيكون نبتا له ورفع « الرحمن »  
 لبعده منه على الاستئناف وخبره ( لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ) أى لا يملكون أن يسألوا إلا فيما  
 أذن لهم فيه . وقال الكسائي : « لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا » بالشفاعة إلا بإذنه . وقيل :  
 الخطاب الكلام ، أى لا يملكون أن يخاطبوا الرب سبحانه إلا بإذنه ، دليله : « لَا تَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ  
 إِلَّا بِإِذْنِهِ » . وقيل : أراد الكفار « لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا » فاما المؤمنون فيشفعون .

قلت : بعد أن يؤذن لهم ، لقوله تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » وقوله تعالى :  
 « يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضِيَ لَهُ قَوْلًا » .

قوله تعالى : ( يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ) « يَوْمَ » نصب على الظرف ، أى يوم  
 لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح . وأخطف في الروح على أقوال ثمانية : الأول — أنه ملك من  
 الملائكة . قال ابن عباس : ما خلق الله مخلوقا بعد العرش أعظم منه ، فإذا كان يوم القيامة قام هو  
 وحده صفًا وقامت الملائكة كلهم صفًا فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم . ونحو منه عن ابن  
 مسعود ، قال : الروح ملك أعظم من السموات السبع ، ومن الأرضين السبع ، ومن الجبال . وهو  
 جبال السماء الرابعة يسبح الله كل يوم أتمى عشرة ألف تسبيحة ، يخلق الله من كل تسبيحة ملكا ،  
 فيجىء يوم القيامة وحده صفًا وسائر الملائكة صفًا . الثانى — أنه جبريل عليه السلام . قاله  
 الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير . وعن ابن عباس : إن عن يمين العرش نهرا من نور مثل  
 السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع ، يدخل جبريل كل يوم فيه سمرا فيقتسل  
 فيجد نورا على نوره وحلا على جماله وعظما على عظمه ، ثم يفيض فيخلق الله من كل قطرة

(١) هذه القراءة ذكرها القرطبي وابن طبري ولم يذكرها قراءة طاسم بالجر فيها وهي رواية خفس ، وقد ذكرها  
 أبو حيان والأفراس ، فتكون القراءات من طاسم على هذا ثلاثة ، وضع فيها وير فيها رب « رب » وضع « الرحمن » .

(٢) في نسخة : السماء السابعة .

تقع من ريشه سبعين ألف ملك ، يدخل منهم كل يوم سبعون ألفا البيت المعمور والكنية  
سبعون ألفا لا يودون إليهما إلى يوم القيامة . وقال وهب : إن جبريل طيه السلام واقف  
بين يدي الله تعالى يُرْعِدُ قَرَأَتَهُ ؛ يخلق الله تعالى من كل رعدة مائة ألف ملك ، فالملائكة  
صفوف بين يدي الله تعالى منكمّة وروسهم فلذا أذن الله لهم في الكلام قالوا : لا إله إلا أنت ؛  
وهو قوله تعالى : «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ» في الكلام  
« وَقَالَ صَوَابًا » . معنى قول : « لا إله إلا أنت » . والثالث — روى ابن عباس عن النبي  
صل الله عليه وسلم أنه قال : « الروح في هذه الآية جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة  
لهم روس وأيد وأرجل يأكلون الطعام » ثم قرأ «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا» فإن  
هؤلاء جند وهؤلاء جند وهذا قول أبي صالح وجماهد . وعلى هذا هم خلق على صورة  
بن آدم كائنات وليسوا بناس . الرابع — أنهم أشرف الملائكة ؛ قاله مقاتل بن حيان .  
الخامس — أنهم حفظة على الملائكة ؛ قاله ابن أبي نجيع . السادس — أنهم بنو آدم ؛  
قاله الحسن وقصاده . فاللهي فهو الروح . وقال الموقر والقرطبي : هذا مما كان يكتمه  
ابن عباس ؛ قال : الروح خلق من خلق الله على صور بن آدم وما نزل ملك من السماء  
إلا ومعه واحد من الروح . السابع — أرواح بن آدم تقوم صفًا تقوم الملائكة صفًا وذلك  
بين الصفين قبل أن تَرَدَّ إلى الأجساد ؛ قاله عطية . الثامن — أنه القرآن ؛ قاله زيد بن  
أسلم وقرأ « وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا » . و « صَفًّا » مصدر أى يقومون  
صفوفًا . والمصدر بنى عن الواحد والجمع كالمثل والصَّوم . ويقال ليوم العيد : يوم الصف .  
وقال في موضع آخر : « وجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا » هذا يدل على الصفوف وهذا حين  
العرض والحساب . قال معناه القتيبي وغيره . وقيل : يقوم الروح صفًا والملائكة صفًا فهم  
صفان . وقيل : يقوم الكل صفًا واحدًا . ( لَا يَتَكَلَّمُونَ ) أى لا يشفون ( إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ  
الرَّحْمَنُ ) في الشفاعة ( وَقَالَ صَوَابًا ) . معنى حقًا ؛ قاله الضحاك وجماهد . وقال أبو صالح :  
لا إله إلا الله . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : يشفون لمن قال لا إله إلا الله .

وأصل الصواب السداد من القول والفعل وهو من أصاب يصيب إصابة ؛ كالجواب من أجاب يُجيب إجابة . وقيل : « لَا يَتَكَلَّمُونَ » بنى الملائكة والروح اللتين قاموا صفًا لا يتكلمون هيئة وإجلالا « إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ » في الشفاعة وهم قد قالوا صوابا ، وأنهم يرحلون الله تعالى ويسبحونه . وقال الحسن : إن الروح تفصل يوم القيامة لا يدخل أحد الجنة إلا بالرحمة ولا النار إلا بالعمل . وهو معنى قوله : « وَقَالَ صَوَابًا » .

قوله تعالى : ( ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ ) أى الكائن الواقع ( لَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَا بَاءً ) أى مرجعا بالعمل الصالح ؛ كأنه إذا عمل خيرا رقه إلى الله عز وجل ، وإذا عمل شرا مده منه . وينظر إلى هذا المعنى قوله عليه السلام : « والخير كله بيدك والشر ليس إليك » . وقال قتادة : « مَا بَاءً » سيلا .

قوله تعالى : ( إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ) يخاطب كفار قريش ومشركى العرب ؛ لأنهم قالوا : لا نبئ ، والعذاب عذاب الآخرة وكل ما هو آتٍ فهو قريب ، وقد قال تعالى : « كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَوَاهَا هُمْ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا حَشِيَّةً أَوْ ضَعَفًا » قال معناه الكلي وغيره . وقال قتادة : حقبة الدنيا ؛ لأنها أقرب العذاب . قال مقاتل : هى قتل قريش بيدى . والأظهر أنه عذاب الآخرة وهو الموت والقيامة ؛ لأن من مات فقد قامت قيامته فإن كان من أهل الجنة رأى مقدمه من الجنة ، وإن كان من أهل النار رأى الخزي والحوان ؛ ولهذا قال تعالى : ( يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ) بين وقت ذلك العذاب ؛ أى أنذرناكم عذابا قريبا في ذلك اليوم وهو يوم ينظر المرء ما قدمت يده أى يراه . وقيل : ينظر إلى ما قدمت لحنف إلى . والمرء هاهنا المؤمن في قول الحسن ؛ أى يمد نفسه عملا ثابا الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى أن يكون ترابا . ولما قال : ( وَيَقُولُ الْكَافِرُ ) ألم أنه أراذ بالمرء للمؤمن . وقيل : المرء هاهنا أبى بن خلف وعقبة بن أبى معيط . ويقول الكافر « أبوجهل . وقيل : هو عام في كل أحد وإنسان يرى في ذلك اليوم جزاء ما كسب . وقال مقاتل : نزلت قوله « يَوْمَ تَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ » في أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى ( وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ

تُرَابًا) في أخيه الأسود بن عبد الأسد . وقال الثعلبي : سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول : الكافر ما هنا إبليس وذلك أنه عاب آدم بأنه خلق من تراب وأختبر بأنه خلق من نار ، فإذا ما بين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه من التراب والراحة والرحمة ، ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى أنه يكون بمكان آدم فـ « يَقُولُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا » قال : ورأيت في بعض التفاسير للفسيري أبي نصر . وقيل : أي يقول إبليس يا ليتني خلقت من التراب ولم أفل أنا خير من آدم . وعن ابن عمر : إذا كان يوم القيامة مدّت الأرض مدة الأديم ، وحشر الدواب والبهائم والوحوش ، ثم يوضع القصاص بين البهائم حتى يقتص للنساء الجلاء من النساء القرناء بنطحتها ، فإذا فرغ من القصاص فيها قيل لها : كوني ترابا ، فعند ذلك يقول الكافر : « يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا » . ونحوه عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم . وقد ذكرناه في كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة مجودا والمجد لله . ذكر أبو جعفر النحاس : حدثنا أحمد بن محمد بن نافع ، قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر ، قال أخبرني جعفر بن برقان الجعزي عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال : إن الله تعالى يمسر الخلق كلهم من دابة وطائر وإنسان ثم يقال للبهائم والطير كوني ترابا فعند ذلك « يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا » . وقال قوم : « يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا » أي لم أبعث كما قال : « يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتِ نِكَاحِي » . وقال أبو الزناد : إذا قضى بين الناس ، وأمر بأهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، قيل لسائر الأمم وللمؤمنين الجن هودوا ترابا فيمودون ترابا ، فعند ذلك يقول الكافر حين يرام « يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا » . وقال ليث بن أبي سليم : مؤمنو الجن يهودون ترابا . وقال عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي ومجاهد : مؤمنو الجنة حول الجنة في ربيّ ورحاب وليسوا فيها . وهذا أصح وقد مضى في سورة « الرحمن » بيان هذا وأنها مكفونون يتابون ويساقبون فهم كئبي آدم ، والله أعلم بالصواب .

## مسورة النازعات

مكية بإجماع . وهي خمس أو ست وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ① وَالنَّشِيطَاتِ تَسَاطًا ②  
وَالسَّيِّحَاتِ سَبًا ③ فَالسَّيِّغَاتِ سَبًا ④ فَالْمَدْرَكَاتِ أَمْرًا ⑤  
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ⑥ تَتَّبِعُنَّ الرِّادَّةُ ⑦ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ⑧  
أَبْصُرُهَا خَشِيعَةٌ ⑨ يَقُولُونَ أَوَنَّا لَمَرْكَودُونَ فِي الْحَاظِرَةِ ⑩ أَوْذَا  
كُنَّا عِظَامًا تَحَرَّوْا ⑪ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ⑫ فَلَمَّا مَيَّ  
زَبْرَةً وَّحِدَةً ⑬ فَلَمَّا ذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ⑭

قوله تعالى : (وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا) أقسم سبحانه بهذه الأشياء التي ذكرها مل أن القيامه  
حق . و «النَّازِعَاتِ» الملائكة التي تترفع أرواح الكفار؛ قاله مل -رضى الله عنه، وكذا قال  
أبن مسعود وأبن عباس ومسروق ومجاهد: هي الملائكة تترفع نفوس بنى آدم. قال أبن مسعود:  
يريد أفس الكفار يترفعها ملك الموت من أجسادهم ، من تحت كل شعرة ، ومن تحت  
الأظافر وأصول القدمين زرعًا كالسُّفود يترفع من الصوف الرطب ، ثم يترفعها أى يرجعها  
في أجسادهم ، ثم يترفعها ؛ فهذا عمله بالكفار . وقاله أبن عباس . وقال سعيد بن جبير :  
تُرِيعت أرواحهم ثم حُرِّقَتْ ثم حُرِّقَتْ ثم قُذِفَتْ بها في النار . وقيل : يرى الكافر قسمه  
في وقت التزع كأنها تفرق . وقال السدى : و «النَّازِعَاتِ» هي النفوس حين تفرق في الصدور .  
مجاهد : هي الموت يترفع النفوس . الحسن وقادة : هي التجوم تترفع من أنق إلى أنق ؛  
أى تنهب من قولم : نزع إليه أى ذهب ، أو من قولم : نعت الخليل أى جرت . «غَرْاقًا»

أى إنها تفرق وتقيب وتطلع من أفق إلى أفق آخر . وقاله أبو عبيدة وابن كيسان والأخفش .  
وقيل : التازعات القوسى ترزع بالسهم ، قاله عطاه وعكرمة . و « غَرْقًا » بمعنى إغراقًا وإغراق  
النازع في القوس أن يبلغ غاية المد حتى يتهى إلى التَّغْصُل . يقال : أغرق في القوس أى  
استوفى مقها ، وذلك بأن تتهى إلى القَبِّ الذى عند التَّغْصُل الموقوف عليه . والاستغراق  
الاستيعاب . ويقال لغشرة البيضاء الداخلة : « غَرْقَه » . وقيل : هم الغزاة الزماة .

قلت : هو الذى قبله سواء ؛ لأنه إذا أقسم باليقين فالمراد النازعون بها تمطيا لها ، وهو  
مثل قوله تعالى : « وَالْمَآدِيَاتِ ذَبَابًا » والله أعلم . وأراد بالإغراق المبالغة في التزع وهو  
سائق في جميع وجوه تأويلها . وقيل : هى الوحش تزع من الكلا<sup>(١)</sup> وتنفرد . حكاه يحيى بن  
سلام . ومعنى « غَرْقًا » أى إحصاء في التزع .

قوله تعالى : ( وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ) قال ابن عباس : يعنى الملائكة تَنَشُّطُ نفس  
المؤمن فتضبطها كما يُنَشِّطُ العقال من يد البعير إذا حُلَّ عنه . وحكى هذا القول الفراء ثم قال :  
والذى سمعت من العرب أن يقولوا أَشْطَطْتُ وكأنما أَتَشَّطُ من عقال . وربطها نَشَّطَهَا  
والرابط الناشط ، وإذا ربطت الحبل في يد البعير فقد تَنَشَّطَتْ فانت ناشط ، وإذا حلته فقد  
أَتَشَّطَتْ وانت مُنَشِّط . وعن ابن عباس أيضا : هى أنفس المؤمنين عند الموت تَنَشُّطُ  
مخروج ؛ وذلك أنه مامن مؤمن [ بِمَحْضَرِهِ الموت ]<sup>(٢)</sup> إلا وتعرض عليه الجنة قبل أن يموت  
فيرى فيها ما أمده الله من أزواجه وأهله من الخور العين فهم يدمونه إليها فتضسه إليهم نَشْطَةً  
أن تخرج فتأنيهم . ومنه أيضا قال : ينى أنفس الكفار والمنافقين تَنَشُّطُ كما يُنَشِّطُ العقب ،  
الذى يقب به السهم ، والعقب بالتحريك العقب الذى تُعمل منه الأوتار ، الواحدة عقبية ؛  
تقول منه : عقب السهم والقدح والقوس عقبا إذا لوى شيئا منه عليه . والنشط الحذب بسرمة  
ومنه الأسوطة عقدة يسهل انحلالها إذا جُبِثَت مثل عقدة التكة . وقال أبو زيد : نشطت

(١) في نسخ الأصل : تزج من الكلا . من البحر : تزج إلى ... الخ .

(٢) الزيادة من تفسير القلي .

الحبل أَنشَطَه تَشَطًا عَقْدَه بِأَنْشُوطَةٍ ، وَأَنْشَطَه إِلَى حَلَّتِه ، وَأَنْشَطَتِ الحبلُ إِلَى مَدَدَتِه حَتَّى يَصِلَ . وقال القراء : أَنَشَطَ العقالُ إِلَى حَلٍّ وَنَشَطَ إِلَى رِبَطِ الحبلِ فِي يَدَيْهِ . وقال الليث : أَنشَطَه بِأَنْشُوطَةٍ وَأَنْشُوطَتَيْنِ إِلَى أَوْفَتِه ، وَأَنْشَطَتُ العقالُ إِلَى مَدَدَتِ أَنْشُوطَتِه فَأَلْحَمَت . قال : وَيُقَالُ تَشَطَ بِمَعْنَى أَنَشَطَ لِنَتَانٍ بِمَعْنَى ، وَطِيَهُ يَصِحُّ قَوْلُ أَبِي عَاسِمٍ الْمَذْكُورُ أَوَّلًا . وعنه أيضا : الناشطات الملائكة للنشاطها تذهب وتجيء بأمر الله حينما كان . وعنه أيضا وعن علي رضي الله عنهما : هِيَ الملائكة تَنْشِطُ أرواحَ الكفار ما بين الحلد والألفار حَتَّى تَخْرِجُهَا مِنْ أَجْوَافِهِمْ تَشَطًا بِالْكَرْبِ وَالنَّهْمِ كَمَا تَنْشِطُ الصَّوْفَ مِنْ سَفُودِ الحديدِ وَهِيَ مِنَ النَّشْطِ بِمَعْنَى الْجَنْبِ ، يُقَالُ : تَنْشَطُ الدُّلُو أَنْشَطُهَا بِالْكَسْرِ وَأَنْشَطُهَا بِالضَّمِّ إِلَى نَزْعِهَا . قال الأصمعي : بُرَّ أَنْشَاطُ أَيَّ قَرِيبَةِ الْقَمَرِ تَخْرُجُ الدُّلُو مِنْهَا بِجَنْبَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَيَبْرُ تَنْشُوطٌ ، قال : وَهِيَ الَّتِي لَا يَخْرُجُ مِنْهَا الدُّلُو حَتَّى تَنْشَطَ كَثِيرًا . وقال مجاهد : هُوَ الْمَوْتُ يَنْشِطُ نَفْسَ الْإِنْسَانِ . السدى : هِيَ النَّفُوسُ حِينَ تَنْشِطُ مِنَ الْقَدَمِينَ . وقيل : النازعات أَيْدَى الْفَزَاةِ أَوْ أَنْفُسُهُمْ تَنْزِعُ النَّفْسَ بِإِغْرَاقِ السَّهَامِ وَهِيَ الَّتِي تَنْشِطُ الْأَوْهَاقَ عِزْمَةً وَعَطَاءً : هِيَ الْأَوْهَاقُ تَنْشِطُ السَّهَامَ . وعن عطاء أيضا وَقَادَةُ الْحَسَنِ وَالْأَخْفَشُ : هِيَ النُّجُومُ تَنْشِطُ مِنْ أُنْفَى إِلَى أُنْفَى إِلَى تَنْزَعِ . وَكَذَا فِي الصَّبَاحِ . « وَالنَّاشِطَاتِ تَشَطًا » بِمَعْنَى النُّجُومِ مِنْ بُرْجٍ إِلَى بُرْجٍ كَالنُّوْرِ النَّاشِطِ مِنْ بِلَدٍ إِلَى بِلَدٍ . وَالْمُومُ تَنْشِطُ بِهَا جِهًا ، قَالَ مُهَيَّانُ بْنُ خُثَالَةَ : أُنَسَّتْ مُهَومِي تَنْشِطُ الْمُنَاشِطَا . الشَّامُ فِي طَوْرًا وَطَوْرًا وَأَيْسَطَا أَبُو عبيدة وعطاء أيضا : الناشطات هِيَ الْوَحْشُ حِينَ تَنْشِطُ مِنْ بِلَدٍ إِلَى بِلَدٍ ، كَمَا أَنَّ الْمُومِ تَنْشِطُ الْإِنْسَانَ مِنْ بِلَدٍ إِلَى بِلَدٍ ، وَأُنَسَّدَ قَوْلُ مُهَيَّانَ :

• أُنَسَّتْ هُمُومِي ... • الْبَيْتِ

وقيل : « وَالنَّازِعَاتِ » لِلْكَافِرِينَ « وَالنَّاشِطَاتِ » لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَالْمَلَائِكَةُ يَحْدِثُونَ رُوحَ الْمُؤْمِنِ بِرَفْقٍ وَالتَّرْعُ جَذْبٌ بِشِدَّةٍ وَالنَّشْطُ جَذْبٌ بِرَفْقٍ . وقيل : هُمَا جِهَتَا الْكُفَّارِ وَالْإِيمَانِ بَعْدَهُمَا لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا .

(١) جمع وهى بحركتين وقد يسكن الحبل مثله به الإبل والمثل ثلاثه ، ويقال فى طرته أنشطرة .

قوله تعالى : ( وَالسَّابِغَاتِ مَسْبُحًا ) قال علي رضي الله عنه : هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين . الكلبي : هي الملائكة تقبض أرواح المؤمنين ، كالذي يسبح في الماء فأحيانا ينغمس وأحيانا يرتفع ، يسألونها سَلًا رفيقا بسهولة ثم يدعوها تسريح ، وقال مجاهد وأبو صالح : هي الملائكة يتلون من السماء سرعين لأمر الله ، كما يقال للفرس الجواد سابع إذا أسرع في جريه . وعن مجاهد أيضا : الملائكة تسبح في ثوبها وصودها . وعنه أيضا : السابحات الموت يسبح في قوس بن آدم . وقيل : هي الخليل النزاةة ، قال عترة :

وَأَنْخِلُ تَسْلُمُ حِينَ تَسُ \* سَبِّحُ فِي حِيَاضِ الْمَوْتِ مَسْبُحًا

وقال امرؤ القيس :

مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِغَاتُ مَلَ الْوَتَى \* أَثَرَتْ غُبَارًا بِالْكَفِيدِ الْمُرْكَلِ<sup>(١)</sup>

قتادة والحسن : هي النجوم تسبح في أفلاكها وكذا الشمس والقمر ، قال الله تعالى : « كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ » . عطاء : هي السفن تسبح في الماء . ابن عباس : السابحات أرواح المؤمنين تسبح شوقا إلى لقاء الله ورحمته حين تخرج .

قوله تعالى : ( فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ) قال علي رضي الله عنه : هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحى إلى الأنبياء عليهم السلام . وقاله مسروق ومجاهد . وعن مجاهد أيضا وأبي روق : هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح . وقيل : تسبق بن آدم إلى العمل الصالح فتكتبه . وعن مجاهد أيضا : الموت يسبق الإنسان . مقاتل : هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة . ابن مسعود : هي أئمة المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقضونهم وقد عاينت السرور شوقا إلى لقاء الله تعالى ورحمته . ونحوه عن الربيع قال هي النفوس تسبق بالخروج عند الموت . وقال قتادة والحسن ومعمّر : هي النجوم يسبق بعضها بعضا في السير . عطاء : هي الخليل التي تسبق إلى الجهاد . وقيل : يحتمل أن تكون

(١) مسح : حسب الجري . الرق : القنور . الكفيد : الموضع القليظ . المركل : الذي يركل بالأرجل . وسى البيت : إن الخليل السريعة إذا فترت فأثارت الثبار بأرجلها من نصب جرى هذا القوس جريا سهلا كما يسبح السحاب المطر .

السافات ما تسبق من الأرواح قبل الأجساد إلى جنة أو نار ، قاله الماوردي . وقال الجرجاني : ذكر « فالسافات » بالفاء لأنها مشتقة من التي قبلها ، أى والقلاب يسبحن فيسبحن ، تقول : قام فذهب ، فهذا يوجب أن يكون القيام سببا للتحاب ، ولو قلت : قام وذهب لم يكن القيام سببا للتحاب

قوله تعالى : ( فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ) قال القشيري : أجمعوا على أن المراد الملائكة . وقال الماوردي فيه قولان : أحدهما الملائكة ، قاله الجمهور ، والقول الثاني هي الكواكب السبعة . حكاه خالد بن برمك عن معاذ بن جبل . وفي تديرها الأمر وجهان : أحدهما تدير طلوعها وأطولها . الثاني تدير ما قضاه الله تعالى فيها من تقلب الأحوال . وحكى هذا القول أيضا القشيري في تفسيره ، وأن الله تعالى علّق كثيرا من تدير أمر العالم بحركات النجوم ، فأضيف التدير إليها وإن كان من الله ، كما يسمى الشيء بأمر ما يحاوزه . وعلى أن المراد بالمُدَبِّرَاتِ الملائكة فتديرها تزولها بالخلال والحرام وتفصيله ، قاله ابن عباس وقادة وغيرهما . وهو إلى الله جل ثناؤه ولكن لما نزلت الملائكة به سميت بذلك ، كما قال عز وجل : « نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ » وكما قال تعالى : « فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ » يعنى جبريل نزله على قلب عبد صلب الله عليه وسلم ، والله عز وجل هو الذى أنزله . وروى مطاوع عن ابن عباس : « فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا » الملائكة وكلت بتدير أحوال الأرض في الرياح والأمطار وغير ذلك . قال عبد الرحمن بن سابط : تدير أمر الدنيا إلى أربعة ، جبريل وميكائيل وملاك الموت وأسمه عزرائيل وإسرافيل ، فأما جبريل فوكل بالرياح والجنود ، وأما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات ، وأما ملك الموت فوكل بقبض الأفسس في البر والبحر ، وأما لإسرافيل فهو يزل بالأمر عليهم ، وليس من الملائكة أقرب من إسرافيل وبينه وبين العرش مسيرة خمسمائة عام . وقيل : أى وُكِّلُوا بأمورهم فهم الله بها . ومن أول السورة إلى هنا قسم أقسم الله به ، وقد أن يقسم بما شاء من خلقه وليس لنا ذلك إلا به عز وجل . وجواب القسم مضمرة كأنه قال : والنازعات وكذا وكذا لتبين وتناسيل أنهن لمعرفة السامعين

بالمضى ، قاله الغراء . ويدل عليه قوله تعالى : « أَتَيْدًا كَمَا عِظَامًا نَحِيرَةً » أَلَسْتَ تَرَى أَنَّهُ  
 كَالْجَوَابِ لِقَوْلِهِمْ : « أَتَيْدًا كَمَا عِظَامًا نَحِيرَةً » نَهَيْتُ فَأَكْنَى بِقَوْلِهِ : « أَتَيْدًا كَمَا عِظَامًا نَحِيرَةً » .  
 وقال قوم : وقع القسم على قوله : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن يَتَعَفَّى » وهذا اختيار للترمذي  
 ابن علي . أى فيما قصصت من ذكر يوم القيامة وذكر موسى وعرون « لَآيَةً لِّمَن يَتَعَفَّى » ولكن  
 وقع القسم على ما في السورة مذكورا ظاهرا بارزا أخرى وأقن من أن يؤتى بشئ ليس بمذكور  
 فيها . قال ابن الأثير : وهذا قبيح ، لأن الكلام قد طال فيما بينهما . وقيل : جواب القسم  
 « عَلَى أَنَّا كَلِمَةُ مُوسَى » لأن للمضى قد أتاك . وقيل : الجواب (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) على  
 تقدير ليوم ترجف لحذف اللام . وقيل : فيه تقديم وتأخير تقديره يوم ترجف الراجفة تتبعها  
 الراجعة والتأخرات غرقا . وقال السجستاني : يجوز أن يكون هذا من التقديم والتأخير كأنه قال :  
 إذا هم بالساهرة والتأخرات . ابن الأثير : وهذا خطأ ، لأن ألفه لا يفتح بها الكلام  
 والأقل الوجه . وقيل : إنما وقع القسم على أن قلوب أهل النار تجف وأبصارهم تحترق  
 فانتصب « يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ » على هذا المعنى ولكن لم يقع عليه . قال الزجاج : أى  
 قلوب واجفة يوم ترجف . وقيل : انتصب باستنار أذكر . و« ترجف » أى تضطرب  
 والراجعة أى المضطربة كما قال عبد الرحمن زيد : قال : هى الأرض ، والراجعة الساعة .  
 مجاهد : الراجعة الزلزلة (تَبْمَهَا الرَّادِفَةُ) للصيحة . ومنه أيضا وابن عباس والحسن  
 وقتادة : هما الميحتان . أى التفختان أما الأولى فتسمت كل شئ بإذن الله تعالى ، وأما  
 الثانية فتسمى كل شئ بإذن الله تعالى . وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
 « بينهما أربعون سنة » وقال مجاهد أيضا : الراجعة حين تَشَقُّ السماء وتَحُلُّ الأرض والجبال  
 فَتَكُ ذِكْرًا واحدةً وذلك بعد الزلزلة . وقيل : الراجعة تحرك الأرض ، والراجعة زلزلة أخرى  
 تخفى الأرضين . فانه أعلم . وقد مضى في آخر « النمل » ما فيه كفاية في التفسر في الصور .  
 وأصل الرجفة الحركة ، قال الله تعالى : « يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ » وليست الرجفة ها هنا من

الحركة قطع بل من قولهم : رَجَفَ الرَّجْدُ رَجْفًا وَرَجِيفًا أى أظهر الصوت والحركة ومنه سميت الأراجيف لأضطراب الأصوات بها وإفاضة الناس فيها ؛ قال :

إِلَّا الْأَرَاكِيفَ يَأْبَنُ الْقَوْمُ تَوَعْدُنِي • وفي الأراجيف بَلَّتُ الْقَوْمَ وَانْحَوْرَا

وعن ابن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ذهب رجع الليل قام ثم قال : « يا أيها الناس أذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » . ( قُلُوبٌ يَوْعِفُ وَيَاجِفُ ) أى خاتمة رجلة ؛ قاله ابن عباس وعليه عامة المفسرين . وقال السدي : زائلة من أماكنها ؛ نظيره « إِذَا الْقُلُوبُ لَدَى الْحَاكِيرِ » . وقال المزمع : قلقة مستوفزة ، مرتكفة غير ساكنة . وقال البرد : مضطربة . والمعنى متقارب والمراد قلوب الكفار ؛ يقال وجف القلب يجف وجيفا إذا خفق ؛ كما يقال : وجب يجب وجيا ؛ ومنه ويجف الفرس والناقة في العدو ؛ والإيجاف حمل النابتة على السير السريع ؛ قال :

بُلَّتْ بِسَدِّ حَرَّةٍ صَرِفًا • وَسَدُّ طُورٍ لَتَقِيَسَ الْوَجِيفَا

و « قُلُوبٌ » رفع بالابتداء و « وَيَاجِفُ » صفتها . و « أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ » خبرها ، مثل قوله : « وَلَعْدَ مَوْتٍ خَيْرٌ مِنْ شُرْكَ » ومعنى « خَاشِعَةٌ » منكسرة ذليلة من هول ما ترى ؛ نظيره : « خَاشِعَةٌ أَبْصَارُهُمْ تَهْقِئُهُمْ ذُلٌّ » والمعنى أبصار أصحابها انحذف المضاعف . ( يَقُولُونَ ) أَنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ أى يقول هؤلاء المكذبون المنكرون للبعث إذا قيل لهم أنكم تبشرون قالوا متكررين متعجبين : أنزد بعد موتنا إلى أول الأمر فنموت أحياء كما كنا قبل الموت ؟ وهو كقولهم : « أَنَا لَمَبْهُوتُونَ خَلَقًا جَدِيدًا » يقال : رجع فلان في حافره وعلى حافره أى رجع من حيث جاء ؛ قاله قتادة . وأشد ابن الأعرابي :

(١) قاله منازل بن ربيعة المنرى في مجسدية والباح : والرواية المشهورة البيت كما في كتب التوسكشر المصريح وغيره هي :

إِلَّا الْأَرَاكِيفَ يَأْبَنُ الْقَوْمُ تَوَعْدُنِي • وفي الأراجيف بَلَّتُ الْقَوْمَ وَانْحَوْرَا

والأراجيف جمع أراجفة وهي القصاصات المملوءة على بحر الرجز . وفي الأراجيف خبر عظم والقزم مبتدأ مؤخر وقوسط قلت بين المبتدأ والخبر أجل عملها ، وهو موضع التشاهد في البيت عند النشأة . وقيل لا يمنع نصب على أن يندرج مبتدأ أى وأما قلت . (٢) مرتكفة : مضطربة .

أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَبٍ وَثِيْبٍ \* مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفِيهِ وَعَارٍ

يقول : أارجع إلى ما كنت عليه في شبابه من النزل والصبا بعد أن شئت وصليت !  
ويقال : رجع على حافته . أى الطريق الذى جاء منه . وقولهم في المثل : التقد عند  
الحافرة . قال يعقوب : أى عند أول كلمة . ويقال : ألتقى القوم فاقتلوا عند الحافرة .  
أى عند أول ما ألتقوا . وقيل : الحافرة العاجلة ؛ أى أننا لمردودون إلى الدنيا فنصير أحياء  
كما كنا ؟ قال الشاعر :

أَلَيْتُ لَا أَلْسَأُكُمْ فَأَعْلَسُوا \* حَتَّى يَرُدَّ النَّاسُ فِي الْحَافِرَةِ

ويقول : الحافرة الأرض التى تخفر فيها قبورهم فهى بمعنى المحفورة ؛ كقوله تعالى : « مَا مِنْ دَافِقٍ » و « مَيْتَةٍ رَاضِيَةٍ » والمعنى أننا لمردودون في قبورنا أحياء . قاله مجاهد والخليل  
والفراء . وقيل : سميت الأرض الحافرة ؛ لأنها مستقر الخوافر كما سميت الإقدام أرضاً ؛  
لأنها على الأرض . والمعنى أننا لارجعون بعد الموت إلى الأرض فنمشي على أقدامنا . وقال  
أبن زيد : الحافرة النار وقرأ « يَلَيْكَ إِذَا كَرَّةٌ حَاسِرَةٌ » . وقال مقاتل وزيد بن أسلم : هى  
أسم من أسماء النار . وقال ابن عباس : الحافرة في كلام العرب الدنيا . وقرأ أبو حيوة :  
« الْحَفِرَةُ » بغير الف مقصور من الحافرة . وقيل : الحفرة الأرض المقتة بأجساد موتاهها ؛  
من قولهم : حفرت أسنانه إذا ركبها الوهم من ظاهرها وباطنها . يقال : في أسنانه حفرة  
وقد حفرته تخفراً حقراً ، مثال كسر يكسر كسراً إذا فسدت أصولها . وبنو أسد يقولون :  
في أسنانه حفرة التحريك . وقد حفرته مثال تعيب تعباً وهى أردأ اللغتين ؛ قاله في الصباح .  
( أَيْدَا كُنَّا عِظَامًا تَحْمِرُ ) أى بالية مفتنة . يقال : تغير العظم بالكسر أى بلي وتفتت ؛ يقال :  
عظام تحمر وكذا قرأ الجمهور من أهل المدينة ومكة والشام والبصرة وأخضاره أبو عبيد ، لأن  
الأنار التى تذكّر فيها العظام نظرت فيها فراينا تحمر لا تانرة . وقرأ أبو عمرو وأبناه عبد الله  
وإبن عباس وإبن مسعود وإبن الزبير وحزرة والكسائي وأبو بكر « تَانَرَةٌ » بالف وأخضاره  
التزاة والطبري وأبو معاذ النحوى ؛ لوافق رموس الآى . وفي الصباح : والتأخر من العظام

التي تدخل الريح فيه ثم تخرج منه ولها تحيّر . ويقال : ما بها نحرأى ما بها أحد . حكاه يعقوب عن الباهل . وقال أبو عمرو بن السلاء : النّائرة التي لم تنخر بعد أى لم تل ولا بد أن تنخر . وقيل : النّائرة المبرّقة . وقيل : هاتان بمعنى ؛ كذلك يقول العرب : نخر الشيء فهو نخر ونأخر ، كقولهم : طمّيع فهو طمّيع وطاميعٌ وحذرٌ وحاذرٌ ويخل ويأخل وفيه وفاءه ؛ قال الشاعر :

يُطَلِّبُهَا الشَّيْخُ الَّذِي كَانَ بَادِتًا • يَسْدُبُ عَلَى عَوْجٍ لَّهُ تَغْيِرَاتِ

عَوْجٌ بِنَى قَوَائِمَ . وفي بعض النسخ : نّائرة بالالف بالياء وتغيرة تنخر فيها الريح أى عمر فيها على مكرس الأول ؛ قال :

• مِنْ بَسَدٍ مَا حَصِرَتْ عِظَامًا نَّائِرَةً •

وقال بعضهم : النّائرة التي أكلت أطرافها وبقيت أوساطها . والنّخرة التي فسدت كلها . وقال مجاهد : نخرة أى مرفوعة ؛ كما قال تعالى : « عِظَامًا وَرِقَاتًا » ونخرة الريح بالضم شدة هبوبها . والنّخرة أيضا والنّخرة مثال المُنْزَعَة مقدّم آتت الفرس والحمار والخنزير ؛ يقال : هَشَمَ نَخْرَتَهُ أى أهله . « قَالُوا يَلَيْكَ إِذَا كَرَّةٌ حَاسِرَةٌ » أى رجعة خائبة كاذبة باطلة أى ليست كائنة ؛ قاله الحسن وفيه . الربيع بن أنس : « حَاسِرَةٌ » على من كذب بها . وقيل : أى هى كرة خسران . والمعنى أهلها خاسرون ؛ كما يقال : تجارة رابحة أى يربح صاحبها . ولا شيء أخسر من كرة تقتضى المصير إلى النار . وقال قتادة ومحمد بن كعب : أى لئن رجعنا أحياء بعد الموت لنحشره بالنار ، وإنما قالوا هذا لأنهم أوعدوا بالنار . والكرّ الرجوع ؛ يقال : كَرِهَ وَكَرِهَ نَفْسَهُ يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى . والكرة المرة والجمع الكرات . « فَأَيُّهَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ » ذكر جل تساؤه سهولة البحث عليه فقال : « فَأَيُّهَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ » . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : فسقوا واحدة « فَأَيُّهَا هُمْ » أى الخلاق أجمعون « بِالسَّامِرَةِ » أى على وجه الأرض بعد ما كانوا فى بطنها . قال الفراء : سميت بهذا الاسم ؛ لأن فيها نوم

الحيوان وسهرم . والعرب تسمى القلادة وجه الأرض ساهرة بمعنى ذات سهر ؛ لأنه يسهر فيها خوفا منها فوصفها بصفة ما فيها ؛ وأستدل ابن عباس والمفسرون بقول أمية ابن أبي الصلت :

وفيا لحَم ساهرة وبَحِير • وما فاهوا به لَم مَقِيم

وقال آخر يوم ذى قار قوسه :

أَقْدَم حَاج إِنِّهَا الْأَسَورَة • وَلَا يُوَلِّسُكَ رَجُلٌ نَدَرَة  
فَأَنَا قَصْرُكَ تُرْبُ السَّاهِرَة • ثُمَّ تَمُودُ بِسَدِّهَا فِي الْحَاوِرَة  
مِنْ بَيْدٍ مَا صِرَتْ عِظَامًا تَانِرَة •

وفي الصباح : ويقال : الساهور ظل الساهرة وهي وجه الأرض . ومنه قوله تعالى : « فَأَذا مُمِ السَّاهِرَة » قال أبو كبير المَعْلَى :

يَرْتَدِّن سَاهِرَة سَكَّاتَ بَحِيمَهَا • وَعَيْبَهَا أَسْدَافُ لَيْلٍ مُظْلَمٌ<sup>(١)</sup>

ويقال : الساهور كالتللف للقمير يدخل فيه إذا كشف ، وأنشدوا قول أمية بن أبي الصلت :  
• قَرَّرَ سَاهورٌ يَسْلُ وَيُعَمِدُ •

وأنشدوا لآخر في وصف امرأة :

كَأَنَّهَا عِرْقِي سَامٍ عِنْدَ ضَارِيهِ • أَوْ شَفَّةٌ خَرَجَتْ مِنْ جَوْفِ سَاهورٍ<sup>(٢)</sup>

يريد شفة القمر . وقيل : الساهرة هي الأرض البيضاء . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : أرض من فضة لم يمسس الله جل ثناؤه طينا قط خلقها حينئذ . وقيل : أرض جندها

(١) هذه الأبيات الهمداني يوم القادسية وقد تقدم ذكرها . حجاج : أس فرس الشاعر . وفي اللسان مادة «نجر» : أهم أطنهم . ولا تبولك ربوس . وفي السنين : يادره . (٢) البطم باليم ، البيت الذي قد نبت وأرتمغ قليلا ولم يتم كل التمام ، والسم المكنى التام من البيت ، والأسداف جمع سدف بالتحريك وهو غلظة الليل . (٣) هذا كما ترم العرب في الجاهلية . (٤) ومعد البيت : لا تقي في غير أن عييه • (٥) كذا في نسخ الأصل التي بأيدينا والتي في اللسان مادة «سهر» أرفقة .

الله يوم القيامة . وقيل : الساهرة أسم الأرض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب عليها  
الخلاقي ، وفلك حين تبدل الأرض غير الأرض . وقال التورى : الساهرة أرض الشام .  
وهب بن منبه : جبل بيت المقدس . عثمان بن أبي العاتكة : إنه أسم مكان من الأرض  
بينه بالشام وهو الصقع الذي بين جبل أريحاء وجبل حسان<sup>(١)</sup> يمد الله كيف يشاء . قتادة :  
هى جهنم أى فإذا هؤلاء الكفار فى جهنم . وإنما قيل لها ساهرة ؛ لأنهم لا ينامون عليها  
حينئذ . وقيل : الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم ؛ أى يوقفون بأرض القيامة فيقوم  
السهر حينئذ . ويقال : الساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك ، لأن السراب  
يمر فيها من قولهم من ساهرة جارية الماء وفى ضلعا ناعمة ؛ قال الأشعث بن قيس :

وساهرة يقضى السراب مجللا • لاقطارها قد جفها منقلا

أولاًن سالكما لا ينام خوف الملكة .

قوله تعالى : هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَتْهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ  
الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَّ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ  
لَكَ إِلَهٌ أَن تَرَكَنِي ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَحْتَنِي ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ  
الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ  
فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ  
وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَحْتَسِبُ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى : ( هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ) أى  
قد جاءك وبلغك « حَدِيثُ مُوسَى » وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم . أى إن فرعون

كان أقوى من كفار عصرك ثم أخذناه وكذلك هؤلاء . وقيل : « هل » بمعنى « ما » أي ، ما أتاك ولكن أخبرت به فإن فيه عبرة لمن ينشى . وقد مضى من خبر موسى وفرعون في غير موضع ما فيه كفاية . وفي « طوى » ثلاث قراءات : قرأ ابن غيصن وابن عامر والكوفيون « طوى » متونا وأختره أبو عبيد حفصة الأسم . الباقر بن سيرين ؛ لأنه معلول مثل عمر وقم ؛ قال الفراء : طوى واد بين المدينة ومصر . قال : وهو معلول عن طاووكا بدل عمر عن عامر . وقرا الحسن وعكرمة « طوى » بكسر الطاء وروى عن أبي عمرو حل معنى المقدس مرة بعد مرة ؛ قاله الزجاج ؛ وأنشد :

أُعَانِدُ إِيَّكَ الْيَوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ . عَلَّ طَوَى مِنْ غَيْكِ الْمُتَرَدِّدِ

أي هو لوم مكرر على . وقيل : ضم الطاء وكسرهما لنتان وقد مضى في « طه » القول فيه . ( أَدْعَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ ) أي ناداه به لحذف لأن النداء قول ؛ فكانه ؛ قال له ربه « أَدْعَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ » . ( إِنَّهُ طَغَى ) أي جاوز القدر في المصيان . وروى عن الحسن قال : كان فرعون عجباً من قبحان . ومن مجاهد قال : كان من أهل إصطخفر . وعن الحسن أيضاً قال : من أهل أصبان يقال له ذو ظفر طوله أربعة أشبار . ( قُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزْكَى ) أي تسلم فتطهر من الذنوب . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : هل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله . ( وَأَهْبَيْكَ إِلَى رَبِّكَ ) أي وأرشدك إلى طاعة ربك ( تَتَخَشَّى ) أي تخافه وتقيه . وقرا نافع وابن كثير « تَزْكَى » بتشديد الزاي على إدغام التاء في الزاي لأن أصلها تترك الباقر : « تَزْكَى » بخفيف الزاي على معنى طرح التاء . وقال أبو عمرو : « تَزْكَى » بالتشديد [ تصدق بـ ] بالصدقة و « تَزْكَى » تكون زكياً مؤمناً . وإنما دعا فرعون ليكون زكياً مؤمناً . قال : فلهذا أسترنا التخفيف . وقال خضر بن جويرية :

(١) راجع ج ٧ ص ٢٥٦ فابعدا ج ١١ ص ٢٠٠ فابعدا ج ١٣ ص ٢٥٠ ببدا .

(٢) قاله علي بن زيد . (٣) راجع ج ١١ ص ١٧٥ .

(٤) الزيادة من الطبري وهي لا رنة .

لما بعث الله موسى إلى فرعون قال له : « أَتَعْبُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ » إلى قوله « وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ » ولن يفعل ؛ فقال : يارب وكيف أذهب إليه وقد علمت أنه لا يفعل ؟ فأوحى الله إليه أن أمض إلى ما أمرتك به فإن في السماء آتئى عشر ألف ملك يطلبون علم القدر فلم يبلغوه ولا يدركوه . ( فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ) أى العلامة العظمى وهى المعجزة . وثقل ز العصا . وقيل : اليد البيضاء عرق كالشمس . وروى الضحاك عن ابن عباس : الآية الكبرى قال العصا . الحسن : يده وعصاه . وقيل : فلق البحر . وقيل : الآية إشارة إلى جميع آياته ومعجزاته . ( فَكَلَّبَ ) أى كذب نبي الله موسى ( وَعَصَى ) أى عصى ربه عز وجل . ( ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ) أى ولى مذبذبا معرضا عن الإيمان « يَسْعَى » أى يعمل بالفساد فى الأرض . وقيل : يعمل فى نكايه موسى . وقيل : « أَذْبَرَ يَسْعَى » هاربا من الحية . ( لَحْشَرٌ ) أى جمع أصحابه ليمتوه منها . وقيل : جمع جنوده للقتال والحاربة والصحرة العارضة . وقيل : حشر الناس للظهور . ( فَتَادَى ) أى قال لهم بصوت عال ( أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ) أى لا رب لكم فوقى . ويروى : إن إبليس تصور لفرعون فى صورة الإنسان بمصر فى المنام فأنكره فرعون ، فقال له إبليس : ويحك ! أما تعرفنى ؟ قال : لا . قال : وكيف وأنت خلقتنى ؟ ألسنت الفسأل أنا ربكم الأعلى . ذكره الثعلبى فى كتاب السرائر . وقال عطاه : كان صنع لهم أصناما صنارا وأمرهم بعبادتها فقال أنا رب أصنامكم . وقيل : أراد القادة والسادة هودهم وأولئك هم أرباب السفلة . وقيل : فى الكلام تهديد وتأخير ؛ فتأدى لحشر ؛ لأن النداء يكون قبل الحشر . ( فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ) أى نكال قوله : « مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي » وقوله بعد : « أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى » قاله ابن عباس ومجاهد ومكرمة . وكان بين الكلمتين أربعون سنة ؛ قاله ابن عباس . والمعنى أمهله فى الأولى ثم أخذه فى الآخرة فعذب به بكليته . وقيل : نكال الأولى هو أن أمره ، ونكال الآخرة العذاب فى الآخرة . قاله قتادة وغيره . وقال مجاهد : هو عذاب أول عمره وآخره . وقيل : الآخرة قوله « أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى » والأولى تكذيبه لموسى . عن قتادة أيضا .

و « نَكَالَ » منصوب على المصدر المؤكد في قول الزجاج ؛ لأن معنى أخذه الله نكل الله به فانرج [ نكَل ] مكان مصدر من مناه لا من لفظه . وقيل : نصب بترج حرف الصفة ؛ أى فآخذه الله بنكال الآخرة فلما تُرِع الخافض نصب . وقال الفراء : أى أخذه الله أخذا نكالا أى للنكال . والنكال أسم لما جعل نكالا للنير أى عقوبة له حتى يستبره . يقال : نكل فلان بفلان إذا أخذه عقوبة . والكلمة من الاستماع ومنه النكول عن اليمين والنكلُ التبد . وقد مضى في سورة « المزمل » والحمد لله . ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً ) أى اعتبارا وعظة . ( لِيَنْبَشَى ) أى يخاف الله عز وجل .

قوله تعالى : « أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۖ رَفَعَ سَمَكَهَا ۖ فَسَوَّيْنَاهَا ۖ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۖ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۖ أَنْجَرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۖ وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا ۖ مَتْنَعًا لَكُمْ وَلِتَعْلَمِكُمْ ۖ »

قوله تعالى : ( أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا ) يريد أهل مكة أى أخفكم بعد الموت أشد في تقديرهم ( أَمَ السَّمَاءُ ) فن قدر على السماء قدر على الإطادة ؛ كقوله تعالى : « تَخْلُقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ » وقوله تعالى : « أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ » معنى الكلام الطرح والتوبيخ . ثم وصف السماء فقال : ( بَنَاهَا ) أى رفعها فوقكم كالبناء . ( رَفَعَ سَمَكَهَا ) أى أعل سقفها في الهواء ؛ يقال : سمكت الشيء أى رفسته في الهواء وسمكت الشيء سموكا أرفع . وقال الفراء : كل شيء حمل شيئا من البناء وغيره فهو تميك . وبناء سَمُوكَ وَسَتَامَ سَامِكُ تَامِكُ أى عالي والمسموكات السموات . ويقال : أَسَمَكُ فى الدِّمِّ أى أصعد فى الدرجة .

(١) زيادة تفضيها لليلة . (٢) تابع ص ٤٥ من هذا الجزء . (٣) الذى فى اللغة المسكات ككلمات وردت لكلك فى الخبر ووصح الحاج أن المسوكات لغة لا من وبها ورد الخبر من طريق آخر .

قوله تعالى : ( فَسَوَّاهَا ) أى خلقها خلقا مستويا لا تفاوت فيه ولا شقوق ولا فطور .  
 ( وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ) أى جعله مظلمًا ، غطش الليل وأغطشه الله ؛ كقولك : غلِمَ<sup>(١)</sup> الليل [ وأظلمه الله . ويقال أيضا : أغطش الليل بنفسه وأغطشه الله ؛ كما يقال : أظلم الليل وأظلمه الله . والغطش والغبش الظلمة ورجل أغطش أى أعمى أو شبه به وقد غطش المرأة غطشاء ؛ ويقال : ليلة غطشاء وليل أغطش ، وفلاة غطشى لا يبتدى لها ؛ قال الأعشى :  
 وَيَهْمَاءُ بِالْقَيْلِ غَطَّشَى الْقَلَا • هـ بِؤْسُنِي صَوْتُ قِيَادِهَا<sup>(٢)</sup>

وقال الأعشى أيضا :

عَقَرْتُ لَهْمَ مَوْتِهَا نَائِسَى • وَغَاوَرَهُمْ مَدْلِسُ غَطَشِ

يعنى بغاويرهم أي لهم لأنه غمرهم بسواده . وأضاف الليل إلى السماء لأن الليل يكون يغروب الشمس والشمس مضاف إلى السماء ؛ ويقال : نجوم الليل لأن ظهورها بالليل • ( وَأَخْرَجَ مُخْتَلِمًا ) أى أبرز نهارها وضوءها وشمسها . وأضاف الضياء إلى السماء كما أضاف إليها الليل ؛ لأن فيها سبب الظلام والضياء وهو غروب الشمس وطلوعها • ( وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ) أى بسطها . وهذا يشير إلى كون الأرض بعد السماء . وقد مضى القول فيه في أول « البقرة » عند قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى<sup>(٣)</sup> إِلَى السَّمَاءِ » مستوفى . والمصرب تقول : دحوت الشيء أدحوه دحوا إذا بسطته . ويقال لئش النعامة أدحى ؛ لأنه مبسوط على وجه الأرض . وقال أمية بن أبى الصلت :

وَبَتَّ الْخَلْقَ فِيهَا إِذْ دَحَاهَا • فَهُمْ قَطَائُهَا حَتَّى التَّادَى

وأتشد المبرد :

دَحَاهَا فَلَمَّا رَأَى أَسْتَوَتْ • عَلَى الْمَاءِ أَرَسَى عَطِيَا الْجِبَالِ

(١) هذه لفظة من اللسان من القراء قال : ظم الليل بالكسر وأظلم بمعنى .

(٢) القيد يفتح الفاء وضعا ذكر اليوم . (٣) راجع ج ١ ص ٢٥٥ قاصدا .

(٤) مضى هذا البيت في ج ١ ص ١٥٠ قاصدا : سكتها . والمعنى واحد .

وقيل : دحاها سواها ؛ ومنه قول زيد بن عمرو :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ \* لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ حُمْرًا نَقَالًا  
دَحَاهَا فَلَمَّا أَسْرَتْ شَدَّهَا \* بِأَيْدٍ وَأَرْمَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا

ومن ابن عباس : خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألف عام ثم دحيت الأرض من تحت البيت . وذكر بعض أهل العلم أن «بَدَّ» في موضع «مع» كأنه قال : والأرض مع ذلك دحاها ؛ كما قال تعالى : «مَثَلُ بَدَدِ ذَلِكَ زَيْمٌ» . ومنه نولم : أنت أحمق وأنت بدد هذا مائة الخلق ؛ قال الشاعر :

قُلْتُ لَهَا غَيَّ إِلَيْكَ فَأَجَبِي \* حَرَامٌ وَإِنِّي بَدَدُ ذَلِكَ لَيْبِي

أى مع ذلك ليب . وقيل : بدد بمعنى قبل ؛ كقوله تعالى : «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَدَدِ الذِّكْرِ» أى من قبل الفرقان ؛ قال أبو نوح المصنف :

حَدَّثْتُ لِمَنْ بَدَدُ حُرُورَةً إِذْ نَجَا \* خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرَّاهُونَ مِنْ بَعْضِ

وزعموا أن خراشا نجا قبل حرورة . وقيل : «دَحَاهَا» حرثها وشقها . قاله ابن زيد . وقيل : دحاها مهدها للأقوات . والمعنى متقارب . وقراءة العامة «وَالْأَرْضُ» بالنصب أى دحا الأرض . وقرأ الحسن وعمر بن ميمون «وَالْأَرْضُ» بالرفع على الابتداء (رجوع الماء . ويقال : دحا يدحو دحواً ودحى يدحى دحياً ؛ كقولهم : طغى يطغى ويطنو ويطنو ويطنى يطغى ويحايغو ويحوي ويحى المود يطغى ويحوي فن قال : يدحو قال دحوت ومن قال يدحى قال دحيت . (أَخْرَجَ مِنْهَا) أى أخرج من الأرض (مَاءَهَا) أى العيون المنفجرة بالماء . (وَمَرَعَاهَا) أى النبات الذى يرمى . وقال القتيبي : دل بشطين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومناعاً للأنعام من العشب والشجر والحب والتمر والعصف والحطب واللباس والثار والملح ؛ لأن الثار من العبدان والملح من الماء . (وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا) قراءة العامة «وَالْجِبَالُ» بالنصب أى وأرمى الجبال «أَرْسَاهَا» يعنى أثبتها فيها أوتاداً لها . وقرأ

الحسن وعمر بن ميمون وعمر بن حيد ونصر بن ماص « والحبال » بالغ على الابتداء .  
 ويقال : ملا أدخل حرف المطف على « أُنْزَجَ » فيقال : إنه حال يا ضار قد ؛ كقوله تعالى :  
 « حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ » . ( مَتَاعًا لَكُمْ ) أى منفعة لكم . ( وَلَا تَأْمُرُهُمْ ) من الإبل والبقر والغنم .  
 و « مَتَاعًا » نصب على المصدر من غير اللفظ ؛ لأن معنى « أُنْزَجَ مِنْهَا مَتَاعًا وَمِنْهَا مَنَاعًا » أمتنع  
 بذلك . وقيل : نصب بإسقاط حرف الصفة تقديره لثمتوا به متاعا .

قوله تعالى : فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ  
 الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٢٥﴾ وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٢٦﴾

قوله تعالى : ( فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ) أى الداهية العظمى ، وهى العنفة الثانية  
 التى يكون معها البعث ؛ قاله ابن عباس فى رواية الضحاك عنه وهو قول الحسن . ومن  
 ابن عباس أيضا والضحاك أنها القيامة ؛ سميت بذلك لأنها تَطْم على كل شئ ، فتم مساوها  
 لعظم هولها ؛ أى تغلبه . وفى أمثالهم : جرى الوادى فطم على القرى .

المبرد : الطامة عند العرب الداهية التى لا استطاع ، وإنما أخذت نيا أحسب من قولهم :  
 طم الفرس طميا إذا استفرغ جهده فى الجرى ، وطم الماء إذا ملأ النهر كله . غيره : هى  
 مأخوذة من طم السيل الزكية أى دفنها والطم الدفن والعلو . وقال القاسم بن الوليد الحمداوى :  
 الطامة الكبرى حين يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار . وهو معنى قول مجاهده  
 وقال سفيان : هى الساعة التى يسلم فيها أهل النار إلى الزبانية . أى الداهية التى طمت  
 وعظمت ؛ قال :

إِنْ بَعْضُ الْحَبِّ يُعْمَى وَيُعْمَ • وَكَذَلِكَ الْبُخْصُ أُدْمَى وَأَطْمَ

(١) القرى بجري الماء فى الرعدة والجمع أقرية وأقراء وقريان ؛ ويضرب الخيل عند تجاوز الشئ حده .

(٢) الزكية ، البئر ؛ أى جرى سيل الروادى .

(يَوْمَ يَنْذَرُ الْإِنْسَانُ مَا سَئَى) أى ما عمل من خير أو شر. (وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ) أى ظهرت. (لَمَنْ يَرَى) قال ابن عباس : يكشف عنها تنلقى قيرها كل ذى بصير. وقيل : المراد الكافر لأنه الذى يرى النار بما فيها من أصناف السذاب. وقيل : يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة ويصل الكافر بالنار. وجواب « فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ » عذوف أى إذا جاءت الطامة دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة. وقرأ مالك بن دينار : « وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ » عِزَّةً وَغِيْرَهُ « لَمَنْ تَرَى » بالنساء أى لمن تراه الجحيم أو لمن تراه أنت يا محمد. وانطلاقاً له عليه السلام والمراد به الناس.

قوله تعالى : فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿١٠٠﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٠١﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿١٠٢﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَبَى النُّفْسَ ﴿١٠٣﴾ عَنْ الْمَوْتِ ﴿١٠٤﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿١٠٥﴾

قوله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ طَغَى. وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) أى تجاوز الحد فى المعيان. قيل : نزلت فى النضر وأبنة الحرث، وهى عامة فى كل كافر آثر الحياة الدنيا على الآخرة. وروى عن يحيى بن أبى كثير قال : من أخذ من طعام واحد ثلاثة ألوان فقد طغى. وروى جوير عن الضحاك قال قال حذيفة : أخوف ما أخاف على هذه الأمة أن يؤثروا ما يرون على ما يملكون. <sup>(١)</sup> وروى أنه وجد فى الكتب : إن الله جل ثناؤه قال « لا يؤثر عبد لى دنياه على آخرته إلا بنتت عليه هوميه وصبيحته ثم لا أبالى فى أيها حلك ». (فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى) أى مأواه. والآلف واللام بدل من الهاء. (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) أى حذر مقامه بين يدى ربه. وقال الربيع : مقامه يوم الحساب. وكان قتادة يقول : إن الله عز وجل مقامه قد خافه المؤمنون. وقال مجاهد : هو خوفه فى الدنيا من الله عز وجل عند موازنة الذنوب

(١) فى بعض النسخ : ما يملكون. (٢) فى نسخة : ووضيحه.

فيلعل ؛ نظيره : « وَلَمَّا خَفَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانٍ » . ( وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ) أي زجرها  
 عن الماصي والمحارم . وقال سهل : ترك الهوى مفتاح الجنة ؛ لقوله عز وجل : « وَأَمَّا مَنْ  
 خَفَّ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ » قال عبد الله بن مسعود : أتم في زمان يقود  
 الحق الهوى وسيأتي زمان يقود الهوى الحق ، فتعود بالله من ذلك الزمان . ( فَإِنَّ الْجَنَّةَ مِثْلَ  
 النَّمَرِ ) أي المثل . والآيتان نزها في مصعب بن عمير وأخيه عامر بن عمير ؛ فزوى الضحاك  
 عن ابن عباس قال : أما من طغى فهو أخ لمصعب بن عمير أسير يوم بدر ، فأخذته الأنصار  
 فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا أخو مصعب بن عمير ، فلم يشدوه في الوقت وأكرومه وبيتوه  
 عندهم ، فلما أصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه ؛ فقال : ما هو لي بأخي ، شئنا أسيركم  
 فإن أمه أكثر أهل البطحاء حلياً ومالا . فأوقوه حتى يشت أنه في فدايه . « وَأَمَّا مَنْ  
 خَفَّ مَقَامَ رَبِّهِ » لمصعب بن عمير ؛ وقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم أحد  
 حين تقوى الناس عنه حتى غلظت المشاقص في جوفه . وهي المهاد ، فلما رآه رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم مشحطاً في دمه قال : « عند الله أحسبك » وقال لأصحابه : « لقد  
 رأيته وعليه بردان ما تعرف قيمتهما وإن شراك نعليه من ذهب » . وقيل : إن مصعب بن  
 عمير قتل أخاه عامراً يوم بدر . ومن ابن عباس أيضاً قال : نزلت هذه الآية في رجلين  
 أبي جهل بن هشام المخزومي ومصعب بن عمير العبدري . وقال السدي : نزلت هذه الآية  
 « وَأَمَّا مَنْ خَفَّ مَقَامَ رَبِّهِ » في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ وذلك إن أبا بكر كان له  
 غلام يأتيه بطعام ، وكان يسأله من أين أتيت بهذا ، فأباه يوماً بطعام فلم يسأله وأكله ؛  
 فقال له غلامه : لِمَ لا نسألي اليوم ؟ فقال : نسيت لمن أين لك هذا الطعام . فقال :  
 تكلمت لقوم في الجاهلية فأعطوني . فتأباه من ساعته وقال : يا رب ما بقي في العروق  
 فانت حسبه فنزلت : « وَأَمَّا مَنْ خَفَّ مَقَامَ رَبِّهِ » . وقال الكلبي : نزلت في من هم بمعصيته  
 وقدر عليها في خلوة ثم تركها من خوف الله . ونحوه عن ابن عباس . يعني من خاف عند  
 المعصية مقامه بين يدي الله فاتمى عنها والله أعلم .

قوله تعالى : يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿١٧﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿١٨﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿١٩﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا ﴿٢٠﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُورَثُهَا لِرَبِّهَا لَدَىٰ عَصِيئَةٍ أَوْ نَحْوِهَا ﴿٢١﴾

قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) قال ابن عباس : سأل مشركو مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تكون الساعة استهزاء ، فأزل الله عز وجل الآية . وقال عروة بن الزبير في قوله تعالى : (فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا) لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى نزلت هذه الآية (إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا) . ومعنى «مُرْسَاهَا» أى قيامها . قال الفراء : رسوها قيامها كرسو السفينة . وقال أبو عبيدة : أى منتهاها ، ومرسا السفينة حيث تتهي . وهو قول ابن عباس . الربيع بن أنس : متى زمانها . والمعنى متقارب . وقد مضى في «الأعراف» بيان ذلك . وعن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا تقوم الساعة إلا بنضبة يفضيها ربك» . «فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا» أى فى أى شئ أنت يا محمد من ذكر القيامة والسؤال عنها ؟ وليس لك السؤال عنها . وهذا معنى ما رواه الزهري عن عروة بن الزبير قال : لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى نزلت «فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا» . «إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا» أى انتهى علمها ، فكأنه عليه السلام لما أكثروا عليه سأل الله أن يصرفه ذلك فقبل له : لا تسأل فلست فى شئ . من ذلك . ويعوز أن يكون إنكارا على المشركين فى مسألتهم له ، أى فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا حتى يسألك بآية ولست بمن يعلمه . روى عنه من ابن عباس . والذكرى بمعنى الذكر . «إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا» أى انتهى علمها فلا يوجد عند غيره علم الساعة ؛ وهو كقوله تعالى : «قُلْ إِنَّمَا مَعَهَا مَنُذِرٌ» وقوله تعالى : «إِنَّ اللَّهَ مَعَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» . (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا)

(١) قال الفراء : كقولك قام الليل وقام الحق أى ظهر ونبت .

(٢) راجع به ٧ ص ٣٣٠ فافهم .

أى مخوف ؛ وخص الإنذار بمن يخشى لأنهم المستغفون به وإن كان من ذل لكل مكلف ؛ وهو كقوله تعالى : « إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخِشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ » . وقراءة العامة « مُنْذِرٌ » بالإضافة غير منون ؛ طلب التخفيف وإلا فاصله التنوين ؛ لأنه المستقبل وإنما لا يتنوين في الماضي . قال المراء : يجوز التنوين وتركه ؛ كقوله تعالى : « بِأَلْبَغِ أَمْرَهُ » و « بِأَلْبَغِ أَمْرِهِ » و « مُؤْمِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ » و « مُؤْمِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ » والتنوين هو الأصل وبه قرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج وأبن محيصن وحميد وعياش عن أبي عمرو « مُنْذِرٌ » منصوبا وتكون في موضع نصب والمضى إنما يقطع بإنذارك من يخشى الساعة . وقال أبوعل : يجوز أن تكون الإضافة للماضي نحو ضارب زيد أمس ؛ لأنه قد فعل الإنذار ، والآية رد على من قال : أحوال الآخرة غير محسوسة وإنما هي راحة الروح أو ظمها من غير حس . ( كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا ) يعنى الكفار يرون الساعة ( لَمْ يَلْبِثُوا ) أى فى دنيام ( إِلَّا عَشِيَّةً ) أى قدر عشية ( أَوْ مَخْلَصًا ) أى أوقدر الضحا الذى يلى تلك العشية ، والمراد تقليل مدة الدنيا كما قال تعالى : « لَمْ يَلْبِثُوا إِلَّا مَسَاعَةً مِنْ نَهَارٍ » . وروى الضحاك عن ابن عباس : كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا يوما واحدا . وقيل : « لَمْ يَلْبِثُوا » فى قيومهم « إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ مَخْلَصًا » وذلك أنهم استقصروا مدة لبثهم فى القبور لما عاينوا من الهول . وقال التراز : يقول القائل وهل للعشية ضحا ؟ وإنما الضحا لصدر النهار ولكن أضيف الضحا إلى العشية وهو اليوم الذى يكون فيه على عادة العرب ؛ يقولون : آتتكم النسلأة أو عشيتنا ، وآتتكم العشية أو ضللتنا ، فتكون العشية فى معنى آخر النهار ، والنسلأة فى معنى أول النهار ؛ قال :  
وَأَتْنَدِنِ بِمَعْزِ بْنِ حَقِيلِ :

تَحْنُ صَبِيحَتَا عَامِرًا فِي ذَاكِهَا • جُرْمًا تَعَادَى طَرَقَ نَهَارِهَا

• عَشِيَّةُ الْهَلَالِ أَوْ سِرَارِهَا •

أراد عشية الهلال أو عشية سِرَارِ العشية ، فهو أشد من آتتكم اللنداء أو عشيتنا .

## سورة عبس

مكية في قول الجميع، وهي إحدى وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : عَبَسَ وَتَوَلَّى ① أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ② وَمَا يُدْرِيكَ  
لَعَلَّهُ يَزْكِي ③ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ آدَمُ ذِكْرَى ④

فيه ست مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( عَبَسَ ) أى كبح بوجهه ؛ يقال : عبس وعبس . وقد تقدم .  
( وَتَوَلَّى ) أى أعرض بوجهه ( أَنْ جَاءَهُ ) « أَنْ » فى موضع نصب لأنه مفعول له ، المعنى  
لأن جاءه الأعمى أى الذى لا يبصر بينيه . فروى أهل التفسير أجمع أن قوما من أشرف  
قريش كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد طمع فى إسلامهم ، فأقبل عبد الله بن  
أم مكتوم ، فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطع عليه كلامه فأعرض عنه ، ففیه  
نزلت هذه الآية . قال مالك : إن هشام بن عروة حدثه عن عروة أنه قال نزلت « عَبَسَ  
وَتَوَلَّى » فى ابن أم مكتوم ، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجلس يقول : يا محمد أستدقني<sup>(١)</sup>  
وعند النبي صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين ، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم يرض  
عنه ويقبل على الآخر ويقول : « يا فلان هل ترى بما أقول بأسا » فيقول : لا والدي<sup>(٢)</sup>  
ما أرى بما أقول بأسا ، فأقر الله « عَبَسَ وَتَوَلَّى » . وفى الترمذى مسندا قال : حدثنا سعيد  
ابن يحيى بن سعيد الأموى ، حدثني أبي ، قال هذا ما عرضنا على هشام بن عروة من أبيه عن  
حائشة ، قالت : نزلت « عَبَسَ وَتَوَلَّى » فى ابن أم مكتوم الأعمى أى رسول الله صلى الله عليه

(١) الرواية هنا وفى ابن الحرب يا عبد ، والمتهور فى الخبر يا رسول الله علفى ما طبع الله . وفى رواية : يا رسول  
الله علفى ، كما ساق الصنف . (٢) الذى جمع حمية وحب الصورة ، ويريد بها الاسم .

وسلم فجعل يقول : يا رسول الله أرشدني ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ، ويقول : " أنزى بما أقول بأسا " فيقول : لا ؛ ففى هذا نزلة ؛ قال هذا حديث غريب .

الثانية — الآية عتاب من الله لنبى صلى الله عليه وسلم فى إعراضه وتولييه عن عيادته ابن أم مكتوم . ويقال : عمرو بن أم مكتوم ، وأسم أم مكتوم حاتكة بنت عامر بن مخزوم ، وعمره هذا هو ابن قيس بن زائدة بن الأصم ، وهو ابن خال خديجة رضى الله عنها . وكان قد تنازل عنه رجل من عظماء المشركين يقال كان الوليد بن المغيرة ؛ ابن العربى : قاله المالكية من طوائف ، وهو يكنى أبا عبد شمس . وقال قتادة : هو أمية بن خلف وعنه أبى بن خلف . وقال مجاهد : كانوا ثلاثة حبة وشية أبنا ربيعة وأبى بن خلف . وقال عطاء : حبة بن ربيعة . سفيان الثوري : كان النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس . الزعفراني : كان عنده صناديد قريش حبة وشية أبنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعومهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم فيهم . قال ابن العربى : أما قول طوائف إنه الوليد بن المغيرة فقد قال آخرون إنه أمية بن خلف والعباس وهذا كله باطل وجهل من المفسرين الذين لم يصفقوا الذين ، وذلك أن أمية بن خلف والوليد كانا بمكة وابن أم مكتوم كان بالمدينة ما حضر منهما ولا حضرا معه ، وكان موتهما كافرين أحدهما قبل الهجرة والآخر بيدر ، ولم يقصد قط أمية المدينة ولا حضر عنده مفردا ولا مع أحد .

الثالثة — أقبل ابن أم مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بن حضرة من وجوه قريش يدعومهم إلى الله تعالى ، وقد قوى طمعه فى إسلامهم وكان فى إسلامهم إسلام من وراهم من قومهم ، بغاء ابن أم مكتوم وهو أعمى فقال : يا رسول الله قلنى مما عاكك الله ؛ وجعل يتناديه ويكثر النداء ولا يدرى أنه مشغول بغيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعه كلامه ، وقال فى نفسه : يقول هؤلاء إنما أتباعه العميان والسفلة

والعبيد ، فممس وأعرض عنه فزلت الآية . قال الثوري : فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يسقط له رداءه ويقول : « مرحبا بمن عاتني فيه ربي » ويقول : « هل من حاجة » . واستخفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما ، قال أنس : فرأيت يوم القادسية راجعا عليه درع ومعه راية سوداء .

الرابعة - قال ملاؤنا : ما فصله ابن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالما بأن النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره وأنه يرجو إسلامهم ، ولكن الله تبارك وتعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصفة ، أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الثني ، وكان النظر إلى المؤمن أولى وإن كان فقيرا أصحح وأولى من الأمر الآخر ، وهو الإقبال على الأغنياء طمعا في إيمانهم ، وإن كان ذلك أيضا نوعا من المصلحة ، وعلى هذا يخرج قوله تعالى : « مَا كَانَ لِإِيْتِي أَنْ يَكُونَ لَهٗ نَاصِرٌ » الآية على ما تقدم . وقيل : إنما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تأليف الرجل ثقة بما كان في قلب ابن أم مكتوم من الإيمان ، كما قال : « إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه مخافة أن يكبه الله في النار على وجهه » .

الخامسة - قال ابن زيد : إنما ممس النبي صلى الله عليه وسلم لابن أم مكتوم وأعرض عنه ، لأنه أشار إلى الذي كان يقوده أن يكفه ، فدلغه ابن أم مكتوم وأبى إلا أن يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يصله ، فكان في هذا نوع جفاء منه . ومع هذا أنزل الله في حقه على نبيه صلى الله عليه وسلم : « مَسَّ وَتَوَلَّى » بلفظ الإخبار عن السامع تعظيما له ولم يقل : « مسست وتوليت » ثم أقبل عليه بمواجهة الخطاب تأنيضا له فقال : « وَمَا يَذْرِيكَ » أي يملكك (لعله) يعني ابن أم مكتوم (يَزْكِي) بما استدعى منك طيعته إياه من القرآن والذين بأن يزداد طهارة في دينه ، وزوال ظلمة الجهل عنه . وقيل : الضمير في « لَعَلَّه » للكافر يعني إنك إذا طمعت في أن يترك الإسلام أو يذكرك تقربه الذكري إلى قبول الحق

(١) راجع به ٨ ص ٤٥٥ فابعدا .

(٢) في نسخة : تعظيما .

وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن . وقرا الحسن « **أَأَنْ جَاءَهُ الْأَمْسَى** » بالمد على الألفين .  
فهمان « متعلقة بفعل عنوف دل عليه « **مَسَّ وَتَوَلَّى** » التقدير **أَنْ جَاءَهُ** أمرض عنه وتولى ؟  
فيوقف على هذه القراءة على « **وَتَوَلَّى** » ولا يوقف عليه على قراءة الخبر وهي قراءة العامة .

السادسة — نظير هذه الآية في الكتاب قوله تعالى في سورة الأنعام : « **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ** » وكذلك قوله في سورة الكهف : « **وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** » وما كان مثله ، والله أعلم . ( **أَوْ يَذَّكَّرُ** ) يتعظ بما يقول ( **فَتَنْفَعُهُ** ) الذي كرى ( **أَي** ) العلة . وقراءة العامة « **فَتَنْفَعُهُ** » بضم العين عطفا على « **يَذَّكَّرُ** » . وقرا طام وأبن أبي إسحق وميسى « **فَتَنْفَعُهُ** » نصبا . وهي قراءة السلي ووزد بن حيش على جواب لعل لأنه غير موجب ، كقوله تعالى : « **لَعَلَّ أَتْلُجَ الْأَنْشَابِ** » ثم قال : « **فَأَطْلِعَ** » .

قوله تعالى : **أَمَّا مِنْ أَسْتَفْتَى ⑤ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ①**  
**وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ⑥ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ④ وَهُوَ يَخْشَى ③**  
**فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ⑦**

قوله تعالى : ( **أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى** ) أى كان ذا ثروة وفقى ( **فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى** ) أى تعرض له وتصدى لكلامه . والتصدى الإصغاء ؛ قال الراعى :

تَصَدَّى لَوْضَاجٍ كَأَنَّ جِيلَهُ • سِرَاجُ الدُّبَى يَهْتَفِ إِلَى الْأَمَّاورِ<sup>٢١</sup>

وأصله تصد من الصد وهو ما استقبلك وصار قبلك ؛ يقال : دارى صد داره أى قبالتها ،  
نصب على الظرف . وقيل : من الصدى وهو العطف . أى تعرض له كما يتعرض العطفان  
لله والمصاداة المعارضة . وقراءة العامة « **تَصَدَّى** » بالتخفيف على طرح التاء الثانية تخفيفا .

( ١ ) قال الزحمرى : وقرأ « **أَنْ** » بوزن ألف بينهما .

( ٢ ) الإسراء ( بكر الحزرة وصيها ) فائدة نفوس ، وقيل : هو الجبل الذى بالسهم ، وقيل : هو الجبل القبات على

فارس ، والجمع أساور وأساور .

وقرأ تابع وآمن مجيئاً بالشديد على الإقدام . (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزُكِّيَ) أى لا يتدى هذا الكافر ولا يؤمن إنما أنت رسول ما عليك إلا البلاغ .

قوله تعالى : (وَأَمَّا مَنْ حَمَلَ يَتْسَى) يطلب العلم لله (وَهُوَ يَتَحَنَّى) أى يخاف الله (فَأَنَّتْ عَنْهُ تَقَى) أى تعرض عنه بوجهك وتشتغل بشيء . وأصله تلهى ، يقال : لميت عن الشيء ألقى أى تشاغله عنه . وتلهى التناقل ولميت عنه وتلهيت بمعنى .

قوله تعالى : كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ١١ فَنِ شَاءَ ذَكْرُهُ ١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ١٣ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ١٦

قوله تعالى : (كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ) «كَلَّا» كلمة ردع وزجر ، أى ما الأمر كما فعل مع الغريرين ، أى لا تفعل بسدما مثلها من إقبالك على النفي وإعراضك عن المؤمن الغفير . والذي جرى من النبي صلى الله عليه وسلم كان ترك الأولى كما تقدم ، ولو حصل على منبره لم يتعد ، قاله القسري . والوقف على «كَلَّا» على هذا الوجه جائز . ويجوز أن وقف على «تَلْهَى» ثم تبدى «كَلَّا» على معنى حقا . (إِنَّهَا) أى السورة أو آيات القرآن (تَذْكِرَةٌ) أى موعظة وتبصرة للخلق (فَنِ شَاءَ ذَكْرُهُ) أى أتعط بالقرآن . قال الجرجاني : «إِنَّهَا» أى القرآن والقرآن مذكر إلا أنه لما جعل القرآن تذكرة أخرجته على لفظ التذكرة ولو ذكره بلحاظ كما قال تعالى في موضع آخر : «كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ» . ويدل على أنه أراد القرآن قوله : «فَنِ شَاءَ ذَكْرُهُ» أى كان حافظا له غير ناس ، وذكر الضمير لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ . وروى الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى : «فَنِ شَاءَ ذَكْرُهُ» قال من شاء الله تبارك وتعالى الحمد . ثم أخبر عن جلالته فقال : (فِي صُحُفٍ) جمع صحيفة (مُكْرَمَةٍ) أى عند الله ، قاله السدي . الطبري : «مُكْرَمَةٍ» في الدين لما فيها من العلم والحكم . وقيل : «مُكْرَمَةٍ» لأنها نزل بها كرام الحفظة ، أولائها نازلة من اللوح المحفوظ . وقيل : «مُكْرَمَةٍ»

لأنها نزلت من كريم ، لأن كرامة الكاتب من كرامة صاحبه . وقيل : المراد كتب الأنبياء ؛  
 دليله : « إِنَّ هَذَا لَتَى الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَنُوحٍ » . ( مَرْفُوعَةٌ ) رفيعة  
 القدر عند الله . وقيل : مرفوعة عنده تبارك وتعالى . وقيل : مرفوعة في السماء السابعة ،  
 قاله يحيى بن سلام . الطبري : مرفوعة الذكر والقدر . وقيل : مرفوعة من الشبه  
 والتنافس . ( مَطْهَرَةٌ ) قال الحسن : من كل نفس . وقيل : مصانة عن أن ينالها الكفار .  
 وهو معنى قول السدي . وعن الحسن أيضا : مطهرة من أن تنزل على المشركين .  
 وقيل : أي القرآن أثبت للملائكة في صحف يقرعونها فهي مكرمة مرفوعة مطهرة .  
 ( يَأْيُذِي سَفَرَةً ) أي الملائكة الذين جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله فهم بررة لم يتدنسوا  
 بعمية . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : هي مطهرة تجعل التطهير لمن حلها  
 « يَأْيُذِي سَفَرَةً » قال : كَتَبَتْ . وقوله مجاهد أيضا . وهم الملائكة الكرام الكاتبون لأعمال  
 الباد في الأسفار التي هي الكتب واحدهم سافر ، كفوك : كاتب وكتبة . وقال :  
 صفت أي كتبت والكتاب هو السفر وجمعه أسفار . قال الزجاج : وإنما قيل للكتاب  
 سفرٌ بكسر السين والكتاب سافر ، لأن معناه أنه بين الشيء ويوحى به . يقال : أسفر الصبح  
 إذا أضاء ، وسفرت المرأة إذا كشفت الثياب عن وجهها . قال : ومنه سفرت بين القوم  
 أسفيرة فارة أصلحت بينهم . وقاله الفراء وأشد :

لَا أَدْعُ السَّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي • وَلَا أَشْيِي بِشَيْءٍ إِنْ مَشَيْتُ

والسفير الرسول والمصلح بين القوم وأجمع سفراء مثل قتيبه وبقعاء . ويقال لوزائق سفراء  
 بلسة البرانية . وقال قتادة : السفرة هنا هم القراء لأنهم يقرعون الأسفار . وعنه أيضا كفول  
 ابن عباس . وقال وهب بن منبه : « يَأْيُذِي سَفَرَةً » كرام بررة هم أصحاب النبي صلى الله  
 عليه وسلم . قال ابن العربي : لقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة كراما  
 بررة ، ولكن ليسوا بمرادين بهذه الآية ، ولا قاربوا المرادين بها ، بل هي لفظة مخصوصة  
 بالملائكة عند الإحلاق ، ولا يشاركهم فيها سواهم ، ولا يدخل معهم في تناولها غيرهم . وروى

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « [مثل] <sup>(١)</sup> الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السريرة الكلام البررة ومثل الذي يقرؤه وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران » متفق عليه واللفظ البخاري . ( كَرَام ) أي كرام على ربهم ؛ قاله الكلبي .  
الحسن : كرام من العاصي فهم يرضون أنفسهم عنها . وروى الضحاك عن ابن عباس في « كَرَام » قال : يتكبرون أن يكونوا مع آبن آدم إذا خلا بزوجه أو تبرز لفاتله . وقيل : أي يؤثرون منافع نفهم على منافع أنفسهم . ( بَرَّة ) جمع بار مثل كافر وكفرة ، ومنابر وصبرة ، وفاجر وبجرة ؛ يقال : برَّ وإذا كان أهلا للصدق ، ومنه برّ فلان في بيته أي صدق ، وفلان يبرّ خالقه ويبرّره أي يطيعه ؛ فعنى « بَرَّة » مطيعون لله صادقون لله في أعمالهم . وقد مضى في سورة « الواقعة » قوله تعالى : « إِنَّهُ لَقَرَّانٌ <sup>(٢)</sup> . كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ » أنهم الكلام البررة في هذه السورة .

قوله تعالى : قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ <sup>(٣)</sup> مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ <sup>(٤)</sup> مِنْ نَفْثَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ <sup>(٥)</sup> ثُمَّ أَسْبَلَ سِرَّهُ <sup>(٦)</sup> ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ <sup>(٧)</sup> ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ <sup>(٨)</sup> كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ <sup>(٩)</sup>

قوله تعالى : ( قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ) « قُتِلَ » أي لُين . وقيل : مُدْب . والإنسان الكافر . روى الأعمش عن مجاهد قال : ما كان في القرآن « قُتِلَ الْإِنْسَانُ » فإنما عني به الكافر . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : نزلت في حبة بن أبي لهب وكان قد آمن ، فلما نزلت « وَالنَّجْمِ » ارتد وقال آمنت بالقرآن كله إلا النجم ، فأنزل الله جل ثناؤه فيه « قُتِلَ الْإِنْسَانُ » أي لمن حبة حيث كفر بالقرآن ، ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الزيادة من صحيح البخاري .

(٢) راجع ١٧ ص ٢٢٢

قَالَ : « اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ أَسَدَ النَّاصِرَةِ » نَفِجَ مِنْ فُورِهِ بِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا أَتَى إِلَى الْغَاضِرَةِ تَذَكَّرَ دُعَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ أَتَيْتُ دِينَارَ إِنْ هُوَ أَصْبَحَ حَيًّا ، فَبَعَلُوهُ فِي وَسْطِ الرَّفْقَةِ ، وَجَعَلُوا الْمَتَاعَ حَوْلَهُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ الْأَسَدُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الرَّحَالِ وَثَبَ فَإِذَا هُوَ فَوْقَهُ لَمَزَقَهُ ، وَقَدْ كَانَ أَبْرُهُ بِيَدِهِ وَبِكِي وَقَالَ : مَا قَالَ هَذَا شَيْئًا قَطُّ إِلَّا كَانَ . وَرَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي هَبَسٍ « مَا أَكْفَرَهُ » أَيْ شَيْءَ أَكْفَرَهُ . وَقِيلَ : « مَا » تَعْجِبُ ؛ وَمَعْنَى الْعَرَبِ إِذَا تَعَجَّبُوا مِنْ شَيْءٍ قَالُوا : قَالَهُ اللَّهُ مَا أَحْسَنَهُ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ مَا أَظْلَمَهُ ؛ وَالْمَعْنَى أَعْجَبُوا مِنْ كُفْرِ الْإِنْسَانِ لَجَمِيعٍ مَا ذُكِّرْنَا بِهِ هَذَا . وَقِيلَ : مَا أَكْفَرَهُ بِاللَّهِ وَنَمَسَهُ مَعَ مَعْرِفَةِ بَكْرَةِ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ عَلَى التَّعَجُّبِ ؛ أَيْ قَالَ أَبُو هَبَسٍ : أَيْ مَا أَشَدَّ كُفْرَهُ . وَقِيلَ : « مَا » أَسْتَفْهَامُ أَيْ أَيْ شَيْءٍ دَعَاهُ إِلَى الْكُفْرِ ؛ فَهُوَ أَسْتَفْهَامُ تَوْبِيخٍ . وَ « مَا » تَحْتَمِلُ التَّعَجُّبَ ، وَتَحْتَمِلُ مَعْنَى أَيْ فَتَكُونُ أَسْتَفْهَامًا . ( مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) أَيْ مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ هَذَا الْكَافِرَ فَيَتَكَبَّرُ ؛ أَيْ أَعْجَبُوا خَلْقَهُ . ( مِنْ نَفْثَةٍ ) أَيْ مِنْ مَاءِ يَسِيرِ مَيِّمِينَ جَمَادٍ ( خَلَقُ ) فَلَمْ يَنْفُذْ فِي نَفْسِهِ ؟ ! . قَالَ الْحَسَنُ : كَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ نَزَجَ مِنْ سَبِيلِ الْبُولِ مَرَّتَيْنِ . ( فَقَدَرَهُ ) فِي بَطْنِ أُمِّهِ . كَذَا رَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ أَبِي هَبَسٍ : أَيْ قَدَرَ يَدِيهِ وَرَجْلَيْهِ وَجِلْدَهُ وَسَائِرَ أَرْبَابِهِ ، وَحَسَنًا وَدَمِيًّا ، وَقَصِيرًا وَطَوِيلًا ، وَشَقِيًّا وَسَعِيدًا . وَقِيلَ : « فَقَدَرَهُ » أَيْ فَسَوَاهُ كَمَا قَالَ : « أَكْفَرْتُ بِاللَّهِ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَفْثَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا » . وَقَالَ : « الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاهُ » . وَقِيلَ : « فَقَدَرَهُ » أَيْ سَوَّاهُ أَيْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، نَفْثَةٍ ثُمَّ مَقَّةً إِلَى أَنْ تَمَّ خَلْقُهُ . ( ثُمَّ السَّبِيلُ يَسْرُهُ ) قَالَ أَبُو هَبَسٍ فِي رِوَايَةٍ عَطَاءُ وَقَتَادَةُ وَالسَّدي وَمُقَاتِلٌ : يَسْرُهُ مَخْرُوجٌ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ . بِجَاهِدٍ : يَسْرُهُ لَطِيفُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ؛ أَيْ يَبِينُ لَهُ ذَلِكَ . دَلِيلُهُ : « إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ » وَ « هَدَيْنَاهُ التَّجْنِيثَ » . وَقَالَ الْحَسَنُ وَعَطَاءُ وَأَبِي هَبَسٍ أَيْضًا فِي رِوَايَةِ أَبِي صَالِحٍ عَنْهُ . وَمَنْ بِجَاهِدٍ أَيْضًا قَالَ : سَبِيلُ

(١) كَذَا قَاطَ الْحَدِيثَ فِي الْأَسْوَدِ وَرِوَايَةُ أَبِي حَيَّانَ لَهُ : « اللَّهُمَّ أَسَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ يَا كَهْ » ، ثُمَّ قَالَ : فَلَمَّا أَتَى إِلَى الْغَاضِرَةِ ... الخ .

الشفاء والسعادة . أين زيد : سبيل الإسلام . وقال أبو بكر بن طاهر : يمر على كل أحد ما خلقه له ، وقدره عليه ؛ دليله قوله عليه السلام : أعمالوا فكلُّ ميمر لما خُلق له ..  
 ( ثُمَّ أَنَاكَ فَأَقْبِرْهُ ) أى جعل له قبرا يوارى فيه إكراما ، ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله الطير والسواقي ؛ قاله الفسولة . وقال أبو عبيدة : « أَقْبِرْهُ » جعل له قبرا ، وأمر أن يقبر . قال أبو عبيدة : ولما قتل عمر بن حنيفة صالح بن عبد الرحمن قالت بنو نعيم ودخلوا عليه : أَقْبِرْنَا صالحا ؛ فقال : دونكوه . وقال : « أَقْبِرْهُ » ولم يقبل قبره ؛ لأن القابر هو الدائن بيده ، قال الأعمش :

لَوْ أَتَيْتُ مَيْتًا إِلَى تَحْرِهَا • حَاشَى وَلَمْ يَقْبَلْ إِلَى قَابِرِ

يقال : قبرت الميت إذا دفنته ، وأقبره الله أى صيره بحيث يقبر وجعل له قبرا ؛ تقول العرب : بقرت ذنب البعير وأقبره الله ، وعصفت قرن الثور وأعصبه الله ، وطردت فلانا والله أطرده أى صيره طريدا . ( ثُمَّ إِنَّا شَاءَ أَنْشُرَهُ ) أى أحياء بعد موته . وقراءة العامة « أَنْشُرَهُ » بالألف . وروى أبو حيوة عن نافع وشعيب بن أبي حمزة « شَاءَ نَشْرُهُ » بغير ألف لفتان فصيحان بمعنى ؛ يقال : أنشر الله الميت ونشره ؛ قال الأعمش :

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا • يَا عَجَبًا لَيْتَ النَّاسِ يَسِيرُ

قوله تعالى : ( كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ) قال مجاهد وقطادة : « لَمَّا يَقِضْ » لا يقضى أحد ما أمر به . وكان ابن عباس يقول : « لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ » لم يف بالميثاق الذى أخذ عليه في صلب آدم . ثم قيل : « كَلَّا » ردع وزجر أى ليس الأمر كما يقول الكافر ؛ لأن الكافر إذا أخبر بالنشور قال : « وَلَيْتَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّى إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَهِيبًا » وما يقول قد قضيت ما أمرت به ، فقال : كَلَّا لم يقض شيئا بل هو كافر بى ورسولى . وقال الحسن : أى حقا لم يقض أى لم يعمل بما أمر به . و « مَا » فى قوله : « لَمَّا » عماد الكلام ؛ كقوله تعالى : « قَبْرًا رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ » وقوله : « عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ »

(١) السراى : طلاب الرزق من الإنس والجراب والطير ؛ والمراد هنا الوحوش والبهائم .

وقال الإمام ابن فورك : أى كلاماً يقض الله لهذا الكافر ما أمره به من الإيمان ، بل أمره بما لم يقض له . ابن الأنبارى : الوقف على « كَلَّا » قبيح ، والوقف على « أمره » و « أنشأه » جيد ، فـ « كَلَّا » على هذا بمعنى حقا .

قوله تعالى : فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿١٦﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿١٧﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿١٨﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿١٩﴾ وَعَبَبْنَا وَقَضَبًا ﴿٢٠﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢١﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٢٢﴾ وَفَيْكِهِ وَأَبًّا ﴿٢٣﴾ مَتَاعًا لَّكَرَّا وَلِيْلَتَكُمْ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى : ( فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ) لما ذكر قبل مثله آتياه خلق الإنسان ذكر ما يمر من رزقه ، أى لينظر كيف خلق الله طعامه . وهذا النظر نظر القلب بالفكر ، أى ليتدبر كيف خلق الله طعامه الذى هو قوام حياته ، وكيف هيا له أسباب المأش ليستمد بها العاد . وروى عن الحسن ومجاهد قالا : « فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ » أى إلى مدخله ومخرجه . وروى ابن أبى خيثمة عن الضحاك بن سفيان الكلابى قال قال لى النبي صلى الله عليه وسلم : " يا ضحالك ما طعامك " قلت : يا رسول الله ! اللحم والخبز ، قال : " ثم يصير إلى ماأنا " قلت إلى ما قد علمته ، قال : " فإن الله ضرب ما يخرج من أبن آدم مثلا للدنيا " . وقال أبى بن كعب قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن معلم ابن آدم جعل مثلا للدنيا وإن قرَّحه وملكه فأَنظر إلى ما يصير " . وقال أبو الوليد : سألت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلاء فينظر ما يخرج منه ، قال : يأتيه الملك فيقول أنظر ما بخلت به إلى ما صار .

(١) قرحه : أى تبه من الفرح وهو الضحك الذى يلوح فى القدر كالكون والكثرة ونحو ذلك .

والمنى : إن المعلم وإن تكلف الإنسان الترقى فى صنعه وتطليه فإنه عاد إلى حال يكره ويستغفر فكذلك الدنيا المحروس على صماتها وتعلم أساليبها راجعة إلى خراب وإدبار . «النهاية» .

قوله تعالى : ( **أَنَا صَبِيَّةُ الْمَاءِ صَبَاً** ) قراءة العامة « **أَنَا** » بالكسر على الاستثناف . وقرأ الكوفيون ورويس عن يعقوب « **أَنَا** » بفتح الهمزة ذ « **أَنَا** » في موضع خفض مل الترجمة عن الطعام فهو يدل منه ؛ كأنه قال : « **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ** » إلى « **أَنَا صَبِيَّةُ** » فلا يحسن الوقف مل « **طَعَامِهِ** » من هذه القراءة . وكذلك إن رفضت « **أَنَا** » بإضمار هو أنا صبينا ؛ لأنها في حال رفضها مترجمة عن الطعام . وقيل : المعنى لأننا صبينا الماء فأخرجنا به الطعام أي كذلك كان . وقرأ الحسين بن عليّ « **أَنَا** » بمال بمعنى كيف . فمن أخذ بهذه القراءة قال : الوقف على « **طَعَامِهِ** » تام . ويقال : معنى « **أَنَا** » أين إلا أن فيها تناية عن الوجوه ؛ وأولها : من أي وجه صبينا الماء ؛ قال الكبيت :

**أَنَا وَمِنْ أَيْنَ أَبُكَ الطَّرَبُ • مِنْ حَيْثُ لَا صَبْوَةٌ وَلَا رَبِّبُ**

« **صَبِيَّةُ الْمَاءِ صَبَاً** » يعني التثيت والأمطار . ( **ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا** ) أي بالنبات ( **فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا** ) أي قمحا وشعيراً وسكناً وسائر ما يجصد ويدخر ( **وَحَبًّا وَقَضْبًا** ) وهو القث والعلف ؛ عن الحسن ؛ سمي بذلك لأنه يُقَضَّبُ أي يُقَطَّع بعد ظهوره مرة بعد مرة . قال التيمي وتعلب : وأهل مكة يسمون القث القَضْب . وقال ابن عباس : هو الرُّطَب لأنه يُقَضَّب من النخل ؛ ولأنه ذكر النجب قبله . وعنه أيضاً : أنه القِصْفِيصَة وهو القث الرُّطَب . وقال الخليل : القَضْب القِصْفِيصَة الرُّطَبية . وقيل : بالسین فإذا يست فهو قَث . قال : والقَضْب أسم يقع على ما يُقَضَّب من أخصان الشجرة ليتخذ منها سهام أو قيس . ويقال : قضبا بمعنى جميع ما يقضب مثل القث والكراث وسائر البقول التي تقطع فينت أصلها . وفي الصحاح : والقَضْبَة والقَضْب الرُّطَبية وهي الإنْفِسْتُ بالفارسية والموضع الذي ينت فيه مَقَضْبَةٌ . ( **وَرَبَّوْنَا** ) وهي شجرة الزيتون ( **وَنَحَلْنَا** ) بنى النحل ( **وَحَدَّاثِي** ) أي

(١) في نسخة : قرأ بعض القراء .

(٢) أبك . أذاك . الرب : صروف الدهر .

(٣) السك (القمح) : ضرب من الشعير .

بساتين واحدها حديقة . قال الكلبي : وكل شيء أحيط عليه من نخيل أو شجر فهو حديقة ، وما لم يحيط عليه فليس بحديقة . ( غلباً ) عظاما شجرها ؛ يقال : شجرة غلباء ، ويقال للأسد الأغلب ؛ لأنه مصمت العنق لا يلتفت إلا جمعا ؛ قال العجاج :

مَا زِلْتُ يَوْمَ الْبَيْتِ الْوَيْ سُلِّي • وَالرَّأْسَ حَتَّى صِرْتُ مِثْلَ الْأَغْلِبِ

ورجل أغلب بين النلب إذا كان غليظ الرقبة . والأصل في الوصف بالغلب الرقاب فأستعير ؛ قال عمرو بن معدى كرب :

يُمْنَى بِهَا غُلْبُ الرِّقَابِ كَأَنَّهُمْ • بَزَلُ كَيْسٍ مِنَ الْكَحْبَلِ جَلَالاً<sup>(١)</sup>

وحديقة غلباء مطقة وحدائق غلب . وأغلوب الشبُّ بفتح وأتلف البعض البعض . قال ابن عباس : الغلب جمع أغلب وغلباء وهي النلاظ . وعنه أيضا الطوال . قتادة وابن زيد : النخل الكرام . ومن ابن زيد أيضا وعكرمة : عظام الأوساط والجنوح . مجاهد : مطقة ( وَقَائِكَةً ) أى ما تأكله الناس من ثمار الأشجار كالعين والخواخوش وغيرها . ( وَأَبَا ) هو ما تأكله البهائم من الشب ؛ قال ابن عباس والحسن : الأب كل ما أنبت الأرض مما لا يأكله الناس ، وما يأكله آدميون هو الحصيد ؛ ومث قول الشاعر في مدح النبي صل الله عليه وسلم :

لَهُ دَعْوَةٌ تَمُوتُهُ وَيَحْيِيهَا الصَّبَا • بِهَا يُنْبِتُ اللَّهُ الْحَصِيدَةَ وَالْأَبَا

وقيل : إنما سمي أباءً لأنه يؤب أى يؤتم ويُسج . والأب والام أخوان ؛ قال :

جَلَمْنَا قَيْسٌ وَتَجَدُّ دَارَنَا • وَلَنَا الْأَبُّ بِهِ وَالْمَكْرَجُ<sup>(٢)</sup>

وقال الضحاك : الأب كل شيء ينبت على وجه الأرض . وكذا قال أبو رزين : هو النبات ؛ يدل عليه قول ابن عباس قال : الأب ما تنبت الأرض مما يأكله الناس والأنعام .

(١) الكحل : فرح من النظرات تمل به الإبل حرب ولا يتسل إلا صفرا . وجل الدابة : الذى تلبسه لصان به والجمع جلال وأجلال .

(٢) الجذم ( بكسر الجيم ) : الأمل . والمكرج : غفل من الكرم أراد به الماء الصالح للشرب .

ومن ابن عباس أيضا وابن أبي طلحة : الأب النار الزكية . وقال الضحاك : هو الحسين خاصة . وهو عكس عن ابن عباس أيضا قال الشاعر :

فَا لَمْ تَمْرَحْ لِلْسَّوَا \* وَالْأَبُّ عِنْدَهُمْ يُقَدَّرُ

الكلبي : هو كل نبات سوى الفاكهة . وقيل : الفاكهة ورطب النار والأب يابسها . وقال إبراهيم التيمي : سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير الفاكهة والأب فقال : أي سماء يخلقني وأبي أرض تخلقني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم . وقال أنس : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال : كل هذا قد عرفناه فما الأب ؟ ثم رفع عصا كانت بيده وقال : هذا لعمركم التكلف وما عليك يا ابن أم عمر ألا تدرى ما الأب . ثم قال : أتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب وما لا يدعو . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خُلقتم من سيع وُرِيتُم من سيع فأعبدوا الله على سيع » وإنما أراد بقوله : « خُلقتم من سيع » يعني « مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ مِنْ طَلْقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ » الآية ، والرزق من سيع وهو قوله تعالى : « فَاتَّبَعْنَاهُ فِيهَا حَبًا وَعُتْبًا » إلى قوله : « وَقَاكِهَ » ثم قال : « وَأَبَا » وهو يدل على أنه ليس برزق لأن آدم وأنه لما تمتص به البهائم . والله أعلم . ( متاعا لكم ) نصب على المصدر المؤكد ؛ لأن إثبات هذه الأشياء امتناع لجميع الحيوانات . وهذا ضرب من ضربه الله تعالى لعبث الموتى من قبورهم ؛ كنبات الزرع بعد دثورها كما تقدم بيانه في غير موضع . ويتضمن امتناعا عليهم بما أنتم به وقد مضى في غير موضع أيضا .

قوله تعالى : فَلَمَّا جَاءَتْ السَّاعَةُ ۖ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۖ وَصَلِيتِهِ وَبَيْنِيهِ ۖ لِكُلِّ أَمْرٍ ۖ مِثْمٌ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۖ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ۖ

(١) المراء والناحية : المال الزاعم من الإبل والغنم وغيرها .

قوله تعالى : ( فَإِنَّا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ) لما ذكر أمر المعاش ذكر أمر المآل ليتروا له  
بالأعمال الصالحة وبالاتفاق مما آمن به عليهم . والصَّاعَةُ الصيحة التي تكون عنها القيامة  
وهي النخلة الثانية ، يُصَيِّخُ الإسماع أي يُصَمِّمُها فلا تسمع إلا ما يدعى به للإحياء . وذكر  
ناس من المقمرين قالوا : يُصَيِّخُ لها الإسماع من قواك أصلاخ إلى كذا أي أستمع إليه ،  
ومنه الحديث : « ما من دابة إلا وهي مُصَيِّخة يوم الجمعة شغفا من الساعة إلا بالحق والإنس »  
وقال الشاعر :

يُصَيِّخُ لِنَبَاةِ أَسْمَاءَهُ • إِصَاخَةُ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ

قال بعض العلماء : وهذا يؤخذ من جهة التسليم للقدماء فاما اللغة ففتضاهما القول الأول ،  
قال الخليل : الصَّاعَةُ صيحة يُصَيِّخُ الآذَانُ مَحْضًا أي تُصَمِّمُها بشدة وقعها . وأصل الكلمة  
في اللغة الصلح الشديد . وقيل : هي مأخوذة من صحن بالجهر إذا صَكَ ، قال الرازي :

يَا جَارِي مَلِّ لَكَ أَنْ تُجَاهِدِي • يَلْدَانُ كَالْمَصْكَ بِالْجَلْدِ

ومن هذا الباب قول السرب : صَحَّتْهم الصاخة وباتتهم البائسة وهي الناهية . الطبري :  
وأحسبه من صَحَّ فلانٌ فلانا إذا أَسَمَهُ . قال ابن العربي : الصاخة التي تورث الصمم ، وإنما  
لَمْ تُسَمِّعْ وهذا من بدع الفصاحة ، حتى لقد قال بعض حديثي الأسنان حديثي الأزمان :  
• أَسَمَوكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَتَمًا •

وقال آخر :

أَسَمَنِي سُرْمُ أَيَّامٍ قُرَيْمِهِ • فَهَلْ سَمِعْتُمْ بَيْرُ يُوْرُثُ الصَّمَا

وأعمر الله إليك صيحة القيامة لَمْ تُسَمِّعْ تُسَمِّعُ من الدنيا وتُسَمِّعُ أُمُورَ الآخرة .

قوله تعالى : ( يَوْمَ يَرَى الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ) أي يهرب أي يحى الصاخة في هذا اليوم  
الذي يهرب فيه من أخيه ، أي من موالاة أخيه ومكالمته ؛ لأنه لا يتفرغ لذلك لاستغفاله  
بنفسه ؛ كما قال بسطه : ( لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ) أي يشغله من غيره .  
وقيل : إنما يفرحوا من مطالبهم إياه لما بينهم من التبعات . وقيل : فلا يروا ما هو

فيه من الشدة . وقيل : لعلمه أنهم لا ينفقونه ولا يفتنون عنه شيئا ؛ كما قال : « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا » . وقال عبد الله بن طاهر الأبهري : يفر منهم لما تبين له من عجزهم وقلة حيلهم إلى من يملك كشف تلك الكرب والهموم عنه ، ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما أخذ شيئا سوى ربه تعالى . ( وَصَاحَتِهِ ) أى زوجته . ( وَبَيْتِهِ ) أى أولاده .

وذكر الضحاك عن ابن عباس قال : يفزع قابيل من أخيه هابيل ، ويفزع النبي صلى الله عليه وسلم من أمه ، وإبراهيم عليه السلام من أبيه ، ونوح عليه السلام من ابنه ، ولوط من أسرته ، وآدم من سواة بيته . وقال الحسن : أقل من يفزع يوم القيامة من أبيه إبراهيم ، وأقل من يفزع من ابنه نوح ، وأقل من يفزع من أمه لوط . قال : فيرون أن هذه الآية نزلت فيهم وهذا فرار التبرؤ . ( لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ) فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً مُرَاةً غُرْلًا » قلت : يا رسول الله ! الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : « يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض » . نخرجه الترمذى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يحشرون حُفَاةً مُرَاةً غُرْلًا » فقالت امرأة : أينظر بعضنا — أو بعضنا يرى — عورة بعض ؟ قال : « إقالة » « لكل أمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » قال : حديث حسن صحيح . وقراءة العامة بالتين المعجمة ؛ أى حال يشغل عن الأفراء . وقرا ابن عبيد بن حميد « يَغْنِيهِ » بفتح الياء وعين غير معجمة ؛ أى يغنيه أمره . وقال القتيبي : يغنيه بصرفه ويصته عن قرابته ؛ ومنه يقال : أعني عني وجهك أى أصرفه وأعني عن الشيء ؛ قال خفاف :

سَيِّئِكَ حَرْبٌ بَنَى مَالِكٌ \* عَنْ التُّحَيْشِ وَالْجَوْلِ فِي الْمَحْرَمِ

قوله تعالى : ( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ) أى مشرقة مضيئة قد علت مالها من الفوز والغنم ، وهى وجوه المؤمنين . ( صَاحِكَةٌ ) أى مسرورة فرحة . ( مُسْتَبْشِرَةٌ ) أى بما

أَنَّا هَا هَا مِنَ الْكَرَامَةِ . وَقَالَ عَطَاءُ الْخُرَّاسَانِي : « مُسْفِرَةٌ » مِنْ طُول مَا أَفْهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
 جَلَّ شَأْنُهُ . ذَكَرَهُ أَبُو تَمِيمٍ . الضَّمَالُ : مِنْ آثَارِ الْوَضُوءِ . أَبْنُ عِبَّاسٍ : مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ ؛ لِمَا  
 رَوَى فِي الْحَدِيثِ : « مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ » يَقَالُ : أَفْهَرَ الصَّبِيحُ إِذَا  
 أَضَاءَ . ( وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ عَلِيمٌ ) أَيُّ خَبِيرٌ وَدَّاعٍ ( تَرَفُّعًا ) أَيُّ تَنَشُّأُهَا ( قَسَّةٌ )  
 أَيُّ كُسُوفٌ وَصَوَادٌ . كَذَا قَالَ أَبْنُ عِبَّاسٍ . وَهِيَ أَيْضًا : ذِيَّةٌ وَشَيْءٌ . وَالتَّقَرُّ فِي كَلَامِ  
 الْعَرَبِ الْفُجَارُ جَمْعُ الْفَتْرِ مِنْ أَبِي عَيْدٍ ، وَأَنْشَدَ الْفَرَزْدَقُ :

مَسُوجٌ يَرِدَاهُ الْكُلُّ يَبْعُهُ • مَوْجٌ تَرَى قُوَّةَ الرِّايَاتِ وَالْقَتَرِ

وَفِي الْخَبَرِ : إِنْ الْبَهَائِمُ إِذَا صَارَتْ تَرَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَوْلَ ذَلِكَ التَّرَابِ فِي وَجْهِهِ الْكَفَّارِ .  
 وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ : الْقَسَّةُ مَا أَرْضَعَتْ إِلَى الْمَاءِ ، وَالْقَبْرَةُ مَا أَنْعَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ ، وَالتَّبَارِ  
 وَالْقَبْرَةُ وَاحِدٌ . ( أَوَّلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ) جَمْعُ كَافِرٍ ( الْقَبْرَةُ ) جَمْعُ قَابِرٍ وَهُوَ الْكَاذِبُ الْمُنْفَرِ  
 عَلَى اللَّهِ تَعَالَى . وَقِيلَ : الْفَاسِقُ ؛ [ يَقَالُ ] : يَفْرِجُ بَطُورًا أَيُّ فَسَقَ وَفَرَّأَى كَذِبًا ، وَأَصْلُهُ  
 اللَّيْلُ وَالْفَاجِرُ الْمَأَالُ . وَقَدْ مَضَى بَيَانُهُ وَالْكَلَامُ فِيهِ وَالْحَمْدُ لَهُ وَحْدَهُ .

## سورة التكويد

مكية في قول الجميع وهي تسع وعشرون آية

وَفِي التِّرْمِذِيِّ : عَنْ أَبْنِ عَمْرِو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ  
 إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنًا ] فَلْيَقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ أَقْطَعَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ  
 انشَقَّتْ » قَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ [ غَرِيبٌ ] .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : **إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ❶ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ❷**  
**وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ❸ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ❹ وَإِذَا الْوُحُوشُ**  
**حُيِّرَتْ ❺ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ❻ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ❼**  
**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُهِتْ ❽ وَإِذَا دُثِرَ بُرُجُهَا ❾ وَإِذَا الصُّعُفُ**  
**نُفِرَتْ ❿** **وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ❻ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ❼**  
**وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ❻ عُلِّتْ نَفْسٌ مَّا أُخِذَتْ ❼**

قوله تعالى : **(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)** قال ابن عباس : تكويرها إدخالها في العرش .  
الحسن : ذهب ضوئها . وقوله فتادة ويجاهد ، وروى عن ابن عباس أيضا : صعيد بن  
جبر : كُوِّرَتْ . أبو عبيدة : كُوِّرَتْ مثل تكوير الهامة ثَقَفَ فَمَحَى . وقال الربيع بن خثيم :  
« كُوِّرَتْ » رُبِي بِهَا ، ومنه كُوِّرَتْ فَتَكُوِّرُ أى سقط .

قلت : وأصل التكوير الجمع مأخوذ من كَار الهامة على رأسه يَكُوِّرُهَا أى لَأَتَمَّهَا وجمعها  
نُهَى تَكُوِّرُ وَيَمْحَى ضَوْعُهَا ثم رُبِي بِهَا في البحر . والله أعلم . وعن أبي صالح : كُوِّرَتْ نَكَسَتْ .  
**(وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ)** أى تهافتت وتناثرت . وقال أبو عبيدة : انصببت كما ينصب  
الغبار إذا انكسرت . قال الصباغ يصف صفرا :  
أَبْصَرَ نَوَابِتَ قَضَاءٍ فَانْكَدَرُ . تَهْفَى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ

(١) حكى البيت في نسخ الأصل إلى أبيهنا وإلى في ديوان الصباغ رواية الأصبى نسخة الشطبي : قال بلح  
عمر بن عبد الله بن عمر : قد جبر الله في الآله غير . إل أن قال :  
داني جناحه من الطور غير \* تهفَى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ  
أَبْصَرَ نَوَابِتَ قَضَاءٍ فَانْكَدَرُ \* شَاكَ الْكَلَابِ إِذَا أَحْوَى أَكْثَرَ  
المراد ببلح ومن هذا الشام : يقول : أكفأ أين مسرقة الشامة من الشام أكفأ الشامة البازي ضم جناحه . ونوابت  
جمع نرب وهو ذكر الحبارى ، والكلايب الخلاب ، وأكفأ أمه أكفأ فأبليت فاء . فاء فاء في الفاء .

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يبقى في السماء يومئذ نعيم إلا سقط في الأرض حتى يفزع أهل الأرض السابعة عما قبلت وأصاب العليا " يعني الأرض . وروى الضمك عن ابن عباس قال : تساقطت ؛ وذلك أنها فتاديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور ، وتلك السلاسل بأيدي ملائكة من نور ، فإذا جاءت النفخة الأولى مات من في الأرض ومن في السموات فتأثرت تلك الكواكب وتساقطت السلاسل من أيدي الملائكة ؛ لأنه مات من كان يمسكها . ويعتدل أن يكون أنكارها طمس آثارها . وسميت النجوم نجوما لظهورها في السماء بضوئها . ومن ابن عباس أيضا : أنكسرت تنيرت فلم يبق لها ضوء لئلا يظلمها عن أماكنها . والمعنى متقارب . ( وَإِنَّا الْجِبَالُ مَسِيَّتٌ ) يعني قلعت من الأرض وسيرت في الهواء ، وهو مثل قوله تعالى : « وَيَوْمَ نُسِفُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً » . وقيل : سيرها تحولها عن مثلة الحجارة فتكون كثيبا مهيلأى رملا سائلا ، وتكون كالمهن ، وتكون هباء مستورا ، وتكون سرايا مثل السراب الذي ليس بشيء . وعادت الأرض قائما صفيصفا لا ترى فيها حيا ولا أمنا . وقد تقدم في غير موضع والحدقة . ( وَإِنَّا الْمَسَارُ حُطَّتْ ) أي التوق الحوامل التي في بطونها أولادها ، الواحدة عشرة أو اثني عشر في الحمل عشرة أشهر ، ثم لا يزال ذلك أسمها حتى تضع وبعد ما تضع أيضا . ومن عادة العرب أن يسموا الشيء باسمه المتقزم وإن كان قد جاوز ذلك ؛ يقول الرجل لفرسه وقد فرح : هاتوا مهري وفربرا مهري يسميه بمقزم اسمه ؛ قال صخرة :

لَا تَدْشُرِي مَهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ • فَيَكُونُ جِلْدُكَ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ

وقال أيضا :

• وَحَلَّتْ مَهْرِي وَسَطَهَا قَضَاهَا •

وإنما خص العشار بالذكر ؛ لأنها أعز ما تكون على العرب وليس يسطها أهلها إلا حال القيامة . وهذا على وجه المثل ؛ لأن في القيامة تأتي ثافة عشار ، ولكن أراد به المثل ؛ أن هول

يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لمعطها واشتغل بنقمه . وقيل : إنهم إذا قاموا من قبورهم ، وشاهد بعضهم بعضا ، ورأوا الوحوش والذباب محشورة وفيها عشارهم التي كانت أفسس أموالهم لم يعبثوا بها ولم يهمهم أمرها . وخطبت العرب بأمر العشار ، لأن ما لها ومبشها أكثر من الإبل . وروى الضحاك عن ابن عباس : عَطَلَتْ عطفا أهلها لأشتغالهم بأنفسهم . وقال الأصبغ :

هُوَ الْوَاهِبُ الْمَسَاءَةُ الْمُصْطَفَا • إِذَا عَطَا وَإِنَّمَا عَشَادَا

وقال آخر :

تَرَى الْمَرْءَ مَهْجُورًا إِذَا قَلَّ مَالُهُ • وَيَتَى الْبَيْتَ الْيَتَى مَهْدَى لَهُ وَيَزَارُ  
وَمَا يَنْفَعُ الزُّرَّادَ مَالٌ مَزُورِيمَ • إِذَا سَرَحَتْ سُؤْلُهُ<sup>(١)</sup> لَهُ وَيَسْأَلُ

يقال : ناقة عشراء وناقان عشراوان ونوق عشار وعشراوات يبدلون من همزة التانيث واوا . وقد عَشَّرَت الناقة تمشيرا أى صارت عَشْرَاء . وقيل : العشار السحاب يُعْطَل مما يكون فيه وهو الماء فلا يعطر ، والعرب تشبه السحاب بالحامل . وقيل : الديار تُعْطَل فلا تُسَكَن . وقيل : الأرض التي يُعْمَر زرعها تُعْطَل فلا تُزْرَع . والأول أشهر وعليه من الناس الأكثر . ( وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ) أى جمعت والحشر الجمع . عن الحسن وقاعدة وضيرها . وقال ابن عباس : حشرها موتها . رواه عنه عكرمة . وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس لأنهما يوافيان يوم القيامة . وعن ابن عباس أيضا قال : يحشر كل شيء حتى القباب . قال ابن عباس : تحشر الوحوش فدا ، أى تجمع حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص بلبها من القرباء ثم يقال لها كونى ترابا وتموت . وهذا أصح مما رواه عنه عكرمة ، وقد بينا في كتاب « التذكرة » مستوفى ، ومضى في سورة « الأنعام »<sup>(٢)</sup> بعضه . أى إن الوحوش إذا كانت هذه حالها فكيف بنى آدم . وقيل : معنى بهذا أنها مع نفرتها اليوم من الناس وتنددها

فإلصالحارى ، تنضم غدا إلى الناس من أهوال ذلك اليوم . قال معناه أبى بن كعب  
 ( وَإِذَا الْبِئَارُ يُجْمَرَتُ ) أى ملكت من الماء ، والعرب قول : جُمِرَتُ الخوص أجمره  
 جمرا إذا ملأته وهو مسجور، والمسجور والساجر فى اللغة الملائكة . وروى الربيع بن خيثم :  
 تُجْمَرَتُ فاضت وملكت . وقاله الكلبى ومقاتل والحسن والضحاك . قال ابن أبى زئبى :  
 تُجْمَرَتُ حقيقته ملكت فيفيض بعضها إلى بعض فتصير شيئا واحدا . وهو معنى قول الحسن .  
 وقيل : أرسل عذبا على مالحها ومالحها على عذبا حتى امتلأت . عن الضحاك ومجاهد :  
 أى جفرت فصارت بحرا واحدا . القشيرى : وذلك بأن يرفع الله الحاجر الذى ذكره فى قوله  
 تعالى : « يَتَّخِذُهَا بُرْزَخًا لَّا يَتَّخِذُهَا » فإذا رفع ذلك البرزخ تجفرت مياه البحار فعمت  
 الأرض كلها ، وصارت البحار بحرا واحدا . وقيل : صارت بحرا واحدا من الحمى لأهل  
 النار . وعن الحسن أيضا وقادة وابن حبان : تهبس فلا يبقى من مائها قطرة . القشيرى :  
 وهو من تجمرت التتور أجمره جمرا إذا أحيته ، وإذا سُلط طيه الإيقاد تنف ما فيه من  
 الرطوبة ، وتُسِيرُ الجبال حيثنذ ، وتصير البحار والأرض كلها بساطا واحدا ، بأن يلا مكان  
 البحار بتراب الجبال . وقال النحاس : وقد تكون الأقوال متفقة ، يكون تهبس من الماء  
 بعد أن يفيض بعضها إلى بعض فتقلب نارا .

قلت : ثم تسير الجبال حيثنذ كما ذكر القشيرى والله أعلم . وقال ابن زيد وشمر وعطية  
 وسفيان ووهب وأبى وعلى بن أبى طالب وابن عباس فى رواية الضحاك عنه : أوقدت  
 فصارت نارا . قال ابن عباس : يكوّر الله الشمس والقمر والنجوم فى البحر ، ثم يبعث  
 الله عليها رجما دثورا فتنفخه حتى يصير نارا . وكذا فى بعض الحديث : " يامر الله جل ثناؤه  
 الشمس والقمر والنجوم فينفخن فى البحر ثم يبعث الله جل ثناؤه الدثور فيسجرها نارا فتلك  
 نار الله الكبرى التى يُسَلَّبُ بها الكفار " . قال القشيرى : قيل فى تفسير قول ابن عباس  
 « تُجْمَرَتُ » أوقدت يحتمل أن تكون جهنم فى قعر من البحار ، فهى الآن غير مسجورة  
 لغوام الدنيا ، فإذا أوقدت الدنيا صارت كلها نارا يدخلها الله أهلها . ويحتمل أن  
 تكون تحت البحر نارا ، ثم يوقد الله البحر كله فيصير نارا . وفى الخبر : البحر نار فى نار .

وقال معاوية بن سعيد : بحر الزوم وسط الأرض أسفل آبار مطبقة بفخاس يسجر نارا يوم القيامة ، وقيل : تكون الشمس في البحر ، فيكون البحر نارا بحر الشمس ، ثم جميع ما في هذه الآيات يحوز أن يكون في الدنيا قبل القيامة ويكون من أشراتها ، ويجوز أن يكون يوم القيامة ، وما بعد هذه الآيات فيكون في يوم القيامة .

قلت : روى عن عبيد الله بن عمرو : لا يتوضأ بماء البحر لأنه طين جهنم . وقال أبي بن كعب : ست آيات من قبل يوم القيامة ؛ بينا الناس في أسواقهم ذهب ضوء الشمس وبنت النجوم تحمروا ونحسوا ، فينأ هم كذلك ينظرون إذ تناثرت النجوم وتناطعت ، فينأ هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فحركت وأضطربت وأحترقت فصارت هباء منثورا ، ففرغت الإنس إلى الجنّ والجنّ إلى الإنس ، وأخططت الدواب والوحوش والحوام والطيور وماج بعضها في بعض ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ ثم قالت الجنّ للإنس : نحن نأتيكم بالخبر ، فأطلقوا إلى البحار فإذا هي نار تأجج ، فينأ هم كذلك تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى ، وإلى السماء السابعة العليا فينأ هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأماتهم . وقيل : معنى « تُجْبَرَّت » هو حرة ماتها حتى تصير كالدم ، مأخوذة من قولهم : عين سمراء أى حمراء . وقرأ ابن كثير « مُجْبَرَّت » وأبو عمرو أيضا إخبارا عن حالها مرة واحدة . وقرأ الباقون بالتشديد إخبارا عن حالها في تكرير ذلك منها مرة بعد أخرى .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قال النعمان بن بشير : قال النبي صلى الله عليه وسلم « وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ » قال : « يُقْرَنُ كُلُّ رَجُلٍ مَعَ كُلِّ قَوْمٍ كَانُوا يَسْلُوكُوا كَمَلَهُ » . وقال عمر بن الخطاب : يقرن الفاجر مع الفاجر ، وقرن الصالح مع الصالح . وقال ابن عباس : ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثا ، السابقون زوج - بنى صفحا - وأصحاب اليمين زوج ، وأصحاب الشمال زوج . وعنه أيضا قال : زُوِّجَتْ نفوس المؤمنين بالحوو العين ، وقرن الكافر بالنياطين وكذلك المنافقون . وعنه أيضا : قرن كل شكل بشكله من أهل الجنة وأهل النار ،

فيضم المجرز في الطاعة إلى مثله ، والمتوسط إلى مثله ، وأهل المعصية إلى مثله ؛ فالترويج أن يقرن الشيء بمثله ، والمعنى : وإذا النفوس قرنت إلى أشكالها في الجنة والنار . وقيل : يضم كل رجل إلى من كان يزمه من ملك وملك ، كما قال تعالى : « أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ » . وقال عبد الرحمن بن زيد : جعلوا أزواجاً على أشباه أعمالهم ليس بترويج ، أصحاب اليمين زوج ، وأصحاب الشمال زوج ، والسابقون زوج ، وقد قال جل ثناؤه : « أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ » أى أشكلهم . وقال مكرمة : « وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ » قرنت الأرواح بالأجساد ؛ أى ردت إليها . وقال الحسن : ألحق كل امرئ بشيعته ؛ اليهود باليهود ، والنصارى بالنصارى ، والمجوس بالمجوس ، وكل من كان عبداً شيطناً من دون الله يلحق بعضهم ببعض ، والمتأقنون بالمتأقين والمؤمنون بالمؤمنين . وقيل : يقرن التاوى بمن أغواه من شيطان أو إنسان على جهة البغض والعداوة ، وقرن المطيع بمن دماه إلى الطاعة من الأتباع والمؤمنين . وقيل : قرنت النفوس بأعمالها فصارت لأختصاصها به كالترويج .

قوله تعالى : ( وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ) الموعودة المقتولة ؛ وهى الجارية تدفن وهى حية ، سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤودها أى يثقلها حتى تموت ؛ ومنه قوله تعالى : « وَلَا يُؤْودُهُ حُمْلُهَا » أى لا يثقله ؛ وقال متم بن نويرة -

وموعودة مقبورة في مفازة • بآتيها موصودة لم تمهد<sup>(١)</sup>

وكانوا يدفعون بناتهم أحياء لخصيتين ؛ إحداهما كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فالحنوا البنات به . الثانية إما مخافة الحاجة والإملاق ، وإما خوفاً من السبي والاسترقاق . وقد مضى

(١) كذا روى البيت ونسب إلى متم بن نويرة في الأصول ، ونسب إلى ابن جرير في مادة (عوز) إلى حسان رضى الله عنه وروى فيها :

وموعودة مقرورة في مكارز • يأتيها موصودة لم تمهد

والآلة : ما يلقى بسره المولود إذا سقط من بطن أمه . والمكارز : ترقى يلقى بها السبي .

في سورة « النمل » هذا المعنى عند قوله تعالى : « أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ مُتْرَكٌ » وقد كان ذوو الشرف منهم يمتنعون من هذا ، ويعنون منه حتى آتخبر به أفرزدق ، فقال :  
 وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِلِدَاتِ \* فَاجِبَا الْوَيْسِدَ فَلَمْ يَبُودَا<sup>(١)</sup>  
 يعني جده صمصمة كان يشترين من آبائهن ، بخاء الإسلام وقد أحيا سبعين موهودة . وقال ابن عباس : كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة وتحففت على رأسها ، فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة ورذيت التراب عليها ، وإن ولدت غلاما حبسته ، ومنه قول الرجز :

سَمِيَّتُهَا إِذْ وُلِدَتْ تَمُوتُ \* وَالْقَبْرِ صِهْرٌ ضَامِنٌ يَزِيْتُ

الزيت الوقور ، والزيت مثال الفسق أوفر من الزيت ، وفلان أزمى الناس أى أوفرهم ، وما أشد تزمته ، عن القراء . وقال قتادة : كانت الجاهلية يقتل أحدهم أبته وينذو كلبه ، فأتاهم الله على ذلك وتوعدهم بقوله : « وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ » قال عمر بن الخطاب قال تعالى « وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ » قال : جاء قيس بن عاصم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! إني وأدت ثمان بنات كنن لي في الجاهلية ، قال : « فأتحق عن كل واحدة منهن رقبة » قال : يا رسول الله إني صاحب إبل ، قال : « فأهد عن كل واحدة منهن بدنة إن شئت » . وقوله تعالى : « سُئِلَتْ » سؤال الموهودة سؤال توبيع لقاتلها ، كما يقال للطفل إذا ضرب لم ضربت وما ذنبك ؟ قال الحسن : أراد الله أن يوجب قاتلها ؛ لأنها قتلت بغير ذنب . وقال ابن أسلم : باى ذنب ضربت وكانوا يضربونها . وذكر بعض أهل العلم في قوله تعالى « سُئِلَتْ » قال : طُيِّلَتْ ، كأنه يريد كما طُيِّلَ بدم القاتل . قال : وهو كقوله : « وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا » أى مطلوبًا . فكانها طُيِّلَتْ منهم ، قيل أين أولادكم ؟ ! وقرأ الضحاك وأبو الضحان عن جابر بن زيد وأبي صالح « وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ » فتعلق الجارية بأبيها فتقول : باى ذنب

(١) راجع ١٠ ص ١١٧

(٢) ويرى : ويبنى الذى مع الراءعات ... الخ .

فتثنى ؟ ! فلا يكون له ضرر ، قاله ابن عباس وكان يقرأ « وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ سَأَلَتْ » وكذلك هو في مصحف أبي . وروى عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن المراه التي تقتل ولدها تأتي يوم القيامة متعفا ولدها بشديها ملطخا بدمائه فيقول يا رب هذه أمي وهذه فتثنى » والقول الأول عليه الجمهور ، وهو مثل قوله تعالى ليعسى : « أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ » على جهة التوبيخ والتبكيت لهم ، فكذلك سؤال الموعودة توبيخ لوالدها ، وهو أبلغ من سؤالها عن قتلها ، لأن هذا مما لا يصح إلا بذهب ، فبأي ذنب كان ذلك ، فلذا ظهر أنه لا ذنب لما كان أعظم في البلية وظهور الرحمة على قاتلها . والله أعلم . وقرأ « قُلْتَ » بالتشديد وفيه دليل بين على أن أطفال المشركين لا يسديون ، وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بذهب .

قوله تعالى : ( وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ) أى فصحت بعد أن كانت مطوية ، والمراد مصحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير وشر ، تطوى بالموت وتشر في القيامة ، فيفحص كل إنسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول : « مَا لِي هَذَا الْكِتَابُ لَا يَنَادِرُ صَنِيعًا وَلَا كَيْدًا إِلَّا أَحْصَاهَا » . وروى مرثد بن ربيعة قال : إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش ، فتقع صحيفة المؤمن في يده « فِي جَنَّةٍ مَّالِيَةٍ » إلى قوله : « وَالْآيَاتُ الْخَالِيَةِ » وتقع صحيفة الكافر في يده « فِي سُجُومٍ وَحِيمٍ » إلى قوله : « وَلَا كَرِيمٍ » . وروى عن أئمة سلمة رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُنْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ حُمْرَاءَ » قلت : يا رسول الله ! فكيف بالنساء ؟ قال : « تُنْشَرُ النَّاسُ يَا أئمة سلمة » قلت : وما شغلهم ؟ قال : « نشر الصحف فيها مثاقيل النر ومثاقيل الخردل » . وقد مضى في سورة « سبحان » قول أبي السوار السدوسي : هما نشرتان وطية ، أما ما حيت يابن آدم فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ما شئت ، فلذا يت طويت ، حتى إذا بهتت نشرت « أَفْرَأَ تَكَلِّمَكَ كَتَمْتُ يَنْفِيكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَيًّا » . وقال مقاتل : إذا مات المرء طويت صحيفته عمله فلذا كان يوم القيامة نشرت . وعن عمر رضى الله عنه أنه كان إذا قرأها قال : إليك يساق

الامر يا بن آدم ، وقرأ نافع وابن حاصر وماسم وأبو عمرو « نُشِرَتْ » مخففة على نشرها مرة واحدة لتقيام الحجة ، الباقون بالتشديد على تكرار النشر البالغة في تعريض العاصي وتبشير المطيع .  
وقيل : لتكرار ذلك من الإنسان والملائكة للشهداء عليه .

قوله تعالى : ( وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ) الكشط قطع عن شدة التزاق ، فالسماء تُكشَطُ كما يُكشَطُ الجسد عن الكشش وغيره ، والكشط لغة فيه . وفي قراءة عبد الله « وَإِذَا السَّمَاءُ قُشِطَتْ » وكشطت البعير كشطاً تزمت جلده ، ولا يقال سلخته ، لأن العرب لا تقول في البعير إلا كشطته أو جلده ، وأنكشط أى ذهب ، فالسماء تنزع من مكانها كما ينزع النطاء عن الشيء .  
وقيل تطوى كما قال تعالى : « يَوْمَ تَطْوَى السَّمَاءُ كَفْلًا لِّلْكِتَابِ » فكان المعنى قلمت فطويت . والله أعلم .

قوله تعالى : ( وَإِذَا الْبِحِيمُ سُحِرَتْ ) أى أوقدت فأضرمت للكفار وزيد في إحماها .  
يقال : سحرت النار وأسعرتها . وقراءة العامة بالتخفيف من السعير . وقرأ نافع وابن ذكوان ورويس بالتشديد ؛ لأنها أوقدت مرة بعد مرة . قال قتادة : سورها غضب الله وخطايا بني آدم . وفي الترمذى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أوقد على النار ألف سنة حتى أحمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى أبيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى أسودت فهي سوداء مظلمة " وروى موقفاً .

قوله تعالى : ( وَأَإِذَا الْجِبَةُ أُزْلِفَتْ ) أى أدنيت وقربت من المتقين . قال الحسن : إنهم يقرءون منها ؛ لا أنها تزول عن موضعها . وكان عبد الرحمن بن زيد يقول : زين<sup>(١)</sup> والزنى في كلام العرب القربة ؛ قال الله تعالى : « وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ » وتزلف فلان تقرب .

قوله تعالى : ( عَلَيَّتْ نَفْسٌ مَّا أُحْضَرْتْ ) يعنى ما عملت من خير وشر . وهذا جواب « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » وما بعدها . قال عمر رضى الله عنه : لهذا أجرى الحديث . وروى

(١) في نسخة : أدنيت .

عن ابن عباس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنهما قرأها فلما بلغا « مَلَيْتَ نَفْسٌ مَا أَحْضَرْتُ » قالا لهذا أجريت القصة ؛ فالمعنى على هذا إذا الشمس كورت وكانت هذه الأشياء علمت نفس ما أحضرت من عملها . وفي الصحيحين عن عائشة بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا وسبكه الله ما بينه وبينه ترجان فينظر إيمان منه فلا يرى إلا ما قدمه [وينظر أشام منه فلا يرى إلا ما قلَّم<sup>(١)</sup>] بين يديه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمرة فليقل » وقال الحسن : « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » قسم وقع على قوله : « مَلَيْتَ نَفْسٌ مَا أَحْضَرْتُ » كما يقال : إذا قرزيد تفر عمرو . والقول الأقل أصح . وقال ابن زيد عن ابن عباس في قوله تعالى : « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » إلى قوله : « وَإِذَا الْجِبَةُ أُرْلَتْ » أثنا عشرة خصلة ؛ ستة في الدنيا وستة في الآخرة ؛ وقد بينا الستة الأولى بقول أبي بن كعب .

قوله تعالى : فَلَا أُنْقِصُ بِالْخُنُوسِ ١٦ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ١٧ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ١٨ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٢٠ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢١ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ٢٢ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ٢٣

قوله تعالى : ( فَلَا أُنْقِصُ ) أى أضم و « لا » زائدة كما تقدم . ( بِالْخُنُوسِ ) الخوارى الكُنُوسُ هى الكواكب الخمسة النجوى : زحل والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة ، فهنا ذكر أهل التفسير . والله أعلم . وهو مروى عن علي بن كرم الله وجهه . وفي تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم وجهان : أحدهما — لأنها تستقبل الشمس ؛ قاله بكر بن عبد الله المزني الثاني — لأنها تطلع المحرقة ؛ قاله ابن عباس . وقال الحسن وقادة : هى النجوم التى تفتين

بالتبار وإذا غربت، وقاله علي رضي الله عنه قال : هي النجوم تخفى بالنهار وتظهر بالليل؛ وتكنس في وقت غروبها، أي تاترعن البصر خلفاتها فلا ترى. وفي الصباح: و«الحُئْس» الكواكب كلها. لأنها تخفى في الليل، أو لأنها تخفى نهاراً. ويقال: هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة. وقال الفراء في قوله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُيُوسِ» الجوارى الكُنُس إنها النجوم الخمسة؛ زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد؛ لأنها تخفى في مجراها، وتكنس أي تستركا تكنس الظباء في المغار وهو الكناس. ويقال: سميت خُنُساً لأنها الكواكب المتخفية التي ترجع وتستقيم؛ يقال: خُنُس عنه يخُنُس بالضم خنوساً تاجر، وأخسه غيره إذا خلفه ومضى عنه. والخنس تاجر الألف من الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة، والرجل أخنس والمرأة خنساء والبقر كلها خُنُس. وقد روى عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُيُوسِ» هي بقرة الوحش. روى هشيم عن زكريا عن أبي إسحق عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل، قال قال لي عبد الله بن مسعود: إنكم قوم عرب فما الخنس؟ قلت: هي بقرة الوحش؛ قال: وأنا أرى ذلك. وقاله إبراهيم وجابر بن عبد الله. وروى عن ابن عباس: إنما أقسم الله ببقرة الوحش. وروى عنه عكرمة قال: «الخنس» البقر و«الكنس» هي الظباء، فهي خُنُس إذا رآين الإنسان خُنُساً وأتبعن وتاتعن ودخلن كنُسهن. القشيري: وقيل على هذا «الخنس» من الخنس في الألف وهو تأخير الأرنبة وقصر النعابة، وأتوف البقر والظباء خُنُس. والأصح الحمل على النجوم لذكر الليل والمصبح بعد هذا، فذكر النجوم أليق بذلك.

قلت: لله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته من حيوان وجماد، وإن لم يُسَلَمْ وجه الحكمة في ذلك. وقد جاء عن ابن مسعود وجابر بن عبد الله وهما صحابيَان والنخعي أنها بقرة الوحش. وعن ابن عباس وسعيد بن جبيرة أنها الظباء. وعن الجاهلي بن منذر قال: سألت جابر بن زيد عن الجسور الكُنُس، قال: الظباء والبقر، فلا يبعد أن يكون المراد

النجوم . وقد قيل : إنها الملائكة ، حكاه الماوردي . والكس الفئب ، مأخوذة من  
الكس وهو كس الوحش الذي يفتنى فيه . قال أوس بن حجر :  
ألم تر أن الله أنزل مِرَّةً • وعُفْرَ الظَّيَاهِ فِي الْكَاسِ تَمْعِ  
وقال طرفة :

كَانَ كَأَنَّ مَنَاقِبَ يَكْفَعَانِيَا • وَأَطْرَقَتِ تَحْتَ صُلْبِ مُؤَيَّدٍ<sup>(١)</sup>

وبيل : الكؤوس أن تأوى إلى مكانها ، وهى المواضع التى تأوى إليها الوحوش والظباء .  
قال الأحنى :

فَلَسَا أَيْنَمَا أَلْمَحْتُ أَنَسَ • كَمَا أَتَلَفْتُ تَحْتَ الْمَكَائِسِ دَرَبُ

يقال : تلح التبارك رفع وألغت الظبية من كسها أى سمت يبيدها . وقال امرؤ القيس :  
تَسْتَنِي قَلْبًا مِثْلِي عُلُوقُهُ • يُجِيرُ التُّرَابَ مِنْ مَبِيتٍ وَمَكْنَسِ

والكس جمع كليس وكلسة ، وكذا النلس جمع خليس ونلاسة . والجوارى جمع جارية  
من جرى يجرى . ( وَالْقِيلُ إِذَا حَسَسَ ) قال الفراء : أجمع المفسرون على أن معنى حسس  
أدبر ، حكاه الجوهري . وقال بعض أصحابنا : إنه دأ من أوله وأظلم وكذلك السحاب  
إذا دنا من الأرض . المهدوي : « وَالْقِيلُ إِذَا حَسَسَ » أدبر بظلامه ، من أبى مياس ومجاهد  
وضيحا . وروى عنهما أيضا وعن الحسن وضيرة : أقبل بظلامه . زيد بن أسلم : « حَسَسَ »  
ذهب . الفراء : العرب تقول حسس وسسس إذا لم يبق منه إلا اليسير . الخليل وغيره :  
حسس الليل إذا أقبل أو أدبر . المبرد : هو من الأضداد والمعينان يرجعان إلى شئ واحد  
وهو ابتداء الظلام في أوله وإدباره في آخره ، وقال علقمة بن قُرْطُ :

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَمَّا تَنَقَّسَا • وَأَنْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسَسَا

(١) تَمْعِ : تحرك روسها من القعدة ؛ وهى ذباب أزرق يدخل فى أنوف العوالم أو يقع عليها فيلهبها .  
(٢) قال : « كَسَى » لأن الحيوان يتكفن بالنداء فى ظلمة والبالغى فى نيتا . وقال : السدر البرى  
الواحدة خالة . والأمر : السلف . والمؤيد : القوى . يقول الشاعر : كان كسَى مائة يكفان حسله  
إنما لسة ما بين مرتقتها وزورها . (٣) تَمْنَى : دخل فى الشتاء وهو أول الليل . طرفة : سراقه .

وقال زُبدية :

يا هِنْدُ ما أَسْرَعَ ما تَسَمَّيَا • من بَعْدِ ما كان قَيَّ مَرَعَرَعَا<sup>(١)</sup>

وهذه حجة الفراء . وقال امرؤ القيس :

عَسَسَ حَتَّى لَوْ نَشَأُ أَذْنًا • كان لنا مِنْ نارِهِ مَقْلَسٌ

فهذا يدل على الذوق . وقال الحسن وعجاءه : عسس أظلم ؛ قال الشاعر :

حَتَّى إِذَا ما لَيْلُهُتْ عَسَسَا • رَكِبْنِ مِنْ حَدِّ الظَّلَامِ حَتِيمَا

المأوردى : وأصل العس الأمتلاء ؛ ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلائه بما فيه فأطلق على إقبال الليل لامتلاء امتلائه ؛ وأطلق على إدباره لانتفاء امتلائه على ظلامه ؛ لامتلاك امتلائه به . وأما قول امرئ القيس :

• الما على الريح القديم عَسَسَا<sup>(٢)</sup> •

فوضع بالبادية . وعسس أيضا أسم رجل ؛ قال الرازي :

• وعسس نِسْمَ النسي تَبَيَّاه •

أى تمسكه . ويقال للذئب التمس التمس والتمس والتمس ؛ لأنه يمس بالليل ويطلب . ويقال للفتافذ المساعيس لكثرة ترددتها بالليل . قال أبو عمرو : والتمس الشم ، وأفتسد :

• كنتخِر الذئب إذا تَسَمَّيَا •

والتمسس أيضا طلب العيذ [ بالليل ]<sup>(٣)</sup> •

(١) تمسا : أدبر رقبته ، والسرعرع : الشاب الغام .

(٢) كذا في الأصول كلها ولم نجد في ديوانه . وفي اللسان : كان له من ضوئه مقبس . ثم قال : أفتسد أبو البلاد الصخرى وقال : وكثرتا يرون أن هذا الهمز مصنوع . وأذا أسه : إذا دعا نادفم .

(٣) تمسه : كائن آفة أو أكل أئربا •

(٤) الزيادة من المصالح •

قوله تعالى : **(وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ)** أى أمتد حتى يصير نهارا واضحا ؛ يقال النهار إذا زاد تنفس . وكذلك الموج إذا فصح الماء . ومعنى التنفس خروج السيم من الجوف . وقيل : **« إِذَا تَنَفَّسَ »** أى أشفق وأخفق ؛ ومنه تَنَفَّسَتِ القوسُ أى تَصَدَّعَتْ . **(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)** هذا جواب القسم . والرسول الكريم جبريل ؛ قاله الحسن وقسادة والضحاك . والمعنى **« إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ »** عن الله **« كَرِيمٍ »** على الله . وأضاف الكلام إلى جبريل عليه السلام ثم مداه عنه بقوله **« تَنَزَّلُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ »** يعلم أهل التحقيق في التصديق أن الكلام لله عز وجل . وقيل : هو عهد عليه الصلاة والسلام **(ذِي قُوَّةٍ)** من جعله جبريل قُوَّةَ ظاهرة ؛ فروى الضحاك عن ابن عباس قال : من قُوَّةِ قلعه مدائن قوم لوط بقوادم جناحه . **(عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ)** أى عند الله جل ثناؤه **(يَكِينٍ)** أى ذى مثالة ومكانة ؛ فروى عن أبي صالح قال : يدخل سبعين سرادقا بغير إذن . **(مُطَاعٍ ثُمَّ)** أى فى السموات ؛ قال ابن عباس : من طاعة للملائكة جبريل أنه لما أمرى برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان خازن الجنان : أفتح له ففتح فدخل ورأى ما فيها ، وقال لملك خازن النار : أفتح له جهنم حتى ينظر إليها فاطامه وفتح له . **(أَمِينٍ)** أى مؤتمن على الوحي الذى يحمى به . ومن قال : إن السرادج مد صلى الله عليه وسلم فاللعن **« ذِي قُوَّةٍ »** على تبليغ الرسالة **« مُطَاعٍ »** أى يطيعه من أطاع الله جل وعز . **(وَمَا صَاحِبُكُمْ يَحْكُمُونَ)** يعنى عهدا صلى الله عليه وسلم ليس يحكمون حتى يتهم فى قوله . وهو من جواب القسم . وقيل : أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يرى جبريل فى الصورة التى يكون بها عند ربه جل وعز فقال : ما ذاك لى ؟ فأذن له الرب جل ثناؤه فأناه وقد سد الأفق ، فلما نظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم تحمى مشيا عليه ، فقال للمشركون : إنه مجنون ، فنزلت : **« إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ »** **« وَمَا صَاحِبُكُمْ يَحْكُمُونَ »** وإنما رأى جبريل على صورته فهابه ، وورد عليه ما لم تحمى ريشته فخر مشيا عليه .

(١) فى نسخ الأصل : تنفست القوس والفجر رأى تصدعت . والله لا ذكر فى الكلمة الفجر ولم يلاحظها ياد من النسخ .

قوله تعالى : وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿٧٦﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٧٧﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ ﴿٧٨﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٧٩﴾  
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٨١﴾  
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴾ أى رأى جبريل فى صورته له سقاية جناح « بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ » أى بمطلع الشمس من قبل المشرق ، لأن هذا الأفق إذا كان منه تطلع الشمس فهو مبين . أى من جهته ترى الأشياء . وقيل : الأفق المبين أقطار السماء ونواحيها ، قال الشاعر :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ مَبِيتَكُمْ • لَنَا قَرَامَا وَالتَّجْوُمُ الطَّوَالِجُ

المأوردى : ففى هذا فيه ثلاثة أقاويل ، أحدها أنه رآه فى أفق السماء الشرق ، قاله سفيان . الثانى فى أفق السماء الغربى ، حكاه ابن شجرة . الثالث أنه رآه نحو أجياد وهو مشرق مكة ، قاله مجاهد . وحكى الضحلي عن ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل : « إني أحب أن أراك فى صورتك التى تكون فيها فى السماء » قال : لن تدرى هل ذلك . قال : « بلى » قال : فأين تنهأ أن أتخيل لك؟ قال : « بالأبطح » قال : لا يسعنى . قال : « فبمضى » قال : لا يسعنى . قال : « فبمرقات » قال : ذلك بالحرى أن يسعنى . فوافده فخرج النبى صلى الله عليه وسلم للوقت ، فإذا هو قد أقبل بمشخصة وكلكتيه من جبال عمرقات ، قد ملا ما بين المشرق والمغرب ، ورأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض ، لما رآه النبى صلى الله عليه وسلم نزع مشفيا عليه ، فتحول جبريل فى صورته وضحه إلى صدره . وقال : يا هذا لا تخف ، فكيف لو رأيت إسرائيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه فى تخوم الأرض السابعة ، وأن العرش على كاهله ، وأنه ليتضاؤل أحيانا من خشية الله حتى يصير مثل الوصع — بنى الصفور — حتى ما يجعل عرش ربك إلا عظمته . وقيل : إن محمدا

عليه السلام رأى وبه عز وجل بالأحق المئين . وهو معنى قول ابن مسعود . وقد مضى  
التون في هذا في « والجم » مستوفى تأمله هناك . وفي « المئين » قولان : أسدما أنه  
صفة الأتقي ؛ قاله الريح . الثاني أنه صفة لمن رآه ؛ قاله مجاهد . ( وَمَا هُوَ عَلَى الْقَيْبِ ظَنِينَ )  
بالظاء قراءة ابن كثير وابن عمرو والكسائي أى بمتهم والظنة التهمة ؛ قال الشاعر :

أَمَا وَكَابَ اللَّهُ لَا عَنْ شَتَاءَةٍ • مُجِرَّتْ وَلَكِنَّ الظَّيْنِ ظَنِينَ

وأختره أبو عبيد ؛ لأنهم لم يظنوه ولكن كذبوه ؛ ولأن الأكثر من كلام العرب : ما هو  
بكذاب ولا يقولون : ما هو على كذا ، إنما يقولون : ما أنت على هذا بمتهم . وقرأ الباقون  
« وَيَسْتَنِينَ » بالضاد أى يخيل من ضمنت بالشيء أضرت حسناً [ فهو ] ضنين . فروى ابن  
أبي نجیح عن مجاهد قال : لا يضن عليك بما يعلم ، بل يعلم الخلق كلام الله وأحكامه .  
وقال الشاعر :

أَبُودُ يَمْكُونُ الْحَدِيثِ وَأَتَى • بِسِرِّكَ عَنْ مَالَتِي لَفِينُ

والنبي القرآن وخبر السماء . ثم هذا صفة عهد عليه السلام . وقيل : صفة جبريل  
عليه السلام . وقيل : بظنين بضميف . حكاه الفراء والمبرد ؛ يقال : رجل ظنين أى  
ضعيف . وبُرْظَنُونَ إذا كانت قليلة الماء ؛ قال الأعمش :

مَا جُعِلَ الْجَدُّ الظُّنُونُ الَّذِي • جُنِبَ صَوْبُ اللَّجْبِ الْمَاطِرِ

مِثْلُ الْفُرَاتِ إِذَا مَا طَلَا • يَنْفُ بِالْبُوصَى وَالْمَاهِرِ

والظنون الذين لا يدرى أفضيه أخذه أم لا ؛ ومنه حليت على عليه السلام في الرجل  
يكون له الذين الظنون قال : يركبه لما مضى إذا قبضه إن كان صادقا . والظنون الرجل

(١) راجع ج ١٧ ص ٩٤ وقول ابن مسعود هناك هو أن مجدا حل الله عليه وسلم رأى جبريل والى  
قال بأنه رأى وبه هو ابن عباس رضي الله عنهما .  
(٢) الجدة البئر تكون في موضع كثير الكلام . التراق : انصبوب إلى القرات . والبوصى : شرب من سفن  
الجمر ، والملاح أيضا . والمأهر : الساج .

السمي الخلق ، فهو لفظ مشترك . ( وَمَا هُوَ ) يعني القرآن ( يَقُولُ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ )  
 أى مرجوم ملعون كما قالت قريش . قال عطاء : يريد بالشيطان الأبيض الذى كان  
 يأتى النبي صلى الله عليه وسلم فى صورة جبريل يريد أن يفتنه . ( فَأَيُّ تَذَعُّبُونَ ) قال  
 قتادة : أى أين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته . كذا روى معمر بن قتادة ، أى أين  
 تذهبون عن كتابي وطاعتي . وقال الزجاج : فأى طريقة تسلكون أين من هذه الطريقة  
 التى يبت لك ، ويقال : أين تذهب وإلى أين تذهب ، وحكى الفراء عن العرب : ذهب  
 الشام ونحيت الرأق وأطلقت السوق أى إليها . قال : سمعناه فى هذه الأحرف الثلاثة  
 وأنشدني بعض بنى عقيل :

تَصْبِحُ بِنَا حَنِيفَةً إِذْ رَأَتْهَا • وَأَيُّ الْأَرْضِ تَذْهَبُ بِالصَّبَاحِ

يريد إلى أى أرض تذهب لحلف إلى . وقال الجنيدي : معنى الآية مقرون بأية أخرى وهى  
 قوله تعالى : « وَإِنْ مِنْ قَوْمٍ إِلَّا عِتْدَةٌ تَخْرُشُهُ » المني : أى طريق تسلكون أين من الطريق  
 التى يبت لك . وهذا معنى قول الزجاج . ( إِنَّ هُوَ ) يعني القرآن ( إِلَّا ذِكْرُ الْمَالِكِينَ )  
 أى موعظة وجزء « إِنَّ » بمعنى « ما » . وقيل : ما عهد إلا ذكر . ( لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ )  
 أى يتبع الحق ويقيم عليه . وقال أبو هريرة وسليمان بن موسى : لما نزلت « لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ  
 يَسْتَقِيمَ » قال أبو جهل : الأمر إلينا إن شئنا أصغمتنا وإن شئنا لم نستقم — وهذا هو القدر  
 وهو رأس القدرية — فنزلت : ( وَمَا تَسْمَوْنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْمَالِكِينَ ) فبين بهذا أنه  
 لا يعمل العبد خيرا إلا بتوفيق الله ولا شرا إلا بمذلاته . وقال الحسن : والله ما شاعت العرب  
 الإسلام حتى شاء الله لها . وقال وهب بن منبه : قرأت فى سبعة وعشرين كتابا بما أنزل الله على  
 الأنبياء من جعل إلى نفسه شيئا من المشقة فقد كفر . وفى التنزيل : « وَلَوْ أَنَّا زُلْنَا إِلَيْهِمُ  
 الْمَلَائِكَةُ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ لُبَّا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ » وقال  
 تعالى : « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ » وقال تعالى : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ  
 وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ » والآى فى هذا كثير وكذلك الأخبار وإن الله سبحانه هدى  
 بالإسلام وأضل بالكفر كما هدى فى غير موضع ، ختمت السورة والحمد لله .

## مسورة الانفطار

مكية عند الجميع وهي تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ  
 انْتَثَرَتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ③ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④  
 عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قُلَّمَتْ وَأَنْثَرَتْ ⑤

قوله تعالى : ( إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ) أى تَشَقَّقَتْ بأمر الله ، لتزول الملائكة ، كقوله :  
 « وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ فَتُفْصَقُ عَنْهَا رَبَّاقٌ يُرْزَقُ الْمَلَائِكَةُ تَرَيُّلاً » . وقيل : انفطرت لحية الله تعالى .  
 وانفطر الشق ، يقال : فطرته فأنفطر ، ومنه فطر نائب البير طلع فهو بئر فاطر ، ونظير  
 الشيء تَشَقَّقَ ، وسيف فطار أى فيه شقوق ، قال عنترة :

وَسَبِي كَالْبَيْقَةِ وَهَوَّ كَيْبِي • سِلَاحِي لَا أَقْلُ وَلَا فُطَارًا<sup>(١)</sup>

وفد هلم في غير موضع . ( وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ) أى تساقطت ، وُثِرَتْ انتهى أثره  
 ثرا فانتثر والاسم الثنار . والثار بالضم ما تاتر من الشيء ، وثر مشددا للكنة . ( وَإِذَا  
 الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ) أى بخر بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا على ما تقدم . وقال الحسن :  
 بخرت ذهب ماؤها ويست ، وذلك أنها أولا راكدة مجتمعة ، فإذا فُجِّرَتْ فخرقت فذهب  
 ماؤها . وهذه الأشياء بين يدي الساعة على ما تقدم في « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » . ( وَإِذَا  
 الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ) أى قلبت وأخرج ما فيها من أهلها أحياء ، يقال : بعثرت المتاع قلبته ظهورا  
 لبطن ، وبعثرت الحوض وبخرته إذا خلطته وجعلت أسفله أعلاه . وقال قوم منهم الفراء :  
 « بُعْثِرَتْ » أخرجت ما في بطنها من الذهب والفضة . وذلك من أشرط الساعة أن تخرج الأرض

(١) الحقيقة : شاح البرق الذى يدرك كاليف . والكعب : النجم . (٢) راجع ١٦ ص ٤

فنعيا ونفضتها . ( عَلِمْتُ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُ وَتَوَثَّرْتُ ) مثل : « يُبْنَى الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَتَوَثَّرَ » . وهذا جواب « إِذَا السَّاهُ أَقْطَرْتُ » لأنه قسم في قول الحسن وقع على قوله تعالى : « عَلِمْتُ نَفْسَ » يقول : إذا بدت هذه الأمور من أشراف الساعة ختمت الأعمال فسلمت كل نفس ما كسبت ، فإنها لا ينفعها عمل بعد ذلك . وقيل : أى إذا كانت هذه الأشياء قامت القيامة فحوسبت كل نفس بما عملت ، وأوتيت كتابها بين يديها أو بشيئها فتذكرت عند قراءته جميع أعمالها . وقيل : هو خير وليس بقسم وهو الصحيح إن شاء الله تعالى .

قوله تعالى : يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ① الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ② فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ③ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ④

قوله تعالى : ( يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ ) خاطب بهذا منكرى البعث . وقال ابن عباس : الإنسان هنا الوليد بن المنية . وقال عكرمة : ابن بن خلف . وقيل : نزلت في أبي الأشعث بن كَلْدَةَ الْجَمْحِيِّ . عن ابن عباس أيضا : « مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » أى ما الذى غررك حتى كفرت « بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » أى المتجاوز عنك . قال قتادة : غره شيطانه المسقط عليه . الحسن : غره شيطانه الخبيث . وقيل : حقه وجهله . رواه الحسن عن عمر رضى الله عنه . وروى غالب الحنفى قال : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » قال : « غره الجهول » وقال صالح بن مسيار : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ « يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » فقال : « غره جهله » . وقال عمر رضى الله عنه : كما قال الله تعالى « إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا » . وقيل : غره غفوا الله اذ لم يعاقبه في أول مرة . قال إبراهيم بن الأعمش : قيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله تعالى

يوم القيامة بين يديه فقال لك • مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ • ماذا كنت تقول ؟ قال : كنت أقول غرني ستورك المرحاة ، لأن الكريم هو الستار . فظنه ابن السَّيِّئِ فقال :  
يَا كَلِمَ الذَّنْبِ أَنَا تَسْتَسِي • والله في التَّلَوَةِ ثَانِيكََا  
غَرَّكَ مِنْ رَبِّكَ إِمْلَؤُهُ • وَسَعَهُ طُولُ مَسَاوِيكََا  
وقال ذو النون المصري : كم من مغرور تحت السر وهو لا يشعر .

وَأَشَدُّ أَبُو بَكْرٍ طَاهِرُ الْأَهْوَى :

يَا مَنْ خَلَا فِي السُّجْبِ وَالْبَيْهِ • وَسَعَهُ طُولُ تَمَادِيهِ  
أَسْأَلُكَ اللَّهُ فَبَارِؤُهُ • وَلَمْ تَحْفَ بِهَبِّ مَعَاصِيهِ

وروى عن علي رضي الله عنه أنه صاح بسلام له مرات فلم يلبه ، فنظر فإذا هو بالباب فقال : مالك لم تجبني ؟ فقال : لتقني بجلحك وأنتي من عقوبتك . فاستحسن جوابه فأعطاه . وناس يقولون : ما غرك ما خدعتك وسؤل لك حتى أضعت ما وجب عليك . وقال ابن مسعود : ما منكم من أحد إلا وسيخلفه الله به يوم القيامة فيقول له : يا ابن آدم ماذا غرك بي ؟ يا ابن آدم ماذا علمت فيما علمت ؟ يا ابن آدم ماذا أجببت المرسلين ؟ (الَّذِي خَلَقَكَ) أي قدر خلقك من نطفة (فَسَوَّاكَ) في بطن أمك وجعل لك يدين ورجلين وعينين وسائر أعضائك (فَسَدَّلَكَ) أي جعلك معتدلاً سوى الخلق ؛ كما يقال : هذا شيء ممثل . وهذه قراءة العامة وهي اختيار أبي حنيفة وأبي حاتم ؛ قال الفراء وأبو عبيد : يدل عليه قوله تعالى : « لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » . وقرأ الكوفيون حاصم وحمة والكسائي : « فَسَدَّلَكَ » مخففاً أي أمالك وصرفك إلى أي صورة شاء إما حسناً وإما قبيحاً ، وإما طويلاً وإما قصيراً . وقال [ موسى بن علي بن رباح النخعي عن أبيه عن جده ] قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : " إن النطفة

(١) الزيادة من تفسير الثعلبي والطبري وأبو المنصور . والحديث كما رواه الثعلبي بعد السد : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلدوه " ما ولد لك " قال يا رسول الله وما عسى أن يولد لي ، إما غلام أو جارية . قال " فن يثبه " قال : فن يثبه ، أمه أو أباه ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم . " لا تنزل هكذا إن النطفة ... الحديث " .

لِذَا اسْتَعْرَضَ فِي الرِّمِّ أَحْضَرَهَا اللَّهُ كُلَّ نَسَبٍ بَيْنَا وَبَيْنَ آدَمَ « أَمَا قُرَأْتَ هَذِهِ الْآيَةَ (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَجُلُكَ) : « فَمَا يَبْنِيكَ وَبَيْنَ آدَمَ » [ وَقَالَ عِصْمَةُ وَأَبُو صَالِحٍ : « فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَجُلُكَ » ] إِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ حِمَارٍ ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ قِرْدٍ ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ خَنْزِيرٍ ، وَقَالَ مَكْحُولٌ : إِنْ شَاءَ ذَكَرًا وَإِنْ شَاءَ أُنْثَى . وَقَالَ جَاهِدٌ : « فِي أَيِّ صُورَةٍ » أَيُّ فِي أَيِّ شَيْءٍ مِنْ أَيْبٍ أَوْ أُمٍّ أَوْ عَمٍّ أَوْ خَلٍّ أَوْ ضَرِيمٍ . وَ« فِي » مُتَعَلِّقَةٌ بِ« رَجُلُكَ » وَلَا تَتَعَلَّقُ بِ« هَذَا » عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ خَفَفَ ، لِأَنَّكَ تَقُولُ صَدَلْتُ إِلَى كَذَا وَلَا تَقُولُ صَدَلْتُ فِي كَذَا ، وَلِلَّامِ مَنَعَ الْفَرَاءَ التَّخْفِيفَ ، لِأَنَّهُ قَدَرٌ « فِي » مُتَعَلِّقَةٌ بِ« هَذَا » وَ« مَا » يَحْجُزُ أَنْ تَكُونَ صِلَةً مُؤَكَّدَةً ، أَيُّ فِي أَيِّ صُورَةٍ شَاءَ رَجُلُكَ . وَيَحْجُزُ أَنْ تَكُونَ شَرْطِيَّةً أَيُّ إِنْ شَاءَ رَجُلُكَ فِي غَيْرِ صُورَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ صُورَةِ قِرْدٍ أَوْ حِمَارٍ أَوْ خَنْزِيرٍ فَ« مَا » بِمَعْنَى الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ ، أَيُّ فِي صُورَةٍ مَا شَاءَ أَنْ يَرَجُلَكَ رَجُلُكَ .

قوله تعالى : (كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالْبَاطِنِ) يَحْجُزُ أَنْ تَكُونَ « كَلَّا » بِمَعْنَى حَقًّا وَ« آلَا » فَيَتَدَا بِهَا . وَيَحْجُزُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى « لَا » عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ مِنْ أَنْكُمْ فِي عِبَادَتِكُمْ غَيْرَ اللَّهِ عَمَقُونَ . يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « مَا خَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » وَكَذَلِكَ يَقُولُ الْفَرَاءُ : يَصْبِرُ الْمَعْنَى لَيْسَ كَمَا غَرَدْتَ بِهِ . وَقِيلَ : أَيُّ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ مِنْ أَنَّهُ لَا بَسْتُ . وَقِيلَ : هُوَ بِمَعْنَى الرَّدِّ وَالزَّجْرِ . أَيْ لَا تَقْتَرُوا بِعِلْمِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ فَتُخْرِكُوا الشُّكْرَ فِي آيَاتِهِ . أَهْنُ الْأَنْبَارِ : الْوَقْفُ الْجَلِيدُ عَلَى « الْبَاطِنِ » وَعَلَى « رَجُلُكَ » وَالْوَقْفُ عَلَى « كَلَّا » قَبِيحٌ . (بَلْ تُكَذِّبُونَ) يَأْمُلُ مَكَّةَ (وَالَّذِينَ) أَيُّ بِالْحِسَابِ وَ« بَلْ » لِنُفْيِ شَيْءٍ تَهْدُمُ وَتُحْقِقُ فِيهِ . وَإِنْكَارِهِمُ الْبَسْتَ كَانَ مَعْلُومًا وَإِنْ لَمْ يَحْمِلْهُ ذِكْرُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ .

قوله تعالى : وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١١﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١٢﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى : (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ) أَيُّ رِقَابَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ (كِرَامًا) أَيُّ عَلَى ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « كِرَامٌ بَرَرَةٌ » وَهَذَا ثَلَاثُ مَسَائِلَ :

الأولى - روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " أكرموا الكلام الكتيين الذين لا يشارفونكم إلا عند إحدى حاتين الخمر أو الجماع فإذا انفصل أحدكم فليست بهرم [ حائل<sup>(١)</sup> ] أو بنيره أو ليستره أخوه " . وروى عن علي رضي الله عنه قال : " لا يزال الملك موليا من العبد ما دام يبدى الصورة " وروى " إن العبد إذا دخل الحمام بغير مئزر لعنه ملكه " .

الثانية - واختلف الناس في الكفار هل عليهم حفلة أم لا ؟ فقال بعضهم : لا لأن أمرهم ظاهر وعملهم واحد ، قال الله تعالى : « يُرْفُ الخَيْرُونَ بِسَاءَمٍ » . وقيل : بل عليهم حفلة ؛ لقوله تعالى : « كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ . وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كَرَامًا كَاتِبِينَ . يَلْتَمِسُونَ مَا تَعْمَلُونَ » . وقال : « وَأَمَّا مَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ نِسْيَانَهُ » وقال : « وَأَمَّا مَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ » فأخبر أن الكفار يكون لهم كتاب ويكون عليهم حفلة . فإن قيل : الذي مل بينه أي شيء يكتب ولا حصة له ؟ قيل له : الذي يكتب عن شماله يكون بإذن صاحبه ويكون شاهدا على ذلك وإن لم يكتب . والله أعلم .

الثالثة - مثل سفيان : كيف تعلم الملائكة أن العبد قد تم بحسنة أو سيئة ؟ قال : إذا تم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك ، وإذا تم بسيئة وجدوا منه ريح الفس . وقد مضى في « ق » عند قوله : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ حَسِيدٌ » زيادة بيان لمعنى هذه الآية . وقد ذكره العلماء الكلام عند الناطق والجماع لمفارقة الملك العبد عند ذلك . وقد مضى في آخر « آل عمران » القول في هذا . ومن الحسن : يعلمون لا ينبغي عليهم شيء من أعمالكم . وقيل : يعلمون ما ظهر منكم دون ما حدثكم به أنفسكم . والله أعلم .

(١) الزيادة من المراد منه دفعه سب ربه الحديث أنه عليه السلام رأى رجلا يتنسل بخلاف من الأرض ... الخ .

(٢) راجع ١٧ ص ١١

(٣) راجع ٤ ص ٣١٠ فابعدا .

قوله تعالى : **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** ﴿١٦﴾ **وَأَنَّ الْأَشْقَارَ لَفِي جَحِيمٍ** ﴿١٧﴾ **يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ** ﴿١٨﴾ **وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ** ﴿١٩﴾ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الَّذِينَ** ﴿٢٠﴾ **يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ** ﴿٢١﴾

قوله تعالى : ( **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** . وَأَنَّ الْأَشْقَارَ لَفِي جَحِيمٍ ) تفسير مثل قوله : **« فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ »** وقال : **« يَوْمَئِذٍ يَصْدَحُّونَ . قَالُوا الَّذِينَ آمَنُوا »** الآيةين ( **يَصْلَوْنَهَا** ) أى يصيبهم لها وحشا ( **يَوْمَ الَّذِينَ** ) أى يوم الجزاء والحساب وكرر ذكره تنظيها لشأنه ونحو قوله تعالى : **« الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ »** وقال ابن عباس فيما روى عنه : كل شئ من القرآن من قوله : **« وَمَا أَدْرَاكَ »** فقد أدراه ، وكل شئ من قوله : **« وَمَا يُبْدِيكَ »** فقد طوى عنه . ( **يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ** ) قرأ ابن كثير وأبو عمرو **« يَوْمَ »** بالرفع على البدل من **« يَوْمَ الَّذِينَ »** أو ردا على اليوم الأول فيكون صفة ونعتا لـ **« يَوْمِ الَّذِينَ »** . ويجوز أن يرفع بإضمار هو . الباقون بالنصب على أنه في موضع رفع إلا أنه نصب ؛ لأنه مضاف غير ممكن ؛ كما تقول : أعجبني يوم يقوم زيد . وأنشد المبرد :

مِنْ أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الْمَوْتِ أَقْرُ • أَيُّوْمَ لَمْ يُقَدَّرْ أَمْ يَوْمَ قُدِّرَ

فاليومان الثانيان مخفوضان بالإضافة من الترجمة عن اليومين الأولين إلا أنهما نصبان في اللفظ ؛ لألهما أضيفا إلى غير محض . وهذا اختيار الفراء والزجاج . وقال قوم : اليوم الثاني منصوب على المحل كأنه قال : في يوم لا تملك نفس لنفس شيئا . وقيل : بمعنى إن هذه الأشياء تكون يوم ، أو على معنى يلدنون يوم ؛ لأن الذين يدل عليه ، أو بإضمار أذكر . ( **وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ** ) لا ينازعه فيه أحد ؛ كما قال : **« لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . الْيَوْمَ يُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ »** تمت السورة والحمد لله .

## سورة المطففين

مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل . ومدنية في قول  
الحسن وعكرمة ، وهي ست وثلاثون آية

قال مقاتل : وهي أول سورة نزلت بالمدينة . وقال ابن عباس وقتادة : مدنية إلا ثمان  
آيات من قوله : « إِنَّ الَّذِينَ أُجِرُوا » إلى آخرها مكي . وقال الكلبي وجابر بن زيد :  
نزلت بين مكة والمدينة .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ  
يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾  
فيه أربع مسائل :

الأولى — روى النسائي عن ابن عباس قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة  
كانوا من أحبب الناس يكلاً فأنزل الله تعالى « وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ » فأحسنوا الكيل بعد ذلك .  
قال الفراء : فهم من أوفى الناس يكلاً إلى يومهم هذا . وعن ابن عباس أيضاً قال : هي أول  
سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سامة نزل المدينة وكان هذا فيهم ؛ كانوا إذا  
أشتروا استوفوا بكل راجح ، فإذا باعوا بخسوا المكيل والميزان ، فلما نزلت هذه السورة أتهموا ،  
فهم أوفى الناس يكلاً إلى يومهم هذا . وقال قوم : نزلت في رجل يعرف بأبي جهينة وأسمه  
عمرؤ ، كان له صامان يأخذ بأحدهما ويطلى بالآخر ؛ قاله أبو هريرة رضى الله عنه .

الثانية — قوله تعالى : « وَيَلِّ » أى شدة مذاب في الآخرة . وقال ابن عباس :  
إنه وإد في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار ، فهو قوله تعالى : « وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ » أى الذين  
يتقصون مكائيلهم وموازينهم . وروى عن ابن عمر قال : المطفف الرجل يستاجر الكيل

وهو يعلم أنه يحيف في كيله فوزره عليه . وقال آخرون : التطفيف في الكيل والوزن والوضوء والصلاة والحديث . وفي الموطأ قال مالك : ويقال لكل شيء وفاءً وتطفيف . وروى عن سالم ابن أبي الجعد قال : الصلاة بمكيال فمن أوفى أوفى له ومن طَفَفَ فقد عَدِمَ ما قال الله عز وجل في ذلك : « وَيَلِ لِلطَّافِيَيْنِ » .

الثالثة — قال أهل اللغة : المَطْفَفُ مأخوذ من الطَّيْف وهو القليل ، والمُطَفَّف هو المقل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن . وقال الزجاج : إنما قيل للفاعل من هذا مُطَفَّفٌ ؛ لأنه لا يكاد يسرق من المكيال والميزان إلا الشيء الطفيف الخفيف ، وإنما أخذ من طَف الشيء وهو جانبه . وطَفَّاف المَكْرُوك وطَفَّاه بالكسر والفتح ما ملأ أصابره وكذلك طَفَّ المَكْرُوك وطَفَّفه ؛ وفي الحديث : « كُلُّكُمْ بِنُؤَادِمِ طَفِّ الصَّاعِ لَمْ تَمَلُّوْهُ » وهو أن يقرب أن يتلى فلا يفعل ؛ والمعنى بعضكم من بعض قريب فليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى . والطَّفَّاف والطَّفَّافَةُ بالضم ما فوق المكيال . وإفاء طَفَّاف إذا بلغ المِلَّة طَفَّافَه ؛ يقول منه : أطففت . والتطفيف نقص المكيال وهو ألا تملأه إلى أصابره أي جوانبه ؛ يقال : أدهقت الكأس إلى أصابرها أي إلى رأسها . وقول ابن عمر حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم سبق الخيل : كنت فارسا يومئذ فسبقت الناس حتى طَفَّفَ بي الفرس مسجد بني ثَدْيِيقَ حتى كاد يساوى المسجد . يعني وتب بي .

الرابعة — المَطْفَف هو الذي ينقص في الكيل والوزن ولا يوفى حسب ما بيناه وروى ابن القاسم عن مالك أنه قرأ « وَيَلِ لِلطَّافِيَيْنِ » فقال : لا تُطَفَّف ولا تَحْلَب<sup>(١)</sup> ولكن أرسل وصُوب عليه صَبًّا حتى إذا استوفى أرسل يذكرك ولا تُمَسَك . وقال عبد الملك بن الماجشون : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسح الطَّفَاف ، وقال : إن البركة في رأسه . قال : وبلغني أن بكل فرعون كان مسحاً بالجديدة .

(١) كذا في الأصول وفي ابن العربي ( ولا تحلب ) . (٢) في بعض الأصول وابن العربي « أَسْتَوْى » .

قوله تعالى : ( الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ) قال القرطبي : أى من الناس ،  
 يقال : آكلت منك أى استوفيت منك ، ويقال : آكلت ما عليك أى أخذت ما عليك .  
 وقال الزجاج : أى إذا آكلوا من الناس استوفوا عليهم الكيل ، والمعنى : الذين إذا استوفوا  
 أخذوا الزيادة وإذا أوفوا أو وزنوا فغيرهم نقصوا ، فلا يرضون للناس ما يرضون لأنفسهم .  
 الطبري : « على » بمعنى عند .

قوله تعالى : ( وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ )  
 فيه مستثنان :

الأول — قوله تعالى : « وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ » أى كالوا لهم أو وزنوا لهم لحذف  
 اللام فتصدى القمل فتصب ، وشبهه نصحتك ونصحت لك وأمرتك به وأمرتك ، قاله  
 الأخفش والقرطبي . قال القرطبي : وسمعت أعرابية تقول إذا صدر الناس أتينا الساجر فيكنا  
 المدة والمدين إلى الموسم المقبل . وهو من كلام أهل الجواز ومن جاورهم من قيس . قال  
 الزجاج : لا يحسوز الوقف على « كَالُوا » و « وَزَنُوا » حتى تحصل به « هم » قال : ومن  
 الناس من يعملها توكيدا ، ويميز الوقف على « كَالُوا » و « وَزَنُوا » والأول الاختيار ،  
 لأنها حرف واحد . وهو قول الكسائي . قال أبو عبيد : وكان عيسى بن عمر يعملها حرفين  
 ويقف على « كَالُوا » و « وَزَنُوا » ويصدئ « هم يُخْسِرُونَ » قال : وأحسب قراءة حمزة  
 كذلك أيضا . قال أبو عبيد : والاختيار أن يكونا كلمة واحدة من جهتين أحدهما الحلق ،  
 وذلك أنهم كتبوها بنير ألف ولو كانتا مقطوعتين لكانتا « كَالُوا » و « وَزَنُوا » بالألف ،  
 والأخرى أنه يقال : كلكت ووزنتك بمعنى كلت لك ووزنت لك وهو كلام عربي ، كما يقال :  
 صدتك وصدت لك وكسبتك وكسبت لك ، وكذلك شكرتك ونصحتك ونحو ذلك . قوله :  
 « يُخْسِرُونَ » أى ينقصون ، والعرب تقول : أخسرت الميزان وخسرته ، و « هم » فى موضع  
 نصب على قراءة العامة راجع إلى الناس ، تقديره « وَإِذَا كَالُوا » الناس « أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ »  
 وفيه وجهان : أحدهما أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم لحذف الجار وأوصل الفعل كما قال :  
 وَلَقَدْ جِئْتِكَ أَكْثَرًا وَصَافِلًا • وَلَقَدْ تَنَبَّأْتَ عَنْ بَنَاتِ الْأَوَّلِينَ

أراد جنيتك ، والوجه الآخر أن يكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، والمضاف هو المكيل والموزون . وعن ابن عباس رضي الله عنه : إنكم معاشر الأعاجم ولستم أمرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان . وخص الأعاجم لأنهم كانوا يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين ؛ كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون . وعلى القراءة الثانية « هم » في موضع رفع بالابتداء ؛ أي وإذا كالوا الناس أو وزنوا لم فهم يضررون . ولا يصح ؛ لأنه تكون الأولى ملغاة ليس لها خبر ، وإنما كانت تستقيم لو كان بعدها وإذا كالوا هم ينقصون أو وزنوا هم يضررون .

الثانية - قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تَمَسُّ بِمِصْرٍ مَا تَقْضِي قَوْمَ الْهَيْدِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَذَابَهُمْ وَلَا حَكْوَا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا فُشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ وَمَا ظَهَرَتْ الْفَاحِشَةُ فِيهِمْ إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَمَا طَفَفُوا بِالْكَيْلِ إِلَّا مَتَعُوا النَّبَاتَ وَأَخَذُوا بِالسَّيْنِ وَلَا مَتَعُوا الزَّكَاةَ إِلَّا حَسَنَ اللَّهُ مِنْهُمْ الْمَطَرُ » ترجمه أبو بكر البزار بمعناه ومالك بن أنس أيضا من حديث ابن عمر . وقد ذكرناه في كتاب التذكرة . وقال مالك بن دينار : دخلت على جاري قد نزل به الموت ، فجعل يقول : جليلين من نار ! جليلين من نار ! فقلت : ما تقول ؟ أتَهجر<sup>(١)</sup> ؟ قال : يا أبا يحيى كان لي مكيالان أكيل بأحدهما وأكال بالآخر ، فقامت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ، فقال : يا أبا يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخر أزداد عِفْلا ، فمات من وجعه . وقال مرة : أشهد على كل كَيْلٍ أو وَزَانٍ أَنَّهُ فِي النَّارِ . قيل له : فإن أبتك كَيْال أو وزان . فقال : أشهد أنه في النار . قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول لا تَمَسُّ المروءة بمن مروءته في رموس المكايل ولا ألسنة الموازين . وروى ذلك عن علي رضي الله عنه . وقال عبد خير : مر علي رضي الله عنه على رجل وهو يزن الزعفران وقد أرجح فأكفأ الميزان ، ثم قال : أتم الوزن بالقسط ، ثم أرجح بعد ذلك ما شئت . كأنه أمره بالتسوية أولا ليعتادها ، ويفصل الواجب من الفضل . وقال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول آتني الله وأوف الكيل

(١) هجر في توبه ومرتبه هجر مجرا : على .

والوزن بالقياس : فإن المطففين يوم القيامة يوقفون حتى إن الرِّقَّ ليلجمهم إلى أنصاف أذانهم . وقد روى أن أبا هريرة قدم المدينة وقد خرج النبي صل الله عليه وسلم إلى خير وأستخف على المدينة سباع بن حرثمة ، فقال أبو هريرة : فوجدناه في صلاة الصبح قرأ في الركعة الأولى « كهيمص » وقرأ في الركعة الثانية « وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ » قال أبو هريرة : فأقول في صلاتي ويل لأبي فلان كأن له مكانان إذا أكمل أكمل بالوائ وإذا كال كال بالنقص .

قوله تعالى : **أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿١﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾**

قوله تعالى : ( **أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ** ) إنكار وتعجب عظيم من حليم في الاجتهاد على التحليف كأنهم لا يخطر على بالهم ولا يمتنون تخيلاً ( **أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ** ) فسألون عما يفعلون . والظن هنا بمعنى اليقين ؛ أى ألا يوقن أولئك ولو أقنوا ما قصوا في الكيل والوزن . وقيل : الظن بمعنى التردد ؛ أى إن كانوا لا يستيقنون بالبت فهلا ظنوه حتى يتدبروا ويبحثوا عنه ويأخذوا بالأحوط ( **لِيَوْمٍ عَظِيمٍ** ) شأنه وهو يوم القيامة .

قوله تعالى : ( **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ) فيه أربع مسائل :

الأولى - العامل في « يوم » فعل مضمر دل عليه « مَبْعُوثُونَ » والمسمى بمبعوث « **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** » . ويجوز أن يكون بدلاً من يوم في « **لِيَوْمٍ عَظِيمٍ** » وهو معنى . وقيل : هو في موضع خفض ؛ لأنه أضيف إلى غير متمكن . وقيل : هو منصوب على الظرف أى في يوم ، ويقال : أقم إلى يوم يخرج فلان فتصحب يوم ، فإن أضافوا إلى الاسم فبفتح يفتضون ويقولون : أقم إلى يوم تخرج فلان . وقيل : في الكلام تقديم وتأخير ، التقدير أنهم مبعوثون يوم يقوم الناس لرب العالمين ليوم عظيم .

الثانية - ومن عبد الملك بن مروان أن أعرابيا قال له : قد سمعت ما قال الله تعالى في المطففين ؛ أراد بذلك أن المطففين قد توجه عليهم هذا الوعيد العظيم الذي سمعت به ، فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن . وفي هذا الإنكار والتعجب وكلمة الفتن ، ووصف اليوم العظيم ، وقيام الناس فيه لله خاضعين ، ووصف ذاته برب العالمين بيان يبلغ لعظم الثقب ، وتقاسم الإثم في التطفيف ، وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط ، والعمل على التسوية والعدل في كل أخذ وإعطاء ، بل في كل قول وعمل .

الثالثة - قرأ ابن عمر « وَيَلِ اللَّطِّفِينَ » حتى بلغ « يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ رِبَّ السَّائِلِينَ » فبكى حتى سقط وأمتنع من قراءة ما بعده ثم قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « يوم يقوم الناس لرب العالمين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فمنهم من يبلغ العرق كهميه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ خفويه <sup>(١)</sup> ومنهم من يبلغ صدره ومنهم من يبلغ أذنيه حتى إن أحدهم لينيب في رشفه كما ينيب القفدح » . وروى ناس عن ابن عباس قال : يقومون مقدار ثمانية سنة . قال : ويهون على المؤمنين قدر صلاتهم الفريضة . وروى عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقومون ألف عام في الظلة » . وروى مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى إن أحدهم يقوم في رشفه إلى أنصاف أذنيه » . وعنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يقوم مائة سنة » . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لبشير النخاري : « كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه مقدار ثمانية سنة لرب العالمين لا يأتيهم فيه خبر ولا يؤمر فيه بأمر » قال بشير : المستعان الله .

قلت : قد ذكرناه مرثوعا من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يعلمها في الدنيا » في « مسائل <sup>(٢)</sup> » . ومن ابن عباس : « يهون على المؤمنين قدر صلاتهم الفريضة » . وقيل : إن ذلك

المقام على المؤمنين كروال شمس ؛ والليل على هذا من الكتاب قوله الحق : « أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » ثم وصفهم فقال : « الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ » حَلَّلْنَا الله منهم بفضلته وكرمه وجوده ومَنَّة آمين . وقيل : المراد بالناس جبريل عليه السلام يقوم لربِّ العالمين ؛ قاله ابن جبر. وفيه بعد ؛ لما ذكرنا من الأخبار في ذلك وهي صحيحة ثابتة ، وحسبك بما في صحيح مسلم والبخاري والترمذي من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » قال : « يقوم أحسنهم في رشحته إلى نصف أذنيه » ثم قيل : هذا القيام يوم يقومون من قبورهم . وقيل : في الآخرة بمقوق عباده في الدنيا . وقال يزيد الرُّشَك : يقومون بين يديه للقضاء .

الرابعة - القيام لله ربِّ العالمين سبحانه خبير بالإضافة إلى عظمته وحقه ، فاما قيام الناس بعضهم لبعض فأختلف فيه الناس ؛ فهم من أجازوه ومنهم من منعه . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قام إلى جعفر بن أبي طالب وأخذه ، وقام طلحة لكعب بن مالك يوم تيب عليه . وقول النبي صلى الله عليه وسلم لأنصار حين طلع عليه سعد بن معاذ : « قوموا إلى سيدكم » وقال أيضا : « من سرَّه أن يتخلَّ له النَّاسُ قياما فليتبوأ مقعده من النار » وذلك يرجع إلى حال الرجل ونيتة ، فإن استنظر ذلك واعتقده لنفسه فهو ممنوع ، وإن كان على طريق المشاشة والوصلة فإنه جائز ، وخاصة عند الأبواب كالقدم من السفر ونحوه . وقد مضى في آخر سورة « يوسف » شيء من هذا .

قوله تعالى : كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُتُورِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿١٠﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿١١﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿١٢﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣﴾ الَّذِينَ يُكْذِبُونَ بِسُوءِ الدِّينِ ﴿١٤﴾ وَمَا يُكْتَبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٥﴾ إِذَا تُسْئَلُ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ( كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي مَبِينٍ ) قال قوم من أهل العلم بالمريية : « كَلَّا » ردع وتنبيه ؛ أى ليس الأمر على ما هم عليه من تطفيف الكيل والميزان ، أو تكذيب بالآخرة فيريدوا عن ذلك . فهى كلمة ردع وذبح ثم أسانف فقال : « إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ » . وقال الحسن : « كَلَّا » بمعنى حقاً . وروى ناس عن ابن عباس « كَلَّا » قال : أَلَا تُصَدِّقُونَ ؛ فعل هذا الوقف « رَبِّ الْعَالَمِينَ » . وفى تفسير مقاتل : إن أعمال الفجار . وروى ناس عن ابن عباس قال : إن أرواح الفجار وأعمالهم « لَفِي مَبِينٍ » . وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : مَبِينٌ محضرة تحت الأرض السابعة تطلب فيجعل كتاب الفجار تحتها . ونحوه عن ابن عباس وقائدة ومسعيد بن جبير ومقاتل وكعب ؛ قال كعب : تحتها أرواح الكفار تحت خد إبليس . ومن كعب أيضاً قال : مَبِينٌ محضرة سوداء تحت الأرض السابعة مكتوب فيها أسم كل شيطان تلقى أنفُس الكفار عندها . وقال سعيد بن جبير : مَبِينٌ تحت خد إبليس . يحيى بن سلام : حجر أسود تحت الأرض يكتب فيه أرواح الكفار . وقال عطاء انفراساني : هى الأرض السابعة السفلى وفيها إبليس وذريته . ومن ابن عباس قال : إن الكافر يحضره الموت ويحضره رسل الله فلا يستطيعون لبض الله له ويغضهم إياه أنت يؤخروه ولا يصلوه حتى تخبى ساعته ، فلذا جاءت ساعته قبضوا نفسه ورفعوه إلى ملائكة العذاب ، فأروه ما شاء الله أن يروه من الشر ، ثم هبطوا به إلى الأرض السابعة ، وهى مَبِينٌ وهى آخر سلطان إبليس فأثبثوا فيها كتابه . ومن كعب الأحبار فى هذه الآية قال : إن روح الفاجر إذا قبضت يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ، ثم يهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها ، فتدخل فى سبع أرضين حتى يتبى بها إلى مَبِينٍ وهو خد إبليس ، فيخرج لها من مَبِينٍ من تحت خد إبليس رَقٌّ فيُرَقَّم فيوضع تحت خد إبليس . وقال الحسن : مَبِينٌ فى الأرض السابعة . وقيل : هو ضرب مثل وإشارة إلى أن الله تعالى يرد أعمالهم التى ظنوا أنها تنفعهم . قال مجاهد : للمنى عملهم تحت الأرض السابعة لا يصعد منها شيء . وقال :

تبيين صحفة في الأرض السابعة . وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «تبيين  
جُبُّ في جهنم وهو مفتوح» وقال في الفلق : «إنه جُبُّ مَعْلَى» . وقال أنس : هي دركة  
في الأرض السفلى . وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم : «تبيين أسفل الأرض  
السابعة» . وقال عكرمة : «تبيين خسار وضلال ؛ كقولهم لمن سقط قدره : قد زلق  
بالخفيض» . وقال أبو حنيفة والأخفش والزجاج : «لَفَنِي تَبْيِين» لقي حس وضيق شديد  
فَمِيل من السجن ؛ كما يقول : فَيَسِيْقُ وَيَشْرِبُ ، قال ابن مقبل :

ورُقَّةٌ بِضُرَيْونَ اللَّيْثِ ضَلِجَةٌ • ضَرْبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ تَبْيِينًا<sup>(١)</sup>

والمنى كتابهم في حس ؛ جعل ذلك دليلا على خسارة مقتلهم ، أو لأنه يَمْلُ من الأمراض  
حته والإبادة له تَحَلَّى الزجر والموان . وقيل : أصله تبجيل فأبدلت اللام نونا . وقد تقدم  
ذلك . وقال زيد بن أسلم : «تبيين في الأرض السابعة وتبجيل في السماء الدنيا . القشيري :

تبيين موضع في الساطين يدفن فيه كتاب هؤلاء فلا يظهر بل يكون في ذلك الموضع  
كالمسجون . وهذا دليل على خبث أعمالهم وتحقير الله إياها ؛ ولما قال في كتاب الأبرار :

«بِتَبْيِينِ الْمُتَّقِينَ» . ( وَمَا أَذْرَاكَ مَا تَبْيِينٌ ) أى ليس ذلك مما كنت تعلمه يا محمد أنت  
ولا قومك . ثم فسره له فقال : ( تَبْكَابٌ مَرْقُومٌ ) أى مكتوب كالرقم في التوب لا ينسى  
ولا يمحي . وقال قتادة : مرقوم أى مكتوب رَقْم لم يشر لا يزداد فهم أحد ولا ينقص منهم  
أحد . وقال الضحاك : مرقوم غنوم بنية حمير ؛ وأصل الرقم الكتابة ؛ قال :

سَأَرْقُمُ فِي الْمَاءِ الْقَرَارِجَ إِلَىكَ • عَلَى بُعْدِكَ إِنْ كَانَ إِلَيَّ رَاقِمٌ

وليس في قوله : « وَمَا أَذْرَاكَ مَا تَبْيِينٌ » ما يدل على أن لفظ تبيين ليس عربيا كما لا يدل  
في قوله : « الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ . وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ » بل هو تعظيم لأمر تبيين . وقد مضى  
في مقدمة الكتاب — والحمد لله — أنه ليس في القرآن غير عربي . ( وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ )<sup>(٢)</sup>

(١) الذى في الفلق تخلص عن الجوهري : • درجة بضريون المام عن عرض •

(٢) راجع ج ١ ص ٦٨ -

أى شدة وعذاب يوم القيامة للكافرين . ثم بين تعالى أمرهم فقال : **( الَّذِينَ يُكْذِبُونَ عَنِ  
الْبَيْنِ )** أى بيوم الحساب والجزاء والفصل بين العباد . **( وَمَا يُكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ )**  
أى فاجر جائر من الحق ، معتد على الخلق فى معاملته إياهم وعلى نفسه ، وهو أنهم فى ترك أمر  
الله . وقيل : هذا فى الوليد بن المنيرة وأبى جهل ونظرائهما ؛ لقوله تعالى : **( إِذَا تَنَلَّى  
عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالْ أَتَأْتِيهِمُ الْآيَاتُ )** وقراءة السامة « تنلى » بتامين وقراءة أبى حوية وأبى سماك  
واشهب القتل والسلى « إِذَا تَنَلَّى » بالياء . وأساطير الأولين أحاديثهم وإباطيلهم التى كتبوها  
وزعموها . واحدا أسطورة وإسطارة وقد تهدم .

قوله تعالى : **كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾**  
**كَلَّا لَإِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ لَإِنَّهُمْ لَصَالُوا  
الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٩﴾**

قوله تعالى : **( كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ )** « كَلَّا » ردع وزجر ؛  
أى ليس هو أساطير الأولين . وقال الحسن : معناها حقا « رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ » . وقيل :  
فى الترمذى عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« إِنْ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ  
خَطِيئَةً نَكَتَتْ فِي قَلْبِهِ نَكْةٌ سَوْدَاءٌ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ فَإِنْ عَادَ زِيدَ  
فِيهَا حَتَّى تَمْلُؤَ عَلَى قَلْبِهِ وَهُوَ الزَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ »** « كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ » قال : هذا حديث حسن صحيح . وكذا قال المفسرون : هو القلب على الذنب حتى  
يسوء القلب . قال مجاهد : هو الرجل يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه ، ثم يذنب الذنب فيحيط  
الذنب بقلبه حتى تملأ الذنوب قلبه . قال مجاهد : هى مثل الآية التى فى سورة البقرة « بَلَى  
مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً أَلَّا يَكْفِ الْإِنْسَانَ ظُلْمًا » . وقال : يقول كثرت المعاصى منهم والذنوب  
فأحاطت بقلوبهم فنكأ الزن ظمها . وروى عن مجاهد أيضا قال : القلب مثل الكف  
ورفع كفه ، فإذا أذنب العبد الذنب أقبض وقم أصبمه ؛ « إِذَا أَذْنَبَ الذَّنْبَ أَقْبَضَ رَضَمَ

أمرى حتى ضَمَّ أصابعه كلها ، حتى يُطَمِّع على قلبه . قال : وكانوا يرون أن ذلك هو الرِّين ، ثم قرأ « كَلَّا بَلْ رَأَوْا عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » . ومثله من حذيفة رضى الله عنه سواء . وقال بكر بن عبد الله : إن العبد إذا أذنب صار في قلبه كوخة الإبرة ، ثم صار إذا أذنب ثانيا صار كذلك ، ثم إذا كثرت الذنوب صار القلب كالْمُتَمَلِّئِ أو كالتبرال لا يمس خيما ولا يثبت فيه صلاح . وقد بينا في « البقرة » القول في هذا المعنى بالأخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا معنى لإعادتها . وقد روى عبد الله بن سعيد عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ، وعن موسى عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس شيئا الله أعلم بصحته ؛ قال : هو الزَّانِبُ الذي يكون على الفضل والفاق والفساد وهو الذي يلبس في الحرب . قال : وقال آخرون الزَّانِبُ الخاطار الذي يخطر بقلب الرجل وهذا مما لا يُضْمَنُ عَهْدُهُ صِحَّتَهُ . فانه أعلم . فلما حاشى أهل التفسير فعل ما قد مضى ذكره قبل هذا . وكذلك أهل اللغة عليه ؛ يقال : زان على قلبه ذنبه يَرِنَ رَيْنًا وَرِيوًا أى غلب . قال أبو عبيدة في قوله : « كَلَّا بَلْ رَأَوْا عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » أى غلب ؛ وقال أبو عبيد : كل ما غلبك فقد زان بك وزانك وزان عليك ؛ وقال الشاعر :

وَتَمَّ زَانٌ مِّنْ ذَنْبٍ عَلَى قَلْبٍ فَاجِرٍ ۝ قَتَابَ مِّنَ الذَّنْبِ الَّذِي زَانَ وَأَتَمَّلَ

ورأيت الحمز على قلبه أى غلبته ، وزان عليه الناس إذا غطاه ؛ ومنه قول عمر في الأسبق — أسبق جبهة — : فأصبح قد زين به . أى غلبته الديون وكان يدان ؛ ومنه قول أبي زيد يصف رجلا شرب حتى غلبه الشراب سُكْرًا فقال :

فَمَّا رَأَى رَأَى رَأَتْ بِهِ الْخَمَّ ۝ رُ وَالْأَ تَرَيْنَهُ يَنْقُصُ

قوله : رأت به الخمر ، أى غلبت على عقله وقلبه . وقال الأُمَوِيُّ : قد أَرَانَ الغومُ فهم مُرِينُونَ إذا هلكت مواشيهم وغُزِلت . وهذا من الأمر الذي أتاهم مما ينههم فلا يستطيعون احتجاله . قال أبو زيد يقال : قد زين بالرجل رَيْنًا إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له

به . وقال أبو معاذ النحوي : الرين أن يَسُودَ القلبُ من الذنوب ، والطبع أن يطبع القلب ، وهذا أشد من الرين ، والإفعال أشد من الطبع . الزجاج : الرين هو كالصدأ ينشئ القلب كالنمير الرقيق ومثله النين ، يقال : غين على قلبه غطى . والنين شجر ملتف الواحدة غيناء أى خضراء كثيرة الورق ملتفة الأغصان . وقد تقدم قول الفراء أنه إحاطة الذنب بالقلوب . وذكر الثعلبي عن ابن عباس : « رَانَ مَلَى قُلُوبِهِمْ » أى غطى عليها . وهذا هو الصحيح عنه إن شاء الله . وقرا حمزة والكسائي والأعمش وأبو بكر والمفضل « رانت » بالإمالة ؛ لأن فاء الفعل الراء وعينه الألف مقلبة من ياء غسنت الإمالة لذلك . ومن فتح فعل الأصل ؛ لأن باب فاء الفعل في قَمَلِ الفتح مثل كال وباع ونحوه . وأخاره أبو مبيد وأبو حاتم ووقف حفص « بل » ثم يتدنى « ران » وفقا بين الام لا السكت .

قوله تعالى : ( كَلَّا إِنَّهُمْ ) أى حقا « إنهم » يعنى الكفار ( عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ ) أى يوم القيامة ( لَمْ يَحْجُبُوا ) . وقيل : « كَلَّا » ردع وزجر أى ليس كما يقولون بل « إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ » . قال الزجاج : فى هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يرى فى القيامة ، ولولا ذلك ما كان فى هذه الآية فائدة ولا خست منزلة الكفار بأنهم يُحْجَبُونَ . وقال جل ثناؤه : « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » فأعلم الله جل ثناؤه أن المؤمنين ينظرون إليه ، وأعلم أن الكفار محجوبون عنه . وقال مالك بن أنس فى هذه الآية : لما حجب أعداءه فلم يروه يحيل لأوليائه حتى رأوه . وقال الشافعى : لما حجب قوما بالسخط دل على أنف قوما يرونه بالرضا . ثم قال : أما والله لو لم يوفى محمد بن إدریس أنه يرى ربه فى المعاد لما عبده فى الدنيا . وقال الحسين بن الفضل : لما حجبهم فى الدنيا عن نور توحيدهم فى الآخرة عن رؤيته . وقال مجاهد فى قوله تعالى « لَمْ يَحْجُبُوا » : أى عن كرامته ورحمته ممنوعون . وقال قتادة : هو أن الله لا ينظر إليهم برحمته ولا يزيهم ولم عذاب إليهم . وعلى الأقل الجمهور وأنهم محجوبون عن رؤيته فلا يرونه . ( ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ) أى

(١) فى اللان : هو لانتقم ؛ أى البلع على القلب هو انتم كفى « اللان » مادة « دين » .

ملازموها وعثرون فيها غير خارجين منها ، « كَلَّا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِبَلَلِنَاهُمْ جُلُودًا فَهَرَّةً »  
 و « كَلَّا نَحْنُ زِدْنَاهُمْ سُمُورًا » . ويقال : الجهم الباب الرابع من النار . ( ثُمَّ يُقَالُ ) لم  
 أى تقول لم نزنه جهنم ( هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ) رسول الله في الدنيا .

قوله تعالى : كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ  
 مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿١٩﴾ يُشْهَدُهُ الْمَقْرُوءُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ( كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ) « كَلَّا » بمعنى حق والوقف على  
 « تُكَذِّبُونَ » . وقيل : أى ليس الأمر كما يقولون ولا كما ظنوا بل كلهم في عِلِّيَّين وكتاب  
 المؤمنين في عِلِّيَّين . وقال مقاتل : كَلَّا أى لا يؤمنون بالعذاب الذى يصلونه . ثم أضاف  
 فقال : « إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ » مرفوع في عِلِّيَّين على قدر مرتبتهم . قال ابن عباس : أى  
 في الجنة . وعنه أيضا قال : أعمالهم في كتاب الله في السماء . وقال الضحاك وقاتدة :  
 يعنى السماء السابعة فيها أرواح المؤمنين . وروى ابن الأجلع عن الضحاك قال : هى سِدْرَةُ  
 المنتهى ينتهى إليها كل شيء من أمر الله لا يبعدوها ، فيقولون : رَبِّ اصْنَعْ فُلَانًا ؛ وهو  
 أعلم به منهم ، فيأتيه كتاب من الله عز وجل يخبرهم بأمانته من العذاب . فذلك قوله تعالى :  
 « كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ » . وعن كعب الأحبار قال : إن روح المؤمن إذا قبضت صعد  
 بها إلى السماء ، ونصحت لها أبواب السماء ، وفتحها الملائكة بالشرى ، ثم يخرجون معها حتى  
 يتنزلوا إلى العرش ، فيخرج لهم من تحت العرش رَقٌّ قُبُورُهُمْ وَيُحْتَمُّ فِيهِ النَّجَاةُ مِنَ الْحِسَابِ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ وَيُشْهَدُ الْمَقْرُوءُونَ . وقال قتادة أيضا : « فِي عِلِّيَّينَ » هى فوق السماء السابعة عند  
 قائمة العرش النجى . وقال البراء بن عازب قال النبى صلى الله عليه وسلم : « عِلِّيُّونَ فِي السَّمَاءِ  
 السَّابِعَةِ تَحْتَ الْعَرْشِ » . وعن ابن عباس أيضا : هو لوح من زبرجدة خضراء معقود بالعرش  
 أعمالهم مكتوبة فيه . وقال الفراء : عِلِّيُّونَ أَرْفَاعٌ بَدَأَتْ رَخَاعٌ . وقيل : عِلِّيُّونَ أَعْلَى  
 الأمكنة . وقيل : معناه علو في علوم مضاعف كأنه لا غاية له ؛ ولذلك جمع بالواو والتون .

وهو معنى قول الطبري . قال الفسره : هو أسم موضوع على صفة الجمع ولا واحده من  
لفظه ، كقوله : عشرون وثلاثون والسرب إذا جمعت جمعا ولم يكن له بناء من واحده  
ولا تنبيه قالوا في المذكر والمؤنث بالنون . وهو معنى قول الطبري . وقال الزجاج : إعراب  
هذا الاسم كإعراب الجمع كما تقول هذه قنسرين ورأيت قنسرين . وقال يونس النحوي :  
واحداهن مِئَة . وقال أبو الفتح : مِئَة جمع مِئَة وهو قِئَل من المِئَة . وكان سبيله أن  
يقول مِئَة كما قالوا للفرقة مِئَة ؛ لأنها من المِئَة ، فلما حذفت التاء من مِئَة عوضوا  
منها الجمع بالواو والنون كما قالوا في أرضين . وقيل : إن مِئَة صفة لللائكة فأنهم الملا  
الأعلى ، كما يقال : فلان في بني فلان ؛ أي هو في جنتهم وعندهم . والذي في الخبر من  
حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن أهل مِئَة ينظرون إلى الجنة  
من كذا فإذا أشرف رجل من أهل مِئَة أشرقت الجنة لضياء وجهه فيقولون ما هذا نور  
فيقال أشراف رجل من أهل مِئَة الأبرار أهل الطاعة والصدق " . وفي خبر آخر : " إن  
أهل الجنة يرون أهل مِئَة كما يرى الكوكب الثرى في أفق السماء " يدل على أن مِئَة  
أسم الموضع المرتفع . وروى ثاس عن ابن عباس في قوله « مِئَة » قال : أخبر أن أعمالهم  
وأرواحهم في السماء الرابعة . ثم قال : ( وَمَا أَدْرَاكَ مَا مِئُونَ ) أي ما الذي أمالك يا محمد  
أي شيء مِئُونَ على جهة التفضيم والتعظيم له في المترلة الرتبة . ثم فسره له فقال : ( كِتَابٌ  
مَرْقُومٌ يَتَّبِعُهُ الْمُرَقُّونَ ) . وقيل : إن « كِتَابٌ مَرْقُومٌ » ليس تسمية لمِئَة بل تم الكلام  
عند قوله « مِئُونَ » ثم ابتدأ وقال : « كِتَابٌ مَرْقُومٌ » أي كتاب الأبرار كتاب مرقوم ،  
ولهذا عكس الرقم في كتاب الفجار ؛ قاله القشيري . وروى : أن الملائكة تصعد بعمل  
العبد ، فإذا أتوا به إلى ما شاء الله من سلطانه أوصى إليهم : إنكم الحفظة على عبيدي وأنا  
الريب على ماني قلبه ، وأنه أخلص لي عمله فاجعلوه في مِئَة فقد خفرت له ، وأنها تصعد  
بعمل العبد فيكونه فإذا أتوا به إلى ما شاء الله أوصى إليهم : أتم الحفظة على عبيدي وأنا  
الريب على ماني قلبه وأنه لم يخلص لي عمله ، فاجعلوه في مِئَة .

قوله تعالى : ﴿ يَشْهَدُ الْمُقْرَبُونَ ﴾ أى يشهد عمل الأبرار مقربو كل مئمة من الملائكة .  
وقال وهب وآبن إسحق : المقربون هنا إسرائيل عليه السلام ، فإذا عمل المؤمن بعمل البر  
صعدت الملائكة بالصحيفة وله نور يتلأأ في السموات كنور الشمس في الأرض حتى  
يتبى بها إلى إسرائيل فيعتم عليها ويكتب فهو قوله : ﴿ يَشْهَدُ الْمُقْرَبُونَ ﴾ أى يشهد كتابهم .

قوله تعالى : إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٦﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿١٧﴾  
تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿١٨﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَحْمُورٍ ﴿١٩﴾  
خَتَمُوعٍ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَّا فِئَ الْمُنْتَفِسُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِمَّا جَاءَهُ مِنْ  
نَسِيمٍ ﴿٢١﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ ﴾ أى أهل الصدق والطاعة . ﴿ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ أى تمة والتمة  
بالفتح التميم ، يقال : نعمة الله وناعمه فتمم وأمرأة متممة ومتاممة بمعنى . أى إن الأبرار  
في الجنات يقيمون . ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ وهى الأسرة في الجمال ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾ أى إلى ما أعد  
الله لهم من الكرامات ؛ قاله عكرمة وآبن عباس ومجاهد . وقال مقاتل : ينظرون إلى أهل  
النار . ومن النبي صلى الله عليه وسلم : " ينظرون إلى أمثالهم في النار " ذكره الملهدى .  
وقيل : على أرائك أنفاله ينظرون إلى وجهه وجلاله .

قوله تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ أى بهجته وغضارته وقوره ؛ يقال :  
أنضر النبات إذا أزهر وتور . وقراءة العامة « تَعْرِفُ » بفتح التاء وكسر الراء « نَضْرَةُ »  
نعتبا ؛ أى تعرف يا محمد . وقرأ أبو جعفر بن القعقاع ويقوب وشيبة وآبن أبي إسحق :  
« تَعْرِفُ » بضم التاء وفتح الراء على الفعل المجهول « نَضْرَةُ » رضا . ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ ﴾  
أى من شراب لا غش فيه . قاله الأخفش والزجاج . وقيل : الرحيق الخمر الصافية .  
وقى الصلاح : الرحيق صفوة الخمر . والمنى واحد . التحليل : أفصى الخمر وأجودها . وقال  
مقاتل وشibre : هى الخمر المثيفة البيضاء الصافية من الغش النيرة ؛ قال حسان :

(١) كذا في الأصول كلها ولعل الصواب : أصفى الخمر .

يَسْقُونَ مِنْ وَدَّ الْبَرِصَ عَلَيْهِمْ • بَرَدَى يُصَقُّ بِالرَّحِيْقِ السَّلِيلِ<sup>(١)</sup>

ولال آخر :

أَمْ لَا سَيْلَ إِلَى الشَّيَابِ وَذَكَرَهُ • أَشْبَى إِلَى مِنَ الرَّحِيْقِ السَّلِيلِ

(عُتُومٌ خَتَامُهُ مَسْكٌ) قال مجاهد : يَنْتَمُ بِهِ أَنْزَجُ جُرْمَةٍ . وقيل : المعنى إذا شربوا هذا الرحيق ففنى ما في الكأس انقضى ذلك بخاتم المسك . وكان ابن مسعود يقول : يحدون ما قبلها طعم المسك . ونحوه عن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي قالوا : ختامه آخر طعمه . وهو حسن ؛ لأن سيل الأشرية أن يكون الكدر في آخرها ، فوصف شراب أهل الجنة بأن راحته آخره وأتمه المسك . وعن مسروق عن عبد الله قال : الختم المزوج . وقيل : عذوم أى ختمت ومنعت عن أن يسها ما إلى أن يهلك ختامها الأبرار . وقرأ عليّ وطعنة وشقيق والفسحاك وطاوس والكسائي « خَتَمَهُ » بفتح الخاء والتاء وألف بينهما . قال طعنة : أما رأيت المرأة تقول للعطار أجعل خاتمه مسكا تريد آخره . والخاتم والخاتم مقاربان في المعنى إلا أن الخاتم الأعم والخاتم المصدر ؛ قاله الفراء . وفي الصباح : والخاتم الطين الذي يضم به . وكذا قال مجاهد وابن زيد : ختم إناؤه بالمسك بدلا من الطين . حكاه المهدوي . وقال الفرزدق :

• وَبِئْسَ أَفْطَحَ أَفْطَحَ<sup>(٢)</sup>

وقال الأحمسي :

• وَأَبْرَزَهَا وَطَلَّهَا خَتَمٌ<sup>(٣)</sup>

أى عليها طينة عذومة ؛ مثل قَفِضَ بمعنى مَقْفُوضٍ وقَفِضَ بمعنى مَقْبُوضٍ . وذكر ابن المبارك وابن وهب واللفظ لأبن وهب عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى « خَتَامُهُ يَمْسُكُ » خَتَلُهُ ليس بخاتم يَنْتَمُ ، ألا ترى إلى قول المرأة من نسائك : إن خَلَطَهُ مِنَ الطَّيِّبِ كَذَا وَكَذَا

(١) تقدم شرح البيت يماش ص ١٤١ من هذا الجزء . (٢) هو أبو بكر المذلل .

(٣) سدراليت : • فبق جنان مصرات •

(٤) مسعود : • ومهله طاف يوردها •

إنما خلطه مسك؛ قال : شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر أشربتهم ، لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل فيه يده ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبا . وروى أبي بن كعب قال : قيل يا رسول الله ما الحريق المحنوم ؟ قال : « عُذْرَانِ الْخمر » . وقيل : محنوم في الآنية وهو غير الذي يمرى في الأنهار . فانه أعل . ( وفي ذلك ) أى وفي الذي وصفناه من أمر الجنة ( فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ) أى فليغرب الراغبون ؛ يقال : نفست عليه الشيء أنفسه تنافسا أى ضمنت به ولم أحب أن يصير إليه . وقيل : الفاء بمعنى إلى أى وإلى ذلك فليبادر المتبادرون في العمل ، نظيره : « لِيَمِثِلَ هَذَا قَلِيلُ الْعَامِلُونَ » . ( وَمِزَاجُهُ ) أى ومزاج ذلك الحريق ( مِنْ تَسْلِيمٍ ) وهو شراب ينصب عليهم من عل وهو أشرف شراب في الجنة . وأصل التسليم في اللغة الارتفاع ، فهي عين ماء تجري من عل إلى أسفل ، ومنه ستام البعير لملؤه من بدنه ، وكذلك تسليم القبور . وروى عن عبد الله قال : تسليم عين في الجنة يشرب بها المقربون صرفا ، ويمزج منها كأس أصحاب اليمن فتطيب . وقال ابن عباس في قوله عز وجل : « وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْلِيمٍ » قال : هذا مما قال الله تعالى « فَلَا تَلْمُزْهُمْ مَا أَجَبَى لَهُمْ مِنْ قَوْلٍ عَيْنٍ » . وقيل : التسليم عين تجري في الهواء بقدره الله تعالى فتصب في أواني أهل الجنة على قدر ملئها ، فإذا امتلأت أسك الماء فلا تقع منه قطرة على الأرض ولا يحتاجون إلى الاستقاء ؛ قاله قتادة . ابن زيد : بلنا أنها عين تجري من تحت العرش . وكذا في مراسيل الحسن . وقد ذكرناه في سورة « الإنسان » . ( عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ) أى يشرب منها أهل جنة عدن وهم أنماض أهل الجنة صرفا ، وهي لنيرهم مزاج . و « عَيْنًا » نصب على المدح . وقال الزجاج : نصب على الحال من تسليم ، وتسليم معرفة ليس يعرف له اشتقاق ، وإن جعلته مصدرا مشتقا من الستام فهو « عَيْنًا » نصب ؛ لأنه مفعول به ؛ كقوله تعالى : « أَوَلَمْ نَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ نَافِلًا » . وهذا قول الفراء إنه منصوب بتسليم . وعند الأخفش يد « يُسْقَوْنَ » أى يسقون عينا أو من عين . وعند المبرد بإضمار أعني على المدح .

قوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿١٥﴾**  
**وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿١٦﴾** وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا  
**فَكَهِنَ ﴿١٧﴾** وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا  
**عَلَيْهِمْ خَفِيفِينَ ﴿١٩﴾** فَأَلَيْسَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٢٠﴾  
**عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢١﴾** هَلْ ثُبُوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى : **( إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا )** وصف أرواح الكفار في الدنيا مع المؤمنين  
 باستمزاجهم بهم والمراد رؤساء قريش من أهل الشرك . روى ناس عن ابن عباس قال :  
 هو الوليد بن المغيرة وعقبة بن أبي ميثم والماس بن وائل والأسود بن جندب وثوبان  
 ابن هشام وأبو جهل والنضر بن الحرث وأولئك **( كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا )** من أصحاب عبد  
 الله عليه وسلم مثل عمار وعتبة وصهيب وبلال **( يَضْحَكُونَ )** على وجه السخرية  
**( وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ )** عند إتيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم **( يَتَغَامِرُونَ )** يغمز بعضهم  
 بعضا ويشيرون بأصبعهم . وقيل : أى يبرونهم بالإسلام ويبسبونهم به ، يقال : غمزت  
 الشيء يبدى ، قال :

وَكُنْتُ إِذَا غَمَزْتُ قَتَاةَ قَوْمٍ • كَمَرْتُ كُؤُوبَهَا أَوْ تَسْتَفِيَا

وقالت حاتمة : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا غمزى فقبضت رجل . الحديث ، وقد  
 مضى في « النساء » . وغمزته يعني . وقيل : الغمز معنى اللبى يقال غمزته أى مابه ، وما  
 في فلان غمزة أى سب . وقال مقاتل : نزلت في علي بن أبي طالب جاءه في نحر من  
 المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فغمزهم المنافقون وضحكوا عليهم وتغامروا . **( وَإِذَا  
 انْقَلَبُوا )** أى أنصرفوا إلى أهلهم وأصحابهم ونزوحهم **( انْقَلَبُوا فَكَهِنَ )** أى مسجون منهم .  
 وقيل : مسجون بهم عليه من الكفر متفكهون بذكر المؤمنين . وقرأ ابن القيقع وحفص  
 والأعرج **وَالسَّامِيُّ** : « فَكَهِنَ » بغير ألف . الباقون بألف . قال القرطبي : هما لفنان مثل

طَمِعٌ وَطَامِعٌ وَحَدِيدٌ وَسَائِرٌ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ « الدخان » (١) وَالْحَمْدُ لَهُ . وَقِيلَ : الْفَكَّةُ الْأَشْرُ  
 الْبَطَرُ وَالْفَاكَةُ النَّاعِمُ الْمُتَعَمِّقُ . ( وَإِنَّا رَأَيْنَاهُ ) أَي إِذَا رَأَى هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ أَصْحَابَ عَهْدٍ صَلَّ  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ) فِي أَتْبَاعِهِمْ عِنْدَ صَلَّيِّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( وَمَا أُرْسِلُوا  
 عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ) لِأَعْمَالِهِمْ مُوَكَّلِينَ بِأَحْوَالِهِمْ رِقَابَهُ عَلَيْهِمْ ( قَالِيَوْمَ ) يَعْنِي هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي هُوَ  
 يَوْمُ الْقِيَامَةِ ( الَّذِينَ آمَنُوا ) بِحَمْدِ صَلَّيِّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ) كَمَا ضَحَكَ  
 الْكُفَّارُ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا . نَظِيرُهُ فِي آخِرِ سُورَةِ « الْمُؤْمِنِينَ » وَقَدْ تَقَدَّمَ . وَذَكَرَ ابْنُ الْمُبَارَكِ :  
 أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « قَالِيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ »  
 قَالَ : ذَكَرْنَا أَنَّ كُتُبًا كَانَتْ يَقُولُ إِنَّ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَوْفً ، فَإِذَا أَرَادَ الْمُؤْمِنُ أَنْ يَنْظُرَ  
 إِلَى عَذْوِكٍ كَانَ لَهُ فِي الدُّنْيَا أَطْلَعَهُ مِنْ بَعْضِ الْكَوْفِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى : « قَاتِلْ  
 قَوْمَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ » قَالَ : ذَكَرْنَا أَنَّهُ أَطْلَعَهُ فَرَأَى جَهَنَّمَ قُلُوبَ النَّاسِ . وَذَكَرَ ابْنُ الْمُبَارَكِ  
 أَيْضًا : أَخْبَرَنَا الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « اللَّهُ يُسْتَبْرَزُ بِهِمْ » قَالَ : يُقَالُ لِأَهْلِ  
 النَّارِ وَهُمْ فِي النَّارِ أَمْخِرُوا فَتَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ النَّارِ ، فَإِذَا رَأَوْهَا قَدْ فَتَحَتْ أَقْبَلُوا إِلَيْهَا بِرِيدُونَ  
 الْخُرُوجَ وَالْمُؤْمِنُونَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ عَلَى الْأَرَاكِ ، فَإِذَا آتَوْا إِلَى أَبْوَابِهَا غُلِقَتْ دُونَهُمْ ؛ فَذَلِكَ  
 قَوْلُهُ : « اللَّهُ يُسْتَبْرَزُ بِهِمْ » وَيَضْحَكُ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ حِينَ غُلِقَتْ دُونَهُمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :  
 « قَالِيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ » . ( عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ . هَلْ تُؤْتَى الْكُفَّارُ  
 مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ) وَقَدْ مَضَى هَذَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ « الْبَقَرَةِ » . وَمَعْنَى « هَلْ تُؤْتَى » أَي هَلْ  
 جُوزِيَ بِسُخْرِيَّتِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِالْمُؤْمِنِينَ إِذَا فَعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ . وَقِيلَ : إِنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِـ « يَنْظُرُونَ »  
 أَي يَنْظُرُونَ هَلْ جُوزِيَ الْكُفَّارُ فَيَكُونُ مَعْنَى هَلْ [ التَّعْرِيرُ ] وَمَوْضِعُهَا نَصَبًا بِهِ « يَنْظُرُونَ » .  
 وَقِيلَ : اسْتِثْنَاءٌ لَا مَوْضِعَ لَهُ مِنَ الْإِعْرَابِ . وَقِيلَ : هُوَ إِخْصَارٌ عَلَى الْقَوْلِ ، وَالْمَعْنَى ؛ يَقُولُ  
 بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ لِبَعْضٍ « هَلْ تُؤْتَى الْكُفَّارُ » أَي أُيِّيبُ وَجُوزِيَ . وَهُوَ مِنْ تَابٍ يَتَوَبُّ  
 أَي رَجَعَ ؛ فَالْتَوَابُ مَا يَرْجِعُ عَلَى الْعَبْدِ فِي مَقَابِلَةِ عَمَلِهِ وَيُسْتَعْمَلُ فِي الشَّيْرِ وَالشَّرِّ . خُصَّتْ  
 السُّورَةُ وَاقِعُهَا أَعْلَى .

## سورة الأنشاق

مكية في قول الجميع وهي خمس وعشرون آية

قوله تعالى : **إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ②**  
**وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا**  
**وَحُقَّتْ ⑤**

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : **(إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ)** أى انصدعت وتقطرت بالهلم والهلم مثل السحاب الأبيض . وكذا روى أبو صالح عن ابن عباس . وروى عن علي عليه السلام قال : تنشق من الجبرة ، وقال : الجبرة باب السماء . وهذا من أشرط الساعة وعلاقتها . **(وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ)** أى سمعت وحق لها أن تسمع . روى عنه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتنطق بالقرآن " أى ما أسمع الله لشيء ؛ قال الشاعر :

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ • وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

أى سمعوا . وقال قتوب بن أنم صاحب :

إِنْ يَأْذِنُوا رَبِّيَّةً طَارُوا بِهَا قَرَسًا • وَمَا هُمْ إِذْنُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

وقيل : المعنى وحق الله عليها الاستماع لأمره بالانشقاق . وقال الضحاك : حُقَّتْ أطاعت وحق لها أن تطيع ربها لأنه خلقها ؛ يقال : فلان محقوق بكذا . وطاعة السياه بمعنى أنها لا تمتنع بما أراد الله بها . ولا يمد خلق الحيلة فيها حتى تطيع وتطيع . وقال قتادة : حق لها أن تفعل ذلك ؛ ومنه قول كثير :

فَإِنْ تَكُنِ النَّبِيُّ فَأَهْلًا وَمَرْحَبًا • وَحَقَّتْ لَهَا النَّبِيُّ لَدَيْهَا وَقَلَّتْ

قوله تعالى : ( وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ) أى بسطت ودكت جبالها . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تُمَدُّ مَدَّ الْأَدِيمِ » لأن الأديم إذا مَدَّ زَالَ كُلُّ أَثْنَاءِ فِيهِ وَأَمْتَدَّ وَأَسْتَوَى . وقال ابن عباس وابن مسعود : ويزاد في سميتها كذا وكذا ؛ لوقوف الخلائق عليها للحساب حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدمه لكثرة الخلائق فيها . وقد مضى في سورة « إبراهيم » أن الأرض تبدل بأرض أخرى وهى الساهرة في قول ابن عباس على ما تقدم عنه . ( وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ) أى أخرجت أمواتها وتخلت عنهم . وقال ابن جرير : أَلْقَتْ مَا فِي بطنها من الموتى وتخلت بمن على ظهرها من الأحياء . وقيل : أَلْقَتْ مَا فِي بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت منها . أى خلا جوفها فليس في بطنها شيء . وذلك يؤذن بعظم الأمر كما تلقى الحامل ما في بطنها عند الشدة . وقيل : تخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها . وقيل : أَلْقَتْ مَا أَسْتَوَدِعَتْ وتخلت مما أَسْتَحْفَظَتْ ؛ لأن الله تعالى أستودعها عباده أحياء وأمواتا ، وأستحفظها ببلاده منارمة وأقواتا . ( وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا ) أى فى إلقاء موتاتها ( وَخَشَعَتِ ) أى وَخَفَّتْ لما أن تسمع أمره . واختلفت في جواب « إذا » فقال القرطبي : « أَذِنَتْ » والواو زائدة ، وكذلك « وَأَلْقَتْ » . ابن الأنباري : قال بعض المفسرين جواب « إِذَا » السَّيِّئَةُ أَسْقَتْ » « أَذِنَتْ » وزعم أن الواو مقحمة وهذا غلط ؛ لأن العرب لا تحم الواو إلا مع « حى » — إذا « كقوله تعالى : « حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَخُصِمَتْ أُبُوأَبَا » ومع « لَمَّا » كقوله تعالى : « فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّى لِلْجَبِينِ وَتَدَيَّنَا » منناه « تَدَيَّنَا » والواو لا تحم مع غير هذين . وقيل : الجواب قائم مضمر كأنه قال : « إِذَا السَّيِّئَةُ أَسْقَتْ » فأيما الإنسان إنك كادح . وقيل : جوابها مادل عليه « فَمَلَّاقِيهِ » أى إذا السَّيِّئَةُ أَسْقَتْ لاقى الإنسان كدحه . وقيل : فيه تقديم وتأخير ، أى « بَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَّاقِيهِ » « إِذَا السَّيِّئَةُ أَسْقَتْ » قاله المبرد . وعنه أيضا : الجواب : « قَائِمًا مِنْ أَوْقَى كِتَابِهِ بِمِثْنِهِ » وهو قول الكسائي ؛ أى إذا السَّيِّئَةُ أَسْقَتْ فَمِنْ أَوْقَى كِتَابِهِ بِمِثْنِهِ فَكَلِمَةُ كَذَا . قال أبو جعفر النحاس : وهذا أصح

ما قبل فيه وأحسنه . وقيل : هو بمعنى أذكر « إِذَا السَّاهُ أَتَتْهُ » ، وقيل : الجواب  
محذوف لم المخاطبين به ؛ أي إذا كانت هذه الأشياء علم المكتوبين بالبعث ضلتهم  
وخسرانهم . وقيل : تقدم منهم سؤال عن وقت القيامة ، قيل لهم : إذا ظهرت أضرابطها  
كانت القيامة فرأيتهم مافية تكذيبكم بها . والقرآن كالأية الواحدة في دلالة البعض على البعض .  
وعن الحسن : إن قوله « إِذَا السَّاهُ أَتَتْهُ » فسم . والجمهور على خلاف قوله من أنه خبر  
وليس بضم .

قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا  
فَلْيَنْقِبْ ① فَأَمَّا مَنْ أُوِّقِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ② فَسَوْفَ يُحَاسَبُ  
حِسَابًا يَسِيرًا ③ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَعْرُورًا ④

قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ) المراد بالإنسان الجنس  
أي يابن آدم . وكذا روى سعيد عن قتادة : يابن آدم إن كدحك لضعيف لمن استطاع أن  
يكون كدحه في طاعة الله ليفعل ولا قوة إلا بالله . وقيل : هو معين ؛ قال مقاتل ؛ يعني  
الأسود بن عبد الأسد . ويقال : يعني ابن بن خلف . ويقال : يعني جميع الكفار ؛ يعني  
يأيا الكافر إنك كادح . والكادح في كلام العرب العمل والكسب ؛ قال ابن مقبل :

وَمَا النَّفْرُ إِلَّا قَارَكَايَ قَتْمَا • أَمُوتُ وَأُخْرَىٰ أُتَيْتِ الْبَيْتِ أَكْدَحُ

وقال آخر :

وَمَضَتْ بَشَاةُ كُلِّ مَيْتٍ مَالِح • وَجِئْتُ أَكْدَحُ لِهَيْبَةٍ وَأَنْصَبُ

أي أعمل . وروى الضمك من ابن عباس : « إِنَّكَ كَادِحٌ » أي راجع « إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا »  
أي رجوع لا محالة « فَلْيَنْقِبْ » أي ملاقي ربك . وقيل : ملاقي عملك . القبي : « إِنَّكَ كَادِحٌ »  
أي عامل ناصب في ميشتك إلى لقاء ربك . والملافة بمعنى اللقاء أي تلقى ربك بعمله .  
وقيل : أي تلقى كتاب عملك ؛ لأن العمل قد أفضى ولهذا قال : « فَأَمَّا مَنْ أُوِّقِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ » .

قوله تعالى : ( فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ) وهو المؤمن ( فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ) لا مناقشة فيه . كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حوسب يوم القيامة عُذْبٌ » قالت : قلت يا رسول الله أليس قد قال الله « فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا » فقال : « ليس ذلك الحاسب إنما ذلك العرض من نوقش الحاسب يوم القيامة عُذْبٌ » أخرجه البخاري ومسلم والترمذي . وقال حديث حسن صحيح . ( وَيَتَقَلَّبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ) أزواجه في الجنة من الخور العين « مَسْرُورًا » أى مقتبلاً فرحاً بالعين . ويقال : إنما زلت في ابى سلمة أين عبد الأسد وهو أول من هاجر من مكة إلى المدينة . وقيل : إلى أهله الذين كانوا له في الدنيا لينضم بهم بخلاصه وسلامته . والأول قول قتادة . أى إلى أهله الذين قد أعلمهم الله له في الجنة .

قوله تعالى : وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ⑪ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑫ وَيَصْعَلُ سَعِيرًا ⑬ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑭ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ⑮ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ⑯

قوله تعالى : ( وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ) زلت في الأسود بن عبد الأسد أبى سلمة ، قاله ابن عباس . ثم هى عامة في كل مؤمن وكافر . قال ابن عباس : يمد يده اليمنى لياخذ كتابه فيجذبه ملك فيخلع يمينه ، فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره . وقال قتادة ومقاتل : يضلك ألواح صدره وعظامه ثم تمسك يده وتخرج من ظهره فيأخذ كتابه كذلك . ( فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ) أى بالهلاك فيقول : يا ويلاه يا ثُبُوراه . ( وَيَصْعَلُ سَعِيرًا ) أى ويدخل النار حتى يصل بجزها . وقرا الحريان وابن ماسر والكسائي « وَيُصْعَلُ » بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام ؛ كقوله تعالى : « ثُمَّ أَتِمْ بِهَلْوَءٍ » وقوله : « وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ » . الباقون « وَيَصْعَلُ » بفتح الياء مخففاً قبل لازم غير متد ، لقوله : « إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ » وقوله : « يَصْعَلُ النَّارَ الْكُبْرَى » وقوله : « ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ » . وقراءة ثالثة رواها أبان

عن مادم وخلوجة من قانع وإسماعيل المكي عن ابن كثير « وَيُصَلِّ » بضم الياء وإسكان الصاد وفتح اللام مخففا « كَأَقْرَى » وَيُصَلِّونَ » بضم الياء ، وكذلك في « الفاشية » قد قرئ أيضا : « تُصَلِّ تَارَا » وهما لغتان صَلَّ وأصل ؛ كقوله : « تَزَلَّ . وَأُزَلَّ » . ( إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ ) أى في الدنيا ( مَسْرُودًا ) قال ابن زيد : وصف الله أهل الجنة بالخفة والحزن والبهجة والشفقة في الدنيا فاعفهم به النعيم والسرور في الآخرة ، وقرا قول الله تعالى : « إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَنَزَّلْنَا اللَّهُ مَلَاً وَوَفَّاءَ عَذَابِ السَّعِيرِ » قال : ووصف أهل النار بالسرور في الدنيا والشفقة فيها والتفكك فقال : « إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُودًا » . ( إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَنْ يَحُورَ ) أى لن يرجع حيا مبهوتا فيحاسب ثم يثاب أو يعاقب . يقال : حار يحسور إذا رجع ، قال لييد :

رَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْؤُهُ • يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَائِطٌ

وقال عكرمة وداد بن أبي هند : يحور كلمة بالخشية وممتناها يرجع . ويحور أن تنشق الكليتان فإنهما كلمة اشتقاق ومنه الخبز الحواري ؛ لأنه يرجع إلى البياض . وقال ابن عباس : ما كنت أدرى ما يحور حتى سمعت أعرابية تدعو بنية لما حورى حورى أى أرجى إلى ، فالحوور في كلام العرب الرجوع ؛ ومنه قوله عليه السلام : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَوْرِ بَدَ الْكُورِ » يعنى من الرجوع إلى نقصان بعد الزيادة وكذلك الحور بالضم . وفي المثل « حور في عمارة » أى نقصان في نقصان يضرب للرجل إذا كان أمره يدير ؛ قال الشاعر :

وَأَسْتَجِلُّوا عَن خَفِيفِ الْمَضِجِ فَازْدَرَدُوا • وَاللَّهِ يَسْتَوِي زَادَ النَّسَمِ فِي حُسُورِ

والحور أيضا الأسم من قورك : طحنت الطاحنة فإسلرت شيئا ؛ أى ما رقت شيئا من البقي . والحور أيضا المملكة ؛ قال الرازي :

• فِي بَيْتٍ لَا حُورَ سَرَى وَلَا شَمَرَ •

(١) قاله سبع بن الخليل ؛ يريد الأكل لمحب وإقام بين .

(٢) مواليد .

قال أبو حيلة : أى برحور ، و « لا » زائدة . وروى « بِسْمِ الْكَوْنِ » ومناه من  
 أنتشار الأمر بعد تسامه . وسئل تَعَمَّرَ عن الحور بعد الْكَوْنِ فقال : هو الْكُنْثَى . فقال  
 له عبد الزاقى : وما الْكُنْثَى ؟ فقال : الرجل يكون صالحاً ثم يقصول وجل سوء . قال  
 أبو عمرو : يقال للرجل إذا شاخ كُنْثَى كأنه نسب إلى قوله : كنتُ فى شبابى كذا . قال :  
 فَأَصْبَحْتُ كُنْثِيًّا وَأَصْبَحْتُ طَائِفًا • وَشَرُّ خَصَالِ الْمَرْءِ كُنْتُ وَطَائِفُنْ  
 عجن الرجل إذا نهض متملدا على الأرض من الكبر . وقال ابن الأعرابى : الْكُنْثَى هو الذى  
 يقول كنتُ شاباً وكنتُ شجاعاً ، والكَافَى هو الذى يقول : كان لى مال وكنت أهب ، وكان  
 لى خيل وكنت أركب .

قوله تعالى : ( عَلَى ) أى ليس الأمر كما ظن بل يحور إلينا ويرجع . ( إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ  
 بَصِيرًا ) قبل أن ينقله طالب بأن مرجعه إليه . وقيل : على ليحور وليرجع . ثم استأنف  
 فقال : « إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا » من يوم خلقه إلى أن يشه . وقيل : طالما بما سبق له  
 من الشقاء والسعادة .

قوله تعالى : فَلَا أَقْسَمُ إِلَّا شَيْئًا ۖ وَاللَّيْلُ وَمَا وَسَقَ ۖ وَالْقَمَرِ  
 إِذَا اتَّسَقَ ۖ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ۖ فَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ  
 وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ ۖ

قوله تعالى : ( فَلَا أَقْسَمُ ) أى فأقسم و « لا » صلة . ( إِلَّا شَيْئًا ) أى بالجملة التى  
 تكون عند منيب الشمس حتى تأتى صلاة العشاء الآخرة . قال أشهب وعبد الله بن الحكم  
 ويحيى بن يحيى وغيرهم كثير مدغم عن مالك : الشَّقُّ الحجرة التى فى المغرب ، فإذا فُجِيت  
 الحجرة فقد خرجت من وقت المغرب ووجبت صلاة العشاء . وروى ابن وهب قال : أخبرنى  
 زيد بن أسلم عن علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وعبيدة بن الصامت وشذاد بن أوس

( ١ ) الكون هنا : مصدر كان الغاية يقال : كان يكون كذا أى وجد واستقر . ( التاج ) .

وأبي هريرة أن الشَّقَقَ الحُمْرَةَ ، وبه قال مالك بن أنس . وذكر غيرُ ابن وهب من الصَّابَةِ  
عُمَرُ وأَبْنُ عُمَرُ وأَبْنُ مَسْعُودٍ وأَبْنُ عِيَّاسٍ وَأَنْسَاءُ وَأَبَا قَتَادَةَ وَجَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبْنُ الزُّبَيْرِ ، ومن  
التابعين سعيد بن جبيرة وأَبْنُ الْمُسَيَّبِ وطائوس وعبد الله بن دينار والزهرى ، وقال به من  
الفقهاء الأوزاعي ومالك والشافعى وأبو يوسف وأبو ثور وأبو حنيفة وأحمد وإسحق . وقيل :  
هو البياض ، روى ذلك عن ابن عباس وأبي هريرة أيضا وعمر بن عبد العزيز والأوزاعي  
وأبي حنيفة في إحدى الروايتين عنه . وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه . وروى عن ابن  
عمر أيضا أنه البياض والاختيار الأول ، لأن أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء عليه ، ولأن  
شواهد كلام العرب والاشتقاق والسنة تشهد له . قال الفراء : سمعت بعض العرب يقول  
ثوب عليه مصبوغ كأنه الشَّقَقُ وكان أحمر فهذا شاهد للحُمْرَةِ ؛ وقال الشاعر :

• وَأَحْمَرُ اللَّوْنِ كَحُمْرِ الشَّقَقِ •

وقال آخر :

قَسْمٌ يَا غَلَامُ أَيْتَى غَيْرَ مُرْتَبِكٍ • عَلَى الزَّيْتَانِ يَكْأَسُ حَشْوُهَا شَقَقُ

ويقال لَغَرَةُ الشَّقَقِ . وفي الصحاح : الشَّقَقُ بقية ضوء الشمس وحُمُرَتُهَا فِي أَثَلِ اللَّيْلِ إِلَى  
قَرِيبٍ مِنَ الْعَتَمَةِ . قال الخليل : الشَّقَقُ الحُمْرَةُ من غروب الشمس إلى وقت السَّاءِ الآخِرَةِ  
لِذَا ذَهَبَ قَبْلَ ظُلُمِ الشَّقَقِ . ثم قيل : أصل الكلمة من رَقَّةِ النَّحْلِ ؛ يقال : شَيْءٌ شَقِيقٌ  
أَيُّ لَا تَمَسُّكَ لَهُ لِرَقَّتِهِ . واشفق عليه أَي رَقَّ قَلْبُهُ عَلَيْهِ ، وَالشَّقَقَةُ الْأَسْمُ مِنَ الْإِشْفَاقِ وَهُوَ  
رَقَّةُ الْقَلْبِ وَكَذَلِكَ الشَّقَقُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

تَهَوَّى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَقَقًا • وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ تَزَالٍ عَلَى الْحُسْرِ

فَالشَّقَقُ بقية ضوء الشمس وحُمُرَتُهَا تَكُنْ تِلْكَ الْوَقْتُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ . وزعم الحكماء أن  
البياض لا يَنْبَغِ أَصْلًا . وقال الخليل : صعدت منارة الإسكندرية فرمقت البياض فوأيت  
يتردذ من أفاق إلى أفاق ولم أره يَنْبَغِ . وقال ابن أبي أُوَيْسٍ : رأيت يَتَدَايى إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ .

(١) هو إسحق بن خلف . وقيل هو لابن الجلي . السان .

قال المأثرون : فلما لم يتعدد وقته سقط اعتباره . وفي سنن أبي داود عن النعمان بن بشير قال :  
 أنا أعلمكم بوقت صلاة العشاء الآخرة ؛ كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلها يسقط القمر  
 لثلاثة . وهذا تحديد ثم الحكم معاق بأول الأسم ، لا يقال : فينقض عليكم بالفجر الأول  
 فإنما قول الفجر الأول لا يتعلق به حكم من صلاة ولا إسكاف ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم  
 بين الفجر بقوله وفعله فقال : " وليس الفجر أن تقول هكنا — فرفع يده إلى فوق —  
 ولكن الفجر أن تقول هكنا وبسطها " وقد مضى بيانه في آية الصيام من سورة « البقرة »<sup>(١)</sup>  
 فلا معنى للإعادة . وقال مجاهد : انشقق النهار كله ألا تراه قال « وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ » . وقال  
 عكرمة : ما بقى من النهار ، والشفق أيضا الرىء من الأشياء ؛ يقال : عطاء مُشَفَّق أى مُقَلَّل ؛  
 قال الكشي :

مَلِكٌ آخَرٌ مِنَ الْمُلُوكِ تَحَلَّتْ . لِلسَّالِينَ يَسَدُهُ غَيْرُ مُشَفَّقٍ

قوله تعالى : ( وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ) أى جمع وضم وقف وأصله من سورة السلطان  
 وغضبه ؛ فلو أنه نخرج إلى العباد من باب الرحمة ما تمالك العباد لمحبته ، ولكن نخرج من  
 باب الرحمة فنرجع بها فنسكن الخلق إليه ثم أنذرهم وألنفوا وأهبطوا ورجع كل إلى ماواه  
 فسكن فيه من هوله وحشا ، وهو قوله تعالى : « وَمِنْ رَحْمَتِي جَعَلْتُ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا  
 فِيهِ » أى بالليل « وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ » أى بالنهار على ما تقدم . فالليل يجمع ويضم ما كان  
 منشرا بالنهار في تصرفه . هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وغيرهم ؛ قال ضاوي  
 ابن الحارث البرهمي :

فَأَيُّ وَلِيٍّ أَيْتُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمْ . كَفَافِضٍ مَا لَمْ يَسْفِهْ أَنَامِلُهُ

يقول : ليس في يدي من ذلك شيء ، كما أنه ليس في يد الفاضل على الماء شيء ؛ فإذا جَلَّ  
 الليلُ الجبالَ والأشجارَ والثمارَ والأرضَ فأجتمعت له فقد ومَقَّها . والوَسَقُ ضحك الشيء

بعضه إلى بعض، يقول: وَسَقَتْهُ أَسْقُهُ وَسَقًا . ومنه قيل: للعلام الكثير المجتمع وَسَقٌ وهو ستون صاعا . وعلام موسوق أى مجموع، وأبْلٌ مستوسقة أى مجتمعة؛ قال الرازي:

إِنْ لَنَا قَلِيلٌ صَاحِبًا حَقَائِقًا • مُسْتَوْسَقَاتٍ لَوْ تَجِدَنَّ سَائِحًا

وقال عكرمة: « وَمَا وَسَقَ » أى وما ساق من شيء إلى حيث يأوى؛ فالوسقُ بمعنى الطرد؛ ومنه قيل للطريدة من الإبل والنعم والحمر وسيقة؛ قال الشاعر:

• كَمَا قَالَفَ أَكَاوِرُ الْوَسِيقَةِ قَائِفٌ •

وعن ابن عباس: « وَمَا وَسَقَ » أى وما جَنَ وَسَرَ . وعنه أيضا: وما حمل وكل شيء حملة فقد وَسَقَتْهُ؛ والعرب تقول: لا أهله ما وَسَقَتْ عَنِ الْمَاءِ؛ أى حملة، وَوَسَقَتْ الثَّاقَةُ تَسْقُ وَسَقًا أى حملت وأظقت رَحِمَهَا عَلَى الْمَاءِ، فهي ثاققة وإسقى وتوق وساق مثل قام وبنام وصاحب وصحاب؛ قال بشر بن أبي خازم:

أَلْفٌ يَجِبْنَ يَحْمِلُوهُنَّ حَتَّى • تَتَيَّنَ الْجِيَالُ مِنَ الْوَسَاقِ

ومواسيق أيضا . وأوسقت البعير حملة حملة وأوسقت النخلة كثر حملها . وقال يمان والضحاك ومقاتل بن سليمان: حَمَلٌ مِنَ الظَّلَمَةِ . قال مقاتل: أو حمل من الكواكب . التشيرى ومعنى حَمَلٌ ضَمٌّ وجمع والليل غَلٌّ بظلمته كل شيء فإذا جَلَّهَا فَقَدْ وَسَقَهَا . ويكون هذا الْقَسَمُ قَسَمًا بِجَمِيعِ المخلوقات؛ لأشغال الليل عليها؛ كقوله تعالى: « فَلَا أَقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ » . وقال ابن جبير: « وَمَا وَسَقَ » أى وما عمل فيه معنى التجهد والاستنفار بالأخصار؛ قال الشاعر:

وَيَوْمًا تَرَانَا مُصَالِحِينَ وَتَارَةً • نَقُومُ بِنَا كَالْوَسَاقِ الْمُتَلَكِّبِ

أى كالماثل .

(١) هو السجاج كما فى اللسان مادة « وسق » .

(٢) ثاقه الأسود بن مفر، ومصدره: • كُتِبَ عَلَيْكَ لَا تَزَالُ تَوَقُّى •

قوله تعالى : ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أى تم وأجمع وأسوى . قال الحسن : اتَّسَقَ أى اتَّسَلَّ وأجتمع . ابن عباس : أسوى . قتادة : استدار . الفراء : اتَّساقه أمثاله واستواؤه ليالى البدر وهو أفعال من الوسق الذى هو الجمع ، يقال : وسقت فأَتَسَقَ ، كما يقال : وصفته فأَتَصَلَ ، ويقال : امر فلان مُتَسِقَ أى مجتمع على الصلاح منتظم . ويقال : اتَّسَقَ الشيء إذا تابع ، ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ قرأ أبو عمرو وابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومسروق وأبو وائل ومجاهد والنخعي والشعبي وابن كثير وحزمة والكسائي « لَتَرْكَبُنَّ » بفتح الباء خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم أى لَتَرْكَبُنَّ يا محمد حالا بعد حال ، قاله ابن عباس . الشعبي : لَتَرْكَبُنَّ يا محمد سماء بعد سماء ، ودرجة بعد درجة ، ورتبة بعد رتبة فى القرية من الله تعالى . ابن مسعود : لَتَرْكَبُنَّ السماء حالا بعد حال ، يعنى حالاتها التى وصفها الله تعالى بها من الانشقاق والطلوع وكونها مرة كالمُهْل ومررة كاللَّهْنان . وعن إبراهيم عن عبد الله : « طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ » قال : السماء تغلب حالا بعد حال . قال : تكون وردة كاللَّهْنان وتكون كالمُهْل . وقيل : أى لَتَرْكَبُنَّ أيها الإنسان حالا بعد حال من كونك نطفة ثم طغسة ثم مضغة ثم حياً وميتاً وغنياً وفقيراً . فالخطاب للإنسان المذكور فى قوله : « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ » وهو أسمى لمجلس ومعتاه الناس . وقرأ الباقر « لَتَرْكَبُنَّ » بضم الباء خطاباً للناس وأخبره أبو سعيد وأبو حاتم ، قال : لأن المعنى بالناس أشبهه الله بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لما ذكر قبل هذه الآية لمن يؤتى كتابه بيمينه ومن يؤتى كتابه بشماله . أى لَتَرْكَبُنَّ حالا بعد حال من شدة انداد القيامة ، أو لَتَرْكَبُنَّ سنة من كان قبلكم فى التكذيب واختلاق على الأنبياء .

قلت : وكله مراد وقد جاءت بذلك أحاديث <sup>(١)</sup> ؛ فروى أبو نعيم الحافظ عن جعفر بن محمد بن علي عن جابر رضى الله عنه ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :  
 " إِنْ أَبَى آدَمُ لِقَى غَفْلَةً عَمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ أَفْلَحَ إِلَّا فِيهِ إِذَا أَرَادَ خَلْقَهُ قَالَ لِلَّهِ أَكْتُبْ رِزْقَهُ وَآثَرَهُ وَأَجَلَهُ وَأَكْتُبْ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا ثُمَّ يَرْفَعُ ذَلِكَ الْمَلَكُ وَيُعِثُّ اللَّهُ مَلَكًا

أترى يحفظه حتى يدرك ثم يموت الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فإذا جاءه الموت  
أرتفع فذاك الملكان ثم جاءه ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه فإذا أدخل حفرته  
رَدَّ الروح في جسده ثم يرتفع ملك الموت ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فإذا قامت  
الساعة أحبط عليه ملك الحسبات وملك السيئات فأتسطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا  
معه واحد سابق والآخر شهيد " ثم قال الله عز وجل « لَقَدْ كُنْتُمْ فِي فِتْنَةٍ مِنْ هَذَا  
فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَيَرَاكَ الْيَوْمَ حَبِيدٌ » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« لَتَرَكُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ » قال : " حالا بعد حال " ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
" إن قدامكم أرضا عظيما فأسميوا بالله العظيم " فقد أشتمل هذا الحديث على أحوال تموت  
الإنسان من حين يخلق إلى حين يموت ، وكله شدة بعد شدة ، حياة ثم موت ، ثم يموت  
ثم جزء ، وفي كل حال من هذه شدائد . وقال صلى الله عليه وسلم : " لَتَرَكُنَّ سِنَنَ مِنْ  
قَبْلِكُمْ شَبَها بِشَبْرٍ وَذُرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا بِحُرَّصَبٍ لِدُخْلَتُمُوهُ " قالوا : يا رسول الله ! اليهود  
والنصارى ؟ قال : " فن " ؟ خزيه البخاري . وأما أقوال المفسرين ، فقال حكمة :  
حالا بعد حال ؛ فطما بعد رضيع وشيخا بعد شباب ؛ قال الشاعر :

كَذَلِكَ الْمَرْءُ إِنْ يُلْسَأْهُ أَجَلٌ • يَرْكَبُ عَلَى طَبَقٍ مِنْ بَيْتِهِ طَبَقٌ

وعن مكحول : كل عشرين عاما يمجدون أمرا لم تكونوا عليه ، وقال الحسن : أمرا بعد  
أمرا ؛ رخاء بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وفقى بعد فقر ، وفقر بعد فنى ، وصحة بعد  
سقم ، وسلمة بعد محنة . سعيد بن جبير : متلة بعد متلة ؛ قوم كانوا في الدنيا متضعين  
فأرضعوا في الآخرة ، وقوم كانوا في الدنيا مرضعين فأنضعوا في الآخرة . وقيل : متلة عن  
متلة وطبقا عن طبق ؛ وذلك أن من كان على صلاح دعاه إلى صلاح فوقه ، ومن كان على  
فساد دعاه إلى فساد فوقه ؛ لأن كل شيء يجر إلى شكله . ابن زيد : ولتصيرت من طبق  
الدنيا إلى طبق الآخرة . وقال ابن عباس : الشدائد والأحوال الموت ثم البعث ثم المرض ؛

(١) رواية البخاري "لثنتين" بدل "فركن" . (٢) في نسخة : نطقة .

والعرب تقول لمن وقع في أمر شديد : وقع في بنات طبق وإحدى بنات طبق ؛ ومنه قيل للداهية الشديدة : أم طبق وإحدى بنات طبق . وأصلها من الحيات ؛ إذ يقال للية أم طبق لنحوها . والطبق في اللغة الحلال كما وصفنا ؛ قال الأفرع بن حابس التيمي :  
إني أُمُرُّ قَدْ سَبَّتُ النَّهْرَ أَشْطَرُهُ • وساقني طَبَقٌ مِنْهُ إِلَى طَبَقِي

وهذا أدل دليل على حدوث العالم وإثبات الصانع ؛ قالت الحكماء : من كان اليوم على حالة وفدا على حالة أخرى فليعلم أن تديره إلى سواء . وقيل لأب بكر الوراق : ما الدليل على أن لهذا العالم صانعا ؟ قال : تحويل الحالات ، وعجز القوة ، وضعف الأركان ، وقهر المنية ، ونسخ الزمنية . ويقال : أنا طَبَقٌ مِنَ النَّاسِ وطبق من الجراد أى جماعة . وقول العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِيمٍ • إِذَا مَضَى حَالٌ بَدَأَ طَبَقٌ

أى قرن من الناس . يكون طباق الأرض أى ملاءها ، والطبق أيضا عظم رقيق يفصل بين القفارين . ويقال : مضى طبق من الليل وطبق من النهار أى معظم منه . والطبق واحد الأطباق فهو مشترك . وقرئ « لَتَرْكَبَنَّ » بكسر الباء على خطاب النفس و « لَيَرْكَبَنَّ » بالياء على ليركب الإنسان . و « عن طبق » في عمل نصب على أنه صفة لـ « طبقا » أى طبقا مجاوزا لطبق . أو حال من الضمير في « لَتَرْكَبَنَّ » أى تركبن طبقا مجاوزين لطبق أو مجاوزا أو مجازة على حسب القراءة .

قوله تعالى : ( قَسَمَ لَمْ لَا يُؤْمِنُونَ ) يعنى أى شئ يمتنعهم من الإيمان بسد ما وضعت لهم الآيات وقامت الدلائل . وهذا استفهام إنكار . وقيل : تسجيب أى أعجبوا منهم في ترك الإيمان مع هذه الآيات .

قوله تعالى : ( وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمِعُونَ ) أى لا يسلون . وفي الصحيح : إن أبا هريرة قرأ « إِذَا الْمَاءُ أَنْشَقَتْ » فسجد فيها فلما أنصرف أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها . وقد قال مالك : إنها ليست من عزائم السجود ؛ لأن المعنى

لا يذعنون ولا يطيعون في العمل بواجباته . ابن العربي : والصحيح أنها منه وهي رواية المدنيين عنه وقد أعترض فيها القرآن والسنة . قال ابن العربي : لما أمتت بالناس تركت قرامتها ؛ لأني إن سمعت أتكروه وإن تركتها كان تقصيرا مني فأجتنبتها إلا إذا صليت وحدي . وهذا تحقيق وعيد الصادق بأن يكون المعروف متكرا والمنكر معروفا ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم لعائشة : **”لولا حديثك لكانت قومك بالكفر لهدمت البيت ولرددته على قواعد إبراهيم“** . ولقد كان شيخنا أبو بكر الفهرى يرفع يديه عند الركوع وعند الرضخ منه ، وهو مذهب مالك والشافعي ويقعله الشيعة ، فحضر عندي يوما في محرم ابن الشوالة بالثغر - موضع تدريسي - عند صلاة الظهر ودخل المسجد من المحرم المذكور فتقدم إلى الصف وأنا في مؤخره فاعلنا على طاقات البحر أنتم الريح من شدة الحر ، ومضى في صف واحد أبو ثمنة رئيس البحر وقائده مع ثمر من أصحابه يختر الصلاة ويتطلع على مراكب تحت المياه ، فلما رفع الشيخ يديه في الركوع وفي الرضخ منه قال أبو ثمنة وأصحابه : ألا ترون إلى هذا المشرق كيف دخل مسجدا ؟ فقوموا إليه فأقتلوه وأرموا به إلى البحر فلا يراك أحد . فطار قلبي من بين جوانحي وقلت : سبحان الله هذا الطرطومي قبيح الوقت . فقالوا لي : ولم يرفع يديه ؟ فقلت : كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ، وهذا مذهب مالك في رواية أهل المدينة عنه . وجعلت أسكتهم وأسكتهم حتى فرغ من صلاته وقت معه إلى المسكن من المحرم ، ورأى تغير وجهي فأنكره وسألني فأعلته ، فضحك وقال : ومن أين لي أن أقتل على سنة ؟ فقلت له : ولا يحل لك هذا فإنك بين قوم إن قت بها قاموا عليك وربما ذهب دك . فقال : دع هذا الكلام وخذ في غيره .

قوله تعالى : **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ عَا  
يُوهُونَ ﴿٢٣﴾ فَيَشْرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾**

قوله تعالى : ( يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يُكَذِّبُوْنَ ) معنا صلى الله عليه وسلم وما جاء به .  
وقال مقاتل : نزلت في بنى عمرو بن عمير وكانوا اربعة فاسلم اثنتان منهم . وقيل : هى  
في جميع الكفار . ( وَآلَهُمْ اٰلَمٌ مِّمَّا يُوعُوْنَ ) أى بما يضمرونه في أنفسهم من التكذيب . كذا  
روى الضحاك عن ابن عباس . وقال مجاهد : يكتُمون من أفعالهم . ابن زيد : يعمون  
من الأعمال الصالحة والسيئة ؛ مأخوذ من الوعاء الذى يجمع ما فيه ؛ يقال : أوعيت الزاد  
والمناخ إذا جمعته في الوعاء ؛ قال الشاعر :

اخبرُ أُنْبَىٰ وَإِنْ سَأَلَ الزَّيْنُ بِهِ • وَالشَّرُّ أَخْبَتْ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِ

ووعاء أى حفظه ؛ يقول : وعيت الحليث أيعيه وعياً وأذن وإعياً . وقد تقدم . ( فَنَبَشْرُهُمْ  
سَدَابِۥ أَلْبِي ) أى موجع في جوفهم مل تكذيبهم . أى أجعل ذلك بمنزلة البشارة . ( إِلَّا الَّذِيْنَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) استثناء منقطع ، كأنه قال : لكن الذين صدقوا بشهادة أن لا إله  
إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وعملوا الصالحات أى أدوا الفرائض المفروضة عليهم ( لَهُمْ أَجْرٌ )  
أى ثواب ( فَهُمْ يَحْمَدُونَ ) أى غير مقصوص ولا مقطوع ؛ يقال : منفت الحل إذا قطعت .  
وقد تقدم . وسأل فافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله « لَهُمْ أَجْرٌ فَهُمْ يَحْمَدُونَ » فقال :  
غير مقطوع . فقال : هل تعرف ذلك العرب ؟ قال : نعم قد عرفه أخو يسكر حيث يقول :  
فَتَرَىٰ خَلْقَهُمْ مِنْ صُرْمَةِ الرِّجِّ • جَ مَعَيْنَا كَأَنَّهُ أَهْبَاءُ

قال المبرد : المئين النبار ؛ لأنها تقطعه وراعيها . وكل ضعيف مئين ومعنون . وقيل :  
« فَهُمْ يَحْمَدُونَ » لا يُحْمَدُونَ . وذكر ناس من أهل العلم أن قوله « إِلَّا الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ » ليس استثناء وإنما هو بمعنى الواو ، كأنه قال : والذين آمنوا . وقد مضى  
في « البقرة » القول فيه والحمد لله .

(١) راجع ج ١٨ ص ٢٦٣ (٢) راجع ج ١٥ ص ٣٤١

(٣) تقدم هذا البيت بقط : قرئ حفظها من الريح والورد • ج معينا ... الخ

(٤) راجع ج ٢ ص ١٦٩

## سورة البروج

مكية بأشفاق . وهي ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَالْأَسْمَاءُ ذَاتِ الْبُرُوجِ ①

قَسَمَ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ جَلَّ وَعَزَّ . وفي «البروج» أقوال أربعة : أحدها — ذات النجوم ؛ قاله الحسن وقتادة ومجاهد والضحاك . الثاني — القصور ؛ قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد أيضا . قال عكرمة : هي قصور في السماء . مجاهد : البرُوجُ فيها الحُرْسُ . الثالث — ذات الخلق الحسن ؛ قاله الميثال بن عمرو . الرابع — ذات المنازل ؛ قاله أبو عبيدة ويعني ابن سلام . وهي اثنا عشر بُرْجًا ، وهي منازل الكواكب والشمس والقمر . يسير القمر في كل برج منها يومين وثلاث يوم ، فذلك ثمانية وعشرون يوما ، ثم يَتَسَيَّرُ<sup>(١)</sup> ليلتين ؛ وقسِر الشمس في كل بُرْجٍ منها شهرا . وهي : الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والمِرْطَانُ ، والأسد ، والسُّبُلَةُ ، والمِيزَانُ ، والمُعْرَبُ ، والقَوْسُ ، والجَدْيُ ، والدَّلْوُ ، والحُوتُ . والبروج في كلام العرب : القصور ؛ قال الله تعالى : « وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ » . وقد تَقَسَّم<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَهِيدٍ وَمَشْهُودٍ

قوله تعالى : ( وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ) أي الموعد به . وهو قَسَمُ آخر ، وهو يوم القيامة ؛ من غير اختلاف بين أهل التأويل . قال ابن عباس : وعد أهل السماء وأهل الأرض أن يحسموا فيه . ( وَشَهِيدٍ وَمَشْهُودٍ ) اختلف فيهما ؛ فقال علي وابن عباس وأبو عمر وأبو هريرة رضي الله عنهم : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة . وهو قول الحسن .

(١) سرو القهر (فتحين) : كبرلية مة ؛ وهو مشتق من تولم : أستر القمر ؛ أي غشي ليله السراة ؛ فربما كان

لله ودعا كان ليلتين . (٢) راجع ج ٥ ص ٨٢

ورواه أبو هريرة مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ... » أخرجه أبو عيسى الترمذى فى جامعه وقال : هذا حديث [ حسن <sup>(١)</sup> ] غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة ، وموسى ابن عبيدة يضعف فى الحديث ، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره . وقد روى شعبة وسفيان الثوري وغير واحد من الأئمة عنه . قال القسيري فيوم الجمعة يشهد على كل عامل بما عمل فيه .

قلت : وكذلك سائر الأيام والليالي ؛ فكل يوم شاهد وكذا كل ليلة ؛ ودليله ما رواه أبو نعيم الحافظ من معاوية بن قرة عن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس من يوم يأتى على العبد إلا ينادى فيه يا ابن آدم أنا خلقك جديد وأنا فيا تعمل عليك شهيد فاعمل في خيرنا أشهدك به غدا فأنى لو قد مضيت لم ترى أبداً ويقول الليل مثل ذلك » . حديث غريب من حديث معاوية ، تفرد به عنه زيد العمى <sup>(٢)</sup> ، ولا أصله مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد . وحكى القسيري عن ابن عمر وأبن الزبير أن الشاهد يوم الأضحي . وقال سعيد بن المسيب : الشاهد التروية ، والمشهود يوم عرفة . وروى إسرائيل عن أبي إسحق عن الحرث عن علي رضي الله عنه : الشاهد يوم عرفة ، والمشهود يوم النحر . وقاله النخعي . ومن علي أيضا : المشهود يوم عرفة . وقال ابن عباس والحسين ابن علي رضي الله عنهما : المشهود يوم القيامة ؛ لقوله تعالى : « ذَلِكَ يَوْمُ تَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمُ مَشْهُودٌ » .

(١) الزيادة من صحيح الترمذى .

(٢) فى كتاب الأنساب السمعاني : « العمى » بفتح العين المهملة وتشديد الميم ، هذه النسبة إلى العم وهو بن من تميم . وفى تهذيب التهذيب : « قال علي بن مصعب : سمى زيد العمى لأنه كان كلما سئل عن شيء ، قال حتى أسأل عمي » .

(٣) آية ١٠٣ سورة هود .

قلت : وعلى هذا أخذت أقوال العلماء في الشاهد فقيل : الله تعالى ؛ عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير ؛ بيانه : « وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا » ، « قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » . وقيل : محمد صلى الله عليه وسلم ؛ عن ابن عباس أيضا والحسين ابن علي ؛ « قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ » فكيف إذا جئنا من كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجَّعْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا » ، « وَقَرَأَ الْحُسَيْنُ » يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » .

قلت : وأقرأ أنا « وَبُكَوْنَ الرَّسُولُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا » . وقيل : الأنبياء يشهدون على أممهم ؛ لقوله تعالى : « فَكَفَى إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ » . وقيل : آدم . وقيل : عيسى بن مريم ؛ لقوله : « وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ » . والمشهود أمته . وعن ابن عباس أيضا وعبد بن كعب : الشاهد الإنسان ؛ دليله : « كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا » . مقاتل : أعضاؤه ؛ بيانه : « يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . الحسين بن الفضل : الشاهد هذه الأمة ، والمشهود سائر الأمم ؛ بيانه : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » . وقيل : الشاهد الحفظة ، والمشهود بنو آدم . وقيل : الليالي والأيام . وقد بيناه .

قلت : وقد يشهد المال على صاحبه ، والأرض بما عمل عليها ؛ ففى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنْ هَذَا الْمَالُ خَيْرٌ حُلُوفِهِمْ صَاحِبُ الْمَسْلَمِ هُوَ لَنْ أُعْطِيَ مِنْهُ الْمَسْكِينُ وَالْيَتِيمُ وَأَبْنُ السَّبِيلِ — أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَإِنَّهُ مِنْ يَأْخُذُهُ بَغِيرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وفى الترمذى عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية « يَوْمَ تَحُشَدُ أَخْبَارُهَا » قال : « تَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « فَإِنْ أَخْبَارُهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى »

- |                           |                           |                            |
|---------------------------|---------------------------|----------------------------|
| (١) آية ٧٩ سورة قساء .    | (٢) آية ١٩ سورة الأنعام . | (٣) آية ٤١ سورة قساء .     |
| (٤) آية ٤٥ سورة الأحزاب . | (٥) آية ١٤٣ سورة البقرة . | (٦) آية ١١٧ سورة المائدة . |
| (٧) آية ١٤ سورة الإسراء . | (٨) آية ٢٤ سورة النور .   | (٩) آية ١٤٣ سورة البقرة .  |

كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تحول عمل يوم كذا وكذا — قال — فهذه أخبارها .  
قال حديث حسن غريب صحيح . وقيل : الشاهد الخلق ، شهدوا لله عز وجل بالوحانية .  
والمشهد له بالتوحيد هو الله تعالى . وقيل : المشهد يوم الجمعة ؛ كما روى أبو الدرداء قال  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أَكثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ مُشْهُودٌ  
تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ ... " وذكر الحديث . نرجعه ابن ماجه وغيره .

قلت : فعل هذا يوم عرفة مشهود ، لأن الملائكة تشهده وتنزل فيه بالرحمة . وكذا يوم  
التحرر إن شاء الله . وقال أبو بكر الصديق : الشاهد الحجر الأسود ؛ يشهد لمن لمسه بصدق  
وإخلاص وقين . والمشهد الحاج . وقيل : الشاهد الأنبياء ، والمشهد محمد صلى الله عليه  
وسلم ، بيانه : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ — إِلَى قَوْلِهِ  
تعالى — : وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ » .

قوله تعالى : قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿١﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُودِ ﴿٢﴾  
إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٣﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٤﴾

قوله تعالى : ( قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ) أى لئن . قال ابن عباس : كل شئ  
في القرآن « قُتِلَ » فهو لمن . وهذا جواب القسم — في قول الفراء — واللام فيه  
مضمرة ؛ كقوله : « وَالشَّمْسُ وَنَجْمَاهَا — ثم قال — قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا » أى لقد أفلح .  
وقيل : فيه تقديم وتأخير ؛ أى قُتِلَ أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج ؛ قاله أبو حاتم  
السجستاني . ابن الأنباري : وهذا غلط ؛ لأنه لا يجوز لقائل أن يقول : والله قام زيد ؛  
على معنى قام زيد والله . وقال قوم : جواب القسم « إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ » وهذا قبيح ؛  
لأن الكلام قد طال بينهما . وقيل : « إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا » . وقيل : جواب القسم عذوف ؛  
أى والسماء ذات البروج لتجعلن . وهذا اختيار ابن الأنباري . والأخدود : الشق العظيم

المستطيل في الأرض كأنه تنق ، وجمه أخايد . ومنه انلخه لبحارى النموع ، وللمنعة ؛  
لأن انلخه يوضع عليها . ويقال : تمخد وجه الرجل إذا صارت فيه أخايد من جراح .  
قال طرفة :

ووجه كان الشمس حلت رداً ما \* عليه نقى القوت لم يتخدد

( النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ) « النار » بدل من « الأخدود » بدل الإشغال . و « الْوُقُودِ » بفتح  
الواو قراءة العامة ، وهو الخطب . وقرأ قتادة وأبو رزء ونصر بن ماصم ( يضم الواو ) عل  
المصدر ؛ أى ذات الاقتاد والأكتاب . وقيل : ذات الوقود بأبدان الناس . وقرأ أنهب  
العقيل وأبو السَّيَّالِ السَّيَّالِ وَأَبْنُ السَّمِيعِ « النَّارُ ذَاتُ » بالرفع فهما ؛ أى أحرقهم النار  
ذات الوقود . ( إِنَّمْ عَلَيْهَا قُودٌ ) أى الذين خلدوا الأخاديد وقعدوا عليها يقون فيها  
المؤمنين ، وكانوا يجبران في الفترة بين هوى وعهد صلى الله عليه وسلم . وقد أخذت الرواية  
في حديثهم ، والمعنى متقارب . ففى صحيح مسلم عن صُبيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر ، فلما كبر قال لئلك : إنى قد كبرت فأبعث  
إلى غلاما أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاما يماه ؛ فكان في طريقه إذا سلك راهباً ، فقامد  
إليه وسمح كلامه فأعجبه ؛ فكان إذا أتى الساحر مرة بالراهب وقعد إليه ؛ فإذا أتى الساحر  
ضربه ؛ فشكا ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حسنى أهل . وإذا  
خشيت أهلك فقل : حسنى الساحر . فبينا هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حسيت  
الناس فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرا فقال : اللهم إنى كان  
أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فأقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس ؛ فرماها فقتلها  
ومضى الناس . فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب : أى بُنى ؟ أنت اليوم أفضل منى ،  
قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلى ؛ فإن أثبتت فلا تبدل على . وكان الغلام يرى  
الأقمة والأبرص ويدارى الناس من سائر الأدواء . فسمع جليس لئلك كان قد مضى فأتاه  
بهذا كثيرة فقال : ما هات لك أجمع إن أنت شفيقتى . فقال : إنى لا أشفى أحداً ، إنما

يَسْئَلُ اللهَ : إِنْ أَنْتَ أَمَنْتَ بِاللهِ دَعْوَتُ اللهِ فَشَفَاكَ ؛ فَأَمِنْ بِاللهِ فَشَفَاكَ اللهُ . فَأَتَى الْمَلِكُ بِجُلُوسِ  
إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ ؛ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بِصَرَخِكَ ؟ قَالَ رَبِّي . قَالَ : وَلَكَ رَبٌّ  
ضَرِيءٌ ؟ ! قَالَ : رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ . فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَذِيه حَتَّى دَلَّ عَلَى النَّعْلَامِ ؛ وَجَفَى  
بِالنَّعْلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَيْ بُنَى ! أَقْدَمْتَ مِنْ يَحْرُوكَ مَا تُبْرئُ الْأَفْكَةَ وَالْأَبْرَصَ ، وَتَقْضِلُ  
وَتُفْضِلُ ؟ ! فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا ، إِنَّمَا يَسْئَلُ اللهُ . فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَذِيه حَتَّى دَلَّ  
عَلَى الزَّاهِبِ ؛ وَجَفَى بِالزَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ : أَرْجِعْ عَنْ دِينِكَ . فَأَبَى فَدَعَا بِالْمُنْشَارِ فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ  
فِي مَقَرِّقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ . ثُمَّ جَاءَ بِجُلُوسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ : أَرْجِعْ عَنْ دِينِكَ ؛  
فَأَبَى فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَقَرِّقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ . ثُمَّ جَاءَ بِالنَّعْلَامِ فَقِيلَ لَهُ : أَرْجِعْ  
عَنْ دِينِكَ ؛ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَهْرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كُنَّا وَكُنَّا فَأَصْعِدُوا بِهِ  
الْجَبَلَ ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَأَطْرَحُوهُ ؛ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ :  
اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ؛ فَوَجَّفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا . وَجَاءَ بِمَشَى إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ :  
مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ : كَفَّاهُمُ اللهُ . فَدَفَعَهُ إِلَى نَهْرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَذْهَبُوا بِهِ فَأَحْلَوْهُ  
فِي قَرْقُورٍ فَتَوَسَّلُوا بِهِ الْبَحْرَ ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَأَقْدِفُوهُ ؛ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ  
بِمَا شِئْتَ ؛ فَأَنْكَفَتَ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَفَرَّقُوا . وَجَاءَ بِمَشَى إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ  
أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ : كَفَّاهُمُ اللهُ . فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ . قَالَ :  
وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : تَجْمَعُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جَذْعٍ ، ثُمَّ تَخُذُ سَهْمًا مِنْ كَاتِبِي<sup>(١٦)</sup>  
ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَيْدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ : بِأَسْمِ اللهِ رَبِّ النَّعْلَامِ ، ثُمَّ أَرْمِنِي ؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ  
فَقَتَلْتَنِي . فَجَمَعَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جَذْعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كَاتِبِيهِ ثُمَّ وَضَعَ  
السَّهْمَ فِي كَيْدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ : بِأَسْمِ اللهِ رَبِّ النَّعْلَامِ ؛ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ  
فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَاتَتْ ؛ فَقَالَ النَّاسُ : آمَنَّا بِرَبِّ النَّعْلَامِ ! آمَنَّا بِرَبِّ النَّعْلَامِ ! آمَنَّا بِرَبِّ

(٢) الْكَاتِبَةُ (بِالْكَسْرِ) : حِجَّةُ السَّهَامِ تَقْلَدُ مِنْ

(١) الْقَرْقُورُ (يُسَمَّى الْقَاتِئِينَ) : السَّفِينَةُ الصَّغِيرَةُ .

جُلُودٌ لَا تَسْتَبِقُهَا ، أَوْ مِنْ غَشَبٍ لَا جُلُودَ فِيهَا .

الغلام ! فَأَتَى الْمَلِكُ قَبِيلَهُ : أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْسَدُ ؟ قَدْ وَاللَّهِ تَزَلَّ بِكَ حَذْرُكَ ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ ، فَأَمَرَ بِالْأَخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السَّكَّ ، نَقِصَتْ وَأَضْرَمَ النَّيرانَ وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرِجْ عَنْ دِينِهِ فَأَتَّخِمْ فِيهَا — أَوْ قِيلَ لَهُ أَتَحْتَم — فَعَمَلُوا ، حَتَّى جَمَعَ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَعَاثَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ : « يَا أُمُّهُ أَصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ » . ثُمَّ رَمَى التَّرْمِذِي بِعِصَاهُ . وَفِيهِ : « وَكَانَ عَلَى طَرِيقِ الْغُلَامِ رَاهِبٌ فِي صُومَةٍ » قَالَ تَعَمَّرُ : أَحَسِبَ أَنَّ أَصْحَابَ الصَّوَامِ كَانُوا يَوْمَعِدَ مُسْلِمِينَ . وَفِيهِ : « أَنَّ الْبَابَةَ الَّتِي حَبَسَتْ النَّاسَ كَانَتْ أَسَدًا وَأَنَّ الْغُلَامَ دُفِنَ — قَالَ — فَيَدْرِكُهُ أَنَّهُ إِسْرَاجٌ فِي زَمَنِ عَمْرٍ بنِ الْخَطَّابِ وَأَصْبَحَهُ عَلَى صُدْفَةٍ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ » . وَقَالَ : حَدَّثَني حَسَنُ غَرِيبٍ . وَرَوَاهُ الضُّحَّاكُ عَنْ أَبِي جَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ مَلِكٌ يَتَّبِعُونَ وَفِي رِجْلَيْهِ رَجُلٌ لَهُ قَتَى فَبَنَتْهُ إِلَى سَاحِرٍ يَسْتَسِرُّهُ السَّحَرُ ، وَكَانَ طَرِيقُ الْفَقِي عَلَى رَاهِبٍ يَقْرَأُ الْإِنْجِيلَ ، فَكَانَ يَسْجِبُهُ مَا يَسْمَعُهُ مِنَ الرَّاهِبِ ، فَدَخَلَ فِي دِينِ الرَّاهِبِ ، فَأَقْبَلَ يَوْمًا فَإِذَا حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ قَطَعَتْ عَلَى النَّاسِ طَرِيقَهُمْ ، فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ بِأَسْمِ اللَّهِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، فَتَقَلَّتْهُ . وَذَكَرَ نَحْوُ مَا تَقْدِمُ . وَأَنَّ الْمَلِكَ لَمَّا رَمَاهُ بِالسَّهْمِ وَقَتْلَهُ قَالَ أَهْلُ مَمْلَكَةِ الْمَلِكِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بنِ قَامَرٍ ، وَكَانَ أَسْمُ الْغُلَامِ ، فَغَضِبَ الْمَلِكُ وَأَمَرَ نَفْلَتَ أَخَا دِيدٍ ، وَجُمِعَ فِيهَا حَطَبٌ وَنَارٌ وَعَرَضَ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ عَلَيْهَا ، فَمَنْ رَجَعَ مِنَ التَّوْحِيدِ تَرَكَهُ ، وَمَنْ ثَبَتَ عَلَى دِينِهِ قَذَفَهُ فِي النَّارِ . وَجِيءَ بِامْرَأَةٍ مَرْضِعٍ فَقِيلَ لَهَا أَرْجِي عَنِ دِينِكَ وَإِلَّا قَذَفْنَاكَ وَوَلَدَكَ — قَالَ — فَأَشْفَقَتْ وَهَمَّتْ بِالرَّجُوعِ ، فَقَالَ لَهَا الصَّبِيُّ الْمَرْضُوعُ : يَا أُمِّي ، أَتَنْتَبِي عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا هِيَ لِحْيَةٌ ، فَأَقْبَرُهَا وَأَتَّبَعَهَا . وَرَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي جَبَّاسٍ أَنَّ النَّارَ أَرْنَعَتْ مِنَ الْأَخْدُودِ فَصَارَتْ فَوْقَ الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا فَأَحْرَقَهُمْ . وَقَالَ الضُّحَّاكُ : هُمْ قَوْمٌ مِنَ النَّصَارَى كَانُوا بِالْيَمَنِ قَبْلَ مَبِيتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، أَخَذَهُمُ يَوْسُفُ بْنُ شَرَاهِيلَ بنِ تَبَعِ الْجُبَيْرِيِّ ، وَكَانُوا نَبِيًّا وَثَمَانِينَ رَجُلًا ، وَحَفَرُوا لَهُمْ أَخْدُودًا وَأَحْرَقَهُمْ فِيهِ . حَكَاهُ الْمَسْرُودِيُّ ، وَحَكَاهُ التَّطَلُّبِيُّ ، عَنْهُ أَنَّ أَصْحَابَ الْأَخْدُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَخَذُوا رَجُلًا

وفساء نغفوا لهم الأخاديد، ثم أوقدوا فيها النار، ثم أقم المؤمنون عليها وقيل لهم : تكفرون  
أو تُتَدَنُّون في النار ؟ ويؤمنون أنه دانيال وأصحابه ، وقاله عطية الموقى . وروى نحو هذا  
عن ابن عباس . وقال من رضى الله عنه : إن ملكاً سكر فوقع على أخته ، فأراد أن يجعل ذلك  
شُرْطاً في ريعته فلم يقبلوا ، فأشارت عليه أن يضرب بأن الله - عز وجل - أحل نكاح الأخوات  
فلم يسمع منه . فأشارت عليه أن يضرب الأخنود ويُلْقَى فيه كل من عصاه . ففعل . قال :  
وظايعهم يتكلمون الأخوات وهم المحبوس ، وكانوا أهل كتاب . وروى عن علي أيضاً إن أصحاب  
الأخنود كان سبهم أن نبأ به الله تعالى إلى الجنة ، فأتته ناس فغلبهم قومهم أخنودا ،  
فمن أتبع النبي رعى فيها ، بلحى بأمرأة لها بنتٌ رضيعٌ فخرِجَتْ ، فقال لها : يا أمّاه ، أمضى  
ولا تجزعى . وقال أيوب عن حكمة قال : « قُتِلَ أصحابُ الأخنود » قال : كانوا من قومك  
من السجستان . وقال الكلبي : هم نصارى بخران ، أخذوا بها قوماً مؤمنين نغفوا لهم سبعة  
أخاديد ، طول كل أخنود أربعون ذراعاً ، وعرشه اثنا عشر ذراعاً . ثم طرح فيه الشط  
والحطب ، ثم عرضهم عليها ، فرب أوى قذفه فيها . وقيل : قوم من النصاري كانوا  
بالسملطيلية زمان قسطنطين . وقال مقاتل : أصحاب الأخنود ثلاثة : واحد بخران ،  
والآخر بالشام ، والآخر بفارس . أمّا الذي بالشام فأنطيانوس الرومي ، وأمّا الذي بفارس  
فبختنصر ، والذي بأرض العرب يوسف بن ذى نوّاس . فلم يُزل الله في الذي بفارس والشام  
قرآناً ، وأُنزل قرآناً في الذي كان بخران . وذلك أن رجلين مسلمين كان أحدهما بهامة  
والآخر بخران ، أجزأ أحدهما نفسه ، فجعل يعمل ويقرأ الإنجيل ، فرأت ابنة المستاجر النور  
في قراءة الإنجيل ، فأخبرت أبها فأسلم . وبلغوا سبعة وثلاثين بين رجل وامرأة ، بعد ما رُفِعَ  
عيسى ، فغلبهم يوسف بن ذى نوّاس بن تَيْعَ الحَيْرِيّ أخنوداً وأوقد فيه النار ، ورضعهم  
على الكفر ، فمن أبى أن يكفر قذفه في النار ، وقال : من رجع عن دين عيسى لم يقذف .  
وإن امرأة معها ولدها صغير لم يتكلم ، فرجست ، فقال لها أمّاه : يا أمّاه ، إنى أرى أمامك

(١) الشط (بالكسر وقد فتح) : دهن ملوث سرج الاحتراق ، توقد به النار ويتداوى به .

نارا لا تلقأ، فخذفا جميعا أنفسهما في النار، بفعلها الله وأبنا في الجنة . قُذِفَ في يوم واحد سبعة وسبعون إنسانا . وقال ابن إسحق عن وهب بن منبه : كان رجل من بقايا أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام ، يقال له قيميون<sup>(١)</sup> ، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا حجاب الدعوة ، وكان ساعيا في القُرَى لا يُسْرِف بقرية إلا مضى منها ، وكان بناء يميل الطين . قال محمد بن كعب القرظي : وكان أهل نجران أهل شرك يبدون الأصنام ، وكان في قرية من قرأها قريبا من نجران ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزل بها قيميون بنى بها خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر ، فجعل أهل نجران يعمنون غلمانهم إلى ذلك الساحر يملهم السحر ، فبعث إليه التامر عبد الله بن التامر ، فكان مع غلمان أهل نجران ، وكان عبد الله إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من أمر صلاحه وعبادته ، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم ، فوحد الله وعبدته وجعل يسأله عن أسم الله الأعظم ، وكان الراهب يسأله فكتمه إياه وقال : يا ابن أخي ، إنك لن تحمله ، أخشى ضعفك عنه ، وكان أبوه التامر لا يظن إلا أن أبنه يختطف إلى الساحر كما يختطف الغلمان . فلما رأى عبد الله أن الراهب قد يحل عليه بتعليم أسم الله الأعظم ، عمد إلى قِنَاح<sup>(٢)</sup> بجمعها ، ثم لم يبق لله تعالى أسما يعلمه إلا كتبه في قِنَاح ، لكل أسم قِنَاح حتى إذا أحصاها أوقد لها نارا ، ثم جعل يقذفها فيها قِنَاحا قِنَاحا ، حتى إذا مر بالأسم الأعظم قذف فيها بقِنَاحه ، فوثب القِنَاح حتى خرج منها لم يضره شيء ، فأخذه ثم قام إلى صاحبه ، فأخبره أنه قد علم أسم الله الأعظم الذي كتمه إياه ، فقال : وما هو ؟ قال : كذا وكذا . قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع . فقال له : يا ابن أخي ، قد أصبحت ، فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل . فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضرر إلا قال : يا عبد الله ، أوتوحد الله وتدخل في ديني فأدعو الله لك فيأفئك عما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ؛ فيوحد الله ويسلم فيدعو الله له فيشفى ، حتى لم يبق أحد بنجران به ضرر إلا أتاه فأتيه على دينه ودعا له صوفي ؛ حتى رفع شأنه إلى ملكهم فدعاه فقال

(١) في تاريخ طبرستان : « قيميون » بالفاء .

(٢) القِنَاح ( بالكرس ) : السهم قبل أن يعمل ويراش ، جمع قداح .

أفسدت على أهل قريق وخالفت ديني ودين آبائي ، فلا تملن بك . قال : لا تقدر على ذلك ؛  
 بفعل يرسل به إلى جبل الطويل فيطرح عن رأسه فيقع على الأرض ليس به بأس . وجعل  
 يبعث به إلى مياه نجران ، بحار لا يلقى فيها شيء إلا هلك ، فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس ؛  
 فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر : والله لا تقدر على قتل حتى توحده الله وتؤمن بما آمنت به ؛  
 فإني إن فعلت ذلك سلطت على وقتني . فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادته ، ثم ضربه  
 بمصا فشبهه شجرة صغيرة ليست بكبيرة فقتله ، وهلك الملك مكانه ، وأجمع أهل نجران على  
 دين عبد الله بن التامر ، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه . ثم أصابهم  
 ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ؛ فمن ذلك كان أصل النصرانية بنجران . فسار إليهم  
 ذو نواس اليهودي بمجنوده من يثرب ، فدعاهم إلى اليهودية وخبرهم عن ذلك أو القتل ، فأختاروا  
 القتل نفذ لهم الأخدود ؛ فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم عشرين ألفا .  
 وقال وهب بن منبه : أثنى عشر ألفا . وقال الكلبي : كان أصحاب الأخدود سبعين ألفا <sup>(١)</sup> .  
 قال وهب : ثم لما طلب أرياط على اليمن خرج ذو نواس هاربا فاقترع البحر بفرسه ففرق .  
 قال ابن إسحق : وذو نواس هذا اسمه زوزعة بن ثيان أسعد الحميري ، وكان أيضا يسمى  
 يوسف ، وكان له غداة من شعر تنوس ، أي تضطرب ، فسمي ذا نواس ؛ وكان فعل  
 هذا أهل نجران فأثقت منهم وجعل اسمه ذو نواس ، فساق الجبهة ليعصر بهم ، فلجوا  
 اليمن وهلك ذو نواس في البحر ؛ ألقي نفسه فيه ؛ وفيه يقول عمرو بن معدى كرب :

أثوملن كأنك ذو رميم • بأقسم عيشة أو ذو نواس  
 وكانن كان قبلك من نعيم • ومليك ثابت في الناس راس  
 قديم عهد من عهد مايد • عظيم قاهر الجبروت قاس  
 أزال الدهر ملكهم فأخى • ينقل من أناس في أناس

(١) في بعض النسخ : « تسعين ألفا » .

(٢) هو كغراب أو كرم ، ويكسر . وهو أرل من كسا ليت الحرام .

وذو رعين ملك من ملوك حيرة . ورعين حصن له . وهو من ولد الحوث بن عمرو بن حير  
أبن سبأ .

مسئلة - قال عابذا : أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية ،  
ما كان يقاه من وعد قبلهم من الشدايد ، يؤنسهم بذلك . وذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم  
قصة الغلام ليصبروا على ما يقعون من الأذى والآلام ، والمشقات التي كانوا عليها ، ليتأسوا  
بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به ، وبذله نفسه في حق إظهار دعوه ،  
ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظم صبره . وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق  
حتى نُثر بالفسار . وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورجح الإيمان في قلوبهم ،  
صبروا على الطرق في النار ولم يرجعوا في دينهم . أبن العربي : وهذا منسوخ عندنا ، حسب  
ما تقدم بيانه في سورة « النحل » .

قلت : ليس بمنسوخ عندنا ، وأن الصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصلب دينه أولى ، قال  
الله تعالى عن لقمان : « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأَمْسِرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى  
مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » . وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : « إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » . أخرجه الترمذي وقال : حديث  
حسن غريب . وروى أبن سنجر محمد بن سنجر عن أئمة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم  
قالت : كنت أوضي النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فقال : أوصني . فقال : « لا تشرك  
بالله شيئا وإن قطعت أو حرقت بالنار ... » الحديث . قال عابذا : ولقد امتحن كثير من  
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل والصلب والتعذيب الشديد فصبروا ولم يلتفتوا إلى  
شيء من ذلك . وبكيفية قصة عاصم وخبيب وأصحابهما وما لقوا من الحروب والمحن والقتل  
والأسر والحرق ، وغير ذلك . وقد مضى في « النحل » أن هذا إجماع من قوى في ذلك ،  
فتأمله هناك .

(١) راجع ج ١٠ ص ١٨٠ وما بعدها ، وص ٢٠٢ (٢) آية ١٧ سورة لقمان .

(٣) راجع ج ١٠ ص ١٨٠

قوله تعالى : ( قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ) دما على هؤلاء الكفار بالإماد من رحمة الله تعالى . وقيل : معناه الإخبار عن قتل أولئك المؤمنين ؛ أى إنهم قُتِلُوا بالنار فصَبَرُوا . وقيل : هو إخبار عن أولئك الظالمين ؛ فإنه روى أن الله قبض أرواح الذين ألقوا في الأخدود قبل أن يصلوا إلى النار ، ونجرت نار من الأخدود فأحرقت الذين هم عليها فعود . وقيل : إن المؤمنين تَجَمَّعُوا وأحرقت النار الذين قتلوا ؛ ذكره التماس . ومعنى « عليها » أى عندها ؛ وصل بمعنى عند . وقيل : « عليها » على ما يدنو منها من حافات الأخدود ؛ كما قال :

• وبات على النار الندى والمالحق<sup>(١)</sup> •

والعامل في « إذ » « قُتِلَ » ؛ أى لما في ذلك الوقت . ( وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ) أى حضور . معنى الكفار كانوا يبرضون الكفر على المؤمنين فن أبى لقوه في النار ؛ وفي ذلك وصفهم بالقسوة ثم بالجد في ذلك . وقيل : « على » بمعنى مع ؛ أى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود .

قوله تعالى : وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑧ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَسِيدٌ ⑨

قوله تعالى : ( وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ ) وقرأ أبو حيوة « قَمُوا » بالكسر . والفتح هو الفتح . وقد مضى في « براءة » القول فيه . أى ما تقم الملك وأصحابه من الذين حرقتهم . ( إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا ) أى إلا أن يصدقوا . ( بِاللَّهِ الْعَزِيزِ ) أى الغالب المنيع . ( الْحَمِيدِ )

(١) البيت لأمنى نيس ، ومدره :

• تسب بقرودين يعللانيها •

(٢) في بعض النسخ : « أى بالجد » بدل « ثم بالجد » .

(٣) راجع ٨ ص ٢٠٧

أى الموصود فى كل حال . ( الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) لا شريك له فيها ولا يقيد .  
( وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ) أى عالم بأعمال خلقه لا تخفى عليه خافية .

قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ) ١٥ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ١٦

قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ) أى حرّوهم بالنار . والعرب تقول : فتن فلان الدرهم والدينار ، إذا أدخله الكور لينظر جودته . ودينار مفتون ، ويسمى الصانع الثّان ، وكذلك الشيطان ؛ وورق فتين ؛ أى فضة محترقة . ويقال لهوة فتين ؛ أى كأنها أحرقت حجارتها بالنار ، وذلك لسوادها . ( ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ) أى من قبيح صليهم مع ما أظهره الله لهذا الملك الجبار الظالم وقومه من الآيات البينات على يدى الغلام . ( فَلَهُمْ مَذَابُ جَهَنَّمَ ) لكفرهم . ( وَلَهُمْ مَذَابُ الْحَرِيقِ ) فى الدنيا لإحراقهم المؤمنين بالنار . وقد تقدم عن ابن عباس . وقيل : « وَلَهُمْ مَذَابُ الْحَرِيقِ » أى ولم فى الآخرة مذاب نالده على مذاب كفرهم بما أحرقوا المؤمنين . وقيل : لم عذاب جهنم ومذاب الحريق . والحريق : أسم من أسماء جهنم ؛ كالسمير . وأتار دركات وأنواع ولها أسماء . وكأنهم يذنبون بالزهرير فى جهنم ، ثم يذنبون بمذاب الحريق . فالأقل عذاب يردّها ، والثانى : عذاب بموتها . ( إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ) أى هؤلاء الذين كانوا آمنوا بالله ؛ أى صدقوا به وبرسله . ( وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ ) أى بساتين . ( تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) من ماء غير آسن ، ومن لبن لم يتغير طعمه ، ومن خمر لذة للشاربين ، وأنهار من حسل مصقى . ( ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ) أى العظيم ، الذى لا فوز يشبهه .

(١) الحرة (فتح الماء الملهة) : أرض ذات جارة سود تحرقه . (٢) فى نسخة من الأصل : « وكانوا » .

قوله تعالى : **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ** (١١) **إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ** (١٢)  
**وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ** (١٣) **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ** (١٤) **فَعَالٌ لِّمَا**  
**يُرِيدُ** (١٥)

قوله تعالى : ( **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ** ) أى أخذه الجارية والظلمة ؛ كقوله جل  
 ثناؤه : « وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّهُ أَخَذَهَا بِلُحْيَةٍ » . وقد  
 تقدم . قال المبرد : « **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ** » جواب القسم ؛ المعنى : والسبب ذات البروج إن  
 بطش ربك . وما بينهما معترض مؤكد للقسم . وكذلك قال الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول :  
 إن القسم واقع على ذكر صفة بالشدّة . ( **إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ** ) معنى الخلق — عند أكثر  
 العلماء — يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم عند البعث . وروى عكرمة قال : عجب الكفار من إحياء  
 الله جل ثناؤه الأسوات . وقال ابن عباس : يبدي لهم مذاب الحريق فى الدنيا ثم يعيدهم  
 عليهم فى الآخرة . وهذا اختيار الطبرى . ( **وَهُوَ الْغَفُورُ** ) أى السّور لتُؤنّب عباده المؤمنين  
 لا يفضحهم بها ( **الودود** ) أى المحب لأوليائه . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : كما يؤدّ  
 أحدهم أخاه بالهوى والمحبّة . وعنه أيضا « **الودود** » أى المتودّد إلى أوليائه بالمغفرة . وقال  
 مجاهد : الواذ لأوليائه ؛ فعول بمعنى فاعل . وقال ابن زيد : الرحيم . وحكى المسبّد عن  
 إسماعيل بن إسحق القاضى أن الودود هو الذى لا ولد له ؛ وأنشد قول الشاعر :

واركب فى الرّوع عُرِيَانَةً • ذلول الجناح لقاحاً ودوداً

أى لا ولد لحائض إليه . ويكون معنى الآية : إنه ينفض لعباده وليس له ولد ينفض لهم من  
 أجله ؛ ليكون بالمغفرة متفضلاً من غير جزاء . وقيل : الودود بمعنى المسودود ؛ كركوب  
 وحلّوب ؛ أى يؤدّ عباده الصالحون ويحيونه . ( **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ** ) قرأ الكوفيون إلا طاسماً  
 « **المجيد** » بالتفضى نعتاً للعرش . وقيل : له ربك ؛ أى إن بطش ربك المجيد لشديد .

ولم يمتنع الفصل لأنه جار مجرى الصفة في التشديد . الباكون بالرفع نعتا لـ « ذو » وهو الله تعالى . واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ؛ لأن المجد هو النهاية في الكرم والفضل ، والله سبحانه المنعوت بذلك ، وإن كان قد وصف عرشه بالكرم في آخر « المؤمنين »<sup>(١)</sup> . تقول العرب : في كل شجر نار ، وأستجد المَرْخَ والمَفَارَ ؛ أى تناها فيه حتى يقتبس منهما ، ومعنى ذو العرش : أى ذو الملك والسلطان ؛ كما يقال : فلان على سريره ملكه ؛ وإن لم يكن على سريره . ويقال : ثلَّ عَرْشُهُ ؛ أى ذهب سلطانه . وقد مضى بيان هذا في « الأعراف » وخاصة في « كتاب الأسنى » في شرح أسماء الله الحسنى . ( قَالُوا لِمَا يَرِيدُ ) أى لا يمتنع عليه شيء يريد . الزخشرى : « قَسَّالٌ » خبر ابتداء محذوف . وإنما قيل : « قَالُوا » لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة . وقال الفراء : هو رفع على التكرير والاستئناف ؛ لأنه نكرة محضة . وقال الطبري : رفع « قَالُوا » ومعنى نكرة محضة هل وجه الإتيان لإعراب « الغفور الودود » . ومن أبى السفر قال : دخل ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أبى بكر رضى الله عنه يسودونه فقالوا : آلا نأتيك بطبيب ؟ قال : قد رأي ! قالوا : فما قال لك ؟ قال قال : إنى فقال لما أريد .

قوله تعالى : هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ( هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ) أى قد أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم ، يؤتسه بذلك ويسلوه . ثم بينهم فقال . ( فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ) وهما في موضع جر على البدل من « الجنود » . المعنى : أنك قد عرفت ما فعل الله بهم حين كذبوا أنبياءهم ورسله . ( بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا ) أى من هؤلاء الذين لا يؤمنون بك . ( فِي تَكْذِيبٍ )

(١) راجع ج ١٢ ص ١٥٧ . (٢) المَرْخَ والمَفَارَ : شجران من أكثر الشجر نارا ، يلذ منها الزاد . ولعرب تقرب بهما الخيل في الشرق العام . و « أَسْتَجِدَّ » : أَسْتَكْتَر . (٣) راجع ج ٧ ص ٢٢٠ . (٤) هو سميه بن محمد الهذلي .

لك ؛ كذاب من قبلهم . وإنما خص فرعون وثمود ؛ لأن ثمود في بلاد العرب ، وقصتهم  
صلحهم مشهورة وإن كانوا من المتقدمين . وأمر فرعون كان مشهوراً عند أهل الكتاب  
وضيعم ، وكان من المتأخرين في الهلاك ؛ فدلّ بهما على أمثالهما في الهلاك . والله أعلم .

قوله تعالى : **وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٢﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢٣﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٤﴾**

قوله تعالى : **( وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ )** أى يقدر على أن يذلّ بهم ما أنزل بفرعون .  
والمحاط به كالمحصور . وقيل : أى والله عالم بهم فهو يحاذيهم . **( بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ )** أى  
متناه في الشرف والكرم والبركة ، وهو بيان ما بالناس الحاجة إليه من أحكام الدين والدنيا  
لا كما زعم المشركون . وقيل « مجيد » أى غير مخلوق . **( فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ )** أى مكتوب  
في لوح . وهو محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين إليه . وقيل : هو أم الكتاب ؛  
ومن أنسخ القرآن والكتب . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : اللوح من ياقوتة  
حمره ، أعلاه مرقود بالعرش وأسفله في حجر ملك يقال له ماطر يون <sup>(١)</sup> ، كتابه نور وقلمه نور ،  
ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة ، ليس منها نظرة إلا وهو يفعل ما يشاء ؛ لا إله  
يرفع وضعا ويضع رفيعا ، ويبنى فقيرا ويفقر غنيا ، يحيى ويميت ، ويفعل ما يشاء ؛ لا إله  
إلا هو . وقال أنس بن مالك ومجاهد : إن اللوح المحفوظ الذى ذكره الله تعالى في جبهة  
إسرائيل . وقال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش . وقيل : اللوح المحفوظ الذى  
فيه أصناف الخلق والخليقة ، وبيان أمورهم ، وذكر أجالهم وأرزاقهم وأعمالهم ، والأفضية  
النافذة فيهم ، ومآل عواقب أمورهم ؛ وهو أم الكتاب . وقال ابن عباس : أول شيء كتبه  
الله تعالى في اللوح المحفوظ « إني أنا الله لا إله إلا أنا ، محمد رسولى ، من أنسى لقضائى  
وصبر على بلائى وشكر نعمائى كتبه صدقا وبعثته مع الصديقين ، ومن لم يستسلم لقضائى

(١) في روح المعاني : « ماطر يون » -

ولم يصير على بلائ ولم يشكر نهائى فلينخذ الحما سوى . وكتب الجراح الى محمد بن الحنفية  
رضي الله عنه يتوجه ؛ فكتب اليه ابن الحنفية : « بلنى اذ الله تعالى في كل يوم  
ثلاثه وسين نظرة في اللوح المحفوظ ؛ يعز ويذل ، ويصل ويفرح ، ويفعل ما يريد ؛  
فلعل نظرة منها تسلك بنفسك فتشغل بها ولا تستفرغ » . وقال بعض المفسرين : اللوح  
شئ يلوح للالكة فيقرمونه . وقرا ابن السيق وأبو حيو « قرآن مجيد » على الإضافة ؛  
أى قرآن رب مجيد . وقرا نافع « في لوح محفوظ » بالرفع فتا للقرآن ؛ أى بل هو قرآن  
مجيد محفوظ في لوح . الباقون ( بالجر ) فتا للوح . والفتاء متفقون على فتح اللام من « لوح »  
إلا ما روى عن يحيى بن يعمر ؛ فإنه قرأ في « لوح » بضم اللام ؛ أى إنه يلوح ، وهو ذو نور  
وطلوع وشرف . قال الزمخشري : واللوح المسواه ؛ يبنى اللوح فوق السماء السابعة الذى فيه  
اللوح . وفي الصراح : لاح النشء يلوح لوصا أى لمح . ولاح السفَر : غيره . ولاح لوصا  
ولواح عطش ، وأتاح مثله . واللوح : الكتيف وكل عظم عريض . واللوح : الذى يكتب  
فيه . واللوح ( بالضم ) : الهواء بين السماء والأرض . والحمد لله .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الطارق

مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ سَبْعُ عَشْرَةَ آيَةً

قوله تعالى : وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾  
النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾

قوله تعالى : ( وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ) قَبْلَانِ : « السَّمَاءُ » قَسَمٌ ، و « الطَّارِقُ » قَسَمٌ .  
والطارق : النجم . وقد بينه الله تعالى بقوله : ( وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ )  
واختلف فيه ؛ ف قيل : هو زُحَل ، الكوكبُ الذي في السماء السابعة ؛ ذكره محمد بن الحسن  
في تفسيره ، وذكره أخباراً ، الله أعلم بصحتها . وقال ابن زيد : إنه الثُّرَيَّا . وعنه أيضاً أنه  
زُحَل ، وقاله الفراء . ابن عباس : هو الجَدِيُّ . وعنه أيضاً وعن علي بن أبي طالب —  
رضي الله عنهما — والفراء : « النَّجْمُ الثَّاقِبُ » نَجْمٌ في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم ؛  
فلذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ، ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة ،  
وهو زُحَل ، فهو طارق حين يزل وطارق حين يَصْعَدُ . وحكى الفراء : « قَبَّ الطَّارِقُ إِذَا  
ارْتَضَعَ وَعَلَا . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً  
مع أبي طالب ، فأنحط نجم فانتلأت الأرض نورا ، ففزع أبو طالب وقال : أى شيء هذا ؟  
قال : « هذا نجم رُمِيَ به وهو آية من آيات الله » فيجب أبو طالب ونزل « وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ » .  
وروى عن ابن عباس أيضاً « وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ » [ قال : السماء ] وما يطرُق فيها . وعن

ابن عباس وعطاء : « الثاقب » الذي ترمى به الشياطين . قتادة : هو عام في سائر النجوم ؛ لأن طلوعها بيل ، وكل من أتاك ليلاً فهو طارق . قال :

ومثلك حبل قد طرقت ومريضاً • فالتبته عن ذي تمام مغيل<sup>(١)</sup>

وقال :

الم ترائي كلما جئت طارفا • وجدت بها طياً وإن لم تطيب

فالطارق : النجم ، اسم جلس ، سمي بذلك لأنه يطرق ليلاً ، ومنه الحديث : « نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرق المسافر أهله ليلاً كي تستريح الخبيثة وتمشط الشعبة » .<sup>(٢)</sup> والعرب تسمى كل قاصد في الليل طارفاً . يقال : طرق فلان إذا جاء بيل . وقد طرق طارق طروقاً فهو طارق . ولابن الرومي :

يا راقداً الليل ممروراً بأوله • إن الحوادث قد يطرقن أحماراً

لا تفرحن بيل طاب أوله • فرب آخر ليل أبح النارا

وفي الصباح : والطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح . ومنه قول هند :

نحن بنات طارق • نمشي على النمارق

أي إن أباها في الشرف كالنجم المضيء . الماوردي : وأصل الطريق الذق ؛ ومنه سميت المطرقة . فسُمي قاصد الليل طارفاً لاحتياجه في الوصول إلى الذق . وقال قزم : إنه قد يكون نهاراً . والعرب تقول : أتيتك اليوم طرقتين ؛ أي مرتين . ومنه قوله صلى الله عليه

(١) البيت لأخري القيس . والتمام : التواؤم الذي تلقى من الصبي . وذو التمام : هو الصبي . والمثيل : الذي تولى أمه وهي ترضه . ويرى : « محول » بدل « مثيل » وهو الذي أتى عليه المحول .

(٢) الاستعداد : خلق العادة بالحديد . والمثبة : التي طاب عنها زوجها . والشمعة : التي تلبس شعراً .

(٣) لم تنس على طين العينين في ديوان ابن الرومي . وقد أورد الجاحظ البيت الأول في كتابه ( الحيوان ) ج ٦ ص ٨٠ . طبع مطبعة الحلبي . غير منسوب . ولم يعرف أن الجاحظ يستشهد بشعر ابن الرومي . وقد توفي الجاحظ وكانت من أبن الرومي ٣٤٤ هـ إلى أن حدثنا الشعر ليس من روح ابن الرومي . وقد أورد أيضاً الفزاري في ( الأحكام ) ج ٣ ص ١٨٠ . طبع الحلبي ( البيت الأول ضمن ستة أبيات من وظيفته وثانيته .

وسلم : « أعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار إلا طارقا يعطرك بخير يا رحمن » . وقال  
جرير في الطروق :

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا • حِينَ الزَّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ  
ثُمَّ يَنْ قَال : ( وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ ) والثاقب : المضيء . ومنه « شهابٌ  
ثاقِبٌ » . يقال : ثَقِبَ يَنْثَبُ ثَقُوبًا وَثَقَابَةً إِذَا أَضَاءَ . وثقوبه ضوؤه . والعرب تقول : انْثَبَ  
نَارَكَ ؛ أَي أَضْنَاهَا . قال :

أَذَاعَ بِهِ فِي النَّاسِ حَتَّى كَانَهُ • بَلَيَاءُ نَارٍ أَوْقَعَتْ بِتَقْوِبِ  
الْتَّقُوبِ مَا تُشْعَلُ بِهِ النَّارُ مِنْ دِقَاقِ الْمِيدَانِ . وقال مجاهد : الثاقب المتروِّج . الفشتري :  
والمُعْظَمُ عَلَى أَنَّ الطَّارِقَ وَالثَّقَبَ اسْمُ جِلْسٍ أُرِيدَ بِهِ الْعَمُومُ ؛ كَمَا ذَكَرْنَا عَنْ مجاهد . ( وَمَا أَدْرَاكَ  
مَا الطَّارِقُ ) تَخْفِيًا لِشَأْنِ هَذَا الْمُقَسِّمِ بِهِ . وقال سُفْيَانُ : كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ « وَمَا أَدْرَاكَ »  
فَعَدَّ أَخْبَرَهُ بِهِ . وكلُّ شَيْءٍ قَالَ فِيهِ « وَمَا يَدْرِيكَ » لَمْ يَحْضَرْ بِهِ .

قوله تعالى : إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝

قال قتادة : حَفَظَةٌ يُحْفَظُونَ عَلَيْكَ رِزْقَكَ وَعَمَلَكَ وَأَجَلَكَ . وعنه أيضا قال : قرينه  
يحفظ عليه عمله من خير أو شر . وهذا هو جواب القسم . وقيل : الجواب « إِنَّهُ عَلَى رَجَبِهِ  
لَقَادِرٌ » في قول الترمذي محمد بن علي . و « إِنَّ » غنفة من الثبيلة ، و « مَا » مؤكدة ؛  
أَي إِنْ كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظٌ . وقيل : المعنى إِنْ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ يحفظها من  
الآفات حتى يسلمها إلى القدر . قال الفراء : الحافظ من الله يحفظها حتى يسلمها إلى المقادير ؛  
وقاله الكلبي . وقال أبو أمامة : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « وَكُلُّ بَالُوسٍ مَائَةٌ وَسِتُونَ  
مَلَكًا يَذُبُّونَ عَنْهُ مَا لَمْ يَهْدَرْ عَلَيْهِ . مِنْ ذَلِكَ الْبَصَرُ ، سَبْعَةُ أَمْلاكٍ يَذُبُّونَ عَنْهُ كَمَا يَذَّبُ عَنْ  
قَصْعَةِ الْعَسَلِ الدُّبَابُ . وَلَوْ وَكِلَ الْعَبْدُ إِلَى نَفْسِهِ طَرَفَةٌ عَيْنٍ لَا خَطَفَتْهُ الشَّيَاطِينُ » . وقراءة ابن  
عاصم وطاسم وحزمة « لَمَّا » بتشديد اللام ؛ أَي مَا كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ، وهي لفظة  
( ١ ) آية ١٠ سورة الصافات .

هذيل . يقول قائلهم : نشدك لما قلت . الباقون بالتخفيف على أنها زائدة مؤكدة كما ذكرنا . ونظير هذه الآية قوله تعالى : « لَهُ مَقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ » . على ما تقدم . وقيل : الحافظ هو الله سبحانه ؛ فلولا حفظه لما تبقى . وقيل : الحافظ عليه عقله ؛ يرشده إلى مصالحه ويكفّه عن مضاره .

قلت : العقل وغيره وسائط ، والحافظ في الحقيقة هو الله جل وعز ؛ قال الله عز وجل : « فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا » ، وقال : « قُلْ مَنْ يَكْفُلُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ » . وما كان مثله .

قوله تعالى : فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ رِمِّ خُلُقٍ ﴿٦٠﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦١﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٦٢﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٦٣﴾

قوله تعالى : ( فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ ) أي ابن آدم ( رِمِّ خُلُقٍ ) وجه الاتصال بما قبله توصية الإنسان بالنظر في أول أمره وسنته الأولى ، حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه ؛ فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ، ولا يُلْجِ على حافظه إلا ما يسره في عاقبة أمره . و « رِمِّ خُلُقٍ » استفهام ؛ أي من أي شيء خلق . ثم قال : ( خُلِقَ ) وهو جواب الاستفهام ( مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ) أي من المني . والدَّفَقُ : صَبُّ الماءِ ؛ دَفَقْتُ الماءَ أَدْفَقُهُ دَفْقًا صَبَّيْتُهِ ، فهو ماء دافق ؛ أي مدفوق ؛ كما قالوا : مِرٌّ كَأَمِّ ، أي مكتوم ؛ لأنه من قولك : دَفَقْتُ الماءَ على ما لم يسر فاعله . ولا يقال : دَفَقُ الماءَ . ويقال : دَفَقَ اللهُ وَجْهَهُ ؛ إذا دُعِيَ عليه بالموت . قال القرطبي والأخفش : « ماء دافق » أي مصبوب في الرحم . الزجاج : من ماء ذى اندفاق . يقال : دارق وفارس وتابل ؛ أي ذو قرص وذراع وتبل . وهذا منسوب سيويه . فالدافق هو المندفق بشدة قوته . وأراد ما بين : ماء الرجل وماء المرأة ؛ لأن الإنسان مخلوق منهما ، لكن جعلهما ماء واحدا لامتزاجهما . ومن عكرمة عن ابن عباس : « دافق » نرج . ( يَخْرُجُ )

أى هذا الماء ( مِنْ مَيِّنِ الصُّلْبِ ) أى الظهر . وفيه ثلاث أريج : صُلْب ، وَصُلْب —  
وَقُرَىٰ هُنَا — وَصُلْب ( يَفْتَحُ اللَّامَ ) ، وَصَالِب ( عَلَى وَزْنِ قَالِبٍ ) ؛ ومثله قول الباس :  
• تَنْقُلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَيْحٍ •

( وَالتَّرَائِبُ ) أى الصدر، الواحدة تَرِيبة ؛ وهى موضع القِلادة من الصدر . قال :  
مُهَفَّفَةٌ بِيضَاءٍ غَيْرِ مُفَاضَةٍ • تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنِيلِ<sup>(١)</sup>

والصلب من الرجل . والترائب من المرأة . قال ابن عباس : الترائب موضع القِلادة . وعنه :  
ما بين ثدييها ؛ وقاله عكرمة . وروى عنه يبنى ترائب المرأة اليدين والرجلين والعينين ؛ وبه قال  
الضحاك . وقال سعيد بن جبير : هو الجيد . مجاهد : هو ما بين المنكبين والصدر . وعنه :  
الصدر . وعنه : التراقي . وعن ابن جبير عن ابن عباس : الترائب أربع أضلاع من هذا  
الجانب . وحكى الزجاج : أن الترائب أربع أضلاع من يمين الصدر ، وأربع أضلاع من يسرة  
الصدر . وقال سمر بن أبي حيية المدنى : الترائب عصاراة القلب ؛ ومنها يكون الولد .  
والمشهور من كلام العرب أنها عظام الصدر والظهر . قال تميم بن الحارث<sup>(٢)</sup> :  
فَإِنْ تَذَرُوا نَاخِذَكُمْ فِي ظُهُورِكُمْ • وَإِنْ تُغَيِّلُوا نَاخِذَكُمْ فِي التَّرَائِبِ

وقال آخر :

وَبَدَتْ كَأَنَّ تَرَائِبًا مِنْ تَحِيهَا • بِحَمْرِ الْقَفَى فِي مَسَاعِدِ تَتَوَقَّدُ

وقال آخر :

وَالزُّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا • شَرِيقٌ بِهِ اللَّبَاتُ وَالنَّحْرُ<sup>(٣)</sup>

(١) هو ابن عبد المطلب ، يملح الله صلى الله عليه وسلم ، وتعام البيت :

• إِذَا مَضَىٰ عَالَمٌ بِدَا طَلِقَ •

(٢) البيت من سبعة أمراء القيس . والمهففة : الخفيفة اللحم التي ليست برحلة ولا خضعة البطن . والمفاضة :  
المسترخية البطن . والسجنييل : المرأة . وقيل : سبيكة القنفة ، أو الزعفران ، أو ماء الذهب .

(٣) في بعض نسخ الأصل : « أنها عظام القلب والصدر » .

(٤) البيت الغليل . وقرق الجسد بالحليب استلحاقاً . واللبات ( جمع لبة ) : موضع القِلادة .

ومن عكرمة : التراب الصدر؛ ثم أشد :

• نظام ذو على ترابها •

وقال ذو الرمة :

• ضَرَحَينَ البُرودَ عن تراب حرة <sup>(١)</sup> •

أى شقق . ويرى « ضَرَحَينَ » بالحاء ، أى القين . وفى الصحاح : والترية واحدة التراب، وهى عظام الصدر؛ ما بين الترقوة والتندرة .

قال الشاعر :

• أشرف تدبها على التريب <sup>(٢)</sup> •

وقال المصنّف العبدى :

ومن ذهب يسر على تريب • كَلَوْنُ الماحِ ليس بذى غُضُونِ <sup>(٣)</sup>

[ من غير الجوهري : التندرة للرجل بمنزلة الندى للراة . وقال الأصمى : مغزى الندى . وقال ابن السكيت : هى اللحم الذى حول الندى ؛ إذا ضمنت أولها همزت ، وإذا فتحت لم تهمز ] . وفى التفسير : يُخْلَقُ من ماء الرجل الذى يخرج من صلبه العظم والمعصب . ومن ماء المرأة الذى يخرج من ترابها اللحم والدم ؛ وقاله الأعمش . وقد تقدم مرفوعا فى أول سورة ( آل عمران ) . والحمد لله — وفى ( الحجرات ) « إنا خلقناكم من ذَكَرٍ وَأُنْثَى » وقد تقدم . وقيل : إن ماء الرجل يتزل من الدماغ ثم يمتنع فى الاثنين . وهذا لا يمرض قوله : « من بين الصلب » ؛ لأنه

(١) تمام البيت :

• ومن احين قتلنا كل مفئل •

(٢) القائل هو الألب البعل . وته م البيت :

• لم يندوا الخليل فى التريب •

وتفك على الجارية : استدار . والتريب : اليهود وهو أوطانهم .

(٣) كذا فى بعض النسخ والخطى . وفى بعضها : « يسر » بإزاء . وفى روح المعاني : « بين » . وفى اللسان وشراء الصرائية : « بلوح » . (٤) فى اللسان مادة ( تريب ) : « ... ليس له غشون » . ولبيت من قصيدة مكسورة القافية عليها :

أقام قبل ينك صنيى وشك ما سافك أن ينينى

(٥) ما بين المرحبين سافط من بعض نسخ الأصل . (٦) راجع ج ٤ ص ٧ . (٧) راجع ج ١٦ ص ٢٤٣

إن نزل من السماء نائماً يترى بين الصلب والترائب . وقال قتادة : المعنى ويخرج من صلب الرجل وترائب المرأة . وحكى الفراء : أن مثل هذا يأتي عن العرب ؛ وطيه فيكون معنى من بين الصلب من الصلب . وقال الحسن : المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل ، ومن صلب المرأة وترائب المرأة . ثم إننا نعلم أن النطفة من جميع أجزاء البدن ؛ ولذلك يُشبه الرجل والديه كثيراً . وهذه الحكمة في غسل جميع الجسد من خروج النوى . وأيضا المكث من الجماع يحسد وجعاً في ظهره وصلبه ؛ وليس ذلك إلا لخلق صلبه عما كان محتسباً من الماء . وروى إسماعيل عن أهل مكة « يخرج من بين الصلب » بضم اللام . ورويت عن عيسى الثقفي . حكاه المهدوي وقال : من جعل النوى يخرج من بين صلب الرجل وترائبه فالضمير في « يخرج » لاء . ومن جعله من بين صلب الرجل وترائب المرأة فالضمير للإنسان . وقرأ « الصلب » بفتح الصاد واللام . وفيه أربع لغات : صُلْبٌ وصُلْبٌ وصَلْبٌ وصَالِبٌ . قال الصَّبَاح :

• في صَلْبٍ مثل السنان المُؤَدَّم •

وفي مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

• تُثَقِّلُ من صَالِبٍ إلى رَحِمٍ •

الآيات مشهورة معروفة . (إنه) أي إن الله جل ثناؤه (على رَجِيمِهِ) أي على ردّ الماء في الإحليل (لِقَادِرٍ) كما قال مجاهد والضحاك . وعنه أيضاً أن المعنى : إنه على ردّ الماء في الصلب ؛ وقاله عكرمة . وعن الضحاك أيضاً أن المعنى : إنه على ردّ الإنسان ماءً كما كان لقادر . وعنه أيضاً أن المعنى : إنه على ردّ الإنسان من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الكبر لقادر . وكذا في المهدوي . وفي الماوردي : والتملي : إلى الصبا ومن الصبا إلى النطفة . وقال ابن زيد : إنه على حسس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر . وقال ابن عباس وقاتدة والحسن وعكرمة أيضاً : إنه على ردّ الإنسان بعد الموت لقادر . وهو اختيار الطبري . الثملي : وهو الأقوى ؛ لقوله تعالى : « يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ » . قال الماوردي : ويحتمل أنه على أن يبيده إلى الدنيا بعد بعثه في الآخرة ؛ لأن الكفار يسألون الله تعالى فيها الرجعة .

(١) تقدم هذا في ص •

قوله تعالى : يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ①

فيه مسائلان :

الأولى - العامل في « يوم » - في قول من جعل المعنى إنه على بحث الإنسان - قوله « لقادر » ولا يعمل فيه « رجيته » لما فيه من التفرقة بين الصلة والموصول بخبر « إنه » .  
وعلى الأقوال الأخرى التي في « إنه على رجيته لقادر » يكون العامل في « يوم » فعل مضمَر ولا يعمل فيه « لقادر » ؛ لأن المراد في الدنيا . و ( تُبْلَى ) أي تُفْتَحُن وتُفْتَحَر ؛ قال أبو الفول الطهوي<sup>(١)</sup> :

ولا تَبْلَى بِسَالَتِهِمْ وَإِنْ هُمْ • صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بِسَدِيدِهِ

وروى « تَبْلَى بِسَالَتِهِمْ » . فمن رواه « تَبْلَى » - بضم التاء - جعله من الاختيار ؛ وتكون البسالة على هذه الرواية الكرامة ؛ كأنه قال : لا يُعْرَف لهم فيها كرامة . و « تَبْلَى » تُعْرَف . قال الرازي :

قد كنت قبل اليوم تزديني • فاليوم أبلوك وتبليسني

أي أمرتك وتعزفتي . ومن رواه « تَبْلَى » - بفتح التاء - فالمعنى أنهم لا يضعفون عن الحرب وإن تكررت عليهم زمانا بعد زمان . وذلك أن الأمور الشداد إذا تكررت على الإنسان هذته وأضعفته . وقيل : « تَبْلَى السرائر » أي تخرج غيباتها وتظهر ، وهو كل ما كان استمره الإنسان من خير أو شر ، واستمره من إيمان أو كفر ؛ كما قال الأخوص :

سيتق لها في مضمَر القلب والحشا • سريرةٌ وكُد يوم تُبْلَى السرائر<sup>(٢)</sup>

(١) هو شاعر إسلامي ، منسوب إلى « طيبة » وهي أم قبيلة من العرب .

(٢) كما ورد في بعض نسخ الأمل ونزارة الأدب به ١ ص ٣٢٢ وفي بعض نسخ الأمل والشعر والشعراء

وتحلب الأغانى به ٤ ص ٢٤٢ طبع دار الكتب المصرية : « مثل لك ... » .

الثانية - روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " آمن الله تعالى خلقه على أربع : على الصلاة والصوم والزكاة والنسل وهي السرائر التي يخبرها الله عز وجل يوم القيامة " ذكره المهدوي . وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ثلاث من حافظ عليها فهو ولي الله حقاً ، ومن اختلن فهو عدو الله حقاً : الصلاة والصوم والنسل من الجنة " ذكره النعماني . وذكر الماوردي عن زيد بن أسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الأمانة ثلاث : الصلاة والصوم والجنابة . استأمن الله عز وجل ابن آدم على الصلاة فإن شاء قال صليت ولم يصل . استأمن الله عز وجل ابن آدم على الصوم فإن شاء قال صمت ولم يصم . استأمن الله عز وجل ابن آدم على الجنابة فإن شاء قال اغتسلت ولم يغتسل اقرءوا إن شئتم " يوم تَبْلُ السَّرائِر " وذكر النعماني عن عطاء . وقال مالك في رواية أشبه عنه وسأله عن قوله تعالى " يوم تَبْلُ السَّرائِر " : أبلغك أن الوضوء من السرائر ؟ قال : وقد بلغني ذلك فيما يقول الناس ، فأما حديث أحدث به فلا . والصلاة من السرائر ، والصيام من السرائر ، إن شاء قد صليت ولم يصل . ومن السرائر ما في القلوب ؛ يميز الله به العباد . قال ابن العربي : " قال ابن مسعود يغفر للشهيد إلا الأمانة ، والوضوء من الأمانة ، والصلاة والزكاة من الأمانة ، والوديعة من الأمانة ؛ وأشد ذلك الوديعة ؛ تمثل له على هيئتها يوم أخذها فبرئ بها في قعر جهنم ، فيقال له : أخرجها ، فيتبعها فيجعلها في عنقه ، فإذا رجا أن يخرج بها زلت منه فيتبعها ؛ فهو كذلك دهر الباهرين . وقال أبي بن كعب : من الأمانة أن اتجنت المرأة على فرجها . قال أشهب : قال لي سفيان في الحيضة والحمل إن قالت لم أحض وأنا حامل صدقت ، ما لم تأت بما يعرف فيه أنها كاذبة . وفي الحديث : " غسل الجنابة من الأمانة " . وقال ابن عمر : يُبدي الله يوم القيامة كل سر خفي ، فيكون زيتاً في الوجوه وشيئاً في الوجوه . والله عالم بكل شيء ، ولكن يظهر علامات الملائكة والمؤمنين .

(١) في ابن العربي : « أغتة » .

قوله تعالى : **قَالَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ** ١٥

قوله تعالى : ( **قَالَ لَهُ** ) أى للإنسان ( **مِنْ قُوَّةٍ** ) أى متعة تمنحه . ( **وَلَا نَاصِرٍ** ) ينصره مما نزل به . وعن عكرمة « **قَالَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ** » قال : هؤلاء الملوك ، ما لم يوم القيامة من قوة ولا ناصر . وقال سفيان : القوة العنيفة . والناصر الحليف . وقيل : « **لَهُ مِنْ قُوَّةٍ** » فى بدنه . « **وَلَا نَاصِرٍ** » من غيره يتمتع به من الله . وهو معنى قول قتادة .

قوله تعالى : **وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ** ١٦ **وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ** ١٧  
**إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ** ١٨ **وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ** ١٩ **إِنَّمَا يَكِيدُونَ كَيْدًا** ٢٠  
**وَأَكِيدُ كَيْدًا** ٢١

قوله تعالى : ( **وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ** ) أى ذات المطر . ترجع كل سنة بمطر بعد مطر .  
 كما قال عامة المفسرين . وقال أهل اللغة : الرجح المطر . وأنشدوا للتنخل يصف سيقاً  
 شبه بالماء :

أبيض كالرجح رسوب إنا • ما تلخ فى مختفل يحتل

[ **تَاخَتْ قَدَمُهُ فِي الْوَحْلِ تَوَخَّ وَتَخَّ** : خاضت ونابت فيه ؛ قاله الجوهري ] ٢١

قال الخليل : الرجح المطر نفسه ، والرجح أيضاً نبات الربيع . وقيل : « **ذَاتِ الرَّجْعِ** »  
 أى ذات النفع . وقد يسمى المطر أيضاً أوباً كما يسمى رجماً قال :  
**رَبَّهُ شَهْمٌ لَا يَأْوِي لِقَتْلَهَا • إِلَّا السَّحَابُ وَالْأَوْبُ وَالسَّبِيلُ** ٢٢

(١) ما بين الميمين ذكر فى هامش بعض نسخ الأصل - والمختل : أعظم موضع فى الجسد - ويختل : يقطع .

(٢) أليت تختل المختل . قال السكوى فى شرح هذا البيت : « **رَبَّهُ** رباً فوقها ؛ يقول لا يدنو قتلها ؛

أى لأربها . أى لا يلو هذه الحضة من طولها إلا السحاب والأوب . والأوب : رجوع النمل . والسبل :

تقطر حين يسيل » .

وقال عبد الرحمن بن زيد : الشمس والقمر والنجوم يرجعن في السماء ؛ تطلع من ناحية وتغرب في أخرى . وقيل : ذات الملائكة ؛ (رجوعهم إليها بأعمال العباد . وهذا قسم .  
 (وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصُّدْعِ) قسم آخر ؛ أى تنصدع عن النبات والشجر والثمار والأنهار ؛ نظيره « ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا » الآية . والصَّدْعُ معنى الشق ؛ لأنه يصدع الأرض فتصدع به . وكأنه قال : والأرض ذات النبات ؛ لأن النبات صادر للأرض . وقال مجاهد : والأرض ذات الطرق التي تصدعها المشاة . وقيل : ذات الحوث لأنه يصدعها . وقيل : ذات الأموات ؛ لاتصدعها عنهم للثبور . (إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ) على هذا وقع القسم .  
 أى إن القرآن يفصل بين الحق والباطل . وقد تقدم في مقدمة الكتاب ما رواه الحارث عن علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كتّاب فيه خبر ما قبلكم وحكم ما بعدكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله » . وقيل : المراد بالقول الفصل ما تقدم من الوعيد في هذه السورة من قوله تعالى : « إِنَّهُ عَلَى رَجِيمِهِ لَقَادِرٌ » . يَوْمَ تَبِلُ السَّرائِرُ . (وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) أى ليس القرآن بالباطل واللعب . والهزل ضد الحد ، وقد هزل يهزل . قال الخنيزي :  
 • يُعَدُّ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُنْزَلُ •

(إِنَّهُمْ) أى إن أعداء الله (يَكِيدُونَ كَيْدًا) أى يكرون بمحمد صلى الله عليه وسلم وإصحابه مكراً . (وَأَكِيدُ كَيْدًا) أى أجازيهم جزاء كيدهم . وقيل : هو ما أوقع الله بهم يوم يذبح من القتل والأمر . وكيد الله استدراجهم من حيث لا يهابون . وقد مضى هذا المعنى في أول « البقرة » عند قوله تعالى : « اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » . مستوفى .

(١) آية ٢٦ سورة عبس . (٢) راجع ١ ص ٥ طية ثالثة أو ثالثة . (٣) مدار البيت :

• أَرَأَيْتَ عَلَى حَبِّ الْحَيَاةِ وَمَطْلُهَا •

(٤) راجع ١ ص ٢٠٨ طية ثالثة أو ثالثة .

قوله تعالى : **فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُويَدًا** (١٧)

قوله تعالى : **(فَهَلْ الْكَافِرِينَ)** أى أترحم ، ولا تسأل الله تحييل إهلاكهم ، وأرض بما يدره في أمورهم . ثم نسخت بآية السيف **«فَأَقْضُوا الشَّرْكَانَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ»** . **(أَهْلُهُمْ)** تأكيد . ومهل وأهل بمعنى ، مثل نزل وأزل . وأهله أنظره ومهله تمهله ، والاسم المهلة . والاستمهال الاستنظار . وتمهل في أمره أى أتأد . وأتمهل أتمهللاً أى اعتدل واتصب . والأتهمال أيضاً سكون وفور . ويقال : مهلاً يا فلان ؛ أى رفقاً وسكوناً . **(رُويَدًا)** أى قريباً ؛ عن ابن عباس . قتادة : قليلاً . والتقدير : أهملهم إهمالاً قليلاً . والرُويْد في كلام العرب تصغير رُود . وكذا قاله أبو عبيد . وأنشد :

• كأنها قيل يمشى على رُويد<sup>(٢)</sup> •

أى على مهل . وتفسير «رُويَدًا» : مهلاً ، وتفسير رُويَدك أهمل ؛ لأن الكاف إنما تدخله إذا كان بمعنى أفضل دون غيره ، وإنما حركت الدال لالتقاء الساكنين ، فنُصب نصب المصادر ، وهو مضمر مأمور به ؛ لأنه تصغير الترخيم من إرود ؛ وهو مصدر أرود يرود . وله أربعة أوجه : اسم للفعل ، وصفة ، وحال ، ومصدر ؛ فالأسم نحو قولك : رويد عمرًا ؛ أى أريد عمرًا بمعنى أهمله . والصفة نحو قولك : ساروا سيرًا رويَدًا . والحال نحو قولك : سار القوم رويَدًا ؛ لما اتصل بالمعرفة صار حالاً لها . والمصدر نحو قولك : رويد عمرو بالإضافة ؛ كقوله تعالى : **«تَضَرَّبَ الرُّقَابُ»** قال جيمه الجوهري . والذي في الآية من هذه الوجوه أن يكون نعتاً للمصدر ؛ أى إهمالاً رويَدًا . ويجوز أن يكون للحال ؛ أى أهملهم غير مستعمل لهم العذاب . ختمت السورة .

(١) في بعض النسخ «رُويد» - (٢) آية : سورة التوبة .

(٣) هذا مجرئت لمجروح القنرى . وصده :

• تكاد لا تسلم البطايا وطائيا •

(٤) آية : سورة نجد .

## سورة الأعلى

مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ . وَقَالَ الضَّحَّاكُ : مَدَنِيَّةٌ . وَهِيَ تَسْعُ عَشْرَةَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : سَبِّحْ أَتَمَّ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾

يَسْتَحِبُّ الْقَارِئُ إِذَا قَرَأَ «سَبِّحْ أَتَمَّ رَبَّكَ الْأَعْلَى» أَنْ يَقُولَ عَقِبَهُ : سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى ؛  
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ؛ عَلَى مَا يَأْتِي . وَرَوَى جَعْفَرُ  
ابْنُ عَدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَلَكًا يُقَالُ لَهُ حَرَقِيائِيلُ ، لَهُ ثَمَانِيَةُ عَشَرَ أَلْفَ  
جَنَاحٍ ، مَا بَيْنَ الْجَنَاحِ إِلَى الْجَنَاحِ مَسِيرَةُ نَحْمِائَةَ حَامٍ ، نَظَرُ لَهُ خَاطِرٌ : هَلْ تَقْدِرُ أَنْ تُبْصِرَ  
الْعَرْشَ بِحِمِيهِ ؟ فَزَادَهُ اللَّهُ أَجْنَعَةً مِثْلَهَا ، فَكَانَ لَهُ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ جَنَاحٍ ، مَا بَيْنَ الْجَنَاحِ  
إِلَى الْجَنَاحِ نَحْمِائَةُ حَامٍ . ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : أَيُّهَا الْمَلَكُ ، أَنْ يَطُرَ ، فَطَارَ مَقْدَارَ عَشْرِينَ  
أَلْفَ سَنَةٍ ، فَلَمْ يَبْلُغْ رَأْسَ قَائِمَةٍ مِنْ قِوَامِ الْعَرْشِ . ثُمَّ ضَاعَفَ اللَّهُ لَهُ فِي الْأَجْنَعَةِ وَالْقُوَّةِ وَأَمَرَهُ  
أَنْ يَطِيرَ ، فَطَارَ مَقْدَارَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ أُخْرَى ، فَلَمْ يَصِلْ أَيْضًا ؛ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : أَيُّهَا الْمَلَكُ ،  
لَوْ طَرْتُ إِلَى نَفْخِ الصُّورِ مَعَ اجْتِنَحِكَ وَقَوْتُكَ لَمْ تَبْلُغْ سَاقَ عَرْشِي . فَقَالَ الْمَلَكُ : سُبْحَانَ  
رَبِّي الْأَعْلَى ؛ فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى «سَبِّحْ أَتَمَّ رَبَّكَ الْأَعْلَى» فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
«اجْعَلُوهَا فِي سُبُودِكُمْ» . ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي (كَلَّابِ الرُّءُوسِ) لَهُ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالسُّدِّيُّ :  
مَعْنَى «سَبِّحْ أَتَمَّ رَبَّكَ الْأَعْلَى» أَيَّ عَظَمَ رَبُّكَ الْأَعْلَى . وَالْأَسْمُ صَلَةٌ ، تُقَصَّدُ بِهَا تَعْظِيمُ الْمَسْمُوعِ ؛  
كَأَنَّ قَائِلَ لِيَدِ :

• إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ أَسْمُ السَّلَامِ طَلِيكًا •<sup>(١)</sup>

(١) تَامَهُ : • مِنْ يَكُ حَوْلًا كَامِلًا قَدْ ائْتَمَرَ •

وقيل : تَرَه رَّبِّكَ عن السُّوء . وعما يقول فيه المصلدون . وذكر الطبري : أن المعنى تَرَه  
 أسم ربك عن أن تَسَمَّى به أحدا سواه . وقيل : تَرَه تسمية ربك وذكرك إياه أن تذكره  
 إلا وأنت خاشع معظَّم ، ولذكرك محترم . وجعلوا الأسم بمعنى التسمية ، ولأدلى أن يكون  
 الاسم هو المسمى . روى نافع عن ابن عمر قال : لا هَلْ على أسم الله ؛ فإن أسم الله هو الأعل .  
 وروى أبو صالح عن ابن عباس : صلَّ بأمر ربك الأعل . قال : وهو أن تقول سبحان  
 ربِّي الأعل . وروى عن علي رضي الله عنه ، وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابن موسى  
 وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم : أنهم كانوا إذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا :  
 سبحان ربِّي الأعل ؛ امتثالا لأمره في ابتدائها . فيختار الاقتداء بهم في قراءتهم ؛ لا أن  
 سبحان ربِّي الأعل من القرآن ؛ كما قاله بعض أهل الزَّيغ . وقيل : إنها في قراءة أبي :  
 « سبحان ربِّي الأعل » . وكان ابن عمر يقرؤها كذلك . وفي الحديث : كان رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم إذا قرأها قال : « سبحان ربِّي الأعل » . قال أبو بكر الأنباري : حدثني محمد بن  
 شهرار قال حدثنا حسين بن الأسود قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد قال حدثنا عيسى  
 ابن عمر عن أبيه قال : قرأ علي بن أبي طالب عليه السلام في الصلاة « سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الأعل »  
 ثم قال : سبحان ربِّي الأعل ؛ فلما انتهت الصلاة قيل له : يا أمير المؤمنين ، أتريد هذا  
 في القرآن ؟ قال ما هو ؟ قالوا : سبحان ربِّي الأعل . قال : لا ، إنما أمرنا بشيء فقلته .  
 وعن عتبة بن عامر الجهني قال : لما نزلت « سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الأعل » قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم : « أجعلوها في سجودكم » . وهذا كله يدل على أن الأسم هو المسمى ؛ لأنهم لم يقولوا :  
 سبحان اسم ربِّي الأعل . وقيل : إن أول من قال سبحان ربِّي الأعل ميكائيل عليه السلام .  
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل : « يا جبريل أخبرني بثواب من قال سبحان ربِّي الأعل  
 في صلته أو في غير صلته » . فقال : « يا عبد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده  
 أو في غير سجوده إلا كانت له في ميزانه أهمل من العرش والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله تعالى  
 صدق عبدي أنا فوق كل شيء وليس فوق شيء . انشبهوا يا ملائكتي أني قد غفرت له

وأدخله الجنة . فإذا مات زاره ميكايل كل يوم فإذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فأوقفه بين يدي الله تعالى فيقول يا رب شغني فيه فيقول قد شغقت فيه فأذهب به إلى الجنة .  
وقال الحسن : « سَبِّحْ أَمْرَ رَبِّكَ الْأَعْلَى » أى صلِّ لربك الأعلى . وقيل : أى صلِّ بأسماء الله لا كما يصل المشركون بالمكاه والتَّصْلِيَّةِ .<sup>(١)</sup> وقيل : ارفع صوتك بذكر ربك . قال جرير :  
قَبِّحَ الْإِلَهُ وَجْهَهُ تَقَلَّبَ كُلُّهُ \* سَبِّحَ الْمَجِيجَ وَكَبَّرُوا تَكْبِيرَهُ

قوله تعالى : الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝  
وَالَّذِي أُنْزَلَ الْأَنْجَارَ الْمَرْعى ۝ جَعَلَهُ نُجَّى ۝ أَسْوَى ۝

قوله تعالى : ( الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ) قد تقدم معنى التسوية في « الأنفطار » وغيرها .  
أى سَوَّى ما خلق فلم يكن في خلقه تَنْبِيْجٌ . وقال الزجاج : أى عُدل قامته ، وعن ابن عباس :  
حَسَنَ ما خلق . وقال الضحاك : خلق آدم فسَوَّى خلقه . وقيل : خلق في أصلاب الآباء ،  
وسَوَّى في أرحام الأمهات . وقيل : خلق الأجساد فسَوَّى الأفهام . وقيل : أى خلق  
الإنسان وميَّاه للتكليف . ( وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ) قرأ ملّ - رضى الله عنه والسَّابِىءُ والكسائى  
« قَدَّرَ » خففة الدال ، وشدّد الباقون . وهما بمعنى واحد . أى قَدَّرَ ووفق لكل شكل شكله .  
( فَهَدَى ) أى أرشد . قال مجاهد : قَدَّرَ الشقاوة والسعادة ، وهدى للرشد والضلالة . وعنه  
قال : هدى الإنسان للسعادة والشقاوة ، وهدى الأنعام لمراعيا . وقيل : قَدَّرَ أقواتهم  
وأرزاقهم ، وهدهم لمعانهم إن كانوا أنسا ولمراعهم إن كانوا وحشا . وروى عن ابن عباس  
والسدى ومقاتل والكلبي في قوله « فهدى » قالوا : عَرَّفَ خلقه كيف يأتى الذكر لائق ؛  
كما قال في ( طه ) : « أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى » أى الذكر للائق . وقال عطاء :  
جعل لكل دابة ما يصلحها وهدها له . وقيل : خلق المنافع في الأشياء ، وهدى الإنسان لوجه

(١) المكاه : الصغير . والصدية : الصفيق . قال ابن عباس : « كانت قريش تلوف باليت مرة يسفرون  
ويسفرون ؛ فكان ذلك عبادة في ظنهم » . (٢) راجع ١٩٠ ص ٢٢٤ (٣) التبيح : التخليط .  
(٤) آية ٥٠ .

استخرجها منها . وقيل : « قَدَّرَ فَهَدَى » قدر لكل حيوان ما يصلحه لهداه إلهه ، وعرفه وجه الانتفاع به . يمكن أن الأقوى إذا أنت عليها ألف سنة عَمِيَتْ ، وقد أهدى الله لك مسح العين بورق الرازياج الفَضَّ يرد إليها بصرها ، فربما كانت في بَرَّةٍ بينها وبين الرَّيف مسيرة أيام تَطْوِي تلك المسافة على طولها وعلى عماما حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها ، فتلك بها عينها وترجع باصرةً بإذن الله تعالى . وهدايات الإنسان إلى ما لا يحصى من مصالحه وبالأخص من حوائجه ، في أغذيته وأدوية ، وفي أبواب دينه ودينه ، وإلهامات الهائم والطير وهوام الأرض ، باب واسع وشوط طَلِين لا يُحِيطُ به وصفٌ وأصِفْ ؛ فسبحان ربِّي الأعلى . وقال السدي : قدر مُتَّة الجنتين في الزَّيْم تسعة أشهر وأقلُّ وأكثر ، ثم هداه للخروج من الزَّيْم . وقال الفراء : أي قدر فهدى وأضل ؛ فأكتفى بذكر أحدهما ؛ كقوله تعالى : « سَرَّابِلٌ تَبِيكُمُ الْحَرَّ » . ويعتدل أن يكون بمعنى دما إلى الإيمان ؛ كقوله تعالى : « وَلَمَّا كَلَّمْتُ نُوْحًا أَنْ أَقِمْ صِرَاطَكَ » . أي تدهو ، وقد دما النكل إلى الإيمان . ونيسل : « فَهَدَى » أي دَلَّم بأضاله على توحيده ، وكونه عالمًا قادرا . ولا خلاف أن من شدَّ العال من « قَدَّر » أنه من التقدير ؛ كقوله تعالى : « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا » . ومن خَفَّف فيحتمل أن يكون من التقدير فيكونان بمعنى . ويعتدل أن يكون من القُدرة والمُلْك ؛ أي ملك الأشياء ، وهَدَى من شاء .

قلت : وسمت بعض أشيائي يقول : الذي خلق فسوى وقدر فهدى . هو تفسير العلوي الذي يليق بجلال الله سبحانه على جميع مخلوقاته .

قوله تعالى : ( وَلَئِي أَنزَجَ الْمَرْعَى ) أي النيات والكلأ الأخضر . قال الشاعر :  
وقد بَنَتْ الْمَرْعَى عَلَى دِينِ الْقَرَى • وَتَبَقَّى حَزَازَاتُ الْغُفُوسِ كَأَيْهِيَ

(١) أي يهدى . (٢) آية ٨١ سورة النمل .

(٣) آية ٥٢ سورة القصص . (٤) آية ٢ سورة الفرقان .

(٥) هرزفرين الحارث . والدين : البرقين — الزيل — المظلة بالبر . والقرى : التراب والأرض .

( يجعله غطاءً آخرى ) النشاء : ما يقذف به السيل على جوانب الوادى من الحشيش والنبات والفتاش . وكذلك الفتاء ( بالتشديد ) . والجمع الأغشاء . فتادة : الفتاء الشىء اليابس . ويقال للبلل والحشيش إذا تحلّم وييس : غشاء وهشيم . وكذلك لذى يكون حول الماء من الفتاش غشاء ؛ كما قال :

كَانَ طَيْمِيَّةَ الْمُحْيِيَةِ غُدُوَّةٌ \* مِنَ السَّيْلِ وَالْأَغْشَاءِ فَلَكَّةٌ مَقْزَلٌ<sup>(١)</sup>

وحكى أهل اللغة : غتاً الوادى وأتخفاً . وكذلك الماء إذا علاه من الزبد والفتاش ما لا يتفجع به . والأخوى : الأسود ؛ أى إن النبات يضرب إلى الحوة من شدة الخضرة كالأسود . والحوة : السواد ؛ قال الأعشى :

لَمَيَّاءُ فِي شَتَيْهَا حُوَّةٌ لَمَسُ \* وَفِي الثَّنَاتِ وَفِي أَنْبَاهِهَا شَدْبُ

وفى الصباح : والحوة شجرة الشفة . يقال : رجل أخوى وأمرأة حواء ، وقد حويت . وبصير أخوى إذا خالط خضرته سواد وصفرة . وتصغير أخوى أخوي ؛ فى لغة من قال أسيود . ثم قيل : يجوز أن يكون « أخوى » حالاً من « المرعى » ، ويكون المعنى : كأنه من خضرته يضرب إلى السواد ؛ والتقدير : أخرج للمرعى أخوى فجعله غشاء . يقال : قد حوى الثبت ؛ حكاه الكسائى . وقال :

(١) الفتاش ( بالضم ) : ما كان على وجه الأرض من ثبات الأشياء . وفشاش كل شىء : غشاء .

(٢) فى بعض النسخ وسطة أمرى القيس :

\* كَانَ دُرّاً رَأْسَ الْمَجْهِرِ غُدَّةٌ \*

وقد أشار التبريزى شارح الحقة الى الرواية الأولى . قال : « والمجهر » أرض لبنى فزارة . وطبيعة : جبل فى بلادهم . يقول : « دأبلاً » المجهر ، فكان الجبل فى الماء فلما جمع السيل حوله من الغشاء .

(٣) فى الحقة : « الفتاء » قال التبريزى : ورواه القراء « من السيل والأغشاء » جمع الفتاء ، وهو قليل فى المحدث . قال أبو جعفر : من روى الأغشاء ضد أخطأ ؛ لأن غشاء لا يجمع على أغشاء ، وإنما يجمع على أغشية ؛ لأن أصفة جمع المحدث وأغشالا جمع المقصور ، فهو راءاً وأرماء .

(٤) كذا فى جميع نسخ الأصل ، وموسوعة . والبيت قفى الرمة كما فى ديوانه والمسان . والياء من الشفاء : الطليقة القليلة الدم . والعمى ( بفتحين ) : لون الشفة إذا كانت تضرب الى السواد قليلاً ؛ وذلك يستعمل . والشفب : برودة وطويرة فى الفم وروية فى الأسنان .

وَقِيَتْ مِنَ الْوَسْمِيِّ حَوْلَ بِلَاحِهِ \* تَبَيَّنَتْهُ بِسَبِيْعٍ مَصَاتِنُ <sup>(١)</sup>

ويحوز أن يكون « أَسْوَى » صفة لـ « غناء » . والمعنى : أنه صار كذلك بعد خضرته .  
وقال أبو عبيدة : بفعله أسود من أحرقاه وقدمه ؛ والرطب إذا يابس أسود . وقال  
عبد الرحمن بن زيد : أخرج المرعى أخضر ، ثم لما يابس أسود من أحرقاه فصار غناء  
تذهب به الرياح والسيول . وهو مثل ضربه الله تعالى للكفار لتعاب الدنيا بعد نضارتها .  
قوله تعالى : سَقِرْكَ فَلَا تَسْقِ <sup>(٢)</sup> إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ  
الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى <sup>(٣)</sup> وَيُضِرُّكَ الْيُسْرَى <sup>(٤)</sup>

قوله تعالى : ( سَقِرْكَ ) أى القرآن يا محمد فتملكه ( فَلَا تَسْقِ ) أى تحفظه ؛  
رواه ابن وهب عن مالك . وهذه بشرى من الله تعالى ؛ بشره بأن أعطاه آية بينة ، وهى أن  
يقرا عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي ، وهو أى لا يكتب ولا يقرأ ، فيحفظه ولا ينساه .  
وعن ابن أبي قتيح عن مجاهد قال : كان يتذكر عفاة أن ينسى فقيل : كَفَيْتَكَ . قال مجاهد  
والكلبي : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل بالوحي ، لم يفرغ جبريل من  
آخر الآية حتى يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بأولها ، عفاة أن ينسأها ، فترلت « سَقِرْكَ  
فَلَا تَسْقِ » بعد ذلك شيئا فقد كَفَيْتَكَ . ووجه الاستثناء على هذا ، ما قاله الفراء : إلا ما شاء  
الله وهو لم يشأ أن تنسى شيئا ؛ كقوله تعالى : « خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ  
إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ » <sup>(٥)</sup> ولا ينساه . ويقال فى الكلام : لَأَعْطِيَنَّكَ كَمَا سَأَلْتَ إِلَّا مَا شِئْتُ ، وَإِلَّا  
أَنْ أَسَاءَ أَنْ أَمْنَعَكَ وَالْبَيَّةَ عَلَى الْإِيمَانِ شَيْئًا . فعلى هذا مجازى الإيمان ؛ يستثنى فيها ونية الخالف  
التمام . وفى رواية أبي صالح عن ابن عباس : فلم ينس بعد نزول هذه الآية حتى مات ، « إلا ما شاء  
الله » . وعن سعيد عن قتادة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسى شيئا ؛ « إلا

(١) الرسمى : سقرازل الربيع ؛ لأنه اسم الأرض بالنيات . فصب الى الوسم . والظلام : جمع ظلمة ؛ وهى أرض  
مرتمجة غليظة يتردد فيها السيل ثم يدفع منها الى تلة أسفل منها . وهى مكرمة من الماتت . وقيل : الظلمة مجرى الماء  
من أهل الروادى الى بطون الأرض . وتبطله : دخلته . والشبيط : العلويل الجسم اللقي من العاس والخليل . والصفان :  
التشبيط للجدد للهواد من الخليل . (٢) آية ١٠٨ سورة هود .

ما شاء الله . « وحل هذه الأقوال قيل : إلا ما شاء الله أن ينسى ، ولكنه لم ينس شيئاً منه بعد نزول هذه الآية . وقيل : إلا ما شاء الله أن ينسى ثم يذكر بعد ذلك ؛ فإذا قد نسي ، ولكنه يتذكر ولا ينسى نسياناً كلياً . وقد روى أنه أسقط آية في قرأته في الصلاة ، فحسب أني أنها نسيحت ، فسأله فقال : « إني نسيته » . وقيل : هو من النسيان ؛ أي إلا ما شاء الله أن ينسبك . ثم قيل : هذا بمعنى النسخ ؛ أي إلا ما شاء الله أن يفسخه ، والاستثناء نوع من النسخ . وقيل : النسيان بمعنى الترك ؛ أي يصممك من أن تترك العمل به ؛ إلا ما شاء الله أن تتركه لنفسه إياه . فهذا في نسخ العمل ، والأول في نسخ القراءة . قال القرطبي : كان يثنى مجلس الجليل أهل القسط من العلوم ، وكان يشاء ابن كيسان النحوي ، وكان رجلاً جليلاً ، فقال يوماً : ما تقول يا أبا القاسم في قول الله تعالى : « سَقَرْتُكَ فَلَا تَنْتَهِ » ؟ فأجابهم مسروراً — كأنه قد سلم له السؤال قبل ذلك بأوقات — : لا تنهى العمل به . فقال ابن كيسان : لا يقض الله ذلك ! مثلك من يصدر عن رأيه . وقوله : « فلا » للنهي للنهي . وقيل : للنهي ؛ وإنما أثبت الياء لأن رموس الآي على ذلك . والمعنى : لا تقفل عن قرأته وتكراره فتساه ؛ إلا ما شاء الله أن ينسبك برفع تلاوته للصلاة . والأول هو المختار ؛ لأن الاستثناء من النهي لا يكاد يكون إلا مؤقتاً معلوماً . وأيضاً فإن الياء نتيجة في جميع المصاحف وطبعا القراءة . وقيل : معناه إلا ما شاء الله أن يؤخر إزالته . وقيل : المعنى فجعله غثاء أحوى إلا ما شاء الله أن يناله بنو آدم والبهايم ؛ فإنه لا يصير كذلك .

قوله تعالى : ( **إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ** ) أي الإعلان من القول والعمل . ( **وَمَا يَخْفَى** ) من السر . وعن ابن عباس : ما في قلبك ونفسك . وقال محمد بن حاتم : يعلم إعلان الصدقة وإخفائها . وقيل : الجهر ما حفظته من القرآن في صدرك . « وما يخفى » هو ما أنسخ من صدرك . ( **وَيَسِّرْكَ** ) معطوف على « سَقَرْتُكَ » وقوله : ( **إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى** ) اعتراض . ومعنى ( **لِيَسِّرِيَ** ) أي للطريقة اليسرى ؛ وهي عمل الخير . قال ابن عباس : يسرك لأن تعمل خيراً . ابن مسعود : « اليسرى » أي الجنة . وقيل : توفيقك للشرعة اليسرى ؛ وهي الحنفية السمعة الملهة ؛ قال معناه الضمك . وقيل : أي تهوّن عليك الوحي حتى تحفظه وتعمل

قوله تعالى : **فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى** ①

قوله تعالى : **(فَذَكِّرْ)** أى فَيُذَكِّرْ قَوْمَكَ بِأَعْدَاءِ الْفِرَاقِ . **(إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى)** أى الموعظة . وروى يونس عن الحسن قال : تذكرة للؤمن وحجة على الكافر . وكان ابن عباس يقول : تنفع أوليائى ولا تنفع أعدائى . وقال الجرجاني : التذكير واجب وإن لم ينفع . والمعنى : فذكر إن نفع الذكرى أو لم تنفع ، لحذف ؛ كما قال : **«سَرَّائِلُ تَبَيُّمُ الْحَرِّ»** . وقيل : إنه مخصوص بأقوام بأعيانهم . وقيل : **«إِنْ»** «بِإِنْ» بمعنى ما ؛ أى فذكر ما نفع الذكرى ، فتكون **«إِنْ»** بمعنى ما ، لا بمعنى الشرط ؛ لأن الذكرى نافعة بكل حال ؛ قاله ابن شيرة . وذكر بعض أهل العربية : **«أَنَّ»** «بِإِنْ» بمعنى إذ ؛ أى إذ نفعت ؛ كقوله تعالى : **«وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»** أى إذ كنتم ؛ فلم يجز بلوغم إلا بعد إيمانهم . وقيل : بمعنى قد .

قوله تعالى : **سَيَذَكَّرُ مَن يَخْشَى** ②

أى مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ وَيَخَافُهُ . فروى أبو صالح عن ابن عباس قال : نزلت في ابن أم مكتوم . الماوردي : وقد يذكّر من يرجوه ، إلا أن تذكرة الخاشى أبلغ من تذكرة الرابى ؛ فذلك قطعها بالخشية دون الرجاء ، وإن تعلق بالخشية والرجاء . وقيل : أى عم أنت التذكير والوعظ ، وإن كان الوعظ إنما ينفع من يخشى ، ولكن يحصل لك ثواب النباه ؛ حكاة القشيري .

قوله تعالى : **وَيَسَّجِنَهَا الْأَشَقَى ③ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ④**

**لَمْ يَلَمْ يَمُوتْ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ⑤**

قوله تعالى : **(وَيَسَّجِنَهَا)** أى ويحبس الذكرى ويعدنها . **(الْأَشَقَى)** أى الشقى . وقيل : نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة . **(الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى)**

أى العظمى، وهى السفلى من أطباق النار؛ قاله الفراء . وعن الحسن : الكبرى نار جهنم، والصغرى نار الدنيا ؛ وقاله يحيى بن سلام . ( ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ) أى لا يموت فيستريح من العذاب ولا يحيا حياة تنفعه ؛ كما قال الشاعر :

إلا ما لغيث لا تموت فينفضى • عناها ولا يحيا حياة لها طعم

وقد مضى فى « الفساء » وغيرها حديث أبى سعيد الخدرى ، وأن الموحدين من المؤمنين إذا دخلوا جهنم — وهى النار الصغرى هل قول الفراء — احترقوا فيها وماتوا؛ إلى أن يُشفع فيهم . نرجه سلم . وقيل : أهل الشقاء متفاوتون فى شقايتهم ، وهذا الوعيد للأشقي ، وإن كان ثم شقي لا يبلغ هذه المرتبة .

قوله تعالى : **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى** ١١ **وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى** ١٢

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( **قَدْ أَفْلَحَ** ) أى قد صادف البقاء فى الجنة ؛ أى من تطهر من الشرك بالإيمان ؛ قاله ابن عباس وعطاء وعكرمة . وقال الحسن والربيع : من كان عمله زاكيا نايبا . وقال ميمون عن قتادة : « **تَزَكَّى** » قال بعمل صالح . وعنه وعن عطاء وأبى العالية : نزلت فى صدقة الفطر . وعن ابن سيرين « **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى** . **وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى** » قال : نرج فصل بعد ما أذى . وقال عكرمة : كان الرجل يقول أقدم زكأتى بين يدى صلاتى . فقال سفيان : قال الله تعالى : « **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى** . **وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى** » . روى عن أبى سعيد الخدرى وابن عمر أن ذلك فى صدقة الفطر وصلاة العيد . وكذلك قال أبو العالية ، وقال : إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سفاية الماء . وروى كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى** » قال : « **أخرج زكاة الفطر** » ، **وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى** » قال : « **صلاة العيد** » . وقال ابن عباس والضحاك : « **وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ** » فى طريق المصل . « **فصل** » صلاة العيد . وقيل : المراد

بِالْأَيَّةِ زَكَاةَ الْأَمْوَالِ كُلِّهَا ؛ قَالَ أَبُو الْأَحْوَسِ وَعَطَاءٌ . وَرَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ قُلْتُ لِعَطَاءٍ :  
 « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى » لِقَطْرِ ؟ قَالَ : هِيَ لِلصَّدَقَاتِ كُلِّهَا . وَقِيلَ : هِيَ زَكَاةُ الْأَعْمَالِ  
 لَا زَكَاةُ الْأَمْوَالِ ؛ أَيْ تَطَهَّرَ فِي أَعْمَالِهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَالنَّقْصِيرِ ؛ لِأَنَّهُ الْأَكْثَرُ أَنْ يُقَالَ فِي الْمَالِ :  
 زَكَّى ، لَا تَزَكَّى . وَرَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى »  
 أَيْ مَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَلَعَ الْأَنْدُلُسَ وَشَهِدَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ  
 « تَزَكَّى » قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وَرَوَى عَنْهُ عَطَاءٌ قَالَ : نَزَلَتْ فِي عَثَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ !  
 قَالَ : كَانَ بِالْمَدِينَةِ مَنَاقِفُ كَانَتْ لَهُ نَخْلَةٌ بِالْمَدِينَةِ مَائِلَةً فِي دَارِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، إِذَا هَبَتْ  
 الرِّيحُ أَسْقَطَتْ الْبُسْرَ وَالرُّطْبَ إِلَى دَارِ الْأَنْصَارِيِّ ، فَيَأْكُلُ هُوَ وَعِيَالُهُ ، تَفْخَاصُهُ الْمَنَاقِفُ ؛  
 فَشَكَكَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأُرْسِلَ إِلَى الْمَنَاقِفِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ نَفَاقَهُ فَقَالَ :  
 « إِنْ أَخَاكَ الْأَنْصَارِيُّ ذَكَرَ أَنَّ بَسْرَكَ وَوَطِيئَكَ يَبْعَثُ إِلَى مِثْلِهِ فَيَأْكُلُ هُوَ وَعِيَالُهُ فَيَهْلُكَ  
 أَنْ أُعْطِيَكَ نَخْلَةً فِي الْجَنَّةِ بِدَلْمَا » ؟ فَقَالَ : أَيْبَعُ حَاجِلًا بِأَجَلٍ ! لَا أَسْلُ . فَذَكَرُوا أَنَّ عَثَانَ  
 ابْنَ عَفَانَ أَطْعَمَهُ حَاطِلًا مِنْ نَخْلٍ بَدَلَ نَخْلَتِهِ ؛ فَبِهِ نَزَلَتْ « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى » . وَنَزَلَتْ فِي الْمَنَاقِفِ  
 « وَتَجَنَّبْنَا الْأَثْقَى » . وَذَكَرَ الضَّحَّاكُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الثانية — قد ذكرنا القول في زكاة الفطر في سورة «البقرة»<sup>(١)</sup> مستوفى . وقد هُذِّمَ  
 أَنْ هَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ ؛ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِمَكَّةَ عِيدٌ وَلَا زَكَاةُ فِطْرِ . الْفُشَيْرِيُّ :  
 وَلَا يَمَعِدُ أَنْ يَكُونَ أَثَقَى عَلَى مَنْ يَمْتَلِكُ أَمْرَهُ فِي صَدَقَةِ الْفِطْرِ وَصَلَاةِ الْيَدِيَّيَا بِأَمْرِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ .  
 الثالثة — قوله تعالى : ( وَذَكَرَ آسَمَ رَبِّهِ فَصَلَّ ) أَيْ ذَكَرَ رَبَّهُ . وَرَوَى عَطَاءٌ عَنْ  
 أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ : يُرِيدُ ذَكَرَ مَعَادَهُ وَمَوْقِفَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، فَصَبَدَ وَصَلَّى لَهُ . وَقِيلَ :  
 ذَكَرَ آسَمَ رَبِّهِ بِالْكَبِيرِ فِي أَوَّلِ الصَّلَاةِ لِأَنَّهُ لَا تَتَعَدَّى إِلَّا بِذِكْرِهِ ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ : اللَّهُ أَكْبَرُ .  
 وَبِهِ يُجْتَنَّبُ عَلَى وَجوبِ تَكْبِيرَةِ الْإِفْتِتَاحِ وَعَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الصَّلَاةِ ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ مَعْلُومَةٌ عَلَيْهِ .  
 وَفِيهِ حُجَّةٌ لِمَنْ قَالَ : إِنَّ الْإِفْتِتَاحَ جَائِزٌ بِكُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ خِلَافِيَّةٌ

(١) راجع ج ١ ص ٣٤٣ طبع ثانية ١٤٢٤هـ .

بين التفهيم . وقد مضى القول في هذا في أول سورة «البقرة»<sup>(١)</sup> . وقيل : هي تكبيرات العبد .  
قال الضحاك : « وَذَكَرَ أَمْرَ رَبِّهِ » في طريق المصلي «فصل» ؛ أي صلاة العبد . وقيل :  
« وَذَكَرَ أَمْرَ رَبِّهِ » وهو أن يذكره بقلبه عند صلاته فيخاف عقابه ويرجو ثوابه ؛ ليكون  
استيقاظه لها وخشوعه فيها بحسب خوفه ورجائه . وقيل : هو أن يفتح أول كل سورة  
بسم الله الرحمن الرحيم . «فصل» أي فصل وذكر . ولا فرق بين أن تقول : اكرمني فزرتني ،  
وبين أن تقول : زرتني فاكرمني . قال ابن عباس : هذا في الصلاة المفروضة ، وهي  
الصلوات الخمس . وقيل : الدعاء ؛ أي دعاء الله بمجائحه الدنيا والآخرة . وقيل : صلاة العبد ؛  
قاله أبو سعيد الخدري وأبو عمرو وغيرهما . وقد تقدم . وقيل : هو أن يتطوع بصلاة بعد  
زكاته ؛ قاله أبو الأحوص ، وهو مقتضى قول عطاء . وروى عن عبد الله قال : من أقام  
الصلاة ولم يؤت الزكاة فلا صلاة له

قوله تعالى : **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** (١٦)

قراءة السامة « بَلْ تُؤْثِرُونَ » بالناء ؛ تصديقه قراءة أبي . « بَلْ أَمْتُمْ تُؤْثِرُونَ »  
وقرأ أبو عمرو وتصريق حاصم « بَلْ يُؤْثِرُونَ » بالياء على النية ؛ تصديره : بَلْ يُؤْثِرُونَ  
الاشقون الحياة الدنيا . وعلى الأقل فيكون تأويلها بَلْ تُؤْثِرُونَ أيها المسلمون الاستغفار  
من الدنيا للاستغفار من الثواب . وعن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية فقال : اهدرون  
لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة ؟ لأن الدنيا حُضِرَتْ وعُجِّلَتْ لنا طيباتها وطعامها وشرابها  
ولذاتها وبهجتها ، والآخرة عُثِرَتْ عنا فأخذنا العاجل وتركنا الآجل . وروى ثابت عن  
أنس قال : تخا مع أبي موسى في مسير والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا . قال  
أبو موسى : يا أنس ، إن هؤلاء يكاد أحدهم يقرى الأديم بلسانه قرأ فقال فلنذكر ربنا

ساعة . ثم قال : يا أنس، ما نذر الناس ! ما بطلهم ! ؟ قلت : الدنيا والشيطان والشهوات . قال : لا ، ولكن تجلت الدنيا وفيها الآخرة ، لما والله لو طينوها ما صدلوا ولا ميلوا .

قوله تعالى : وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝١٧

أى والدار الآخرة ، أى الجنة . ( خَيْرٌ ) أى أفضل . ( وَأَبْقَى ) أى أدوم من الدنيا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يضع أحدكم أصبعه فى اليمّ فليظنر يم يرجع " صحيح . وقد تقدم . وقال مالك بن دينار : لو كانت الدنيا من ذهب يَفْقَى ، والآخرة من حَرْف يَبْقَى ، لكان الواجب أن يُؤثِرَ نَزْفُ يَبْقَى على ذهب يَفْقَى . قال : فكيف والآخرة من ذهب يَبْقَى والدنيا من نَزْف يَفْقَى .

قوله تعالى : إِنَّ هَذَا لَنِى الصُّحُفِ الْأُولَى ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ

وَمُوسَى ۝١٩

قوله تعالى : ( إِنَّ هَذَا لَنِى الصُّحُفِ الْأُولَى ) قال قتادة وابن زيد : يريد قوله « وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى » . وقالوا : تابعت كتب الله جل ثناؤه — كما تسمون — أن الآخرة خير وأبقى من الدنيا . وقال الحسن : « إِنَّ هَذَا لَنِى الصُّحُفِ الْأُولَى » قال : كُتِبَ اللهُ جَلْ ثَنَاءَهُ كُلِّهَا . الكلبي : « إِنَّ هَذَا لَنِى الصُّحُفِ الْأُولَى » من قوله : « قد أطلع » إلى آخر السورة ؛ لحديث أبى ذرٍّ عن ما يأتى . وروى عكرمة عن ابن عباس : « إِنَّ هَذَا لَنِى الصُّحُفِ الْأُولَى » قال : هذه السورة . وقال الضحاك : إن هذا القرآن لى الصُّحُفِ الْأُولَى ، أى الكتب الأولى . ( صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ) بنى الكتب المترتبة عليها . ولم يرد أن هذه الألفاظ بينهما فى تلك الصحف ، وإنما هو على المعنى ؛ أى إن معنى هذا الكلام وأورد فى تلك الصحف . وروى الأجرى من حديث أبى ذرٍّ قال : قلت يا رسول الله ، فما

(١) الحجر : المحبس ؛ أى ما اتقى مدغم ومنهم من طاعة الله .

(٢) قوله « ما صدلوا » : ما ماووا بها شيئا . وقوله « ولا ميلوا » : أى ما نكروا ولا زهدوا .

(٣) وأجمع : ص ٢٢٠

كانت صحف إبراهيم ؟ قال : « كانت أمثالا كلها : أيها الملك المتسلط المبجل المغرور اني لم اهنك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكن بهتك لفرقة عني دعوة المظلوم فاني لا اردّها ولو كانت من قم كافر . وكان فيها أمثال : وعلى الماقل أن يكون له [ ثلاث <sup>(١)</sup> ] ساعات : ساعة يساجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه يفكر فيها في صنع الله عز وجل إليه ، وساعة يتخلو فيها لحاجته من الطعام والمشرب . وعلى الماقل ألا يكون ظاعنا إلا في ثلاث : تزود لمعاد ، ومرتمة للمعيش ، ولقنة في غير محرم . وعلى الماقل أن يكون بصيرا بزمانه ، مقبلا على شأنه ، حافظا لسانه . ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعينه » . قال : قلت يا رسول الله ، فما كانت صحف موسى ؟ قال : « كانت عبرا كلها : عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح . وعجبت لمن أيقن بالقدركيف يتنصب . وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها . وعجبت لمن أيقن بالحساب فدا ثم هو لا يعمل » . قال : قلت يا رسول الله ، فهل في أوليا شي ، مما كان في يدى إبراهيم وموسى مما أنزل الله عليك ؟ قال : « نعم اقرأ يا أبا ذر » « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى . بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأُنْقَرَى . إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى » . وذكر الحديث .

## سورة الغاشية

وهي مكية في قول الجميع ، وهي ست وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ①

« هل » بمعنى قد ؛ كقوله : « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ » ؛ قاله قُطْرُب . أى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية ؛ أى القيامة التى تنشى الخلائق مأهولها وأفزاعها ؛ قاله أكثر المفسرين . وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب : « الغاشية » النار تنشى وجوه الكفار ؛ ورواه أبو صالح

(١) زيادة من الدر المنثور . (٢) في الدر المنثور : « يحاسب فيها نفسه ويتمك فيها مع ... » .  
(٣) آية ١ سورة الإنسان .

عن ابن عباس؛ ودليله قوله تعالى : « وَتَنَشَّى وَجُوهَهُمُ النَّارَ » . وقيل : تنشى الخلق . وقيل : المراد النخعة الثانية للبعث ؛ لأنها تنشى الخلائق . وقيل : « الناشية » أهل النار ينشونها ويقصحمون فيها . وقيل : معنى « هل أذاك » أى هذا لم يكن من ملك ولا من علم قومك . قال ابن عباس : لم يكن أذاك قبل ذلك على هذا التفصيل المذكور هنا . وقيل : إنها خرجت غرض الاستفهام لرسوله ؛ ومناه إن لم يكن أذاك حديث الناشية فقد أذاك ؛ وهو معنى قول الكلبي .

قوله تعالى : « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ » (٢) « عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ » (٣)

قال ابن عباس : لم يكن أذاك حديثهم فأخبره عنهم فقال : ( « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ » ) أى يوم القيامة . ( « خَاشِعَةٌ » ) قال سفيان : أى ذليلة بالذنب . وكل متضائل ما كن خاشع . يقال : خشع في صلاته إذا تذلّ ونكس رأسه . وخشع الصوت : خفي ؛ قال الله تعالى : « وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ » . والمراد بالوجوه أصحاب الوجوه . وقال قتادة وابن زيد : « خاشعة » أى فى النار . والمراد وجوه الكفار كلهم ؛ قاله يحيى بن سلام . وقيل : أراد وجوه اليهود والنصارى ؛ قاله ابن عباس . ثم قال : ( « عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ » ) فهذا فى الدنيا ؛ لأن الآخرة ليست دار عمل . فالمعنى : وجوه عاملة ناصبة فى الدنيا « خاشعة » فى الآخرة . قال أهل الفسفة : يقال للرجل إذا دأب فى سيره : قد عمل يعمل عملاً . ويقال للسحاب إذا دام برقه : قد عمل يعمل عملاً . وإذا سحاب يعمل . قال الهذلي : (٣)

حتى شأها كيلاً تَوْهَتْماَ عَمِلَ . باتت طرابا وبات الليل لم يتم

(١) آية ٥ سورة إبراهيم . (٢) آية ١٠٨ سورة طه .

(٣) هو ساعدة بن جؤبة . وقره « شأها » : أى ساقها . والكيل : البرق الضعيف . والمومن : القطعة من الليل . وفانت طرابا : أى باتت البقرا الطاش طرابا إلى السير إلى الموضع الذى فيه البرق . وبات البرق الليل أجمع لا يفتقر ؛ فبمن البرق بأنه لم يتم لاتصاله من أول الليل إلى آخره (راجع هذا البيت والكلام عليه فى نواة الأدب تشاهد الرابع بعد المائة) .

( نَاصِيَةٌ ) أى تَيْبَةٌ . يقال : تَيْبَ ( بالكسر ) يَنْصَبُ نَصْبًا إِذَا تَيْبَ ، وَنَصَبًا إِذَا تَيْبَ ، وَأَنْصَبَهُ غَيْرُهُ . فَرَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ أَبِي هَبَّاسٍ قَالَ : هُمُ الَّذِينَ أَنْصَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَلَّ وَحَلَّ الْكَفَرِ ، مِثْلَ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ ، وَكَفَّارِ أَهْلِ الْكُتَابِ مِثْلِ الرِّهْبَانِ وَغَيْرِهِمْ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ مِنْهُمْ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لَهُ . وَقَالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ : « عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ » قَالَ : تَكَبَّرَتْ فِي الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَعْمَلَهَا اللَّهُ وَأَنْصَبَهَا فِي النَّارِ يَجْرِي السَّلَاسِلُ الْفُتَالُ وَحُمَلُ الْأَغْلَالِ ، وَالْوُقُوفُ حُفَاةً عُرَاءَةً فِي التَّرَصُّمَاتِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ تَمْسِينَ الْفِ سَنَةٍ . قَالَ الْحَسَنُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : لَمْ تَعْمَلْ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ تَنْصَبْ لَهُ فَأَعْمَلَهَا وَأَنْصَبَهَا فِي جَهَنَّمَ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : يُحْزَنُ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ . وَعَنْ غَيْرِهِ : يُكَلَّفُونَ ارْتِقَاءَ جَبَلٍ مِنْ حَدِيدٍ فِي جَهَنَّمَ ، فَيَنْصَبُونَ فِيهَا أَشَدَّ مَا يَكُونُ مِنَ النَّصَبِ ، بِمَعَالِجَةِ السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ وَالنُّحُوسِ فِي النَّارِ ، كَمَا تَنْحُوسُ الْإِبِلُ فِي الْوَحْلِ ، وَارْتِقَالُهَا فِي صَعُودِهَا مِنْ نَارٍ ، وَهَبُوطُهَا فِي حُدُودِهَا مِنْهَا ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِهَا . وَقَالَ أَبُو هَبَّاسٍ . وَقَرَأَ أَبُو نُجَيْمٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُمَيْدٍ ، وَدُرَاهِمًا عِيدٍ مِنْ شَبَلٍ عَنْ أَبِي كَثِيرٍ « نَاصِيَةٌ » بِالنَّصَبِ عَلَى الْحَالِ . وَقِيلَ : عَلَى الدَّمِ . الْبَاقُونَ ( بِالرَّغِ ) عَلَى الصِّفَةِ أَوْ عَلَى إِضْمَارٍ مُبْتَدَأٌ فَيُوقَفُ عَلَى « خَاشِعَةٍ » . وَمَنْ جَعَلَ الْمَعْنَى فِي الْآخِرَةِ جَازًا أَنْ يَكُونَ خَيْرًا بَعْدَ خَيْرٍ عَنْ « وَجْهِ » فَلَا يُوقَفُ عَلَى « خَاشِعَةٍ » . وَقِيلَ : « عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ » أَيْ عَامِلَةٌ فِي الدُّنْيَا نَاصِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ . وَعَلَى هَذَا يَحْتَمِلُ : وَجْهُهُ يَوْمُئِذٍ عَامِلَةٌ فِي الدُّنْيَا نَاصِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ خَاشِعَةٌ . قَالَ عِكْرِمَةُ وَالسُّدِّيُّ : حِيلَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَعَاصِي . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمٍ : هُمُ الرِّهْبَانُ أَصْحَابُ الصَّوَامِعِ ، وَقَالَ أَبُو هَبَّاسٍ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي رِوَايَةِ الضَّحَّاكِ عَنْهُ . وَرَوَى عَنْ الْحَسَنِ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — الشَّامَ أَتَاهُ رَاهِبٌ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَقَهْلٌ ، عَلَيْهِ سَوَادٌ ، فَلَمَّا رَأَاهُ عَمَرَ بَنِي . فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ : هَذَا الْمَسْكِينُ طَلَبَ أَمْرًا فَلَمْ يَصِبْهُ ، وَرَبَّنَا رَجَاءُ فَخَطَّاهُ ، — وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ — « وَجْهُهُ يَوْمُئِذٍ خَاشِعَةٌ » . عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ . قَالَ الْكَلْبِيُّ :

التَّهْل : رثاة الميتة ، ودجل مُتَهْل يابس الجلد سميّ الحلال مثل المُتَهْل . وقال أبو عمرو :  
التَّهْل : شَكْوَى الحاجة . وأنشد :  
لَمَسُوا<sup>(١)</sup> إِنْ لَاقِيَتْهُ قَهْلًا •

والتَّهْل : كُفْران الإحسان . وقد قَهَلَ يَقْهَل قَهْلًا إذا أخى ثناءً قبيحاً . وأقهل الرجل  
تَكَلَّف ما يبييه ودَس نفسه . وأقهل ضَعُف وسقط ؛ قاله الجوهري . وعن عليّ رضي  
الله عنه أنهم أهل حُرُوراء ؛ يعني الخوارج الذين ذكروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :  
« تحفرون صلاتكم<sup>(٢)</sup> مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يرقون من الدين  
كما يبرق السهم من الرية » الحديث .

قوله تعالى : تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤١﴾

أى يصيبها صلاؤها وحرها . ( حَامِيَةً ) شديدة الحر ؛ أى قد أوقدت وأحيت  
المدة الطويلة . ومنه جيّ النار ( بالكسر ) وحيّ التَّور حَبًّا فيها ؛ أى اشتدّ حره . وحكى  
الكنائى : اشتدَّ حَيّ الشمس وحموها بمعنى . وقرأ أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب « تُصَلَّى »  
بضم التاء . الباقون بفتحها . وقرئ « تُصَلَّى » بالتشديد . وقد تقدم القول فيها فى « إذا السَّيَّاهُ  
أُتِّقَتْ »<sup>(٣)</sup> . الماوردى : فإن قيل فامضى وصفها بالحيّ ، وهى لا تكون إلا حامية ، وهو أقل  
أحوالها ، فوجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة ؟ قيل : قد اختلف فى المراد بالحامية ها هنا  
على أربعة أوجه ؛ أحدها — أن المراد بذلك أنها دائمة الحى ، وليست كآثار الدنيا التى ينقطع  
حيها باظفتها . الثانى — أن المراد بالحامية أنها حيّ من ارتكاب المخطورات واتهاك  
الحارم ؛ كما قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إن لكل ملك حيّ وأن حيّ الله محارمه . ومن

(١) القم : السبي . الخلق . والشره المريس . (٢) أى قدود صلاتكم حثيرة بالنظر إلى صلاتهم .

(٣) راجع ج ١٩ ص ٢٧٠

يرتج حول الحى يوشك أن يقع فيه . الثالث - أنها بحى نفسها من أن تطلق ملاستها  
أو تزام بماسستها ، كما يحى الأسد عيرته ، ومثله قول النافعة :

تعدو القاش على من لا كلاب له \* وتبقى صولة المستأيد الحامى

الرابع - أنها حامية حتى فيظ وغضب ، مبالغة في شدة الانتقام . ولم يرد حتى حرّم  
وفات ، كما يقال : قدحى فلان إذا أخطأ وغضب عند إرادة الانتقام . وقد بين الله تعالى  
بقوله هذا المعنى فقال : « تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ » .

قوله تعالى : تُسْقَى مِنْ حَيْنٍ آتِيَةٍ ⑤

الآتى الذى قد انتهى حره ، من الإنباء بمعنى التأخير . ومنه « أَتَيْتْ وَأَذَيْتْ » .  
وَأَذَاهُ يُؤْنِيهِ لِإِنْسَانٍ ، أى أضره وحسبه وأبطاه . ومنه « يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمِ آدَمَ » .  
وفى التفسير : مِنْ حَيْنٍ آتِيَةٍ أى تنامى حرها وفلوقت قطرة منها على جبال الدنيا لثابت .  
وقال الحسن : « آتِيَةٍ » أى حرها اذكرك ، أو قدت عليها جهنم منذ خلقت فدفعوا إليها  
وردنا عطاشا . وعن ابن أبى نجيع عن مجاهد قال : بلغت ألقا وحان شربها .

قوله تعالى : لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيرٍ ⑥

قوله تعالى : ( لَيْسَ لَهُمْ ) أى لأهل النار . ( طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيرٍ ) لما ذكر  
شراهم ذكر طعامهم . قال عكرمة ومجاهد : الضريع نبت ذو شوك لاصق بالأرض ، تسميه  
قريش الشبرق إذا كان رطبا ، فإذا ليس فهو الضريع ، لا تقربه دابة ولا بيمة ولا ترعاه ،  
وهو سم قاتل ، وهو أخبث الطعام وأشنعه ، على هذا عامة المفسرين . إلا أن الضحك  
روى عن ابن عباس قال : هو شىء يرى به البحر يسمى الضريع من أقوات الأنعام

(١) آية ٨ سورة النكاح - (٢) أى فى الحديث فى صلاة الجمعة ، إذ قيل لربيل جاءهم الجمعة يمشى  
وقاب الناس . ومنه « آتيت » أنزلت الحبى وأبطأت . و « آتيت » أى آذيت الناس بضررك .

(٣) آية ٤ سورة الرحمن

لا الناس، فإذا وقعت فيه الإبل لم تشبع، وهلكت هزلاً . والصحيح ما قاله الجمهور أنه  
نبت . قال أبو ذؤيب <sup>(١)</sup> :

رعى الشريق الزيان حتى إذا دوى \* وعاد ضريباً بأن منه التماس

وقال المذني <sup>(٢)</sup> وذكر إبلًا وسوء مرطها :

وحسن في هزم الضريع فكُلها \* حذباء دامية اليدين حُرود <sup>(٣)</sup>

وقال الخليل: نبات الضريع نبات أخضر مثخن الريح يرمي به البحر . وقال الواليّ عن ابن عباس :  
هو شجر من ناره، ولو كانت في الدنيا لأحرقت الأرض وما عليها . وقال سعيد بن جبير : هو  
النجارة؛ وقاله عكرمة . والأظهر أنه شجر ذو شوك حسب ما هو في الدنيا . ومن ابن عباس  
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك أشدّ مرارة  
من الصبر وأتم من الجيفة وأحر من النار سماه الله ضريباً » . وقال خالد بن زياد : سمعت  
الموكل بن حذاف يسأل عن هذه الآية « ليس لم طعام إلا من ضريع » قال : بلغني  
أن الضريع شجرة من نار جهنم ، يحملها القيح والدم ، أشدّ مرارة من الصبر؛ لذلك طعامهم .  
وقال الحسن : هو بعض ما أخفاه الله من العذاب . وقال ابن كيسان : هو طعام يضرعون  
عنده ويذبلون ، ويضرعون منه إلى الله تعالى طلباً للتخلص منه ؛ فسمي بذلك لأن آكله  
يضرع في أن يفتي منه لكرهته وخشوته . قال أبو جعفر التماس : قد يكون مشتقاً من  
الضارع وهو الذليل ، أي ذو ضراعة ، أي من شربه ذليل تلحقه ضراعة . وعن الحسن  
أيضاً : هو الزقوم . وقيل : هو وادٍ في جهنم . فاقه أعلم . وقد قال الله تعالى في موضع

(١) لم تشرط هذا البيت في ديوان أبي ذؤيب .

(٢) في بعض نسخ الأصل : « بأن من التماس » . والتماس : جمع النعوص ( شنع الثوب ) وهي الأتان  
الوحشية الخالط . وقيل : هي التي في بطنها . وقيل : التي لا بين لها .

(٣) حوتيس بن مبرارة : كما في المتن . (٤) هزم الضريع : ما تكسر منه . والحذباء : الحنافة  
التي بدت حرافتها ومنع ظهورها . والحُرود : التي لا تكاد تهر .

آخر: «لَيْسَ لَهُ يَوْمَ هَاتَا حِمٌّ . وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلٍ» <sup>(١)</sup> . وقال هنا: «إِلَّا مِنْ ضَرِيرٍ» وهو غير الضريع . ووجه الجمع أن النار دركات؛ ففهم من طعام الزقوم، ومنهم من طعامه الضريع، ومنهم من طعامه الضريع، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد . قال الكلبي: الضريع في درجة ليس فيها غيره، والزقوم في درجة أخرى . ويجوز أن يحمل الآيتان على حاتين كما قال: «يَطْلُقُونَ يَنْهَابًا وَيَنْحِمُونَ<sup>(٢)</sup> آتٍ» . القَتْنِي: ويجوز أن يكون الضريع وشجرة الزقوم نبتين من النار، أو من جوهر لا تأكله النار . وكذلك سلاسل النار وأغلالها وعقاربها وحياتها، ولو كانت على ما نعلم ما بقيت على النار . قال: وإنما دلنا الله على الغائب عنده بالحاضر عندنا؛ فالأسماء متفقة الدلالة، والمعاني مختلفة . وكذلك ما في الجنة من غيرها وقُرُشها . القُتَيْبِيُّ: وأمثلة من قول القَتْنِي أن قول: إن الذي يُقْبَى الكافرين في النار ليدوم عليهم العذاب، يُقْبَى النبات وشجرة الزقوم في النار ليعذب بها الكفار . وزعم بعضهم أن الضريع يمتد لا يلبث في النار ولا أنهم يأكلونه . فالضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس . وإذا وقعت الإبل فيه لم تشبع وهلكت هزلاً . فأراد أن هؤلاء يقتاتون بما لا يشبعهم، وضرب الضريع له مثلاً أنهم يمدُّون بالجوع كما يمدُّون من قوته الضريع . قال الترمذی الحكيم: وهذا نظر سقيم من أمه وتأويل دنيء؛ كأنه يدل على أنهم تحيروا في قدرة الله تعالى، وأن الذي أنبت في هذا التراب هذا الضريع قادر على أن ينبت في حريق النار؛ كما جعل لنا في الدنيا من الشجر الأخضر نارا، فلا النار تحرق الشجر، ولا رطوبة الماء في الشجر تطفئ النار؛ فقال تعالى: «الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا إِذَا أَثْمُ مِنْهُ تَوْفِقُونَ» <sup>(٣)</sup> . وكما قيل حين نزلت «وَتَحْشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ» <sup>(٤)</sup>: قالوا يا رسول الله، كيف يمشون على وجوههم؟ فقال: «الَّذِي

(١) آية ٣٥ و ٣٦ سورة الحاقة .

(٢) آية ٤٤ سورة الرحمن .

(٣) آية ٨٠ سورة يس .

(٤) آية ٩٧ سورة الإسراء .

أَسْأَلُهُمْ حُلَّ أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُخَيِّرَهُمْ عَلَى وَجْهِهِمْ « . فلا يُخَيَّرُ فِي مِثْلِ هَذَا إِلَّا الضَّعِيفُ  
الْقَلْبُ . أَوْ لَيْسَ قَدْ أَخْبَرْنَا أَنَّهُ « كَلِمَاتُ نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَنَاتِهِمْ جُلُودًا غَيِّجًا » ، وَقَالَ :  
« سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قِطْرَانٍ » ، وَقَالَ : « إِنْ لَدَيْنَا أَتْكَالًا » أَيْ قِيودًا . « وَجَجِيًّا وَطَعَامًا  
فَاغُصَّةً » قِيلَ : ذَا شَوْكٍ . فَإِنَّمَا يَتَوَنَّنُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ .

قوله تعالى : لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾

بِغْنَى الضَّرِيعِ لَا يُسَمِّنُ أَكَلَهُ . وَكَيْفَ يُسَمِّنُ مَنْ يَأْكُلُ الشَّوْكَ ! قَالَ الْمَفْسُورُونَ :  
لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ الْمُشْرِكُونَ : إِنْ إِنَّمَا تَقَسَّمْنَ بِالضَّرِيعِ ، فَتَزَلَّ « لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي  
مِنْ جُوعٍ » . وَكَذَّبُوا ، فَإِنَّ الْإِبِلَ إِنَّمَا تَرْعَاهُ رَطْبًا فَإِنَّمَا يَسْلُمُ تَأْكُلَهُ . وَقِيلَ : اشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ  
فَنَظَرُوهُ كَذِبُهُ مِنَ التَّبَتِّ النَّافِعِ ، لِأَنَّ الْمَضَارِعَةَ الْمَشَابِهَةَ . فَوَجَدُوهُ لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ .

قوله تعالى : وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ( وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ) أَيْ ذَاتُ نِعْمَةٍ . وَهِيَ وَجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ ، نَعِمَتْ  
بِمَا دَانَتْ مِنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهَا وَعَمَلِهَا الصَّالِحِ . ( لِسَعْيِهَا ) أَيْ لِعَمَلِهَا الَّذِي عَمِلَتْهُ فِي الدُّنْيَا .  
( رَاضِيَةٌ ) فِي الْآخِرَةِ حِينَ أُعْطِيَتْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهَا . وَجَزَاءُ : لِنُجَابِ سَعْيِهَا رَاضِيَةٌ . وَفِيهَا وَادٍ  
مَضْمُونٌ . الْمَعْنَى : وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ؛ لِفَصْلِهَا فِيهَا وَبَيْنَ الْوُجُوهِ الْمُتَقَرِّبَةِ . وَالْوُجُوهُ صِبَاةٌ  
عَنِ الْأَنْفُسِ . ( فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ) أَيْ مَرْتَبَعَةٍ ؛ لِأَنَّهَا فَرْقُ السَّمَوَاتِ حَسَبَ مَا تَقَسَّمَتْ .  
وَلِئَلَّا : عَالِيَةِ الْقَدَرِ ؛ لِأَنَّ فِيهَا مَا تَشْتَبِهُ الْأَنْفُسُ وَتَذَلُّ الْأَعْيُنَ . وَهِيَ فِيهَا خَالِدُونَ .

( ١ ) آية ٥٦ سورة القصص .

( ٢ ) آية ٥٠ سورة إبراهيم .

( ٤ ) فِي بَعْضِ النُّسخ : « لَا يَشْبَهُ » .

( ٢ ) آية ١٢ سورة الحديد .

قوله تعالى : لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾

أى كلاما ساقطا غير مرضى . وقيل : « لاغية » والقنو واللغا واللاغية بمعنى واحد . قال :  
• عن اللغا ورقت التلثم<sup>(١)</sup> •

وقال الفراء والأخفش : أى لا تسمع فيها كلمة تقو . وفي المراد بها ستة أوجه : أحدها - يبنى كدبا وهيتانا وكفرا بالله عز وجل ؛ قاله ابن عباس . الثانى - لا باطل ولا إثم ؛ قاله قتادة . الثالث - أنه الشتم ؛ قاله مجاهد . الرابع - المصيبة ؛ قاله الحسن . الخامس - لا يسمع فيها حالف يخلف بكذب ؛ قاله الفراء . وقال الكلبي : لا يسمع في الجنة حالف يمين برة ولا فاجرة . السادس - لا يسمع في كلامهم كلمة بلغو ؛ لأن أهل الجنة لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من التمتع الدائم ؛ قاله الفراء أيضا . وهو أحسنها لأنه يعم ما ذكر . وقرأ أبو عمرو وابن كثير « لا يُسمع » بياء غير مسمى الفاعل . وكذلك نافع إلا أنه بالياء المضمومة ؛ لأن اللاغية اسم مؤنث فأنث الفعل لتأنيته . ومن قرأ بالياء فلائحة حال بين الاسم والفعل الجار والمجرور . وقرأ الباقون بالياء مفتوحة . ( لاغية ) نصبا على إستاند ذلك للوجوه ؛ أى لا تسمع الوجوه فيها لاغية .

قوله تعالى : فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا مَرَرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَمَحَارِقٌ مَصْفُوقَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَائٍ مَبْثُوءَةٌ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ( فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ) أى بماء متدفق ، وأنواع الأشربة اللذيذة على وجه الأرض من غير اختلود . وقد تقدم في سورة « الإنسان » أن فيها عيوناً . ذ « عين » بمعنى عيون . والله أعلم . ( فِيهَا مَرَرٌ مَرْفُوعَةٌ ) أى حالية . وروى أنه كان ارتضاعها قدر ما بين

(١) قلة : • ودب أسراب جيج كتلم • فاجه روبة . ونسبه ابن برى السباح .

(٢) راجع ج ١٩ ص ١٢٤ ، ١٤٠

السماء والأرض، يرى ولي الله ملكه حوله . ( وَأَكْرَابٌ مُّضَوَّعَةٌ ) أى أباديق وأوان .  
والإبريق : هو ماله عُروة وتُحْطَلَم . والكُوب : إناء ليس له عُروة ولا تُحْطَلَم . وقد  
تقدم هذا في سورة « الزخرف » وغيرها . ( وَتَمَارِقٌ ) أى وسائل ، الواحدة مُتَمَرِّقَةٌ .  
( مَصْفُوفَةٌ ) أى واحدة إلى جنب الأخرى . قال الشاعر :

وإننا لنجري الكاس بين شروبنا \* وبين أبي قابوس فوق النمارق

وقال آخر :

كُھول وشبان حسان وجوهمهم \* حل سُرر مصفوفة وتمازق

وفي الصحاح : التَّمَرَّقُ والتَّمَرَّقَةُ : وسادة صغيرة . وكذلك التَّمَرِّقَةُ ( بالكسر ) لغة حكاهما  
يعقوب . وربما تَمَرَّقُوا الطَّيْضَةَ التي فوق الرِّحْلِ مُتَمَرِّقَةً عن أبي عبيد . ( وَزَرَائِيْ مَبْثُوثَةٌ )  
قال أبو عبيدة : الزَرَائِيْ : المُسَطَّ . وقال ابن عباس : الزَرَائِيْ الطَّنَافِسُ التي لها تَحْمِلُ  
ريق ، واحتمت زَرْيَةً ، وقاله الكلبي والفراء . والمَبْثُوثَةُ : المسبوطة ، قاله فتادة . وقيل :  
بعضها فوق بعض ، قاله عكرمة . وقيل كثيرة ، قاله الفراء . وقيل : متفرقة في المجالس ،  
قاله الفتي .

قلت : هذا أصوب ، فهي كثيرة متفرقة . ومنه « وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ » .  
وقال أبو بكر الأنباري : وحدثننا أحمد بن الحسين قال حدثننا حسين بن عرفة قال حدثننا  
عمار بن محمد قال : صلبت خلف منصور بن المعتمر فقرأ « هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ النَّاسِيَةِ » وقرأ  
فيها « وَزَرَائِيْ مَبْثُوثَةٌ » متكئين فيها ناعمين .

قوله تعالى : أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾

قال المفسرون : لما ذكر الله عز وجل أمر أهل الدارين بتسبب الكفار من ذلك ،  
فكذبوا وأنكروا ، فذكرهم الله صنعته وقدرته ، وأنه قادر على كل شيء ، كما خلق الحيوانات  
والسماء والأرض . ثم ذكر الإبل أولاً لأنها كثيرة في العرب ولم يروا القيسلة ، فنبههم على

ثناؤه على عظيم من خلقه ؛ قد ذلله للصغير يقوده ويُنبيته ويُنبِضه ويسمِل عليه التَّحِيل من الحمل وهو بارك، فيَنبُض بتَّحِيل حملة ، وليس ذلك في شيء من الحيوان غيره . فأراهم عظيما من خلقه مسخراً للصغير من خلقه ؛ يدبلم بذلك على توحيدهِ وعظيم قدرته . ومن بعض الحكماء : أنه حدث عن البعير وبيع خلقه ، وقد نشأ في بلاد لا إبل فيها ؛ ففكر ثم قال : يوشك أن تكون طوال الأعناق . وسين أراد بها أن تكون صفات البر ، صبرها على احتيال المطش ، حتى أن إظهارها ليرقع إلى المشر فصامناً وجعلها تزعى كل شيء ثابت في البراري والمقارز ، مما لا يربطها سائر البهائم . وقيل : لما ذكر السرور المرفوعة قالوا : كيف تصعدنا ؟ فأنزل الله هذه الآية ويَر أن الإبل تبرك حتى يُحمل عليها ثم تقوم ؛ فكذلك تلك السرور تستلهم ثم ترضع . قال معناه قتادة ومقاتل وغيرهما . وقيل : الإبل هنا القِطْع العظيمة من السحاب ؛ قاله المبرد . قال الصلمي : وقيل في الإبل هنا السحاب ولم أجد لذلك أصلا في كتب الأئمة .

قلت : قد ذكر الأحمسي أبو سعيد عبد الملك بن قُريب قال أبو عمرو : من قرأها « أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ » بالتخفيف عنى به البعير لأنه من ذوات الأربع ، يَبْرُك فتحمِل عليه الجِوالة . وضره من ذوات الأربع لا يُحْمَل عليه إلا وهو قائم . ومن قرأها بالتثنية فقال « وَالْإِبِلِ » عنى بها السحاب التي تحمل الماء للطر . وقال الماسودي : وفي الإبل وجهان : أحدهما — وهو أظهرهما وأشهرهما أنها الإبل من النعم . الثاني — أنها السحاب . فإن كان المراد بها السحاب فلياً فيها من الآيات ألبالة على قدرته ، والمنافع العامة لجميع خلقه . وإن كان المراد بها الإبل من النعم فلأن الإبل أجمعُ النافع من سائر الحيوان ؛ لأن ضروريه أربعة : حَلَوِيَّة ، ودُّوْبِيَّة ، وأَكْوَلِيَّة ، وحِمْلِيَّة . والإبل تجمع هذه الحلالل الأربع ؛ فكانت النعمة بها أعم ، وظهور القدرة فيها أتم . وقال الحسن : إنما خصها الله بالذكرا لأنها تأكل النَّوَى والَقَتَّ ، وتُخْرِج اللبن . وسئل الحسن أيضا عنها وقالوا : القليل أعظم في الأعجوبة ؟ فقال : العرب بيعة العهد بالقليل ، ثم هو خفير لا يؤكل لحمه ، ولا يركب ظهره ؛ ولا يُسَلَب

(١) في البحر : « فمرا الجهور بكسر الهمزة وتخفيف اللام . والأسمى من أبي عمرو بإسكان اللام . وعلى ما بين حاشئ منه اللام ، ورويت من أبي عمرو وأبي بصير وكسائي ، وقالوا إنها السحاب » .

قوله . وكان مُرشح يقول : أخرجوا بنا إلى الكفاة حتى ننظر إلى الإبل كيف خُفَّت .  
والإبل لا واحد لها من لفظها ، وهي مؤنثة ؛ لأن أسماء الجوع التي لا واحد لها من لفظها  
إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم ، وإذا صغرتها دخلتها الماء فقلت : أَيْبَلَةٌ وَغَيْمَةٌ ،  
ونحو ذلك . وربما قالوا للإبل : إَيْبَلٌ يسكون الياء للضعيف ، والمخج آبال .

قوله تعالى : وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ  
نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ .

قوله تعالى : ( وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ) أى رفعت عن الأرض بلا عمد . وقيل :  
رُفِعَتْ فلا يتألف شيء . ( وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ) أى كيف نصبت على الأرض بحيث  
لا تزول ، وذلك أن الأرض لما دُحِيت مادت فارسها بالجبال . كما قال : « وَجَعَلْنَا  
فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ » . ( وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ) أى بُسِطَتْ ومُذِت .  
وقال أنس : صليت خلف من رضى الله عنه فقرأ « كَيْفَ خُلِقْتُ » و « رُفِعْتُ » و « نُصِبْتُ »  
و « سَطِحْتُ » بضم التامات ، أضاف الضمير إلى الله تعالى . وبه كان يقرأ محمد بن السميع  
وأبو العالية ، والمفعول محذوف ، والمضى خلقها . وكذلك سائرهما . وقرأ الحسن وأبو حيوة  
وأبو رجاء « سَطِحْتُ » بتشديد الطاء وإسكان التاء . وكذلك قرأ الجماعة إلا أنهم خففوا  
الطاء . وقدم الإبل في الذكر ، ولو قدم غيرها لجاز . قال القشيري : وليس هذا مما يطلب  
فيه نوع حكمة . وقد قيل : هو أقرب إلى الناس في حق العرب لكثرة ما خلعهم ،  
وهم من أحرف الناس بها . وأيضا : مرافق الإبل أكثر من مرافق الحيوانات الأخرى ،  
ففى ما كره ولبنها مشروب ، وتصلح للعمل والركوب ، وقطع المسافات البعيدة عليها ،  
والصبر على العطش وقلة العلف وكثرة الحمل ، وهى من معظم أموال العرب . وكانوا يسيرون  
على الإبل مفردين مستوحشين عن الناس ، ومن هذا حاله تفكر فيما يحضره ، فقد ينظر

في مركوبه ثم يمد بصره إلى السماء ثم إلى الأرض . فامروا بالنظر في هذه الأشياء ؛ فإنها أدل دليل على الصانع الخفار القادر .

قوله تعالى : **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۝١١**  
**إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۚ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۝١٢ إِنَّ إِلَيْنَا**  
**إِيابَهُمْ ۝١٣ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسابَهُمْ ۝١٤**

قوله تعالى : ( **فَذَكِّرْ** ) أى يعظّمهم بإحمد وخوفهم . ( **إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ** ) أى واطد . ( **لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ** ) أى بمسلط عليهم فتقّطهم . ثم نستخدا آية السيف . وقرأ هارون الأور « **مُصَيِّرٌ** » ( يفتح الطاء ) ، و « **والمسيطرون** » . وهى لسة تميم . وفى الصحاح : « **والمُصَيِّرُ والمُصَيِّرُ** : المسلط على الشيء ليُشرف عليه ويتهدأحواله ويكتب عمله ؛ وأصله من السطر لأن من معنى السطر ألا يتجاوز ؛ فالكتاب مُسَطَّر والذي يفعله مُسَطَّر ومُصَيِّرٌ ؛ يقال : سَطَّرْتُ عليا ، وقال تعالى : « **لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ** » . وسطره أى صرعه . » ( **إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ** ) استثناء منقطع ، أى لكن من تولى من الوصف والتذكير . ( **فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ** ) وهى جهنم الدائم مذابها . وإنما قال « **الأكبر** » لأنهم مُذَبِّبُوا فى الدنيا بالجور والفسخ والأسر والقتل . ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود : « **إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ** » فإنه يعذب الله » . وقيل : هو استثناء متصل . والمعنى : لست بمسلط إلا على من تولى وكفر ، فانت مسلط عليه بالجهاد ، والله يعذب به بعد ذلك العذاب الأكبر ؛ فلا نسخ فى الآية على هذا التقدير . وروى أن علياً أتى برجل ارتد ، فاستتابه ثلاثة أيام فلم يواود الإسلام ، فضرب عنقه وقرأ « **إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ** » . وقرأ ابن عباس وقادة « **أَلَا** » على الاستفتاح والتنبية ؛ كقول أسرى القيس :

• **أَلَا رَبُّ يَوْجَ فَكَ مِنْهُ صَالِحٌ ۝١٥** •

(١) آية ٣٧ سورة العنكبوت . (٢) كذا فى نسخ الأصل ونسخ ابن مادل قلا عن القرطبي . وأتى فى الصحاح : « **وأصله من السطر ؛ لأن الكتاب مسطر...** » .  
 • **ولا سيما وهم بذرة جليل** •  
 (٣) تسمية :

و « من » هل هذا للشرط . والجواب « فَعَلَّيْهُمُ اللَّهُ » والمبتدأ بعد الفاء مصرم ؛  
والقدير : فهو يذبّه الله ؛ لأنه لو أريد الجواب بالفعل الذي بعد الفاء لكان : إلّا مَنْ تولى  
وكَفَر يذبّه الله . ( إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ) أى رجوعهم بعد الموت . يقال : أب يؤوب ؛  
أى يرجع . قال عبيد :

وكلّ ذى غيبة يؤوب \* وغائب الموت لا يؤوب

وقرأ أبو جعفر « إِيَابَهُمْ » بالتشديد . قال أبو حاتم : لا يجوز التشديد ، ولو جاز بلأز  
مثله فى الصيام والقيام . وقيل : هما لغتان بمعنى . الزعشرى : وقرأ أبو جعفر المندى  
« إِيَابَهُمْ » بالتشديد ؛ وجهه أن يكون فعلاً مصدر آيب قيل من الإياب . أو أن يكون  
أصله إياباً فعلاً من أوب ، ثم قيل : إيواباً كديوان فى ديوان . ثم فصل ما فصل بأصل  
سيد ونحوه .

## سورة الفجر

مَكَّة ، ومى ثلاثون آية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَالْفَجْرِ ① وَلَيْلٍ عَشْرِ ②

قوله تعالى : ( وَالْفَجْرِ ) أفسم بالفجر . ( وَلَيْلٍ عَشْرِ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ . وَاللَّيْلِ )  
إذنا يسر ) أقسام خمسة . واختلف فى « الفجر » فقال قوم : الفجرها انشجار الظلمة عن  
التهار من كل يوم ، قاله على وابن الزبير وابن عباس رضى الله عنهم . وعن ابن عباس أيضا  
أنه التهار كله ، وعبر عنه بالفجر لأنه أوله . وقال ابن محيى عن عطية عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>  
بمعنى فجر يوم المحرم . ومثله قال قتادة . قال : هو فجر أول يوم من المحرم ، منه تنفجر السنة .

(١) فى بعض نسخ الأصل : « سبع وعشرون » وفى بعضها : « تسع وعشرون » .

(٢) فى بعض النسخ : « ابن مسعود » .

وعنه أيضاً : صلاة الصبح . وروى ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس قال : « والفجر » يريد صبيحه يوم النحر ؛ لأن الله تعالى جعل ثلثه لكل يوم ليلة قبله إلا يوم النحر لم يحسب له ليلة قبله ولا ليلة بعده ؛ لأن يوم عرفه له ليلتان : ليلة قبله وليلة بعده ، فمن أدرك الموقف ليلة بعد عرفة ، فقد أدرك الحج إلى طلوع الفجر فجر يوم النحر . وهذا قول مجاهد . وقال عكرمة : « والفجر » قال : أنشق الفجر من يوم جمع . وعن محمد بن كعب القرظي : « والفجر » آخر أيام المشر إذا دفعت من جمع . وقال الضحاك : فجر ذى الحجة ؛ لأن الله تعالى قرن الأيام به فقال : « وليالٍ عشر » أى ليل عشر من ذى الحجة . وكذا قال مجاهد والسدي والكلبي في قوله : « وليالٍ عشر » هو عشر ذى الحجة ؛ وقاله ابن عباس . وقال مسروق : هى المشر التى ذكرها الله فى قصة موسى عليه السلام « وَأَمَّا نَحْنُ بِمَشْرِ » <sup>(١)</sup> وهى أفضل أيام السنة . وروى أبو الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والفجر . وليالٍ عشر » — قال — عشر الأضغى " فهى ليل عشر من ذى الحجة ؛ لأن ليلة يوم النحر داخله فيه ؛ إذ قد خصها الله بأرب جعلها موافقاً لمن لم يدرك الوقوف يوم عرفة . وإنما نكرت ولم تعزف لفضيلتها على غيرها ، فلو عرفت لم تستقل بمعنى الفضيلة الذى فى التكبير ، فنكرت من بين ما أقسم به للفضيلة التى ليست لغيرها . والله أعلم . وعن ابن عباس أيضاً : هى المشر الأواخر من رمضان ؛ وقاله الضحاك . وقال ابن عباس أيضاً ويحسان والطبري : هى المشر الأول من المحرم التى عاشرها يوم عاشوراء . وعن ابن عباس : « وليالٍ عشر » (بالإضافة) يريد : وليالٍ أيام عشر .

قوله تعالى : وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ ۚ

الشَّفْعُ الانتان ، والوتر الفرد . واختلف فى ذلك ؛ فروى مرفوعاً عن عمران بن الحصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الشفع والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر » .

(١) هو يوم عرفة . (٢) آية ١٤٢ سورة الأعراف . (٣) فى الجبل عن القرظي ؛ لأنها أفضل أيام السنة . (٤) فى تفسير الأوسى : « وقرأ ابن عباس بالإضافة فضبط بضمهم (وليالٍ عشر) بلام دون ياء ، وبضمهم (وليالٍ) بالياء وهو القياس » .

وقال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والفجر وليال عشر» - قال -  
هو الصبح وعشر النحر والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر. وهو قول ابن عباس وعكرمة .  
واختره النحاس وقال: حديث أبي الزبير عن جابر هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ،  
وهو أصح إسنادا من حديث عمران بن حصين . فيوم عرفة وتر لأنه تاسعها ، ويوم النحر  
شفع لأنه عاشرها . وعن أبي أيوب قال : مثل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى :  
« والشفع والوتر » فقال : « الشفع يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة يوم النحر » . وقال  
جهاهد وابن عباس أيضا : الشفع خلقه ، قال الله تعالى : « وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا <sup>(١)</sup> » والوتر  
هو الله عز وجل . فقيل لجهاهد : أنزوه عن أحد ؟ قال : سمع ، عن أبي سعيد الخدري  
عن النبي صلى الله عليه وسلم . ونحوه قال محمد بن سيرين ومسروق وأبو صالح وقادة قالوا :  
الشفع الخلق ، قال الله تعالى : « وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ <sup>(٢)</sup> » الكفر والإيمان ، والشفاعة  
والسعادة ، والهدى والضلال ، والنور والظلمة ، والليل والنهار ، والحز والبعد ، والشمس  
والقمر ، والصيف والشتاء ، والماء والأرض ، والجن والإنس . والوتر هو الله عز وجل ؛  
قال جل ثناؤه : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم :  
« إِنْ لَيْتَ سَمْعًا وَتَسْمِعُنِ اسْمَا وَهُوَ يُجِيبُ الْوَتْرَ » . وعن ابن عباس أيضا : الشفع صلاة  
الصبح ، والوتر صلاة المغرب . وقال الربيع بن أنس وأبو الصالية : هي صلاة المغرب ،  
الشفع فيها ركعتان ، والوتر الثالثة . وقال ابن الزبير : الشفع يومًا مني : الحادي عشر ،  
والثاني عشر . والثالث عشر الوتر ؛ قال الله تعالى : « قَدْ تَسَبَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا أَتَمَّ عَلَيْهِ  
وَمَنْ تَأْتَرَ فَلَا أَتَمَّ عَلَيْهِ <sup>(٣)</sup> » . وقال الضمك : الشفع عشر ذي الحجة ، والوتر أيام مني الثلاثة .  
وهو قول عطاء . وقيل : إن الشفع والوتر آدم وحواء ؛ لأن آدم كان فردا فشفع بزوجه  
حواء فصار شفعًا بعد وتر . رواه ابن أبي نجيع ، وحكاه الفشيري عن ابن عباس . وفي رواية :  
الشفع آدم وحواء ، والوتر هو الله تعالى . وقيل : الشفع والوتر الخلق ؛ لأنهم شفع ووتر ،

(١) آية ٨ سورة البقرة . (٢) آية ٤٩ سورة القارعات . (٣) آية ٢٠٣ سورة البقرة .

فكانه أقسم بالخلق . وقد يُقسم الله تعالى بأسمائه وصفاته لعلبه ، ويُقسم بأفعاله لقدرته ؛ كما قال تعالى : « وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى <sup>(١)</sup> » . ويُقسم بمفعولاته لسباب صنعه ؛ كما قال : « وَالشَّمْسُ وَنَجْمَاهَا » ، « وَالسَّيِّءُ وَالطَّارِقُ » . وقيل : الشفع درجات الجنة وهي ثمان . والوتر دركات النار ؛ لأنها سبعة . وهذا قول الحسين بن الفضل ؛ كأنه أقسم بالجنة والنار . وقيل : الشفع الصفا والمروة ، والوتر الكعبة . وقال مقاتل بن حيان : الشفع الأيام والليالي ، والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة . وقال سفيان : ابن عيينة : الوتر هو الله ، وهو الشفع أيضا ؛ لقوله تعالى : « مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِمُهُمْ <sup>(٢)</sup> » . وقال أبو بكر الوزاق : الشفع تضاد أوصاف المخلوقين : العز والذل ، والقدرة والسج ، والقوة والضعف ، والعلم والجهل ، والحياة والموت ، والبصر والعمى ، والسمع والصمم ، والكلام والخرس . والوتر انفراد صفات الله تعالى : عز بلا ذل ، وقدرة بلا عجز ، وقوة بلا ضعف ، وعلم بلا جهل ، وحياة بلا موت ، وبصر بلا عمى ، وكلام بلا خرس ، وسمع بلا صمم ، وما وإزاها . وقال الحسن : المراد بالشفع والوتر العدد كله ؛ لأن العدد لا يخلو عنهما ، وهو إقسام بالحساب . وقيل : الشفع مسجد مكة والمدينة ، وهما الحرمان . والوتر مسجد بيت المقدس . وقيل : الشفع القرآن بين الحج والعمرة ، أو التمتع بالعمرة إلى الحج . والوتر الأفراد فيه . وقيل : الشفع الحيوان ؛ لأنه ذكر وأنثى . والوتر الجناد . وقيل : الشفع ما يتجى والوتر ما لا يتجى . وقيل غير هذا ، وقرأ ابن مسعود وأصحابه والكسائي وحمة وخلف « والوتر » بكسر الواو . والباقون ( بفتح الواو ) وهما لفتان بمعنى واحد . وفي الصحاح : الوتر ( بالكسر ) : الفرد ، والوتر ( بفتح الواو ) : النسل <sup>(٣)</sup> . هذه لغة أهل العالية . فأما لغة أهل الحجاز فبالضمة منهم . فأما تميم فبالكسر فعيما .

(١) آية ٧ سورة المجادلة .

(٢) آية ٣ سورة الليل .

(٣) النحل : الحقد والعداوة .

قوله تعالى : **وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِيرٌ ۝ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝**

قوله تعالى : **(وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِيرُ)** وهذا قسم خامس . وبعد ما أقسم بالليل العشر على الخصوص أقسم بالليل على العموم . ومعنى «يسرى» أى يسرى فيه ؛ كما يقال : لَيْلٌ نائمٌ ونهارٌ صائمٌ . قال :

لقد لَمُنَّا يا أمَّ غِلَافٍ في السَّرى • ونَمِتَ وما لَيْلُ المَطَى بِنائِمٍ <sup>(١)</sup>

ومنه قوله تعالى : **«بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»** . وهذا قول أكثر أهل المائى ، وهو قول القتيبي والأخفش . وقال أكثر المفسرين : معنى «يسرى» سار فذهب . وقال قتادة وأبو العالية : جاء وأقبل . وروى عن إبراهيم **«وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِيرُ»** قال : إذا استوى . وقال عكرمة والكوفي ومجاهد ومحمد بن كعب في قوله **«والليل»** : هى ليلة المزدلفة خاصة ؛ لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله . وقيل : ليلة القدر ؛ لسراية الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب فيها . وقيل : إنه أراد عموم الليل كله .

قلت : وهو الأظهر كما تهتم . والله أعلم . وقرأ ابن كثير وأبى محيىن ويعقوب **«يسرى»** بإثبات الياء في الحالين على الأصل ؛ لأنها ليست بمجزومة فتثبت فيها الياء . وقرأ نافع وأبو عمرو بإثباتها في الوصل ، وبمحذفها في الوقف ؛ وروى عن الكسائي . قال أبو عبيد : كان الكسائي يقول مرة بإثبات الياء في الوصل وبمحذفها في الوقف اتباعاً للصحف . ثم رجع إلى حذف الياء في الحالين جميعاً ؛ لأنه رأس آية ، وهى قراءة أهل الشام والكوفة واختيار أبى عبيد اتباعاً لمخط ؛ لأنها وقعت في المصحف بشير ياء . قال الخليل : تسقط الياء منها اتفاقاً لموسى الآلى . قال الفراء : قد تحذف العربُ الياء وتكتفى بكسر ما قبلها . وأشد بعضهم :

كفكك كف ما يليق دهرها • جوداً وأخرى تُعطى بالسيف الدما

(٢) آية ٢٢ سورة ماب .

(١) هذا البيت من قصيدة لفريريد جاء على الفراء .

يقال : فلان ما يليق درهمًا من جوده ؛ أى ما يسكه ولا يَلصق به . وقال المؤرخ : سألت  
الأخفش عن اليلة في إسقاط الياء من « يَسِر » فقال : لا أجيبك حتى تبيت على باب دارى  
سنة ، فبت على باب داره سنة ؛ فقال : الليل لا يسرى وإنما يسرى فيه ؛ فهو مصروف  
وكل ما صرفته عن جهته بخسسته من إعرابه ؛ ألا ترى الى قوله تعالى : « وَمَا كَانَتْ  
أُمِّي بَيْتًا <sup>(١)</sup> » ولم يقل بَيْتَةً لأنه صرفها عن باغية . الزخشرى : وياه « يسرى » تحذف  
في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة ، وأما في الوقف فتختلف مع الكسرة . وهذه الأسماء كلها  
مجروزة بالقسم ، والجواب محذوف ، وهو لِيَمْتَنِينَ ؛ يدل عليه قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَعَلْ  
رَبُّكَ — الى قوله تعالى — فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ مَذَابٍ » . وقال ابن الأنبارى  
هو « إِنَّ رَبَّكَ لَيَالْمِرْصَادِ » . وقال مقاتل : « هل » هنا في موضع إك ، تقديره : إن في ذلك  
قسمًا لذي حِجْر . ذ « هل » على هذا في موضع جواب القسم . وقيل : هى على بابها من  
الاستفهام الذى معناه التقرير كقولك : أَلَمْ أَتَمِّمْ عَلَيْكَ إِذَا كُنْتَ قَدْ أَمَمْتَ . وقيل :  
المراد بذلك التاكيد لما أقسم به وأقسم عليه . والمعنى : بل في ذلك مَنَع لذي حِجْر .  
والجواب على هذا « إِنَّ رَبَّكَ لَيَالْمِرْصَادِ » . أو مُضْمَرٌ محذوف . ومعنى ( لذي حِجْر ) أى لذي  
لُب وعقل . قال الشاعر :

وكيف يُرَبِّي أن تشوب وإنما \* يُرَبِّي من الثنيان من كان ذا حِجْر

كنا قال عامة المفسرين ؛ إلا أن أبا مالك قال : « لذي حِجْر » لذي ستر من الناس . وقال  
الحسن : لذي حِلْم . قال الفراء : الكل يرجع الى معنى واحد ؛ لذي حِجْر ، ولذى عقل ،  
ولذى حلم ، ولذى ستر ؛ الكل بمعنى العقل . وأصل الحِجْر المنع . يقال لمن ملك نفسه  
ومنها : إنه لذي حِجْر ؛ ومنه سُمِّي الحِجْرُ لاعتناعه بصلاته ؛ ومنه حِجْر الحاكم على فلان أى  
منعه وضبطه عن التصرف ؛ ولذلك سُمِّيَت الحِجْرَةُ حِجْرَةً لاعتناح ما فيها بها . وقال القزاة :  
العرب تقول : إنه لذي حِجْر إذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها ؛ كأنه أخذ من حِجْرَتِ على الرجل .

قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِرَمَ ذَاتِ

### الْعِمَادِ ﴿٢﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ أى مالكك وخالفك . ﴿ عَادٍ . إِرَمَ ﴾ قراءة العامة « عاد » مَوْنَا . وقرأ الحسن وأبو العالية « عَادٍ إِرَمَ » مضافا . فن لم يُصِفْ جعل « إِرَمَ » آسمه ولم يصرفه ؛ لأنه جعل عاداً آسم أبيهم وإِرَمَ آسم القبيلة ، وجعله بدلاً منه أو عطف بيان . ومن قرأه بالإضافة ولم يصرفه جعله آسم أمهم أو آسم بلدتهم . وتقديره : عاد أهل إرم . كقوله : « وأسأل القرية » ولم تنصرف - قيلة كانت أو أرضاً - للتعريف والثانيث . وقراءة العامة « إِرَمَ » بكسر الهمزة . وعن الحسن أيضا « عادٍ إِرَمَ » مفتوحتين . وقرئ « عَادَ إِرَمَ » بسكون الراء على التخفيف ؛ كما قرئ « يَزِيدُكُمْ » وقرئ « عَادَ إِرَمَ » ذَاتِ الْعِمَادِ « بإضافة « إِرَمَ » - إلى - « ذَاتِ الْعِمَادِ » والإِرَمَ : العلم . أى عاد أهل ذات العلم . وقرئ « عَادَ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ » أى جعل الله ذات العباد رعيما . وقرأ مجاهد والضحاك وثلاثة « إِرَمَ » بفتح الهمزة . قال مجاهد : من قرأ بفتح الهمزة شبههم بالآرام التى هى الأعلام ، واحدا إِرَمَ . وفى الكلام تقديم وتأخير ؛ أى والفجر وكذا وكذا أى رَبُّكَ لِبَارِئِ الصَّادِ الْم تَر . أى ألم ينته علمك إلى ما فعل رَبُّكَ عاد . وهذه الرؤية رؤية القلب ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد عام . وكان أمر عاد وثمود عندهم مشهورا ؛ إذ كانوا فى بلاد العرب ، ويحجر ثمود موجود اليوم . وأمر فرعون كانوا يسمعون من جيرانهم من أهل الكتاب ، واستغاضت به الأخبار ، وبلاد فرعون متصلة بأرض العرب . وقد تقدم هذا المعنى فى سورة « البروج » وفيها ﴿ عَادٍ ﴾ أى بقوم عاد . فروى شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال : أن كان الرجل من قوم عاد لينتخذ المِصْرَاع من حجارة ، ولو اجتمع عليه نسمائة من هذه الأمة لم يستطيعوا أن يَقْلُوهُ ، وأن كان أحدهم لِيُدْخِل قدمه فى الأرض فتدخل فيها . و « إِرَمَ » قيل هو سام بن نوح ؛ قاله ابن إسحاق . وروى عطاء عن ابن عباس - وحكى عن ابن إسحاق

أيضا - قال : عاد ابن إرم . فإرم على هذا أبو عاد، وعاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح .  
وعلى القول الأول هو أكرم جد عاد . قال ابن إسحاق : كان سام بن نوح له أولاد ، منهم  
إرم بن سام وأرنغشد بن سام . فن ولد إرم بن سام الهللفة والفرعنة والجبارة والملوك الطغاة  
والعصاة . وقال مجاهد : « إرم » أمة من الأمم . وعنه أيضا أن معنى إرم : القديمة . ورواه  
ابن أبي نجيم . ومن مجاهد أيضا أن معناها القوية . وقال قتادة : هي قبيلة من عاد . وقيل :  
هما مدان . فالأولى هي إرم ؛ قال الله عز وجل : « وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى » . فقيل لعقب  
عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح : عاد ؛ كما يقال لبنى هاشم : هاشم . ثم قيل  
للأولين منهم : عاد الأولى ، وإرم تسمية لهم بأسم جدهم . ولبن بعدهم عاد الأخيرة . قال  
ابن الرقيبات :

جَدًا تَلَدًا بَنَاهُ الْوَلَمُ • أَدْرَكَ عَادًا وَقَبْلَهُ إِرَمًا

وقال مقيم : « إرم » إليه جمع عاد وعمود . وكان يقال : عاد إرم وعمود نمود . وكانت  
القبائل تنسب إلى إرم . ( ذَاتِ الْيَدِ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ ) قال ابن عباس في رواية  
عطاء : كان الرجل منهم طوله خمسمائة ذراع ، والقصير منهم طوله ثلثمائة ذراع بذراع نفسه .  
وروى عن ابن عباس أيضا أن طول الرجل منهم كان سبعين ذراعا . ابن العربي : وهو باطل ؛  
لأن في الصحيح : « إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعا في المسواة فلم يزل الخلق ينقص  
إلى الآن » . وزعم قتادة : أن طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعا . قال أبو عبيدة : « ذَاتِ الْيَدِ »  
ذات الطول . يقال : رجل مُعَمَّد إذا كانت طويلا . ونحوه عن ابن عباس ومجاهد .  
وعن قتادة أيضا : كانوا عسكدا لقومهم ؛ يقال : فلان عبيد القوم وعمودهم أى سيدهم .  
وعنه أيضا : قيل لهم ذلك لأنهم كانوا يفتخرون بأبياتهم للأنجب ، وكانوا أهل خيام وأعمدة ،  
يتجمعون النيوث ويطلبون الكلا ، ثم يرجعون إلى منازلهم . وقيل : « ذَاتِ الْيَدِ » أى  
ذات الألية المرفوعة على العمود . وكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور . قال ابن زيد :

(١) في بعض النسخ : « القرية » . (٢) آية ٥٠ سورة النجم .

« ذَاتِ الْيَدِ » يعنى إحكام البنيان بالعمد . وفى المصباح : والعمادُ الأبنية الرفيعة ، تذكر وتؤت . قال عمرو بن كلثوم :

ونحن إذا عمادُ الحى نخرت • على الأحفاض نمنع من يلبثا

والواحدة عمادة . وفلان طويل اليد : إذا كان منزله ممتلئاً لوائره . والأحفاض : جمع حفص ( بالتحريك ) وهو مناع البيت إذا قُفِيَ لِيُجْعَلَ ؛ أى نخرت على المناع . وروى : « من الأحفاض » أى نخرت عن الإبل التى تحمل ثمرى البيت . وقال الضحاك : « ذَاتِ الْيَدِ » ذات القوة والشدة ، مأخوذة من قوة الأعمدة ؛ دليله قوله تعالى : « وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً » . وروى عوف عن خالد الزبى : « إرم ذات اليد » قال : هى دمشق . وهو قول عكرمة وسعيد المقبرى . ورواه ابن وهب وأشهب عن مالك . وقال محمد بن كعب القرظى : « هى الاسكندرية » .

قوله تعالى : أَلَتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ۝

الضمير فى « مِثْلَهَا » يرجع إلى الغيبة . أى لم يخلق مثل القبيلة فى البلاد قوة وشدة ، وصمم أجساد وطول قامة ؛ عن الحسن وضيعة . وفى حرف جسد الله « التى لم يخلق مثلهم فى البلاد » . وقيل : يرجع للدينة . والأقول أظهر ، وعليه الأكثر حسب ما ذكرناه . ومن جعل « إرم » مدينة قدر حذف المعنى : كيف فعل ربك بمدينة ماد إرم ، أو بمد صاحبة إرم . وإرم هى هذا مؤنثة معزفة . واختار ابن العربى أنها دمشق لأنه ليس فى البلاد مثلها . ثم أخذ ينفثها بكثرة مباحها وخيراتها . ثم قال : وإن فى الإسكندرية لعباب ، لو لم يكن إلا المنار فلها مزية الظاهر والباطن على العمدة ، ولكن لما أمثال ، فأما دمشق فلا مثل لها . وقد روى عن مالك أن كتاباً وجد بالإسكندرية فلم يدر ما هو ، فإذا فيه « أنا شداد ابن ماد الذى رفع العماد ، بنيت بها حين لا شيب ولا موت . قال مالك : أن كان تترجمهم

مائة سنة لا يروى فيها جنازة . وذكر عن ثور بن زيد أنه قال : أنا شتاد بن عاد ، وأنا نمت البلاد ، وأنا الذي شددت بذراعى بطن الواد ، وأنا الذي كزت كزرا على سبعة أذرع ، لا يخرج إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وروى أنه كان لعاد أبنان : شتاد وشديد ، فلما وقفرا ، ثم مات شديد ، وخلص الأمر لشتاد فلما ملك الدنيا ودانت له ملوكها ، فسمع بذكر الجنة فقال : أبني مثلها . فبنى إرم في بعض صحارى عدن في ثمانمائة سنة ، وكان عمره تسعمائة سنة . وهي مدينة عظيمة ، قصورها من الذهب والفضة ، وأساطينها من الزبرجد والياقوت ، وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة . ولم يتم بناؤها سار إليها بأهل مملكته ، فلما كان منها على مسيرة يوم ويلة ، بعث الله عليهم صبيحة من السماء فهلكوا . وعرض عبد الله بن قلابة أنه يخرج في طلب إبل له ، فوقع عليها غمل ما قدر عليه مما تم ، وبلغ خبره معاوية فاستحضره ، فقص عليه ، فبعث إلى كعب فساله فقال : هي إرم ذات البلاد ، سيدخلها رجل من المسلمين في زمانك ، أحمر أشقر قصير ، على صاحبه خال وعلى عقبه خال ، يخرج في طلب إبل له ، ثم التفت فأبصر ابن قلابة وقال : هذا والله ذلك الرجل . وقيل : أى لم يخلق مثل أبنية عاد المعروفة بالعمد . فالكتابة للهاد . والهاد على هذا جمع عمد . وقيل : الإرم : الهلاك ، يقال : إرم بنو فلان أى هلكوا ، وقاله ابن عباس . وقرأ الضحاك : « أَرِمَ ذَاتَ الْعِمَادِ » أى أهلكتهم بفعلهم رميا .

قوله تعالى : وَكُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿١﴾

كُمُود هم قوم صالح . و« جَابُوا » : قطعوا . ومنه : فلان يحوب البلاد أى يقطعها . وإنما سمي جيب التميميص لأنه جيب ؛ أى قطع . قال الشاعر وكان قد نزل على ابن الزوير بمكة ، فكتب له بستانين وسقا يأخذها بالكوفة . فقال :

(١) في الأصول : « يزيد » وهو تحريف . (٢) الأساطين : جمع الاسطوانات ، وهي السور والسادية .

(٣) أى التي تجري .

راحت رَوَاحًا قُلُوصِي وهي حامدة • آل الزُّيَير ولم تسدل بهم أحدا  
راحت بستين وَسَقًا في حقيبتها • ما حملت حملها الأذنى ولا السدا  
ما إن رأيت قُلُوصًا قبلها حملت • ستين وَسَقًا ولا جابت به بلدا

أى قطعت . قال المفسرون : أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود . فبنوا من  
المدائن ألفا وسبعائة مدينة كلها من الحجارة . ومن الدور والمنازل ألفي ألف وسبعائة ألف  
كلها من الحجارة . وقد قال تعالى : « وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِينَ »<sup>(١١)</sup> . وكانوا لقوتهم  
يُخرجون الصخور وَيَتَّبِعُونَ الجبال ، ويعملونها بيوتا لأنهم • ( بالوادي ) أى بوادى  
القرى ؛ قاله محمد بن إسحاق . وروى أبو الأشهب عن أبي نضرة قال : أت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم في غزاة تبوك على وادى ثمود ، وهو على فرس أشقر ، فقال : « أسرعوا  
السير فإنكم في وادٍ ملعون » . وقيل : الوادى بين جبال ، وكانوا يتبعون في تلك الجبال  
بيوتا ودورا وأحواضا ، وكل مُتَرَجِّع بين جبال أو تلال يكون مسلكا للسبل ومنفذا فهو وادٍ .

قوله تعالى : وَفَرَعُونَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾

أى الجنود والعساكر والجيوش التى تشد ملكه ؛ قاله ابن عباس . وقيل : كان  
يغضب الناس بالأوتاد ويشدهم بها إلى أن يموتوا ؛ تَجَبَّرَ منه وَعَتُوا . وهكذا فعل بأمراته  
أسية وماشطة ابنته ؛ حسب ما تقدم في آخر سورة « التصرم »<sup>(١٣)</sup> . وقال عبد الرحمن بن زيد :  
كانت له محبرة تُرْفَعُ بِالْكِرَاتِ ، ثم يؤخذ الإنسان فتؤتد له أوتاد الحديد ، ثم يرسل تلك الصخرة  
عليه فتشده . وقد مضى في سورة « ص » من ذكر أوتاده ما فيه كفاية . والحمد لله .

قوله تعالى : الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١٣﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا

الْفَسَادَ ﴿١٤﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٥﴾

قوله تعالى : ( الَّذِينَ طَفَّوْا فِي الْبِلَادِ )<sup>(١)</sup> معنى عادوا وعودوا وفرغوا « طَفَّوْا » أى تجردوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظلم والمدوان . ( فَاتَّخَذُوا فِيهَا الْقَسَادَ ) أى الجور والأذى . و « الَّذِينَ طَفَّوْا » أحسن الوجوه فيه أن يكون في محل النصب على الذم . ويجوز أن يكون مرفوعا على : هم الذين طَفَّوْا ، أو مجرورا على وصف المذكورين : عادوا وعودوا ، وفرغوا . ( قَصَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ) أى أفرغ عليهم وألقى ؛ يقال : صب على فلان خِلْفَةً أى ألغاه عليه . قال الثبابة :

فَصَبَّ عَلَيْهِ اللَّهُ أَحْسَنَ صُنْمِهِ \* وَكَانَ لَهُ مِنْ الْبَرِيَّةِ نَاصِرًا<sup>(٢)</sup>

( سَوْطَ عَذَابٍ ) أى تصيب عذاب . ويقال : شِدَّتْهُ ؛ لأن السَّوْطَ كان عندهم نهاية ما يصب به . قال الشاعر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ \* وَصَبَّ عَلَى الْكُفَّارِ سَوْطَ مَذَابٍ

وقال الفراء : هى كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع المذاب . وأصل ذلك أن السوط هو عذابهم الذى يمدُّون به ، يقرى لكل مَذَابٍ ؛ إذ كان فيه عندهم غاية العذاب . وقيل . معناه مَذَابٍ يخالط القوم والدم ؛ من قولهم : ساطع بسوطه سَوَّطًا أى خلطه ، فهو ساطع . فالسَّوْطُ خلط الشيء بغيره ببعض ؛ ومنه سُمِّيَ السَّوْطُ . وسوطه أى خلطه ، وأكثر ذلك يقال : سوط فلان أموره . قال :

فَسُطِّهَا ذَمِيمَ الرَّأْيِ غَيْرَ مُوقِفٍ \* فَلَسْتَ عَلَى تَسْوِيطِهَا بِمَعَارِفٍ

قال أبو زيد : يقال أموالهم سَوِيطَةٌ بينهم ؛ أى مختلطة . حكاه عنه يعقوب . وقال الزجاج : أى جعل سَوَوطَهُم الذى ضربهم به العذاب . يقال : ساط دابته يسوطها ؛ أى ضربها

(١) اختفت في « نود » فتم من مره وسهم من لم يصره ؛ فن مره ذهب به إلى الحى لأنه اسم صرفي مذكر صى يذكر . ومن لم يصره ذهب به إلى القبية وهى مؤنثة .

(٢) الرواية في البيت كما في ديوانه وشراء النصرانية : \* رَبَّ عَلَيْهِ اللَّهُ ... الخ \* قال الطبرسي شارح الديوان : رَبَّهُ أَتَمُّ . وأصله أن يقال : رجت معروف عن خلاص أربى رأيا إذا أدته عليه ريمته له . و « رَبَّ عَلَيْهِ » دماء مسطوف على ما فيه . وهو مدح في الثناء . وعلى هذه الرواية لاشاهد في البيت .

بسوطه . ومن عمرو بن عبّيد : كان الحسن إذا أتى على هذه الآية قال : إن عند الله أسواطاً كثيرة ، فأخذهم بسوط منها . وقال قتادة : كل شيء عذب الله تعالى به فهو سوط مغلاب .

قوله تعالى : **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ** ﴿١٤﴾

أى يرصد عمل كل إنسان حتى يجازيه به ؛ قاله الحسن وعكرمة . وقيل : أى على طريق العباد لا يفوته أحد . والمرصد والمرصاد : الطريق . وقد مضى في سورة « براءة » والحمد لله . فروى الضحاك عن ابن عباس قال : إن على جهنم سبع قناطر ، يُسأل الإنسان عند أول قنطرة عن الإيمان ، فإن جاء به تاماً جاز إلى القنطرة الثانية ، ثم يُسأل عن الصلاة فإن جاء بها جاز إلى الثالثة ، ثم يُسأل عن الزكاة فإن جاء بها جاز إلى الرابعة . ثم يُسأل عن صيام شهر رمضان فإن جاء به جاز إلى الخامسة . ثم يُسأل عن الحج والعمره فإن جاء بهما جاز إلى السادسة . ثم يُسأل عن صلة الرحم فإن جاء بها جاز إلى السابعة . ثم يُسأل عن المظالم ، وينادي متادياً ألا من كانت له مظالمه فليأت ؛ فيقتص الناس منه ويقتص له من الناس ؛ فذلك قوله عز وجل : **« إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ »** . وقال الثوري : « **لِالْمُرْصَادِ** » يعنى جهنم ؛ عليها ثلاث قناطر : قنطرة فيها الرِّيم ، وقنطرة فيها الأمانة ، وقنطرة فيها الرب تبارك وتعالى .

قلت : أى حكمه وإرادته وأمره . والله أعلم . وعن ابن عباس أيضاً « **لِالْمُرْصَادِ** »

أى يسمع ويرى .

قلت : هذا قول حسن ؛ « يسمع » أفعالهم ونحوهم ، و « يرى » أى يعلم أعمالهم وأسرارهم فيجازى كلّ بعمله . وعن بعض العرب أنه قيل له : أين ربك ؟ فقال : بالمرصاد . وعن عمرو بن عبّيد أنه قرأ هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه الآية فقال : « **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ** » يا أبا جعفر ! نال الزَّحْمَتِي : عَرَّضَ له في هذا النداء بأنه بعض من تُوجد بذلك من

الجائزة ، فله ذره . أى أسد فراس كان بين يديه ؟ يلقى الظلمة بإنكاره ، ويقصع أهل الأهواء والبدع بأحتجابه .

قوله تعالى : فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ⑩ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ⑪

قوله تعالى : ( فَأَمَّا الْإِنْسَانُ ) يعنى الكافر . قال ابن عباس : يريد عبدة بن ربيعة وأبا حذيفة بن المقيرة . وقيل : أسية بن خلف . وقيل : أبى بن خلف . ( إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ ) أى استحنه واختبره بالنعمة . وهما « زائدة صلة » ( فَأَكْرَمَهُ ) بالمال . ( وَنَعَّمَهُ ) بما أوسع عليه . ( فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ) فيفرح بذلك ولا يحمده . ( وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ ) أى امتحنه بالفقر واختبره . ( فَقَدَرَ ) أى ضيق ( عَلَيْهِ رِزْقَهُ ) على مقدار البخل . ( فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ) أى أولانى هواناً . وهذه صفة الكافر الذى لا يؤمن بالبعث ، وإنما الكرامة عنده والهوان بكثرة اللحظ فى الدنيا وقلة . فأما المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته وتوفيجه المؤذى إلى حفظ الآخرة ، وإن وسع عليه فى الدنيا حمده وشكره .

قلت : الآيات صفة كل كافر . وكثير من المسلمين يظن أن ما أعطاه الله لكرامته وفضيلته عند الله ، وربما يقول بجهله : لو لم أستحق هذا لم يطينه الله . وكذا إن قدر عليه يظن أن ذلك لموانه من الله . وقراءة الباقية « فَقَدَرَ » مخففة الدال . وقرأ ابن حاصر مشدداً ، وهما لنتان . والاختيار التخفيف ، لقوله : « وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ » . قال أبو عمرو : « وقدر » أى قدر . و« قدر » مشدداً هو أن يعطيه ما يكفيه ، ولو فعل به ذلك ما قال « ربى أهان » . وقرأ أهل الحرمين وأبو عمرو « رَبِّي » بفتح الراء فى الموضعين . وأسكن الباقون . وأثبت البصري

( ١ ) ز بعض الأصول والبخارى : « نوبه » .

( ٢ ) كذا فى البخارى . وفى الأصول : « يقطع » . وقصع الرزيل فلا تحرقه وسفره .

( ٣ ) آية ٧ سورة البلاق .

وَأَيْنَ يُحْيِي وَيَقُوبُ الْيَاءَ مِنْ « أَكْرَمَ » ، و « أَمَانٌ » فِي الْحَالِ ؛ لِأَنَّهَا أَسَمٌ لَا تُحْذَفُ .  
وَأَهْتَبِهَا الْمَدِينُونَ فِي الْوَصْلِ دُونَ الْوَقْفِ اتِّبَاعًا لِلصَّحْفِ . وَخَيْرُ أَبِي عَمْرٍو فِي إِثْبَاتِهَا فِي الْوَصْلِ  
أَوْ حَذْفِهَا ؛ لِأَنَّهَا رَأْسُ آيَةٍ ، وَحَذْفُهَا فِي الْوَقْفِ نَلَطُ الْمَصْحُفِ . الْبَاقُونَ بِحَذْفِهَا لِأَنَّهَا زُجُمَتْ  
فِي الْمَوْضِعِينَ بِنِيرْيَاءَ ، وَالسُّنَّةُ إِلَّا يَخَالِفُ خَطَّ الْمَصْحُفِ ؛ لِأَنَّهُ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ .

قوله تعالى : **كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ** ﴿١٧﴾ **وَلَا تَحْتَضُونُ**  
**عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ** ﴿١٨﴾ **وَتَأْكُلُونَ التَّرَاتِ أُكْلًا لَمًّا** ﴿١٩﴾ **وَيُجْبِسُونَ**  
**الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ( **كَلَّا** ) رَدٌّ ؛ أَي لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَطَّلُقُ ، فَلَيْسَ الْيَتِيمُ لِفَضْلِهِ وَلَا الْفَقْرُ  
لِهَوَانِهِ ، وَإِنَّمَا الْفَقْرُ وَالْيَتِيمُ مِنْ تَقْدِيرِي وَقَضَائِي . وَقَالَ الْفَرَاهِيدِيُّ : « كَلَّا » فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَى لَمْ  
يَكُنْ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا ، وَلَكِنْ يَحْدِثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْيَتِيمِ وَالْفَقْرِ . وَفِي الْحَدِيثِ :  
« يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَلَّا إِنِّي لَا أَكْرَمُ مَنْ أَكْرَمْتُ بِكَثْرَةِ الدُّنْيَا وَلَا أَعِيزُ مَنْ أَحْنَتُ بِقِلَّتِهَا  
إِنَّمَا أَكْرَمُ مَنْ أَكْرَمْتُ بِطَاعَتِي وَأَعِيزُ مَنْ أَحْنَتُ بِمَعْصِيَتِي » .

قوله تعالى : ( **بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ** ) إخبار عن ما كانوا يصنعونه من منع اليتيم الميراث ،  
وَأَكْلِ مَالِهِ إِسْرَافًا وَإِدَارًا أَنْ يَكْفُرُوا . وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَيَقُوبُ « يُكْرِمُونَ » وَ « يُحْيُونَ »  
وَ « يَأْكُلُونَ » وَ « يُجْبِسُونَ » بِالْيَاءِ ؛ لِأَنَّهُ تَقَرُّمٌ ذِكْرُ الْإِنْسَانِ وَالْمُرَادُ بِهِ الْخَفْسُ ، فَصَبْرُهُ بِلَفْظِ  
الْجَمْعِ . الْبَاقُونَ بِالْيَاءِ فِي الْأَرْبَعَةِ عَلَى الْخَطِّ وَالْمُوَاجَهَةِ ؛ كَأَنَّهُ قَالَ لَمْ ذَلِكَ تَقَرُّمًا وَتَوْجِيهاً .  
وَتَرَكَ أَكْرَامَ الْيَتِيمِ يَدْفَعُهُ عَنْ حَقِّهِ وَأَكْلَ مَالِهِ كَمَا ذَكَرْنَا . قَالَ مِقَاتِلُ : نَزَلَتْ فِي قُدَامَةِ بْنِ  
مَقْلُومٍ وَكَانَ يَتِيمًا فِي حِجْرِ أُمِّهِ بْنِ خُلْفٍ . ( **وَلَا تَحْتَضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ** ) أَي لَا يَأْمُرُونَ  
أَهْلَهُمْ بِطَاعَتِ الْمَسْكِينِ . وَقَرَأَ الْكَوْثِيُّونَ « وَلَا تَحْضُونَ » بفتح التاء والحاء والألف .  
أَي يَحْضِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وَأَسْأَلُهُ تَحْضُونَ خَفِيفٌ إِحْدَى الثَّامِنِ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ طَعْمًا . وَهُوَ  
أَخْتَارُ أَبِي عَيْسَى . وَرَوَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَالشَّيْزِيِّ عَنْ الْكِسَائِيِّ وَالسُّلَمِيِّ « تَحْضُونَ » بِضَمِّ

النساء، وهو تفاعلون من الحَض وهو الحَتَّ . (وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاتِ) أى ميراث البنائى . وأصله الثُّرَاث من وَرِثَ ، فأبدلوا الواو تاء ؛ كما قالوا فى نَجْمِهِ وَنَحْمَةٍ وَنَكَاةً وَنُودَةً ونحو ذلك . وقد تقدم . (أَكَلْنَا) أى شديداً ؛ قاله السَّيِّ . وقيل : «لَمْ» جمعاً ؛ من قولهم : لَمَمْتُ الطعامَ لَمًّا إذا أكلته جمعاً ؛ قاله الحسن وأبو عبيدة . وأصل اللَّمَم فى كلام العرب : الجمع ؛ يقال : لَمَمْتُ الشئَ أَلَمَهُ لَمًّا إذا جمعته ؛ ومنه يقال : لَمْ الله شئَهُ أى جمع ما تفرق من أموره . قال النابغة :

ولست بمسبقي أمّا لا تُلْمِسُهُ \* على شئت أى الرجال المهذب  
ومنه قولهم : إن دارك لَمُومَةٌ ؛ أى تَلَمَّ الناس وترَّبَّهم وتجمَّهم . وقال المِرْزَانِي الطائي يمدح طعنة بن سيف :

لأحببني حَبَّ العُصِيِّ وَلَمَسْنِي \* لَمْ المَدِينِي إلى الكريم المساجد  
وقال الأبيت : أَلَمَّ الجمع الشديد ؛ ومنه تَجَمَّرَ مَلُومٌ ، وكتيبةٌ مَلُومَةٌ . فالأكل يَلْمُ التَّوْبِيدَ فيجمعه لَمْعًا ثم يأكله . وقال مجاهد : يَسْفَهُ سَفَاً . وقال الحسن : يا كل نصيبه ونصيب غيره . قال الحُلَيْبِيَّة :

إذا كَلَفَ لَمَّا يَبِيعُ اللَّذْمُ رَبَّهُ \* فلا قدس الرحمنُ تلك الطواحي

يعنى أنهم يجمعون فى أكلهم بين نصيبهم ونصيب غيره . وقال ابن زيد : هو أنه إذا أكل ماله أَلَمَ بماله غيره فأكله ، ولا يفكر فيما أكل من خبيث وطيب . قال : وكان أهل الشرك لا يورثون النساء ولا الصبيان ، بل يأكلون ميراثهم مع ميراثهم وتُرَاثُهم مع تُرَاثِهم . وقيل : يأكلون ما جمعه الميت من الظلم وهو عالم بذلك ، فَيَلْمُ فى الأكل بين حرامه وحلاله . ويحوز

(١) كذا فى نسخ الأمل ومسم الشعر الرزاني . قال المِرْزَانِي : «وأحبب لقياً» . وفى لسان العرب : «وقال فذكى بن أعيد يمدح ...» . وفى كتاب أشعار الحاسة : «وقال ربيع من بهراء وأحبب فذكى يمدح ...» .  
(٢) فى لسان والحاسة ومسم الشعراء : «وربى» «دم» «بالراء بدل» «ولمى» «لم» «باللام وعلى هذا لاشداده فيه . وقوله «وربى» : أى أصلح حال رثائى . و «المَدِينِي» : البروس تسمى إلى زنجبار ، فإذا زنت إليه تكلف أهلها فى حسن تجهيزها فلا يبرها أهل زنجبار خلا ويقع فى أمرها .

أن ينمّ الوارث الذي غلب بالمال سهلاً مهلاً من غير أن يمرق فيه جيئه، فيُسْرِف في إفناقه.  
ويأكله أكلًا واسعًا، جامعًا بين المشتيات من الأطعمة والأشربة والتواكه كما يضمّن  
الوزنات البطالون. (وَيُحْيُونَ الْمَالَ حَيًّا جَمًّا) أي كثيرا حلاله وحرامه. والجمع الكثير.  
يقال: جم الشيء يجمُّ جمًّا فهو جَمٌّ وجام. ومنه جمُّ الماء في الخوض إذا اجتمع وكثُر.  
وقال الشاعر: <sup>(١)</sup>

إن تَغْيِرَ اللَّهُمَّ تَغْيِرَ جَا • وأى جيد لك لا آتَا

والجَمَّة: المكان الذي يجتمع فيه مائه. والجمُّوم: البئر الكثيرة الماء. والجمُّوم (بالضم)  
المصدر؛ يقال: جم الماء يجمُّ جمًّا إذا كثُر في البئر واجتمع بعد ما استقَى ما فيها.

قوله نصال: كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٣٠﴾

قوله نصال: (كَلَّا) أي ما هكنا يبنى أن يكون الأمر. فهو ردّ لانتباههم على  
الدنيا وجمعهم لها؛ فإن من فعل ذلك يندم يوم تُدَكُّ الأرض ولا ينفع الندم. والك:  
الكسر واللق؛ وقد تقدّم. أي زلزلت الأرض وحركت تحريكًا بعد تحريك. وقال الزجاج:  
أي زلزلت قدلك بعضها بعضًا. وقال المبرد: أي ألصقت وذهب ارتفاعها. يقال: ناقة  
دكاء، أي لا سنام لها، والجمع دكّ. وقد مضى في سورة «الأعراف» و«الحاقة» القول  
في هذا. ويقولون: دُكَّتِ الشيء أي هُدم. قال:

• هل غير غار دَكَّ غارا فأنهدم • <sup>(٢)</sup>

(دَكًّا دَكًّا) أي مرة بعد مرة؛ زلزلت فكسر بعضها بعضًا؛ فكسر كل شيء على ظهرها.  
وقيل: دُكَّتْ جبالها وأنشازها حتى استوت. وقيل: دُكَّتْ أي استوت في الانهيار؛  
فذهب دورها وقصورها وجبالها وسائر أبنيتها. ومنه سُمِّيَ الدكان لاستوائه في الانهيار.  
والدك: حط المرتفع من الأرض بالسط؛ وهو معنى قول ابن مسعود وابن عباس: تمدّ  
الأرض مَدًّا أَدِيمًا.

(١) حواير تراش الخلل.

(٢) راجع ج ٧ ص ٢٧٨ وج ١١ ص ٦٢ و ١٨ ص ٢٦٤

(٣) النار: الجمع الكثير من الناس.

قوله تعالى : وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئْتُكُمْ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾

قوله تعالى : ( وَجَاءَ رَبُّكَ ) أى أمره وقضاؤه ، قاله الحسن . وهو من باب حذف المضاف . وقيل : أى جامع الرب بالآيات العظيمة ؛ وهو كقوله تعالى : « إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا أَنْتُمْ لِقَائِ اللَّهِ فِي غُلُلٍ مِّنَ النَّهَارِ » أى بظلال . وقيل : جعل يحى الآيات عينا له تخفيا لشارب تلك الآيات . ومثله قوله تعالى في الحديث : « يَا بَنِي آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي وَأَنْتُمُوعِدُونَكَ يَوْمَ تَأْتِي وَأَسْتَغْفِيكُمْ لِمَ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ » . وقيل : « وَجَاءَ رَبُّكَ » أى زالت الشبهة ذلك اليوم وصارت المعارف ضرورية ، كما تزل الشبهة والشك عند يحى الشيء الذى كان يشك فيه . قال أهل الإشارة : ظهرت قدرته وأسعولت<sup>(١)</sup> ، والله جل ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان ، وأنى له التحول والانتقال ، ولا مكان له ولا أوان ، ولا يحرق عليه وقت ولا زمان ؛ لأن في جريان الوقت على الشيء نوت الأوقات ، ومن فاته شيء فهو عاجز .

قوله تعالى : ( وَالْمَلَكُ ) أى الملائكة . ( صَفًّا صَفًّا ) أى صفوفا . ( وَجِئْتُكُمْ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ) قال ابن مسعود ومقاتل : تقاد جهنم بسبعين ألف زمام ، كل زمام بيد سبعين ألف ملك ، لها تقيظ وزفير ، حتى تنصب عن يسار العرش . وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ بِسبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يؤمونها » . وقال أبو سعيد الخدري : لما زلت « وحى » يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ « فترى لون رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه ، حتى أشتد على أصحابه ثم قال : « أفراى جبريل » كَلَّا إِنْهَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا - الآية - وحى يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ » قال على - رضى الله عنه : قلت يا رسول الله ، كيف يُمَاء بها ؟ قال : « يُؤْتَى بِهَا تُقَادُ بِسبعين ألف زمام بقود بكل زمام سبعون ألف ملك فَتَشْرُدُ شُرْدَةً لَوْ تَرَكْتَ لِأَحْرَفِ أَهْلِ الْجَمْعِ

(١) فى بعض الأصول : « واستوت » .

(٢) كپ ٢١٠ سورة الفجر .

ثم تعرض لي جهنم فتقول مالي ولك يا محمد إن الله قد حرّم لحلك مني فلا يبقى أحد إلا قال  
قمي قمي ؛ إلا عهد صل الله عليه وسلم فإنه يقول : ربّ ، أمّتي ربّ أمّتي .

قوله تعالى : ( يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ ) أي يتعظ ويتوب . وهو الكافر ، أو من همته  
معظم الدنيا . ( وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ) أي ومن أين له الأخطاء والتوبة وقد توطئ فيها في الدنيا .  
ويقال : أي ومن أين له مضمة الذكري . فلا بد من تحذير حذف المضاعف ، وإلا فيبين  
« يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ » وبين « وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى » تناف ، فانه الزمعي .

قوله تعالى : يَقُولُ يَلْبِغُنِي قَدَمْتُ حَيَاتِي ①

أي في حياتي . فاللام بمعنى في . وقيل : أي قلمت عملا صالحا لحياتي ، أي لحياة  
لا موت فيها . وقيل : حياة أهل النار ليست هيئة فكانهم لا حياة لهم ؛ فالمعنى ياليتني قلمت  
من الخير لحياتي من النار فأكون نعيم له حياة هيئة .

قوله تعالى : غَيَّوْهُمْ بِذَلِكُمْ لَا يُعْلِبُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ ② وَلَا يُوثِقُ

وَأَقْفَرُ أَحَدٌ ③

قوله تعالى : ( يَوْمَئِذٍ لَا يُعْلِبُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ ) أي لا يضرب كعذاب الله أحد ، ولا  
يوثق كوثاقه أحد . والكناية ترجع إلى الله تعالى . وهو قول ابن عباس والحسن . وقرا  
الكسائي « لَا يُضَلُّ » « وَلَا يُوثَقُ » بفتح اللام والثاء ؛ أي لا يضرب أحد في الدنيا  
كعذاب الله الكافر يومئذ ، ولا يوثق كما يوثق الكافر . والمراد إبليس ؛ لأن الدليل قام على أنه  
أشد الناس عذابا لأجل إجرانه ، فأطلق الكلام لأجل ما صحبه من التفسير . وقيل : إنه آية  
ابن خلف ؛ حكاه القرطبي . يعني أنه لا يضرب كعذاب هذا الكافر المعين أحد ، ولا يوثق  
بالسلاسل والأغلال كوثاقه أحد ؛ لتناهيه في كفره وغضابه . وقيل : أي لا يضرب مكانه

(١) حكاه وردت في جميع نسخ الأصل . وفي التبريد ابن طاهر : « ومن همه الدنيا » .

أحد ، فلا يؤخذ منه فداء . والعذاب بمعنى التعذيب ، والوفاق بمعنى الإتيان ، ومنه قول الشاعر :

• وبعد عطاك المائة الزماناً <sup>(١)</sup> •

وقيل : لا يعذب أحد ليس بكافر مذهب الكافر . وأختر أبو عبيد وأبو حاتم فتح الذال والثاء . وتكون الهاء ضمير الكافر ؛ لأن ذلك معروف أنه لا يعذب أحد كمذهب الله . وقد روى أبو قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بفتح الذال والثاء . وروى أن أبا عمرو رجع إلى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم . وقال أبو علي : يجوز أن يكون الضمير للكافر على قراءة الجماعة ؛ أي لا يعذب أحد أصلاً مثل تعذيب هذا الكافر ؛ فتكون الهاء للكافر . والمراد بـ « أحد » الملائكة الذين يتولون تعذيب أهل النار .

قوله تعالى : **يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** ﴿٧٧﴾ **أَرْجِي إِلَيَّ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً** ﴿٧٨﴾ **فَادْخُلِي فِي جَنَّتِي** ﴿٧٩﴾ **وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴿٨٠﴾

قوله تعالى : ( **يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** ) لما ذكر حال من كانت هيمنة الدنيا قائمته الله في إغوائه وإغواره ، ذكر حال من أطاعت نفسه إلى الله تعالى ، فسلم لأمره فأتمك عليه . وقيل : هو من قول الملائكة لأولياء الله عز وجل . والنفس المطمئنة : الساكنة الموقنة ؛ إقننت أن الله ربها فأخبت لذلك ؛ قاله مجاهد وغيره . وقال ابن عباس : أي المطمئنة بشواب الله . وعنه المؤمنة . وقال الحسن : المؤمنة الموقنة . وعن مجاهد أيضاً : الراضية بقضاء الله التي صلت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها ، وإن ما أصابها لم يكن ليخطئها . وقال مقاتل : الآمنة من مذاب الله . وفي حرف أبي بن كعب « **يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** » . وقيل : التي عملت على يقين بما وعد الله في كتابه . وقال ابن كثير : النفس المطمئنة هنا المخلص .

(١) حلا جزيت لقطاي من قصيدة مدح بها زفر بن الحارث ومعه :

• أكفراً بعد ردة الحوت عنى •

والرمان : الإبل الزائنة .

وقال ابن عطاء : العارفة التي لا تصبر عنه طرفة عين . وقيل . المطمئنة بذكر الله تعالى ؛ بيانه  
 « الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ » . وقيل : المطمئنة بالإيمان المصدقة بالبحث  
 والثواب . وقال ابن زيد : المطمئنة لأنها بُثِرَتْ بالجَنَّةِ عند الموت وعند البحث ويوم  
 الجَمْع . وروى عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال : يعني نفس حمزة . والصحيح أنها عامّة  
 في كلّ نفس مؤمن غلبت طائع . قال الحسن البصري : إن الله تعالى إذا أراد أن يقبض  
 روح عبده المؤمن أطمأنت النفس إلى الله تعالى ، وأطمأن الله إليها . وقال عمرو بن العاص :  
 إذا تَوَفَّى المؤمن أرسل الله إليه ملكين وأوصل معهما تحفة من الجنة ، فيقولان لما : « أنعمي  
 أيتها النفس المطمئنة راضية مرضية ومَرْضِيًّا عَنْكَ أَنْعَمِي إِلَى رَوْحِ وَرَبِّحَانِ وَرَبُّ رَاضٍ فِيمِ  
 غَضْبَانِ » فتخرج كأطيب ريح المسك وتجد أحد من آفقه على ظهر الأرض . وذكر الحديث .  
 وقال سعيد بن زيد : قرأ رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم « يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ »  
 فقال أبو بكر : ما أحسن هذا يا رسول الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْمَلَكَ  
 سَيَقُولُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ » . وقال سعيد بن جبير : مات ابن عباس بالطائف ، فجاء طائر لم يَرَّ  
 على شقته طائر قط ، فدخل عشه ، ثم لم يَرَّ خارجاً منه ، فلما دُفِنَ بُكِّيت هذه الآية على شفير  
 القبر - لا يُدْرَى من تلاها - : « يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ، أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً » .  
 وروى الضحاك أنها نزلت في عثمان بن عفان رضى الله عنه حين وقف بَرُوءة . وقيل : نزلت  
 في خبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكة ، وجعلوا وجهه إلى المدينة لحول الله وجهه نحو  
 القبلة . والله أعلم .

ومعنى « (إِلَى رَبِّكِ) » أي إلى صاحبك وجسيدك ؛ قاله ابن عباس وعكرمة وعطاء . واختاره  
 الطبري ؛ ودليله قراءة ابن عباس « فادْخُلِي فِي عِدي » على التوحيد ؛ فيأمر الله تعالى  
 الأرواح غدا أن ترجع إلى الأجساد . وقرأ ابن مسعود « فِي جَسَدِ عِدِّي » . وقال الحسن :  
 أرجعي إلى ثواب ربك وكرامته . وقال أبو صالح : المعنى أرجعي إلى الله . وهذا عند الموت .

( فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ) أى فى أجساد عبادى ؛ دليله قراءة ابن عباس وابن مسعود . قال ابن عباس : هذا يوم القيامة ؛ وقاله الضحاك . والجمهور على أن الجنة هى دار الخلود التى هى مسكن الأبرار ، ودار الصالحين والأخيار . ومعنى « فِي عِبَادِي » أى فى الصالحين من عبادى ؛ كما قال : « لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ » . وقال الأخفش : « فِي عِبَادِي » أى فى حزبى ؛ والمعنى واحد . أى أنتظى فى سلكهم . ( وَادْخُلِي جَنَّتِي ) معهم .

## سورة « البلد »

مَكِّيَّةٌ بِاتِّفَاقٍ . وهى عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ①

يجوز أن تكون « لا » زائدة ؛ كما تقدم فى « لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ » ؛ قاله الأخفش . أى أقسم ؛ لأنه قال : « هَذَا الْبَلَدِ » وقد أقسم به فى قوله : « وَهَذَا الْبَلَدِ الْآخِرِينَ » فكيف يحسد القسم به وقد أقسم به . قال الشاعر :

تَذَكَّرْتُ لَيْلًا فَاغْتَرَقْتُ مَبَابِلَهُ • وكادَ صَيمُ الْقَلْبِ لَا يَنْقَطِعُ

أى ينقطع ودخل حرف « لا » صلة ؛ ومنه قوله تعالى : « مَا مَنَعَكَ آلَافًا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ » ② بدليل قوله تعالى فى ( ص ) : « مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ » . وقرأ الحسن والأعمش وابن كثير « لَا أَقْسِمُ » من غير ألف بعد اللام إثباتا . وأجاز الأخفش أيضا أن تكون بمعنى الآ . وقيل : لبست بنى القسم ، وإنما هو كقول العرب : لا والله لافعلت كذا ، ولا والله ما كان

( ١ ) آية ٩٠ - ودة المنكوت . ( ٢ ) راجع ١٩ ص ٩٠ .

( ٣ ) آية ١٢ سورة الأعراف راجع ٧ ص ١٧٠ ( ٤ ) آية ٧٥ .

كنا، ولا واه لأفعلن كنا . وقيل : هي في صحيح ؛ والمعنى : لا أقسم بهذا البلد إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه . حكاه مكى . ورواه ابن أبي نجیح عن مجاهد قال : « لا » ردّ عليهم . وهذا اختيار ابن العربي ؛ لأنه قال : « وأما من قال إنها ردّ فهو قول ليس له ردّ ؛ لأنه يصح به المعنى ويمكن اللفظ والمراد » . فهو ردّ لكلام من أنكر البعث ثم ابتدأ القسم . وقال القشيري : قوله « لا » ردّ لما توهم الإنسان المذكور في هذه السورة المغرور بالديانة . أى ليس الأمر كما يحسبه من أنه لن يقدر عليه أحد ، ثم ابتدأ القسم . و « البلد » هي مكة أجمعوا عليه . أى أقسم بالبلد الحرام الذى أنت فيه لكرايتك على وحى لك . وقال الواسطي : أى تحلف لك بهذا البلد الذى شرّفته بمكاته فيه حياء ، ويرثك ميثا ، يبنى المدينة . والأقل أصح ؛ لأن السورة نزلت بمكة بأفلق .

قوله تعالى : وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١٢﴾

يعنى في المستقبل ؛ مثل قوله تعالى : « إِنَّكَ مَيْتٌ وَإِنَّهُمْ مَيْتُونَ » . ومثله واسع في كلام العرب . تقول لمن علمه الإكرام والحياء : أنت مكرم محبو . وهو في كلام الله واسع ؛ لأن الأحوال المستقبلية عنده كالخاضرة المشاهدة ؛ وكفالك دليلا قاطعا على أنه لا استقبال ، وأن تفسيره بالحال محال ؛ أن السورة بأفلق مكة قبل الفتح . فروى منصور عن مجاهد « وَأَنْتَ حِلٌّ » قال : ما صنعت فيه من شيء فأنت في حل . وكذا قال ابن عباس : أحل له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء فقتل ابن خطل ومقيس بن صبيابة وغيرهما . ولم يحل لأحد من الناس أن يقتل بها أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى السدي قال : أنت في حل ممن ظالمك أن يقتله . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : أحلت له ساعة من نهار ثم أطيقت وحرمت إلى يوم القيامة ؛ وذلك يوم فتح مكة . وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنا الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة فلم

(١) آية ٣٠ سورة الزمر . (٢) في بعض نسخ الأصل : « شائع »

(٣) هو جد الله ، كان حقيقا بأسماء الكمية ؛ قتله أبو برزة الأسدي بأمر الرسول صلوات الله عليه .

يحل لأحد قبلي ولا يحل لأحد بعدى ولم يحل لي إلا ساعة من نهار<sup>(١)</sup> الحديث . وقد تقدم في سورة «المائدة» . ابن زيد : لم يكن بها أحد حلالا غير النبي صلى الله عليه وسلم . ومثل : وأنت مقيم فيه وهو محك . وقيل : وأنت فيه محسن وأنا عنك فيه راض . وذكر أهل اللغة أنه يقال : رجل حل وحلال ويحل ، ورجل حرام ومحرم وجرم . وقال قتادة : أنت حل به لست بأثم . وقيل : هو ثناء على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أي إنك خير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه ، معرفة منك بحق هذا البيت ؛ لأكالمشركين الذين يرتكبون الكفر بالله فيه . أي أقسم بهذا البيت المعظم الذي قد عرفت حرمة ، فأنت مقيم فيه معظم له غير مرتكب فيه ما يحرم عليك . وقال شريحيل بن سمد : « وأنت حل بهذا البلد » أي حلال ؛ أي هم يحزمون مكة أن يقتلوا بها سيذا أو يمسكسوا بها شجرة<sup>(٢)</sup> ، ثم هم مع هذا يستملون إخراجك وتطك .

قوله تعالى : **وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ** ﴿٢﴾

قال جاهد و قتادة والضحاك والحسن وأبو صالح : « ووالد » آدم عليه السلام . « وما ولد » أي وما نسل من ولده . أقسم بهم لأنهم أعجب ما خلق الله تعالى على وجه الأرض ؛ لما فهم من البيان والتطيق والتدبير ، وفيهم الأنبياء والدعاة إلى الله تعالى ، وقيل : هو إقسام بأدم والصالحين من ذريته ، وأما غير الصالحين فكانهم بهائم . وقيل : الوالد إبراهيم . وما ولد : ذريته ؛ قاله أبو عمران الجوني . ثم يحتمل أنه يريد جميع ذريته . ويحتمل أنه يريد المسلمين من ذريته . قال الفراء : وصلت « ما » للناس ؛ كقوله : « ما طاب لكم » ، وكقوله : « وما خلق الله كرا وألحقني » وهو الخالق لذلك والألحق . وقيل : « ما » مع ما بعدها في موضع المصدر ؛ أي ووالد وولادته ؛ كقوله تعالى : « وَالسَّامِرَ وَمَا بَنَاهَا » . وقال عكرمة وسعيد بن جبير : « ووالد » يعني الذي يولده . « وما ولد »

(١) عند الشجرة وفيها : قطعا باليخنة . واليخنة : سيف يتهن في قطع الشجرة .

(٢) في بعض نسخ الأصل : « وأما الطالحون » -

يعني السافر الذي لا يولد له ؛ وقاله ابن عباس . و « ما » على هذا حتى . وهو بعيد ولا يصح إلا بإخبار الموصول ؛ أي ووالد والذي ما ولد ، وذلك لا يجوز عند البصريين . وقيل : هو عموم في كل والد وكل مولود ؛ قاله عطية السوفي . وروى عنه عن ابن عباس أيضا . وهو اختيار الطبري . قال الماوردي : ويحتمل أن الوالد النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره ، وما ولد أمته لقوله عليه السلام : « إنا أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم » . فاقسم به وبأمنته بعد أن أقسم ببلده ؛ مبالغة في تشريعه عليه السلام .

قوله تعالى : لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝

إلى هنا انتهى القسم ؛ وهذا جوابه . والله أن يقيم بما يشاء من مخلوقاته لتعظيمها كما قسم . والإنسان هنا ابن آدم . ( في كَبَدٍ ) أي في شدة وعناء من مكابدة الدنيا . وأصل الكَبَد الشدة . ومنه تَكَبَّدَ اللَّيْلُ : ظَلَّ وَشَرَّ وَأَشَدَّ . ومنه الكِبْد ؛ لأنه دُمٌ تَنْظَفُ وَأَشَدُّ . ويقال : كابدت هذا الأمر : قاسيت شدة . قال لبيد :

يَا مَيِّتَ هَلَّا بِكَيِّتِ أَرْبَدٍ إِذْ • قُنَّا وَقَامَ الْخَصُومُ فِي كَبَدٍ

قال ابن عباس والحسن : « في كَبَدٍ » أي في شدة ونصب . وعن ابن عباس أيضا : في شدة من حمله وولادته ورضاعه ونبت أسنانه ، وغير ذلك من أحواله . وروى عكرمة عنه قال : متصبيا في بطن أمه . والكَبْدُ الاستواء والاستقامة . فهذا أمتان عليه في الخلقة . ولم يخلق الله جل ثناؤه دابة في بطن أمها إلا مُنَكَّبَةً على وجهها إلا ابن آدم ؛ فإنه متصبب آتصبا ؛ وهو قول اللخمي ومجاهد وغيرهما . ابن كيسان : متصبيا رأسه في بطن أمه ؛ فإذا أذن الله أن يخرج من بطن أمه قلب رأسه إلى رجل أمه . وقال الحسن : يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة . وعنه أيضا : يكابد الشكر على المراء ويكابد الصبر على الضراء ؛ لأنه لا يخلو من أحدهما . ورواه ابن عمر . وقال يمان : لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم ؛ وهو مع ذلك أضعف الخلق . قال علماؤنا : أول ما يكابد قطع سرته ، ثم إذا

نُفِطَ قَسَامًا وَشُدَّ رِبَاعًا يَكَابِدُ الضَّيْقَ وَالْحَبَّ ، ثُمَّ يَكَابِدُ الْأَرْتَضَاعَ وَلَوْ فَاتَهُ لَضَاعُ ، ثُمَّ يَكَابِدُ  
 نَبْتَ أَسْنَانِهِ وَتَحْرُكَ لِسَانِهِ ، ثُمَّ يَكَابِدُ الْفِطَامَ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْقَطَامِ ، ثُمَّ يَكَابِدُ الْخِثْلَانَ  
 وَالْأَوْجَاعَ وَالْأَحْزَانَ ، ثُمَّ يَكَابِدُ الْمُسْلِمَ وَصَوْلَتَهُ ، وَالْمُؤَذَّبَ وَسِيَاسَتَهُ ، وَالْأَسَدَ وَهَيْجَتَهُ ،  
 ثُمَّ يَكَابِدُ شَغْلَ التَّرْوِيجِ وَالتَّجْبِيلِ فِيهِ ، ثُمَّ يَكَابِدُ شَغْلَ الْأَوْلَادِ وَالْخُدَمِ وَالْأَجْنَادِ ، ثُمَّ يَكَابِدُ  
 شَغْلَ الدُّورِ وَبِنَاءَ الْقُصُورِ ، ثُمَّ الْكَبِيرَ وَالْحَسْرَ وَضَعْفَ الرِّكْبَةِ وَالْقَدَمِ ، فِي مَصَائِبَ يَكْثُرُ  
 تَعْدَادُهَا ، وَنَوَائِبَ يَطُولُ إِرَادُهَا ، مِنْ صُدَاعِ الرَّأْسِ ، وَوَجَعِ الْأَضْرَاسِ ، وَرَمَدِ الْعَيْنِ ،  
 وَغَمِّ الْقَلْبِ ، وَوَجَعِ السِّنِّ ، وَالْمِ الْأَذْنِ . وَيَكَابِدُ حِمْنًا فِي الْمَالِ وَالنَّفْسِ ، مِثْلَ الضَّرْبِ  
 وَالْحَلَسِ ، وَلَا يَمُضِي عَلَيْهِ يَوْمٌ إِلَّا يَهَامِسَ فِيهِ شَيْئًا ، وَلَا يَكَابِدُ إِلَّا مَشَقَّةً ، ثُمَّ الْمَوْتَ بَعْدَ  
 ذَلِكَ كُلِّهِ ، ثُمَّ مَسَاعِلَةُ الْمَلِكِ ، وَضَغْطَةُ الْقَبْرِ وَظِلْمَتُهُ ، ثُمَّ الْبَيْتَ وَالْفَرَضَ حُلَّ اللَّهِ إِلَى أَنْ يَسْتَقِرَّ  
 بِهِ الْقَرَارُ ، إِمَّا فِي الْجَنَّةِ وَإِمَّا فِي النَّارِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَيْدٍ » فَلَوْ كَانَ  
 الْأَمْرُ إِلَيْهِ لَمَا اخْتَارَ هَذِهِ الشَّدَائِدَ . وَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ لَهُ خَالِقًا دَبَّرَهُ ، وَقَضَى عَلَيْهِ هَذِهِ  
 الْأَحْوَالَ ؛ فَلْيَمْتَلِئْ أَمْرَهُ . وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : الْإِنْسَانُ هَذَا أَدَمُ . وَقَوْلُهُ : « فِي كَيْدِهِ » أَيْ فِي وَسْطِ  
 السَّمَاءِ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : إِنْ هَذَا تَزَلَّ فِي رَجُلٍ مِنْ بَنِي جَمَحٍ ؛ كَانَ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْأَشْدِينَ ، وَكَانَ  
 يَأْخُذُ الْأَدِيمَ الْمَكْنِيَّةَ فَيَجْصِلُهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، يَقُولُ : مَنْ أَزَالِي عَنْهُ فَلَهُ كَذَا . فَيَجْصِلُهُ عَشْرَةً  
 حَتَّى يَمُوتَ وَلَا تَزُولُ قَدَمَاهُ ؛ وَكَانَ مِنْ أَعْدَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِيهِ تَزَلُّ « يَتَحَسَّبُ أَنْ  
 لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ » بِعَنِي لِقَوِّهِ . وَرَوَى عَنْ أَبِي هَبَاسٍ . وَمَعْنَى « فِي كَيْدٍ » أَيْ شَدِيدًا ،  
 بِعَنِي شَدِيدَ الْخَلْقِ ؛ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ رِجَالِ قُرَيْشٍ . وَكَذَلِكَ رُكْنَةُ بْنُ هَاشِمٍ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ،  
 وَكَانَ مِثْلًا فِي الْبَاسِ وَالشَّدَةِ . وَقِيلَ : « فِي كَيْدٍ » أَيْ جَرَى الْقَلْبِ ، فَلْيُظِلِّ الْكَبِدَ مَعَ ضَعْفِ  
 خَلْقَتِهِ وَهَيْجَتِهِ مَا ذَمَّهُ . أَبُو هَاشِمٍ : فِي ظِلْمَةِ وَجْهِهِ . التَّرِيدِيُّ : مُضِيعًا مَا يَعْنِيهِ ، مُشْتَقًّا  
 بِمَا لَا يَعْنِيهِ .

( ١ ) فِي نَسْخَةٍ مِنْ نَسَخِ الْأَصْلِ وَمِثَالِ الْجَمَلِ : « ثُمَّ يَكَابِدُ شَغْلَ التَّرْوِيجِ وَالتَّجْبِيلِ فِيهِ وَالتَّرْوِيجَ . »

( ٢ ) كَذَا فِي نَسَخِ الْأَصْلِ . وَفِي الْكُتُبِ وَوُجُوهِ الْمَانِ وَالْيَخَازِي وَالطَّلِي : « أَبُو الْأَشَدِّ » .

قوله تعالى : **أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ** ﴿١﴾ **يَقُولُ أَهْلَكْتُ**  
**مَالًا لُبْدًا** ﴿٢﴾ **أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ** ﴿٣﴾ **أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ** ﴿٤﴾  
**وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ** ﴿٥﴾

قوله تعالى : **(أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ)** أي ايظن ابن آدم أن لن يماقيه الله عز وجل . **(يَقُولُ أَهْلَكْتُ)** أي أفقت . **(مَالًا لُبْدًا)** أي كثيرا مجتمعا . **(أَيَحْسَبُ)** أي ايظن . **(أَنْ لَمْ يَرَهُ)** أي أن لم يماينه **(أَحَدٌ)** بل علم الله عز وجل ذلك منه ، فكان كاذبا في قوله : **أهلكت** ، ولم يكن أفقه . وروى أبو هريرة قال : **وقوف العبد فيقال ماذا عملت في المال الذي رزقك ؟ فيقول : أفقته وزكيت . فيقال : كأنك إنما فعلت ذلك ليقال بغيري فقد قيل ذلك . ثم يؤمر به إلى النار . وعن سعيد عن قتادة : إنك مسؤل عن مالك من أين جمعت ، وكيف أفقت . وعن ابن عباس قال : كان أبو الأشد بن يهول أفقت في مداوة عبد مالا كثيرا ، وهو في ذلك كاذب . وقال مقاتل : نزلت في الحارث بن حازم بن نوفل ، أذنب فأستغنى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمره أن يكفر . فقال : لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين عبد . وهذا القول منه يمتثل أن يكون استطلاعا بما أنفق فيكون طعنا منه ، أو أسفا عليه فيكون ندماء منه . وقرأ أبو جعفر **«مَالًا لُبْدًا»** بتشديد الباء مفتوحة على جمع لا بد ، مثل راح وركع ، وساجد ومجيد ، وشاهد وشهد ، ونحوه . وقرأ مجاهد وحيد بضم الباء واللام خفيا جمع لود . الباقون بضم اللام وكسرها وفتح الباء خفيا جمع لبدة وليدة ، وهو ما لبث ، يريد الكثرة . وقد مضى في سورة «الجن» القول فيه <sup>(١)</sup> . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ **«أَيَحْسَبُ** بضم السين في الموضعين . وقال الحسن : يقول ألفت مالا كثيرا فن يماسين به ؛ دعني أحسبه . ألم يعلم أن الله قادر على محاسبته ، وأن الله عز وجل يرى صليبه ثم مكده عليه نعمه فقال : **(أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ)** يصر بهما **(وَلِسَانًا)** ينطق به . **(وَشَفَتَيْنِ)** يسترهما**

نوره، والمعنى: نحن فعلنا ذلك، ونحن نقدر على أن نبعثه ونحيي عليه ما عمله . وقال أبو حازم قال النبي صلى الله عليه وسلم : <sup>١٠</sup> « إن الله تعالى قال يا ابن آدم إن نازلك لسألك فيما حرمت عليك فقد أعطتك عليه بطبقين فأطبق وإن نازلك بصرّك فيما حرمت عليك فقد أعطتك عليه بطبقين فأطبق . وإن نازلك فربك إلى ما حرمت عليك فقد أعطتك عليه بطبقين فأطبق » .  
والشفة أصلها شفةٌ، حذفت منها الهاء، وتصغيرها شُفَيْةٌ ، والجمع شَفَاهٌ . ويقال : شَفَهْتَ وشَفَوْتَ ، والهاء أقيس ، والواو أعم تسبها بالسنوات . وقال الأزهري : يقال هذه شفةٌ في الوصل وشفهٌ ، بالهاء والهاء . وقال قتادة : يتم الله ظاهرةً يترك بها حتى تنكر .

قوله تعالى : وَهَدَيْنَاهُ آلَ يَعْقَبَ <sup>(١١)</sup>

يعنى الطريقين : طريق الخير وطريق الشر . أى يبتأها له بما أرسلناه من الرسل . والتبديد : الطريق في ارتضاع . وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما . وروى قتادة قال : ذُكِرَ لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : <sup>١٢</sup> « يا أيها الناس إنما هما التبتدان تجد الخير وتجد الشر فلم تجعل تجد الشر أحب إليك من تجد الخير » ، وروى عن حكيمه قال : التبتدان التبتدان ، وهو قول معبد بن المسيب والضحاك ، وروى عن ابن عباس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما : لأئهما كالطريقين لحياة الولد وروقه . فالتبديد البؤس وجمعه بُجُودٌ ومنه بُمِيتَ « نجد » لأرقاعها عن انخفاض تهامة . فالتبتدان : الطريقان العاليان . قال امرؤ القيس :

فريقان منهم جازع بطن نخلة <sup>(١١)</sup> • وأمر منهم قاطع تجد كَيْبِ

قوله تعالى : فَلَا أَفْتَحَمَ الْعَقَبَةَ <sup>(١١)</sup>

أى فهلا أفتق ماله الذى يزعم أنه أفتقه في مداوة محمد ، هلا أفتقه لاقتحام العقبة فيما من . والافتحام : الوثب بالنفس في شيء من غير روية ؛ يقال منه : فتم في الأمر تحوماً أى رمى

(١) كذا في الأصل وديوان امرئ القيس : وفي اللسان (مادة نجد) :

• غداة غدرا فذاك بطن نخلة •

والجاذع : الفاعل . و بطن نخلة : موضع بين مكة والطائف . وكعب : الجبل الأحمر الذى يجمل به يترك إذا دقت بكرة .

بنفسه فيه من غير روية . وقسم الفرص فآرسه تنجياً على وجهه إذا رماه . وتصح النسي في الشيء إدخالها فيه من غير روية . والقحمة ( بالضم ) المهلكة والسنة الشديدة . يقال : أصابت الأعراب القحمة ؛ إذا أصابهم حَقَط فدخلوا الرِّيف . والقُصم : صباب الطريق . وقال الفراء والزجاج : وذكر « لا » مرة واحدة ، والعرب لا تكاد تُعزَد « لا » مع الفعل الماضي في مثل هذا الموضع حتى يبيدوها في كلام آخر ؛ كقوله تعالى : « فَلَا صِدْقَ وَلَا صِلَى » وَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » . وإنا أنفردوا بالدلالة آخر الكلام على معناه ؛ فيجوز أن يكون قوله : « ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا » قائماً مقام التكرير ؛ كأنه قال : فلا أقصم العقبة ولا آمن . وقيل : هو جار مجرى الدعاء ؛ كقوله : لا نجأ ولا سلم . ( وما أدراك ما العقبة ) قال سفيان بن عيينة : كل شيء قال فيه « وما أدراك » فإنه أخبر به ، وكل شيء قال فيه « وما يدريك » فإنه لم يخبر به . وقال : معنى « فَلَا أَقْصَمَ الْعُقَبَةَ » أى فلم يقصم العقبة ؛ كقول زهير :

وكان طوى كُفْماً على مُسْتَكِنَةٍ . فلا هو أبداها ولم يتَقَلَّمْ

أى فلم يُبدعها ولم يتقدم . وكذا قال المبرد وأبو علي . « لا » بمعنى لم . وذكره البخاري من مجاهد . أى فلم يقصم العقبة في الدنيا فلا يحتاج إلى التكرير . ثم قسر العقبة وركوبها فقال : « فَكَ رَقَبَةٍ » وكذا وكذا ؛ فبين وجوهاً من القرب المسالية . وقال ابن زيد وجهاً من للمفسرين : معنى الكلام الاستغهام الذى معناه الإنكار ؛ تقديره : أفلا أقصم العقبة ، أو هلّا أقصم العقبة . يقول : هلّا أفق ماله في فك الرقاب وإطعام السفيان ليجاوز به العقبة ؛ فيكون خيراً له من إضافته في صلاوة عبد صل الله عليه وسلم . ثم قيل : اقتسام العقبة هاهنا ضربٌ مثل ، أى هلّا تحتمل عظام الأمور في إفاق ماله في طاعة ربه والإيمان به . وهذا إنما يليق بقول من حل « فَلَا أَقْصَمَ الْعُقَبَةَ » على الدعاء ؛ أى فلا نجأ ولا سلم من لم يُنفق ماله في كذا وكذا . وقيل : شبه عظم الذنوب وقيلها وشلتها ببقية ، فإذا أفق رقبة وعمل صالحاً كان مثله كشل من أقصم العقبة ، وهى الذنوب التى تضره وتؤذيه وتثقله . قال

ابن عمر : هذه العقبة جبل في جهنم . وعن أبي رجا قال : بلغنا أن العقبة مصعدها سبعة آلاف سنة ومهبطها سبعة آلاف سنة . وقال الحسن وقادة : هي عقبة شديدة في النار دون الجسر ، فأقحموها بطاعة الله . وقال مجاهد والضحاك والكوفي : هي الصراط يُضرب على جهنم كحد السيف ، مسيرة ثلاثة آلاف سنة ، سهلاً وصعوداً وهبوطاً . واقتحامه على المؤمن كما بين صلاة العصر إلى العشاء . وقيل : اقتحامه عليه قدر ما يصل صلاة المكتوبة . وروى عن أبي الدرداء أنه قال : إن وراءنا عقبة ، أنجى الناس منها أخفهم تحلاً . وقيل : النار نفسها هي العقبة . فروى أبو رجا عن الحسن قال : بلغنا أنه ما من مسلم يعتق رقبة إلا كانت فداءه من النار . وعن عبد الله بن عمر قال : من اعتق رقبة اعتق الله من أجل بكل عضو منها عضواً منه . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” من اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضواً من أعضائه من النار حتى قرّجه بفرجه “ . وفي الترمذي عن أبي أمامة وغيرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” أيما أمرئ مسلم اعتق أمراً مسلماً كان فكأكه من النار يجزي كل عضو منه عضواً منه وأيما امرأة مسلمة اعتقت امرأة مسلمة كانت فكأها من النار يجزي كل عضو منها عضواً منها “ . قال : هذا حديث حسن صحيح غريب . وقيل : العقبة خلاصه من هول المرض . وقال قتادة وكعب : هي نار دون الجسر . وقال الحسن : هي والله عقبة شديدة ؛ مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان . وأشدّ بهمهم :

إِن يُلِيَ بِأَرْبَعِ رِيَسَتِي • بِالْبَيْلِ قَدْ نَصَبُوا عَلَيَّ شِرَاكَا  
إِلَيْسَ وَالِدُنِيَا وَنَفْسِي وَالْمَسْوَى • مَنْ أَيْتَ أَرْجُو يَنْهِنُ فَكَاكَا  
يَا رَبِّ سَاعِدْنِي بِمَفْزِعِي إِيَّي • أَصْبَحْتُ لَا أَرْجُو لِمَنْ سِوَاكَ

قوله تعالى : وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٦﴾

فيه حذف ؛ أي وما أدراك ما اقتحام العقبة . وهذا تعظيم لا التزام أمر الدين ؛ والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ليحمله اقتحام العقبة . قال الفشيري : وحمل العقبة على

عقبة جهنم بيد؛ إذ أحد في الدنيا لم يقتحم عقبة جهنم؛ إلا أن يُحمل على أن المراد فعلاً صير نفسه بحيث يمكنه اقتحام عقبة جهنم فعلاً . واختار البخاري قول مجاهد : إنه لم يقتحم العقبة في الدنيا . قال ابن العربي : « وإنما اختار ذلك لأجل أنه قال بعد ذلك في الآية الثانية : «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ» ، ثم قال في الآية الثالثة : «فَلْكَ رَقَبَةٌ» ، وفي الآية الرابعة «أَوْ إِبْطَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَعْقَبَةٍ» ، ثم قال في الآية الخامسة : «وَقَبًا ذَا مَعْرَبَةٍ» ، ثم قال في الآية السادسة : «أَوْ مِصْبَكًا ذَا مَرَبَةٍ» ، فهذه الأعمال إنما تكون في الدنيا . المعنى : فلم يأت في الدنيا بما يسهل عليه سلوك العقبة في الآخرة . »

قوله تعالى : **فَلْكَ رَقَبَةٌ** ﴿١٧﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : **(فَلْكَ رَقَبَةٌ)** فكما خلاصتها من الأسر . وقيل : من الزن . وفي الحديث : «فَلْكَ الرَقَبَةُ أَنْ تُعَيِّنَ فِي شَيْءٍ» من حديث البراء . وقد تقدم في سورة «براءة» . والْقَبْدُ : هو حَلُّ الْقَيْدِ ، وَالرَّقْدُ قَيْدٌ . وسمى المرقوق رقبة ؛ لأنه بالرق كالأسير المربوط في رقبته . وسمى عقبتها فكاً كفك الأسير من الأسر . قال حسان :

كَمِ مِنْ أَسِيرٍ فَكَّكَتْهُ بِلَا ثَمَنِ • وَجَزَّ نَاصِيَةً كَمَا مَوَالِيهَا

وروى عقبة بن عامر الجهني : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من أعتق رقبة مؤمنة كانت فداؤه من النار» . قال الماوردي : ويحتمل ثانياً أنه أراد فك رقبته وخلاص نفسه بإجتنب المعاصي وفعل الطاعات ؛ ولا يتمتع الخمر من هذا التأويل ، وهو أشبه بالصواب .

الثانية — قوله تعالى : **(رَقَبَةٌ)** قال أصبغ : الرقبة الكافرة ذات الثمن أنفصل في الثمن من الرقبة المؤمنة القليلة الثمن ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل أي الرقاب أفضل ؟ قال : «أغلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها» . ابن العربي : «والمراد في هذا الحديث من

المسلمين ، بدليل قوله عليه السلام : "من أعتق أمراً مسلماً" و "من أعتق رقبة مؤمنة" وما ذكره أصح ومثله ، وإنما نظر إلى تنقيص المال ، والنظر إلى تحرير المعتق للعبادة وتغريته للتوحيد أولاً .

الثالثة - العتق والصدقة من أفضل الأعمال . وعن أبي حنيفة : أن العتق أفضل من الصدقة . وعند صاحبه الصدقة أفضل . والآية أدل على قول أبي حنيفة ؛ لتقديم العتق على الصدقة . وعن الثوري في رجل عنده فضل فقة : أبطمه في ذى قرابة أو يتق رقبة ؟ قال : الرقة أفضل ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "مَنْ فَتَّ رَقَبَةً فَكَ اللهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهَا عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ" .

قوله تعالى : أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ( أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ) أى جماعة . والسبب الجوع . والسابع : الخانع ، - وقرأ الحسن « أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذَا مَسْغَبَةٍ » بالالف في « ذاء » - وانشد أبو عبيدة :

فلو كنت جاراً يا بن قيس بن عاصم • لما بت شبعاناً وجارك ساعياً

وإطعام الطعام فضيلة ، وهو مع السبب الذى هو الجوع أفضل . وقال الثوري في قوله تعالى : « أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ » قال : في يوم عزيز فيه الطعام . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من موجبات الرحمة إطعام المسلم السفيان" . ( يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ) أى قرابة . يقال : فلان ذو قرابتى وذو مقربتى . يعلمك أن الصدقة على القرابة أفضل منها على غير القرابة ، كما أن الصدقة على اليتيم الذى لا كافل له أفضل من الصدقة على اليتيم الذى يجد من يكفله . وأهل اللغة يقولون : سُمِّيَ يَتِيمًا لضعفه . يقال : يَتَمُّ الرجل يَتَمًا إذا ضَعُفَ .

(١) كذا في الأصول وابن جرير ، ولعلها مرة من الرجل وهو الضعيف . وقيل اليتيم (اليتيم) يَتَمُّ (بالكسر) ويَعْلَمُ (بالفتح) ؛ إذا ذهب وجه إليه . ويجوز أن يكون بمعنى سبب ضعفه . (٢) كذا في الأصول . يريد : فلو كنت جاراً فتما بعتى الجوار لما حدث هذا .

وذكروا أن اليتيم في الناس من قيل الأب ، وفي البهائم من قيل الأمهات . وقد مضى في سورة «البقرة» مستوف ، وقال بعض أهل اللغة : اليتيم الذي يموت أبواه . وقال عيسى ابن الملوح :

إلى الله أشكو فقد لئلي كما شكا \* إلى الله فقد والوالدين يتيم

قوله تعالى : ( أَوْ يَسْكِنُوا ذَا مَرْثَةٍ ) أى لا شيء له ، حتى كأنه قد لصق بالتراب من الفقر ، ليس له ماوى إلا التراب . قال ابن عباس : هو المطروح على الطريق الذي لا بيت له . مجاهد : هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره . وقال قتادة : إنه ذوالعيال . مكرمة : للمدين . أبو سنان : ذوالزمانة . ابن جبير : الذي ليس له أحد . وروى مكرمة عن ابن عباس : ذوالمرتبة البعيدة القرية ، يعنى الغريب البعيد عن وطنه . وقال أبو حامد الخوارزمي : المرتبة هنا من التريب ، وهى شدة الحال . يقال تريب إذا افتقر . قال الهذلي :

وتما إذا ما الشيف حل بأرضنا \* سفكا دماء البذن في تربة الحال

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي «فَكَ» بفتح الكاف على الفعل الماضى «رقية» نصباً لكونها مفعولاً «أو أطعم» بفتح الهمزة ونصب الميم من غير ألف مل الفعل الماضى أيضاً بقوله : «لَمْ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» فهذا إشكل . «فَكَ وَأَطَعَم» . وقرأ الباقر «فَكَ» رفعاً على أنه مصدر فككت . «رقية» خفض بالإضافة . «أو إطعم» بكسر الهمزة وألف وفتح الميم وتوניה على المصدر أيضاً . واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ، لأنه تفسير لقوله تعالى : «وما أدراك ما الحق» ثم أخبره فقال : «فَكَ رقية» أو إطعم . المعنى : أكتاحم العقبة فك رقية أو إطعم . ومن قرأ بالنصب فهو محمول على المعنى ؛ أى ولا فك رقية ولا أطعم في يوم فامسقية ؛ فكيف يجاوز العقبة . وقرأ الحسن وأبو رجاء : «ذامسقية» بالنصب على أنه مفعول «إطعم» أى يطعمون ذامسقية و «يتيا» بدل منه . الباقر «ذى مسقية» فهو صفة ل «يوم» . ويجوز أن يكون قراءة النصب صفة لموضع الجار والمجرور ؛ لأن قوله : «في يوم» ظرف منصوب الموضع ، فيكون وصفاً له مل المعنى دون اللفظ .

قوله تعالى : **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ ۝١٧ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعَاثِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ۝٢٠**

قوله تعالى : **(ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا)** بئى أنه لا يقتصر العقبة من فك رقبة أو أظم في يوم فاسفة حتى يكون من الذين آمنوا، أى صدقوا، فإن شرط قبول الطاعات الإيمان بالله. فالإيمان بالله بعد الإخفاق لا ينفع، بل يجب أن تكون الطاعة مصحوبة بالإيمان، قال الله تعالى في المنافقين : **«وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»** . وقالت عائشة : يا رسول الله، إن ابن جُدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم الطعام، ويكف العاني ويسقى الرقاب، ويصل على إلهه، فهل ينفعه ذلك شيئا ؟ قال : **«لا، إنه لم يقل يوما رب أغفر لي خطيئتي يوم الدين»** . وقيل : **«ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا** أى فعل هذه الأشياء وهو مؤمن، ثم بقي على إيمانه حتى الوفاة، نظيره قوله تعالى : **«وَأَنَّى لَتَفَارِغْنَ ثَابَ وَأَمْنٌ وَتَحْمِلُ صَالِحًا ثَمَّ آمَنَدِي»** . وقيل : المعنى ثم كان من الذين يؤمنون بأن هذا نافع لهم عند الله تعالى . وقيل : أتى بهذه القرب لوجه الله ، ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم . وقد قال حكيم بن حزام بعد ما أسلم : يا رسول الله ، إنا كنا نقعش بأعمال في الجاهلية ، فهل لنا منها شيء ؟ فقال عليه السلام : **«أسلمت على ما أسلفت من الخير»** . وقيل : إن **«ثُمَّ»** بمعنى الواو ، أى وكان هذا المعتق الرقبة والمطعم في المسببة من الذين آمنوا **(وَتَوَاصَوْا)** أى أوصى بعضهم بعضا . **(وَالصَّبْرُ)** على طاعة الله وعن معاصيه ، وعلى ما أصابهم من البلايا والمصائب . **(وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ)** أى بالرحمة على الخلق ، فإنهم إنا فعلوا ذلك رجوا اليتم والمساكين . **(أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ)** أى الذين يؤتوا كتبهم بإيمانهم ، قاله محمد بن كعب القرظي وغيره . وقال يحيى بن سلام : لأنهم ميامين على أنفسهم . ابن زيد : لأنهم أخذوا من شق آدم الأيمن . وقيل : لأن منزلتهم عن اليمين ، قاله مجنون بن مهران . **(وَالَّذِينَ كَفَرُوا)**

(١) آية ٤ - سورة النجم . (٢) آية ٨٢ سورة طه . (٣) أى تتربى بها إلى الله .

وَيَا بَنَاتِ أَيُّ الْقُرَّانِ . ( هُمُ الْمُحِبُّونَ الْمَشَاءِ ) أَيِ يَأْخُذُونَ كَتَبَهُمْ بِشَاظِهِمْ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ .  
يُحْيِي بَنَ سَلَامٍ : لِأَنَّهُمْ مَشَاءُ عَلَى أَقْسَمِهِمْ . أَبِي زَيْدٍ : لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا مِنْ شَيْءِ آدَمَ الْأَيْسَرِ .  
مَيُّونٌ : لِأَنَّهُمْ مَاتُوا عَنْ الْيَسَارِ .

قلت : ويجمع هذه الأقوال أن يقال : إن أصحاب الميمنة أصحاب الجنة ، وأصحاب  
المشاة أصحاب النار ؛ قال الله تعالى : « وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ » <sup>(١)</sup> فِي سِدْرِ مَحْضُودٍ ،  
وقال : « وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ » فِي مَهْمُومٍ وَحَمِيمٍ . وما كان مثله . ومعنى  
( مُؤَصَّدٌ ) أَيِ مَطْبُوعٌ مُنْقَطِعٌ . قال :

يَحِينُ إِلَى أَجْبَايَ مَكَّةَ نَاقَتِي . وَمِنْ دُونِهَا أَبْوَابُ صَنْعَاءَ مُؤَصَّدَةٌ

ويقول : بهيمة لا يدرى ما داخلها . وأهل الجنة يقولون : أوصدت الباب وأصعدته ؛  
أَيِ أَغْلَقْتَهُ . فَنَ قَالَ أَوْصَدْتَ فَلَا أَسْمَ الْوِصَادِ . وَمِنْ قَالَ أَصْدَدْتَهُ فَلَا أَسْمَ الْإِصَادِ . وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو  
وَحَفْصٌ وَحَمْرَةٌ وَيَعْقُوبُ وَالْشَّيْزِيُّ مِنَ الْكُتَاتِي « مُؤَصَّدَةٌ » بِالْمُهْمَلِ هَذَا وَفِي « الْمُعْزَّةِ » .  
الْبَاهِقُونَ بِلَا هَمَزٍ . وَهِيَ لَنْتَانٌ . وَمَنْ أَبِي بَكْرٍ حَيَّاشٌ قَالَ : لَنَا إِمَامٌ يَهْمُزُ « مُؤَصَّدَةٌ »  
فَأَشْتَبَى أَنْ أَسْدَ أَذْنَى إِنْ شِئْتُمْ .

### سورة « الشمس »

مكية بأهراق ، وهي خمس عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَالشَّمْسُ وَحُجَّتْهَا ①

قال مجاهد : ( وَحُجَّتْهَا ) أَيِ ضَمُوعًا وَإِشْرَاقًا . وَهُوَ قَسَمٌ ثَانٍ . وَأَضَافَ الضَّمْعُ  
إِلَى الشَّمْسِ لِأَنَّهُ إِذَا يَكُونُ بِأَرْتَافِ الشَّمْسِ . وَقَالَ قَتَادَةُ : بِهَاؤُهَا . السُّدَى : حَرًّا . وَرَوَى  
الضَّمْلَكُ عَنْ أَبِي عِيَّاسٍ : « وَحُجَّتْهَا » قَالَ : جَمَلَ فِيهَا الضُّوءَ وَجَعَلَهَا حَارَةً . وَقَالَ الْبَزْزِيُّ :  
هُوَ أَنْ يَسَاطَهَا . وَقِيلَ : مَا ظَهَرَ بِهَا مِنْ كُلِّ خَلْقٍ ؛ فَيَكُونُ الْقَسَمُ بِهَا وَبِخُلُوفَاتِ الْأَرْضِ

(١) آية ٢٨ و ٢٩ سورة الواقعة .

كلها . حكاها المأزوي . والضمي مؤنثة . يقال : أرضعت الضمى ، [وهي] فوق الضمى .  
وقد تذكّر . فمن أنت ذهب إلى أنها جمع صفة . ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فاعل ،  
نحو صرد ونقر . وهو ظرف غير متمكن مثل بحر . تقول : لقيته ضمي وضمي ، إذا أردت به  
ضمي يومك لم تنوّنه . وقال الفراء : الضمى هو النهار ، كقول قتادة . والمعروف عند العرب  
أن الضمى إذا طلعت الشمس وبُعيد ذلك قليلا ، فإنما زاد فهو الضمى بالمد . ومن قال :  
الضمى النهار كله فذلك لدوام نور الشمس . ومن قال : إنه نور الشمس أو حرّها فتور  
الشمس لا يكون إلا مع حرّ الشمس . وقد استدل من قال : إن الضمى حرّ الشمس بقوله  
تعالى : «وَلَا تَضْحَى» أى لا يؤذيك الحرّ . وقال المبرد : أصل الضمى من الضحّ وهو نور  
الشمس ، والألف مقلوبة من الحاء الثانية . تقول : صفة وضموات وضموات وضمي ،  
فالواو من صفة مقلوبة عن الحاء الثانية ، والألف في ضمي مقلوبة عن الواو . وقال أبو الهيثم :  
الشحّ يقبض الغلّ وهو نور الشمس على وجه الأرض ، وأصله الضمى فاستقلوا الياء مع  
سكون الحاء فقلبوها ألفا .

### قوله تعالى : «وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَّهَا» ﴿١﴾

أى تبها . وذلك إذا سقطت رىء الهلال . يقال : تلوت فلانا إذا تبته . قال قتادة :  
إنما ذلك ليلة الهلال ، إذا سقطت الشمس رىء الهلال . وقال ابن زيد : إذا غربت الشمس  
في النصف الأول من الشهر تلاها القمر بالطلوع ، وفي آخر الشهر يتلوها بالغروب . الفراء :  
«تلاها» أخذ منها ، يذهب إلى أن القمر يأخذ من ضوء الشمس . وقال قوم : «والقمر  
إذا تلاها» حين استوى وأستدار فكانه مقلها في الضياء والنور ، وقاله الزجاج .

(١) كذا في حاشية الجبل قلا عن القرطبي . وفي نسخ الأصل وتصير ابن عادل : «فوق الصنور» .

(٢) الصرد : طائر فوق الصنور . والنثر : فراخ الصائير .

### قوله تعالى : وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰهَا ﴿١﴾

أى كشفها . فقال قوم : جَلَّ الظُّلْمَةُ ، وإن لم يمر لها ذكر ، كما تقول : أخصت باردة ؛ تريد أخصت غلاتنا باردة . وهذا قول الفراء والكوفي وغيرهما . وقال قوم : الضمير في «جَلَّاهَا» للشمس ، والمعنى : أنه يبين بضوئه حرَّها . ومنه قول فيس بن الحطييم :  
تَجَلَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ • بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَصَلَّتْ بِحَاجِبِ

وقيل : جَلَّ ما في الأرض من حيوانها حتى ظهر لامتناهه ليلاً وأنتشاره نهاراً . وقيل : جَلَّ الدنيا . وقيل : جَلَّ الأرض ، وإن لم يمر لها ذكر ، ومثله قوله تعالى : « حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ » <sup>(١)</sup> على ما تقدم آتاه .

### قوله تعالى : وَأَلْبَسَ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٢﴾

أى ينشى الشمس فيذهب بضوئها عند سقوطها ، قاله مجاهد وغيره . وقيل : ينشى الدنيا بالنَّظْمِ تَنْظُمُ الْأَفَاقِ . فالكتابة ترجع إلى غير مذكور .

### قوله تعالى : وَالسَّمَاءَ وَمَا بَيْنَهَا ﴿٣﴾

أى وبينائها . فلما مصدرية ؛ كما قال : « مَا غَفَرَنِي رَبِّي » أى بغفران ربى ؛ قاله قتادة ، وأختره المبرد . وقيل : المعنى ومن بناها ؛ قاله الحسن ومجاهد ؛ وهو اختيار الطبري . أى ومن خلقها ورفها وهو الله تعالى . وحكي عن أهل الجحاز : سبحان ما سبحت له ؛ أى سبحان من سبحت له .

### قوله تعالى : وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا ﴿٤﴾

أى وطَّحَّوها . وقيل : ومن طحاها ؛ على ما ذكرناه آتاه . أى بسطها ؛ كما قال مامة المفسرين ؛ مثل دحاها . قال الحسن ومجاهد وغيرهما : طحاها ودحاها واحد ؛ أى بسطها

(١) آية ٣٢ سورة ص . (٢) آية ٢٧ سورة يس .

من كل جانب . وَالْقَلْعُو : البسط ؛ طحا يطحو طحوا ، وَطَحَى يَطْحَى طحيا ، وَطَحَيْتَ  
أَضْلَجْتِ ؛ عن أبي عمرو . وعن ابن عباس : طحاها قسمها . وقيل : خلقها ؛ قال الشاعر :

وما تدرى جَذِيْعَةٌ مِّنْ طَحَاها \* وَلَا مَن سَاكُنُ الْعَرْشِ الرَّفِيعِ

المأوردى : ويحتمل أنه ما خرج منها من نبات وحيون وكنوز ؛ لأنه حياة لما خلق عليها .  
ويقال في بعض أيمان العرب : لا ، وَالْقَمَرُ الطَّالِي ؛ أى المشرق المشرق المرتفع . قال  
أبو عمرو : طحا الرجل إذا ذهب في الأرض . يقال : ما أدرى أين طحا ! ويقال : طحا به  
قلبه إذا ذهب به في كل شيء . قال عَقَمَةُ :

طحا بك قلبٌ في الحِسانِ طَرُوبٌ \* بُعِدَ الشَّبابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبِ

قوله تعالى : وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾

قيل : المعنى وتسويتها . فجمعا بمعنى المصدر . وقيل : المعنى ومن سَوَّاهَا ، وهو الله  
عز وجل . وفي النفس قولان : أحدهما آدم . الثانى - كل نفس متفوسة . وسوى بمعنى هيا .  
وقال مجاهد : سَوَّاهَا سَوَّى خلقها ومثَّل . وهذه الأسماء كلها مجرورة حل القم . أقسم  
جل ثناؤه بخلقها لما فيه من عجائب الصنعة الدالة عليه .

قوله تعالى : فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾

قوله تعالى : ( فَأَلْهَمَهَا ) أى عرَّفَهَا ؛ كذا روى ابن أبي نجيع عن مجاهد . أى عرَّفَهَا طريق  
النجور والتقوى ؛ وقاله ابن عباس . وعن مجاهد أيضا : عَرَّفَهَا الطاعة والمعصية . وعن  
محمد بن كعب قال : إذا أراد الله عز وجل يبيد خيرا ألهمه الخير فعمل به ، وإذا أراد به  
السوء ألهمه الشر فعمل به . وقال الفراء : « فَأَلْهَمَهَا » قال : عَرَّفَهَا طريق الخير وطريق الشر ؛  
كما قال : « وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ » . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : أَلْهَمَ الْمُؤْمِنَ الْمُتَّقِيَّ<sup>(١)</sup>  
تَقْوَاهُ ، وألهم الفاجر بفسوره . وعن سعيد عن قتادة قال : بين لما بفسورها وتقواها . والمعنى

متقارب . وروى عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « فآلمهمها بخُورِها وتَقَوَّاهَا » قال : « اللَّهُمَّ آتِ قِسِي تَقَوَّاهَا وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا » . ورواه جرير عن الضحاك عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية « فآلمهمها بخُورِها وتَقَوَّاهَا » رفع صوته بها وقال : « اللَّهُمَّ آتِ قِسِي تَقَوَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا وَأَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا » . وفي صحيح مسلم عن أبي الأسود الدؤلي قال لى عمران ابن حصين : أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكفون فيه ، أشئ فُئِي ومَقِي عليهم من قَدَرٍ ما سبق ، أوفيا يُسْتَقْبَلُونَ به بما آتاهم به نبيهم ، وثبتت المجبة عليهم ؟ قلت : بل شئ فُئِي عليهم ومَقِي عليهم . قال فقال : أفلا يكون ظلماً ؟ قال : ففَزَعْتُ من ذلك قَرْعاً شديداً وقلت : كل شئ خلق الله ومَلَكُ يده ، فلا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون . فقال لى : يرحمك الله ! إني لم أُرِدْ ما سألتك إلا لأَحْزِرَ فَطْلَكَ إِنْ رَجِلَ من مَرْبِئَةِ آتِيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يا رسول الله ، أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكفون فيه ، أشئ فُئِي عليهم ومَقِي فيهم من قَدَرٍ قد سبق ، أوفيا يُسْتَقْبَلُونَ به بما آتاهم به نبيهم وثبتت المجبة عليهم ؟ فقال : « لا بل شئ فُئِي عليهم ومَقِي فيهم وتصدق فيك في كتاب الله عز وجل » و« قيس وما سَوَّاهَا . فآلمهمها بخُورِها وتَقَوَّاهَا » . والتعجور والتقوى مصدران في موضع المتعول به .

قوله تعالى : قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۖ

قوله تعالى : ( قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ) هذا جواب القسم بمعنى لقد أفلح . قال الزجاج : الألف حذفت لأن الكلام طالع فصار طوله عوضاً منها . وقيل : الجواب عنوف ، أى والشمس وكذا ثبَّتْنِ . الزمخشري : تقديره يُكْمِدُنِ الله عليهم ، أى على أهل مكة لتكديهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمد على ثمود ؛ لأنهم كذبوا صالحاً . وأما « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا » فكلام تابع لأوله ؛ لقوله : « فآلمهمها بخُورِها وتَقَوَّاهَا » على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم

في شيء . وقيل : هو على التقديم والتأخير بغير حذف ؛ والمعنى : قد أطلع من زكّاه وقد خاب من دسّاه والشمس وضحاها . ( أطلع ) فاز . ( مَنْ زَكَّاهَا ) أى من زكّى الله نفسه بالطاعة . ( وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ) أى خيرت نفس دسّاه الله عز وجل بالمعصية . وقال ابن عباس : خابت نفس أضلها الله وأغواها . وقيل : أطلع من زكّى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال ، وخاب من دسّ نفسه في المعاصي ؛ قاله قتادة وغيره . وأصل الزكاة التزوّ والزيادة . ومنه زكا الزرع إذا كثُر رُيْه . ومنه تزكية القاضي للشاهد ؛ لأنه يرفعه بالتعديل وذكر الجليل . وقد تقدم هذا المعنى في أول سورة « البقرة » مستوفى . فمصططح المعروف والمبادر إلى أعمال البر ينشر نفسه ورفضها . وكانت أجساد العرب تنزل الرّيا وأرتفاع الأرض ليشتهر مكانها للمتقين ، وتوقد النار في الليل للطارقين . وكانت اللّثام تنزل الأولاج والأطراف والأهضام ليخفى مكانها عن الطالين . فأولئك علّوا أنفسهم وزكّوها ، وهؤلاء أخفّوا أنفسهم ودسّوها . وكذا الفاجر أبدا خفى المكان ، زيم<sup>(١)</sup> المروءة ، فامض الشخص ، ناكس الرأس بركوب المعاصي . وقيل : دسّاه أغواها . قال : وأنت الذى دسّيت عمرا فأصبحت . حلائله منه أراىل ضسجا<sup>(٢)</sup>

قال أهل اللغة : والأصل دسسها من التدسيس وهو إخفاء الشيء في الشيء ، فأبدلت سينه ياء ؛ كما يقال : قصّيت أظفارى ، وأصله قصصت أظفارى . ومثله قولهم في قصص : قصّى . وقال ابن الأعرابي : « وقد خاب مَنْ دسّاه » أى دسّ نفسه في جملة الصالحين وليس منهم .

قوله تعالى : كَذَبَتْ تَمُودُ بِطَفْوَلِهَا ۝ إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَلَهَا ۝ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ۝ فَلَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَّوْهَا ۝

(١) راجع ج ١ ص ٢٤٢ طية ثانية أرتالة . (٢) المعنى : كل طالب فضل أو رزق .  
(٣) الأولاج : ما كان من كهف أو غار يلبأ إليه . والأهضام : أسافل الأودية . (٤) الزمر : القليل .  
(٥) الذى فى اللسان ( مادة دس ) :  
وأنت الذى دسيت عمرا فأصبحت . نسألهم نهم أراىل ضسج  
وقال : دسيت أغويت وأضلت . وعمرو : قلة .

قوله تعالى: ( كَتَبْتُ تَمُودُ بَطْنَوَاهَا ) أى بطنيانها، وهو خروجها عن الحذ في المصيان؛  
قاله جامد وقادة وغيرها . وعن ابن عباس « بطنواها » أى بمذنبها الذى وضعت به . قال :  
وكان اسم المذنب الذى جامعها الطغوى ؛ لأنه طغى عليهم . وقال محمد بن كعب : « بطنواها »  
بأجمعها . وقيل : هو مصدر، ونخرج على هذا المخرج لأنه أشكل بروس الآي . وقيل :  
الأصل بطنياها، إلا أن « قتل » إذا كانت من ذوات الباء أبدلت في الأسم أواداً ليُفصل بين  
الأسم والوصف . وقراءة السامة بفتح الطاء . وقرا الحسن والجلندري وحماد بن سامة  
( بضم الطاء ) على أنه مصدر؛ كالرُجعى والحسنى وشبههما في المصادر . وقيل : هما لفتان  
( إِذْ أَنْبَيْتَ ) أى نهض . ( أَشْقَاهَا ) لعقر الناقة . واسمه قنار بن سالف . وقد مضى  
في « الأعراف » بيان هذا، وهل كان واحداً أو جماعة . وفي البخاري عن عبد الله  
ابن زبمة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب، وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « إِذْ أَنْبَيْتَ أَشْقَاهَا أَنْبَيْتَ لِمَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَازِمٌ مَنِيْعٌ فِي رَهْطِهِ مِثْلُ  
أَبِي زَمَّةٍ » وذكر الحديث . خزجه مسلم أيضاً . وروى الضعيف عن عليّ أن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال له : « أندري من أشقى الأولين » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « عاقر  
الناقة — قال — أندري من أشقى الآخرين » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « عاقلك » .  
( قَالَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ) يعنى صالحاً . ( نَاقَةُ اللَّهِ ) ناقة « منصوب على التحذير؛ كقولك :  
الأسد الأسد، والصبي الصبي، والخنزير الخنزير . أى احذروا ناقة الله ؛ أى عقرها . وقيل :  
ذروا ناقة الله ؛ كما قال : « هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَلَرَوْهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ  
فِعْلٍ كَمَا عَذَابُ الْإِيمِ » . ( وَسَقِيَاهَا ) أى ثروها وشرتها . وقد مضى في سورة « الشعراء »  
بيانها والحمد لله . وأيضاً في سورة « اقتربت الساعة » . فإنهم لما اقترحوا الناقة وأخرجوها لهم من  
الصخرة، جعل لهم شرب يوم من يرمي ولها شرب يوم مكان ذلك، فشق ذلك عليهم .

(١) راجع ج ٧ ص ٢٤١ (٢) القام : الجبار القسدي (٣) آية ٧٣ سورة الأعراف .

(٤) راجع ج ١٣ ص ١٢١ (٥) راجع ج ١٧ ص ١٤١

( فَكَذَّبُوهُ ) أى كذبوا صالحا عليه السلام فى قوله لم : « إِنَّكُمْ تَعْسِفُونَ إِنْ عَفَوْنَهَا » .  
 ( فَفَعَّرُونَهَا ) أى عقرها الأشقى . وأضيف إلى الكل لأنهم رضوا بفعله . وقال قتادة : ذُكر  
 لنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيروهم وكبريهم وذكروهم وأنثاهم . وقال الفراء : عقرها آنتان .  
 والعرب يقول : هذان أفضل الناس ، وهذان خير الناس ، وهذه المرأة أشقى القوم ؛ فلهاذا  
 لم يقل : أشقيهاها .

قوله تعالى : ( قَدَّمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ) أى أهلكهم وأطبق عليهم العذاب بذنوبهم الذى  
 هو الكفر والتكذيب والعقر . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : دمدم عليهم قال : دمر عليهم  
 ربهم بذنوبهم ؛ أى يجرهم . وقال الفراء : دمدم أى أرجف . وحقيقة الدمدة تضعيف  
 العذاب وترديده . ويقال : دَمَمْتُ عَلَى شَيْءٍ أى أطبقت عليه ، وَدَمَمْتُ عَلَيْهِ أى أطبقته . وناقفة  
 مدمومة أليسا الشمس . فإذا كثرت الإطباق قلت : دَمَمْتُ . والدمدمة إهلاك باستئصال ؛  
 قاله المورج . وفى الصراح : وَدَمَمْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَرْزَقْتَهُ بِالْأَرْضِ وَطَحَّطَحْتَهُ . ودمدم الله عليهم  
 أى أهلكهم . القشيري : وقيل دَمَمْتُ عَلَى الْمَيِّتِ التُّرَابَ أى سَوَّيْتُ عَلَيْهِ . فوله « قَدَّمَدَمَ  
 عَلَيْهِمْ » أى أهلكهم بجمعهم تحت التراب . ( فَفَعَّرُونَهَا ) أى سَوَّيْتُ عَلَيْهِمُ الْأَرْضَ . وحل  
 الأول « فسواها » أى سَوَّيْتُ الدَّمْدَمَةَ والإهلاك عليهم . وذلك أن الصبغة أهلكتهم فأتت  
 على صغيروهم وكبريهم . وقال ابن الأنباري : دَمَمْتُ أى غَضِبَ . والدمدمة : الكلام الذى يُرْجَعُ  
 الرجل . وقال بعض اللغويين : الدَّمْدَمَةُ الإدامة ؛ تقول العرب : ناقفة مدمومة أى سميئة .  
 وقيل : « فسواها » أى سَوَّيْتُ الْأُمَّةَ فِي إِزَالِ الْعَذَابِ بِهِمْ ، صغيروهم وكبريهم ، وَضِعَهُمْ  
 وَشَرَفَهُمْ ، ذَكَرَهُمْ وَأَنَاسَهُمْ . وقرا ابن الزبير « فَنَعَدَمَ » وهما لنتان ؛ كما يقال : انتقع  
 لَوْنُهُ وَانْتَقَعَ .

قوله تعالى : وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿٥٥﴾

أى فصل الله ذلك بهم غير خائف أن تلحقه تيممة الدَّمْدَمَةِ من أحد ، قاله ابن عباس  
 والحسن وقتادة ومجاهد . والماء فى « عُقْبَاهَا » ترجع إلى الفعل ؛ كقوله : « مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ

الجمعة فيها وقّعت<sup>١</sup> أى بالقبلة والخلاصة . قال السدي والضحاك والكلبي : ترجع إلى العاقر ، أى لم يخف الذى عقرها عقي ما صنع . وقاله ابن عباس أيضا . وفى الكلام تقديم وتأخير ، مجازة : إذ انبثت أشقاها ولا يخاف عقباها . وقيل : لا يخاف رسول الله صالح عاقبة إهلاك قومه ، ولا يخشى ضررا يعود عليه من مذاهبهم ؛ لأنه قد أنذرهم ونجاه الله تعالى حين أحلّهم . وقرا تابع وابن عامر « فلا » بالفاء وهو الأجود ؛ لأنه يرجع إلى المعنى الأول ؛ أى فلا يخاف الله عاقبة إهلاكهم . والباقون بالواو ، وهى أشبه بالمعنى الثانى ، أى ولا يخاف الكافر عاقبة ما صنع . وروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك قال : أخرج إلينا مالك مصحفا بلفظه ، وزعم أنه كتبه فى أيام عثمان بن عفان حين كتب المصاحف ، فيه : « ولا يخاف بالواو . وكذا هى فى مصاحف أهل مكة والعراقين بالواو ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم اتباعا لمصحفهم .

### سورة « والليل »

مكية . وقيل : مدنية . وهى إحدى وعشرون آية بإجماع

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۝**  
**وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ۝**

قوله تعالى : **( وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى )** أى يغطى . ولم يذكر معه مفعولا للعلم به . وقيل : يغشى النهار . وقيل : الأرض . وقيل : الخلائق . وقيل : يغشى كل شئ ، بظلمته . وروى سعيد عن قتادة قال : أول ما خلق الله النور والظلمة ، ثم ميز بينهما ، فجعل الظلمة ليلا أسود مظلمة ، والنور نهارا مضيئا مبصرًا . **( وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى )** أى إذا انكشف ووضّح وظهر ، وبأن بضوئه من ظلمة الليل . **( وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى )** قال الحسن : معناه والذى خلق

الذكر والأُنثى ؛ فيكون قد أقسم بنفسه عز وجل . وقيل : معناه وخلق الذكر والأُنثى ؛  
 ذهاباً . مصدرية على ما تقدم . وأهل مكة يقولون للرد : سبحان ما سبَّحت له ؛ فما على  
 هذا بمعنى من ؛ وهو قول أبي عبيدة وغيره . وقد تفتّم . وقيل : المعنى وما خلق من  
 الذكر والأُنثى ؛ فتكون « من » مضمرة ، ويكون القسم منه بأهل طاعته من أنبيائه وأوليائه ،  
 ويكون قسمه بهم تكريماً لم وتكريفاً . وقال أبو عبيدة : « وما خلق » أى ومن خلق .  
 وكذا قوله : « والنبأ وما بناها » ، و « تقين وما سواها » « ما » فى هذه المواضع بمعنى من .  
 وروى عن ابن مسعود أنه كان يقرأ « والتهار إذا تحلّى . والدّكر والأُنثى » ويسقط « وما خلق » .  
 وفى صحيح مسلم عن طحمة قال : قلنا الشام فأتانا أبو الدرداء فقال : فيكم أحد يقرأ على  
 امرأة عبد الله ؟ قلت : نعم ، أنا . قال : فكيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية « والليل  
 إذا يفتى » ؟ قال : سمعته يقرأ « والليل إذا يفتى » . والدّكر والأُنثى » قال : وأنا والله  
 هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها ، ولكن هؤلاء يريدون أن أقرأ « وما خلق »  
 فلا تأبههم <sup>(١)</sup> . قال أبو بكر الأنباري : وحدثنا محمد بن يحيى المروزي قال حدثنا محمد قال  
 حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن  
 عبد الله قال : أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنا أنا الرازق ذو القوة المتين » ؛ قال  
 أبو بكر : كل من هذين الحديثين مردود ؛ بخلاف الإجماع له ، وإن حمزة وعاصمًا يرويان  
 عن عبد الله بن مسعود ما عليه جماعة المسلمين ، والبناء على سندين يوافقان الإجماع أولى  
 من الأخذ بواحد يخالفه الإجماع والأمة ، وما يفتى على رواية واحد إذا حاذاه رواية جماعة  
 تحالفه ، أخذ برواية الجماعة وأبطل نقل الواحد ؛ لما يجوز عليه من النسيان والإفلال .  
 ولومح الحديث عن أبي الدرداء وكان إسناده مقبولا معروفاً ، ثم كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلى

(١) روى كتاب الأحكام لابن القري ما فيه : « هذا ما لا يفتى إليه بشر » إنما المعول عليه ما فى المصحف  
 فلا يجوز مخالفته لأحد ، ثم بعد ذلك يقع النظر فيما يوافق خطه مما لم يثبت ضبطه حسب ما بيناه فى موضعه ؛ فإن القرآن  
 لا يثبت بنقل الواحد وإن كان هذلاً ، وإنما يثبت بالتراتب الذى يقع به العلم ، و ينقطع عنه الضرر وتقوم به الحجة  
 على الخلق » .

وسائر الصحابة رضي الله عنهم يخالفونه، لكن الحكم العمل بما روت الجماعة ورفض ما يحكيه الواحد المنفرد، الذي يسرع إليه من السيان ما لا يسرع إلى الجماعة وجميع أهل السنة .  
وفي المراد بالذكر والأثنى قولان : أحدهما - آدم وحواء؛ قاله ابن عباس والحسن والكوفي .  
الثاني - يعني جميع الذكور والإناث من بني آدم والبهائم ؛ لأن الله تعالى خلق جميعهم من ذكر وأنثى من نوعهم . وقيل : كل ذكر وأنثى من الآدميين دون البهائم لاختصاصهم بولاية الله وطاعته . ( إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ) هذا جواب القسم . والمعنى : إن عملكم لمتخلف .  
وقال عزيمه وسائر المفسرين : السعي العمل ؛ فساج في فكك نفسه، وساج في عطبها ؛ يدل عليه قوله عليه السلام : " الناس غاديان فبتاع نفسه ففُتِطها وباع نفسه ففُوقِطها " (١) . وشق : وأخذه شتيت ؛ مثل مريض ومرضى . وإنما قيل المتخلف شق لتباعد ما بين بعضه وبعضه .  
أى إق عملكم لتباعد بعضه من بعض ؛ لأن بعضه ضلالة وبعضه هدى . أى فتكم مؤمن وبر، وكافر وفاجر، ومطيع وعاص . وقيل : « لَشَتَّى » أى لمتخلف الجزاء ؛ فتكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار . وقيل : أى لمتخلف الأخلاق ؛ فتكم راسم وقاس ، وحليم وطاش ، وجواد وبميل ؛ وشبه ذلك .

قوله تعالى : فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٢) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٣)  
فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى (٤) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٥) وَكَذَّبَ  
بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى (٧)

فيه أربع مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ) قال ابن مسعود : معنى إياك  
رضي الله عنه ، وقاله عامة المفسرين . فروى عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال :  
كان أبو بكر يفتي على الإسلام عجائز ونساء ، قال فقال له أبوه أبو عفاة : أى بئى ! لو أنك

(١) هذه رواية الحديث كما في الصحيح . والى في نسخ الأصل : « الناس غاديان فبتاع نفسه ففُتِطها وأمر بها » .

حققت رجالاً بطلاً يعمونك ويقومون ملك ؟ فقال : يا أبت إنما أريد ما أريد . ومن ابن عباس في قوله تعالى : « فَاَتَا مَنْ أُعْطِيَ » أى بئله . « وَآتَى » أى محامد الله التى نهى عنها . ( وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ ) أى بالحق من الله تعالى مل عطائه . ( فَتَسْتَسِرُّهُ لِلْبَيْتِ ) وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مامن يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان يزلمان فيقول أحدهما اللهم أعط متيقاً خلقاً ويقول الآخر اللهم أعط متيسكاً تلقاً » . وروى من حديث أبى الترداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مامن يوم غررت قمحه إلا بئس يجنتها ملكان يتأديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا التقيين اللهم أعط متيقاً خلقاً وأعط متيسكاً تلقاً » فانزل الله تعالى فى ذلك فى القرآن « فَاَتَا مَنْ أُعْطِيَ » الآيات . وقال أهل التفسير : « فَاَتَا مَنْ أُعْطِيَ » المعبرين . وقال قتادة : أعطى حق الله تعالى الذى عليه . وقال الحسن : أعطى الصدق من قلبه . ( وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ ) أى بلا إله إلا الله ؛ قاله الضحاك والسلمي وأبن عباس أيضاً . وقال مجاهد : بالجنة ؛ دليله قوله تعالى : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ » الآية . وقال قتادة : بموعود الله الذى وعده أن يشبهه زيد بن أسلم : بالصلاة والزكاة والصوم . الحسن : بالحق من عطائه ؛ وهو اختيار الطبري . وتقدم من ابن عباس ، وكله متقارب للمعنى ؛ إذ كله يرجع إلى الثواب الذى هو الجنة .

الثانية — قوله تعالى : ( فَتَسْتَسِرُّهُ لِلْبَيْتِ ) أى ترشده لأسباب الخير والصالح حتى يسهل عليه فعلها . وقال زيد بن أسلم : « للبيسرى » للجنة . وفى الصحيحين والترمذى عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس وجلسنا معه ، ومعه عود ينكت به فى الأرض ، فرفع رأسه إلى السماء فقال : « مَا مِنْ قَمِيْسٍ مَتَّقُوْةٍ إِلَّا [قَدْ] كُتِبَ مَذْخَلُهَا » فقال القوم : يا رسول الله ، أفلا تتكىل على كتابنا ؟ فن كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة ، ومن كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء . قال : « بل

(١) كذا فى كتاب أسباب النزول وروح المعاني . وفى نسخ الأصل : « ما يريد » . وفى تفسير الطبري رواية أخرى فى أسباب النزول : « لو كنت يتبع من يمنع ظهرك ؟ قال : مع ظهري أريد » .

(٢) آية ٢٦ سورة يونس .

أَعْمَلُوا فَعَلَّ مُبْسِرٌ أَمَا مِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَإِنَّهُ يُبَسِّرُ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَإِنَّهُ يُبَسِّرُ لِعَمَلِ الشَّقَاءِ - ثُمَّ قَرَأَ - «فَاتَمَّنْ أَعْطَى وَأَتَّقِ وَصَدَّقْ بِالْحَسَنِ» فَتُسَبِّحُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ يَنْتَلِ وَأَسْتَفْتَى . وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِ . فَتُسَبِّحُهُ لِلْعُسْرَى « لَفْظُ التِّرْمِذِيِّ . وَقَالَ فِيهِ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَمَالَ غُلَامَانِ شَابَانِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَا : الْعَمَلُ فِيمَا جَعَلَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ ؟ أَمْ فِي شَيْءٍ يَسْتَأْنَفُ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «بَلْ فِيمَا جَعَلَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ» قَالَا : فَقِيمِ الْعَمَلُ ؟ قَالَ : «دَعُوا فَعَلَّ مُبْسِرٌ لِعَمَلِهِ الَّذِي خُلِقَ لَهُ» قَالَا : فَالآنَ تَجِدُ وَتَعْمَلُ .

الثالثة - قوله تعالى : ( وَأَمَّا مَنْ يَنْتَلِ وَأَسْتَفْتَى ) أَيَّ ضَنْ بَمَا عِنْدَهُ فَلَمْ يَتَذَكَّرْ خَيْرًا . وَقَدْ هَدَمَ بَيَانَهُ وَثَمَرَتَهُ فِي الدُّنْيَا فِي سُورَةِ «آلِ عِمْرَانَ» . وَفِي الْآخِرَةِ مَا لَهُ التَّارِكَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ . رَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ أَبِي هَبَّاسٍ ( فَتُسَبِّحُهُ لِلْعُسْرَى ) قَالَ : سَوْفَ أَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ بَاقِهِ وَبِرَسُولِهِ . وَعَنْ أَبِي هَبَّاسٍ قَالَ : نَزَلَتْ فِي أَمِيَّةِ بْنِ خَلْفٍ . وَرَوَى حَكِيمَةُ عَنْ أَبِي هَبَّاسٍ : « وَأَمَّا مَنْ يَنْتَلِ وَأَسْتَفْتَى » يَقُولُ : يَنْتَلِ بِمَا لَهُ وَأَسْتَفْتَى مِنْ رَبِّهِ . ( وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِ ) أَيَّ بِالْخُلْفِ . وَرَوَى أَبُو نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ : « وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِ » قَالَ : بِالْجَنَةِ . وَبِإِسْنَادٍ عَنْهُ أَتَى قَالَ « بِالْحَسَنِ » أَيَّ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ . ( فَتُسَبِّحُهُ ) أَيَّ تُسَبِّحُ طَرِيقَهُ . ( لِلْعُسْرَى ) أَيَّ لِلْعُسْرِ . وَعَنْ أَبِي سَعُودٍ : لِلنَّارِ . وَقِيلَ : أَيَّ فَتُسَبِّحُ طَرِيقَهُ أَسْبَابُ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ حَتَّى يَصِيبَ عَلَيْهِ فَعَلَهَا . وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْمَلَكَ ينادي صَبَاحًا وَمَسَاءً : « اللَّهُمَّ اعْطِ مُتَّقًا خَلْقًا وَأَعْطِ مُتَمَسِّكًا تَلَقَّا » . رَوَاهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ .

مسألة : قَالَ الْعُلَمَاءُ : ثَبَتَ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَقَوْلُهُ : « وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ » ، وَقَوْلُهُ : « الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً » إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ - أَنَّ الْجُودَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْيَتَلَّ مِنْ أَرْغَفِ . وَلَيْسَ الْجُودُ الَّذِي يُعْطَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الْمَطَاءِ ، وَلَا الْبَخِيلُ الَّذِي يَمْنَعُ فِي مَوْضِعِ الْمَنَعِ ، لَكِنْ الْجُودُ الَّذِي يُعْطَى فِي مَوْضِعِ الْمَطَاءِ ، وَالْبَخِيلُ

الذي يمنح في موضع المطاء ، فكلٌّ من استغفاد بما يُعطى أجراً وحماً فهو الجواد . وكلٌّ من استحق بالمنع ذمّاً أو عقاباً فهو البخيل . ومن لم يستغف بالمطاء أجراً ولا حمداً وإنما استوجب به ذمّاً فليس بجواد ، وإنما هو مُتبرِّك مذموم ، وهو من المبذرين الذين جعلهم الله إخوان الشياطين ، وأوجب الحجر عليهم . ومن لم يستوجب بالمنع عقاباً ولا ذمّاً ، واستوجب به حمداً فهو من أهل الرشد ، الذين يستحقون القيام على أموال غيرهم بحسن تدبيرهم وسداد رأيهم .

الرابعة — قال الفراء : يقول القائل كيف قال «فَسَيَسْمَرُهُ لِلْعُمَرَى» وهل في العُمَرَى تيسير ؟ فيقال في الجواب : هذا في إجازته بمنزلة قوله عز وجل : «فَنَسِوهُمْ يَسْأَلُ الْيَمِّ»<sup>(١)</sup> والبطشة في الأصل على المفرح والسار ، فإذا جمع في كلامين هذا خير وهذا شر ، جاءت البشارة فيهما . وكذلك التيسير في الأصل على المفرح ، فإذا جمع في كلامين هذا خير وهذا شر جاء التيسير فيهما جميعاً . قال الفراء : وقوله تعالى «فَسَيَسْمَرُهُ» سنبهه . والعرب تقول : قد يسرت الغنم إذا ولدت أو تيات للولادة . قال :

هَما سَيَدَانَا يَرْعُمانَ وإِنا \* يَسُونانِنا إِنْ يَسَرَّتْ غَنائِها<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى : وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾

قوله تعالى : ( وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ) أى مات . يقال : ردى الرجل يردى ودى إذا هلك . قال : \* صرفت الهوى ضيقاً من خشية الردى \*

وقال أبو صالح وزيد بن أسلم : «إذا تَرَدَّى» أى سقط في جهنم ، ومنه المتردية . ويقال : ردى في البروتردى إذا سقط في بئر أو تهور من جبل . يقال : ما أدرى أين ردى ! أى أين ذهب . و «ما» يحتمل أن تكون بحداء أى ولا يغنى عنه ماله شيئا . ويحتمل أن تكون استفهاماً

(١) آية ٢١ سورة آل عمران . (٢) البيت لأبي أسيدة البصري . وقوله :

إِنَّ لَنَا شَيْنَيْنِ لَا يَحْتَسِنَانِ \* ضيق لا يحسد طيناً غامراً

معناه التوبيخ، أى أى شئ يفتنى عنه إذا ملك ووقع فى جهنم ! ( إِنَّ طَيْتًا لِّلْهُدَى ) أى إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة . فالتهدى بمعنى بيان الأحكام، قاله الزجاج .  
أى على الله البيان، بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته، قاله قتادة . وقال القزّاء : من سلك الهدى فعل الله سيّله، لقوله : « وَعَلَى اللَّهِ فَصْدُ السَّبِيلِ »<sup>(١)</sup> يقول : من أراد الله فهو على السبيل القاصد . وقيل : معناه إن علينا للهدى والإضلال، فترك الإضلال، كقوله : « وَيُذَكِّرُ الْغَافِينَ »<sup>(٢)</sup> وهـ يبيده مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ . وكما قال : « سَرَّايِلُ يَهَيِّئُ الْحَزَّ » وهى تقى البرد، عن الفراء أيضا . وقيل : أى إن علينا ثواب هداية اللهى هدايته . ( وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ) « لَلْآخِرَةَ » الجنة . « وَالْأُولَى » الدنيا . وكذا روى حطّاء عن ابن عباس . أى الدنيا والآخرة لله تعالى . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : ثواب الدنيا والآخرة، وهو كقوله تعالى : « مَنْ كَانَ يُرِيدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »<sup>(٣)</sup> فمن طلبهما من غير مالهما فقد أخطأ الطريق .

قوله تعالى : فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٥﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٦﴾

الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ( فَأَنْذَرْتُكُمْ ) أى حذرتكم وخوفتكم . ( نَارًا تَلَظَّى ) أى تلهب وتوقد . وأصله تَلْظَلَى . وهى قراءة عبيد بن عمير ويحيى بن يعمر وطلحة بن مُصَرِّف . ( لَا يَصْلَاهَا ) أى لا يجد صلاحها وهو حرّها . ( إِلَّا الْأَشْقَى ) أى الشقى . ( الَّذِى كَذَّبَ ) نبي الله محمدا صل الله عليه وسلم . ( وَتَوَلَّى ) أى أعرض عن الإيمان . وروى مجاهد عن أبي هريرة قال : كلُّ يدخل الجنة إلا من أباحا . قال : يا أبا هريرة، ومن أباح أن يدخل الجنة ؟ قال : الذى كَذَّبَ وَتَوَلَّى . وقال مالك : صلّى بنا عمر بن عبد العزيز المغرب فقرا « والليل

(٢) آية ٨٢ سورة يس .

(١) آية ٢٦ سورة آل عمران .

(٣) آية ٩ سورة النمل .

(٥) آية ١٣٤ سورة النساء .

(٤) آية ٨١ سورة النمل .

إِذَا يَنْتَشَى « فلما بلغ « فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى » وقع عليه البكاء فلم يقدر يتحملها من البكاء ، تركها وقرأ سورة أخرى . وقال الفراء : « إِلَّا الْأَشْقَى » لَأَمْ مَنْ كَانَ شَقِيًّا فِي عِلْمِ اللَّهِ جَل ثناؤه . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : « لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى » أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ونظراؤه الذين كَذَّبُوا عَمَّا صُلِّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وقال قتادة : كَذَّبَ بِكَلْبِ اللَّهِ وَتَوَلَّى عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ . وقال الفراء : لم يكن كَذَّبَ بِرَدِّ ظَاهِرِهِ وَلَكِنَّهُ قَصَرَ عَمَّا أُصِرَ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ ؛ فَعَمِلَ تَكْذِيبًا كَمَا يَقُولُ : لَيْتِي فَلَنْ الْمَدُونُ تُكَذَّبَ إِذَا نَكَلَ وَرَجَعَ عَنْ اتِّبَاعِهِ . قَالَ وَصَحَّتْ أَبَا تَرْوَانَ يَقُولُ : إِنْ بَنَى مُعْتَمِرٌ لَيْسَ بِجِلْمِهِ مَكْتُوبَةٌ <sup>(١)</sup> . يَقُولُ : إِذَا تَقَوَّا صِدْقُوا الْقِتَالَ وَلَمْ يَرْجِسُوا . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلِ ثَنَاهُ : « لَيْسَ لَوْ قَعْبًا كَاذِبَةٌ » يَقُولُ : هِيَ حَقٌّ . وَصَحَّتْ سَلَمُ بْنُ الْحُسَيْنِ يَقُولُ : صَحَّتْ أَبَا إِسْحَاقَ الرِّجَاجِ يَقُولُ : هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا قَالَ أَهْلُ الْإِرْجَاءِ <sup>(٢)</sup> بِالْإِرْجَاءِ ، فَرَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا كَافِرٌ ؛ قَوْلُهُ جَلِ ثَنَاهُ : « لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى » الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى » وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنُّوا . هَذِهِ نَارٌ مَوْصُوفَةٌ بَيْنَهَا ، لَا يَصْلَى هَذِهِ النَّارَ إِلَّا الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى . وَلِأَهْلِ النَّارِ مَنَازِلُ ؛ فَهِيَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ؛ وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ كُلُّ مَا وَعَدَ عَلَيْهِ يَحْلِسُ مِنَ الْعَذَابِ بِمَا زُيِّنَ أَنْ يَحْدُبَ بِهِ . وَقَالَ جَلِ ثَنَاهُ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » فَلَوْ كَانَ كُلُّ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ لَمْ يُسَلَّبْ ، لَمْ يَكُنْ فِي قَوْلِهِ : « وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » فَالْمَعْنَى ، وَكَانَ « وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ » كَلَامًا لَا مَعْنَى لَهُ . الزَّحَّابِيُّ : الْآيَةُ وَارِدَةٌ فِي الْمَوَازِينِ بَيْنَ حَالَتِي عَظِيمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَعَظِيمٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَرِيدَ أَنْ يَبْلَغَ فِي صِفَتَيْهِمَا الْمُتَنَاقِضَتَيْنِ فَقِيلَ : الْأَشْقَى « وَجُعِلَ غَضَبًا بِالصَّلَى » ، كَأَنَّ النَّارَ لَمْ تَخْلُقْ

(١) كذا في الأصول وأساس البلاغة للزحري . وادعى في تفسير الفراء ولسان العرب — مادة كذب — : « لخدم » بإزاء المهمة . وحده الرجل : بإزاء وقادته في تجديده . (٢) سورة الواقعة .

(٣) المرحضة ، وهم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يصح الإيمان سعيًا ، كما أنه لا ينجع مع الكفر طاعة . سموا مريحة لاعتقادهم أن الله أرحمهم على الناس ، أي أنه منهم . وروى : المرحضة فرقة من المسلمين يقولون الإيمان قول بلا عمل ؛ كأنهم ظنوا القول وأرجعوا العمل إلى آخره ؛ لأنهم يرون أنهم لو لم يعملوا ولم يصوموا لنجاه من إيمانهم . (٤) آية ٨ سورة القصص .

آلله . وقيل : الأتقي ، وسُجل شخصاً بالنبوة ، كان الجنة لم تخلق آلاله . وقيل : هما أبو جهل وأمية بن خلف . وأبو بكر رضى الله عنه .

قوله تعالى : **وَسَيَجْنِبُهَا الْأَتَقَى** ﴿١٧﴾ **الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى** ﴿١٨﴾

قوله تعالى : **(وَسَيَجْنِبُهَا)** أى يكون بعيداً منها . **(الأتقى)** أى المتقى الخائف .

قال ابن عباس : هو أبو بكر رضى الله عنه ، يُترجح عن دخول النار . ثم وصف الأتقى

فقال **(الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى)** أى يطلب أن يكون عند الله زاكياً ، ولا يطلب بذلك رياءه

ولا شفعة ، بل يصدق به مبتغياً به وجه الله تعالى . وقال بعض أهل المعاني : أراد بقوله

**«الأتقى»** و **«الأتقى»** أى التقي والشتى ؛ كقول طرفة :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت . فلك سبيل لست فيها بأوحيد

أى واحد ووحيد ؛ وتوضع الفعل موضع فيل ، نحو قولهم : الله أكبر بمعنى كبير ، وهو

أعزُّ عليه ، بمعنى حين .

قوله تعالى : **وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى** ﴿١٩﴾ **إِلَّا ابْتِغَاءَ**

**وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى** ﴿٢٠﴾ **وَلَسَوْفَ يَرْضَى** ﴿٢١﴾

قوله تعالى : **(وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى)** أى ليس يشصق ليجازى كل نعمة ،

إما يضى وجه ربه الأعلى ، أى المتعالى **(وَلَسَوْفَ يَرْضَى)** أى بالجزاء . فروى عطاء والضحاك

عن ابن عباس قال : مدبب للمشركون بلالا ، وبلال يقول أحد أحد ؛ فتر به النبي صلى الله

عليه وسلم فقال : **«أحد»** - يعنى الله تعالى - ينجيك **«م»** قال لأبى بكر : **«يا أبا بكر إكرا بلالا**

**يُصَلِّبُ فِي اللَّهِ»** فرف أبو بكر الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأنصرف إلى منزله ،

فأخذ رطلا من ذهب ومضى به إلى أمية بن خلف ، فقال له : أعيىنى بلالا ؟ قال : نعم ؛

فأشتراه فأعقته . فقال المشركون : ما أحقه أبو بكر إلا ليد كانت له عنده ؛ فزلت

**«وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ»** أى عند أبى بكر **«من نعمة»** ، أى من يد ومينة **«تُجْزَى»** بل

«ابتناء» بما فعل «وجه ربه الأهل» . وقيل: اشترى أبو بكر من أمية وأبي بن خلف لبلال بيرة وعشر أواق ؛ فاعتقه لله فترلت : « إِنَّ سَعِيدَ لَشَقِيٍّ » . وقال سعيد بن المسيب: بلغني أن أمية بن خلف قال لأبي بكر حين قال له أبو بكر: أتبيعني؟ فقال: نعم، أبيعك بنسطاس، وكان بنسطاس عبداً لأبي بكر، صاحب عشرة آلاف دينار، وغلان وجوار ومواش، وكان مُشركاً فله أبو بكر على الإسلام على أن يكون له ماله، فأبى فباعه أبو بكر به . فقال المشركون: ما فعل أبو بكر ببلال هذا إلا ليد كانت لبلال عنده ؟ فترلت « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا إِتْنَاءً » أي لكن ابتناء ؛ فهو استثناء مقطوع ؛ فلذلك نصبت . كقولك : ما في الدار أحد إلا حماراً . ويجوز الرفع . وقرأ يحيى بن وثاب « إِلَّا إِتْنَاءً وَجْهَ رَبِّهِ » بالرفع، لعله من يقول : يجوز الرفع في المستثنى . وأشد في الثنتين قول بشر بن أبي حازم :

أضحت خلّة قفاراً لا أنيس بها • إلا الجحاذر والظلمان تختلف<sup>(١)</sup>

وقول القائل :

وبلة ليس بها أنيس • إلا العاقر وإلا ليس<sup>(٢)</sup>

وفي التذييل ، « مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ » وقد تقدم . ( وَجْهَ رَبِّهِ الْأَهْلُ ) أي مرضاته وما يقرب منه . و«الأهل» من نعم الرب الذي استحق صفات العلو . ويجوز أن يكون « ابتناء وجه ربه » مفعولا له على المعنى ؛ لأن معنى الكلام : لا يؤتى ماله إلا ابتناء وجه ربه لا لمكافأة نعمته . ( وَلَسَوْفَ يَرْضَى ) أي سوف يعطيه في الجنة ما يرضى ؛ وذلك أنه يعطيه أضعاف ما أتقى . وروى أبو حيان التميمي عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ترحم الله أبا بكر زوجي أبنته وحملتني إلى دار الهجرة وأعتق بطلاً من ماله » . ولما اشتراه أبو بكر قال له بلال : هل اشتريتي لعملك أو لعملي الله ؟ قال : بل لعملي الله .

(١) الجحاذر ( جمع جؤذر ) وهي ولد البقرة الوحشية . والظلمان ( بالكسر والضم ) ( جمع الظلم ) وهو الذكر من النعام . (٢) العاقر ( جمع عاقر ) - وهو ولد النخلة وولد البقرة الوحشية أيضا . والويس : لؤلؤ يضئ بمحاذاة يانها شفرة ؛ جمع أيس (٣) آية ٦٦ سورة النساء . راجع ج ٥ ص ٢٧٠

قال: تَقَرَّرْتُ وَعَمِلْتُ اللَّهَ ، فَاعْتَقَهُ . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أبو بكر سَيِّدَنَا  
وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا (بني بلال رضي الله عنه) . وقال عطاء - وروى عن ابن عباس - : إن السورة  
نزلت في أبي الدُّحْدَاح ، في النخلة التي اشتراها بمحاطله ؛ فيها ذكر التلمي عن عطاء . وقال  
القشيري عن ابن عباس : بأربعين نخلة ؛ ولم يُسمَّ الرجل . قال عطاء : كان لرجل من الأنصار  
نخلة ، يسقط من يَحِمْها في دار جارية له ، فيتناولها صبيانها ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه  
وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "تَيْمِمَهَا بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ" ؟ فابى ، فخرج فلقبهُ أبو الدُّحْدَاح  
فقال : هل لك أن تَيْمِمَها به ؟ حسنى ؟ ؟ حاطط له . فقال : هي لك . فأتى أبو الدُّحْدَاح إلى  
النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، اشتراها مني بنخلة في الجنة . قال : "نعم والذي  
نفسي بيده" فقال : هي لك يا رسول الله ؛ فدعا النبي صلى الله عليه وسلم جارا الأنصاري  
فقال : "خذها" فقلت «وَاللَّيْلُ إِذَا يَنْشَأُ» إلى آخر السورة في بستان أبي الدُّحْدَاح  
ومصاحب النخلة . «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى» يعني أبا الدُّحْدَاح . «وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى» أي  
بالتواب «فَسَيَّرَهُ لِجَنَّتِي» يعني الجنة . «وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى» يعني الأنصاري .  
«وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى» أي بالتواب . «فَسَيَّرَهُ لِجَنَّتِي» يعني جهنم . «وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ  
إِذَا تَرَدَّى» أي مات . إلى قوله : «لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى» يعني بذلك الخنزرجي ؛ وكان  
منافقا فأتى على نفاقه . «وَسَيَّرَهَا لِأَتَقَى» يعني أبا الدُّحْدَاح . «الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى»  
في ثمن تلك النخلة . «وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى» يكافئه عليها ؛ يعني أبا الدُّحْدَاح .  
«وَلَسَوْفَ يَرْتَقَى» إذا أدخله الله الجنة . والأكثر أن السورة نزلت في أبي بكر رضي الله  
عنه . وروى ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وعبد الله بن الزبير وغيرهم . وقد ذكرنا  
خبرا آخر لأبي الدُّحْدَاح في سورة «البقرة» عند قوله : «مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرَضًا  
لَهُ» . والله تعالى أعلم .

## سورة الضحى

مكية باتفاق . وهي إحدى عشرة آية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَالضُّحَى ① وَاللَّيْلِ إِذَا يَجَى ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ

وَمَا كَانَ ③

قوله تعالى : ( وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا يَجَى ) قد تقدم القول في «الضحى» ، والمراد به النهار ؛ لقوله : « وَاللَّيْلِ إِذَا يَجَى » قتادة باليل . وفي سورة (الأعراف) « أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا بَيَّاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ . أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسًا نَهْيًا وَهُمْ يُلَاحِظُونَ » أي نهارا . وقال قتادة ومقاتل وجعفر الصادق : أقسم بالضحى الذي كلم الله فيه موسى و ليلة المعراج . وقيل : هي الساعة التي تحرق فيها السحرة هُبْدًا . بيانه قوله تعالى : « وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ سِحْرًا » . وقال أهل المعاني فيه وفي أمثاله : فيه إضمار ، مجازه وربُّ الضحى . و « تَجَى » معناه سكن ؛ قاله قتادة ومجاهد وابن زيد وعكرمة . يقال : لَيْلَةٌ سَاجِيَةٌ أَيْ سَاكِنَةٌ . ويقال للمين إذا سكن طرفها : سَاجِيَةٌ . يقال : تَجَى اللَّيْلُ يَسْجُو سَجْوًا إِذَا سَكَنَ . والبحر إذا سَجَى : سَكَنَ . قال الأعشى :

فَمَا ذُنُوبُنَا أَنْ جَاشَ بِحَرَائِنِ عَمَكِ • وَبَحْرُكَ سَاجٍ مَا يُوَارِي الدَّعَائِمَا

وقال الرازي :

يَا حَبِذَا لَقَمَرُهُ وَاللَّيْلُ السَّاجُ • وَطُرُقُ مِثْلِ مُلَاةِ النَّسَاجِ

(١) رابع من ٧٢ وما بعدها من هذا الجزء (٢) آية ٩٧ ، ٩٨ (٣) آية ٥٩ سورة طه

(٤) في اللسان : « يسجو يسجوا ويسجوا » . (٥) في ديوان الأعمش : « أوطق أن جاش ... »  
والعامس : جمع الدعوس ، وهو دوية صغيرة تكون في مستنقع الماء .

وقال جرير :

وقد ربتك يوم رحن بأعين \* ينظرون من خلل الستور سواح  
وقال الضحاك : « حياء » غلى كل شيء . قال الأصمعي : « حياء الليل تقطعه النهار ؛ مثلما يدحى  
الرجل بالنوب . وقال الحسن : غشى بظلامه ؛ وقاله ابن عباس . وعنه : إذا ذهب .  
وعنه أيضا : إذا أنظم . وقال سعيد بن جبير : أقبل ؛ وروى عن قتادة أيضا . وروى  
ابن أبي نجيح عن مجاهد : « حياء استوى . والقول الأول أشهر في اللغة : « حياء » سكن ؛ أى  
سكن الناس فيه . كما يقال : نهار صائم وليل قائم . وقيل : سكنه استقرار ظلامه واستوائه .  
ويقال : « والضحي . والليل إذا تهيى » ينى عباده الذين يبدونه في وقت الضحي ،  
وعباده الذين يبدونه بالليل إذا أنظم . ويقال : « الضحي » ينى نور الجنة إذا توار .  
« والليل إذا تهيى » ينى ظلمة الليل إذا أنظم . ويقال : « والضحي » ينى النور الذى  
في قلوب المارقين كهية النهار . « والليل إذا تهيى » ينى السواد الذى في قلوب الكافرين  
كهية الليل ؛ فأقسم الله عز وجل بهذه الأشياء . ( ما ودعك ربك ) هذا جواب القسم .  
وكان جبريل عليه السلام أبطأ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال المشركون : قلاه الله ودعاه ؛  
فزلت الآية . وقال ابن جرير : احتبس عنه الوحي اثني عشر يوما . وقال ابن عباس : نحسة  
عشر يوما . وقيل : خمسة وعشرين يوما . وقال مقاتل : أربعين يوما . فقال المشركون :  
إن هذا ودعه ربه وقلاه ، ولو كان أمره من الله تابع عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من  
الأنبياء . وفي البخارى عن جندب بن صفيان قال : اشكى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فلم يتم ليثنين أو ثلاثا ؛ بغاء امرأة<sup>(١)</sup> فقالت : يا عبد ، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ،  
لم أنه تركك منذ ليثنين أو ثلاث ؛ فأنزل الله عز وجل « والضحي . والليل إذا تهيى . ما ودعك  
ربك وما قتل » . وفي الترمذى عن جندب الجعفي قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم  
في غار فدعيت إصبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هل أنت إلا أصبح دعيت ،

(١) هي العواء بنت حارث أبي سفيان ، وهي حاة الخطيب ، وهي زوج أبي لمب .

وفي سبيل الله ما بقيت<sup>(١)</sup> . قال : وأبلا عليه جبريل فقال للمشركون : قد ودّع عبدي  
فأنزل الله تبارك وتعالى « ما ودّعك ربك وما قلى » . هذا حديث حسن صحيح . لم يذكر  
الترمذى : « فلم يبق ليلتين أو ثلاثا » أسقطه الترمذى . وذكره البخارى ، وهو أصح  
ما قيل في ذلك . والله أعلم . وقد ذكره الثعلبى أيضا من جندب بن مسفيان البجلي قال :  
رُوي النبي صلى الله عليه وسلم في أصبعه بحجر فدميت فقال : « هل أنت إلا أصبع دمت ،  
وفي سبيل الله ما بقيت » فكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم الليل . فقالت له أم جميل امرأة  
أبي لهب : ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، لم أره قريبا منذ ليلتين أو ثلاث ، فزلت  
« والضحى » . وروى عن أبي عمران الجوني قال : أبلا جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم حتى  
شق عليه ، بغاه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو ؛ فكث بين كفيه وأنزل عليه « ما ودّعك  
ربك وما قلى » . وقالت خولة — وكانت تحب النبي صلى الله عليه وسلم — : إن جبرؤد دخل  
البيت فدخل تحت السرير فأتى ؛ فكث نبى الله صلى الله عليه وسلم إياما لا ينزل عليه الوحى .  
فقال : « يا خولة ما حدث في بيتي ؟ ما لجبريل لا يأتيني » ؛ قالت خولة فقلت : لو هياأتُ  
البيت وكُنستُه ، فأهويتُ بالمكينة تحت السرير فلما جبرؤد ميت ، فأخذته فالتقيته خلف  
الجدار ، بغاه نبى الله عز وجل ليلاه — وكان إذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة — فقال : « يا خولة  
دعيني » فأنزل الله هذه السورة . ولما نزل جبريل سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن التأثر  
فقال : « أما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة » . وقيل : لما سأله اليهود عن الروح  
ونفى القرنين وأصحاب الكهف قال : « ما أخبركم خدا<sup>(٢)</sup> ولم يقل إن شاء الله . فاحتس منه  
الوحى ، إلى أن نزل جبريل عليه بقوله « ولا تقولن شيئا إن فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله<sup>(٣)</sup> »  
فأخبره بما سئل عنه . وفي هذه القصة نزلت « ما ودّعك ربك وما قلى » . وقيل : إن المسلمين  
قالوا : يا رسول الله ، مالك لا ينزل عليك الوحى ؟ فقال : « وكيف ينزل على وأتم لا تتقنون  
روايتكم<sup>(٤)</sup> — وفي رواية براءكم<sup>(٥)</sup> — ولا تحصون أظفاركم ولا تأخذون من شوا ربكم<sup>(٦)</sup> » فزل  
(١) آية ٢٣ سورة الكهف . (٢) الروايب (واحد رابية) : وهي ما بين عقد الأصابع  
والرابع (واحد رابعة بالضم) : هي العقد التي في ظهور الأصابع يجتمع فيها الروح .

جبريل بهذه السورة ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما جئتُ حتى اشتفتُ إليك » فقال جبريل : « وأنا كنتُ أشدُّ إليك شوقاً ولكنني عبدٌ مأمورٌ » ثم أنزل عليه « وما تنزلُ إلا بأمرِ ربِّك » . « ودَعَكَ » بالتشديد قراءة العامة من التوديع ، وذلك كتوديع المفاقر . وروى عن ابن عباس وابن الزبير أنهما قرآه « ودَعَكَ » بالتخفيف ومعناه ترك . قال :

وَمِمْ وَدَعْنَا آلَ عَمْرٍو وَعَامِر • فَرَأَسَ اطْرَافَ الْمُخْتَفَةِ السَّعِيرِ<sup>(١٦)</sup>

واستعمله قليل . يقال : هو يدع كذا ؛ أى يتركه . قال المبرد محمد بن يزيد : لا يكادون يقولون ودع ولا ودّر لضعف الواو إذا قُدِّمت ، واستغنوا عنها بترك .

قوله تعالى : ( وما قَلَى ) أى ما أبغضك ربُّك منذ أحبك . وترك الكاف لأنه رأس آية . والقلى البغض ؛ فإن تحت القاف مددت ؛ تقول : قلاه يقليه قلى وقلاه . كما تقول : قرئت الضيف أقرئه قرى وقرآه . وقلاه لغة طيء . وأنشد مطب :

• أَيَّامُ أُمِّ النَّمْرِ لَا تَقْلَاحَا<sup>(١٧)</sup>

أى لا نبغضها . وقلى أى تبغض . وقال :

أَسِئْىَ بِنَا أَوْ أَحْسَنِ لَا مَلُومَةٌ • لَدِينَا وَلَا مَقِيلَةٌ إِنْ قَتَلْتَ

وقال أمرؤ القيس :

• وَلَسْتُ بِمَقِيلٍ لِجَلَالِ وَلَا قَالِ<sup>(١٨)</sup>

وتأويل الآية : ما ودعك ربُّك وما فلاك . فترك الكاف لأنه رأس آية ؛ كما قال عز وجل : « وَاللَّذَا كَرَيْنَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالَّذَا كَرَاتِ » أى والذاكرات الله .

(١) آية ١٤ سورة مريم .

(٢) المختفة والمخفف : الزخ .

(٣) كذا في اللسان . وفي الأصول : « يارب » . ويبدل ك في اللسان ؛

• وَلَوْ تَنَاءَ بَقِلْتُ مِطَاطَا •

(٥) صغر البيت :

(٤) هو كناية عنزة .

• صرقت الحموى نهن من غشية الردى •

(٦) آية ٣٥ سورة الأحزاب .

قوله تعالى : وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ

رَبُّكَ فَفَرِّضْ ۝

روى سلمة عن ابن إسحاق قال : « وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى » أى ما عندى  
 و مرجعك إلى ما عهد خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا . وقال ابن عباس : أرى  
 النبي صلى الله عليه وسلم ما يفتح الله على أمته بعده مُرَبَّنَا ؛ فنزل جبريل بقوله : « وَلَلْآخِرَةُ  
 خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَفَرِّضْ » . قال ابن إسحاق : الفتح فى الدنيا  
 والثواب فى الآخرة . وقيل : المحض والشفاعة . وعن ابن عباس : ألف قصر من لؤلؤ أبيض  
 ترأبها المسك . ونفسه الأوزاعي قال : حدثني إسماعيل بن عبيد الله عن علي بن عبد الله  
 ابن عباس عن أبيه قال : أرى النبي صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على أمته مُرَبَّنَا ؛  
 فانزل الله عز وجل « والضحى » إلى قوله تعالى - وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَفَرِّضْ »  
 فأعماه الله جل ثناؤه ألف قصر فى الجنة ، ترأبها المسك ؛ فى كل قصر ما ينبغي له من الأزواج  
 والخدم . وعنه قال : رضى عهد ألا يدخل أحد من أهل بيته النار . وقاله السدى . وقيل : هو  
 الشفاعة فى جميع المؤمنين . وعن علي رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « يُسَمِّعُنِي اللهُ فى أمَّتِي حتى يقول الله سبحانه لى رَضِيتُ بِأَعْدَاءِ قَوْلِ بَارَبِّ رَضِيتُ » . وفى صحيح  
 مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى فى إبراهيم :  
 « قَدْ تَبَيَّنَ قَاتِلُهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » وقول عيسى : « إِنْ تُسَبِّحْهُمْ قَاتِمٌ  
 بِإِسْمِكَ » فرفع يديه وقال : « اللَّهُمَّ آمَنَى آمَنَى » وبكى . فقال الله تعالى لجبريل : « اذهب  
 إلى عهد وربك أعلم قسلة ما يبكيك » فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فأخبره .  
 فقال الله تعالى لجبريل : « اذهب إلى عهد فقل له إن الله يقول لك إنا سفريك فى أمتك

(١) آية ٣٦ سورة إبراهيم .

(٢) آية ١١٨ سورة المائدة .

ولا نسوءك<sup>(١)</sup> . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إنكم تقولون إن أرحى آية في كتاب الله تعالى « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ » قالوا : إنا نقول ذلك . قال : ولكنا أهل البيت نقول : إن أرحى آية في كتاب الله قوله تعالى : « وَلَسَوْفَ يُمْسِكُ رَبُّكَ فِرْعَوْنَ » . وفي الحديث : لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إِذَا وَافَقَ لَا أَرْضَى وَوَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي الثَّارِ » .

### قوله تعالى : أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَغَاوَى ﴿١﴾

عند سبحانه منته على توبه محمد صلى الله عليه وسلم فقال : « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا » لا أب لك ، قد مات أبوك . ( غاوى ) أى جعل لك ماوى تأوى إليه عند محمك أبى طالب فكذلك . وقيل بل سفر بن محمد الصادق : لم أوتى النبي صلى الله عليه وسلم من أبويه ؟ فقال : لئلا يكون مخلوق عليه حق . وعن مجاهد : هو من قول العرب : دُرَّةٌ يَتِيمَةٌ ؛ إذا لم يكن لها مثل . فجاز الآية : أَلَمْ يَجِدْكَ وَاحِدًا فِي شَرْقٍ لَا نَظِيرَ لَكَ ، فأواك الله بأصحاب يحفظونك ويحيطونك .

### قوله تعالى : وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٢﴾

أى غافلا عما يراد بك من أمر النبوة فهداك ؛ أى أرشدك . والضلال هنا بمعنى الغفلة ؛ كقوله جل ثناؤه : « لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَلُغِي » أى لا يغفل . وقال فى حق نبيه : « وَإِنْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ » . وقال قوم : « ضَالًّا » لم تكن تدرى القرآن والشرايع ، فهداك الله إلى القرآن وشرايع الإسلام ؛ عن الضمك وشهر بن حوشب وغيرهما . وهو معنى

( ١ ) رواية الحديث كما ورد فى صحيح مسلم كتاب الإيمان : « أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل فى إبراهيم « رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً » فقال : « آية » ، وقال موسى عليه السلام « إنا نطلب لآية من ربك » ، وإن تنفر لم تلتك أنت العزيز الحكيم » فرجع يديه وقال : « اللهم آمين آمين » . وبكى ؛ فقال الله عز وجل : « يا جبريل اذهب إلى عبد ربك أعلم فله ما يبيحك » . فأما جبريل عليه الصلاة والسلام فأنه فأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم ؛ فقال الله : « يا جبريل اذهب إلى عبد قتل إنا سنرضيك فى أمك ولا نسوءك » .

( ٢ ) آية ٣ سورة الزمر . ( ٣ ) آية ٥٢ سورة طه . ( ٤ ) آية ٣ سورة يوسف

قوله تعالى : « مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكَلْبُ وَلَا الْإِيمَانُ » على ما بينا في سورة « الشورى » .  
 وقال قوم : « وَوَجَدَكَ ضَالًّا » أى فى قوم ضلال فهداهم الله بك . هذا قول الكلبي  
 والقرطبي . وعن السدى نحوه ؛ أى ووجد قومك فى ضلال فهداك إلى إرشادهم . وقيل :  
 « ووجدك ضالا » من الهجرة فهداك إليها . وقيل : « ضالًّا » أى ناسيا شأن الاستثناء حين  
 سئلت عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فاذكرك ؛ كما قال تعالى : « أَنْ تَضِلَّ  
 إِحْدَاهُمَا » . وقيل : ووجدك طالبا للقبلة فهداك إليها ؛ بيانه : « قَدْ نَرَى تَحَلُّبَ وَجْهِكَ  
 فِي السَّاءِ » الآية . ويكون الضلال بمعنى الطلب ؛ لأن الضال طالب . وقيل . ووجدك  
 متحيرا عن بيان ما نزل عليك فهداك إليه ؛ فيكون الضلال بمعنى التحير ؛ لأن الضال متحير .  
 وقيل : ووجدك ضالما فى قومك فهداك إليه ؛ ويكون الضلال بمعنى الضياع . وقيل :  
 ووجدك محبا للهديا فهداك إليها ؛ ويكون الضلال بمعنى المحبة . ومنه قوله تعالى : « قَالُوا  
 تَأْتِيهِمْ إِنْكَ لَتَنِى ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ » أى فى عبتك . قال الشاعر :

هذا الضلال أشاب منى المفرقا \* والعارضين ولم أكن مصحفا  
 عجبا لمرّة فى اختيار قطيعي \* بسد الضلال لجلها قد أخلفا

وقيل : « ضالا » فى شعاب مكة فهداك ورددك إلى جنتك عبد المطلب . قال ابن عباس :  
 ضلّ النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير فى شعاب مكة ، فراه أبو جهل منصرفا عن أغنامه ،  
 فردّه إلى جده عبد المطلب ؛ فترّاه عليه بذلك حين رده إلى جده على يدي علقه . وقال  
 سميد بن جبير : خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب فى سفر ، فاخذ إبليس  
 بزمام الناقة فى ليللة ظلماء ، فسدل بها عن الطريق ، فجاء جبريل عليه السلام فضخ إبليس  
 نفخة وقع منها إلى أرض الهند ، ورددّه إلى الغافلة ؛ فترّاه عليه بذلك . وقال كعب : إن  
 حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب ،

(٢) آية ٢٨٢ سورة البقرة .

(١) آية ٥٢ راجع ١٦ ص ٥٥

(٤) آية ٩٥ سورة يوسف .

(٢) آية ١٤٤ سورة البقرة .

(٥) الفرق (تقد وبجس) : وسط الرأس . والناض : صفحة الخد .

فسمعت عند باب مكة : حينئذ لك باطحاء مكة ، اليوم يرثك النور والدين والسما والجلال . قالت : فوضعت لأصليح ثيابي فسمعت همة شديدة فألفت فلم أره ، فقلت : معشر الناس ، أين الصبي ؟ فقالوا : لم نر شيئا ؛ فصحت : وإعدها ! ! فإذا شيخ فأن ينوكا على عصاه فقال : انذهبي إلى الصنم الأعظم ؛ فإن شاء أن يرثه عليك فعل . ثم طاف الشيخ بالصنم وقيل رأسه وقال : يارب ، لم تزل منك على قريش ، وهذه السعدية تزعم أن أبنا قد قتل ، فرده إن شئت . فانكب هبل على وجهه وتساقتلت الأصنام وقالت : إليك عا أيها الشيخ ، فهلاكنا على يدى محمد . فأتى الشيخ عصاه وأرتمه وقال : إن لا بك رباً لا يضيعة ، فأطليه على مهل . فأنحسرت قريش إلى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة ، فلم يجدوه . فطاف عبد المطلب بالكعبة سباً وتضرع إلى الله أن يرده ، وقال :  
يَا رَبِّ رُدِّ وَلَدِي مُحَمَّدًا • أَرَدَدَهُ رُبِّي وَأَخَذَهُ عِنْدِي يَدَا  
يَا وَبَّ إِنَّ مُحَمَّدَ لَمْ يَوْجِدَا • فَشَمَلُ قَوْمِي كُلَّهُمْ تَبَدَّدَا

فسمعوا منادياً ينادي من السماء : معاشر الناس لا تضيحوا ، فإن لمحمد رباً لا يخله ولا يضيعة ، وإن عمداً يوادى نيامة عند شجرة السمر . فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل ، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة ، يلعب بالأغصان والورق . وقيل : « وَوَجَدَكَ ضَالًّا » ليلة المراح ، حين انصرف عنك جبريل وأنت لا تعرف الطريق ، فهذه إلى ساق العرش . وقال أبو بكر الوزان وغيره : « وَوَجَدَكَ ضَالًّا » تحب أبا طالب فهذه إلى عبة ربك . وقال إسام بن عبد الله : « وَوَجَدَكَ ضَالًّا » بنفسك لا تدري من أنت ، فتركك بنفسك ومالك . وقال الجندى : « وَوَجَدَكَ مُتَعَيِّرًا فِي بَيَانِ الْكُتُبِ فَعَلِمْتُ الْيَأْسَ بِإِيَّاهُ » : « لَيْتَيْنِ لِلنَّاسِ مَا نُزِلَ إِلَيْهِمْ » الآية . « وَلَيْتَيْنِ لِمَنْ أَلْدَى <sup>مُرَدِّ</sup> أَخْتَلَفُوا فِيهِ » . وقال بعض المتكلمين : إذا وجدت العرب شجرة منفردة في فلاة من الأرض لا شجر معها سموها ضالة ، فمئدى بها إلى الطريق ، فقال الله تعالى

(١) آية ٤٤ سورة النمل .

(٢) آية ٦٤ سورة النمل .

لَنبِيٍّ عِندَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَوَجَدَكَ ضَالًّا » أى لا أحد على دينك، وأنت وحيد ليس  
معك أحد ، فَهَدَيْتُ بِكَ الْخَلْقَ إِلَى .

قلت : هذه الأقوال كلها حسان ، ثم منها ما هو معنوى ومنها ما هو حسي . والقول  
الأخير أعجب إلى ؛ لأنه يجمع الأقوال للمعنوية . وقال قوم : إنه كان على جملة ما كان القوم  
عليه لا يظهر لهم خلافا على ظاهر الحال ؛ فاما الشرك فلا يُطْلَقُ به ؛ بل كان على مراسم  
القوم في الظاهر أربعين سنة . وقال الكلبي والسدي : هذا على ظاهره ؛ أى وجدك كافرا  
والقوم كفار فهداك . وقد مضى هذا القول والرد عليه في سورة « الشورى » . وقيل : وجدك  
منمورا بأهل الشرك فيترك عنهم . يقال : ضل المساء في الليل ؛ ومنه « إِنَّمَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ »  
أى لحقنا بالتراب عند الدفن حتى كأننا لا نتميز من جملة . وفي قراءة الحسن « ووجدك ضالًّا  
فهدي » أى وجدك الضال فأهتدي بك ؛ وهذه قراءة على التفسير . وقيل : « ووجدك ضالًّا »  
لا يهتدي إليك قومك ولا يعرفون قدرك ؛ فهدي المسلمين إليك حتى آمنوا بك .

قوله تعالى : وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٥﴾

أى فقيرا لا مال لك . ( فَأَغْنَى ) أى فأفناك بخديجة رضى الله عنها ؛ يقال : مال الرجل  
يَعِيلُ عَيْلَةً إِذَا انْقَر. وقال أحبة بن الجلاح :

فَا بَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاءُ • وَمَا بَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى يَبْسُلُ

أى يفتقر . وقال مقاتل : فرضاك بما أعطاك من الرزق . وقال الكلبي : فتعك بالرزق .  
وقال ابن عطاء : ووجدك فقير النفس فأغنى قلبك . وقال الأخفش : وجدك ذا عيال ؛  
دليله « فَأَغْنَى » . ومنه قول جرير :

اللَّهُ أَنْزَلَ فِي الْعِصَابِ فَرِيضَةً • لِأَهْلِ السَّبِيلِ وَالْفَقِيرِ السَّائِلِ

(١) مثل هذه الأقوال لا يصح نسبتها إلى سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه ولا لأحد من الأنبياء ؛ لأن اللمعة  
تأية لم قبل النبوة ويهدى من الكبار والصغار على الصحيح . (٢) راجع ج ١٦ ص ٥٥ فابدها .  
(٣) آية ١٠ سورة السجدة .

وقيل : وجدك فقيرا من الحجج والبراهين فأغناك بها . وقيل : أغناك بما نفع لك من الفتح ، وأقامه عليك من أموال الكفار . القشيري : وفي هذا نظر ، لأن السورة مكية ، وإنما فرض الجهاد بالمدينة . وقراءة العامة « عاتلا » . وقرا ابن السميع « عيلا » بالتشديد ، مثل طيب وهين .

قوله تعالى : فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ① وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ②  
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ③

فيه أربع مسائل :

الأول - قوله تعالى : ( فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ) أى لا تسلط عليه بالظلم ، ادفع إليه حقه ، وأذكر نكحك ، ظله الأخفش . وقيل : هما لفتان بمعنى . وعن مجاهد « فلا تقهر » فلا تحتقر . وقرا النخعي والأشهب القبلي « تكهر » بالكاف ، وكذلك هو في مصحف ابن مسعود . فلي هذا يحتمل أن يكون نبيا عن قهره بظلمه وأخذ ماله . وخص اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله تعالى ، فنظ في أمره بتفليظ العقوبة على ظلمه . والعرب تعاقب بين الكاف والقاف . النحاس : وهذا غلط ، إنما يقال كهره إذا اشتد عليه وظلم . وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي حين تكلم في الصلاة برّد السلام قال : فبابي هو وأمي ! ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - فوافقه ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني ... الحديث . وقيل : القهر القلبة . والكهر : الزجر .

الثانية - ودلت الآية على اللطف باليتيم وبره والإحسان إليه ، حتى قال قتادة : كن لليتيم كالأب الرحيم . وروى عن أبي هريرة أن رجلا شكأ إلى النبي صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال : "إن أردت أن يلين فأمسح رأس اليتيم وأطعم المسكين" . وفي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أنا وكافل اليتيم له أو لغيره كهاتين" .

وأشار بالسبابة والوسطى . ومن حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
 " إن البيت إذا بكى أهر لكانه مرش الرحمن فيقول الله تعالى للملائكة يا ملائكتي من ذا الذي  
 أبكى هذا البيت الذي خبت إياه في التراب فتقول الملائكة ربنا أنت أعلم فيقول الله تعالى للملائكة  
 يا ملائكتي اشهدوا أن من أسكنه وأرضاه أن أرضيه يوم القيامة " . فكان ابن عمر إذا  
 رأى بيتاً مسح برأسه وأعطاه شيئاً . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 " من ضمَّ بيتاً فكان في غفته وكفاه مؤنته كان له حجاباً من النار يوم القيامة ومن مسح  
 برأسه بيلم كان له بكل شعرة حسنة " . وقال أئمة بن مسيق : الأذلاء أربعة : التمام  
 والكنايب والمديون واليتيم .

الثالثة - قوله تعالى : (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَ) أى لا تزجره ، فهو تنهى عن إغلاظ  
 القول . ولكن رُدّه بنزل يسير أو ردة جيل ، وأذكر فتركه ، قاله قتادة وغيره . وروى عن  
 أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يمنن أحدكم السائل وأن يعطيه إذا  
 سأل ولو رأى في يده قلين من ذهب " . وقال إبراهيم بن آدم : ثم القوم السائل يحملون زادنا  
 إلى الآخرة . وقال إبراهيم النخعي : السائل يريد الآخرة ، يحىء إلى باب أحدكم فيقول هل  
 تبعثون إلى أهليكم بشيء . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ردوا السائل ببذل  
 يسير أو ردة جميل فإنه يأتيكم من ليس من الإنس ولا من الجن ينظر كيف صنيعكم فيما خولكم  
 الله " . وقيل : المراد بالسائل هنا الذي يسأل عن الدين ، أى فلا تنهره بالنظرة والجفوة ،  
 وأجبه برفق ولين ، قاله سفيان . قال ابن العربي : وأما السائل من الدين فجوابه فرض على  
 العالم على الكفاية ، كإعطائه سائل البر سواء . وقد كان أبو الترداء ينظر إلى أصحاب الحديث  
 ويسطو رداءه لهم ويقول : مرحباً بأخيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي حديث  
 أبي هارون السعدي عن أبي سعيد الخدري قال : " كنا إذا أتينا أبا سعيد يقول مرحباً بوصية  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الناس لكم تبع "

وإن رجالاً ياتونكم من افطار الأرض يتفقون فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً" وفي رواية "يأتيكم رجال من قبل المشرق" فذكره . و«اليتيم» منصوبان بالفعل الذي بعده ؛ وحق المنصوب أن يكون بعد الفاء ، والتقدير : مهما يكن من شيء فلا تقهر اليتيم ولا تهر السائل . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «سألت ربي مسألة وددت أني لم أسألهما قلت يا رب اتخذ إبراهيم خليلاً وكنت موسى تكلياً وظهرت مع داود الجبال يسبحن وأعطيت فلاناً كفا فقال عز وجل ألم أجعلك نبياً فآويتك ألم أجعلك خالاً لهديتك ألم أجعلك مالاً فاغيتك ألم أشرح لك صدرك ألم أوتيك ما لم أوت أحدك قبلك خواتيم سورة البقرة ألم اتخذك خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً قلت بلى يا رب» .

الرابطة - قوله تعالى : ( وَأَمَّا يَنْصَرِفَ رَبِّكَ حَتَّى ) أى انصرف ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء . والتحدث بعم الله والاعتراف بها شكر . وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد «وأما بصفة ربك» قال بالقرآن . وعنه قال : بالنبوة ؛ أى بلغ ما أودست به . والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والحكم عام له ولغيره . ومن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : إذا أصعبت خيراً أو علمت خيراً فحدث به الثقة من إخوانك . ومن حمور بن ميمون قال : إذا لقي الرجل من إخوانه من يثق به يقول له رزق الله من الصلاة البارحة كذا وكذا . وكانت أبو فراس عبد الله بن غالب إذا أصبح يقول : لقد رزقني الله البارحة كذا ، قرأت كذا ، وصليت كذا ، وذكرت الله كذا ، وضعت كذا : فقلنا له : يا أبا فراس ، إن مثلك لا يقول هذا ! قال يقول الله تعالى : « وَأَمَّا يَنْصَرِفَ رَبِّكَ حَتَّى » ويقولون أتم : لا نحدث بصفة الله ونحوه عن أيوب السخيتي وأبي رجاء الطائري رضي الله عنهم . وقال بكر بن عبد الله المزني قال النبي صلى الله عليه وسلم : «من أعطى خيراً فلم يرطبه مئى بنفض الله معادياً لنعم الله» . وروى الشعبي عن الثمان بن بشير قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالتم شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة مذاب» . وروى النسائي عن مالك بن نضلة الجشمي قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ، فرأى رث الثياب فقال : «ألك مال؟» قلت

نعم يا رسول الله ، من كل المال . قال : « إذا أتاك الله مالاً فليؤثره عليك » . وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده » .

فصل - يكبر القارئ في رواية البزّي عن ابن كثير - وقد رواه مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم - إذا بلغ آخر « والضحى » كبر بين كل سورة تكبيرة إلى أن ينتهي القرآن ، ولا يصل آخر السورة بتكبيره ؛ بل يفصل بينهما بسكتة . وكان المعنى في ذلك أن الوحي تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أياماً ، فقال ناس من المشركين : قد ودّعه صاحبه وقلاه ؛ فزلزلت هذه السورة فقال : « الله أكبر » . قال مجاهد : قرأت على ابن عباس فأمرني به وأخبرني به عن أبي عن النبي صلى الله عليه وسلم . ولا يكبر في قراءة الباقي ؛ لأنها دريعة إلى الزيادة في القرآن .

قلت : القرآن ثبت قلعاً متواتراً سُورته وآياته وحروفه لا زيادة فيه ولا نقصان ؛ فالتكبير على هذا ليس بقرآن . فإذا كان بسم الله الرحمن الرحيم المكتوب في المصحف بخط المصحف ليس بقرآن فكيف بالتكبير الذي هو ليس بمكتوب . أما إنه ثبت سنة بنقل الأحاد فاستحبه ابن كثير لأنه أوجب حفظاً من تركه . ذكر الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ في كتاب « المستدرک » له على البخاري ومسلم : حدثنا أبو يحيى محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ الإمام بمكة في المسجد الحرام قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن زيد الصائغ قال حدثنا أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي بزة سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرأت على إسماعيل ابن عبد الله بن قسطنطين ، فلما بلغت « والضحى » قال لي كبر عند خاتمة كل سورة حتى تنتهي ، فإني قرأت على عبد الله بن كثير فلما بلغت « والضحى » قال كبر حتى تنتهي . وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد ، وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك ، وأخبره ابن عباس أن أبي بن كعب أمره بذلك ، وأخبره أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك . هذا حديث صحيح ولم ينزهه .

سورة « ألم نشرح »  
مكية في قول الجميع . وهي ثمانى آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾

شَرَحَ الصدر : فتحه ؛ أى ألم نفتح صدرك للإسلام . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : ألم تُلِّمَ لك قلبك . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : قالوا يا رسول الله ، أيشرح الصدر ؟ قال : « نعم وينفص » قالوا : يا رسول الله ، وهل لذلك علامة ؟ قال : « نعم اتساقى من دار الغرور والإثابة إلى دار الخلود والاعتداد لقوت قبل نزول الموت » . وقد مضى هذا المعنى فى « الزمر »<sup>(١)</sup> عند قوله تعالى : « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ » للإسلام فهو على نور من ربه . وروى عن الحسن قال : « ألم نشرح لك صدرك » قال : لمن حكما وعلمها . وفى الصحيح عن أنس بن مالك عن مالك بن صمصة - رجلى من قومه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فبينما أنا عند البيت بين الناس واليقظان إذ سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة فأتيته بطست من ذهب فيها ماء زمزم فشرح صدرى إلى كذا وكذا » قال فتادة قلت : ما بيني ؟ قال : إلى أسفل بطني ، قال : « فاستخرج قلبي ففصل قلبي بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشيت إيماناً وحكمة » . وفى الحديث قصة . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « جاءنى ملكان فى صورة طائرهما ماء وتلج فشرح أحدهما صدرى وفتح الآخر بمنقاره فيه فضله » .

(١) راجع به ١٥ ص ٢٤٧ (٢) وهذه رواية الترمذى فى كتاب الفجر . (٣) فى صحيح مسلم : « أحد الثلاثة بين الرجلين » وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان تأتما معه حينئذ عنه حزة بن عبد المطلب وابن عمه يسفر ابن أبي طالب . راجع شرح هذا الحديث فى صحيح مسلم (باب الاسراء) . وفى شرح القسطلانى فى كتاب بدء الخلق (باب ذكر الملائكة) .

وفي حديث آخر قال : « جاءني ملك فشق عن قلبي فاستخرج منه حذرة <sup>(١)</sup> وقال قلبك وكيع وعيناك بصيرتان وأذنك سمعتان أنت عهد رسول الله لسألك صادق وقسك مطمئنة وخلقت قُومَ وانت قُومٌ » . قال أهل اللغة : قوله « وكيع » أى يحفظ ما يوضع فيه . يقال : سقاء وكيع ، أى قوي يحفظ ما يوضع فيه . وأستوكست مِعْدَتَهُ أى قُوِيَتْ . وقوله « قُومٌ » أى جامع . يقال : رجل قُومٌ للخير ، أى جامع له . ومعنى « الم نشرح » قد شرحنا ؛ الدليل على ذلك قوله فى النَّسَقِ عليه : « وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ » فهذا عطف على التَّوِيلِ لا على التَّزِيلِ ؛ لأنه لو كان على التَّزِيلِ لقال : ونضع عنك وزرك . فدلَّ هذا على أن معنى « الم نشرح » قد شرحنا . و« لم » بمجْد وفي الاستفهام طَرْف من المجْد ، وإذا وقع بمَجْد على مجْد رجع إلى التحقيق ؛ كقوله تعالى : « أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ » ومعناه : الله أحكم الحاكمين . وكذا « أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ » . ومثله قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان :

السم خير من ركب المطايا • واندى العالمين بطُوبى واج

المعنى : أتم كذا .

قوله تعالى : « وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ » ۝ أَلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝

قوله تعالى : « وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ » أى حططنا عنك ذَنْبَكَ . وقرأ أنس « وحططنا وحططنا » . وقرأ ابن مسعود « وحططنا عنك وِزْرَكَ » . هذه الآية مثل قوله تعالى : « لِغَيْرِكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ » . قيل : الجمع كان قبل التَّوْبَةِ . والوِزْرُ : الذَّنْبُ ؛ أى وضعتنا عنك ما كنت فيه من أمر الجاهلية ؛ لأنه كان صلى الله عليه وسلم فى كثير من مذاهب قومه ، وإن لم يكن عبداً صنماً ولا وثناً . قال قتادة والحسن والضحاك : كانت النبي صلى الله عليه وسلم ذنوب أهله ، فغفرها الله له . ( الذى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ) أى أهله حتى شُيِّع

(١) كذا فى بعض نسخ الأصل . وفى بعض الآخر : « حذرة » بالفتح المعجمة والهاء الالهية . ولم تقف على هذا اللفظ لغير القرطبي . (٢) آية ٨ سورة البين . (٣) آية ٣٦ سورة الزمر . (٤) آية ٢ سورة فتح .

تحمسه، أى صوته . وأهل اللغة يقولون : أغمض الحبل ظهره إذا سمعت له صريراً من شدة الحمل . وكذلك سمعت قبيض الرجل؛ أى صريره . قال جميل :

وحى ندامت بالتقيض جباله • وهمت بوائى زوره أن تحطما

« بوائى زوره » أى أصول صدره . قالوزد : الجبل العظيم . قال المحاسبي : معنى يقل الوزد لولم يفل الله عنه . ( الذى أقض ظهره ) أى أثقله وأثعبه . قال : وإنما وصفت ذنوب الأنبياء بهذا الثقل مع كونها مغفورة ، لشدة اهتمامهم بها ، وتقدمهم منها ، وتحسرهم عليها . وقال السدي : « وَرَفَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ » أى وحططنا عنك ثقلك . وهى فى قراءة عبد الله بن مسعود « وحططنا عنك وِزْرَكَ » . وقيل : أى حططنا عنك ثقل آثام الجاهلية . قال الحسين ابن الفضل : معنى انحط والسُّوء . وقيل : ذنوب أنتك ، أضافها إليه لاشتغال قلبه بها . وقال عبد العزيز بن يحيى وأبو عبيدة : خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بها حتى لا تثقل عليك . وقيل : كان فى الابتلاء ينقل عليه الوعى حتى كاد يرى نفسه من شاق الجبل ، إلى أن جاءه جبريل وأراه نفسه ، وأزيل عنه ما كان يخاف من تغير العقل . وقيل : مصمناك عن احتمال الوزد ، وحفظناك قبل النبوة فى الأربعين من الأدناس ، حتى نزل عليك الوحى وأنت مظهر من الأدناس .

قوله تسال : وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿١﴾

قال مجاهد : يعنى بالتأذين . وفيه يقول حسان بن ثابت :

أَغْرَطِيهِ لِلنَّبْوةِ خَاتَمٌ • من الله مشهودٌ يلوح ويُشهِدُ

وَضَمَّ إِلَهُ أَسْمَ النَّبِيِّ إِلَى أَسْمِهِ • إذا قال فى الخمس المؤذُنُ أَشْهَدُ

وَرَوَى عن الضمك عن ابن عباس قال : يقول له لا ذِكْرَتْ إلا ذِكْرَتْ معى فى الأذان والإقامة والتشهد ، ويوم الجمعة على المنابر ، ويوم الفطر ، ويوم الأضحى ، وأيام التشريق ،

( ١ ) فى شراذم ابن خالويه : « وحططنا عنك وزرك » من أنس بن مالك . « وحطنا وحططنا » جميعاً

ومن ابن مسعود .

ويوم عرفة ، وعند الجمار ، وعلى الصفا والمروة ، وفي خطبة النكاح ، وفي مشارق الأرض ومغاربها . ولو أن رجلا عبد الله جل شأؤه وصدق بالجنة والنار وكل شيء ، ولم ينهد أن يحيا رسول الله لم يفتق بشيء ، وكان كافرا . وقيل : أي أعلينا ذكرك فذكرك في الكتب المتقلة على الأنبياء قبلك ، وأمرناهم بالشارة بك ، ولادين إلا ودينك يظهر عليه . وقيل : ومعنا ذكرك عند الملائكة في السماء ، وفي الأرض عند المؤمنين ، ونرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرام الدرجات .

قوله تعالى : فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿١﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٢﴾  
 أي إن مع الضيقة والشدة يسرا ، أي سعة وغيث . ثم كرر فقال : ( إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا )  
 فقال قوم : هذا التكرير تأكيد للكلام ، كما يقال : ارجع ارجع ، ارجع ارجع ، قال الله تعالى :  
 « كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ » . وتظيره في تكرار الجواب : بلى بلى ، لا لا .  
 وذلك للإطناب والمبالغة ، قاله الفراء . ومنه قول الشاعر :

هَمَّتْ بِنَفْسِي بَعْضَ الْمَهْمومِ • فَأَوْتَى لِنَفْسِي أَوْتَى لَهَا<sup>(١)</sup>

وقال قوم : إن من عادة العرب إذا ذكروا أمما متوقفا ثم كُتِبَ فهو هو . وإذا كُتِبَ ثم كُتِبَ فهو ضربه . وهذا أثنان ليكون أقوى للأمل وأبسط على الصبر ، قاله ثعلب .  
 وقال ابن عباس : يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا ، وخلقت يسرين ، ولن يغلب عسر يسرين . وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة أنه قال :  
 « لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يَسْرِينَ » . وقال ابن مسعود : والذي قسمي بيده لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ، ولن يغلب عسر يسرين . وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب يذكر له جوعا من الزوم وما يتخوف منهم ، فكتب إليه عمر رضي الله عنهما :  
 أما بعد ، فإنه مهما يترد عبد مؤمن من مثل شدة يجعل الله بعده فرجا ، وإنه لن يغلب عسر يسرين ، وإن الله تعالى يقول في كتابه : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا »

(١) آية ٣ سورة المائدة . (٢) البيت نفسه . روى : • همت بغير كل المهوم •

(٣) أي في رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وَأَقْرَأُوا اللَّهَ لَكُمْ تَقْضُونَ<sup>(١)</sup> . وقال قوم منهم الجُرْحَانِي : هذا قول مدخول ؛ لأنه يجب على هذا التدرج إذا قال الرجل : إن مع الفارس سيفاً ، إن مع الفارس سيفاً ؛ أن يكون الفارس واحداً والسيف اثنان . والصحيح أن يقال : إن الله بث نبيه عما صل الله عليه وسلم مُقْبِلًا مُخَفًّا نعيمه المشركون بفقره حتى قالوا له : لمج لك مالاً ، فَأَعْتَمَ وظن أنهم كذبوه لفقره ؛ فزأه الله وعقد نيمه عليه ، وودعه الفتى بقوله : هَذَا مَعَ الْمُتَسَرِّبِ<sup>(٢)</sup> أَي لَا يُحْزَنُكَ مَا يَبْرُوكُ بِهِ مِنَ الْفَقْرِ ؛ فَإِنَّ مَعَ ذَلِكَ الْمُتَسَرِّبِ عَاجِلًا ؛ أَي فِي الدُّنْيَا . فَأَنْجَزْهُ مَا وَدَّه . فلم يمت حتى فتح عليه الجواز واليمن ، وتوسع ذات يده حتى كان يحيط الرجل الماسكين من الإبل ، ويهب الهبات السيئة ، وَيُسَدُّ لَأَهْلِهِ قُوْتَ سَنَةٍ . فهذا الفضل كله من أمر الدنيا ؛ وإن كان خاصاً بالنبي صل الله عليه وسلم فقد يدخل فيه بعض أمته إن شاء الله تعالى . ثم ابتداءً فضلاً آخر من أمر الآخرة وفيه تآسِية وتعزية له صل الله عليه وسلم فقال مبتدأ : هَذَا مَعَ الْمُتَسَرِّبِ<sup>(٣)</sup> فهو شيء آخر . والدليل على ابتدائه تعزیه من فاء أو واء أو غيرهما من حروف النسق التي تدل على العطف . فهذا وعد عام لجميع المؤمنين لا يخرج أحدهم ؛ أَي إِنْ مَعَ الْعَمْرِ فِي الدُّنْيَا لَوُثِّينَ يُسْرًا فِي الْآخِرَةِ لَا عَمَالَةَ . وَرُبَّمَا أَجْمَعَ يُسْرُ الدُّنْيَا وَيُسْرُ الْآخِرَةِ . والذي في الخبر : "لَنْ يَنْظُرَ عَمْرٌ يُسْرَيْنَ" يعني العمر الواحد لن ينظرهما ، وإنما ينظر أحدهما إِنْ ظَلَبَ وهو يسر الدنيا ؛ فَمَا يُسْرُ الْآخِرَةِ فَكَأَنَّ لَا عَمَالَةَ وَلَنْ يَنْظُرَ شَيْءٌ . أو يقال : «إِنَّ مَعَ الْعَمْرِ» وهو إخراج أهل مكة النبي صل الله عليه وسلم من مكة «يُسْرًا» وهو دخوله يوم فتح مكة مع حشرة آلاف رجل مع عزٍّ وَشَرَفٍ .

قوله تعالى : فَإِذَا قَرَعْتَ قَأْنَصَبَ ﴿٦﴾ وَلَمْ يَكْ قَارَعَبَ ﴿٧﴾

فيه مسألتان :

الأولى - قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَعْتَ﴾ قال ابن عباس وقتادة : فإذا فرغت من صلاحك ﴿قَأْنَصَبَ﴾ أَي بالغ في الدعاء وسأله حاجتك . وقال ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض

فَأَنْصَبَ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : إِذَا فَرَعْتَ مِنْ تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ « فَأَنْصَبْ » أَيْ اسْتَغْفِرْ لَذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَادَةَ أَيْضًا : إِذَا فَرَعْتَ مِنْ جِهَادِ مَدْرَكَ فَأَنْصَبْ لِعِبَادَةِ رَبِّكَ . وَعَنْ مُجَاهِدٍ : « إِذَا فَرَعْتَ » مِنْ دُنْيَاكَ « فَأَنْصَبْ » فِي صَلَاتِكَ . وَنَحْوَهُ عَنْ الْحَسَنِ . وَقَالَ الْجَنَيْدُ : إِذَا فَرَعْتَ مِنْ أَمْرِ الْخَلْقِ فَأَجْتَهِدْ فِي عِبَادَةِ الْحَقِّ . قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ : « وَمِنَ الْمُبْتَدِعَةِ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ « فَأَنْصَبْ » بِكسر الصاد والحمز فِي أَوَّلِهِ ، وَقَالُوا : مَعْنَاهُ أَنْصَبِ الْإِمَامَ الَّذِي تَسْتَخْلِفُهُ . وَهَذَا بَاطِلٌ فِي الْقِرَاءَةِ بَاطِلٌ فِي الْمَعْنَى ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْتَخْلَفْ أَحَدًا . وَقَرَأَهَا بَعْضُ الْجُهَّالِ « فَأَنْصَبْ » بِشَدِيدِ الْبَاءِ ، مَعْنَاهُ إِذَا فَرَعْتَ مِنَ الْجِهَادِ فَيُجَدِّدْ فِي الرُّجُوعِ إِلَى بَيْتِكَ . وَهَذَا بَاطِلٌ — أَيْضًا — قِرَاءَةٌ مُخَالَفَةٌ لِلْإِجْمَاعِ لَكِنْ مَعْنَاهُ صَحِيحٌ ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ يَنْجِي أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ فَلْيُجِبِلْ الرُّجُوعَ إِلَى أَهْلِهِ » . وَأَخَذَ النَّاسُ عَذَابًا وَأَسْوَأَهُمْ مَاءً وَمَذَابًا مِنْ أَخَذَ مَعْنَى صَحِيحًا فَزَكَّبَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ قِرَاءَةً أَوْ حَدِيثًا فَيَكُونُ كَاذِبًا عَلَى اللَّهِ كَاذِبًا عَلَى رَسُولِهِ ؛ وَمِنْ أَظْلَمَ مِنْ أَقْرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . « قَالَ الْمُتَهَنِّي : وَرَوَى عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ أَنَّهُ قَرَأَ « أَلَمْ نُنْشِرْكَ لَكَ صَدْرَكَ » بِفَتْحِ الْخَاءِ ؛ وَهُوَ بَيِّنٌ ، وَقَدْ يُؤْتَلَّ عَلَى تَعْدِيرِ النَّوْنِ الْخَفِيفَةِ ، ثُمَّ أَبْدَلَتْ النَّوْنُ أَقْفًا فِي الْوَقْفِ ، ثُمَّ حُلِيَ الْوَصْلُ عَلَى الْوَقْفِ ثُمَّ حَذَفَتْ الْأَلْفُ . وَأَقْسَدَ عَلَيْهِ :

إِضْرَبَ عَنْكَ الْهَمُومَ طَارِقَهَا • ضَرَبَكَ بِالسُّوْطِ قَوْنَسَ الْقُرُونِ<sup>(١)</sup>

أَرَادَ : اضْرِبَنَّ . وَرَوَى عَنْ أَبِي السَّيِّدِ « إِذَا فَرَعْتَ » بِكسر الزاء ، وَهِيَ لَفَةٌ فِيهِ . وَفُرِّقَ « قَرَّبَ » أَيْ فَرَّقَ النَّاسَ إِلَى مَا عِنْدَهُ .

الثَّانِيَةُ — قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ : « رَوَى عَنْ شُرَيْحٍ أَنَّهُ سَمِعَ جُومَ يَلْعُونُ يَوْمَ حَيْدٍ فَقَالَ مَا بِهَذَا أَمْرَ الشَّارِعِ . وَفِيهِ نَظَرٌ ، فَإِنَّ الْخَبَشَ كَانُوا يَلْعُونُ بِاللُّرُقِّ وَالْحُرَابِ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمَ

(١) قَوْنَسَ الْقُرُونِ : مَا بَيْنَ أَذْنَيْهِ . وَقِيلَ مُقَدِّمَ رَأْسِهِ . وَهِيَ لَفَةٌ ، وَبِهَا إِهْ صَوْرٌ عَلَيْهِ .

العبد والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر . ودخل أبو بكر في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة رضى الله عنها وعندها جاريتان من جوارى الأنصار تُقْنِيَانِ؛ فقال أبو بكر: أبزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: «دَعُوهمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهُ يَوْمَ عِيدٍ». وليس يلزم الذنوب على العمل بل هو مكروه للخلق .»

### تفسير سورة « والتين »

مكية في قول الأكثر . وقال ابن عباس وقادة : هي مدنية ، وهي ثمانى آيات .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ①

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ) قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي : هو زيتونكم الذى تأكلون ، وزيتونكم الذى تنصرون منه الزيت ؛ قال الله تعالى : « وَتَجْرَةُ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيْغُ اللَّائِكِلِينَ ① » . وقال أبو ذر : أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم سلٌّ من تين ؛ فقال : «كلوا» وأكل منه . ثم قال : «لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتفتح من القيرس» . وعن مُعَاذُ أَنَّهُ اسْتَاكَ بِقَضِيْبِ زَيْتُونٍ وَقَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «يَمُ السَّوَالِكُ الزَّيْتُونُ مِنَ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ يُطْلِبُ الْقَمَّ وَيُذْهِبُ بِالْحَقْرِ وَهِيَ سِوَاكِي وَسِوَاكِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِ» . وروى عن ابن عباس أيضا : التين مشيدٌ نوح عليه السلام الذى بُنِيَ عَلَى الْجُلُودِ ، والزيتون مسجد

(١) آية ٢٠ سورة الزمرون . (٢) الصم (بالضرب) : الترى .

(٣) احمر (بفتح الحاء وسكون القاف) : صفرة تلو الأسنان .

بيت المقدس . وقال الضحاك : التين المسجد الحرام ، والزيتون المسجد الأقصى . ابن زيد :  
 التين مسجد دمشق ، والزيتون مسجد بيت المقدس . قتادة : التين الجبل الذي عليه دمشق ،  
 والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس . وقال محمد بن كعب : التين مسجد أصحاب  
 الكهف ، والزيتون مسجد إيلياء . وقال كعب الأحبار وقتادة أيضا وعكرمة وابن زيد : التين  
 دمشق ، والزيتون بيت المقدس . وهذا اختيار الطبري . وقال الفراء : سمعت رجلا من  
 أهل الشام يقول : التين جبال ما بين حلوان إلى حمّذان ، والزيتون جبال الشام . وقيل :  
 هما جبلان بالشام ، يقال لما طور زيتا وطورتينا ( بالسريانية ) مُمَيّا بذلك لأنهما يُتَبَيَّنُهُما .  
 وكذا روى أبو مكي عن عكرمة قال : التين والزيتون جبلان بالشام . وقال [ الناجية ] :  
 \* ... أَتَيْنَ التَّيْنَ عَنْ مَرُوضٍ <sup>(١)</sup> \* .

وهذا اسم موضع . ويجوز أن يكون ذلك على حذف مضاف ؛ أي ومنابت التين والزيتون .  
 ولكن لا دليل على ذلك من ظاهر الترتيل ولا من قول من لا يجوز خلافه ؛ قاله النحاس .  
 الثانية - أجمع هذه الأقوال الأقل ؛ لأنه الحقيقة ولا يُستدل عن الحقيقة إلى المجاز  
 إلا بدليل . وإنما أقسم الله بالتين لأنه كان ستر آدم في الجنة ؛ لقوله تعالى : « وَيُخَصِّصَانِ  
 طَلِيمًا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ » <sup>(٢)</sup> وكان ورق التين . وقيل : أقسم به ليعين وجه الجنة العظمى فيه ؛  
 فإنه جميل المنظر ، طيب المنبر ، نشر الرائحة ، سهل الحقي ، على قدر المُنْضَةِ . وقد أحسن  
 الفاعل فيه :

انظر إلى التين في الفصوص مَحْمِي • ممزَّق الجسد مائل المنق  
 ككأنه ربّ نعمة سُلبت • فعاد بعد الحديد في الخلق  
 أصغرُ ما في اليهود أكبره • لكن يُنادى عليه في الطرق

(١) البيت بقائه كما في كتاب الملاحة لابن دريد وشعره النصرانية :

صحب الظلال أين التين من مرض • يزجج نجا غيللا ماؤه شبا

والصوب والصبية : الحرة . والمرض : الاعتراض ، أو الجلب . وزجج : يفتن . واثم : بارد . والبيت  
 قد وصف صحاب لا مائه فيها . وقد نسب المؤلف لغيره . (٢) آية ٢٢ سورة الأعراف .

وقال آخر :

التي يسدل عندي كل فاكهة • إذا أتيت ما تلا في غصته الزاهي  
تمش الوجه قد مالت حلاوته • كأنه راح من خشية الله  
وأقسم بالزيتون لأنه مثل به إبراهيم في قوله تعالى : « يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ » .  
وهو أكثر آدم أهل الشام والمغرب ؛ يصطخون به ويستعملونه في طبخهم ، ويستصحبون  
به ، ويأدوا به أدواء الجوف والقروح والجراحات ، وفيه منافع كثيرة . وقال عليه السلام :  
« نكَلُوا الزَّيْتِ وَأَذْهَبُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ » . وقد مضى في سورة « المؤمنين » القول فيه .  
الثالثة - قال ابن العربي : ولأمتان البارئ سبحانه وتعالى المنّة في التين ، وأنه  
مُفْتَاتٌ مُذْنَرٌ [فذلك] فلما يوجب الزكاة فيه . وإنما تكثر من السماء من التصريح بوجوب  
الزكاة فيه نعمة جود الولادة ؛ فلهم يحاملون في الأموال الزكائية فيأخذونها مقروا حسب ما  
أنذر به الصادق صل الله عليه وسلم . ففكر العلماء أن يجعلوا لهم سبيلا إلى مال أحد  
ينشطون فيه ، ولكن يبنى لله أن يخرج عن نعمة ربّه بأداء حقه . وقد قال الشافعي لهذه  
العلة وغيرها : لا زكاة في الزيتون . والصحيح وجوب الزكاة فيهما .

قوله تعالى : وَطُورٍ مَسِينٍ ﴿١١﴾

روى ابن أبي نجیح عن مجاهد « وطور » قال : جبل . « مسين » قال : مبارك ( بالسرانية ) .  
وعن عكرمة عن ابن عباس قال : « طور » جبل ، و« مسين » حسن . وقال قتادة : مسين  
هو المبارك الحسن . وعن عكرمة قال : الجبل الذي نادى الله جلّ ثناؤه منه موسى عليه السلام .  
وقال مقاتل والكلبي : « مسين » كل جبل فيه شجر مُسَمَّرٌ فهو مسين وسميناء ؛ بلغة النبط .  
وعن عمرو بن ميمون قال : صليت مع عمر بن الخطاب المشاء بمكة فقرأ « والذين والزيتون » .

(١) آية ٣٥ سورة النور . راجع ج ١٢ ص ٢٦٣ . (٢) أي يأخذون به .

(٣) راجع ج ١٢ ص ١١٦ . (٤) زيادة عن ابن العربي .

(٥) في نسخ الأصل : « فيها » .

وطور سيناء . وهذا البلد الأمين » قال : وهكذا هي في قرارة عبد الله ؛ ورفع صوته متعلما لليت . وقرأ في الركة الثانية : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَسَلَّ رَبُّكَ » و « لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ » . جمع بينهما ؛ ذكره ابن الأثيري ، القصاص : وفي قرارة عبد الله « سيناء » ( بكسر السين ) ، وفي حديث عمرو بن ميمون عن عمر ( يفتح السين ) ، وقال الأخفش : « طور » جبل ، و « سين » شجر ، واحده سِيلِيَّة . وقال أبو علي : « سين » فليل ، فكُرِّت اللام التي هي نون فيه كما كُرِّت في زُجَلِ الكنان الزُّلَى ، وكرديدة للقطعة من القر ، وخَنِيذٌ للطويل . ولم ينصرف « سين » كما لم ينصرف سيناء ؛ لأنه جُبلٌ اسمًا لبقعة أو أرض ، ولو جُبلٌ اسمًا للكان أو للزل أو لآسم مذكر لا ينصرف ؛ لأنك سميت مذكرًا بهذا كُرِّ . وإنما اُقسم بهذا الجبل لأنه بالشام والأرض المقدسة ، وقد بارك الله فيهما ؛ كما قال : « إِنَّ لِلنَّاسِ لَشَيْدَ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ » .

قوله تعالى : وَهَذَا أَلْبَسَدُ الْأَمِينِ ﴿١﴾

يعني مكة . سمّاها آميناً لأنه آمن ؛ كما قال : « أَنَا جَمَلًا حَرَمًا آمِنًا » فالأمين بمعنى الآمن ؛ قاله الفراء وغيره ؛ قال الشاعر :

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَسْمٍ وَبِكَ أَمْنٍ • حَقَّقْتُ يَمِينًا لَا إِخْوَانَ آمِنِي

يعني آمني . وهذا احتج من قال : إنه أراد بالتين دمشق ، وباليثون بيت المقدس . فأقسم الله بجبل دمشق لأنه مأوى عيسى عليه السلام ، وبجبل بيت المقدس لأنه مقام الأنبياء طهيم السلام ، وبمكة لأنها أثر إبراهيم ودارُ عبدِ صلي الله عليهما وسلم .

قوله تعالى : لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ

أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٣﴾

فيه مسألتان :

الأولى — قوله تعالى : ( لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ) هذا جواب القسم ، وأراد بالإنسان الكافر . قيل : هو الوليد بن المغيرة . وقيل : كلثة بن أسيد . فعل هذا نزلت في مشركي

البحث . وقيل : المراد بالإنسان آدم وفريته . ( في أحسن تقويم ) وهو احتدله واستواه  
شبابه ، كما قال عامة المفسرين . وهو أحسن ما يكون ، لأنه خلق كل شيء منكم على وجهه ،  
وخلقته هو مستويا ، وله لسان ذلق ، ويد وأصابع يقبض بها . وقال أبو بكر بن طاهر : مُزينا  
بالعقل ، مؤدبا للأمر ، مهذبا بالخير ، مديد القامة ، يتناول ما كوله بيده . ابن العربي : « ليس  
فيه تعالى خلق أحسن من الإنسان ، فإن الله خلقه حيا عالما ، قادرا مريدا متكلما ، سمعا  
بصيرا ، مدبرا حكيما . وهذه صفات الرب سبحانه ، ومنها عبر بعض العلماء ووقع البيان بقوله :  
" إن الله خلق آدم على صورته " يعني على صفاته التي قدمنا ذكرها . وفي رواية " على صورة  
الرحمن " ومن أين تكون للرحمن صورة متشخصة ، فلم يبق إلا أن تكون معانيه . » وقد أخبرنا  
المبارك بن عبد الجبار الأزدی قال : أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن أبي علي القاضي الحسن  
عن أبيه قال : كان عيسى بن موسى الهاشمي يحب زوجته حباً شديدا فقال لها يوما : أنت  
طالتي ثلاثا إن لم تكولي أحسن من القمير ، فنهضت واحتجبت عنه وقالت : طلقني ! .  
وبات ليلة عظيمة ، فلما أصبح غدا إلى دار المنصور فأخبره الخبر ، وأظهر للمنصور جزعا  
عظيما ، فاستحضر الفقهاء واستفتاهم . فقال جميع من حضر : قد طُلق ، إلا رجلا واحدا  
من أصحاب أبي حنيفة فإنه كان ساكنا . فقال له المنصور : مالك لا تتكلم ؟ فقال له الرجل :  
بسم الله الرحمن الرحيم « والتين والزيتون . وطور سينين . وهذا البلد الأمين . لقد خلقنا  
الإنسان في أحسن تقويم » يا أمير المؤمنين ، فالإنسان أحسن الأشياء ، ولا شيء أحسن  
منه . فقال المنصور لعيسى بن موسى : الأمر كما قال الرجل ، فأقبل على زوجته . وأرسل  
أبو جعفر المنصور إلى زوجة الرجل : أن أطبى زوجك ولا تعصبه ، فإطلاقك . فهذا  
يدل على أن الإنسان أحسن خلق الله باطنا وظاهرا ، جمال هيئة ، وبدع تركيب : الرأس  
بما فيه ، والصدر بما جمعه ، والبطن بما حواه ، والفرج وما طواه ، واليدان وما بطشته ، والرجلان  
وما احتملاه . ولعلك قالت الفلاسفة : إنه العالم الأصغر ، إذ كل ما في المخلوقات جُمع فيه .

(١) في بعض نسخ الأصل وابن العربي : « أجمع فيه » .

الثانية - قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ أى إلى أَرذل العمر، وهو المحرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة، حتى يصير كالصبي في الحلال الأول؛ قاله الضحاك والكوفي وغيرهما. وروى ابن أبي نجيع عن مجاهد «ثم رددناه أسفل سافلين» إلى النار، معنى الكافر، وقاله أبو العالية . وقيل : لما وصفه الله بتلك الصفات الجلية التي ركب الإنسان عليها طغى وتغلا ، حتى قال : « أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى » <sup>(١)</sup> وحين علم الله هذا من عبده ، وقضاؤه صادر من عنده ، رده أسفل سافلين ؛ بأن جعله مملوما قَدْرًا ، مشحونًا بمجاسة ، وأخرجها على ظاهره إخراجًا منكرا، على وجه الاختيار تارة، وعلى وجه القلبة أخرى، حتى إذا شاهد ذلك من أمره رجع إلى قدره . وقرا عبدا لله « أسفل السافلين » . وقال : « أَسْفَلَ سَافِلِينَ » على الجمع، لأن الإنسان في معنى جمع، ولو قال : أسفل سافل جاز ؛ لأن لفظ الإنسان واحد . ونقول : هذا أفضل قائم . ولا نقول أفضل قائمين ؛ لأنك تضمير لواحد فإن كان الواحد غير مضموره رجع اسمه بالوحد والجمع ؛ كقوله تعالى : « وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » <sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : « وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِزَاجَةَ فِرَاحٍ يَبْسُ وَنَافِثَةٍ سَيِّئَةٍ » <sup>(٣)</sup> . وقد قيل : إن معنى «رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ» أى رددناه إلى الضلال ؛ كما قال تعالى : « إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَبِ خُسِيرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » أى إلا هؤلاء فلا يردون إلى ذلك . والامتناء على قول من قال « أسفل سافلين » : النار، متصل . ومن قال : إنه المحرم فهو منقطع .

قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ ﴾

قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فإنه تكتب لهم حسناتهم ، ونحسب عنهم سيئاتهم ؛ قاله ابن عباس . قال : وهم الذين أدركهم الكبير لا يؤاخضون بما عملوه في كبرهم .

(١) آية ٢٤ سورة الفاطر . (٢) آية ٢٣ سورة الزمر . (٣) آية ٤٨ سورة الشورى .

وروى الضحاك عنه قال : إذا كان العبد في شبابه كثير الصلاة كثير الصيام والصدقة ، ثم ضعف عما كان يعمل في شبابه ؛ أجرى الله عز وجل له ما كان يعمل في شبابه . وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا سافر العبد أو مرض كتب الله له مثل ما كان يعمل مقبلاً صحيحاً » . وقيل : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » فإنه لا يتعرف ولا يعرف ولا يذهب عقل من كان عالمًا عاملاً به . وعن حاتم الأحمول عن عكرمة قال : من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر . وروى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله » . وروى أن العبد المؤمن إذا مات أمر الله ملكه أن يتبهدل قبره إلى يوم القيامة ويكتب له ذلك .

قوله تعالى : ( فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ) قال الضحاك : أجر غير عمل . وقيل غير مقطوع .

قوله تعالى : قَدْ يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِلَادَيْنِ ﴿٧﴾

قيل : الخطاب للكافر ؛ توبيخاً وإلزاماً للحجة . أي إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك في أحسن تقويم ، وأنه يردك إلى أرذل العمر ، ويتفكك من حال إلى حال ، فما يحملك على أن تمكث بالبعث والجزاء وقد أخبرك عبد الله صلى الله عليه وسلم به . وقيل : الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ أي استيقن مع ما جملك من الله عز وجل أنه أحكم الحاكمين . روى معناه عن قتادة . وقال قتادة أيضاً والفراء : المعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد هذا البيان بالبين . واختاره الطبري . كأنه قال : فمن يقدر على ذلك ؛ أي على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما ظهر من قدرتنا على خلق الإنسان والدين والجزاء . قال الشاعر :

دُنِّي تَمِيماً كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا • تَتَّ أَوَائِلُهُمْ فِي مَالِ الزَّمَنِ

(١) في حاشية الجبل قلا من القرطبي : « فإنهم لا يخفون ولا تذهب عقولهم » .

(٢) في بعض نسخ الأصل : « ملائكة » وفي بعضها : « ملكين » .

قوله تعالى : أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿١﴾

أى أتقن الحاكمين مُسَمَّا في كل ما خلق . وقيل : « بأحكم الحاكمين » قضاء بالحق ، وعدلاً بين الخلق . وفيه تقدير لمن اعترف من الكفار بصانع قديم . وألف الاستفهام إذا دخلت على النفي وفى الكلام معنى التوقيف صار لصاحباً ، كما قال :

• السَّمْ خَيْرٌ مِنْ رَكِبِ الْمَلَأَى •

وقيل : « قَدْ يُكَذِّبُكَ بَدُّ الْوَالِدَيْنِ » أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ » مملوكة بآية السيف . وقيل : هى ثابتة ، لأنه لا تناقض بينهما . وكان ابن عباس وعطى بن أبى طالب رضى الله عنهما إذا قرأا « أليس الله بأحكم الحاكمين » قالوا : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين ، فيختار ذلك . والله أعلم . ورواه الترمذى عن أبى هريرة قال : من قرأ سورة « والتين والزيتون » فقرأ « أليس الله بأحكم الحاكمين » فليقل : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين . والله أعلم .

### سورة « العلق »

وهى مكِّيَّة بإجماع ، وهى أول ما نزل من القرآن ، فى قول أبى موسى وعائشة رضى الله عنهما . وهى تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : اقْرَأْ بِأَمْرِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾

هذه السورة أول ما نزل من القرآن ، فى قول معظم المفسرين . نزل بها جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو قائم على حراء ، فعلمته خمس آيات من هذه السورة . وقيل : إن أول ما نزل « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » قاله جابر بن عبد الله ، وقد تقدم . وقيل : فاتحة الكتاب أول ما نزل ، قاله أبو ميسرة الحمداوى . وقال عطى بن أبى طالب رضى الله عنه : أول ما نزل من القرآن

(١) هو بغير . وقامه : • ما دى العالين بطون راح •

(٢) راجع جـ ١٩ ص ٨٨

« قُلْ تَقَالُوا أَنَّى مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ » والصحيح الأول . قالت عائشة : « أَوَّلُ مَا يُدعى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة » بغناه الملك فقال : « أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ » . ترجمه البخارى . وفى الصحيحين عنها قالت : « أَوَّلُ مَا يُدعى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فى النوم » فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبِبَ إليه الخلاء ، فكان يَحْمِلُو بِخَارِجَهُ يَتَقَهَّدُ فِيهِ اللَّيَالِيَ فَوَاتِ السُّبْحَ ، [ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ ] وَيَتَوَقَّدُ لِللَّحْظِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَوَقَّدُ لَهَا ، حَتَّى يَلْقَاهَا الْحَقُّ وَهُوَ فِي خَارِجِهَا ، بِغَايَةِ الْمَلِكِ فَقَالَ : « أَقْرَأْ » . فقال : « مَا أَنَا بِقَارِئٍ — قَالَ — فَأَخَذَنِي فَتَقَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي » فقال « أَقْرَأْ » فقلت : « مَا أَنَا بِقَارِئٍ — قَالَ — فَأَخَذَنِي فَتَقَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي » فقال : « أَقْرَأْ » فقلت : « مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَتَقَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي » فقال : « أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » الحديث بأكمله . وقل أبو رجاء السُّطَّارِيُّ : « كَانَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ يَطُوفُ عَلَيْنَا فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مَسْجِدَ الْبَصْرَةِ ، يُقْعِدُنَا حَقًّا فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ بَيْنَ ثَوْبَيْنِ لَهُ أَبْيَضَيْنِ ، وَعِنْدَهُ أَخَذْتُ هَذِهِ السُّورَةَ : « أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ » . وَكَانَتْ أَوَّلَ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَرَوَتْ مَائِسَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَوَّلُ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ بَعْدَهَا « ذَا الْقَلَمِ » ثُمَّ بَعْدَهَا « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » ثُمَّ بَعْدَهَا « وَالضُّحَى » ذَكَرَهُ الْمَاوَرِدِيُّ . وَعَنِ الرَّغَزِيِّ : « أَوَّلُ مَا نَزَلَتْ سُورَةُ « أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ » — إِلَى قَوْلِهِ — مَا لَمْ يَعْلَمْ » فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يَسْكُو شَوَاعِقَ الْجِبَالِ ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ : « إِنَّكَ نَبِيٌّ اللَّهُ » فَرَجَعَ إِلَى خَدِيجَةَ وَقَالَ : « دَعُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا » تَتْلُو « يَا أَيُّهَا

(١) آية ١٥١ سورة الأنعام . (٢) كذا فى الأصول وسلم . وفى البخارى : « الصالحة » .

(٣) يَحْتَشِرُ : أى يَتَبَدَّدُ . يقال : تَلَانُ يَحْتَشِرُ : أى يَهْلِكُ فَلَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ .

(٤) زِيَادَةٌ مِنَ الْمُصْحَفِ . (٥) التَّلَا : الصَّحْرُ الشَّدِيدُ وَالْكَيْسُ .

المدرسة . ومعنى « أقرأ بأسم ربك » أى أقرأ ما أوّل إليك من القرآن مفتتحاً باسم ربك ، وهو أن تذكر التسمية في ابتداء كل سورة . فعمل الباء من « باسم ربك » التصب على الحال . وقيل : الباء بمعنى على ، أى أقرأ على أسم ربك . يقال : فعل كذا بأسم الله ، وعلى أسم الله . وعلى هذا فالمعروف محذوف ، أى أقرأ القرآن واتسمه باسم الله . وقال قوم : أسم ربك هو القرآن ، فهو يقول « أقرأ بأسم ربك » أى أسم ربك ، والباء زائدة ، كقوله تعالى : « تَنهَيْتُ بِالْحَيْثِ » وكذا قال :

• سُوْدُ الْمَاجِرِ لَا يَقرَأُ بِالسُّورِ<sup>(١)</sup> •

أراد لا يقرأ السور . وقيل : معنى « أقرأ بأسم ربك » أى أذكر اسمه . أمره أن يتبدى القراءة باسم الله .

قوله تعالى : خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿١﴾

قوله تعالى : ( خَلَقَ الْإِنْسَانَ ) معنى ابن آدم . ( مِنْ عَلَقٍ ) أى من دم ، جمع علقه ، والعلقه الدم الجامد ، وإذا جرى فهو المسفوح . وقال : « من علق » فذكره بلفظ الجمع ، لأنه أراد بالإنسان الجمع ، وظاهر خُلقوا من علق بعد التطفة . والعلقه قطعة من دم رطب ، سُميت بذلك لأنها تعلق لوطوبها بما تتمر عليه ، فإذا جفت لم تكن حلقه . قال الشاعر :

ترصناه نيز على يديه • يُحجّ عليهما علق الوئين

وحس الإنسان بالذكّر تشرقاً له . وقيل : أراد أن يبين قدر نعمته عليه بأن خلقه من علقه مهينة حتى صار بشراً ربوياً ، وعللاً بميمًا

قوله تعالى : أقرأ وربك الأكرم ﴿٢﴾

قوله تعالى : ( أقرأ ) تأكيد ، وتم الكلام ، ثم استأنف فقال : ( وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ) أى الكريم . وقال السكّتي : معنى اللطيف عن جهل العباد فلم يستعمل بقوتهم . والأوّل أنبه

(١) هنا مجزيت قرأى ، ومصدره : • من الحرائر لا يأتى امرأة •

بالمعنى ؛ لأنه لما ذَكَرَ ما نَحْتَم من نعمه دَلَّ بها على كرمه . وقيل : « اقرأ وربك » أى اقرأ يا عبد وربك بِعَيْنِكَ وِفْهَمِكَ وإن كنت غير القارئ . و « الأكرم » بمعنى المتجاوز عن جهل العباد .

قوله تعالى : **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** ①

فيه ثلاث مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** ) معنى الخط والكتابة ؛ أى عَلَّمَ الإنسان الخط بالقلم . وروى سعيد عن قتادة قال : القلم نعمة من الله تعالى عظيمة ، لولا ذلك لم يَلْمُ دين ، ولم يَصْلُحَ عَيْش . فدلَّ على كمال كرمه سبحانه بأنه عَلَّمَ عباده ما لم يعلموا ، وقطعهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ونبّه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو . وما دُوِّنَت العلوم ولا قُدِّرَت الحِكْم ، ولا سُبِّطَت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كُتِبَ الله المتلوة إلا بالكتابة ؛ ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا . وسمى قَلَمًا لأنه يُقْلَم ، أى يُقْلَع ، ومنه هلم الظفر . وقال بعض الشعراء المحدثين يصف القلم :  
فَكَانَ وَالْحَبْرُ يَخْضِبُ رَأْسَهُ • شَيْخٌ لَوْصَلْ تَحْرِيدَةً يَتَصَنَعُ  
أَلَّا أَلَاظِلْهُ بَيْنَ جَلَالَةٍ • وَبِهِ إِلَى اللَّهِ الْمَصَالِفُ تَرْفَعُ

ومن عبد الله بن عمر قال : يا رسول الله ، أأكتب ما أسمع منك من الحديث ؟ قال : « نعم فأكتب فإن الله عَلَّمَ بالقلم » . وروى مجاهد عن ابن عمر قال : خلق الله عز وجل أربعة أشياء يهدم بهم قال لسائر الحيوان كن فكان : القلم والعرش وجنة عدن وآدم عليه السلام . وفيمن علمه بالقلم ثلاثة أقاويل : أحدها - أنه آدم عليه السلام ؛ لأنه أوَّل من كتب ؛ قاله كتب الأخبار . الثاني - أنه إدريس ؛ وهو أول من كتب ؛ قاله الضحاك . الثالث : أنه أدخل كل من كتب بالقلم ؛ لأنه ما علم إلا بتعليم الله سبحانه . وجمع بذلك نعمته عليه في خلقه ، وبين نعمته عليه في تعليمه ؛ استكمالاً للنعمة عليه .

الثانية - صحَّح عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة قال: لما خلق الله الخلق كتب في كتابه - فهو عنده فوق العرش - : «إن رحمتي قَلْبُ غَضِي». وثبت عنه عليه السلام أنه قال: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ فَكَتَبَ مَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَهُوَ عَنْدهُ فِي الذِّكْرِ فَوْقَ عَرْشِهِ». وفي الصحيح من حديث ابن مسعود سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِذَا مَرَّ بِالطُّفْلِ ثَنَانٌ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَنَصَّوَرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعَظْمَهَا ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ أَذْكَرٌ أَمْ أَثْقَى فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ فَلَا يُزِيدُ عَلَى مَا أَمَرَ وَلَا يَنْقُصُ وَقَالَ تَعَالَى «إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ»<sup>(١)</sup>».

قال طحاوينا: فالأقلام في الأصل ثلاثة: القلم الأول - الذي خلقه الله بيده وأمره أن يكتب. والقلم الثاني - أقلام الملائكة جعلها الله بأيديهم يكتبون بها المقادير والكوائن والأعمال. والقلم الثالث - أقلام الناس جعلها الله بأيديهم يكتبون بها كلامهم، ويصاؤون بها ما ربههم. وفي الكتابة فضائل جمّة. والكتابة من جملة اليان، واليان مما أخص به الأدي.

الثالثة - قال طحاوينا: كانت العرب أقل الخلق معرفة بالكتاب، وأقل العرب معرفة به المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ صُرف من علمه ليكون ذلك أثبت لمعجزته وأقوى في حجته. وقد مضى هذا مبيناً في سورة «التكوير». وروى حماد بن مسلمة عن الزبير ابن عبد السلام عن أيوب بن عبد الله الفهري عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تُسْكِنُوا نِسَاءَكُمْ الشُّرَفَ وَلَا تَعْلَمُوهُنَّ الْكِتَابَةَ». قال طحاوينا: وإنما حذرهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأن في إسكانهن الشُّرَفَ تَطَلُّماً إلى الرجال؛ وليس في ذلك تحصين لمن ولا أستر. وذلك أنهن لا يملكن أنفسهن حتى يشرعن على الرجال؛ فتحدث الفتنة والبلاء؛ فحذرهم أن يعملوا لمن غُرَّتْهَا؛ تَدْرِيبَةً إلى الفتنة. وهو كما قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : " ليس النساء خير لمن من ألا يراهن الرجال ولا يرين الرجال " . وذلك أنها خلقت من الرجل فتمت بها في الرجل ، والرجل خلقت فيه الشجرة ، وجعلت سكاكه ، فغير مأمون كل واحد منهما في صاحبه . وكذلك تعلم الكتابة ربما كانت سببا للفتنة . وذلك إذا علمت الكتابة كتبت إلى من تهوى . والكتابة عين من العيون بها يهصر الشاهد الغائب ، والخط هو آثار يده . وفي ذلك تمييز من الضمير بما لا ينطق به اللسان ، فهو ألمع من اللسان . فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينقطع عنهم أسباب الفتنة ، تحصينا لمن وطهارة قلوبهم .

قوله تعالى : **عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴿٣٠﴾

قيل : « الإنسان » هنا آدم عليه السلام . علمه أسماء كل شيء ؛ حسب ما جاء به القرآن في قوله تعالى : « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا » . فلم يبق شيء إلا وعلّم سبحانه آدم اسمه بكل لغة ، وذكره آدم للملائكة كما عليه . وبذلك ظهر فضله ، وتبين قدره ، وثبت نبوته ، وقامت حجة الله على الملائكة ومجته ، وأستلكت الملائكة الأمر لما رأته من شرف الحال ، ورأت من جلال القدرة ، وسمعت من عظيم الأمر . ثم توارثت ذلك ذريته خلفا بعد سلف ، وتناقلوه قوما عن قوم . وقد مضى هنا في سورة « البقرة » مستوفى والمحمد لله . وقيل : « الإنسان » هنا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ؛ دليله قوله تعالى : « وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ » . وعلى هذا فالمراد بـ « علمك » المستقبل ؛ فإن هذا من أوائل ما نزل . وقيل : هو عام لقوله تعالى : « وَأَنَّهُ أَتْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ نِيَتَهُ » .

قوله تعالى : **كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ** ﴿٣١﴾ **أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى** ﴿٣٢﴾

قوله تعالى : **(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ)** إلى آخر السورة . قيل : إنه نزل

(١) آية ٣١ سورة البقرة . (٢) راجع ج ١ ص ٢٧٩ طبة ثانية . (٣) آية ١٠٣ سورة الناز .

(٤) في نسخة : المشكل . (٥) آية ٧٨ سورة النمل .

في أبي جهل . وقيل : نزلت السورة كلها في أبي جهل ، نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة ، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي في المسجد ويقسم باسم الرب .  
وعلى هذا فليست السورة من أوائل ما نزل . ويحوز أن يكون خمس آيات من أولها  
أول ما نزلت ، ثم نزلت البقية في شأن أبي جهل ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بضم ذلك  
إلى أول السورة ، لأن تأليف السور جرى بأمر من الله . ألا ترى أن قوله تعالى : « وَأَتَقُوا  
يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ » <sup>(١)</sup> آخر ما نزل ، ثم هو مضموم إلى ما نزل قبله بزبان طويل .  
و « كَلَّا » بمعنى حقاً ، إذ ليس قبله شيء . والإنسان هنا أبو جهل . والطفليان مجازة الحد  
في العبيان . ( أَنْ رَأَى ) أى لأن رأى نفسه أستغنى ، أى صار ذا مال وثروة . وقال  
أبن عباس في رواية أبي صالح عنه قال : لما نزلت هذه الآية ومع بها المشركون أمه  
أبو جهل فقال : يا عهد ترم أنه من أستغنى طغى ، فأجعل لنا جبال مكة فحياً لعلنا نأخذ منها .  
فطغى فندع ديفنا وتقع دينك . قال فأنه جبريل عليه السلام فقال : « يا عهد خيرهم في ذلك  
إن شاموا فعلنا بهم ما أرادوه فإن لم يُسلموا فعلنا بهم كما فعلنا بأصحاب المائدة » . فعلم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القوم لا يقبلون ذلك ، فكف عنهم إيقاع عليهم . وقيل :  
« أَنْ رَأَى أَسْتَغْنَى » بالعشيرة والأنصار والأعوان . وحذف اللام من قوله « أَنْ رَأَى »  
كما يقال : إنكم تَطْلَعُونَ إن رأيتم غناكم . وقال الفراء : لم يقل رأى نفسه كما قيل قتل  
نفسه ، لأن رأى من الأفعال التي تريد أسمى وخبراً نحو الظن والحسبان ، فلا يقتصر فيه على  
مفعول واحد . والعرب تطرح النفس من هذا الجلس تقول : رأيته وحسبته ، ومتى نزل  
خارجاً ، ومتى ظنك خارجاً . وقرأ مجاهد وحيد وقتيل عن ابن كثير « أن راه أستغنى »  
بقصر الهمزة . الباقون « رآه » بفتحها ، وهو الاختيار .

(١) آية ٢٨١ سورة البقرة .

(٢) في نسخة من الأصل : « يقبلون »

قوله تعالى : **إِنَّ لَكَ رَبِّكَ أَرْجَىٰ ۖ** ﴿١٥﴾

أى مرجع من هذا وصفه ففجازه . والرجى والمرجع والرجوع مصادر ؛ يقال :  
رجع إليه رجوعاً ومرجاً ، ورجى ؛ على وزن فعل .

قوله تعالى : **أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۖ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۖ** ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ( **أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ** ) وهو أبو جهل ( **عَبْدًا** ) وهو عبد صلى الله عليه وسلم . لأن أبا جهل قال : إن رأيت محمداً يصل لأطاع على عقه ؛ قاله أبو هريرة . فأنزل الله هذه الآيات <sup>(١)</sup> تسجاً منه . وقيل : في الكلام حذف ؛ والمعنى : **أَمِنَ** هذا التامى من الصلاة من العقوبة .

قوله تعالى : **أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۖ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۖ** ﴿١٧﴾

أى أرايت يا أبا جهل إن كان عبد على هذه الصفة ، أليس ناهيه عن التقوى والصلاة حالكا ؟ !

قوله تعالى : **أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۖ** ﴿١٨﴾

بمعنى أبا جهل كذب بكتاب الله عز وجل ، وأعرض عن الإيمان . وقال الفراء : المعنى « **أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ** . **عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ** » وهو على الهدى وأمر بالتقوى ، والناهى مكذب متول عن الذكر ؛ أى لما أعجب هذا ! ثم يقول : **وَيَلَهُ !** ألم يعلم أبو جهل بأن الله يرى ؛ أى يراه ويعلم فعله ؛ فهو تفرير وتوبيخ . وقيل : كما ، واحد من « **أَرَأَيْتَ** » بدل من الأول . و « **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ** » الخبر .

قوله تعالى : **كَلَّا لَنْ لَّرَيْتَهُ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۖ** ﴿١٩﴾ **نَاصِيَةٍ كَنُتِبَ**

**خَاطِئَةٍ ۖ** ﴿٢٠﴾

(١) أى تعجيباً منه ، وهو إخراج الخطاب وحده على الصواب (من حاشية الجلب) .

قوله تعالى : ( كَلَّا لَوْ لَمْ يَنْتَهِ ) أى أبوجهل عن أفك يا عبد . ( لَسَمْنَا ) أى  
لأخذنا ( النَّاصِيَةَ ) فَلَنَنْتَلِهَ . وقيل : لناخذن بناصيته يوم القيامة ، وتطوى مع قسمه  
ويطرح في النار ؛ كما قال تعالى : « فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأُقْدَامِ »<sup>(١)</sup> . فالآية وإن كانت  
في أبى جهل نهى عظة الناس ، وتهديد لمن يمتنع أو يمنع غيره من الطاعة ، وأهل اللغة يقولون :  
سَمَعْتُ بالشئ إذا قبضت عليه وجذبتة جذبا شديدا . ويقال : منع ناصية فرسه . قال :  
قَوْمٌ إِذَا كَثُرَ الصَّبَاحُ رَأَيْتَهُمْ • من بين مُنِيعٍ مُهَيَّرٍ أَوْ سَافِعٍ<sup>(٢)</sup>

وقيل : هو مأخوذ من سَمَعَتِه النار والشمس إذا غيّرت وجهه إلى حال قَسْوَدٍ ، كما قال :  
أَتَانِي سُسَمًا فِي مُرْسٍ مَرَجَلٍ • وَتَرَى يَكْذِبُ الْحَوْضُ أَنَّمْ خَاشِعٌ<sup>(٣)</sup>

والناصية : شعر مقدم الرأس . وقد يبرّجها عن جملة الإنسان ؛ كما يقال : هذه ناصية  
مباركة ؛ إشارة إلى جميع الإنسان . وخصّ الناصية بالذكر هل عادة العرب فيمن أرادوا  
إذلاله وإهانتة أخذوا بناصيته . وقال المبرد : السَّعْجُ الجَسَدُ بشدة ؛ أى لتجوز بناصيته  
إلى النار . وقيل : السَّعْجُ الضرب ؛ أى ليطعن وجهه . وكله متقارب المعنى . أى يُجْمَعُ  
عليه الضرب عند الأخذ ؛ ثم يجر إلى جهنم . ثم قال على البذل : ( نَاصِيَةٍ كَآئِبَةٍ خَاطِنَةٍ )

(١) آية ٤١ سورة الرحمن . (٢) البيت لحيد بن نود للحلال الصبائي . ويرى : • ما بين طبع ... •  
(٣) هكذا ورد البيت في جميع نسخ الأصل وتفسير ابن عادل وحسبى من تصديتين . فالنظر الأول من مطقة  
زحير . والبيت كما في ديوانه وسقته :

أَتَانِي سُسَمًا فِي مُرْسٍ مَرَجَلٍ • وَتَرَى يَكْذِبُ الْحَوْضُ أَنَّمْ خَاشِعٌ  
والنظر الثاني من تصديقه الثانية ، والبيت كما في ديوانه :

وراد ككلم العين لأى أبيضه • وَتَرَى يَكْذِبُ الْحَوْضُ أَنَّمْ خَاشِعٌ  
والأتم : الخطم . والناصح : الماسك بالأرض . والأمانى : الهجارة التي تحمل عليها القصور . والواحدة أتمية .  
والسَّعْجُ : السود . والمحوس : الموضع الذي فيه المربيل . والمربيل : كل تدريغ فيها من جارة أو حديد أو خنزف  
أو نحاس . سلبز يرفع حول البيت من تراب البيت فلا يدخل البيت الماء من خارج . ويجزم الحوض : حره وأمله .  
ولم يكلم : حتى انتهى قد ذهب أطلاله ولم يكلم ما بين منه .

أى ناصبة أبى جهل كاذبة في قولها ، خاطئة في فعلها . والخاطيء معاقب . أخوذ . والمخطئ غير أخوذ . <sup>(١)</sup> ووصف الناصبة بالكاذبة الخاطئة كوصف الوجه بالنظر في قوله تعالى : « إلی رَبِّهَا نَاطِرَةٌ » . وقيل : أى صاحبها كاذب خاطئ ؛ كما يقال : نهار صائم ، وليل قائم ؛ أى هو صائم في نهاره ، قائم في ليله .

قوله تعالى : فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ <sup>(٢)</sup> مَسْدُوعُ الزَّيَّاتِيَةِ <sup>(٣)</sup>

قوله تعالى : ( فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ) أى أهل مجلسه وعشيرته فليستنصر بهم . ( مَسْدُوعُ الزَّيَّاتِيَةِ ) أى الملائكة الغلاة الشداد - عن ابن عباس وغيره - وأحدهم زبني ؛ قاله الكسائي . وقال الأخفش : زابن . أبو صيدة : زَيْبَةُ . وقيل : زَبَانِي . وقيل : هو أسم للجمع ؛ كالأبائيل والعباديد . وقال قتادة : هم الشرط في كلام العرب . وهو مأخوذ من الزين وهو الدلع ؛ ومنه الزبانية في البيع . وقيل : إنما سُمُوا الزبانية لأنهم يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم ؛ حكاه أبو الليث السمرقندي - رحمه الله - قال : وروى عن الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ إلى قوله تعالى : « لَتَسْفَهَنَ الزَّيَّاتِيَةَ » قال أبو جهل : أنا أذعوى قومي حتى يمتدوا عن ربك . فقال الله تعالى : « فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ » مَسْدُوعُ الزَّيَّاتِيَةِ ؛ فلما سمع ذكر الزبانية رجع فزعاً ؛ فقيل له : خشيت منه ؛ قال : لا ! ولكن رأيت عنده فارماً فهتدنى بالزبانية ، فما أدرى ما الزبانية ، ومال إلى الفارس فغشيت منه أن يأكلني . وفي الأخبار أن الزبانية رهوسم في السماء وأرجلهم في الأرض ، فهم يدفعون الكفار في جهنم . وقيل : إنهم أعظم الملائكة حقاً ، وأشدّهم بطشاً . والعرب تطلق هذا الاسم على من أشدّ بطشه . قال الشاعر :

مطاعم في القصوى مطاعين في الرغى • زبانية ظب عظام حُلُومها <sup>(٤)</sup>

(١) الخاطئ : من تسد لما لا ينبغي ؛ أى التماسه للذنب . والمخطئ : من أراد الصواب فصار إلى ضره .

(٢) آية ٢٣ سورة النجاة . (٣) هى بيع الرطب في دعوس النخل بالتمر ؛ ونهى عنها لما يقع فيها من

اللين والجهالة . (٤) ظب : جمع أغلب ، وهو التليظ الزبقة ، والعرب تصف السادة بنظ الزبقة وطولها .

والحارم : جمع الحريم وهو النخل .

وعن عكرمة عن ابن عباس : « سَدَّعُ الزَّيَّاتِيَّة » قال : قال أبو جهل لئن رأيتُ عبداً يصلّي لأطالع على عنقه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو فعل لأخذته الملائكة عياناً » . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب . وروى عكرمة عن ابن عباس قال : مرَّ أبو جهل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلّي عند المقام فقال : ألم أتك من هنا يا عبداً ! فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو جهل : بأى شيء تهْدِنِي يا عبداً ! والله إنى لأكثر أهل الوادي هذا نادياً ، فأزل الله عز وجل : « فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَدَّعُ الزَّيَّاتِيَّة » . قال ابن عباس : والله لو دَعَا نَادِيَهُ لأخذته زبانية المناب من ساعته . أحرجه الترمذى بمعناه ، وقال : حسن غريب صحيح . والتادى في كلام العرب : المجلس الذى يَتَدَيُّ فيه القوم ، أى يجتمعون ، والمراد أهل التادى ، كما قال جرير :

• ثم يجلسُ صُحْبُ السَّيَالِ <sup>(١)</sup> نِزْلَةً •

وقال زمير :

• وفيهم مقاماتٌ حسان وجوههم <sup>(٢)</sup> •

وقال آخر :

• وأَسْبَ بِدِكَ يا كُليبُ المجلسُ <sup>(٣)</sup> •

وقد ناديتُ الرجل أناديهِ إذا جالسته . قال زهير :

وجارُ البيتِ والرجُلُ المَنايِ • أمامَ الحَيِّ عَفْدُهُما سَوَاهُ

(١) تامة :

• سواسية أحرارها ومبيدها •

والبيت قى الترة لا لجرير . و « صُحْب » : حر . و « السَّيَال » : الشجر الذى عن بين شتفة العليا وشالها .

(٢) تمام البيت :

• وأدعية يتنابها القول وقومل •

المقامات : المجالس ، وإسماعيلت المقامات لأن الرجل كان يفرم في المجلس فيسكن على الخبر و يصلح بين الناس .

وأدعية : جمع التدى وهو المجلس أيضا ، وفيه الشاهد .

(٣) هذا مجزيت المهمل يرى أخاه كليباً . ومعهه :

• نيت أن تار بذك أوقعت •

قوله تعالى : **كَلَّا لَا تُطَعَّمُهُ وَآفِئِدْهُ وَاقْتَرِبْ** ﴿١١﴾

( **كَلَّا** ) أى ليس الأمر على ما يظنه أبو جهل . ( **لَا تُطَعَّمُهُ** ) أى فيا ذاك إله من ترك الصلاة . ( **وَآفِئِدْهُ** ) أى صلِّه . ( **وَاقْتَرِبْ** ) أى تقرب إلى الله جل ثناؤه بالطاعة والعبادة . وقيل : المعنى إذا مجئنا فآفئدنا من الله بالدعاء . روى عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَأَحَبُّهُ إِلَيْهِ مَا كَانَتْ جَبِينُهُ فِي الْأَرْضِ سَاجِدًا لِلَّهِ »** .

قال علماؤنا : وإنما [ كان ] ذلك لأنها نهاية العبودية واللذة ؛ وفيه غاية العزة ؛ وله العزة التي لا مقدار لها ؛ فكلما بطلت من صفته قُرِبت من جنته ؛ ودوت من جواره في داره . وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« إِنَّمَا الرُّكُوعُ فَطَنُكُمْ فِيهِ الرَّبُّ »** . وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فإنه <sup>(١)</sup> **فَنَ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ »** . ولقد أحسن من قال :

وإذا تنقلت الرقاب تواضعا • من أيسك فيزها في دُفعا

وقال زيد بن أسلم : **« اعبد أنت يا محمد مصليا ، واقرب أنت يا أبا جهل من النار »** .

قوله تعالى : ( **وَاعْبُدْ** ) هنا من السجود . يحتمل أن يكون بمعنى السجود في الصلاة ؛ ويحتمل أن يكون سجود التلاوة في هذه السورة . قال ابن العربي : « والظاهر أنه سجود الصلاة ؛ لقوله تعالى : « أَرَأَيْتَ الَّذِي يَتَّبِعِي . عَبْدًا إِذَا صَلَّى » . — إلى قوله — **كَلَّا لَا تُطَعَّمُهُ وَآفِئِدْهُ وَاقْتَرِبْ** » . لولا ما ثبت في الصحيح من رواية مسلم وغيره من الأئمة عن أبي هريرة أنه قال : **« تَجِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي « إِذَا الْمَاءُ أَشَقَّتْ »** وفي **« أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ »** . فكان هذا نصا على أن المراد سجود التلاوة . وقد روى ابن وهب عن حماد ابن زيد عن عاصم بن بهتمة عن زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : **« عَزَائِمُ السُّجُودِ أَرْبَعُ : « لَمْ » و « حَمَّ » تَقْرِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » و « النِّعَمَ » و « اَفْرَأَ »** .

(١) يقال : قَرَّ رَجُلٌ بَخْتِ الْمَمِّ وَكْرَمًا وَالْمَمُّ بِالْكَسْرِ يَتَى وَيُجْعَلُ كَقَدَمَيْنِ ؛ أَيْ خَلْفَيْنِ وَجَدِيرٍ .

بِأَسْمِ رَبِّكَ » ، وقال ابن العربي : « وهذا إن صح يلزم عليه السجود الثاني من سورة « الحج » وإن كان مقتراً بالركوع ، لأنه يكون معناه أركعوا في موضع الركوع ، وأجسّدوا في موضع السجود » . وقد قال ابن تافع ومطرف : وكان مالك يسجد في خاصّة نفسه بخاتمة هذه السورة من « اقرأ بِأَسْمِ رَبِّكَ » ، وأين وهب يراها من التزام » .

قلت : وقد روينا من حديث مالك بن أنس عن زينة بن أبي عبد الرحمن عن تافع عن ابن عمر قال : لما أنزل الله تعالى « اقرأ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاذ : « اكتبها يا معاذ » فأخذ معاذ اللوح والقلم والتأثّن — وهي الدواة — فكتبها معاذ ، فلما بلغ « كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَأَقْبِرْ » سجد الألوّح وسجد القلم وسجدت النون وهم يقولون : اللَّهُمَّ أَرْفَعْ بِهِ ذِكْرًا ، اللَّهُمَّ احْطَطْ بِهِ وَزْرًا ، اللَّهُمَّ أَغْفِرْ بِهِ ذَنْبًا . قال معاذ : سجدتُ ، وأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد .

ختمت السورة . والحمد لله على ما فتح ومنع وأعطى . وله الحمد والمِنَّة .

### سورة « القدر »

وهي مدنيّة في قول أكثر المفسرين ، ذكره الثعلبي . وحكى المازني حكاه . قلت : وهي مدنية في قول الضحاك وأحد قولي ابن عباس . وذكر الوايدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة . وهي خمس آيات .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾

قوله تعالى : ( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ) يعني القرآن وإن لم يجر له ذكر في هذه السورة ؛ لأن المعنى معلوم ، والقرآن كله كالسورة الواحدة . وقد قال : « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ » وقال : « حم . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ » يريد في ليلة القدر . وقال

(١) آية ١٨٥ سورة البقرة . (٢) أنزل سورة الدخان .

الشَّعْبِي : المعنى إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر . وقيل : بل نزل به جبريل عليه السلام حُمْلَةً واحدة في ليلة القدر من ألواح المحفوظ إلى سماء الدنيا إلى بيت العزة ، وأملأه جبريل صل السَّفَرَةُ ثم كان جبريل يتلوه على النبي صلى الله عليه وسلم مُجُومًا مُجُومًا . وكان بين أنزله وآخره ثلاث وعشرون سنة ؛ قاله ابن عباس ، وقد تقدم في سورة « البقرة » . وحكى الماوردي عن ابن عباس قال : نزل القرآن في شهر رمضان ، وفي ليلة القدر ، في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله ، من ألواح المحفوظ إلى السَّفَرَةِ الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ؛ فنجته السَّفَرَةُ الكرام الكاتبون على جبريل عشرين سنة ، ونجته جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة . قال ابن العربي : « وهذا باطل ؛ ليس بين جبريل وبين الله واسطة ، ولا بين جبريل وعهد طليها السلام واسطة » .

قوله تعالى : ( فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ) قال مجاهد : في ليلة الحكم . ( وَمَا أَتَرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ) قال : ليلة الحكم . والمعنى ليلة التقدير ؛ تميّت بذلك لأن الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره إلى مثله من السنة القابلة ؛ من أمر الموت والأجل والرزق وغيره . ويسلمه إلى مديرات الأمور ، وهم أربعة من الملائكة : لمساكيل ، وميكائيل ، وعزرائيل ، وجبريل ؛ عليهم السلام . وعن ابن عباس قال : يكتب من أم الكتاب ما يكون في السنة من رزق ومطر وحياة وموت حتى الحاج . قال عكرمة : يكتب حاج بيت الله تعالى في ليلة القدر بأسمائهم وأسماء آبائهم ، ما ينادر منهم أحد ولا يزداد فيهم . وقوله سعيد بن جبير . وقد مضى في أول سورة « الدخان » هذا المعنى . وعن ابن عباس أيضا : أن الله تعالى يقضى الإقضية في ليلة نصف شعبان ، ويسلمه إلى أربابها في ليلة القدر . وقيل : إنما تميّت بذلك لِغَلَمِيَّهَا وَقَدَرِهَا وَشَرَفِهَا ؛ من قولهم : لفلان قدر ؛ أي شرف ومقلة . قاله الزُّهْرِيُّ وغيره . وقيل : تميّت بذلك لأن للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا . وقال أبو بكر الوراق :

(١) السَّفَرَةُ : هم الملائكة ؛ جمع سافر . وسافر في الأمل الكتاب ؛ سمى بذلك لأنه بين النبي وربه .

(٢) يعني جبرائلا ، الأية والآيتين . (٣) راجع ج ٢ ص ٢٩٧ طبع ثانية .

(٤) يريد أنه يظهر ما نفاذ في الأول من الأمور ، لأنه يقدر ابتداء . (٥) راجع ج ١٦ ص ١٢٥

تُسميت بذلك لأن من لم يكن له قدر ولا خطر يصير في هذه الليلة ذا قدر إذا أحياءه . وقيل :  
تُسميت بذلك لأنه أنزل فيها كتابا ذا قدر ، على رسول ذي قدر ، على أمة ذات قدر . وقيل :  
لأنه ينزل فيها ملائكة ذوو قدر وخطر . وقيل : لأن الله تعالى ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة .  
وقال سهل : سُميت بذلك لأن الله تعالى قدر فيها الرحمة على المؤمنين . وقال الخليل : لأن  
الأرض تضيق فيها بالملائكة ؛ كقوله تعالى : « وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ » أى ضَيَّقَ .

قوله تعالى : وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿١﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ

مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٢﴾

قال الفراء : كل ما في القرآن من قوله تعالى : « وَمَا أَدْرَاكَ » فقد إدراه . وما كان  
من قوله : « وما يدريك » فلم يدريه . وقاله سفيان ، وقد تقدم . ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ  
أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ بين فضلها وعظمتها ، وفضيلة الزمان إذا تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل .  
وفي تلك الليلة يُقسم الخير الكثير الذي لا يوجد مثله في ألف شهر . والله أعلم . وقال كثير  
من المفسرين : أى العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر . وقال  
أبو العالبة : ليلة القدر خير من ألف شهر لا تكون فيه ليلة القدر . وقيل : حنى بالف  
شهر جميع الدهر ؛ لأن العرب تذكر الألف في غاية الأشياء ؛ كما قال تعالى : « يَوْمَ أُحْصِى  
تَوْبَهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ » يبنى جميع الدهر . وقيل : إن العابد كان فيما مضى لا يُستسى ما بدا  
حتى يعبد الله ألف شهر ، ثلاثا وعشرين سنة وأربعة أشهر ؛ بفعل الله تعالى لأمة عبد صلى الله  
عليه وسلم عبادة ليلته خيرا من ألف شهر كانوا يعبدون . وقال أبو بكر الوراق : كان ملك  
سليان خمسمائة شهر ، وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فصار ملكهما ألف شهر ؛ بفعل الله تعالى  
العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيرا من ملكهما . وقال ابن مسعود : إن النبي صلى الله

(١) آية ٧ سورة البقرة . (٢) راجع ج ١٨ ص ٢٥٧ وج ١٩ ص ٢٤٧ ص ٣ من هذا الجزء .

(٣) آية ١٦ سورة البقرة .

عليه وسلم ذكر رجلا من بني إسرائيل ليس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فنجب المسلمون من ذلك، فقلت «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» الآية «خَيْرِينَ أَلْفَ شَهْرٍ» التي ليس فيها الرجل سلاحه في سبيل الله. ونحوه عن ابن عباس، وَفُتِنَ بَنُ مَنِيَّةَ : إن ذلك الرجل كان مسلما، وإن أغف جملة نذرا لله، وكان من قرية قوم يعبدون الأصنام، وكان سكن قريبا منها، فجلس يزوم وحده ويقتل ويقتل ويحاهد، وكان لا يقام إلا يلحى بغيره، وكان إذا قاتلهم وقاتلوه وعطش أضعجه من القيين ماء حذب فيشرب منه، وكان قد أعطى قوة في البطش لا يوجعه حديد ولا غيره، وكان اسمه شمسون. وقال كعب الأحبار: كان رجلا ملكا في بني إسرائيل فعل خصلة واحدة فأوحى الله إلى نبي زمانهم قل لفلان يمحي. فقال: يا رب أمتي إن أجاهد بالي وولدي ونسي، فزرقه الله ألف ولد، فكان يهزم الولد بالله في عسكره ويخبره بجاهد في سبيل الله، فيقوم شهرا ويقتل ذلك الولد، ثم يهزم آخر في عسكره، فكان كل ولد يقتل في الشهر، والملك مع ذلك قائم الليل صائم النهار، فقتل الألف ولد في ألف شهر، ثم تخدم فقاتل فقتل. فقال الناس: لا أحد يدرك مثلنا هذا الملك، فأزل الله تعالى: «لَيْسَ الْقَدْرُ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» من شهور ذلك الملك في القيام والصيام والجهاد بالمال والغير والأولاد في سبيل الله. وقال علي وعروة: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أربعة من بني إسرائيل فقال «عبدوا الله ثمانين سنة لم يمتصوه طرفة عين»، فذكر أيوب وزكريا ومزبل بن العجوز ويوشع بن نون، فنجب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك. فأنه جبريل فقال: يا محمد عجمت أنتك من عبادة هؤلاء الضر ثمانين سنة لم يمتصوا الله طرفة عين، فقد أنزل الله عليك خيرا من ذلك، ثم قرأ «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ». فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال مالك في الموطأ من رواية ابن القاسم وغيره: سمعت

(١) التي (فتح اللام) وتند بها وسكون الحاء، حطم الملك، وهو الذي عليه الأسنان. وعادة القهري في تاريخه (طبع أورد باسم أزل ص ٧٩٤): «وكان إذا قاتلهم لخصم بغيره لا يقام بغيره؛ فإذا قاتلوه وقاتلهم» ونسب وعطش أضعجه من القيين ماء حذب... الخ. - بأفراد «على» في الموضعين.  
(٢) كذا في الأصل، والمعروف في العربية أن البصريين قالوا: ما كان من العدد خفا أدخل الألف واللام في آخره فقط، وأجاز الكوفيين إدخال الألف واللام على الألف والخافى على ذلك فقال هنا: ألف الروما والألف الولد.

من أتى به يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الأمم قبله فكانه  
تقاصر أعمار أئمة ألا يلقنوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر؛ فأعطاه الله تعالى  
ليلة القدر، وجعلها خيراً من ألف شهر. وفي الترمذي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى بنى أمية على منبره فساءه ذلك؛ فنزلت «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ  
الْكُوتَرَةَ» بمعنى نهراً في الجنة. ونزلت «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ». وَمَا أَنْزَلْنَاكَ إِلَّا قَدْرًا  
بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ خَيْرٍ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. يملكها بسلك بنو أمية. قال القاسم بن الفضل الحنطلي:  
لمعدنا ما إذا هي ألف شهر لا تريد يوماً ولا تنقص يوماً. قال: حديث غريب.

قوله تعالى: تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ①  
قوله تعالى: (تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ) أى ينزل من كل سماء، ومن سورة النحل؛  
ومسكى جبريل على وسطها. فينزلون إلى الأرض ويؤمنون على دعاء الناس إلى وقت طلوع  
الفجر؛ فذلك قوله تعالى: «تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ». (وَالرُّوحُ) أى جبريل عليه السلام.  
وحكى القشيري: أن الرُّوحَ صِيفٌ من الملائكة، جُعلوا حَفَظَةً على سائرهم، وأن الملائكة  
لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة. وقال مقاتل: هم أشرف الملائكة وأقربهم من الله تعالى.  
وقيل: إيتهم جُنْدٌ من جُنْدِ الله عز وجل من غير الملائكة. رواه مجاهد عن ابن عباس  
مرغوماً؛ ذكره الماوردي. وحكى القشيري: قيل هم صِيفٌ من خلق الله ياكلون  
الطعام، ولم أيد وأرجل؛ وليسوا ملائكة. وقيل: «الروح» خلقٌ عظيم يقوم صفاءً  
والملائكة كلهم صفاءً. وقيل: «الروح» الرحمة ينزل بها جبريل عليه السلام مع الملائكة  
في هذه الليلة على أهلها؛ دليله: «يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ بَنِيهِ»  
أى بالرحمة. (فِيهَا) أى في ليلة القدر. (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) أى بأمره. (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ)  
أى بكل أمرٍ قدره الله وقضاه في تلك السنة إلى قابل؛ قاله ابن عباس؛ كقوله تعالى:  
«يُفَصِّلُ لَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» (١٧) أى بأمر الله. وقرائة العامة «تَنْزِيلٌ» بفتح التاء؛ إلا أن البزري

شَلَدَ النَّارَ . وَقَرَأَ طَلْعَةُ بْنُ مُعَرِّفٍ وَأَبْنُ السَّمِيعِ بَعْضَ النَّارِ عَلَى الْفَعْلِ الْمَجْهُولِ . وَقَرَأَ عَلَى :  
وَأَبْنُ عَبَّاسٍ وَمَعْرُومَةُ وَالْكَلْبِيُّ « مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » . وَرَوَى عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ أَنْ مَعْنَاهُ : مِنْ  
كُلِّ مَلَكٍ ؛ وَأَوَّلُهَا الْكَلْبِيُّ عَلَى أَنَّ جِبْرِيلَ يُزَلُّ فِيهَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ فَيَسْلَمُونَ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مُسْلِمٍ .  
فَ « مِنْ » بِمَعْنَى عَلَى . وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدَرِ نُزِلَ  
جِبْرِيلُ فِي كَبْكَبَةٍ <sup>(١)</sup> مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُصَلُّونَ وَيُسْتَوْتُونَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ قَائِمٍ أَوْ قَاعِدٍ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى » .

قوله تعالى : سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٣٦﴾

قيل : إن تمام الكلام « مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » ثُمَّ قَالَ « سَلَامٌ » رُئِيَ ذَلِكَ عَنْ تَأْنِيهِ وَغَيْرِهِ ؛ أَيْ لَيْلَةُ  
الْقَدَرِ سَلَامَةٌ وَغَيْرُهَا لَا تَشْرُفُهَا . ( حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ) أَيْ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ . قَالَ الضَّحَّاكُ :  
لَا يَحْتَرِ اللَّهُ فِي ذَلِكَ اللَّيْلَةِ إِلَّا السَّلَامَةَ ، وَفِي سَائِرِ اللَّيَالِي يُقْضَى بِالْبَلَاءِ وَالسَّلَامَةِ . وَقِيلَ :  
أَيْ هِيَ سَلَامٌ ؛ أَيْ ذَاتُ سَلَامَةٍ مِنْ أَنْ يُؤْثِرَ فِيهَا شَيْطَانٌ فِي مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ . وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ :  
هِيَ لَيْلَةُ سَالِمَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهَا سُوءًا وَلَا أَثَمًا . وَرَوَى مَرْفُوعًا . وَقَالَ  
الشَّعْبِيُّ : هُوَ تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى أَهْلِ الْمَسَاجِدِ مِنْ حِينَ تَغِيِبِ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ ؛  
يَمْرُونَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَيَقُولُونَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ . وَقِيلَ : بِمَعْنَى سَلَامِ الْمَلَائِكَةِ  
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِيهَا . وَقَالَ قَتَادَةُ : « سَلَامٌ هِيَ » خَيْرٌ هِيَ . « حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ » أَيْ  
إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ . وَقَرَأَ الْكَسَاؤِيُّ وَأَبْنُ عُجَيْنَةَ « مَطْلَعِ » بِكَسْرِ اللَّامِ ، الْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ . وَالْفَتْحُ  
وَالْكَسْرُ لِقِتَانِ فِي الْمَصْدَرِ . وَالْفَتْحُ الْأَصْلُ فِي قَوْلِ يَفْعَلُ ؛ نَحْوُ الْقَتْلِ وَالْمَخْرَجِ . وَالْكَسْرُ عَلَى  
أَنَّهُ مَا شَدَّ عَنْ قِيَاسِهِ ؛ نَحْوُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَالْمُنْتَهَى وَالْمُسْكِنِ وَالْمُنْكَسِ وَالْمُخَيَّرِ وَالْمُسَيِّطِ  
وَالْمُجَرِّدِ . حُكِيَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ الْفَتْحُ وَالْكَسْرُ ؛ عَلَى أَنَّ يَرَادُ بِهِ الْمَصْدَرُ لَا الْأِسْمَ .

وهنا ثلاث مسائل :

الأولى — في تعيين ليلة القدر ؛ وقد اختلف العلماء في ذلك . والذي عليه المعظم أنها  
ليلة سبعة وعشرين ؛ لحديث زَرَّ بن حُبَيْشٍ قَالَ قُلْتُ لَأَبِي بَنِي كَبْ : إِنَّ أَخَاكَ عَبْدَ اللَّهِ

(١) الْكَبْكَبَةُ ( بِالْفَتْحِ ) : الْجَاهَةُ الْمُخْتَصَّةُ مِنَ النَّاسِ وَفَرَمٌ .

أبن مسعود يقول : مَنْ يَمُ الحَوْلُ يُصَب لَيْلَةُ القدر . فقال : يَغْفِر الله لأبي عبد الرحمن !  
لقد عَلِمَ أنها في العشر الأواخر من رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين ، ولكنه أراد ألا يتكل  
الناس ، ثم حَلَفَ لا يَسْتَقِي أنها ليلة سبع وعشرين . قال قلت : بأى شئ تقول ذلك  
يا أبا المنذر؟ قال : بِالآيَةِ الَّتِي أَخْبَرَنَا بِهَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أَوْ بِالْعَلَامَةِ أَنَّ الشَّمْسَ  
تَطْلُعُ يَوْمَئِذٍ لَأَشْوَاعٍ لَهَا . قال الترمذى : حديث حسن صحيح ، وَتَرْجَمَهُ مسلم . وقيل : هِيَ  
فِي شَهْرِ رَمَضَانَ دُونَ سَائِرِ الْعَامِ ، قَالَه أَبُو هُرَيْرَةَ وَغَيْرُهُ . وقيل : هِيَ فِي لَيَالِي السَّنَةِ كُلِّهَا . فَمَنْ  
مَاتَ قِيَامَ طَلَقِ آمْرَأَتِهِ أَوْ عَقَى عَمِيدَهُ بِلَيْلَةِ القدرِ لَمْ يَقَعْ الْبَتُّ وَالطَّلَاقُ إِلَّا بَعْدَ مِئَةِ سَنَةٍ مِنْ يَوْمِ  
حَلَفَ . لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِقْبَاحُ الطَّلَاقِ بِالشَّكِّ وَلَمْ يَثْبُتْ اخْتِصَاصُهَا بِوَقْتٍ ، فَلَا يَنْبَغِي وَقُوعُ  
الطَّلَاقِ إِلَّا بِمَضَى حَوْلٍ ، وَكَذَلِكَ الْبَتُّ ، وَمَا كَانَ يَتْلُوهُ مِنْ بَيْنِ أَوْ غَيْرِهِ . وقال ابن مسعود :  
مَنْ يَمُ الحَوْلُ يُصَبُّهَا ، فَيُلْغِ ذَلِكَ ابْنُ عَرَفَةَ قَالَ : يَرْحَمُ الله أَبَا عبد الرحمن ! أَمَا إِنَّهُ عَلِمَ أَنَّهَا  
فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَلَّا يَتَكَلَّمَ النَّاسُ . وَإِلَى هَذَا الْقَوْلِ نَحَبُ  
أَبُو حَنِيْفَةَ أَنَّهَا فِي جَمِيعِ السَّنَةِ . وَقِيلَ عَنْهُ : إِنَّهَا رَفَعَتْ - يَعْنِي لَيْلَةُ القدر - وَأَنَّهَا إِنَّمَا  
كَانَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا بَاقِيَةٌ . وَرَوَى عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَيْضًا : أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ  
فِي يَوْمٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ فِي يَوْمٍ آخَرَ . وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهَا فِي كُلِّ عَامٍ مِنْ  
رَمَضَانَ . ثُمَّ قِيلَ : إِنَّهَا اللَّيْلَةُ الْأُولَى مِنَ الشَّهْرِ ، قَالَه أَبُو رَزِينٍ الْعُقَيْلِيُّ . وَقَالَ الْحَسَنُ  
وَأَبْنُ إِسْمَاعِيلَ وَعَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْرِ : هِيَ لَيْلَةُ سَبْعِ عَشْرَةٍ مِنْ رَمَضَانَ ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي كَانَتْ  
يُصِيبُهَا وَقْعَةٌ يَدْرُ . كَانَهُمْ تَزْعُرُوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِيَّ  
الْجَمْعَانِ » (١) وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلَةَ سَبْعِ عَشْرَةٍ ، وَقِيلَ هِيَ لَيْلَةُ التَّاسِعِ عَشَرَ . وَالصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ أَنَّهَا  
فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَأَبِي ثَوْرٍ وَوَاحِدٌ . ثُمَّ قَالَ  
قَوْمٌ : هِيَ لَيْلَةُ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ . وَمَالَ إِلَيْهِ الشَّافِعِيُّ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، لِحَدِيثِ الْمَاءِ وَالطَّلِينِ ،

(١) أَيِ يَوْمٍ فِي حَقِّهِ يَدْرُ اسْتِثْنَاءُ فِيهِ ؛ بَأَن يَقُولَ حَقْبُ بِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ .

(٢) آيَةُ ١١ ، سُورَةُ الْأَنْعَامِ .

ورواه أبو سعيد الخدري<sup>(١)</sup> تحريه مالك وضعه . وقيل ليلة الثالث والعشرين ، لما رواه ابن عمر أن رجلا قال : يا رسول الله إني رأيت ليلة القدر في سابعة تنقي . قال النبي صلى الله عليه وسلم : «أرى رؤياكم قد تواطأت على ثلاث وعشرين فمن أراد أن يقوم من الشهر شيئا فليقم ليلة ثلاث وعشرين» . قال معمر : فكان أيوب ينسل ليلة ثلاث وعشرين ويمس طيبا . وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إني رأيت أني أعبد في صبيحتها في ماء وطين» قال عبد الله بن أنس : فرأيت في صبيحة ليلة ثلاث وعشرين في الماء والطين كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : ليلة خمس وعشرين ، لحديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «انفسوها في الشهر الأواخر في تسعة تنقي في سابعة تنقي في خامسة تنقي» رواه مسلم ، قال مالك : يريد بالتسعة ليلة إحدى وعشرين والسابعة ليلة ثلاث وعشرين ، والتسعة ليلة خمس وعشرين . وقيل : ليلة سبع وعشرين . وقد مضى عليه ، وهو قول علي رضي الله عنه وطائفة ومعاوية وأبي بن كعب . وروى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من كان متحررا ليلة القدر فليحررها ليلة سبع وعشرين» . وقال أبي بن كعب : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ليلة القدر ليلة سبع وعشرين» . وقال أبو بكر الوراق : إن الله تعالى قسم ليالي هذا الشهر - شهر رمضان - على كلمات هذه السورة ، فلما بلغ السابعة والعشرين أشار إليها فقال هي . وأيضا فإن ليلة القدر كروذ كرها ثلاث مرات ، وهي تسعة أعرف ، فصبيها سبع وعشرين . وقيل : هي ليلة تسع وعشرين ، لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ليلة القدر التاسعة

(١) قلت الحديث كما رواه مالك في الموطأ : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكف البشر الوسط من رمضان ، فاحتكف ما ما حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج فيها من صبيها من احتكفه قال : «من كان احتكف من يتكف البشر الأواخر وقد آريت هذه الليلة ثم أنسيتها وقد رأيته أعبد من صبيها في ماء وطين فانفسوها في الشهر الأواخر وانفسوها في كل ورز» قال أبو سعيد : فأطرت اليه تلك الليلة ، وكان المسجد على عرض فركب المسجد (قفر) قال أبو سعيد : فأبصرت ميلا رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف وحل بجيئه وأتته أمه الماء والطين من صبح ليلة إحدى وعشرين» .

والعشرون - أو السابعة والعشرون - وأن الملائكة في تلك الليلة بعدد الحمى<sup>١</sup>، وقد قيل: إنها في الأشفاق. قال الحسن: ارتقت الشمس ليلة أربع وعشرين عشرين سنة فأرأتها تطلع بيضاء لا شعاع لها. يعني من كثرة الأنوار في تلك الليلة. وقيل إنها مستورة في جميع السنة؛ ليجتهد المرء في إحياء جميع الليالي. وقيل: أخفاها في جميع شهر رمضان، ليجتهدوا في العمل والعبادة ليالي شهر رمضان طمعاً في إدراكها؛ كما أخفى الصلاة الوسطى في الصلوات، وأتمته الأظم في أتماته الحسنی، وساعة الإجابة في ساعات الجمعة وساعات الليل، وخضبه في المعاصي ورضاه في الطاعات، وقيام الساعة في الأوقات، والعبد الصالح بين العباد، رحمة منه وحكمة.

الثانية - في علاماتها: منها أن الشمس تطلع في صبيحتها بيضاء لا شعاع لها. وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر: "إن من أماراتها أنها ليلة تسمع بقة لا حازة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع". وقال عبيد بن عمير: كنت ليلة السابع والعشرين في البحر فاخنت من مائه فوجدته قد بلسا.

الثالثة - في فضائلها. وحسبك بقوله تعالى: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ». وقوله تعالى: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا». وفي الصحيحين: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه". ورواه أبو هريرة. وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما كان ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى منهم جبريل ومعهم أئمة ينصب منها لواء على قبري ولواء على بيت المقدس ولواء على المسجد الحرام ولواء على طوسيناء ولا تدع فيها مؤمناً ولا مؤمنة إلا تسلم عليه إلا مضعين التمر وأكل الخبز والتمضغ بالزعفران". وفي الحديث: "إن الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها ولا يستطيع أن يصيب فيها أحداً بجبل ولا شيء من الفساد ولا ينفذ فيها سحر ساحر". وقال الشعبي: وليكلمها كيومها، ويومها كليلها. وقال الفراء: لا يقدر الله في ليلة القدر إلا السعادة والنعم، ويقر في غيرها البلايا والنقم، وقد تقدم عن الضحاك. ومثله لا يقال من جهة الرأي وهو

مرغوع . والله أعلم . وقال سعيد بن المسيب في الموطأ : [ من شهد العشاء من ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها ] ومثله لا يدرك بالرى . وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى صلاة المغرب والعشاء الآخرة من ليلة القدر في جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر » ذكره الثعلبي في تفسيره . وقالت عائشة رضي الله عنها قلت : يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فما أقول ؟ قال : « قولي اللهم إني أعوذ بك من شيب العفو فأعف عني »

### تفسير سورة « لم يكن »

وهي سبعة ، في قول يحيى بن سلام . ومدينة في قول ابن عباس والجمهور . وهي تسع آيات . وقد جاء في فضلها حديث لا يصح ، رويناه عن محمد بن عبد الله الحضرمي قال قال لي أبو عبد الرحمن بن ثوير : اذهب إلى أبي الهيثم الخشاب فأكتب عنه فإنه قد كتب ، فذهبت إليه فقال : حدثنا مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو يعلم الناس ما في [ لم يكن ] الذين كفروا من أهل الكتاب لعطّلوا الأهل والمال ففعلوها » فقال رجل من خزاعة : وما فيها من الأجر يا رسول الله ؟ قال : « لا يقرؤها منافق أبداً ولا عبد في قلبه شك في الله . والله إن الملائكة المقرئين يقرئونها منذ خلق الله السموات والأرض ما يفتنون من قرائتها . وما من عبد يقرؤها إلا باصت إليه ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له بالمغفرة والرحمة » . قال الحضرمي : بلغني إلى أبي عبد الرحمن بن ثوير قال قلت هذا الحديث عليه فقال : هذا

(١) ما بين المرحلين زيادة من الموطأ . (٢) الذي في نسخة تفسير الثعلبي التي بين أيدينا : « من صلى المغرب والعشاء الآخرة من ليلة القدر فقد أخذ ... » الحديث . ولم يذكر : « في جماعة » . (٣) في مصاحنا : « تان آيات » . وفي تفسير الأوكسي : « وأنها تسع في البصري وثمان في غيره » . (٤) في بعض نسخ الأهل : « قبل خلق السموات ... » .

قد كذبا مؤتمنه فلا تمد إليه . قال ابن العربي : « روى إسحاق بن بشر الكاهلي عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب عن أبي النضر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لو يعلم الناس ما في [ لم يكن ] الذين كفروا لمعللوا الأهل والمال ولتسلّموا » . وهذا حديث باطل ؛ وإنما الحديث الصحيح ما روى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبيّ بن كعب : « إن الله أمرني أن أفرا عليك » لم يكن الذين كفروا » قال : وسأني لك ؟ قال : نعم » فبكي .

قلت : ترجمه البخاري ومسلم . وفيه من الفقه قراءة السلام على المتعلم . قال بعضهم : إنما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على أبيّ يعلم الناس التواضع ؛ لئلا يأتف أحد من العلماء والقراءة على من دونه في المتلة . وقيل : لأن أبيّا كان أسرع أخذاً لألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأراد بقراءته عليه أن يأخذ ألفاظه ويقرأ كما سمع منه ويعلم فيه . وفيه فضيلة عظيمة لأبيّ ؛ إذ أمر الله رسوله أن يقرأ عليه . قال أبو بكر الأنباري : وحدثنا أحمد بن الحليم بن خالد قال حدثنا علي بن الجعد قال حدثنا عكرمة عن عاصم عن زبّين حبيش قال : في قراءة أبيّ بن كعب : « أين آدم لو أعطى وادياً من مال لا تقس ثانياً ولو أعطى واديين من مال لا تقس ثالثاً ولا يعلا جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب . قال عكرمة : قرأ عليّ عاصم » لم يكن » ثلاثين آية هذا فيها . قال أبو بكر : هذا باطل عند أهل العلم ؛ لأن قراءتي ابن كثير وأبي عمرو متعلتان بأبيّ بن كعب ، لا يقرأ فيهما هذا المذكور في « لم يكن » مما هو معروف في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه من كلام الرسول عليه السلام لا يحكيه عن رب العالمين في القرآن . وما رواه اثنان معهما الإجماع أثبت مما يحكيه واحد مخالف لمنهج الجماعة .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : لَّا يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾

قوله تعالى : ( لَمْ يَكُنِ الْيَهُودُ كَفَرُوا ) كذا قراءة العامة وخط المصحف . وقرا ابن مسعود « لم يكن المشركون وأهل الكتاب مُنْفَكِينَ » وهذه قراءة حل التفسير . قال ابن العربي : « وهي جائزة في معرض البيان لا في معرض التلاوة » وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في رواية الصحيح « نَطْلُقُوهُمْ قَبْلَ يَمِينَيْنِ » وهو تفسير ؛ فإن التلاوة هو ما كان في خط المصحف .

قوله تعالى : ( مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ) يعني اليهود والنصارى . ( وَالْمُشْرِكِينَ ) في موضع جر عطفا على « أهل الكتاب » . قال ابن عباس : « أهل الكتاب » اليهود الذين كانوا يتقرب ، وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع . والمشركون : الذين كانوا بمكة وحوها ، والمدينة والذين حوها ؛ وهم مشركو فريش . ( مُنْفَكِينَ ) أي منتهين عن كفرهم مالم ينه عنه . ( حَتَّى تَأْتِيَهُمُ ) أي أتتهم البينة ؛ أي محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل : الانتهاء بلوغ الغاية ؛ أي لم يكونوا ليلينوا نهاية أعمارهم فيموتوا حتى تأتيتهم البينة . فالأنفكلك على هذا بمعنى الانتهاء . وقيل : « منفكين » زائلين ؛ أي لم تكن منهم لقول حتى يأتيتهم رسول . والعرب تقول : ما أنفككت أفعل كذا ؛ أي ما زلت . وما أنفكك فلان قائما ؛ أي ما زال قائما . وأصل الفك الفتح ؛ ومنه فك الكتاب ، وفك الخلفاء ، وفك السالم <sup>(١)</sup> . قال طرقة :

فَأَلَيْتُ لَا يَنْفَكُ كَشَعِي بَطَانَةً • لِمَنْعِبِ رَقِيقِ الشُّعْرَيْنِ مَهْدَةً <sup>(٢)</sup>

(١) كذا في بعض نسخ الأصل . وفي بعضها : « فك السالم وهي » قال طرقة . « يباش يهد » وهي . وفي تفسير الطبري : « وفك السالم وهي حرف الفين قال طرقة » . ولم يند له الصواب فيه . (٢) الكشح : الجنب . والمنعيب : السيف المقاطع . ومنه : أي مشط ؛ والتهد : التشميد . ويقال : سيف مهدي إذا عمل ببلاد المهدي .

وقال ذو الرمة :

حراجيج ما تنفك إلا مَنَاحَةً \* على الخسف أو ترى به بلداً قفراً<sup>(١)</sup>

يريد : ما تنفك مَنَاحَةً ؛ فزاد « إلا » . وقيل : « مُنْفَكِّين » بارسين ؛ أى لم يكونوا  
ليسبحوا ، ويفارقوا الدنيا حتى تأتهم البينة . وقال ابن كيسان : أى لم يكن أهل الكتاب  
تاركين صفة عبد صلى الله عليه وسلم في كتابهم حتى بُعث ؛ فلما بعث حسدوه ومحمدوه .  
وهو كقوله : « فَتَسَا جَاهَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ » . ولهذا قال : « وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ » الآية . وعلى هذا فقوله : « والمشركون » أى ما كانوا يسيئون القول في عبد صلى الله  
عليه وسلم حتى بُعث ؛ لأنهم كانوا يسمونه الأمين ، حتى أتتهم البينة على لسانه وبُعث إليهم  
بغيتش مادوه . وقال بعض اللغويين : « متفكين » هالكين ؛ من قولهم : ائتلك صلا  
المرأة عند الولادة ؛ وهو أن يفصل فلا يثبت قهلك . المعنى : لم يكونوا معذيين ولا هالكين  
إلا بعد قيام الحجّة عليهم بإرسال الرسل وإزالة الكتب . وقال قوم في المشركون : إنهم من  
أهل الكتاب ؛ فمن اليهود من قال : حُرِّيرِينَ الله . ومن النصارى من قال : عيسى هو الله .  
ومنهم من قال : هو أبنه . ومنهم من قال : ثالث ثلاثة . وقيل : أهل الكتاب كانوا  
مؤمنين لم كفروا بعد أنبيائهم . والمشركون ولِدُوا على الفِطْرَةِ فكفروا حين بَلَّغُوا . فلها قال :  
« والمشركون » . وقيل : المشركون وصف أهل الكتاب أيضا ؛ لأنهم لم يتصفوا بكتابهم وزكوا  
التوحيد . فالنصارى مُتَّبِعَةٌ ، وعامة اليهود مُشَبَّهَةٌ ؛ والكل شِرْكٌ . وهو كقولك : جاءنى  
المغلاء والظرفاء ؛ وأنت تريد أنوما بأعيانهم تصنفهم بالأمرين . فالمعنى : من أهل الكتاب  
المشركين . وقيل : إن الكفرها هو الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ أى لم يكن الذين  
كفروا بحمد من اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب ، ولم يكن المشركون الذين هم عبدة  
(١) الحراجيج ( جمع حرجج ) : وهي الثافة الطويلة الضامرة . والخسف : أن تبت على خريفك . وقول .  
ما تنفصل من يدك إلا مَنَاحَةً على الخسف . (٢) آية ٨٩ سورة البقرة .  
(٣) الصلأ : وسط الظاهر من الإنسان ومن كل ذى أرج ، وقيل : هو ما انحدر من الوركين . وقيل :

هو ما من بين القنب وشماله .

الأوثان من العرَب وغيرهم - وهم الذين ليس لهم كتاب - متفكين . قال التفسير : وفيه بُدِّ ، لأن الظاهر من قوله : « حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ . رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ » إن هذا رسول هو محمد صلى الله عليه وسلم . فيبعد أن يقال : لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم متفكين حتى يأتيتهم هذه ؛ إلا أن يقال : أراد لم يكن الذين كفروا الآن بمحمد وإن كانوا من قبل معظمين له فنتبين عن هذا الكفر إلى أن يبعث الله هذا إليهم ويبين لهم الآيات ؛ فيلتذذوا من قوم . وقرأ الأعمش وإبراهيم « والمشركون » رضاء ، عطفاً على « الذين » . والقراءة الأولى أين ؛ لأن الرفع يصير فيه الصفتان كأنهم من غير أهل الكتاب . وفي حرف أبي : « لما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون متفكين » . وفي مصحف ابن مسعود : « لم يكن المشركون وأهل الكتاب متفكين » . وقد تقدم . ( حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ) قيل حتى أتتهم . والبينة : عهد صلى الله عليه وسلم . ( رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ ) أى بعث من الله جلاً نازلاً . قال الزجاج : « رسول » رفع على البذل من « البينة » . وقال الفراء : أى هو رسول من الله ؛ أو هو رسول من الله ؛ لأن البينة قد تذكر فيقال : يبعث فلان . وفي حرف أبي وابن مسعود « رسولاً » بالنصب على القطع . ( يَسْأَلُوا ) أى يقرأوا . يقال : تلا يتلون تلاوةً . ( مُحَقَّقًا ) جمع صحيفة وهى ظرف المكتوب . ( مُطَهَّرَةً ) قال ابن عباس : من الزور والشك والتفاد والضلالة . وقال قتادة : من الباطل . وقيل : من الكتب والشبهات والكفر ؛ والمعنى واحد . أى يقرأ ما تتضمن الصحف من المكتوب ؛ ويدل عليه أنه كان يتلو عن ظهر قلبه لاعتى كتاب ؛ لأنه كان أمياً لا يكتب ولا يقرأ . و « مطهرة » من نمت الصحف ؛ وهو كقوله تعالى : « فِي مُحَقِّفٍ مُكْرَمَةٍ ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ » فالمطهرة نمت للصحف في الظاهر ، وهى نمت لما في الصحف من القرآن . وقيل : « مطهرة » أى يبنى ألا يسموا إلا المطهرون ؛ كما قال في سورة « الواقعة » حسب ما تقدم بيانه . وقيل : الصحف المطهرة هى التى عند الله فى أم الكتاب الذى منه نسخ ما أنزل على الأنبياء من

(١) آية ١٣ سورة عبس .

(٢) راجع ج ١٧ ص ٢٢٥ فابعدا .

الكتب؛ كما قال تعالى : « بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ » <sup>(١)</sup> . قال الحسن : يعنى المصحف المطهرة في السماء . ( فَيَسَّ كُتُبٌ قِيَمَةٌ ) أى مستقيمة مستوية محكمة ؛ من قول العرب : قام يقوم إذا استوى وصح . وقال بعض أهل العلم : المصحف هو الكتب ؛ فكيف قال في مصحف فيها كتب ؟ فالجواب : إن الكتب هنا بمعنى الأحكام ؛ قال الله عز وجل : « كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَىٰ » بمعنى حكم . وقال صلى الله عليه وسلم : « والله لأقضيَنَّ بينكما بكتاب الله » ثم قضى بالزَّعم ، وليس ذكر الزَّعم مسطوراً في الكتاب ؛ فالمنى لأقضيَنَّ بينكما بحكم الله تعالى . وقال الشاعر :

وما الولاء بالبلاء <sup>(٢)</sup> فلستم • وما ناك قال الله إذ هو يكتب

وقيل : الكتب القِيَمَةُ هي القرآن ؛ بفعله كُتِبَ لأنه يشتمل على أنواع من البيان .

قوله تعالى : وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ

مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ①

قوله تعالى : ( وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ) أى من اليهود والنصارى ؛ خص

أهل الكتاب بالتفريق دون غيرهم وإن كانوا مجموعين مع الكافرين ؛ لأنهم مظنون بهم لم ؛ فلذا تفرقوا كان فيهم من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف . ( إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ) أى آتهم البينة الواضحة . والمتنبي به عهد صلى الله عليه وسلم ؛ أى بالقرآن موافقاً لما في أيديهم من الكتاب بنصته وصفته . وذلك أنهم كانوا مجتمعين على نيوته ؛ فلما بُيِّنَتْ بَعْدُ نِيَتُهُ وتفرقوا ، فمنهم من كفر بقِيَا وَحَسَنًا ، ومنهم من آمن ؛ كقوله تعالى : « وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ » . وقيل : « البينة » البيان الذى في كتبهم أنه نبي مرسل . قال العلماء : من أول السورة إلى قوله « قِيَمَةٌ » حُكْمُها فيمن آمن من أهل الكتاب والمشركين . وقوله : « وما تفرق » حكاه فيمن لم يؤمن من أهل الكتاب بعد قيام الحجج .

(١) آخر سورة البروج . (٢) آية ٢١ سورة المجادلة . (٣) كذا في الأصل ، ولم تقف على هذا

اليت لها لبثا من المراجع ، ولعل موافق ؛ وماال ولاء بالبلاء ، فلم ... الخ •

(٤) آية ١٤ سورة الشورى .

قوله تعالى : وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿١﴾  
فيه ثلاث مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( وَمَا أُمِرُوا ) أى وما أمر هؤلاء الكفار فى التوراة والإنجيل ( إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ ) أى ليؤحدوه . وللإمام فى « لِيَعْبُدُوا » معنى « أن » ؛ كقوله : « يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعِينَ » و « يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ » . و « أُمِرُوا لِيُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » . وفى حرف عبد الله : « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ » . ( مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ) أى العبادات ؛ ومنه قوله تعالى : « قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُعْبِدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ » . وفى هذا دليل على وجوب النية فى العبادات ؛ فإن الإخلاص من عمل القلب ، وهو الذى يراد به وجه الله تعالى لا غيره .

الثانية - قوله تعالى : ( حُنَفَاءَ ) أى مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام . وكان ابن عباس يقول : حنفاء على دين إبراهيم عليه السلام . وقيل : الحنيف من أختن وجم ، قاله سعيد بن جبيرة . قال أهل اللغة : وأصله أنه تحنف إلى الإسلام ، أى مال إليه .  
الثالثة - قوله تعالى : ( وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ) أى بمحدودها فى أوقاتها . ( وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ ) أى يعطوها عند محلها . ( وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ) أى ذلك الدين الذى أمروا به دين القِيَمَةِ ، أى الدين المستقيم . وقال الزجاج : أى ذلك دين المِلَّةِ المستقيمة . و « الْقِيَمَةُ » تست لموصوف محذوف . أو يقال : دين الأمة القِيَمَةُ بالحق ؛ أى القائمة بالحق . وفى حرف عبد الله : « وذلك الدين القيم » . قال الخليل : « القِيَمَةُ » جمع القِيَمِ ، والقِيَمِ والغام واحد . وقال القراء : أضاف الدين إلى القِيَمَةِ وهو منه لأختلاف اللفظين . وعنه أيضا : هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه ، ودخلت الهاء للدخ والمبالغة . وقيل : الهاء راجعة إلى المِلَّةِ أو الشريعة . وقال محمد بن الأعمش الطالقاني : « الْقِيَمَةُ » هاءتا الكتب التى جرى ذكرها ، والدين مضاف إليها .

(١) آية ١٦ سورة النساء . (٢) آية ٨ سورة البقرة . (٣) آية ٧١ سورة الأنعام . (٤) آية ١١ سورة الزمر

قوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ** ﴿١﴾ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴿٢﴾

قوله تعالى : **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ)** والمشركون «مطوف على «الذين» ، أو يكون مجرورا مطوفا على «أهل» . (في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) فراء فاع وأبن ذكوان بالهمز على الأصل في الموضعين ، من قولهم : برا الله الخلق ، وهو الباري الخالق ، وقال : « مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْرَأَ<sup>(١)</sup> » : الباقون بغير همز وشذ الياء عروضا منه . قال الفراء : إن أخذت البرية من البرى وهو التراب فأصله غير الهمز ؛ تقول منه : براه الله يبروه براء ؛ أى خلقه . قال القشيري : ومن قال البرية من البرى وهو التراب قال : لا تدخل الملائكة تحت هذه اللفظة . وقيل : البرية من برت القلم أى قدرته ؛ فتدخل فيه الملائكة . ولكنه قول ضعيف ؛ لأنه يجب منه تحطئة من همز . وقوله « شَرُّ الْبَرِيَّةِ » أى شَرُّ الخليفة ، فقيل يشمل أن يكون على التعميم . وقال قوم : أى هم شَرُّ البرية الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ كما قال تعالى : **«وَأَنَّى فَضَّلْتُكَ عَلَى الْعَالَمِينَ<sup>(٢)</sup>»** أى على عالمي زمانك . ولا يبعد أن يكون في كفار الأمم قبل هذا من هو شر منهم ؛ مثل فرعون وعاقرة ناقة صالح . وكذا « خَيْرُ الْبَرِيَّةِ » إما على التعميم . أو خير برية عصرهم . وقد استدل بقراءة الهمز من نقول بنى آدم على الملائكة . وقد مضى في سورة « البقرة » القول فيه<sup>(٣)</sup> . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : المؤمن أكرم على الله عز وجل من بعض الملائكة الذين عنده .

(١) آية ٢٢ سورة الحديد . (٢) آية ٤٧ سورة البقرة .

(٣) راجع ج ١ ص ٢٨٩ طبع ثانية أرفألة .

قوله تعالى : **بَرَأُوهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** ﴿١﴾

قوله تعالى : ( **بَرَأُوهُمْ** ) أى فواجهم . ( **عِنْدَ رَبِّهِمْ** ) أى خالقهم ومالكهم . ( **جَنَّاتُ** ) أى بساتين . ( **عَدْنٍ** ) أى إقامة . والمفسرون يقولون : « **جَنَّاتُ عَدْنٍ** » طنان الجنة أى وسطها ، تقول : **عَدْنٌ** بالمكان **يَسْدُنْ** [ **عَدْنَا** ] **عُدُونَا** إقام . **وَمَعْدِنُ النِّسَى** : مكره ومستقره . قال الأعشى :

وإني يستضافوا إلى حكمة • يضافوا إلى راجح فد **عَدْنٌ**

( **تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ) لا يَظْلَمُونَ ولا يموتون . ( **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ) أى رضى أعمالهم ، كما قال ابن عباس . ( **وَرَضُوا عَنْهُ** ) أى رضوا هم بثواب الله عز وجل . ( **ذَلِكَ** ) أى الجنة . ( **لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** ) أى خاف ربه فتناهى عن المعاصي .

### سورة « الزلزلة »

مَدَنِيَّةٌ ، فى قول ابن عباس وقتادة . ومَكِّيَّةٌ ، فى قول ابن مسعود وعطاء وجابر . وهى تسع آيات <sup>(١)</sup>

قال العلماء : وهذه السورة فضلها كثير وتحتوى على عظيم . روى الترمذى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ « **إذا زلزلت** » عدلت له بنصف القرآن . ومن قرأ « **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** » عدلت له بربع القرآن ومن قرأ « **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** » عدلت له بثلاث القرآن » . قال : حديث غريب ، وفى الباب عن ابن عباس . وروى عن علي بن رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ « **إذا زلزلت** » أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله » . وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لما نزلت « **إذا زلزلت** » بكى أبو بكر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لولا أنكم تُحْطَفُونَ وتُدَنَّبُونَ ويضغراق لكم خلق الله أمة يخطئون وينبئون فيغفروا لهم إله هو الغفور الرحيم » .

(١) فى حاشية الشهاب : « آيات تسع أو ثمان » .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾

أى حُرِّكَتْ من أصلها . كما روى عكرمة عن ابن عباس ، وكان يقول : في الضفة الأولى زلزلها — وقوله مجاهد — ؛ لقوله تعالى : « يَوْمَ تَجُفُّ الرَّايَةُ <sup>(١)</sup> . تَبْمِئُهَا الرَّايَةُ » ثم تُزَلَّلُ ثانية فتُخْرِجُ موتها وهي الأتقال . وذكر المصدر للتأكيد ثم أُضيف إلى الأرض ؛ كقولك : لأعطيتك عطيتك ؛ أى عطيتي لك . وحسن ذلك لموافقة ربوع الآي بعدها . وقراءة السامة بكسر الزاى من الزلزال . وقرا الجندري وعبيد بن عمر بفتحها . وهو مصدر أيضا كالوسواس والقلق والجرار <sup>(٢)</sup> . وقيل : الكسر المصدر . والفتح الاسم .

قوله تعالى : وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾

قال أبو حبيدة والأخفش : إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثَقْلٌ لها . وإذا كان فوقها فهو ثَقْلٌ عليها . وقال ابن عباس ومجاهد : « أَثْقَالًا » موتها تُخْرِجُهُمْ في الضفة الثانية ؛ ومنه قيل للجن والإنس : الثَّقَلَان . وقالت الخنساء :

أبسد ابن عسرو من آل الثَّير \* يَدِ حَلَّتْ به الأرض أَثْقَالُهَا

تقول : لما دُفِنَ عمرو صابحة لأهل القبور من شرفه وسُودَّده . وذكر بعض أهل العلم قال : كانت العرب تقول إذا كان الرجل سفاكا للنساء : كان ثَقْلًا على ظهر الأرض ؛ فلما مات حَلَّتْ الأرض عن ظهرها ثَقْلُهَا . وقيل : « أَثْقَالًا » كنوزها ؛ ومنه الحديث : « نَقِيَ الْأَرْضُ أَثْلًا ذَكِيْدًا مِثْلَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ... » <sup>(٣)</sup>

(١) آية ٦ سورة النازعات .

(٢) الأتقال : من ثقل الشيء إذا حركه . والجرار : من جرب البحر إذا قد صوته في حنجرته

(٣) الأسطوان : جمع أسطوانة ، وهي السارية والسود ؛ وفيه بالأسطوان لفظه وكثرته .

قوله تعالى : **وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا** ﴿١﴾

قوله تعالى : **( وَقَالَ الْإِنْسَانُ )** أى ابن آدم الكافر . فروى الضحاك عن ابن عباس قال : هو الأسود بن عبد الأسد . وقيل : أراد كل إنسان يشاهد ذلك عند قيام الساعة في النفة الأولى من مؤمن وكافر . وهذا قول من جعلها في الدنيا من أشراف الساعة ؛ لأنهم لا يعلمون جميعا من أشراف الساعة في ابتداء أمرها حتى يتحققوا عمومها ؛ فلذلك سأل بعضهم بعضا عنها . وعلى قول من قال : إن المراد بالإنسان الكفار خاصة جعلها زلزلة القيامة ؛ لأن المؤمن معترف بها ، فهو لا يسأل عنها ، والكافر جاحد لها فلذلك يسأل عنها . ومعنى **( مَا لَهَا )** أى ما لها زلزلت . وقيل : ما لها أخرجت أفعالها ، وهى كلمة تعجب ؛ أى لئى شئ زلزلت . ويجوز أن يحى الله الموتى بعد وقوع النفة الأولى ، ثم تحرك الأرض فتخرج الموتى وقد رأوا الزلزلة واشتاقوا الأرض عن الموتى أحياء فيقولون من الموتى ما لها .

قوله تعالى : **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴿٢﴾ **بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا** ﴿٣﴾ **يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيرَوُا أَعْمَلَهُمْ** ﴿٤﴾

قوله تعالى : **( يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا )** «يَوْمَئِذٍ» منصوب بقوله «إِنَّا زَلَّلْنَاهَا» . وقيل : بقوله «تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» ؛ أى تخبر الأرض بما عمل عليها من خير أو شر يومئذ . ثم قيل : هو من قول الله تعالى . وقيل : من قول الإنسان ؛ أى يقول الإنسان ما لها تحدثت أخبارها ؛ مستجيبا . وفى الترمذى عن أبى هريرة قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» قال : «أتدرون ما أخبارها — قالوا الله ورسوله أعلم قال — فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا وكذا — قال — فهذه أخبارها» . قال : هذا حديث حسن صحيح . قال الماوردى : قوله «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» فيه ثلاثة أقوال :

أحدها — «تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» بأعمال العباد على ظهرها ؛ قاله أبو هريرة ورواه مرفوعا . وهو قول من زعم أنها زلزلة القيامة .

الثاني — تحمّلت أخبارها بما أخرجت من أمثالها؛ قاله يحيى بن سلام . وهو قول من زعم أنها زلزلة أشراط الساعة .

قلت : وفي هذا المعنى حديث رواه ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كان أجل العبد بأرض أو توّجّته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قبضه الله فتقول الأرض يوم القيامة رب هذا ما استودعني » أخرجه ابن ماجه في سننه . وقد تقدم<sup>(١)</sup> .

الثالث — أنها تحمّلت بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها ؛ قاله ابن مسعود . فتخير أن أمر الدنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى . فيكون ذلك منها جواباً لم عند سؤالهم ، ووعيداً للكافر ، وإنذاراً للؤمن . وفي حديثها بأخبارها ثلاثة أقوال :

أحدها — أن الله تعالى يقلبها حيواناً طافئاً؛ فتكلم بذلك .

الثاني — أن الله تعالى يحمّلت فيها الكلام .

الثالث — أنه يكون منها بيان يقوم مقام الكلام . قال الطبري : تُبين أخبارها بالرجة والزلزلة وإخراج الموتى . ( وَأَنَّ رَبَّكَ أَوَّسَىٰ لَمَّا ) أي إنها تحمّلت أخبارها بوحى الله « لها » أي إليها . والعرب تضع لام الصفة موضع « إلى » . قال العجاج يصف الأرض :  
وَحَىٰ لَهَا الْفَرَارَ فَاسْتَوَتْ • وشهها بالزوايا التّبت

وهذا قول أبي عبيدة : « أَوَّسَىٰ لَهَا » أي إليها . وقيل : « أَوَّسَىٰ لَهَا » أي أمرها ؛ قاله جاهد . وقال السّدي : « أَوَّسَىٰ لَهَا » أي قال لها . وقيل : سخرها . وقيل : المعنى يوم تكون الزلزلة ، وإخراج الأرض أمثالها ، تحمّلت الأرض أخبارها ؛ ما كان عليها من الطامات والمعاصي ، وما عمل على ظهرها من خير وشر . وروى ذلك عن الثوري وغيره . ( يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ) أي فرقاً ؛ جمع شَتَّ . قيل : عن موقف الحساب ؛ فربى يأخذ جهة الجنى إلى الجنة ، وفريق آخر يأخذ جهة الشمال إلى النار ؛ كما قال تعالى : « يَوْمَئِذٍ يُنْفِرُونَ<sup>(٢)</sup> »  
« يَوْمَئِذٍ يُصْدَرُونَ<sup>(٣)</sup> » . وقيل : يرجعون عن الحساب بعد فراغهم من الحساب ( أَشْتَاتًا )

يُنى قِرْقًا قِرْقًا . (لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) معنى ثواب أعمالهم . وهذا كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما من أحد يوم القيامة إلا ويوم نفسه فإن كان عملاً فيقول لم لا أزدت إحساناً وإن كنت غير ذلك يقول لم لا نزعتم عن المعاصي " . وهذا عند معاينة الثواب والعقاب . وكان ابن عباس يقول : « أَشْتَاتَا » متفرقين على قدر أعمالهم ؛ أهل الإيمان على حدة ، وأهل كل دين على حدة . وقيل : هذا الصدور إنما هو عند النشور ؛ يصدرون أَشْتَاتَا من القبور فيصار بهم إلى موقف الحساب لِيُرَوْا أعمالهم في كتبهم ، أو لِيُرَوْا جزاء أعمالهم ؛ فكانهم وردوا القبور فدفنوا فيها ثم صدروا عنها . والوارد : الجاني . والصادر : المنصرف . (أَشْتَاتَا) أى يمشون من أقطار الأرض . وعلى القول الأول فيه تقديم وتأخير ؛ مجازة . تحدث أخبارها بأن ربك أَوّس لها لِيُرَوْا أعمالهم . واعترض قوله « وَيَوْمَئِذٍ يُصْدَرُ النَّاسُ أَشْتَاتَا » متفرقين عن موقف الحساب . وقراءة العامة ، لِيُرَوْا ؛ بضم الياء ؛ أى ليرىهم الله أعمالهم . وقرأ الحسن والزهرى وقتادة والأعرج ونصر بن طاص وطلمة بفتحها ؛ وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قوله تعالى : **مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾** فيه ثلاث مسائل :

الأولى - قوله تعالى : (مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) كان ابن عباس يقول : من يعمل من الكفار مثقال ذرة خيراً يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الآخرة ، ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الآخرة مع عقاب الشرك ، ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الآخرة إذا مات وبقياؤه عنه ، وإن عمل مثقال ذرة من خير قبل منه ويضاعف له في الآخرة . وفي بعض الحديث : " إن الذرة لا زنة لها " وهذا مثل ضرب به الله تعالى أنه لا يغفل عن عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة . وهو يشل قوله تعالى :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلُمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ <sup>(١)</sup> » . وقد تهدم الكلام هناك في النز، وأنه لا وزن له . وذكر بعض أهل اللغة أن النز أن يضرب الرجل بيده على الأرض فاحلق بها من التراب فهر النز؛ وكذا قال ابن عباس : إذا وضعت يدك على الأرض ورفعتها فكل واحد مما ترق به من التراب ذرة . وقال محمد بن كعب القرظي <sup>(٢)</sup> : فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير . ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده وأهله، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر . دليله ما رواه العلماء الأئمة من حديث أنس أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ياكل فامسك وقال : يا رسول الله، وإنا نرى ما حملنا من خير وشر ؟ قال : « ما رأيت مما تركه فهو مثاقيل ذر الشر ويدنر لكم مثاقيل ذر الخير حتى تمطوه يوم القيامة » . قال أبو إدريس : إن مصداقه في كتاب الله : « وَمَا آصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ <sup>(٣)</sup> » . وقال مقاتل : نزلت في رجلين ، وذلك أنه لما نزل « وَيُطْمِئِنُّ الْعَالَمُ عَلَى حَيْهِ <sup>(٤)</sup> » كان أحدهم يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه القمرة والكسرة والجوزة . وكان الآخر ينهاون بالذنب السير كالكذبة والغيبة والنظرة ، ويقول : إنما أورد الله النار على الكفار؛ فترلت ترهبهم في القليل من الخير أن يسطوه؛ فإنه يوشك أن يكثر ، ويحلّوهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر؛ وقاله سعيد بن جبير . والإثم الصغير في عين صاحبه يوم القيامة أعظم من الجبال، وجميع حسنة أقل في عينه من كل شيء .

الثانية - قراءة العامة « يره » بفتح الياء فهما . وقرا المجتدي والسليبي وعيسى بن عمرو وابن عن طاصم « يره » بضم الياء؛ أي يريه الله إياه . والأولى الاختيار؛ لقوله تعالى : « يَوْمَ يُجَدُّ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا <sup>(٥)</sup> » الآية . وسكن المساء في قوله « يره » في

(١) آية ٤٠ سورة النساء . راجع ص ١٩٥ . (٢) كما في الأصل ويضرب كعب الخضر بإثبات الياء اراج حذلقها . (٣) آية ٣٠ سورة التورى . (٤) آية ٨ سورة الإنسان . (٥) الجوزة؛ واحدة الجوز الذي يؤكل ؛ فارسي صرب . وهي أيضا : التربة الواحدة من الماء . (٦) آية ٣٠ سورة آل عمران .

المؤمنين هشام . وكذلك رواه الكسائي عن أبي بكر وأبي حنيفة . واخلف يعقوب والزهرى والبخاري وشيبة . وأصبح الباقر . وقيل « يره » أى يرى جزاءه ؛ لأن ما عمله قد مضى وعلم فلا يرى . وأنشدوا :

إن من يتدى ويكسب إنمًا • وزن مقال ذرة سواه  
ويصاوى بفعله الشرَّ شرًا • وبفعل الجليل أيضا جزاءه  
هكذا قوله تبارك ربى • فى إذا زلزلت وجلّ شأنه

الثالثة - قال ابن مسعود : هذه أحكم آية فى القرآن ؛ وصديق . وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية ؛ الفاعلون بالعموم ومن لم يقل به . وروى كعب الأحبار أنه قال : لقد أنزل الله على محمد آيتين أحصتا ما فى التوراة والإنجيل والزبور والصحف : « لَمَنْ يَسْمَلْ يَقَالَ ذَرَّةٌ خَيْرًا يَرَهُ » . قال الشيخ أبو مدين فى قوله تعالى : « لَمَنْ يَسْمَلْ يَقَالَ ذَرَّةٌ خَيْرًا يَرَهُ » قال : فى الحال قبل المآل . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى هذه الآية الآية الجامعة الفادة ؛ كما فى الصحيح لما سئل عن الحمر وسكت عن البغال والجواب فيها واحد ؛ لأن البغل والحمار لا يكثر فيهما ولا فر ؛ فلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ما فى التحليل من الأجر الدائم والثواب المستمر ، سأل السائل عن الحمر لأنهم لم يكن عندهم يومئذ بطل ولا دخل المجاز منها إلا بشفة النبي صلى الله عليه وسلم « والثلث » التى أحداها له الموقوس فأفاته فى الحمر بعموم الآية ، وإن فى الحمار مثاقيل ذر كثيرة ؛ قاله ابن العربي . وفى الموقوس : أن مكنتنا استطعم طائفة أم المؤمنين وبين يديها عنب ؛ فقالت لإنسان : خذ حبة فأعطه إياها . فجعل ينظر إليها ويصعب ؛ فقالت : أتعجب ! كم ترى فى هذه الحبة من مقال ذرة . وروى عن سعد بن أبي وقاص أنه تصدق بجزئين بقرتين فقضى السائل يده ، فقال للسائل : وقيل الله منا مثاقيل الذر ، وفى التمرين مثاقيل ذر كثيرة . وروى المطلب بن حنطب أن أعرابيا سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤها فقال : يا رسول الله ، أمثال ذرة ! قال : نعم . فقال الأعرابي : ولسواناه ! مرارا ، ثم قام وهو يقولها ؛ فقال النبي صلى الله

عليه وسلم : «لقد دخل قلب الأعرابي الإيمان» . وقال الحسن : قدم صمصمة ثم القرزق<sup>(١)</sup> على النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع «فنعمل مثقال ذرة» الآيات قال : لا بالي ألا أسمع من الفرقان غيرها ، حسبي فقد آتته الموعظة ؛ ذكره التلمي . ولفظ المسوردي : وروى أن صمصمة ابن تلجبة جد القرزق أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستقرئه فقرأ عليه هذه الآية ؛ فقال صمصمة : حسبي حسبي ؛ إن عملت مثقال ذرة شرا رأيت . وروى معمر بن زيد بن أسلم أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علني مما عليك الله . فدفعه إلى رجل يملكه ؛ فسلمه « إذا زلزلت — حتى إذا بلغ — فننعمل مثقال ذرة خيرا يره . وننعمل مثقال ذرة شرا يره » قال : حسبي . فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «دعوه فإنه قد قه» . ويمكن أن أعرابيا آخر « خيرا يره » فليل : قدمت وأخرت . فقال :

خُذَا بِلَنِّ هَرَشَى أَوْ قَطَاها فَإِنَّهُ • كَلَّا جَانِي هَرَشَى لَهْنِ طَرِيقِ<sup>(٢)</sup>

### سورة «العاديات»

وهي مكية ؛ في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء . ومَدَنِيَّة ؛ في قول ابن عباس وأنس ومالك وقاعدة . وهي إحدى عشرة آية

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ① قَالُمُورِيَّتٍ قَدْحًا ②

قوله تعالى : ( وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ) أى الأفراس تملؤ . كما قال عامة المفسرين وأهل اللغة ؛ أى تملؤ في سبيل الله تَضْبَح . قال قتادة : تَضْبَح إذا عدت ؛ أى تَجْمَع . وقال

(١) قال أبو أحمد السكري : « وقد وهم بعضهم في مصحة بن سارية عم الأخسف بن قيس » ، فقال : مصحة عم القرزق وهو لفظ . والمعروف أن مصحة بن تلجبة هو جد القرزق وليس له مسمى مصحة . راجع تلجبة الإمامة وأحد القادة في ترجمة مصحة .

(٢) هَرَشَى : تبة في طريق مكة قريبة من الجلفة يرى بها البحر ، ولها طرفان ، فكل من ملك واحدا منهما أقضى به إلى موضع واحد . في جميع البلدان لما نزلت : خدا أف هَرَشَى ... وفي السان : خدا جنب هَرَشَى ...

الفرار : الضَّيْحُ صَوْتُ أَفْئاسِ الْخَيْلِ إِذَا عَدَوْنَ . أَيْنَ حَاسٍ : لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الدَّوَابِّ يَضِيحُ غَيْرَ الْفَرَسِ وَالْكَلْبِ وَالضَّبِّ . وَقِيلَ : كَانَتْ تُحْكَمُ لِفَلَا تَصِيلُ فِعْلُ الْعِلْدِ بِهِمْ ؛ فَكَانَتْ تَنْقَسُ فِي هَذِهِ الْحَالِ بِقُوَّةٍ . قَالَ أَيْنُ الْعَرَبِيِّ : أَقْسَمَ اللَّهُ بِحَمْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « يَس . وَالْقُسْرَانِ الْحَكِيمِ » ، وَأَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ فَقَالَ : « لَمَمْرُكَ إِنْهُمْ لَنِي سَكْرَتِهِمْ مَعْمُورُونَ » ، وَأَقْسَمَ بِغِيْلِهِ وَصَلِيلِهَا وَغَارِهَا وَقَدَحِ حَوَارِطِهَا النَّارِ مِنَ الْمَجَرِّ فَقَالَ : « وَالْعَادِيَّاتِ ضَبًّا » الْآيَاتِ الْخَمْسِ . وَقَالَ أَهْلُ اللَّفَّةِ :

وطلعت ذات رشاش وأهيه \* طلعتا عند صدور العاديه  
يعني الخيل . وقال آخر :

والماديات إصابي الماء بها \* كاذب اعتاقها أنصاب ترجيب<sup>(١)</sup>  
يعني الخيل . وقال عترة :

والخيل تمل حين تفر \* يح في حياض الموت ضببا  
وقال آخر :

لست بالتيح الهادي إن لم \* تضبح الخيل في سواد العراق  
وقال أهل اللغة : وَأَصْلُ الضَّبْحِ وَالضَّبَّاحِ لِلضَّالِبِ ؛ فَاسْتَمِيرَ لِلْخَيْلِ . وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ :

ضبحته النار إذا فُيرت لونه ولم تبلغ فيه . وقال الشاعر :

فلا إن تلهو جتا شواء \* به اللهبان مفهورا ضبيما<sup>(٢)</sup>  
وأنضبح لونه إذا تغير إلى السواد قليلا . وقال :

مُفْقَتَا قَبْلَ أَنْضَبَاحِ تَوْنِي \* .

(١) الكلام : شيء يعمل على فم الجير . (٢) آية ٧٢ سورة الجبر .

(٣) قوله : « قال أهل اللغة ... » إل آخر البيت . هكذا ورد في جميع نسخ الأصل ، وظاهر أن فيه سقطا ؛ يرويه أبو حيان في البحر قوله : « قال أهل اللغة : أصله الضب ، فاستمير قبل ... » الخ . على أن المؤلف أوردته في بابي .

(٤) البيت لسلامة بن جندل . والأساسي : الطرق من الدم . وأصابي الماء : طراقتها . والرجيب : أن يجمع الشجرة إذا كثرت عليها ثمراتها . قال ابن منظور : « فإنه شبه أحناء الخيل بالرجب . » وقيل : شبه أحناءها بالجارية التي تخرج عليها السائق .

(٥) البيت لخضر الأسدي . والمفوج من الشواء : الذي لم يتم نضجه . والهبان : اتحاد النار واشتعالها .

وإنما تَضَيِّحُ هذه الحيوانات إذا تَمَيَّزَتْ حالها من قَرَحٍ أو تَوَبَّ أو طمع . وتَضَيِّحُ «ضَبَّحًا»  
 على المصدر ؛ أى والماديات تَضَيِّحُ ضَبَّحًا . والضَّيْحُ أيضًا الزماد . وقال البصريون :  
 « ضَبَّحًا » نصب على الحال . وقيل : مصدر في موضع الحال . قال أبو عبيدة : ضَبَّحَتْ  
 الخيلُ ضَبَّحًا مثل ضَبَّعت ، وهو السير . وقال أبو عبيدة : الضَّيْحُ والضَّيْحُ بمعنى السَّيْرِ  
 والسير . وكذا قال المبرد : الضَّيْحُ مَدَّ أضياعها في السير . وروى أن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم بعث مَيرَةً إلى أناس من بني كَافَّة فأبطأ عليه خبرها ، وكان أَسْتَعْمَلَ عليهم المنظر بن عمرو  
 الأنصاري ، وكان أحد الثَّغَباء ؛ فقال المنافقون : إنهم قُتِلُوا ؛ فنزلت هذه السورة إخبارًا  
 للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها ، وبشارة له بإغارتها على القوم الذين بعث إليهم . ومن  
 قال : إن المراد بالماديات الخيلُ ابنُ عباس وأنس والحسن ومجاهد . والمراد الخيل التي يَنْزُو  
 عليها المؤمنون . وفي الخبر : « من لم يعرف حُرْمَةَ فرس النازي ففيه شُبْهَةٌ من النفاق » .  
 وقول ثالث : إنها الإبل ؛ قال مسلم : نازعت فيها عكرمة فقال عكرمة : قال ابن عباس  
 هي الخيل . وقلت : قال عليّ هي الإبل في الحج ، ومولاي أعلم من مولاي . وقال الشعبي :  
 تَمَارَى عليّ وابن عباس في « الماديات » ، فقال عليّ : هي الإبلُ تَمَسُو في الحج . وقال  
 ابن عباس : هي الخيل ؛ ألا تراه يقول « فَأَتَرْنَ بِهِ قَعْمًا » فهل تثير إلا بموافرها ! وهل تضبيح  
 الإبل ؟ ! فقال عليّ : ليس كما قلت ، لقد رأيتُنا يوم بدر وما معنا إلا فرس أبقى للقداد وفرس  
 لمُرتد بن أبي مَرْثَد ؛ ثم قال له عليّ : أَتَقْنِي الناس بما لا تعلم ! والله أن كانت لأَوَّلَ غَزْوَةٍ  
 في الإسلام وما معنا إلا فرسان : فرس للقداد وفرس للزبير ؛ فكيف تكون الماديات ضبْحًا !  
 إنما الماديات الإبل من عَرَفَةَ إلى المُرْدَلَةِ ، ومن المُرْدَلَةِ إلى عَرَفَةَ . قال ابن عباس :  
 فرجعت إلى قول عليّ . وبه قال ابن مسعود وعبيد بن جُمَيْدٍ ومحمد بن كعب والسدي .  
 ومنه قول صَفِيَّة بنت عبد المطلب :

فلا والماديات ضلّة جَمْع • بأيلها إذا سَطَعَ الفبار

(١) في القاموس : « والضَّيْحُ بالكسر الزماد » . (٢) القارى والمارة : الجادة .

يبنى الإبل . وثُمَّيْت العاديات لاشتقاقها من المَدْو، وهو تباعد الأرجل في سرعة المشي .  
وقال آخر :

(١١) رأى صاحبي في العاديات نَجِيَّةً • وأما لما في الواضعات القوامس

ومن قال هي الإبل فقله « حَبَبًا » بمعنى حَبَبًا ؛ فالجاء عنده مبدلة من العين ؛ لأنه يقال :  
حَبَبَت الإبل وهو أن تمد أعناقها في السير . وقال المبرد : القَبْع مَدَّ أضياعها في السير .  
والضَّبْع أكثر ما يستعمل في الخيل . والضَّبْع في الإبل . وقد تبدل الهاء من العين . أبو صالح :  
الضَّبْع من الخيل المحمَّمة ، ومن الإبل النَّصْ . وقال عطاء : ليس شيء من الدواب يضعج  
إلا الفرسُ والطَّبُ والكَلْبُ ؛ وروى عن ابن عباس . وقد تَهَلَّم عن أهل اللغة أن العرب  
تقول : ضَبِع الثَّطْب ؛ وضَبِع في غير ذلك أيضا . قال توبة :

ولوا أن لَيْلَ الأَخْيَلَةِ سَلَمَتْ • عِلَّ ودوني تَرْبَةً وصَفَا<sup>(١٢)</sup>  
لَسَلْتُ تَسْلِمَ البَشَانَةِ أَوْزَقًا • إليها صَدَى من جانب القبر ضَا<sup>(١٣)</sup>

زَقَا الصدى يَزُقُ زَقَاً ؛ أي صاح . وكل زاقٍ صائح . والزَّقِيَّةُ الصبغة . ( فالْمُورِيَاتِ  
قَدْ صَا ) قال عكرمة وعطاء والضحاك : هي الخيل حين توري النار بمحاورها ،  
وهي ستابكها ؛ وروى عن ابن عباس . وعنه أيضا : أَوْرَت بمحاورها غُيَارًا . وهذا  
يخالف سائر ما روى عنه في قذف النار ؛ وإنما هذا في الإبل . وروى ابن أبي نجیح عن  
مجاهد « والعاديات حَبَبًا » فالْمُورِيَاتِ قَدْ صَا » قال ابن عباس : هو في القتال وهو  
في الحج . ابن مسعود : هي الإبل تَطَأ الحصى فتخرج منها النار . وأصل القَدْح الاستخراج ؛

(١) في اللسان مادة (طحا) : « وحكى الأزهري عن ابن السكيت . و إبل عادية ترمى الخلق ولا ترمى الحصى ...  
وقال : وكلك العاديات » وساق البيت . وفي اللسان أيضا مادة (وضج) : « رواية واضح وواضحة وثوق واضحات :  
ترمي الحصى حول الماء . وأنته ابن بري قول الشاعر ... الخ . ولفظ « القوامس » هكذا ورد في اللسان  
وشرح قتيابوس . وبعض نسخ الأصل . وفي نسخة : « القوامس » بالراء . ولعل القواب : « القوامس » مع حرفين  
( بكر العين ) : وهي الناقة العلية الشديدة .

(٢) في نسخة : « جعل » وفي رواية في البيت . (٣) في رواية صالح . ولا شاهد فيه .

(٤) في اللسان : « زَقَا يَزُقُ وَيَزُقُ زَقَاً وَزَقَاً وَزَقَاً وَزَقَاً وَزَقَاً وَزَقَاً »

ومنه قَدَحْتُ المِيزَ إِذَا أُخْرِجَتْ مِنْهَا المَاءُ الفاسد . واقتدَحْتُ بالزُّنْد . واقتدحت المَرْقَ غرضه . وَرَبِّي قَدَحٌ مُتَرَفِّعٌ باليد . والقَدَحُ ما يَبْقَى في أسفل القِدْرِ فيغرف بهمُ . والمِقْدَحَةُ ما تُقَدَحُ به النار . والقَدَاحَةُ والقَدَاحُ المِجْرَالُ الذي يُورِي النار . يقال : وَرَى الزُّنْدُ (بالفتح) يَرَى وَرِيًّا إِذَا خُرِجَتْ نَارُهُ ، وفيه لغة أخرى : وَرَى الزُّنْدُ (بالكسر) يَرَى فِيهِمَا . وقد مضى هذا في سورة « الواقعة »<sup>(١)</sup> . و « قَدَسًا » آتَصَبَ بما آتَصَبَ به « صَبَحًا » . وقيل : هذه الآيات في الخليل ، ولكن إيرادها أن تبيح الحرب بين أصحابها وبين عَدُوِّهم . ومنه يقال للحرب إِذَا اكْتَمَحَتْ : حَتَّى الوَطَيْس . ومنه قوله تعالى : « كَلْبًا أَوْ قَدْوًا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَآ اللَّهُ »<sup>(٢)</sup> . وروى معناه عن ابن عباس أيضا ، وقاله قتادة . وعن ابن عباس أيضا : أن المراد بالموريات قضا مكر الرجال في الحرب ؛ وقاله مجاهد وزيد بن أسلم . والعرب تقول إِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَكْرَ بِصَاحِبِهِ : وَافَهُ لَأَمْرَكَ بِكَ ، ثم لأورِيَنَّكَ . وعن ابن عباس أيضا : هم الذين يَنْزُونُ فَيُورُونَ نيرانهم بالليل لحاجتهم وطعامهم . وعنه أيضا : أنها نيران المجاهدين إِذَا كَثُرَتْ نَارُهَا لِرَهَابٍ . وكل من قُرِبَ من العدو يؤقد نيرانا كثيرة ليظلمتهم العدو كثيرا . فهذا إقسام بذلك . قال محمد بن كعب : هي النار تجمع . وقيل : هي أفكار الرجال تُورِي نَارَ المَكْرِ والحديدية . وقال عكرمة : هي السنة الرجال تُورِي النار من عظيم ما تتكلم به ، ويظهر بها من إقامة الحجج وإقامة الدلائل وإيضاح الحق وإبطال الباطل . وروى ابن جرير عن بعضهم قال : فالنبيجات أمرا وعملا كنجاح الزُّنْد إِذَا أُورِي .

قلت : هذه الأقوال مجاز ؛ ومنه قولهم : فلان يُورِي زناد الضلالة . والأول الحقيقة ، وأن الخليل من شدة عَدُوِّها تَقَدَحُ النار بمجوافها . قال مقاتل : العرب تسمى تلك النار نار أبي حَبَّابٍ ، وكان أبو حَبَّابٍ شَيْخًا من مُضَرٍّ في الجاهلية من أجل الناس ، وكان لا يؤقد نارا لغيره ولا غيره حتى تمام السيوف فيؤقد نُورَةً تَقْدُ مرة وتُحْدُ أخرى ؛ فإن استيقظ لها أحد

أطفاها كراهية أن يُلْطَع بها أحد . فشَبَّهت العربُ هذه النارَ بناره ؛ لأنه لا يُلْطَع بها .  
وكذلك إذا وقع السيف على اليَئِصَّة فَاقْتَحَمَتْ ناراً فكذلك يُسَمُّونها . قال الثانية :

ولا عَيْبَ فِهمَ غيرَ أَكْ سِوْفِهِمْ • بينَ فُلُولٍ من قِرَاعِ الكَلْبِ  
تَقْدُ السُّلُوقُ المضاعَفَ نَسْجُهُ • وتُوَقِّدُ بالْمُضَاعَفِ نارَ الجَلْبَابِ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى : فَأَلْمُغِيرَاتِ صُبْحًا<sup>(٢)</sup>

الغِيلُ يُثِيرُ على المدِّ عند الصبح ؛ عن ابن عباس وأكثَرُ المفسرين . وكانوا إذا أرادوا  
الغارة سَرَوْا لَيْلاً وبَاتُوا المدَّ صُبْحًا ؛ لأن ذلك وقت غفلة الناس . ومنه قوله تعالى : « فَسَاءَ  
صَبَاحُ الْمُتَنَبِّذِينَ »<sup>(٣)</sup> . وقيل : لِيَزِمُوا غَارُوا نَارًا ؛ و « صُبْحًا » على هذا ، أى حلالية تشبهها  
بظهور الصبح . وقال ابن مسعود وعلى رضى الله عنهما : هى الإبل تدفع بركبتها يوم الحر من  
يَمِّ إلى يَمِّ . والثَّوْنَةُ ألا تدفع حتى تُصْبِحَ ؛ وقاله القرطبي . والإفاضة سرعة السير ؛ ومنه قولهم :  
أَشْرَقَ ثِيْرٌ كَيْفًا يُثِيرُ<sup>(٤)</sup> .

قوله تعالى : فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا<sup>(٥)</sup>

أى غبارا ؛ يعنى الغليل تُثِيرُ النِّبَارَ بِشَقَّةِ المدِّ فى المكان الذى أَغَارَتْ به . قال عبدالله  
ابن رَوَاحَةَ :

صَلَمْتُ بَيْتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا • تُثِيرُ النِّقْعَ مِنْ كَثْفِ كَدَاهِ<sup>(٦)</sup>

والكتابة فى « به » ترجع إلى المكان أو إلى الموضع الذى تقع فيه الإفاضة . وإذا علم المعنى جاز  
أَنْ يُكْتَفَى عما لم يحمله ذكره بالتصرُّع ؛ كما قال « حَتَّى تَوَارَدَتْ بِالْجَلْبَابِ »<sup>(٧)</sup> . وقيل : « فَأَثَرُنَ بِهِ »

(١) السُّلُوقُ : المروح المتسوية إلى سُلُوقٍ ، قرية باليمن . والمضاعف : جمع مضاعفة ؛ روى الجوزي عن

(٢) آية ١٧٧ سورة الصافات .

(٣) ثِيْرٌ : جبل يقرب مكة ؛ وهو على بين القاهل إلى عرفة . أى ادخل في الشرق ، وهو ضم النون .

(٤) كداه : (فتح الكاف ومدة الهاء) : جبل بمكة .

(٥) آية ٣٢ سورة ص .

أى بالثمن «قما» . وقد هتَم ذكر الثمن . وقيل : التَّع ما بين مُزْدَلَقَةٍ إلى يَمَنٍ ؛ قاله محمد بن كعب القرظي . وقيل : إنه طريق الوادي ؛ ولعله يرجع إلى النبار المتار من هذا الموضع . وفي الصباح : التَّع النبار ، والجمع قَاع . والتَّع يحس الماء . وكذلك ما أجتمع في البئر منه . وفي الحديث : أنه نهي أن يُتَّع بعم البئر . والتَّع الأرض الحُرَّة الطَّيْن يَسْتَفِيعُ فيها الماء ، والجمع قَاع وأتَّع ؛ مثل يجر ويحار ويجر .

قلت : وقد يكون التَّع رفع الصوت ؛ ومنه حديث عمر حين قيل له : إن النساء قد اجتمعن يسكن على خاله بن الوليد ؛ فقال : وما على نساء بني المُنِيرة أن يَسْفِكْنَ من دموعهن وهنَّ جلوس على أبي سليمان ما لم يكن تَعُّ ولا لَقْلَقَةٌ . قال أبو عبيد : يعنى بالتَّع رفع الصوت ؛ على هذا رأيت قول الأكثرين من أهل العلم ؛ ومنه قول لبيد :

فَتَنِي يَتَّقُ صُرَاخُ صَائِقٍ • يُجْلِبُهَا ذَاتُ بَرَسٍ وَزَجَلٍ

وروى «يُجْلِبُهَا» أيضا . يقول : متى سمعوا صراخا أحلبوا الحرب ، أى جمعوا لها . وقوله «يتَّق صراخ» يعنى رفع الصوت . وقال الكسائي : قوله «تَعُّ ولا لَقْلَقَةٌ» التَّع صنة الطعام ؛ يعنى فى المأتم . يقال منه : هتعت أتع قما . قال أبو عبيد : ذهب بالتَّع إلى التَّيْمَة ؛ وإنما التَّيْمَة عند غيره من العلماء صنة الطعام عند التسدوم من سفر لا فى المأتم . وقال بعضهم : يريد تَعَرُّ بالتَّع وضع التراب على الرأس ؛ يذهب إلى أن التَّع هو النبار . ولا أحسب تَعَرُّ ذهب إلى هذا ، ولا خافه منه ، وكيف يبلغ خوفه ذا وهو يكره لمن القيام . فقال : يسفكن من دموعهن وهنَّ جلوس . قال بعضهم : التَّع شق الجيوب ؛ وهو الذى لا أدري ما هو من الحديث ولا أعرفه ، وليس التَّع عندى فى هذا الحديث إلا الصوت الشديد ، وأنا اللَقْلَقَةُ فِشَّة الصوت ، ولم أسمع فيه اختلافا . وقرأ أبو حيوَة «فَأَتَرْنَ» بالتشديد ؛ أى أَرَّت آثار ذلك . ومن خَفَّف فهو من آثار إذا حَزَكَ ؛ ومنه «وَأَعْرَأُوا الْأَرْضَ» .

قوله تعالى : قَوْسَطُنَ بِهِ جَمْعاً ①

«جمعا» مفعول به «وسطن» أي قَوْسَطُنَ بُرْجَانِينَ الْمَدَى أي الجمع الذي أغاروا عليهم .  
وقال ابن مسعود : «قَوْسَطُنَ بِهِ جَمْعاً» يعني مُزْدَلِفَةَ ؛ وَهَمِيَتْ جَمْعاً لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ بِهَا .  
ويقال : وَسَطْتُ الْقَوْمَ أَسْطَهُمْ وَسَطّاً وَسَطَةً ؛ أي صرّت وَسَطَهُمْ . وقرا على رضى الله عنه « قَوْسَطُنَ » بالتشديد ، وهي قراءة قتادة وأبو مسعود وأبو رجاء ؛ لثلاثين بمعنى ، يقال : وَسَطْتُ الْقَوْمَ (بالتشديد والتخفيف) وتوسطتهم بمعنى واحد . وقيل : معنى التشديد جعلها الجمع قسمين . والتخفيف صرن في وسط الجمع ؛ وهما يرجعان إلى معنى الجمع .

قوله تعالى : إِنْ أَلَانَ نَسْنَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ②

هذا جواب القسم ؛ أي طبع الإنسان على كفران النعمة . قال ابن عباس : «لَكَنُودٌ» لَكُفُورٌ بِجُودِ اللَّهِ لَهُ ، وَكَفْلٌ قَالَ الْحَسَنُ ، وَقَالَ : يَذْكُرُ الْمَصَائِبَ وَيَنْسَى النِّعَمَ . اخذهُ الشَّاعِرُ فَنَظَّمَهُ :

يَأْسِ الظَّالِمُ فِي نَفْسِهِ • وَالظُّلْمُ مُرَدُّهُ عَلَى مَنْ ظَلَمَ  
إِلَى مَنْ أَنْتَ وَحَقِّي مَقِي • تَشْكُو لِلْمَصَائِبِ وَتَنْسَى النِّعَمَ

وروى أبو أمامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَكَنُودٌ هُوَ الَّذِي يَأْكُلُ وَحْدَهُ وَيَمْنَعُ رِفْقَهُ <sup>(١)</sup> وَيَضْرِبُ عِبْدَهُ » . وروى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا أَهْبِثُكُمْ بِشِرَارِكُمْ » ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « مَنْ نَزَلَ وَحْدَهُ وَمَنَعَ رِفْقَهُ وَجَدَّ عِبْدَهُ » . خرجهما الترمذي الحكيم في نوادر الأصول . وقد روى عن ابن عباس أيضاً أنه قال : الكنود بلسان كِنْتَةٍ وَخَضِرْمُوتِ : الْعَاصِي ، وَبِلِسَانِ رَيْبَةٍ وَمُضَرٍّ : الْكُفُورِ . وَبِلِسَانِ كِنَاةٍ : الْخَيْلِ السَّيِّئَةِ الْمَلَكَةِ ؛ وَقَالَ مَقَاتِلُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كَنُودٌ لِنَيْمِهِ الرِّجَالُ وَمَنْ يَكُنْ • صَكُودًا لِنَيْمِهِ الرِّجَالُ يَبْعِدُ

(١) الزَّهْرِيُّ (بِكسر الزاء) : الْعِلَاءُ وَالْعِلَّةُ .

أى كفور ، ثم قيل : هو الذى يكفر اليسر ولا يشكر الكثير . وقيل : الجاحد لله .  
 وقيل : إنما سُميت كِنْدَةً كِنْدَةً لأنها جمعت أباه . وقال إبراهيم بن هرمة الشاعر :  
 دَعِ الْبَغْلَاءُ إِنْ تَحْمُوا وَصَلُوا • وَذَكْرَى بِجُلِّ غَانِيَةِ كُنُودِ  
 وقيل : الْكُنُودُ مَنْ كَنَدَ إِذَا قَطَعَ ، كَأَنَّهُ يَقْطَعُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوَاصِلَهُ مِنَ الشُّكْرِ . ويقال :  
 كَنَدَ الْحَبْلُ إِذَا قَطَعَهُ . قَالَ الْأَعْمَشُ :

أَيْبُطِيْ يُبْطِيْ بِصُلْبِ الْفَزَادِ • وَصُولِ جِبَالٍ وَصَكَا

فهذا يدل على القطع . ويقال : كَنَدَ يُكْنُدُ كُنُودًا ، أى كفر النعمة وبجدها ، فهو كُنُودٌ .  
 وأمرأة كُنُودٌ — أيضا — وَكُنْدٌ مِثْلُهُ . قَالَ الْأَعْمَشُ :

أَحْدِثْ لَهَا تُحْدِثُ لَوْصَلَكِ إِنِّهَا • كُنُودٌ لَوْصَلِ الزَّائِرُ الْمُنَادِ<sup>(١)</sup>

أى كفور للواصل . وقال ابن عباس : الإنسان هنا الكافر ، يقول إنه لكفور ، ومنه  
 الأرس الْكُنُودُ التى لَا تُبْنَى شَيْئًا . وقال الضحاك : تَزَلَّتْ فى الْوَلِيدِ بنِ الْخَثِيرة . قَالَ الْمُبَرِّدُ :  
 الْكُنُودُ الْمُنَاعُ لِمَا عَلَيْهِ . وَأَنشد لِكُنَيْسٍ :

أَحْدِثْ لَهَا تُحْدِثُ لَوْصَلَكِ إِنِّهَا • كُنُودٌ لَوْصَلِ الزَّائِرُ الْمُنَادِ

وقال أبو بكر الواسطي : الْكُنُودُ الذى يُنْفِقُ نَيْمَ الله فى مَعَاصِي الله . وقال أبو بكر الوراق :  
 الْكُنُودُ الذى يرى النعمة من نفسه وأخوانه . وقال الترمذى : الذى يرى النعمة ولا يرى النعيم .  
 وقال ذو النون المصرى : الْخُلُوعُ وَالْكُنُودُ هو الذى إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزَّوعٌ ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ  
 مَنُوعٌ . وقيل : هو الْخَفُودُ الْحَسُودُ . وقيل : هو الْجَهْلُوفُ لِقُدْرِهِ . وفى الْحِكْمَةِ : مَنْ جَهِلَ  
 قُدْرَتَهُ هَكَذَا سَتَرَهُ .

(١) ما ط الأذى ميطا وأما ط : نجاه ودفعه . يقرن : إِنْ نَحَيْتَ عَنْ نَاقٍ صُلْبِ الْفَزَادِ • وَصُولِ لَنْ وَصَلِ ،

كفور بن كفر . (٢) المناد : الذى يردد مرة بعد أخرى .

(٣) تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الِيتِ الْأَعْمَشُ ، وَلَمْ يَجِدْ فى دِيوانِ كُنَيْسٍ الذى يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ .

قلت : هذه الأقوال كلها ترجع إلى معنى الكفران والجحود . وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم معنى الكنود بخصال مذمومة وأحوال غير محمودة ؛ فإن مع فهو أعلى ما يقا ولا يبقى لأحد منه مقال .

قوله تعالى : **وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ** (٧)  
أى وإن الله عز وجل شاهد على ذلك من أبى آدم لشهيد . كذا روى منصور عن مجاهد ؛ وهو قول أكثر المفسرين ؛ وهو قول ابن عباس . وقال الحسن وقتادة ومحمد بن كعب : « وإنه » أى وإن الإنسان لشاهد على نفسه بما يصنع ؛ وروى عن مجاهد أيضا .

قوله تعالى : **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** (٨)  
قوله تعالى : **( وَإِنَّهُ )** أى الإنسان من غير خلاف . **( لِحُبِّ الْخَيْرِ )** أى المال ؛ ومنه قوله تعالى : **إِنْ تَرَكَ خَيْرًا** . وقال عدي :

ماذا تُرَى النُّفُوسُ مِنْ طَلَبِ الْ . . . خَيْرٍ وَحُبِّ الْحَيَاةِ كَلْبِيَاً<sup>(١)</sup>  
**( لَشَدِيد )** أى لقوى فى حبه لال . وقيل : « لشديد » لبخل . ويقال للبخل : شديد ومنشد . قال طرفة :

أرى الموتَ يَتَأَمُّ الْكَرَامَ وَيَصْطَلِي . . . عَقِيلَةً مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ  
بغال : انحامه وأعتاه ؛ أى اختاره . والفاحش : البخل أيضا ؛ ومنه قوله تعالى : **وَيَا مَعْشَرَ الْفِتْيَانِ** (٢١) **أَيُّ الْبُخْلِ** . قال ابن زيد : سُمي الله المال خيرا ؛ وصلى أن يكون شرا وحراما ؛ ولكن الناس يتوهمون خيرا فيهاه الله خيرا لتلك . وسُمي الجهاد سوما فقال : **فَأَقْصِبُوا رِيعَكُمْ مِنَ اللَّهِ وَفَضِّلْ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ** على ما يسميه الناس . قال الفراء : **تَقَمُّ** الآية أن يقال وإنه لشديد الحب خيرا ؛ فلما تقم الحب قال شديد وحذف من آخره ذكر

(١) آية ١٨٠ سورة البقرة . (٢) كارييا : غامها ؛ من كره الأمر : اشتد عليه .  
(٣) آية ٢٦٨ سورة البقرة . (٤) فى بعض نسخ الأصل : « شرا وخيرا » .  
(٥) آية ١٧٤ سورة آل عمران .

الحب؛ لأنه قد جرى ذكره، ولوحس الآى؛ كقوله تعالى: « في يوم حَاصِفٍ » والمُصَوِّف  
الريح لا الأيام، فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرح من آخره ذكر الريح؛ كأنه قال:  
في يوم حاصِفِ الريح.

قوله تعالى: أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ① وَحُصِّلَ  
مَا فِي الصُّدُورِ ② إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ③

قوله تعالى: (أَفَلَا يَعْلَمُ) أى ابن آدم (إِذَا بُعِثَ) أى أثير وقُلب وُبُثت فانرج  
ما فيها. قال أبو حنيفة: بُعِثت المتاع جلت أسفله أملاه. وعن محمد بن كعب قال: ذلك  
حين يبعثون. الفراء: سمعت بعض أعراب بنى أسد يقرأ « بُعِثَ » بالحاء مكان العين؛  
وحكاها الماوردى عن ابن مسعود، وهما بمعنى. (وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ) أى مُيِّزٌ  
ما فيها من خير وشر؛ كما قال المفسرون. وقال ابن عباس: أَرِزَ. وقرأ حميد بن عمار  
وسعيد بن جبيرة ويحيى بن يثمر ونصر بن حاصم « وَحُصِّلَ » بفتح الحاء وتخفيف الصاد  
وفتحها؛ أى ظهر. (إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ) أى عالم لا يخفى عليه منهم خافية. وهو  
عالم بهم في ذلك اليوم وفي غيره، ولكن المعنى أنه يمازجهم في ذلك اليوم. وقوله:  
« إِذَا بُعِثَ » العامل في « إِذَا »: « بُعِثَ » ولا يعمل فيه « يعلم »؛ إذ لا يراد به العلم من  
الإنسان ذلك الوقت، إنما يراد في الدنيا. ولا يعمل فيه « خَيْرٌ »؛ لأن ما بعد « إِنْ »  
لا يعمل فيها قبلها. والعامل في « يَوْمَئِذٍ »: « خَيْرٌ » وإن فصلت اللام بينهما؛ لأن موضع  
اللام الابتداء، وإنما دخلت في الخبر لدخول « إِنْ » على المبتدأ. ويروى أن الجاهل قرأ  
هذه السورة على المنبر يحفظهم على الفز، فحسرى على لسانه « أَنْ رَبَّهُمْ » بفتح الالف،  
ثم استدرجها فقال: « خَيْرٌ » بغير لام. ولولا اللام لكانت مفتوحة لوقوع العلم عليها.  
وقرأ أبو السَّيَّال « أَنْ رَبَّهُمْ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ ». والله سبحانه وتعالى أعلم.

## تفسير سورة «القارعة»

وهي مكية بإجماع . وهي عشر آيات <sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : الْقَارِعَةُ <sup>(٢)</sup> مَا الْقَارِعَةُ <sup>(٣)</sup> وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ <sup>(٤)</sup>

قوله تعالى : ( الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ ) أى القيامة والساعة ؛ كما قال عامة المفسرين .  
وذلك أنها تقزع الخلائق بأهوالها وأزاعها . وأهل الجنة يقولون : هول العرب قرعهم  
القارعة ، وقفرتهم القافرة ؛ وإنا وقع بهم أمر فظيع . قال ابن جرير :

وقارعة من الأيام لولا . سيلهم لزلحت عنك جنباً <sup>(٥)</sup>

وقال آخر :

مَنْ تَقَرَّعَ بِمَرَوْتِكُمْ نَسُوْكُمْ <sup>(٦)</sup> . ولم توقد لنا فى القدر نار <sup>(٧)</sup>

وقال تعالى : « وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ » وهي الشديدة من

شدائد الدهر .

قوله تعالى : ( مَا الْقَارِعَةُ ) استنهام ؛ أى أى شئ هي القارعة ؟ وكذا ( وَمَا أَدْرَاكَ )

مَا الْقَارِعَةُ ) كلمة استنهام على جهة التظيم والتضخيم لشدتها ؛ كما قال : « الْحَاقَّةُ . مَا الْحَاقَّةُ .  
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ » على ما تقدم <sup>(٨)</sup>

(١) في كتاب روح المعاني : وأما إحدى عشرة آية في الكوفى ، وعشر في الجازى ، وثمان في البصرى والثانى .

(٢) في بعض النسخ : « زلحت » بالراء . (٣) المرة ؛ جريدته من النار .

(٤) آية ٣١ سورة الزيد . (٥) راجع ج ١٨ ص ٢٥٧

قوله تعالى : يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ①

« يوم » منصوب على الظرف ، تقديره : تكون القارة يوم يكون الناس كالفرش المبعوث . قال قتادة : الفراش الطير الذي يتساقط في النار والسمّاج . الواحدة فراشة ؛ وقاله أبو عبيدة . وقال القسراء : إله الممّج الطائر من بؤوض وغيره ؛ ومنه الجراد . ويقال : هو أطيش من فراشة . وقال :

طَوَيْتُ مِنْ قَسْرِ أَطْيَاشٍ • أَطْيَاشٌ مِنْ طَائِرَةِ الْفَرَاشِ

وقال آخر :

وقد كان أقوام رددت قلوبهم • إليهم وكانوا كالفرش من الجهل

وفي صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعل البليدب والفرش يقعن فيها وهو يدهن ضيا وأنا آخذ يحجزكم عن النار وأتم نفلتون من يدي » . وفي الباب عن أبي هريرة . والمبعوث المتفرق . وقال في موضع آخر : « كأنهم جراد منتشرة » . فأقول حالم كالفرش لا وجه له يتميز في كل وجه ثم يكونون كالجراد ؛ لأن لما وجهاً تقصده . والمبعوث : المفقود المقتصر . وإنما ذكر على اللفظ ؛ كقوله تعالى : « أَعْبَازُ تُحْمَلُ مَقْمِرَ » . ولو قال المبعوث [ فهو ] كقوله تعالى : « أَعْبَازُ تُحْمَلُ خَاوِيَةً » . وقال ابن عباس والفرش : « كالفرش المبعوث » كقوله الجراد يركب بعضها بعضاً . كذلك الناس يحول بعضهم في بعض إذا جثوا .

قوله تعالى : وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ②

أي الصوف الذي ينفش باليد ؛ أي تصير هباءً وتزل ؛ كما قال جل شأؤه في موضع آخر : « هَبَاءً مُنَبِّهًا » . وأهل اللغة يقولون : العهن الصوف المصبوغ . وقد مضى في سورة « سأل سائل » .

(١) في بعض النسخ : « طيم » ؛ (٢) آية ٧ سورة القدر . (٣) آية ٢٠ سورة القدر .

(٤) الزيادة من تفسير ابن عابد بن يحيى الباق . (٥) آية ٧ سورة الحاقة .

(٦) آية ٦ سورة الواقعة . (٧) راجع ج ١٨ ص ٢٨٤

قوله تعالى : فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ① فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ②  
وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ③ فَأَمَّهُ هَٰوِيَةٌ ④ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ⑤  
نَارٍ ⑥ حَلِيمَةٍ ⑦

قد تقدم القول في الميزان في «الأعراف» والكهف والأنبياء<sup>(١)</sup> . وإن له كفة ولساناً تُوَزن فيه الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات . ثم قيل : إنه ميزان واحد بيد جبريل يزن أعمال بني آدم ، فصرعته بلفظ الجمع . وقيل : موازين ، كما قال :  
فَلِكُلِّ حَادِثَةٍ لَهَا مِيزَانٌ ⑧

وقد ذكرناه فيما تقدم . وذكرناه أيضاً في كتاب «التذكرة» . وقيل : إن الموازين المجمع والدلائل ، قاله عبد العزيز بن يحيى ، واستشهد بقول الشاعر :

فَدَكُنْتُ قَبْلَ لِقَائِكُمْ نَاصِرَةً • عِنْدِي لِكُلِّ مُخْلَصٍ مِيزَانُهُ

ومعنى «عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ» أى عيش مرضى يرضاه صاحبه . وقيل : «عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ» أى فاعلة للرضا ، وهو اللين والالتفات لأهلها . فالقول للعيشة لأنها أعطت الرضا من نفسها ، وهو اللين والالتفات . فالعيشة كلمة تجمع التمسق فى الجنة ، فهى فاعلة للرضا ، كالفرض المرفوعة ، وأرتفاعها مقدار مائة عام ، فإذا دنا منها وإلى الله ألتصفت حتى يستوى عليها ثم ترتفع كهيئتها . ومثل الشجرة فروعها ، كذلك أيضاً من الارتفاع ، فإذا أشتى وإلى الله تمزتها تدلت إليه حتى يتناولها وإلى الله قاعدتها وقائمها ، وذلك قوله تعالى : «قُطِّفَتْهَا دَائِمَةً» . وحيث ما مشى أو ينقل من مكان إلى مكان ، جرى معه نهر حيث شاء علواً وسفلاً ، وذلك قوله تعالى : «يُخْرِجُونَهَا تَقْجِيمًا» . فيروى في الخبر<sup>(٢)</sup> إنه يشير بقضيه فيجربى من غير أخذود حيث شاء من قصوره وفى مجاله . فهذه الأشياء كلها عيشة قد أعطت الرضا من نفسها ، فهى

(١) راجع ج ٧ ص ١٦٥ وما بعدها . و ج ١١ ص ٦٦ و ص ٢٩٢

(٢) مداريئ : • ملك تقوم الحادثات لديه •

(٣) راجع ج ١١ ص ٢٩٢ (٤) آية ٢٢ سورة الحاقة . (٥) آية ٦ سورة الإنسان .

فاعلة للرضاء، وهي آذنتك وآفادت بذكر وسماحة . ومعنى ( فاعه هاوية ) يعنى جهنم  
وسماها أمًا لأنه يأوى إليها كما يأوى إلى أمه؛ قاله ابن زيد . ومنه قول أمية بن أبى الصلت :  
فالأرض مَعْلَنًا وكانت أمًا • فيها مقابرنا وفيها نُؤلَدُ  
وُسِّيت النارُ هاويةً لأنه يتوَّى فيها مع بسد قعرها . ويروى أن الهاوية أمم الباب الأسفل  
من النار . وقال قتادة : معنى « فاعه هاوية » فصيره إلى النار . مكرمة : لأنه يتوَّى فيها على  
أُم رأسه . الأخفش : « أنه » مستقوّه . والمعنى متقارب . وقال الشاعر :  
يا عمرو لو نالكَ أرماحتُ • كنتَ كنَّ يتوَّى به الهاوية  
والهاوية : المَهْوَاة . وتقول : هوت أنه فهى هاوية أى تاكله؛ قال كعب بن سعد الغنوي :  
هوتُ أمُّه ما يبعث الصبحُ غادياً • وماذا يُؤدَّى الليلُ حين يروُب  
والمهوى والمهواة ما بين الجبلين ، ونحو ذلك . وتهاوى القومُ فى المَهْوَاة إذا سقط بعضهم  
فى إثر بعض . ( وَمَا أَذْرَاكَ مَايَةً ) الأصل « ما هى » فدخلت الماء للسكت . وقرا حزة  
والكسائي ويقعوب وابن محيصن « ما هى ، نار » بغير هاء فى الوصل؛ ووقفوا بها . وقد مضى  
فى سورة « الحاقة » بيانه . ( نَارُ حَامِيَةٍ ) أى شديدة الحرارة . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة  
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ناركم هذه التى يُوقَدُ أبْنُ آدمَ جزءٌ من سبعين جزءاً من  
حَرِّ جهنم » قالوا : والله إن كانت لكافيةً يا رسول الله . قال : « فإنها فضلت عليها بتسعة  
ومستين جزءاً كلها مثلُ حرِّها » . وروى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال : إنما تُقَلُّ ميزانُ  
من تُقَلُّ ميزانه لأنه وُضع فيه الحق ، وحُق لميزان يكون فيه الحق أن يكون ثقيلًا . وإنما  
خَفَّ ميزانُ من خَفَّ ميزانه لأنه وُضع فيه الباطل ، وحُق لميزان يكون فيه الباطل أن يكون  
خفيفًا . وفى الخبر عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الموتى يسألون الرجلَ  
بأسمهم من رجل مات قبله فيقول ذلك مات قبلى أما مَرَّ بكم فيقولون لا والله فيقول  
إن الله وإن الله راجعون دُهب به إلى أمه الهاوية فنبشت الأُثم وبشت المُرْبِية » .  
وقد ذكرناه بكلمة فى كتاب « التذكرة » والحمد لله .

## تفسير سورة التكاثر

وهي مكية، في قول جميع المفسرين . وروى البخاري أنها مدنية . وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : أَلَمْ نَكُ الْكَافِرُ ① حَتَّى زُرَّمُ الْمَقَابِرَ ②

فيه خمس مسائل :

الأول - قوله تعالى : ( أَلَمْ نَكُ الْكَافِرُ ) الهالك ، شظم . قال :

• فَأَلْمَبْنَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مَغِيلٍ •

أى شظمك المباحة بكثرة المال والبدن من طاعة الله حتى مِمَّ ودُفِنَ في المقابر . وقيل :  
• الهالك • أنسك • التكاثر • أى من الأموال والأولاد ؛ قاله ابن عباس والحسن . وقال  
قتادة : أى التفانى بالقبائل والعشائر . وقال الضحك : أى الهالك التشاغل بالمعاش والتجارة .  
يغال : لَمِيتُ عن كذا ( بالكسر ) المتى لَمِياً وَلِهَيْئاً إِذَا سَلَوْتَ عَنْهُ وَتَوَكَّتْ ذِكْرُهُ وَاضْرَبَتْ عَنْهُ .  
والهائم أى شغله . ولَمَّاهُ به تلهية أى هله . والتكاثر : المكثرة . قال مقاتل و قتادة وغيرهما :  
نزلت في اليهود حين قالوا : نحن أكثر من بنى فلان ؛ و بنو فلان أكثر من بنى فلان ؛ الهائم  
فلان حتى ماتوا صُلَلاً . وقال ابن زيد : نزلت في يَغْذ من الأنصار . وقال ابن عباس ومقاتل  
والكلبي : نزلت في حَتِين من قريش : بنى عبد مناف ، و بنى مِهم ؛ تَعَادُوا وَتَكَاثَرُوا بِالسَّادَةِ  
وَالْأَشْرَافِ فِي الْإِسْلَامِ ؛ فقال كل حية منهم : نحن أكثر ميذاً ، وأعز عززاً ، وأعظم نفراً ،  
و أكثر عائداً ؛ فَكَثَرَ بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ مِهمًا . ثم تَكَاثَرُوا بِالْأَمْوَاتِ فَكَثَرَتْهُمْ مِهمًا ؛ فنزلت

( ١ ) هذا مجرئت من ملة امرئ هيس ، ومردره :

• فَتَكَ حَيْلٌ تَدُ طَرَقَ وَمَرَضَ •

و يرمى : • نائم مجرول • أى تدانى عليه الحول . و « المنيل » : الذى تولى به وهو رضعه .

«الهاكم التكاثر» بإحياكم فلم ترضوا (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) مفتخرين بالأموال، وروى سعيد من قتادة قال : كانوا يقولون نحن أكثر من بني فلان، ونحن أخذ من بني فلان ؛ وهم كل يوم يتساقطون إلى آثرهم ، والله مازالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم . وعن عمرو بن دينار : حلف أن هذه السورة نزلت في التجار . وعن شيخان من قتادة قال : نزلت في أهل الكتاب .

قلت : الآية تم جميع ما ذكر وغيره . وفي صحيح مسلم عن مطرف عن أبيه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ «الهاكم التكاثر» قال : «يقول أين آدم مآلى وإلى مآلى وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصلفقت فأمضيت [ وما سوى ذلك فذهب وتاركه للناس ] » . وروى البخاري عن ابن شهاب أخبني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون له واديان وإن بطلاً فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب» . قال ثابت عن أنس عن أبي : كما نرى هذا من القرآن حتى نزلت «الهاكم التكاثر» . قال ابن العربي : وهذا نص صحيح مليح غاب عن أهل التفسير فجعلوا وجهلوا ، والحمد لله على المعرفة . وقال ابن عباس : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم «الهاكم التكاثر» قال : «تكاثر الأموال جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وشدها في الأوعية» .

الثانية - قوله تعالى : (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) أى حتى أتاكم الموت فصيرتم في المقابر زُوراً ترجعون منها كرجوع الزائر إلى منزله من جنة أو نار . يقال لمن مات : قد زار قبره . وقيل : أى الهاكم التكاثر حتى صددتم الأموات ، على ما تهتم . وقيل : هذا وعيد . أى اشتغلت بمفاتيح الدنيا حتى تزوروا القبور فتروا ما ينزل بكم من عذاب الله عز وجل .

الثالثة - قوله تعالى : (الْمَقَابِرَ) جمع مقبرة ومقبرة (بفتح الباء وضمة) . والقبور جمع القبر ؛ قال :

(١) ما بين المربعين من رواية أبي هريرة في ستة أكثر من رواية مطرف (راجع صحيح مسلم) .

أرى أهل القبور إذا أميتوا \* بنوا فوق المقابر بالمصخور  
أبوا إلا مباهة وغفرا \* على الفقراء حتى في القبور  
وقد جاء في الشعر المقيت : قال :

لكل أناس مقبرٌ فَنَاهِم \* فهم يتقصون والقبور تزيد  
وهو المتقبري والمتقبري لسيد المقبري ؛ وكان يسكني المقابر . وقبرت الميت أقره وأقره  
قبرا أي دفنته . وأقرته أي أمرت بأن يُقبر . وقد مضى في سورة « عبس » القول فيه .  
والحمد لله .

الرابعة - لم يأت في الترتيل ذِكْرُ المقابر إلا في هذه السورة . وزيارتها من أعظم  
المواهب للقلب القاسي ؛ لأنها تذكر الموت والآخرة . وذلك يجعل على قصر الأمل والزهْد في الدنيا  
وترك الرغبة فيها . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كنتُ نهيكم عن زيارة القبور فزوروا  
القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة » رواه ابن مسعود ؛ أخرجه ابن ماجه . وفي صحيح  
مسلم من حديث أبي هريرة : « فإنها تذكر الموت » . وفي الترمذي عن بُريدة : « فإنها تذكر  
الآخرة » . قال هذا حديث حسن صحيح . وفيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لمن زيارات القبور . قال : وفي الباب عن ابن عباس وحسان بن ثابت . قال أبو عيسى :  
وهذا حديث حسن صحيح . وقد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبي  
صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور ؛ فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء . وقال  
بعضهم : إنما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن .

قلت : زيارة القبور للرجال متفق عليه عند العلماء ، يختلف فيه للنساء . أما الشواهد  
فأمر علي بن الخروج ، وأما القواعد فبإباح لمن ذلك . وجائز لجميعهم ذلك إذا انفردوا بالخروج  
من الرجال ؛ ولا يختلف في هذا إن شاء الله . وحل هذا المني يكون قوله : « زوروا القبور »  
عام . وأما موضع أو وقت يُحصى فيه التفتُّ من أجتاع الرجال والنساء فلا يحل ولا يجوز .

فبينما الرجل يخرج ليحترق فيقع بصره على امرأة تفتن وبالعكس؛ فيرجع كل واحد من الرجال والنساء مأزورا غير مأجور . والله أعلم .

الخامسة - قال العلماء: ينبغي لمن أراد علاج قلبه وإقصاده بسلاسل القهر إلى طاعة ربه، أن يكثر من ذكر هادم الآفات<sup>(١)</sup>، ومفرق الجنافات، وموثر البنين والبنات، ويواطىء على مشاهدة المحتضرين، وزيارة قبور أموات المسلمين . فهذه ثلاثة أمور، ينبغي لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه أن يستعين بها على دواء ذاته، ويستصرخ بها على قن الشيطان وأعدائه، فإن استنفع بالإخبار من ذكر الموت، وأجهلت به قساوة قلبه فذاك، وإن عظم عليه رآن قلبه واستحكمت فيه دواعي التنب، فإن مشاهدة المحتضرين وزيارة قبور أموات المسلمين تبلغ في دفع ذلك ما لا يلغ الأول؛ لأن ذكر الموت إخبار للقلب بما إليه المصير، وقائم له مقام التخويف والتحذير . وفي مشاهدة من احتضر وزيارة قبر من مات من المسلمين مائة مشاهدة؛ ولذلك كان أبلغ من الأول؛ قال صلى الله عليه وسلم: " ليس الخبر كالمعاينة " . رواه ابن عباس . فاما الاعتبار بحال المحتضرين فغير ممكن في كل الأوقات، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات . وأما زيارة القبور فوجودها أسرع، والاستغفار بها أبقى وأجدر . فينبغي لمن حزم على الزيارة أن يتأقن بأدائها، ويحضر قلبه في أثنائها، ولا يكون حظه منها التطواف حول الأجداد فقط؛ فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمة . ونعوذ بالله من ذلك . بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى وإصلاح فساد قلبه، أو نفع الميت بما يتلو عنده من القرآن والهداية، وتجنب المشي على المقابر والجلوس عليها، ويسلم إذا دخل المقابر، وإذا وصل إلى قبر ميتة الذي يعرفه سلم عليه أيضا، وأتاه من تلقاء وجهه؛ لأنه في زيارته كخطابته حيا، ولو خاطبه حيال كان الأدب استقباله بوجهه؛ فكذلك ما هنا . ثم يعتبر بمن صار تحت التراب، وأقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والمساكر، ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والتخاثر؛ بظلمه الموت في وقت لم يحسبه، وقول لم يرقيه . فليتأمل الزائر حال

(١) هادم (بالفتح الحجة) بمعنى قاطع والمراد الموت؛ إما لأن ذكره يذهب فيها، وإما لأنه إذا جاء لا يبق من قاتله شيئا .

من مضى من إخوانه، ودَرَج من أقرانه الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال؛ كيف انقطعت  
آمالهم، ولم تُنِ عنهم أموالهم، وعما الترابُ عاصَنَ وجوههم، وأقترقت في القبور أجزاءهم،  
وترتل من بعدهم نساؤهم، وشمل ذُلُّ السَّيِّمِ أولادهم، وأقمم ضُرُّهم طريفيهم وتلاذم .  
وليتذكر تَرَدُّدُهم في المآرب، وحرصهم على نيل المطالب، واتخذاعهم لمواتة الأسباب،  
وركونهم إلى الصحة والشباب . وليعلم أن مَبِيلَه إلى اللهو واللعب كيْلهم، وغفلته عما بين  
يديه من الموت القطيع والملاك السريع كنفلتهم، وأنه لا بدَّ صائر إلى مصيرهم، وليحضر  
بقلبه ذِكْرَ مَنْ كَانَ مَرْتَدًّا في أعراضه، وكيف تهتكت رجلاه، وكان يتلذذ بالنظر إلى ماخُوْله  
وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغة نطقه وقد أكل الدود لسانه، ويضجك لمواتة دهره  
وقد أبلت التراب أسنانه، وليتحقق أن حاله كآله، ومآله كآله . وعند هذا التذكير والاعتبار  
تزول عنه جميع الأغيار الدنيوية، ويُقبل على الأعمال الأخروية، فيُزهّد في دنيائه، ويُقبل  
على طاعة مولاه، ويلين قلبه وتخشع جوارحه .

قوله تعالى : **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴿٤٠﴾ ثُمَّ **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴿٤١﴾

قوله تعالى : **(كَلَّا)** قال الفراء : أى ليس الأمر على ما أتم عليه من الظاهر  
والكاذب . والتام على هذا **(كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ)** أى سوف تعلمون طاقية هذا . **(ثُمَّ كَلَّا  
سَوْفَ تَعْلَمُونَ)** وعيد بعد وعيد، قاله مجاهد . ويحتمل أن يكون تكراره على وجه التأكيد  
والانفطاز، وهو قول الفراء . وقال ابن عباس : **«كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ»** ما يترل بكم من  
العذاب في القبر . **«ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ»** في الآخرة إذا حل بكم العذاب . فالأول  
في القبر والثاني في الآخرة؛ فالتكرار للحاثين . وقيل : **«كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ»** عند المعاينة  
أن ما دعوتكم إليه حق . **«ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ»** عند البعث أن ما وعدتكم به صدق .  
وروى يَزِيدُ بْنُ حَبِيشٍ عن عليّ رضي الله عنه قال : **«كَا تَشْكُ في عذاب القبر حتى تزل هذه  
السورة، فأشار إلى أن قوله : «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» يعنى في القبور . وقيل : «كَلَّا سَوْفَ**

(١) في نسخة : **«ترودم المآرب»** .

تَعْمَلُونَ» إذا نزل بكم الموت وجاءكم رسل لتزعم أرواحكم . ( ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ) إذا دخلتم قبوركم وجاءكم منكم وتكبر ، وحاط بكم هؤلاء السؤل ، واقطع منكم الجواب .

قلت : تضمنت السورة القول في عذاب القبر . وقد ذكرنا في كتاب « التذكرة » أن الإيمان به واجب والتصديق به لازم ، حسب ما أخبر به الصادق ، وأن الله تعالى يمحى العبد المكلف في قبره بذكر الحياة إليه ، ويحسب له من القل في مثل الوصف الذي عاش عليه ؛ ليعقل ما يسأل عنه وما يجب به ، ويضيق ما أتاه من ربه ، وما أعد له في قبره من كرامة وهوان . وهذا هو مذهب أهل السنة ، والذي عليه الجماعة من أهل الملّة . وقد ذكرناه هناك مستوى والحمد لله . وقيل : « كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ » عند النشور أنكم مبعوثون « ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ » في القيامة أنكم معذبون . وكل هذا تضمنت أحوال القيامة من بحث وحشر ، وسؤال وعرض ، إلى غير ذلك من أهوالها وأفزاعها ؛ حسب ما ذكرناه في كتاب « التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة » . وقال الضحاك : « كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ » ينهى الكفار « ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ » : قال المؤمنون . وكذلك كان يقرؤها ، الأولى بالثاء والثانية بالياء .

قوله تعالى : كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿١﴾

قوله تعالى : ( كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ) أعاد « كَلَّا » وهو زجر وتوبيخ ، لأنه عقب كل واحد بنى آخر ؛ كأنه قال : لا تفعلوا فإنكم تتدعون ، لا تفعلوا فإنكم تستوجبون العقاب . وإضافة العلم إلى اليقين كقوله تعالى : « إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ » . وقيل : اليقين ما هنا الموت ؛ قاله قتادة . وعنه أيضا البعث ؛ لأنه إذا جاء زال الشك . أى لو تعلمون علم البعث . وجواب « لو » محذوف ؛ أى لو تعلمون اليوم من البعث ما تعلمونه إذا جاءكم نفخة الصور ، وأنشقت المسود عن جنتكم كيف يكون حشركم ؛ لشغلكم ذلك عن التكاثر بالدنيا . وقيل : « كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ » أى لو قد تطايرت الصحف فنتق وسميد .

وقيل : إن « كلا » في هذه المواضع الثلاثة بمعنى « آلا » قاله ابن أبي حاتم ، وقال الفراء :  
 هي بمعنى « حقا » وقد تقدم الكلام فيها مستوفى .

قوله تعالى : لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿١﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٢﴾

قوله تعالى : ( لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ) هذا وعيد آخر ، وهو على إخمات القسم ؛ أي لَتَرَوُنَّ الجحيم في الآخرة . والمطلوب للكفار الذين وجبت لهم النار . وقيل : هو عام ؛ كما قال : « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا » هي للكفار ديار وللمؤمنين نعيم . وفي الصحيح : « فيمض أولهم كالبريق ثم كالريح ثم كالطير ... » الحديث . وقد مضى في سورة « مريم » . وقرأ الكسائي وابن عامر « لَتَرَوُنَّ » بضم التاء من أرسته الشيء ؛ أي تحضرون إليها فترونها . وعلى فتح التاء هي فراءة الجماعة ؛ أي ترون الجحيم بأبصاركم على البعد . ( ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ) أي مشاهدة . وقيل : هو إخبار عن دوام مقامهم في النار ؛ أي هي رؤية دائمة متصلة . والمطلوب عن هذا للكفار . وقيل : معنى « لَو تَمُوتُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ » أي لو تملكون اليوم في الدنيا علم اليقين فيما أمامكم مما وصفت « لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ » ببيوت قلوبكم ؛ فإن علم اليقين يريك الجحيم بين فؤادك ؛ وهو أن تتصور لك نارات القسامة وقطع مسافاتها . « ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ » أي عند المعاينة بين الرأس قراها يقيناً لا تغيب عن عينك « ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » في موقف السؤال والقرض .

قوله تعالى : ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٣﴾

قوله تعالى : ( ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ) روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله صل الله عليه وسلم ذات يوم أول ليلة ، فلما هو بأبي بكر وعمر ؛ فقال : « ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ » قال : الجوع يا رسول الله . قال : « وأنا »

(٢) آية ٧٠ سورة مريم .

(١) راجع - ١١ ص ١٤٧ فابعدا .

(٣) راجع - ١١ ص ١٣٧

والذي نفسى بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوماً فقاما معه ؛ فأتى رجلاً من الأنصار فلما هو ليس في بيته ، فلما رآه المرأة قالت : مرحباً وأهلاً فقال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين فلان ؟ » قالت : يستعذب لنا من الماء ؛ إذ جاءه الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، ثم قال : الحمد لله ! ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني . قال : فانطلقا فاسمعا يعلق فيه بسر وتبر ووطب فقال : كلوا من هذه . وأخذ المذبة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياك والخلوب » فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العلف ، وتبروا ؛ فلما أن شربوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر : « والذي نفسى بيده لتسألن عن نعم هذا اليوم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعم » أخرجه الترمذي ، وقال [فيه] : « هذا والذي نفسى بيده من النعم الذي تسألون عنه يوم القيامة ، ظل بارد ، ووطب طيب ، وماء بارد » وكفى الرجل الذي من الأنصار فقال : أبو الهيثم بن التيهان . وذكر قصته .

قلت : أسم هذا الرجل الأنصاري مالك بن التيهان ، ويكنى أبا الهيثم . وفي هذه القصة يقول عبد الله بن رواحة ، يمدح بها أبا الهيثم بن التيهان :

فلم أرَ كالإسلام حراً لائمة • ولا مثل أضياف الأراشي تمسحوا  
نبي وصديق وفاروق أئمة • وغير بني حواء قرناً وعصموا<sup>(١)</sup>  
قوافل الحيات وقدر قضية • وكلاب قضاء الله قدراً مقصداً<sup>(٢)</sup>  
إلى رجل تجدي ياردي مجوده • شمس الضحى جوداً ومجداً ومفسحاً  
وفارس خلق الله في كل غارة • إن لاس القوم الحديد المسحراً  
فقتلى وحياً ثم أدنى قراهم • فلم يفرهم إلا شيباً متمراً<sup>(٣)</sup>

(١) كما في جميع نسخ الأصل . (٢) في نسخة من الأصل : « وغير بني حواء » .

(٣) في نسخة من الأصل : « أمرا » . (٤) القطع .

وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبي عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نرج طينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً ، فدعاني فخرجت إليه ، ثم رآني بكر فدعاه فخرج إليه ، ثم مرّ بممرّ فدعاه فخرج إليه ، فأنتطلق حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار ، فقال لصاحب الحائط : " أعطمتنا بممرّاً " ففاه يسنق فوضعه فاكلوا ، ثم دعا بماء فشرب فقال : " لتسألن عن هذا يوم القيامة " قال : وأخذ عمر العلق فغضب به الأرض حتى تناثر البُسر نحو وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا رسول الله ، إنا لسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : " نعم إلا من ثلاث كسرة يسدّها جوعته أو ثوب يستر به عورته أو حجر يأوى إليه من الحر والقر " . وأختلف أهل التأويل في النعيم المسئول عنه على عشرة أقوال : أحدها ... الأمن والصحة ، قاله ابن مسعود . الثاني ... الصحة والفراخ ، قاله سعيد بن جبيرة . وفي البخاري عنه عليه السلام : " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراخ " . الثالث ... الإدراك بحواس السمع والبصر ، قاله ابن عباس . وفي الترمذي : " إِيَّاكَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْقُوَّةُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولٌ " . وفي الصحيح عن أبي هريرة وأبي سعيد قالَا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَهُ أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَلِذَا ... " الحديث . ترجمه الترمذي . وقال فيه : حديث حسن صحيح . الرابع ... ملاذ المأكول والمشروب ، قاله جابر بن عبد الله الأنصاري . وحديث أبي هريرة يدل عليه . الخامس ... أنه النداء والعشاء ، قاله الحسن . السادس ... قول مكحول الشامي : أنه شيع البطون ، وبارد الشراب ، وظلال المساكن ، وأضداد الخلق ، ولذة النوم . ورواه زيد بن أسلم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ " يعني عن شيع البطون ... " . فذكره . ذكره المساوردي . وقال : وهذا السؤال يعم الكافر والمؤمن ، إلا أن سؤال المؤمن

(١) أي ذو خسران فيها . والصفة : ما يتم به الإنسان ويمتلكه . والذين : أن يشترى بأخفاف اتين ، أربعين دينار من المثل . فمن صح به ، وتفرغ من الأشغال الباقية ولم يبق لصلاح آخره فهو لكثير في البيع .

والقصود : بيان أن غالب الناس لا يتفكرون بالصحة والفراخ ، بل يصرفونها في غير محالها . ( من ترح من ابن ماجه ) . (٢) آية ٣٦ سورة الإبراء .

تجسّر بأن يجمع له بين نعم الدنيا ونعم الآخرة . وسؤال الكافر تخرج أن قابل نعم الدنيا بالكفر والمعصية . وقال قوم : هذا السؤال عن كل نعمة إنما يكون في حق الكفار؛ فقد روى أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال : يا رسول الله ، أرايت أكلة أكلتها معك في بيت أبي الهيثم بن التيثان ، من خبز شعير ولم يسرق قد ذنب وماء عذب؛ اتخاف علينا أن يكون هذا من النعم الذي تُسأل عنه ؟ فقال عليه السلام : « ذلك للكفار — ثم قرأ : — » وَلَوْلَا بُعَاثَى إِلَّا الْكَافِرُونَ<sup>(١)</sup> » . ذكره القشيري أبو نصر . وقال الحسن : لا يسأل عن النعم إلا أهل النار . قال القشيري : والجمع بين الأخبار أن الكل يسألون ، ولكن سؤال الكفار سؤال توبيخ ؛ لأنه قد ترك الشكر . وسؤال المؤمن سؤال تشريف ؛ لأنه شكر . وهذا النعم في كل نعمة .

قلت : هذا القول حسن ؛ لأن اللفظ يعم . وقد ذكر الفريابي قال : حدثنا ورقاء عن ابن أبي جهم عن مجاهد في قوله تعالى : « ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » قال : كل شيء من لذة الدنيا . وروى أبو الأحوص عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى ليمتدّ نعمته على العبد يوم القيامة حتى يمتدّ عليه سائقي فلانة أن أزوجهن فيسبحن باسمها فوزجهن بها » . وفي الترمذي عن أبي هريرة قال : لما نزلت هذه الآية « ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » قال الناس : يا رسول الله ، عن أي النعم تُسأل ؟ فأما هما الأسودان والمعدن حاضرا ، وسيوفنا مل عواهننا . قال : « إن ذلك سيكون » . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة — يعني العبد — أن يقال له ألم نصبح لك جسمك وزورك من الماء البارد » قال : حديث غريب . وروى من حديث ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا كان يوم القيامة دعا الله عبدا من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله » . وإجابه من نعم الدنيا لا محالة . وقال مالك رحمه الله : إنه حصة البدن وطيب النفس ؛ وهو القول الساج . وقيل : النوم مع الأمن والعافية . وقال صفيان بن ضبّة : إن ما سدد الجوع وسر السورة من خشن الطعام واللباس ، لا يسأل عنه المرء يوم القيامة ، وإنما يسأل عن النعم . قال : والدليل عليه أن الله تعالى أسكن آدم الجنة . (١) أي بإنيه الإرتباب . (٢) آية ١٧ سورة سبأ ، وهذه قراءة تافع . (٣) الأسودان : القرم والماء .

فقال له : « إِنَّكَ أَتَى الْجُوعَ فِيهَا وَلَا تَمُرَى . وَأَنْتَ لَا تَقْلَمُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى » . فكانت هذه الأشياء الأربعة — ما يصد به الجوع ، وما يدفع به العطش ، وما يستكن فيه من الحر — ويستربه عورته — لأدم عليه السلام بالإطلاق ، لا حساب عليه فيها ؛ لأنه لا بد له منها .

قلت : ونحو هذا ذكره الفسيري أبو نصر قال : إن مما لا يسأل عنه العبد لباساً يوارى سوائه ، وطعاماً يُقِمُّ صُلبه ، ومكاناً يَكُنُّه من الحر والبرد .

قلت : وهذا منقول من قوله عليه السلام : « ليس لأبن آدم حق في سِوَى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عورته ويغلف الخبز والماء » أخرجه الترمذي . وقال النضر بن حُمَيْل : يلف الخبز ليس معه إدام . وقال محمد بن كعب : النعم هو ما أنعم الله علينا بحمد صلي الله عليه وسلم . وفي التنزيل : « لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ » . وقال الحسن أيضاً والمفضل : هو تخفيف الشرائع وتيسير القرآن ؛ قال الله تعالى : « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ »<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ »<sup>(٢)</sup> . قلت : وكل هذه نعم ، فيسأل العبد عنها هل شكر ذلك أم كفر . والأقوال المتقدمة أظهر . والله أمل .

### تفسير سورة « والعصر »

وهي مكية . وقال قتادة مدينية ؛ وروى عن ابن عباس . وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَالْعَصْرِ  
فيه مسألتان :

الأولى — قوله تعالى : ( وَالْعَصْرِ ) أى النهر ؛ قاله ابن عباس وغيره . فالعصر مثل النهر ؛ ومنه قول الشاعر :

سِيلُ الْمَوْتِ وَغَرُّ وَبَحْرُ الْمَوْتِ غَمْرٌ • وَيَوْمُ الْمَوْتِ شَهْرُ وَشَهْرُ الْمَوْتِ دَهْرٌ

- |                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| (١) آية ١١٨ و ١١٩ سورة طه • | (٢) آية ١٦٤ سورة آل عمران • |
| (٣) آية ٧٨ سورة الحج •      | (٤) آية ١٧ سورة النسر •     |

أى عصر أقسم الله به عز وجل ؛ لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها ، وما فيها من الدلالة على الصانع . وقيل : العصر الليل والنهار . قال حميد بن قور :  
وَلَنْ يَبْتَثَّ الْعَصْرَانِ يَوْمَ وَلِيَّةٌ \* إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكََا مَا تَجَمَّعا  
والعصران أيضا النداة والعشي . قال :

وَأَمْطَلَهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى يَمْلَأُنِي \* وَيَرِيحُنِي بِنُصْفِ الدَّيْنِ وَالْأَلْفِ رَاغِمٌ  
يقول : إذا جاءني أول النهار وعَدته آخره . وقيل : إنه المعنى وهو ما بين زوال الشمس وغروبها ؛ قاله الحسن وقادة . ومنه قول الشاعر :

تَرَوُّحُنَا يَاعْمُرُوقَ قَصْرَ الْعَصْرِ \* وَفِي الرِّيحَةِ الْأَوَّلَى الْفَنِيمَةُ وَالْآخِرُ

وعن قادة أيضا : هو آخر ساعة من ساعات النهار . وقيل : هو قسم بصلاة العصر وهي الوسطى ؛ لأنها أفضل الصلوات ؛ قاله مقاتل . يقال : أذن للعصر ؛ أى لصلاة العصر . وصليت العصر ؛ أى صلاة العصر . وفي الخبر الصحيح " الصلاة الوسطى صلاة العصر " . وقد مضى في سورة «البقرة» بيانه . وقيل : هو قسم بعصر النبي صلى الله عليه وسلم لفضله بتجديد النبوة فيه . وقيل : منناه ورب العصر .

الثانية - قال مالك : مَنْ حَلَفَ أَنْ يَكْفُرَ رَجُلًا عَصْرًا لم يكلمه سنة . قال ابن العربي :  
« إنما حمل مالك بين الحالف ألا يكفر أمراً عَصْرًا على السنة ؛ لأنه أكثر ما قيل فيه ، وذلك حل أصله في تليظ المعنى في الإيمان . وقال الشافعي : يبرأ ساعة إلا أن تكون له نية ، وبه أقول ، إلا أن يكون الحالف عربياً فيقال له : ما أردت ؟ فإذا فسره بما يحتمل قيل له :  
إلا أن يكون الأفل ويحى على مذهب مالك أن يعمل على ما يفسر . والله أعلم » .

قوله تعالى : إِنَّ الْأِنْسَانَ لَنَفِي خُسْرٍ ﴿١﴾

هذا جواب القسم والمراد به الكافر ؛ قاله ابن عباس في رواية أبي صالح . وروى الضحاك عنه قال : يريد جماعة من المشركين الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود

ابن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى ، والأشود بن عبد شوث . وقيل : يعنى بالإنسان  
جنس الناس . ( لئى خَيْر ) لئى زين . وقال الأخفش : هلكت . القزاء : عقوبة ، ومنه  
قوله تعالى : « وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خَيْرًا » . ابن زيد : لئى شر . وقيل : لئى قص ؛  
والمعنى متقارب . وروى عن سلام « والمصر » بكسر الصاد . وقرأ الأخرج وطلمة ويعبى  
التفنى « خَيْر » بضم السين . وروى ذلك هارون عن أبى بكر عن ماصم . والوجه فيهما الإتياع .  
ويقال : خسر وخسرت ، مثل خسر وخسر . وكان على يقرأها « والمصر ونوابى الدهر إنا  
الإنسان لئى خسر . وإنه فيه إلى آخر الدهر » . وقال إبراهيم : إن الإنسان إذا خسر في الدنيا  
وهرم ، لئى قص وضعف وتراجع ، إلا المؤمنين فإنهم تكتب لهم أجورهم التى كانوا يعملونها  
في حال شبابهم ؛ نظيره قوله تعالى : « لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ  
سَافِلِينَ » . قال : وقرأنا « والمصر » إن الإنسان لئى خسر وإنه في آخر الدهر . « والمصحح  
ما طبع الأمة والمصاحف . وقد مضى الرد في مقدمة الكتاب على من خالف مصحف عثمان ،  
وإن ذلك ليس بمرآن يتل ؛ فأنله هناك .

قوله تعالى : « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » ①

قوله تعالى : « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا » استثناء من الإنسان ؛ إذ هو بمعنى الناس على الصحيح .  
قوله تعالى : « وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » أى أدوا القراض المفترضة عليهم ؛ وهم أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم . قال أبى بن كعب : قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم « والمصر »  
ثم قلت : ما تفسيرها يا نبي الله ؟ قال : « « والمصر » قسم من الله أقسم ربكم بآثار النهار » . إن  
الإنسان لئى خسر . أبو جهل « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا » أبو بكر « وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » عمر  
« وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ » عثمان « وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » على ؛ رضى الله عنهم أجمعين . وهكذا خطب

(١) آية ٩ سورة المائدة . (٢) راجع ١ ص ٨٠ طبع ثانية أمانة .

ابن عباس حل المتبر موقفا عليه . ومنى ( وَتَوَاصَوْا ) أى تعاونا ، أوصى بعضهم بعضا ، وحسب بعضهم بعضا . ( وَالْحَقُّ ) أى بالتحديد ، كما روى الضحاك عن ابن عباس . وقال قتادة : « بِالْحَقِّ » أى القرآن . وقال السدى : الحق هنا هو الله عز وجل . ( وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ) حل طاعة الله عز وجل والصبر عن معاصيه . وقد تقدم <sup>(١)</sup> . والله أعلم .

## تفسير سورة الحمزة ،

مكية بإجماع . وهى تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ①

قد تقدم القول فى « الويل » فى غير موضع ، ومما انخرى والذئاب والهلكة . وقيل : ويؤى فى جهنم . ( لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ) قال ابن عباس : هم المشامون بالقيمة ، المفسدون بين الأخية ، الباغون للبراء العيب ، فعل هذا مما معنى . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يشرأر عباد الله تعالى المشامون بالقيمة المفسدون بين الأخية الباغون للبراء العيب » . وعن ابن عباس أن الحمزة الفتات ، واللمزة العياب . وقال أبو العالية والحسن ومجاهد وعطاء بن أبى رباح : الحمزة الذى يتتاب ويطن فى وجه الرجل ، واللمزة الذى يتتابه من خلقه إذا غاب ، ومنه قول حسان :

هَمْزُكَ قَاخَضَفَتْ بُلْبُلٌ نَقِيسٌ • وَهَامِزِي تَأَجَّجَ كَالشَّوْاطِ ②

(١) راجع ص ٧١ من هذا الجزء . (٢) راجع ص ٢ ص ٧ طبة ثانية .

(٣) فى بعض نسخ الأصل « المقرنون » . (٤) رواية البيت كالى ديوانه :

مَجَّةٌ تَسْمَعُ شَارَا • هُمَزَةٌ تَأَجَّجُ كَالشَّوْاطِ

كهزة ضميم يحى عربنا • شديقهقارز الأضلاع خاقل

وَأَخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ الصَّاحِبُ ، قَالَ : وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَيَمِثُّ مِنْ يَمِثُوكَ فِي الصَّدَقَاتِ » .  
وَقَالَ مَقَاتِلُ ضَدَّ هَذَا الْكَلَامَ : إِنَّ الْمُهْمَزَةَ الَّتِي يَنْتَابُ بِالنُّونِ ، وَالْمُهْمَزَةُ الَّتِي يَنْتَابُ فِي الْوَجْهِ .  
وَقَالَ قَتَادَةُ وَجَاهِدُ : الْمُهْمَزَةُ الطَّلُاعُ فِي النَّاسِ ، وَالْمُهْمَزَةُ الطَّلُاعُ فِي أَنْصَابِهِمْ . وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ : الْهَامِزُ  
الَّذِي يَحْمِزُ النَّاسَ بِيَدِهِ وَيَضْرِبُهُمْ ، وَالْمُهْمَزَةُ الَّتِي يَأْمُرُهُمْ بِلسَانِهِ وَيَسْمِعُهُمْ . وَقَالَ سَفْيَانُ الثَّوْرِيُّ :  
يَحْمِزُ بِلِسَانِهِ ، وَيَأْمُرُ بِعَيْنِهِ . وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ : الْمُهْمَزَةُ الَّتِي يُرْذَى جِلْسَاءُ بِسَوَاءِ الْفَلَفِظِ ، وَالْمُهْمَزَةُ  
الَّتِي يَكْسِرُ عَيْنَهُ عَلَى جِلْسِهِ ، وَيُسْرِى بِعَيْنِهِ وَدَاسَهُ وَجَاهِيَهُ . وَقَالَ مُرَّةٌ : هُمَا سَوَاءٌ ، وَهُوَ الْقِتَاتُ  
الطَّلُاعُ لَهُ إِذَا غَابَ . وَقَالَ زَيْدُ الْأَعْمَى :

تُدَلِّي يُوْدِي إِذَا لَا قَيْتَنِي كَذِبًا • وَإِنْ أُغِيبَ فَأَنْتَ الْهَامِزُ اللَّمَزَةُ

وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا لَقَيْتَكَ مِنْ تَحِيَّاتٍ تُكَاسِرُنِي • وَإِنْ تَنَبَّهْتُ كُنْتَ الْهَامِزُ اللَّمَزَةُ

الشَّعْبُ : الْبُغْدُ . وَالْمُهْمَزَةُ أَمْرٌ يُضَعُّ لِلْبَاقَةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، كَمَا يُقَالُ : مُطَرَّةٌ وَمُحْكَمَةٌ الَّتِي  
يَسْخَرُ وَيَضْحَكُ بِالنَّاسِ . وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ وَالْأَعْرَجُ « مُهْمَزَةٌ لَمَزَةٌ » بِسُكُونِ الْمِيمِ  
فِيهِمَا . فَإِنْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهَا فِي مَعْنَى الْمَفْعُولِ ، وَهُوَ الَّذِي يَتَمَرَّضُ لِلنَّاسِ حَتَّى يَحْمِزُوهُ  
وَيَضْحَكُوا مِنْهُ ، وَيَعْلَمُهُمْ عَلَى الْإِغْيَابِ . وَقَرَأَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَأَبُو وَاثِلٍ وَالنَّخَعِيُّ وَالْأَعْمَشُ  
« وَبَلِّ لِهَمْزَةِ الْقَمَرَةِ » . وَأَصْلُ الْهَمْزِ : الْكُسْرُ وَالْعَضُّ عَلَى الشَّيْءِ بِمَنْفَعَةٍ ، وَمِنْهُ هَمْزُ الْحَرْفِ .  
وَيُقَالُ : هَمَزْتُ رَأْسَهُ ، وَهَمَزْتُ الْجَوْزَ بِكَفَى كَسْرَتِهِ . وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : أَنْهَمَزُونَ الْفَارَةَ ؟ فَقَالَ :  
إِنَّمَا نَهَمَزُهَا الْمِيزَةَ . الَّتِي فِي الصَّبَاحِ : وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ أَنْهَمَزَ الْفَارَةَ ؟ فَقَالَ السُّنُورِيُّ هَمَزُهَا .  
وَالْأَوَّلُ قَالَهُ التَّمْلِي ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمِيزَةَ تُسَمَّى الْهَمْزَةَ . قَالَ الصَّبَّاحُ :

وَمِنْ هَمْزَاتِ رَأْسِهِ نَهَمَزَا •

وَقِيلَ : أَصْلُ الْهَمْزِ وَالْإِزْدِجُ وَالضَّرْبُ . لَمَزَهُ يَلْمِزُهُ لَمَزًا إِذَا ضَرَبَهُ وَدَفَعَهُ . وَكَذَلِكَ  
هَمَزَهُ أَيْ دَفَعَهُ وَضَرَبَهُ . قَالَ الرَّابِزُ :

وَمِنْ هَمْزَاتِ عِزِّهِ تَبَرَّكَمَا • عَلَى أَسْتِهِ زَوْجَةٌ أَوْزَوْمَا

الْبَرْكَةُ : التَّيَامُ عَلَى أَرْبَعٍ . وَبَرْكُهُ تَبَرُّكُهُ ، أَيْ صَرَفُهُ فَوْقَ عَلَى أَسْتِهِ ؛ قَالَهُ فِي الْمَصْحَفِ .  
وَالْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الْأَحْسَنِ بْنِ شَرِيْقٍ فَيَا رَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ أَبِي عِيَّاسٍ . وَكَانَ يَلْمِزُ النَّاسَ وَيَبْهِمُ  
مُقَابِلِينَ وَمُدْبِرِينَ . وَقَالَ أَبُو جَرِيْحٍ : فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُنْثِيرِ ، وَكَانَ يَنْتَابُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ مِنْ وَرَائِهِ وَيُدْحِ فِيهِ فِي وَجْهِهِ . وَقِيلَ : نَزَلَتْ فِي أَبِي بَنِي خَلْفٍ . وَقِيلَ : فِي جَمِيلِ  
ابْنِ حَامِرٍ التَّنُفُّيِّ<sup>(١)</sup> . وَقِيلَ : إِنَّهَا مَرْسَلَةٌ عَلَى الْعُمُومِ مِنْ شَيْءٍ تَخْصِيصٍ ؛ وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ .  
قَالَ جَاهِدٌ : لَيْسَتْ بِمَخَاصِدٍ لِأَحَدٍ ، بَلْ لِكُلِّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ . وَقَالَ الْفَرَّاءُ : يَجُوزُ أَنْ  
يَذَكَرَ الشَّيْءُ الْمَامُ وَيُقَصَّدُ بِهِ الْخَلَّاصُ قَصْدَ الْوَاحِدِ إِذَا قَالَ : لَا أَزُورُكَ أَبَدًا . فَقَوْلُهُ : مَنْ  
لَمْ يَذَنْ فَلَسْتُ بِزَائِرِهِ ؛ يَمْنَى ذَلِكَ الْغَائِلُ .

قوله تعالى : أَلَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿١﴾

أَيَّ امْتَدَّ - زَعَمَ - لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ ؛ مِثْلَ كَرَمٍ وَأَكْرَمَ . وَقِيلَ : أَحْصَى عَدَدَهُ ؛ قَالَهُ السُّدِّيُّ .  
وَقَالَ الضَّحَّاكُ : أَيَّ امْتَدَّ مَالُهُ لِمَنْ يَرِيهِ مِنْ أَوْلَادِهِ . وَقِيلَ : أَيُّ فَائِزٍ بِعَدَدِهِ وَكَثْرَتِهِ . وَالْمَقْصُودُ  
الْقَبْضُ عَلَى إِسْمَاكَ الْمَالِ عَنْ سَبِيلِ الطَّامَةِ . كَمَا قَالَ : «مَتَّاعٌ خَيْرٌ»<sup>(٢)</sup> ، وَقَالَ : «وَجَمَعَ قَاوِمِي»<sup>(٣)</sup> .  
وَقِرَاءَةُ الْجَمَاعَةِ «جَمَعَ» خَفَّفَ الْمِيمَ . وَشَدَّدَهَا أَبُو حَامِرٍ وَحَمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ عَلَى التَّكْثِيرِ .  
وَأَخْتَارَهُ أَبُو حَبِيدٍ لِقَوْلِهِ : «وَعَدَّدَهُ» . وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَنَصْرَبْنِ حَامِرٍ وَأَبُو الْعَالِيَةِ «جَمَعَ» خَفَّفَا  
«وَعَدَّدَهُ» خَفَّفَا أَيْضًا ؛ فَظَاهِرُوا التَّضْمِيضَ لِأَنَّهُ أَصْلُهُ عَدَّهُ وَهُوَ بَعِيدٌ ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِي الْمَصْحَفِ  
بِالْيَاوِي . وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ فِي الشُّعْرِ ؛ لَمَّا أَبْرَزُوا التَّضْمِيضَ خَفَّفُوهُ . قَالَ :

مَهْلًا أَمَامَةً قَدْ جَرَّبْتُ مِنْ خُلُقِي \* أَنِّي أَجُودُ لِأَقْسَامٍ وَإِنْ ضَلُّتُ

(١) كَذَا فِي نَسَخِ الْأَصْلِ . وَالَّذِي فِي الْعِلْمِ : «جَمِيلٌ بْنُ حَامِرٍ الْجَمْعِي» . وَفِي سِيرَةِ ابْنِ هَتَمٍ (ص ٢٢٩)

طَبِيعُ أَوْدِيَةٍ) وَتَارِيخُ الْكَافِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ (ج ٢ ص ٦٦ طَبِيعُ أَوْدِيَةٍ) وَبَعْضُ كُتُبِ التَّضْمِيرِ : «جَمِيلٌ بْنُ حَامِرٍ الْجَمْعِي» .

(٢) آيَةُ ٢٥ سُورَةِ قَدْ ، وَآيَةُ ١٢ سُورَةِ ن . (٣) آيَةُ ١٨ سُورَةِ الْحَاجَرِ .

(٤) فِي السَّنَنِ وَكُتُبِ سِيَرِهِ : «مَهْلًا أَمَامَةً» . وَكَهْ نَسَبًا لِقَضْبِ بْنِ أَحْمَدَ .

أراد ضَرًا وَيَضَلُّوا ، فأظهر التضعيف ؛ لكن الشعر موضع ضرورة . قال للمهتدي : مَنْ  
خَفَّفَ دُومَتَهُ فهو مطوف على المال ؛ أى وجمع مَدَدَه فلا يكون ضلًا على إظهار  
التضعيف ؛ لأن ذلك لا يستعمل إلا في الشعر .

قوله تعالى : يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿١٥﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿١٦﴾  
وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿١٧﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ﴿١٨﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى  
الْأُفُقَةِ ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ( يَحْسَبُ ) أى يظن ( أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ) أى يُفِيهِ حَيًّا لا يموت ؛ قاله  
السدي . وقال صكرمة : أى يزيد في عمره . وقيل : أحياء فيما مضى ، وهو ماضٍ بمعنى المستقبل .  
يقال : هلك والله فلان ودخل النار ؛ أى يدخل . ( كَلَّا ) رد لما توهمه الكافر ؛ أى  
لا يخلد ولا يبقى له مال . وقد مضى القول في « كَلَّا » مستوفى . وقال عمر بن عبد الله مولى  
خُفْرَةَ : إذا صمت الله عز وجل يقول « كَلَّا » فإنه يقول كذبت . ( لَيُنْبَذَنَّ ) أى يُطْرَحَنَّ  
وَيُلْقَيْنَ . وقرأ الحسن وعمر بن كعب ونصر بن ماص ومجاهد ومحمد وابن محيصن « لَيُنْبَذَنَّ »  
بالثنية ؛ أى هو وماله . وعن الحسن أيضا « لَيُنْبَذَنَّ » على معنى لينبذت ماله . وعنه أيضا  
بالنون « لَنُنْبَذَنَّ » على إخبار الله تعالى عن نفسه ، وأنه يلذ صاحبه المال . وعنه أيضا  
« لَيُنْبَذَنَّ » بضم النون ، على أن المراد المُنْمَرَةُ وَالسَّرَّةُ والمال وجامعه . ( فِي الْحُطَمَةِ ) وهى  
نار الله ؛ سُمِّيَتْ بذلك لأنها تكسر كل ما يلقي فيها وتحطمه وتشمه . قال الرازي :

إِنَّا حَطَمْنَا بِالْقَضِيبِ مُصَمِّمًا • يَوْمَ كَثُرْنَا نَفْسُهُ يُنْقَضِبَا

وهى الطبقة السادسة من طبقات جهنم ؛ حكاه الماوردى عن الكلبي . وحكى القشيري  
عنه : « الحطمة » الدركة الثانية من درك النار . وقال الضحاك : هى الدرك الرابع . ابن  
زيد : أسم من أسماء جهنم . ( وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ) على التعميم لثانها والتخصيص لآخرها .

ثم فسرها ما هي فقال : ( نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ) أى التى أوقد عليها ألف عام وألف مالم وألف عام ، فهى خير حامدة ، أمضاها الله للمصاة . ( الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأُفُقِ ) قال محمد بن كعب : ناكل النار جميع ما فى أجسادهم ، حتى إذا بلغت إلى السموات خلقوا خلقا جديدا فرجعت تأكلهم . وكذا روى خالد بن أبى عمران عن النبي صلى الله عليه وسلم : " أن النار تأكل أهلها حتى إذا اطلمت على أفئدتهم آتت ثم إذا صلدوا تمود فذلك قوله تعالى : « نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ . الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأُفُقِ » . وخص الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى السموات صاحبه . أى إنه فى حال من يموت وهم لا يموتون ؛ كما قال الله تعالى : « لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا » فهم إذا أحياء فى معنى الأموات . وقيل : معنى « تَطْلُعُ عَلَى الْأُفُقِ » أى تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب ؛ وذلك بما استبقاه الله تعالى من الأمانة الدالة عليه . يقال : أطلع فلان على كذا أى علمه . وقد قال الله تعالى : « تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى » وقال تعالى : « إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ تَتَبِعَ أَرْثَاكَ » . فوصفها بهذا ليعبد أن توصف بالعلم .

قوله تعالى : إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٤٠﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٤١﴾

أى مُطَبَّقة؛ قاله الحسن والضحاك . وقد تقدم فى سورة « البلد » القول فيه . وقيل : مغلفة ؛ لغة قريش . يقولون : أصدت الباب إذا أغلقته ؛ قاله مجاهد . ومنه قول جليل الله ابن قيس الرقيات :

إِنِّى الْقَصِيرُ لَوَدَّخَلْنَا غَرْبَ الْإِلَهِ مُصَفَّقًا مُّوَصَّدًا عَلَيْهِ الْجَحَابُ

( فى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ) ألفاء بمعنى الباء ؛ أى موصدة بعمد مُّمَدَّدَةٍ ؛ قاله ابن مسعود ؛ وهى فى قرأته « وَبَعْدَ مُّمَدَّدَةٍ » وفى حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم " ثم إن الله يبعث إليهم

(١) آية ٧٤ سورة طه . (٢) آية ١٧ سورة المخرج . (٣) آية ١٢ سورة الفرقان .

(٤) راسم ص ٧٢ من هذا الجزء . (٥) حلق الباب وأصفقه ؛ أى غلقه .

ملأكة بأطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار تُطبق عليهم تلك الأطباق وتشد عليهم تلك المسامير وتمد بتلك العمدة فلا يبقى فيها خل يدخل فيه روح ولا يخرج منه نَفَمٌ ويساهم الرحمن مل عرشه ويتشاكل أهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها أبداً ويتقطع الكلام فيكون كلامهم زفيرا وشهيقا فذلك قوله تعالى « إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ . فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ » . وقال قتادة : « عمد » يذبون بها . واختاره الطبري . وقال ابن عباس : إن العمدة الممددة أغلال في اعناقهم . وقيل : قيود في أرجلهم ؛ قاله أبو صالح . وقال القرشي : والمعلم مل أن العمدة أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار ، وتشد تلك الأطباق بالأوتاد حتى يرجع عليهم غمها وحسرها ، فلا يدخل عليهم روح . وقيل : أبواب النار مطبقة عليهم وهم في عمد ؛ أي في سلاسل وأغلال مطولة ، وهي أحكم وأروع من القصيرة . وقيل : هم في عمد ممددة ؛ أي في عذابها وآلامها يضربون بها . وقيل : المعنى في دهر ممدود ؛ أي لا انقطاع له . وقرا حزنة والكسائي وأبو بكر عن حاتم « فِي عُمْدٍ » بضم العين والميم جمع عمود . وكذلك « عمد » أيضا . قال الفراء : والعمد والعمد جمان صحيان لعمود ؛ مثل آدم وأدم وأدم ، وأفيق وأفقي وأفقي . أبو عبيدة : عمُد جمع عماد ؛ مثل إهاب وأهَب . واختار أبو عبيد « عمد » بفتحين . وكذلك أبو حاتم ؛ اختبارا بقوله تعالى : « رَفَعُ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا » وأجمعوا على فتحها . قال الجوهري : العمود عمود لبيت ، وجمع الثقلة أعمدة ، وجمع الكتفة عُمُد وعمُد ، وقرئ بهما قوله تعالى : « فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ » . وقال أبو عبيدة : العمود كل مستطيل من خشب أو حديد ، وهو أصل للبناء مثل البلاد . عَمَدَتُ الشيء فآعَمَدْتُ ؛ أي آقنْتُهُ بِعِمَادٍ يَتِمِدُ عليه . وأعمدته جعلت تحت عمدا . والله أعلم .

(١) الأديم . الجلد المدبوخ . والأفقي : الجلد الذي لم يدبغ . وقيل : هو الذي لم يتم دباغه .

(٢) آية ٢ سورة الرعد .

## تفسير سورة الفيل ،

وهي مكية بإجماع . وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحْتَابِ الْفِيلِ ①

فيه خمس مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( أَلَمْ تَرَ ) أى ألم تُخَبِّر . وقيل : ألم تعلم . وقال ابن عباس : ألم تسمع . واللفظ استفهام والمعنى تقرير . والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام ؛ أى ألم تروا ما فعلت بأحباب الفيل ؛ أى قد رأيت ذلك وعرفت موضع مني عليكم ، فما لكم لا تؤمنون . و ( كَيْفَ ) في موضع نصب بـ « فَعَلَ رَبُّكَ » لا بـ « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ » من معنى الاستفهام .

الثانية — قوله تعالى : ( وَأَحْتَابِ الْفِيلِ ) الفيلُ معروفٌ ، والجمع أفيال وأفول وفيلة . قال ابن السكيت : ولا تهل أفيلة . [ والألف في أفيلة ] وصاحبه قيل . قال سيوطي : يجوز أن يكون أصل فيل فعلا فكسر من أجل الياء ؛ كما قالوا : أبيض وبيض . وقال الأخفش : هذا لا يكون في الواحد إنما يكون في الجمع . ورجلٌ فيلُ الرأي ، أى ضعيف الرأي . والجمع أفيال . ورجلٌ فإلٌ ؛ أى ضعيف الرأي عطى الفراسة . وقد قال الرأيُ فيلٌ فؤولةً ، وقيل رأيه تفيلاً ، أى ضَعْفُهُ ، فهو فيلُ الرأي .

الثالثة — في قصة أصحاب الفيل ؛ وذلك أن أبرهة بن القيس بصنعا ، وهو كيسة لم يرتلها في زمانها بشيء من الأرض ، وكان نصرانيا ، ثم كتب إلى النجاشي أني قد بينت لك أيها الملك كيسة لم يئن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمته حتى أصرف إليها حج العرب .

(١) من نسخة قول ابن السكيت . (٢) في اللسان : « وصاحبا »

فلما تحلّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي ، غضب رجل من النساء<sup>(١)</sup> ، فخرج حتى أتى الكنيسة فقمع فيها - أي أحدث - ثم نرج فلحق بأرضه ، فآخى بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقبل : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تمجّح إليه العرب بمكة لما ميع قولك : « أصرف إليها حج العرب » غضب بغاء فقمع فيها ، أي أنها ليست لذلك بأهل . فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسير<sup>(٢)</sup> إلى البيت حتى يهدمه ، وبعث رجلا كان عنده إلى بني كنانة يدعوهم إلى حج تلك الكنيسة ، فقتل بنو كنانة ذلك الرجل ، فزاد أبرهة ذلك غضبا وحقا ، ثم أمر الحيشة قتيبات ونجهازت ، ثم سار ونرج معه بالقبيل ، وسمعت بذلك العرب فأعظموه ونظفوا به ورأوا جهاده حقا عليهم حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام . فخرج إليه رجل من أشرف أهل اليمن وملكهم يقال له ذو قفر ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه وإحراجه ، فأجابه من أجابه إلى ذلك ، ثم عرض له قتاله فنهزم ذو قفر وأصحابه وأخذ له ذو قفر فأتي به أسيرا ، فلما أراد قتله قال له ذو قفر : أيها الملك لا تقتلني ، فإنه عسى أن يكون بقالي منك خيرا لك من قتل ، فتركه من القتل وحسه عنده في وثاق ، وكان أبرهة رجلا حليما . ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما نرج له ، حتى إذا كان بأرض ختم عرض له قتيلا أمين حبيب الخثعمي في قبيلتي ختم : شمران وثامس ومن تبعه من قبائل العرب ، فقال له فهزمه أبرهة وأخذ له قتيلا أسيرا ، فأتي به فلما هم بقتله قال له قتيلا : أيها الملك لا تقتلني ، فأتى بذلك بأرض العرب ، وهاتان يدان لك حل قبيلتي ختم شمران وثامس بالسمع والطاعة ، تغل سبله ، ونرج به معه يده ، حتى إذا مر بالطائف نرج إليه مسعود بن مسهب في رجال من حبيب فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس بيننا هذا البيت الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة ،

(١) في سيرة ابن هشام : « من النساء أحد بن قيس بن هدي ... والنساء : الذين كانوا يسنون الشعر على العرب في الجاهلية ، فيطون الشعر من أشهر الحرم ويمررون مكة الشعر من أشهر الحبل ، ويذنون ذلك الشعر في أزل الله تبارك وتعالى : « إنما اتسوا ، زيادة في الكفر » - (راجع سيرة ابن هشام طبع أدب باس ٢٩) .

(٢) بنو كنانة : قبيلة ذلك الرجل الذي أحدث في الكعبة .

(٣) في سيرة ابن هشام : « واللوات بيت لم بالطائف كانوا يسنون شعر تطيل الكعبة » .

ونحن نبعث ملك من يدلك عليه ؛ فتجاوز عنهم . وبثوا معه أبا إيفال حتى أتاه المغمس ؛ فلما أتاه به مات أبو إيفال هناك فرجعت قبره العرب ؛ فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس ، وفيه يقول الشاعر :

وأرجم قبره في كل عام \* كرجم الناس قبرا أبي إيفال

فلما نزل أبرهة بالمغمس بث رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود مل خيل له ، حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال أهل تامة من قريش وغيرهم ، وأصاب فيها مائتي بئر لمبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ؛ فهتت قريش وكثانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم يقتله ؛ ثم صرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك ، وبث أبرهة حنطة الجيرى إلى مكة وقال له : سئل من سيد هذا البلد وقريشهم ، ثم قل له : إن الملك يقول إنى لم أت لحريكم إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تعرضوا لى يجرح فلا حاجة لى بدمائكم ؛ لأن هو لم يرد حربى فأتى به . فلما دخل حنطة مكة سال عن سيد قريش وشريها ؛ فقيل له : عبد المطلب بن هاشم ؛ فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة ؛ فقال له عبد المطلب : وأله ما تريد حربى ، وما لنا بذلك منه طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ، أوكما قال ، فإن يمنعه منه فهو حرمه وبيته ، وإن يئمل بيته وبيته فواقه ما عندنا دفع عنه . فقال له حنطة : فأطلق إليه فإنه قد أمرنى أن آتيه بك ؛ فأطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بلية حتى أتى السكرك ؛ فسأل من ذى قعر وكان صديقا له حتى دخل عليه وهو فى عهده فقال له : ياذا قعر ، هل عندك من غنائه نيا نزل بنا ؟ فقال له ذو قعر ؛ وما غناه رجل أسير يئدى ملك ينتظر أن يقتله غدواً وعشيا ؛ ما عندى غناه فى شيء مما نزل بك ، إلا أنة أنيسا سائق الفيل صديق لى فسأرسل إليه وأوصيه بك ، وأعظم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك حل الملك فكله بما بدا لك ، ويسمع لك عنده بخير إن قدر حل ذلك ؛ فقال

(١) الغمس : موضع قرب مكة فى طريق الطائف . (٢) كذا فى بعض نسخ الأصل وقصر هلمى وتاريخ الطبرى (نسخة أمثلة ص ٩٣٧ طبع أوربا) وتاريخ ابن الأثير ( ج ١ ص ٣٢١ طبع أوربا ) .  
وفى بعض الأصول وقصر الطبرى وسيرة ابن هشام ( ص ٣٣ طبع أوربا ) : « منصور » بألف ، بدل الطائف .  
(٣) فى هامش نسخة : « من سيد هذا البيت » .

حَسْبِيَ . فَبُهِتَ ذُو قُرَيْشٍ إِلَى أُنَيْسٍ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ سَيِّدَ قُرَيْشٍ وَمُصَاحِبَ عَيْنِ مَكَّةَ  
وَيُعَلِّمُ النَّاسَ بِالسَّهْلِ وَالْوَحُوشِ فِي رَمُوسِ الْجِبَالِ ، وَقَدْ أَصَابَ لَهُ الْمَلِكُ مَائِي بِسِرِّ فَاَسْتَأْذَنُ  
لَهُ عَلَيْهِ ، وَأَنْفَعَهُ عِنْدَهُ بِمَا اسْتَعْلَمْتُ ، فَقَالَ : أَفْعَلْ . فَكَلَّمَ أُنَيْسُ أَرْبَعَةَ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ،  
هَذَا سَيِّدُ قُرَيْشٍ يَبْأُكُ اسْتَأْذَنَ عَلَيْكَ ، وَهُوَ مُصَاحِبُ عَيْنِ مَكَّةَ ، يُعَلِّمُ النَّاسَ بِالسَّهْلِ وَالْوَحُوشِ  
فِي رَمُوسِ الْجِبَالِ ؛ فَآذَنَ لَهُ عَلَيْكَ فَيَكْفِكَ فِي حَاجَتِهِ . قَالَ : فَآذَنَ لَهُ أَرْبَعَةَ .

وَكَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ أَوْثَمَ النَّاسِ وَأَعْظَمَهُمْ وَأَجَلَهُمْ ، فَلَمَّا رَأَى أَرْبَعَةَ أَجَلَهُ وَأَعْظَمَهُ مِنْ  
أَنْ يَحْلِسَ مَعَهُ ؛ فَتَرَلَّ أَرْبَعَةَ عَنْ سِرِّهِ بَخْسَ عَلَى بَاطِلِهِ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَيْهِ إِلَى جَنْبِهِ . ثُمَّ قَالَ  
لَتَرْجَمَانِهِ : قُلْ لَهُ : حَاجَتُكَ ؟ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ التَّرْجِمَانُ فَقَالَ : حَاجَتِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ الْمَلِكُ مَائِي  
بِغَيْرِ أَصَابِي . فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ قَالَ أَرْبَعَةَ لَتَرْجَمَانِهِ : قُلْ لَهُ لَقَدْ كُنْتُ أَعْجَبْتُ حِينَ رَأَيْتُكَ  
ثُمَّ قَدْ زِدْتُ فَيْكَ حِينَ كَلَّمْتَنِي ، أَنْ تَكَلِّفَنِي فِي مَائِي بِغَيْرِ أَصَابِي لَكَ ، وَتَتْرَكَ بَيْتًا هُوَ دِيْنُكَ وَدِيْنِ  
آبَائِكَ قَدْ جِئْتُ لِهَدْمِهِ لَا تَكَلِّفَنِي فِيهِ ! . قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : إِنِّي أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ ، وَإِنْ  
لَلِيتَ رَبًّا سِوَهُ . قَالَ : مَا كَانَ يَتَّبِعُ مِنِّي ! قُلْ أَنْتَ وَذَلِكَ ؛ فَرَدَّ عَلَيْهِ إِبِلَهُ . وَأَنْصَرَفَ  
عَبْدُ الْمَطْلَبِ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبْرَ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ وَالتَّحَرُّزِ فِي شُفَى الْجِبَالِ  
وَالشَّعَابِ تَحْتَوُفًا عَلَيْهِمْ مَعَزَةُ الْجَبَلِشِ . ثُمَّ قَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ فَاتَّخَذَ بِحَقَّةِ بَابِ الْكَبَةِ وَقَامَ مَعَهُ ثَغْرَمِنْ  
قُرَيْشٍ يَدْعُوْنَ اللَّهَ وَيَسْتَنْصِرُوْنَهُ عَلَى أَرْبَعَةَ وَجَنَدِهِ فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَهُوَ آخِذٌ بِحَقَّةِ بَابِ الْكَبَةِ :

لَا تُحْمِزْ إِنْ الْعَبْدُ . • نَحْنُ رَحْلَةٌ فَأَمْنٌ حَلَاكٌ <sup>(١)</sup>  
لَا يَنْتَبِرُ صُلَيْبُهُمْ • وَبِحَالِهِمْ صَدَاكَ  
لَنْ يَدْخُلُوا الْبِلَادَ الْخَرَا • مَ قَامَرُ مَا بِدَاكَ

(١) شُفَى الْجِبَالِ : رَمُوسُهَا . (٢) الْحَزَّةُ الْأَذَى . وَمَعَزَةُ الْجَبَلِشِ : أَنْ يَنْزِلُوا بِقَوْمٍ فَلَا كَلَامَ مِنْ  
ذُرُوعِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ . وَطَائِفُهُمْ مِنْ مَرَاةٍ مِنْ سُلُوكِ أَرْسَادِهِمْ وَإِسَابَتِهِمْ إِيَّاهُمْ فِي حَرَمِهِمْ وَأَيَّامِهِمْ وَذُرُوعِهِمْ بِمَا لَمْ  
يُفْزِذْنِ لَهُمْ فِيهِ . (٣) الْخَلَالُ (بِالْكَسْرِ) : الْقَوْمُ الْقَتِيلُونَ الْمُخْبِرُونَ . يَرِيدُهُمْ سِكَانُ الْحَرَمِ .  
(٤) « عَدَا » بِاللَّيْنِ الْمَهْلَةُ : وَصْنَةُ الْإِعْتَدَاءِ . وَفِي اللَّسَانِ مَادَّةُ « نَدَا » : « نَدَّاهُ » بِاللَّيْنِ الْمَهْلَةُ .  
قَالَ : « نَدَّاهُ أَسْلَ الْفَتَى ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي يَأْتِي بِسِدِّ يَوْمِكَ فَخَذْتُ لَاهُ وَلَمْ يَسْتَعِمْ تَأْمًا إِلَّا فِي الْقَتْلِ . وَلَمْ يَرِدْ  
عَبْدُ الْمَطْلَبِ الْفَتَى بِمِثْلِهِ ، وَأَنَا أَرَادُ الْقُرْبَ مِنْ الزَّمَانِ » .

بقول: أى شيء ما بذلك لم تكن تغمله بنا. ولِلحلال جمع حِلّ. والمِعال القوة. وقيل:  
إن عبد المطلب لما أخذ بحَقْلَة باب الكعبة قال:

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لِمِ سِوَاكَ • يَا رَبِّ قَامِعِ مِنْهُمْ حِمَاكَ  
إِنَّ مَدْوَّالْبَيْتِ مِنْ عَادَاكَ • إِنَّهُمْ لَنْ يَجْهَرُوا قِوَاكَ

وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيّ:

لَا هُمْ أَنْزِ الْأَسْوَدَ بِنَ مَقْصُودٍ • الْآخِذَ الْمَجْمَعَةَ فِيهَا التَّقْلِيدُ<sup>(١)</sup>  
بِنَ حِرَاءَ وَتَبِيرَ فَأَلْبَيْدُ • يَجْبِسُهَا وَهِيَ أَوَّلَاتُ التَّطْرِيدِ<sup>(٢)</sup>  
نَفْسُهَا إِلَى طَلْحِمْ مُوَدُ • [قَدْ أَجْمَعُوا أَلَا يَكُونُ مَعْبُودُ<sup>(٣)</sup>  
وَيَهْدُمُوا الْبَيْتَ الْحَرَامَ الْمَعْبُودَ • وَالْمُرَوِّتَيْنِ وَالْمَشَاهِرَ الشُّوَدُ<sup>(٤)</sup>  
• أَخْشِرُهُ يَا رَبِّ وَأَنْتَ مَعْبُودُ •

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حَقْلَةَ باب الكعبة، ثم انطلق هو ومن معه  
من قريش إلى شَعَفِ الجبال فتحوزوا فيها ينتظرون ما أُرِهَهُ فاضلُ بمكة إذا دخلها. فلما أصبح  
أُرِهَهُ تَبِيًّا لدخول مكة وهَيَّا فَيْسَلَهُ وَعَبًّا جَيْشَهُ، وكان اسم الفيل محمودا، وأُرِهَهُ تُجْمِعُ لهدم  
البيت ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ حَتَّى قَامَ  
إِلَى جَنْبِ الْفِيلِ ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِهِ فَقَالَ لَهُ: أَبْرُكْ مَحْمُودُ، وَأَرْجِعْ وَاشْدَا مِنْ حَيْثُ جِئْتَ، فَإِنَّكَ  
فِي بِلَادِ اللَّهِ الْحَرَامِ. ثُمَّ أَرْسَلَ أَذُنَهُ فَبَرَكَ الْفِيلُ. وَنَزَعَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ يَسْتَدِ حَتَّى أَصْبَحَ  
فِي الْجَبَلِ. وَضَرَبُوا الْفِيلَ لِيَقُومَ قَائِي، فَضَرَبُوا فِي رَأْسِهِ بِالطَّبَرِزِيِّ لِيَقُومَ قَائِي؛ فَانْقَلَبُوا

(١) المجبة: القطعة الضمنية من الإبل. قيل هي ما بين الثلاثين والمائة. وقيل أولها الأربعون. وقيل ما بين  
السبعين إلى المائة. (انظر كتيب اللغة). وتخلدها أنه يجعل في معناها شارحا أنه هدى. (٢) حراء وتبيرة: جبلان  
بمكة. واليد: جمع اليداء، وهي القلادة. وتطريد الإبل: تائبها. (٣) الطلحة: السجدة. فالالسيلى: طالع  
سودى، بنى الفرج. (٤) ما بين المريسيم لم يذكره ابن إسحاق في روايته. (٥) أخشره: أى أقضى مهله  
ومزقه فلا يركبه. (٦) الطير (بحركة): القاموس من السلاح (سريّة). والطبرزين آلة من السلاح تشبه الطير.  
وقيل هو الطير بفتح.

عاجين<sup>(١)</sup> لمسم في سراقته فَبَزَّوْهُ بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ، وجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، وجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، وجهوه إلى مكة فترك . وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخياطيف والبلأسان ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار : حجر في يقاره وحجران في رجليه أمثال الحص والمذس لا تعيب منهم أحدا إلا هلك ؛ وليس كلهم أصابت . وخرجوا هارين يتدرون الطريق التي جاؤا منها ، ويسألون عن قيل بن حبيب لينفم على الطريق إلى اليمن . فقال قيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمة : **أَيْنَ الْمَقْسَرِ وَالْإِلَهَ الْعَالِبِ • وَالْأَشْرَمِ الْمَطْلُوبِ لَيْسَ الْغَالِبُ**

وقال أيضا :

**يَسَلَّتْ لَهِ إِذْ أَبْصَرْتُ طِيْرًا • وَخَفْتُ حِمَارَةً تَلْقَى طِيْرًا**  
**فَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ قَيْلِ • كَأَنَّهُ عَلَى الْهَيْثَانِ دَيْتَا**

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون [ بكَلْ مَهْلِك ] كل كل سهل ، وأصيب أربعة في جسده ، وخرجوا به مهم يقطط<sup>(٢)</sup> أملة<sup>(٣)</sup> أملة ، كما سقطت منه أملة<sup>(٤)</sup> أتبعها منه مئة ثم قِيَمًا وَمَنًا ، حتى قَدِمُوا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فلما مات حتى أنفدع صدره من قلبه ، فبأ يزعمون .

وقال الكلبي ومقاتل بن سليمان - يزيد أحدهما وينقص - : سبب القيل ما روى أن قِيَمَةَ من قريش خرجوا تجارا إلى أرض الحبشي ، فزلوا على ساحل البحر إلى بيعة للنصارى قسمها النصارى الميكل ، فأوقدوا نارا لطعامهم وتركوها وأرتموها ، فهبت ريح ماصفة على النار فأضمرت البيعة نارا فأحترقت ، فأتى الصيرج إلى التجاشي فأخبره ،

(١) الحجن : الضأ المنطقة الرأس كالصوبان . (٢) بزوه : شرطه . (٣) في السان والقبالة مادة (لمس) : «قال حاد بن موسى عنها للزواجر» . (٤) الأفرم : أربعة ؛ سمى بذلك لأنه جاءه حجر فترسم أهده فسمى الأفرم . (٥) زيادة من سيرة ابن هشام . (٦) في سيرة ابن هشام : «منيل» . (٧) أي يثر جسده ، والأخذه طرف الأصبع . ويبريا من الصغير من الأشياء . (٨) مث السقاء : دبح .

فاستشاط غضباً . فأتاه أبرهة بن الصباح وحجر بن شرحبيل وأبو يكسوم الكنديون ؛  
وضنوا له إحراق الكعبة وسبي مكة . وكان النجاشي هو الملك ، وأبرهة صاحب الجيش .  
وأبو يكسوم نديم الملك . وقيل وذير . وحجر بن شرحبيل من قواده . وقال مجاهد :  
أبو يكسوم هو أبرهة بن الصباح . فساروا معهم الفيل . قال الأكثرون : هو فيل واحد .  
وقال الضحاك : هي ثمانية فيلة . ونزلوا بذي الجباز ، وأستاقوا سرح مكة وفيها إبل  
عبد المطلب . وأتى الراعي نذيراً فصعد الصفا فصاح : واصباحاه ! ثم أخبر الناس بمجيء الجيش  
والفيل . فخرج عبد المطلب وتوجه إلى أبرهة وسأله في إبله . وأخطف في النجاشي هل كان  
معهم ؟ فقال قوم كان معهم . وقال الأكثرون لم يكن معهم . ونظر أهل مكة بالطريق فأقبلت  
من ناحية البحر ؛ فقال عبد المطلب : إن هذه الطير غريبة بأرضنا ، وما هي بخدية ولا تهاية  
ولا حمازية ، وإنها أشباه العاسيب . وكان في مناقبها وأرجلها حمارة ؛ فلما أظلت على  
القوم اقتبها عليهم حتى هلكوا . قال عطاء بن أبي رباح : جاءت الطير عشيبة فباتت ثم صبحتهم  
بالنداء فرسبهم . وقال الكلبي : في مناقبها حتى كفى الخلف ، إمام كل فرقة طائر يفودها  
أحرار المقار أسود الرأس طويل السنق . فلما جاءت عسكر القوم وتوافقت أهالك ما في مناقبها  
على من تحتها ، مكتوب على كل حجر أسم صاحبه المقتول به . وقيل : كان على كل حجر مكتوب :  
من أطاع الله نجأ ، ومن عصاه هوى . ثم انصاعت راجعة من حيث جاءت . وقال العوفي :  
سالت عنها أبا سعيد الخدري فقال : حمام مكة منها . وقيل : كان يقع الحجر على بيضة أحدهم  
فيغرقها ويقع في دماغه ويغرق الفيل والذابة ، وينيب الحجر في الأرض من شدة وقعه .  
وكان أصحاب الفيل ستين ألفاً ، لم يرجع منهم أحد إلا أسيرهم رجوع ومعه شزيمة لطيفة . فلما  
أخبروا بما رأوا هلكوا . وقال الواقدي : أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، وأبرهة هو الأشرم سمي بذلك لأنه تقاتل مع أرباط حتى تراخا ،  
(١) اليسوب : أمير النمل وذكرهما . (٢) في نسخة : « أقبلت » . (٣) الخلف : الزن  
بالصغار وإطراف الأصابع . (٤) اضاع الزيل : اختل راجعاً ومزميراً . (٥) هي بيضة الحديديـ  
(٦) القناتة : اختلاف الناس في الآراء وما يقع بينهم من القتال .

ثم أختفا على أن يلتقيا بشخصيهما فن غلب الله الأمر . فتبارزا - وكان أرباط جسيا عظيما في يده حربة ، وأبرهة قصيرا حاريا حليا ذا دين في النصرانية ، ومع أبرهة وزير له يقال له عتودة - فلما دتوا ضرب أرباط بحربة رأس أبرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وأفقه وجبينه وشفته ، فلذلك سُمي الأشرم . وسُمل عتودة على أرباط فقتله . فاجتمعت الحيشة لأبرهة ، فغضب النجاشي وحلف ليجزأ ناصية أبرهة ويصلأ بلاده . فجزأ أبرهة ناصيته وملا مِرْزُوكًا من تراب أرضه وبعث بهما إلى النجاشي وقال : إنما كان عندك وأنا عندك ، وأنا أقوم بأمر الحيشة ، وقد جَزَزْتُ ناصيتي وبشت إليك بتراب أرضي لئلا تأبى في يمينك ، فرضى عنه النجاشي . ثم بَنَى أبرهة كنيسةً بصنماء ليصرف إليها حج العرب ، على ما تقدم .

الرابعة - قال مقاتل : كان عام الفيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة . وقال الكلبي وعبيد بن عمير : كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث وعشرين سنة . والصحاح ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ولدتُ عام الفيل » . وروي عنه أنه قال : « يومَ الفيل » . حكاه الماوردي في التفسير له . وقال في كتاب أعلام النبوة : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول . وكان بعد الفيل بخمسين يوما . ووافق من شهور الروم المشرين من أسباط في السنة الثانية عشرة من ملك هرمن بن أنوشروان . قال : وحكى أبو جعفر الطبري أن مولده صلى الله عليه وسلم كان لأثنين وأربعين سنة من ملك أنوشروان . وقد قيل : إنه عليه السلام حملت به أمه آمنة في يوم عاشوراء من المحرم ، وولد يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، فكانت مدة حملها ثمانية أشهر كَلًّا ويومين من التاسع . وقيل : إنه ولد يوم عاشوراء من شهر المحرم ، حكاه ابن شاهين أبو حفص في فضائل يوم عاشوراء له . ابن السري : « قال ابن وهب عن مالك : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، وقال قيس بن عزيمة : ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل . وقد روى الناس عن مالك أنه قال :

(١) الحاد : الحجم الخلق - (٢) في نسخة : « شباط » (الثاني المحجة كتراب) . وورد بالسنن المحجة -

(٣) في نسخة الأصل : « أبو شاهين حفص » .

من مروءة الرجل الا ينير بسننه ؛ لأنه إن كان صغيراً استحقروه وإن كان كبيراً استهزئوه .  
وهذا قول ضعيف ؛ لأن مالكا لا ينير بسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكتم سنه ؛ وهو  
من أعظم العلماء قدوة به . فلا بأس بأن ينير الرجل بسننه كان كبيراً أو صغيراً . وقال عبد الملك  
ابن مروان لعتاب بن أسيد : أنت أكبر أم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : النبي صلى  
الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أسن منه ؛ ولقد النبي صلى الله عليه وسلم مأم الفيل ، وأنا أدركت  
سأنسه وقائمه أعين مقيدين يستطعمان الناس . وقيل لبعض القضاة : كم سنك ؟ قال : سن عتاب  
أبن أسيد حين ولّاه النبي صلى الله عليه وسلم مكة ؛ وكان منه يومئذ دون العشرين .

الخامسة — قال ملاونا : كانت قصة الفيل فيها بدء من معجزات النبي صلى الله  
عليه وسلم ، وإن كانت قبله وقبل التحدي ؛ لأنها كانت توكيدا لأمره وتمهيدا لشأنه .  
ولما تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة ، كان بمكة صد كثير من شهد تلك  
الوقعة ؛ ولهذا قال : « ألم تر » . ولم يكن بمكة أحد إلا وقد رأى قائد الفيل وساقه أعين  
يتكففان الناس . وقالت عائشة رضي الله عنها مع حديثها منها : لقد رأيت قائد الفيل  
وساقه أعين يستطعمان الناس . وقال أبو صالح : رأيت في بيت أم هانئ بنت أبي طالب  
نحواً من قفيزين من تلك الحجارة سوداً مخططة بحمرة .

قوله تعالى : **أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝**

قوله تعالى : ( **أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ** ) أى في إبطال وتضييع ؛ لأهم أروادوا أن  
يكيدوا قريشا بالقتل والسبي ، واليأت بالخراب والمدم . لحكى عن عبد المطلب أنه بعث  
أبنه عبد الله مل فرس له ، ينظر ما لقوا من تلك الطير ، فإذا القوم مشتخين جميعا ، فرجع  
يركض فرسه كالخفا عن نخذه ، فلما رأى ذلك أبوه قال : إن أبى هذا أفرس العرب ،  
وما كشف عن نخذه إلا بشيراً أو نذيراً . فلما دنا من نادهم بحيث يسمعون الصوت قالوا :  
ما وراؤك ؟ قاله : هلكوا جميعا . فخرج عبد المطلب وأصحابه فأخذوا أموالهم . وكانت

أموال بني عبد المطلب منها، وبها تكاملت رياسة عبد المطلب، لأنه احتمل ما شاء من صفراء وبيضاء، ثم خرج أهل مكة بعده فتهبوا . وقيل : إن عبد المطلب خضر حفرتين فلأحدهما من الذهب والجلوهري ، ثم قال لأبي مسعود الثقفي - وكان خيلاً لعبد المطلب - : احترق أيهما شئت . ثم أصاب الناس من أموالهم حتى ضاقوا فَرَوًا فقال عبد المطلب عند ذلك : أنت منعت الحبش والأقبالا <sup>(١)</sup> . وقد رَعَوْا بِمَكَّةَ الْأَجْبَالَا <sup>(٢)</sup> . وقد خَشِينَا مِنْهُمْ الْقَتْلَا . وكلُّ أَمْرٍ لِمَنْ مَضَى لَا شُكْرًا وَحَمْدًا لَكَ يَا جَلَلَا <sup>(٣)</sup> .

قال ابن إسحاق : ولما رَدَّ الله الحبشة عن مَكَّةَ عَظَمَتِ الْعَرَبُ قُرَيْشًا وَقَالُوا : [هم] أهل الله ، قاتل الله عنهم وكفاهم مَثُونَةَ عُلُوِّهِمْ . وقال عبد الله بن عمرو بن غزوم في قصة أصحاب القيل : أنت إِبْلِيسُ رَبَّنَا لَمْ تَذْنِبْ . أنت حسبتَ الْقَيْلَ بِالْمُتَّقِينَ من بعد ما همَ بِبَشَرٍ مُبْلِسٍ . حسبتَ في هَيْبَةِ الْمُرْكُوسِ . وما لهم من قَرْجٍ وَمُتَّقِينَ .

والمركوس : المتكوس المطروح .

قوله تعالى : وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٥٠﴾

قال سعيد بن جبير : كانت طييراً من السماء لم يُرَ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا مِثْلَهَا . وروى جُوَيْرِمٌ عن الضحاك عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما طير بين السماء والأرض تَشْشُشُ وَتُفْرِخُ » . وعن ابن عباس : كانت لها خرطوم تكراطم الطير وأكف كأكف الكلاب . وقال عكرمة : كانت طيراً خضراء ، خرجت من البحر ، لها رموس كرموس السباع ، ولم تُرَ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا بَعْدَهُ . وقالت عائشة رضي الله عنها : هي أشبه شيء بالخطاطيف . وقيل : بل كانت أشباه الوطواط ، حمراء وسوداء . وعن

(١) الحبش : بحركة وسكنت للنمر . (٢) في روح المعاني : «الأحبال» بالخاء . (٣) في روح المعاني : «منهم» بدل «لم» . (٤) كما في نسخ الأمل وغيره من المصادر . (٥) زيادة عن سيرة ابن هشام .

سعيد بن جبير أيضا : هي طير خضر لها مناقير صفر . وقيل : كانت بيضاء . وقال محمد ابن كعب : هي طير سود بحرية ، في مناقيرها وأنفهاها الحجارة . وقيل : إنها السقاء المغرب التي تُضرب بها الأمثال ؛ قال عكرمة : « أبابيل » أي عجمة . وقيل : متابة بعضها في أثر بعض ؛ قاله ابن عباس ومجاهد . وقيل : غنقة متفوقة ، تحي من كل ناحية ، من ها هنا وها هنا ؛ قاله ابن مسعود وابن زيد والأخفش . قال النحاس : وهذه الأقوال متفقة ، وحقيقة المعنى أنها جماعات عظام . يقال : فلان يؤبل على فلان ؛ أي يعظم عليه ويكثر ؛ وهو مشتق من الإبل . وأختلف في واحد أبابيل ؛ قال الجوهري : قال الأخفش يقال : جاءت إبلك أبابيل ؛ أي فرقا . وطير أبابيل . قال : وهذا يعني في معنى التكاثر ، وهو من الجمع الذي لا واحد له . وقال بعضهم : واحد إبل مثل عجول . وقال بعضهم — وهو المبدى — : إبل مثل سكين . قال : ولم أجد العرب تعرف له واحدا في غير الصمحاء . وقيل في واحده إبال . وقال رؤبة بن السباع في الجمع :

وَلَيْتَ طَيْرٌ بِهِمْ أَبَابِيلٌ • قَصِيرُوا مِثْلَ كَهْفٍ مَاكُونُ

وقال الأعشى :

طَرِيقٌ وَجَبَارٌ رِوَاءُ<sup>(١٢)</sup> أَمْرُهُ • عَلَيْهِ أَبَابِيلٌ مِنَ الطَّيْرِ تَنْسُبُ

وقال آخر :

كَادَتْ تَهْدُ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحَتِي • إِذْ سَالَتْ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ<sup>(١٣)</sup>

وقال آخر :

تَرَامَ إِلَى الدَّاعِي سَرَاطَا كَأَنَّهُمْ • أَبَابِيلٌ طِيرَ نَحْتِ دَجَنٍ مَسْحَنٍ<sup>(١٤)</sup>

(١) هي التي أغربت في البلاد فأتت ولم تحس ولم تر . (٢) الجبار من النمل ؛ ما طال وقت إليه  
(٣) الجرد (بالضم كالجرادة) : نخل لا أوجاهة فيها . والجرد — أيضا — : قصر شعر الجلد في الفرس ،  
وهو من الأوصاف المحمودة في الخيل . (٤) كذا في نسخ الأصل ، (بالهاء المحضة والفتحة) . وفي تفسير  
الجبلي : ... تحت دجن مسحر . (بالهاء المحضة والراء) . وقد نسب إلى امرئ القيس ؛ ولم عهد في ديوانه .  
ولعل صوابه : ... تحت دجن مسحر . (بالهاء المحضة والراء) .

قال القزّاء : لا واحد له من لفظه . وزعم الرّياضي - وكان ثقة - أنه سمع في واحدها «إبالة» مشددة . وحكى القزّاء «إبالة» غفقا . قال : سمعت بعض العرب يقول : ضُفْتُ<sup>(١)</sup> على إبالة . يريد خصباً على خصب . قال : ولو قال قائل إيبال كان صواباً ، مثل دينار ودانير . وقال إصحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل : الأبايل مأخوذ من الإبل المؤبلة ، وهي الأفاطيج .

قوله تعالى : **تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ** ①

في الصباح «حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلٍ» قالوا : حجارة من طين طُبِخَتْ بنار جهنم ، مكتوب فيها أسماء القوم ، لقوله تعالى : «لَتُرْمَلَ طِينُ حِجَارَةٍ مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةٍ» . وقال عبد الرحمن ابن أبيزى : «مِنْ سِجِّيلٍ» من السماء ، وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط . وقيل من الجحيم . يعني «سِجِّين» ثم أبدلت اللام نوناً ، كما قالوا في أصِيلَانِ أصِيلِل . قال ابن مُقْبِل :  
• ضَرَبًا تَوَاصَتْ بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِّينًا<sup>(٢)</sup> .

وأما هو سِجِيلًا . وقال الزجاج : «مِنْ سِجِّيلٍ» أي مما كُتِبَ عليهم أن يُعَذَّبُوا به ، مشتق من السجل . وقد مضى القول في سِجِّيلٍ في «هود» مستوف . قال عكرمة : كانت ترميهم بحجارة معها ، فإذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجُدريّ لم يُرَقِّبْ ذلك اليوم . وكان الحجر كالحصاة وفوق العُدسة . وقال ابن عباس : كان الحجر إذا وقع على أحدهم يقطّ جلده فكان ذلك أوّل الجُدريّ . وقراءة العامة «تَرْمِيهِمْ» بالثاء ثَانِيَتْ جماعة الطبر . وقرأ الأمازيغ وطلمة «يَرْمِيهِمْ» بالياء ، أي يرميهم الله ، دليله قوله تعالى : «وَلَيْكِنْ اللَّهُ رَمَى» ويجوز أن يكون راجعاً إلى الطير تلحقها من علامات الثّانِيَتْ ، ولأن ثَانِيَتْها غيرُ حَقِيقٍ .

(١) الغشت : قبة من حشيش خضقة الربط باليابس . والإبالة : الحزمة من الخبث . في فرائد الأقال :

يضرِبُ مَنْ حَكَّ مَكْرَهُهَا ثُمَّ زَادَ عَلَيْهِ . (٢) آية ٢٣ سورة القاريات .

(٣) صدر البيت كما في اللسان : • وَدَجَّةٌ يَضْرِبُونَ لَيْلِيَّ عَنْ مَرَضٍ

(٤) راجع ج ٩ ص ٨١ . (٥) آية ١٧ سورة الأقال .

قوله تعالى : **فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُوِلَ** ﴿١﴾

أي جعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع ، إذا أكلته الدواب فرمت به من أسفل .  
شبهه تقطع أوصالهم بتفريق أجزائه . وروى عنه من ابن زيد وغيره . وقد مضى القول  
في المصنف في سورة « الرحمن » . وما يدل على أنه ورق الزرع قول طقمة :  
تسفي مذائب قد مالت عصيبتها • حذوها من آلي الماء مظلوم<sup>(٢)</sup>  
وقال رؤبة بن السجاج :

ومتهم ما قس أصحاب الفيل • ترميم حجارة من خيول  
ولابت طيرهم أباييل • نصيروا بشل كعصف ما كويل

العصف جمع واحدة عصفة وعصافة وعصيفة . وأدخل الكاف في « كعصف » لتشبيهه  
مع مثل ، نحو قوله تعالى : **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** . ومعنى « ما كويل » ما كويل حبة . كما  
يقال : فلان حسن ، أي حسن وجهه . وقال ابن عباس : « جعلهم كعصف ما كويل »  
أن المراد به قشر البر ، يعني الفلاف الذي تكون فيه حبة القمح . وروى أن الجبر كان يضع  
على أحدهم فيخرج كل ما في جوفه فيبقى كقشر الحنطة إذا خرجت منه الحبة . وقال ابن  
مسعود : لما رمت الطير بالجمرة بث الله ريحا ففطرت الجمرة فزادت شدة ، فكانت لا تقع  
على أحد إلا هلك ، ولم يسلم منهم إلا رجل من كنانة ، فقال :  
فإناك لو رأيت ولم تروه<sup>(٣)</sup> • لدى جنب المفسس ما لقينا

(١) راجع ج ١٧ ص ١٥٦ . (٢) المقاتل : سائل الماء . والعصيفة : الورق المجمع الذي  
يكون فيه السيل . وحذوها : ما انحدر منها والطان . والآل (كنى) : الجذول . والمظلوم : المظلوم .  
(٣) آية ١١ سورة الشورى . (٤) حرقيل بن حبيب : كان في تاريخ الطبري وابن الأثير .  
(٥) في نسخ الأصل : « ولو زانا » وهو تحريف ، لأنه يخاطب امرأة . والآيات كما أوردتها الطبري  
(ص ٩٤٤ قسم أول طبع أرباب) وابن الأثير (ص ١٦٢ طبع أرباب) :

ألا حيث ما ياروتيا • نساكم مع الإصباح ميتا  
أنا قاتل منكم مشاء • فلم يقدروا قبلكم ميتا  
وروتيا لو رأيت ولم تروه • لدى جنب المصعب ما رأيت  
إذا لغزني وحدثت فأب • ولم تأتني على ما قاتلت ميتا  
حدث الله إذ ما يأت طيرا • وغفت جمارة على طيرا  
فكل قهرم يمال من قبل • كانت على عيشان دينا

خَشِيتُ اللَّهَ إِذْ قَدَّبْتُ طَيْراً . وَيُظِلُّ بِحَاجِيَةِ حَرَّتِ عَلَيْنَا  
وَبَاتَتْ كُلُّهَا تَدْعُو بِحَقِّ . كَانَ لَهَا عَلَى الْحِثَّانِ دِينَا

وروى أنها لم تصبهم كلهم ، لكنها أصابت من شاء الله منهم . وقد تقدم أن أميرهم وجم  
وشرفة لطيفة معه ، فلما أخبروا بما رأوا هلكوا . فانه أمل . وقال ابن إسحاق : لما رآه  
الله الحبيشة عن مكة عظمت العرب قريشاً وقالوا : أهل الله فاعل عنهم وكفاهم مؤونة  
مدومهم ؛ فكان ذلك نعمة من الله عليهم .

### تفسير سورة « قريش »

مكية ؛ في قول الجمهور . ومدنية ؛ في قول الضحاك والكوفي  
وهي أربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله نعال : لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ①

قيل : إن هذه السورة متصلةٌ بالتي قبلها في المعنى . يقول : أهلكتم أصحاب القيل  
لإيلاف قريش ؛ أي لتألف ، أو لتتفق قريش ، أو لكي تأمن قريش فتؤلف رحلتها .  
ومن عند السورتين واحدة أتت بن كعب ، ولا فصل بينهما في مصحفه . وقال سفيان بن  
حسين : كان لنا إمام لا يفصل بينهما ويقرأهما معاً . وقال عمرو بن تميم الأودي : صلياً  
المغرب خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ فقرأ في الأولى « والذين والزيتون » وفي الثانية  
« ألم تر كيف » و « لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ » . وقال الفراء : هذه السورة متصلة بالسورة الأولى ؛  
لأنه ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبيشة ؛ ثم قال : « لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ » أي فعلنا  
ذلك بأصحاب القيل نعمة منا على قريش . وذلك أن قريشاً كانت تخرج في تجارتها ، فلا ينار  
طيا ولا تقرب في الجاهلية . يقولون : هم أهل بيت الله جبل وعز ؛ حتى جاء صاحب القيل  
(١) الذي في كتاب الفراء : « قال بعضهم كانت موصولة بـ « ألم تر كيف فعل ربك » الخ .

ليهدم الكعبة، ويأخذ مجارتها فيبنى بها بيتاً في اليمن يجمع الناس إليه، فأهلكهم الله من وجل،  
فذكرهم نعمته . أى بفعل الله ذلك لإيلاف قريش، أى ليألفوا الخروج ولا يهتأ عليهم،  
وهو معنى قول مجاهد وابن عباس في رواية سعيد بن جبير عنه . ذكره النحاس : حدثنا أحمد  
ابن حبيب قال أخبرني عمرو بن علي قال حدثني عامر بن إبراهيم — وكان ثقة من خيار  
الناس — قال حدثني خطاب بن جعفر بن أبي المنيرة قال حدثني أبي عن سعيد بن جبير عن  
ابن عباس في قوله تعالى : « لإِيلَافِ قُرَيْشٍ » قال : نمتق على قريش لإيلافهم رحلة الشتاء  
والصيف . قال : كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف . وصل هذا القول بحوز الوقف  
على ربوس الآي وإن لم يكن الكلام تاماً على ما نينه أثناء السورة . وقيل : ليست  
بمتصلة ؛ لأن بين السورتين « بسم الله الرحمن الرحيم » وذلك دليل على اقتضاء السورة  
وانتساح الأخرى ، وأن اللام متعلقة بقوله تعالى : « فَلْيَعْبُدُوا » أى فليعبدوا هؤلاء رب  
هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف للامتنان<sup>(١)</sup> . وكذا قال الخليل : ليست متصلة ؛  
كأنه قال : آلف الله قريشاً لإيلافاً فليعبدوا رب هذا البيت . وعمل ما بعد الفاء فيها قبلها  
لأنها زائدة غير عاطفة ؛ كقولك : زيداً فأضرب . وقيل : اللام في قوله تعالى  
« لإِيلَافِ قُرَيْشٍ » لام التعجب ؛ أى اعجبوا لإيلاف قريش ؛ قاله الكسائي والأخفش .  
وقيل : بمعنى إلى . وقرأ ابن عامر : « لإِلَافٍ قريش » مهموزاً مخفصاً بلا ياء . وقرأ  
أبو جعفر والأعرج « ليلاف » بلا همز طلباً لثقة . الباقون « لإيلاف » بالياء مهموزاً  
مُشَبَّهاً من آلفت أولف إيلافاً . قال الشاعر :

الْمُنْعِمِينَ إِذَا التَّجُومُ تَغَيَّرَتْ • وَالطَّاعِينَ لِرَحْلَةِ الْإِيْلَافِ

ويقال : ألفتها إلقا وإلقا . وقرأ أبو جعفر أيضاً : « لإلف قريش » وقد جمعهما من قال :

زَعَمْتَ أَنْ إِخْوَتَكَ قُرَيْشٌ • لَمْ يَلْفَ وَلَيْسَ لَكُمْ إِيْلَافٌ

قال الجوهري : وفلان قد إلف هذا الموضع ( بالكسر ) يألفه إلقا ، وألفه إياء غيره .  
ويقال أيضاً : آلفت الموضع أولفه إيلافاً . وكذلك آلفت الموضع أولافه مؤالفة وإلافاً ؛

(١) أى بطلب السلام .

(٢) كذا في نسخ الأصل بالرفع على الخبر . وفي اللسان وشرح القاموس : « قريشاً » بالنصب على الجدل .

فصار صورة أقمل وفاعل في الماضي واحدة . وقرأ عكرمة « لَبَّالَف » بفتح اللام على الأمر . وكذلك هو في مصحف ابن مسعود . وفتح لام الأمر لئلا يحكماه ابن مجاهد وغيره . وكان عكرمة يبيب على من يقرأ « لإيلاف » . وقرأ بعض أهل مكة « إلاف قريش » وأستشهد بقول أبي طالب يوصي أخاه أبا لهب برسول الله صلى الله عليه وسلم :

فلا تتركه ما حيت لمعظم • وكن رجلا ذا نجدة وعفاف

تذود البدا عن عصبة هاشمية • إلا أنهم في الناس خير إلاف

وأما قريش فهم بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر . فكل من كان من ولد النضر فهو قُرَيشي دون بن كنانة ومن فوقه . وربما قالوا : قُرَيشي ، وهو القياس ؛ قال الشاعر :

• بكل قُرَيشي عليه مهابة <sup>(١)</sup>

فإن أردت بقریش الحى صرفته ، وإن أردت به القبيلة لم تصرفه ؛ قال الشاعر :

• وكفى قُرَيش المضلات <sup>(٢)</sup> وسادها •

والنضرى الاكتساب ، وتقرشوا أى جمعوا . وقد كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قُصَيُّ ابن كلاب في الحرم ، حتى اتخذوه مسكنا . قال الشاعر :

أبونا قُصَيٌّ كان يدعى بجُمَا • به جمع الله القبائل من فهر

وقد قيل : إن قريشا بنو فهر بن مالك بن النضر . فكل من لم يلد فهر فليس بقريشي . والأشمل أصح وأثبت . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا ولد النضر ابن كنانة لا تفقوا أمّا ولا تفتني من أيننا » . وقال وأخيه بن الأَسقع : قال النبي صلى الله

(١) تسمية : • سرج إلى داعى الندى والكرم •

(٢) هذا مجزئ لدى بن الزئاع يدح الوليد بن عبد الملك - وصدره كافي اللسان :

• نطّب المسابح لوليد سباحة •

(٣) هذا فلان فلانا ؛ إذا قلنا بما ليس فيه ، أى لا تبها ولا تقلها ، وقيل : سناه لاترك النسب إلى الأبا .

ونسب إلى الأمهات •

عليه وسلم : « إن الله أعطني نكّانة من ولد إسماعيل وأعطني من بني نكّانة قريشاً وأعطني من قريش بنى هاشم وأعطاني من بنى هاشم » . صحيح ثابت نزجه البخاري ومسلم وغيرهما . وأختلف في تسميتهم قريشاً على أقوال : أحدها - لتجمعهم بعد التفرق . والتفرش : التجمع والالتئام . قال أبو خلفة البشكري :

إخوة قريشوا الذنوب علينا \* في حديث من دهرهم وقديم

الثاني - لأنهم كانوا تجاراً ياكلون من مكاسبهم . والتفرش : التكتب . وقد قرش يقرش قرشاً إذا كسب وجمع . قال الفراء : وبه تسميت قريش . الثالث - لأنهم كانوا يفتشون الحاج من ذى الخلعة فيستولون خنقه . والتفرش التفتيش ؛ قال الشاعر :

أيها الشامت المفرش هنا \* عند عمرو فهل له إبقاء<sup>(١)</sup>

الرابع - ما روى أن معاوية سأل ابن عباس لم تسميت قريش قريشاً ؟ فقال : لأنها في البحر من أقوى دوابه يقال لها القرش ؛ تأكل ولا تؤكل ، وتلو ولا تمل . وأنشد قول نبيج :

وقريش هي التي تسكن البحر \* ربها تسميت قريش قريشاً

تأكل الرث والسمين ولا تر \* ترك فيها لدى جناحين ريشاً

هكذا في البلاد حتى قريش \* ياكلون البلاد أكلا كيشاً<sup>(٢)</sup>

ولهم آخر الزمان نبي \* يكثر القتل فيهم وانموشاً<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى : **إِلْعَافِهِمْ رِحْلَةَ الِئْتِئَاءِ وَالْصَّيْفِ** ٢١

قرأ مجاهد ومحمد « إلفهم » ساكنة اللام بنيرياء . وروى نحوه عن ابن كثير . وكذلك روت أسماء أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ « إلفهم » . وروى عن ابن عباس

(١) الحاج (بالفتح) : جمع حاجة . والئعة (بالفتح) : الحاجة والفقير .

(٢) البيت لخارث بن حزة البشكري في مقلته . ورواه كافي شرح المحققات :

أيها الناطق المرتش هنا \* عند عمرو وهل لك بقاء .

قال البرزلي : « المرتش المزن القول بالباطل ليقيل منه الملك بالحق . ويقال إنه يخاطب بها عمرو بن كلثوم .

ومعنى « وهل لك بقاء » : إن الباطل لا يبق . وهل هذه الرواية لا شاهد فيه . (٢) أي سرياً .

(٤) الخمرش : (جمع الخمش) وهو مثل الخدش يكون في البدن والوجه .

وغيره . وقرا أبو جعفر والوليد عن أهل الشام وأبو حيوة « الإلفهم » مهموزا مُخَسَّما بلا ياء .  
 وقرأ أبو بكر عن حاتم « إلفانهم » بهزتين ، الأولى مكسورة والثانية ساكنة . والجمع بين  
 الهمزتين في الكلمتين شاذ . الباقون « إلفانهم » بالمد والهمز ؛ وهو الاختيار ، وهو يدل من  
 الإلف الأول لليان . وهو مصدر آلف إذا جعلته يالف . وإلف هو إلفا ، على ما تقدم  
 ذكره من القراءة ؛ أي وما قد ألفوه من رحلة الشتاء والصيف . روى ابن أبي نجيع عن  
 مجاهد في قوله تعالى : « إلفانهم رحلة الشتاء والصيف » قال : لا يشق عليهم رحلة شتاء  
 ولا صيف منه على قريش . وقال المروئي وغيره : وكان أصحاب الإلف أربعة إخوة :  
 هاتم وعبد شمس والمطلب ونوفل ، بنو عبد مناف . فاما هاتم فإنه كان يؤلف ملك الشام ؛  
 أي أخذ منه جبلا وصعدا يأمن به في تجارته إلى الشام . وأخوه عبد شمس كان يؤلف إلى  
 الحبشة . والمطلب إلى اليمن . ونوفل إلى فارس . ومعنى يؤلف يعير . فكان هؤلاء الإخوة  
 يُسمَّون المغيرين . فكان تجار قريش ينظفون إلى الأمصار يحمل هؤلاء الإخوة فلا يتعرض  
 لهم . قال الأزهري : الإلف شبه الإجارة باللفارة <sup>(١)</sup> ؛ يقال : آلف يؤلف إذا أجار  
 الحائل باللفارة . والحائل جمع حَمُولَة <sup>(٢)</sup> . قال : والتأويل أن قريشا كانوا سكان الحرم ولم يكن  
 لهم ذرع ولا ضرع ، وكانوا يعمرون في الشتاء والصيف آمين والناس ينظفون من حولهم ،  
 فكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا : نحن أهل حرم الله ، فلا يتعرض الناس لهم . وذكر  
 أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا في تفسيره : حدثنا سعيد بن محمد بن بكر بن سهل  
 الديلمطي بإسناده إلى ابن عباس في قول الله عز وجل : « إلفانهم قريش » إلفهم رحلة  
 الشتاء والصيف . وذلك أن قريشا كانوا إذا أصابت واحدا منهم بحمصة <sup>(٣)</sup> جرى هو وعياله إلى  
 موضع معروف ، فضربوا على أنفسهم خباء فأتوا ، حتى كان عمرو بن عبد مناف وكان سيدنا

(١) في مفسر نسح الأصل « الإجارة واللفارة » ولم نجد هذا في كتاب التلبيح للأزهري ولا في غيره من  
 كتب اللغة . والإجارة : الإفاضة والحماية . واللفارة ( ملة انعام ) : الأمان .

(٢) الحمولة (بالفتح) : الإبل التي تحمل .

(٣) الحمصة : الهبة .

في زمانه ، وله ابن يقال له : أسد ، وكان له رب من بني غزوم يحبه ويحب معه . فقال له : نحن غداً ننتصر . قال ابن فارس : هذه لفظة في هذا الخبر لا أدرى بالذلل هي أم بالراء ؛ فإن كانت بالراء فلعلها من المفرد وهو التراب ، وإن كانت بالذلل فإحدى أدرى معناها ، وتأويله على ما أظنه : ذهابهم إلى ذلك الخيل وموتهم واحداً بعد واحد . قال : فدخل أسد على أمه يبيكي ، وذكر ما قاله ربه . قال : فأرسلت أم أسد إلى أولئك بشعم ودقيق فعاشوا به أياماً . ثم إن ربه أتاه أيضاً فقال : نحن غداً ننتصر ، فدخل أسد على أبيه يبيكي ، وخبره خبر ربه ، فاشتد ذلك على عمرو بن عبد مناف ، فقام خطيباً في قريش وكانوا يطعمون أمره ، فقال : إنكم أعددتم حداثاً تقتلون فيه وتكثر العرب ، وتذلون وتجزع العرب ، وأتم أهل حرم الله جل وعز ، وأشرق ولید آدم ، والناس لكم تبع ، ويكاد هذا الاعتقار يأتي عليكم . فقالوا : نحن لك تبع . قال : ابتدئوا بهذا الرجل — يعني أبا ربه أسد — فأغضوه عن الاعتقار ، ففعلوا . ثم إنه نحر البدن وذبح الكباش والميز ، ثم هشم الثريد وأطعم الناس ، فسُئِلَ هاشمًا ، وفيه قال الشاعر :

عَسِرُوا الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ • وَرَجُلًا مَكَّةَ مُسْتَبُونَ بِحِشَافٍ<sup>(١)</sup>

ثم جمع كل بني أب على رحلتين ، في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام للتجارات ، فما ربح النصف قسمه بينه وبين الفقير حتى صار فقيرهم كغنيهم ، بغناه الإسلام وهم على هذا ، فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالاً ولا أعز من قريش ، وهو قول شاعرهم :

وَالْخَالِطُونَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ • حَتَّى يَصِيرَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِ

فلم يزالوا كذلك حتى بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم فقال : « فليجهدوا ربَّ هذا آيَاتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ » بصنيع هاشم « وَأَمْسَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » أن تكثر العرب ويقلوا .

(١) التزب (بالكسر) : الله والسن ومن ولدك . (٢) في اللسان مادة عذ : « الاعتقاد أن

ينطق الرجل بأبيه على نفسه فلا يزال أحداً حتى يموت بجوع » . (٣) في اللسان : « عمره اللا ... » .

(٤) مستخون : أي أمأتهم الله . والعة : الجلب والتمط .

قوله تعالى : ( **رَحَلَتِ الشَّيْءَ وَالصَّيْفُ** ) « **رَحَلَتِ** » نصب بالمصدر؛ أى أرعاهم **رَحَلَتِ** ، أو بوقوع « **إِلا فمهم** » عليه أو على الظرف . ولو جعلتها في محل الرفع على معنى هما **رَحَلَتِ** الشتاء والصيف لحاز . والأول أولى . والرحلة الأرجح . وكانت إحدى الرحلتين إلى اليمن في الشتاء لأنها بلاد حامية ، والرحلة الأخرى في الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة . وعن ابن عباس أيضا قال : كانوا يستون بمكة لعلها يصيغون بالطائف لموائها . وهذه من أجل النعم أن يكون للقوم ناحية حُرِّدَ عليهم برد الشتاء ، وناحية بُرِّدَ عنهم حر الصيف ؛ فذكرهم الله تعالى هذه النعمة . وقال الشاعر :

تُسَيِّ بِمَكَّةَ نَمَّةً \* وَمَصِيغَهَا بِالطَّائِفِ

وهنا أربع مسائل :

الأولى - اختار القاضي أبو بكر بن السريّ وغيره من العلماء أن قوله تعالى : **وَإِلَّا فَمُهم** ، متعلق بما قبله . ولا يجوز أن يكون متعلقا بما بعده ، وهو قوله تعالى : « **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ** » قال : وإذا ثبت أنه متعلق بالسورة الأخرى - وقد قُطِعَ عنه بكلام مبتدأ واستئناف بيان وسطر بسم الله الرحمن الرحيم - فقد تبين جواز الوقف في القراءة (١) للقراء قبل تمام الكلام ، وليست المواقف التي يتخرج بها القراء شرعا عن النبي صلى الله عليه وسلم مرويا ، وإنما أرادوا به تعليم الطلبة المعاني ، فلذا يلبسوها وقفوا حيث شاءوا . فأما الوقف عند انقطاع النفس فلا خلاف فيه ، ولا يُعَدُّ ما قبله إذا امتزك ذلك ، ولكن أبدا من حيث وقف بك نفسك . هذا رأي فيه ، ولا دليل على ما قالوه بحال ، ولكني أحتد الوقف على تمام كراهية الخروج عنهم .

قلت : ومن الدليل على صحة هذا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم « **وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** » ثم يقف . « **الرحمن الرحيم** » ثم يقف . وقد مضى في مقدمة الكتاب . وأجمع المسابون أن

(١) في ابن العربي : « في القرآن » . (٢) في ابن العربي : « خزع » .

(٣) راجع ج ١ ص ١٠ طبة ثانية أو ثالثة .

الوقف عند قوله : « كَتَبْتُ مَا كُتِلَ » ليس بقيح . وكيف يقال إنه قيح وهذه السورة تُقرأ في الركة الأولى والتي بعدها في الركة الثانية ، فينخلها مع قطع القراءة أركان . وليس أحد من العلماء يكره ذلك ، وما كانت اللجة فيه إلا أن قوله تعالى : « بِحُطْمِهِمْ كَتَبْتُ مَا كُتِلَ » انتهاء آية . فالقياس على ذلك ألا يمتنع الوقف عند إعجاز الآيات سواء كان الكلام يتم والترض يتهيأ ، أو لا يتم ولا يتهيأ . وأيضا فإن الفواصل حلية وزينة للكلام المنظوم ، ولولاها لم يبين المنظوم من المثور . ولا خفاء أن الكلام المنظوم أحسن ، فثبت بذلك أن الفواصل من محاسن الكلام المنظوم ، فمن أظهر فواصله بالوقوف عليها فقد أبدى محاسنه ، وترك الوقوف يُخفي تلك المحاسن ويُشبه المثور بالمنظوم ؛ وذلك إخلال بحق المقروء .

الثانية — قال مالك : الشتاء نصف السنة والصيف نصفها ، ولم أزل أرى ربيعة ابن أبي عبد الرحمن ومن معه لا يحطون عمائمهم حتى تَطْلُعُ الثَّريا ، وهو يوم التاسع عشر من بشنس ، وهو يوم خمسة وعشرين من صدد الروم أو الفرس . وأراد بطلوع الثريا أن يخرج السعاة ويسير الناس بمواشيهم إلى مياعهم ، وأن طلوع الثريا أول الصيف ودُبر الشتاء . وهذا مما لا خلاف فيه بين أصحابه عنه . وقال عنه أشهب وحده : إذا سقطت الحَقْمَةُ قص الليل ، فلما جمل طلوع الثريا أول الصيف وجب أن يكون له في مطلق السنة ستة أشهر ، ثم يستقبل الشتاء من بعد ذهاب الصيف ستة أشهر . وقد سئل محمد بن عبد الحكم عن حلف ألا يكلم أسرا حتى يدخل الشتاء ؟ فقال : لا يكلمه حتى يمضي سبعة عشر من هاتور ، ولو قال : حتى يدخل الصيف ؛ لم يكلمه حتى يمضي سبعة عشر من بشنس . قال القوطي : أما ذكر هذا عن محمد في بشنس فهو سهو ، إنما هو تسعة عشر من بشنس ؛ لأنك إذا حسبت المنازل

- (١) هروية الرأي ، أدرك بعض أصحاب النبي صل الله عليه وسلم والأكارين الثامنين ، وكان صاحب الهوى بالمدية ، وعنه أخذ مالك بن أنس وغيره . توفي سنة ١٢٦ هـ . (٢) كذا في الأصول وأبى الهري . (٣) كذا في أبى الهري . وفي نسخ الأصل : « وأرى » . (٤) في أبى الهري : « قيل الصيف » . (٥) اللجمة : ثلاثة كواكب تيرة قريب بعضها من بعض فوق مكتب الجوزاء ، وهي منزل من منازل القمر .

على ما هي عليه من ثلاث عشرة ليلة كل مقالة ، حلت أن ما بين تسع عشرة من هامود  
لا تنقضي منازلها إلا بدخول تسع عشرة من بشنس . والله أعلم

الثالثة - قال قوم : الزمان أربعة أقسام : شتاء ، وريبع ، وصيف ، وتحريف . وقال  
قوم : هو شتاء وصيف وقيظ وتحريف . والذي قاله مالك أحسن ، لأن الله قسم الزمان قسمين<sup>(١)</sup>  
ولم يجعل لها ثالثا .

الرابعة - لما آمن الله تعالى على قريش برحمتين ، شتاء وصيفا ، على ما تقدم ، كان فيه  
دليل على جواز تصرف الرجل في الزمانين بين عليين ، يكون حالها في كل زمان أنعم من  
الآخر كابلوس في المجلس البحري في الصيف وفي الليل في الشتاء ، وفي اتخاذ البادعجات<sup>(٢)</sup>  
والخيش للبريد ، واللبد واليانوسة للقف .

### قوله تعالى : فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾

أمرهم الله تعالى بعبادته وتوحيده لأجل إيمانهم رحمتين . ودخلت القاء لأجل  
ما في الكلام من معنى الشرط ، لأن المعنى إنما لا فليعبدوه لإيمانهم ؛ على معنى أن يسم الله  
تعالى طبعهم لا تحصى ؛ فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لشأن هذه الواحدة التي هي نعمة  
ظاهرة . والبيت : الكعبة . وفي تعريف نفسه لم بأنه رب هذا البيت وجهان : أحدهما -  
لأنه كانت لم أوثان فيز نفسه عنها . الثاني - لأنهم بالبيت شرفوا على سائر العرب ؛  
فذكر لهم ذلك تذكيرا لنعمته . وقيل : « فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ » أي يأتوا عبادة رب  
الكعبة كما كانوا يأتون الرحلتين . قال عكرمة : كانت قريش قد ألفوا رحلة إلى بصرى

(١) في الأصول : « لأن نعمة الله الزمان قسمين ، ولم يجعل لها ثالثا » وهي غير مستقيمة . وفي ابن العربي :  
« لأجل نعمة الله الزمان قسمين ... الخ » .

(٢) في كتاب شفاء العليل للكتاب المنلاحي : « البادع هج » صوب بادعون أراد كبر ، وهو الخفة التي  
يجي ، منه الرج .

(٣) في ابن العربي : « البانوس » . ولم يحدد المهاجم هذه المسألة .

ورحلة إلى اليمن ، ف قيل لهم : « فَلْيَجِدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ » أى يقيموا بمكة رحلة الشتاء إلى اليمن ، والصيف إلى الشام .

قوله تعالى : الَّذِينَ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿١﴾

قوله تعالى : ( الَّذِينَ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ) أى بعد جوع . ( وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ) قال ابن عباس : وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال : « رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ » . وقال ابن زيد : كانت العرب يغير بعضها على بعض ويبنى بعضها من بعض ، فآمنت قريش من ذلك لمكان الحرم — وفرا — « أَوَلَمْ تَمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُحْيِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ » . وقيل : شق عليهم السفر في الشتاء والصيف ، فأتى الله في قلوب الحبشة أن يحملوا إليهم طعاماً في السفن فحملوه ؛ تخافت قريش منهم ، وظنوا أنهم قديموا لحريمهم ، فخرجوا إليهم متحزين فإذا هم قد جلبوا إليهم الطعام وأغاثوهم بالأكوات ؛ فكان أهل مكة يخرجون إلى جملة بالإنيل والخمر ، فيشترون الطعام على سمية ليلتين . وقيل : هذا الإطعام هو أنهم لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دنا عليهم فقال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سَيْنًا كَيْفِي يَوْسَفَ » فاشتد القحط فقالوا : يا محمد أدع الله لنا فإننا مؤمنون . فلما لاخصبت تبالة وبرحش من بلاد اليمن ؛ حملوا الطعام إلى مكة وأغصب أهلها . وقال الضحاك والربيع وشريك وسفيان : « وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » أى من خوف الجذام ، لا يسهبهم بيلهم الجذام . وقال الأعمش : « وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » أى من خوف الحبشة مع الفيل . وقال علي رضي الله عنه : وآمنهم من [ خوف ] أن تكون الخلقة إلا فيهم . وقيل : أى كفاهم أخذ الإيلاف من الملوكة . والله أعلم واللفظ يم .

(١) يريد : يقيموا بمكة ويتركوا الرحلة ... الخ .

(٢) آية ١٢٦ سورة البقرة .

(٣) آية ٥٧ سورة القصص .

(٤) النكبة عن تفسير الخطيب .

## تفسير سورة «الماعون»

وهي مكية؛ في قول عطاء وجابر وأحد قولي ابن عباس . ومدينة؛ في قول له آخر ، وهو قول قتادة . وهي سبع آيات .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ① فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ② وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ③ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرْءَاوْنَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦

فيه ست مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ( أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ) أي بالجزاء والحساب في الآخرة ؛ وقد جُمِعَ في « الفاتحة » . و « أَرَأَيْتَ » بإثبات الهمزة الثانية ؛ إذ لا يقال في أَرَأَيْتَ : رَأَيْتَ ، ولكن ألف الاستفهام سهلت الهمزة ألفا ؛ ذكره الزجاج . وفي الكلام حذف ؛ والمعنى : أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْتَبُ بِالْدِّينِ أَمِ غَطَى . واختُلفَ فيمن نزل هذا فيه ؛ فذكر أبو صالح عن ابن عباس قال : نزلت في العاص بن وائل السهمي ؛ وقاله الكلبي ومقاتل . وروى الضحاك عنه قال : نزلت في رجل من المنافقين . وقال السدي : نزلت في الوليد بن المغيرة . وقيل في أبي جهل . الضحاك : في عمرو بن مائد . قال ابن جرير : نزلت في أبي سفيان ، وكان يهرق في كل أسبوع جزوا ، فطلب منه يتم شيئا فقرعه بعصاه ؛ فأنزل الله هذه السورة . و ( يَدْعُ ) أي يندفع ، كما قال : « يُدْعُونَ إِلَى تَارِجِهِمْ دَعَا » وقد

تقدم . وقال الضحاك عن ابن عباس : « قَدْ لَكَ الَّذِي يَدْعُ الرِّقْمَ » أى يذمّه من حقه .  
ثالثة : يجهره ويظلمه . والمعنى متقارب . وقد تقدم فى سورة « النساء » أنهم كانوا  
لَا يُؤْثِرُونَ النساء ولا الصغار ويقولون : إنما يجوز المال من يلعن بالستان ويضرب  
بالحسام . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ ضَمَّ قِيًّا مِنْ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى  
يَسْتَفْنَى فَقَدْ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » . وقد مضى هذا المعنى فى غير موضع .

الثانية — قوله تعالى : ( وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ) أى لا يأمر به من أجل  
بخله وتكثيره بالجلاء . وهو مثل قوله تعالى فى سورة الحاقة : « وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ  
الْمُسْكِينِ » وقد تقدم . وليس الهم عاتقا حتى يتناول مَنْ تركه عجزا ، ولكنهم كانوا يظنون  
ويستدرون لأنفسهم ويقولون : « أَنْظِمُ مَنْ لَوْ رِئَاءُ اللَّهِ أُطْعِمَهُ » فزلت هذه الآية فيهم ،  
وَوَجَّهَ الهم إليهم . فيكون معنى الكلام : لا يضلونه إن قدروا ، ولا يحشون طبعه إن صيروا .

الثالثة — قوله تعالى : ( قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ) أى عذاب لهم . وقد تقدم فى غير  
موضع . ( الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ) فروى الضحاك عن ابن عباس قال : هو للمصلّى  
الذى إن صلّى لم يرج لها نوابا ، وإن تركها لم يحش عليها عقابا . وعنه أيضا : الذين يؤخرونها  
عن أوقاتها . وكذا روى المنيرة عن إبراهيم قال : ساهون بإضاعة الوقت . وعن أبى العالية :  
لا يصلونها لمواقيتها ، ولا يخدمون ركوعها ولا سجودها .

قلت : ويدل على هذا قوله تعالى : « خَلَفَ مِنْ بَيْنِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ » حسب  
ما تقدم بيانه فى سورة « مريم » عليها السلام . وروى عن إبراهيم أيضا : أنه الذى إذا سجد  
قام برأسه هكذا ملتفتا . وقال قطرب : هو ألا يقرأ ولا يذكرك الله . وفى قراءة عبد الله « الَّذِينَ  
هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ لَاهُونَ » . وقال سعد بن أبى وقاص قال النبي صلى الله عليه وسلم [ فى قوله ] :

- |                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| (١) راجع ج ٥ ص ٤٦            | (٢) راجع ج ٢ ص ١٤ طبع ثانية . |
| (٣) آية ٣٤ راجع ج ١٨ ص ٢٧٢   | (٤) آية ٤٧ سورة يس .          |
| (٥) راجع ج ٢ ص ٧ طبع ثانية . | (٦) راجع ج ١١ ص ١٢١           |

« قَوْلِ الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ » - قال - « الذين يؤثرون الصلاة عن وقتها تارة تارة بها ». وعن ابن عباس أيضا : هم المنافقون يتركون الصلاة سرا ويصنعونها علانية « وَإِنَّا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى <sup>(١)</sup> » الآية . ويدل على أنها في المنافقين قوله : « الَّذِينَ هُمْ يُرَاوُونَ » وقاله ابن وهب عن مالك . قال ابن عباس : ولو قال في صلاتهم ساهون لكانت في المؤمنين . وقال عطاء : الحمد لله الذي قال « عَنْ صَلَاتِهِمْ » ولم يقل في صلاتهم ؟ قال الزَّعْتَرِيُّ : فإن قلت : أى فرق بين قوله : « عَنْ صَلَاتِهِمْ » وبين قولك : في صلاتهم ؟ قلت : معنى « عن » أنهم ساهون عنها سهوا ترك لما وقلة التفات إليها ، وذلك فضل المنافقين أو الفسقة الشُّطَار من المسلمين <sup>(٢)</sup> . ومعنى « في » أن السهو يمتزجهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس ، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ؛ وبين ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم . قال ابن العربي : لأن السلامة من السهو محال ، وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته والعبادة . وكل من لا يسهو في صلاته فذلك رجل لا يتدبرها ولا يقل قراتها ، وإنما همه في إصداها ؛ وهذا رجل يأكل القشور ويرى القلب . وما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته إلا لفكرته في أعظم منها ؛ اللهم إلا أنه قد يسهو في صلاته من يقبل على وسواس الشيطان إذا قال له : اذكر كذا ، اذكر كذا ؛ لما لم يكن يذكر حتى يضل الرجل أن يدرى كم ضل .

الرابعة - قوله تعالى : ( الَّذِينَ هُمْ يُرَاوُونَ ) أى يرى الناس أنه يصلى طاعة وهو يصلى تقية ؛ كالفاسق يرى أنه يصلى عبادة وهو يصلى ليقال : إنه يصلى . وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة ، وأصله طلب للمتلة في قلوب الناس . وأولها تحسين السمعة وهو من أجزاء النبوة ، ويريد بذلك الجلاء والنقاء . وثانها - الرياء بالتياب القصار والخسنة ؛ ليأخذ بذلك حيلة

(١) آية ١٤٢ سورة النساء . (٢) في نسخة من الأصل : « للشواطين » . والشطار : جمع شاطر وهو الذى ترك مرافقة أهله وأعيام قوما وغيبا .

الزهد في الدنيا . وثالثها - الرياء بالقول بإظهار التمسّخ على أهل الدنيا ؛ وإظهار الوعظ والتأسف على ما يفوت من الخير والطاعة . ورابعها - الرياء بإظهار الصلاة والصدقة ، أو تصحيح الصلاة لأجل رؤية الناس ؛ وذلك يطول وهذا دليله ؛ قاله ابن العربي .

قلت : قد تقدم في سورة « النساء » وهود وآخر الكهف « القول في الرياء وأحكامه وحقيقته بما فيه كفاية » والحمد لله .

الخامسة - ولا يكون الرجل مرئياً بإظهار العمل الصالح إن كان لفريضة ؛ فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها ، لقوله عليه السلام : « <sup>(١)</sup> ولا تخف في فرائض الله » لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين ، ولأن تاركها يستحق الذم والمقت ؛ فوجب إمامة التهمة بالإظهار . وإن كان تطوعاً لحقه أن يخفى ؛ لأنه لا يلام بتركه ولا تهمة فيه ؛ فإن أظهره قاصداً للاقتداء به كان جبلاً . وإنا الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين فتفتي عليه بالصلاح . وعن بعضهم أنه رأى رجلاً في المسجد قد مجّد عبادة الشكر فأطاعها ؛ فقال : ما أحسن هذا لو كان في بيتك . وإنا قال هذا لأنه توسّم فيه الرياء والسمة . وقد مضى هذا المعنى في سورة « البقرة » عند قوله تعالى : « <sup>(٢)</sup> إِنَّ تُبَدُّوا الصَّلَاتِ » وفي غير موضع . والحمد لله على ذلك .

السادسة - قوله تعالى : « <sup>(٣)</sup> وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » فيه اثنا عشر قولاً : الأول - أنه زكاة أموالهم . كما رأى الضحاك عن ابن عباس . وروى عن علي رضي الله عنه مثل ذلك ، وقاله مالك . والمراد به المنافع يمنحها . وقد روى أبو عمرو بن عبد العزيز عن مالك قال : بلغني أن قول الله تعالى : « <sup>(٤)</sup> قَوْلِيلٌ لِّلْمَصْبِيِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ . وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » قال : إن المنافع إذا صلت صلت رياءً ، وإن فاته لم يتدبّر عليها « <sup>(٥)</sup> وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » الزكاة التي فرض الله عليهم . قل زيد بن أسلم : لو خفيت لهم الصلاة كما خفيت لهم الزكاة ما صلّوا . القول الثاني - أن « الماعون » المال بلسان

(١) راجع ج ٥ ص ١٨١ وج ٩ ص ١٢ وج ١١ ص ٧٠ (٢) أي لا تستر ولا تخفى فرائضه  
ورأينا تظهر وتبان ويظهرها . (٣) راجع ج ٢ ص ٢٢٢ (٤) أي يضيئ نسخ الأصل : « أي برع »  
ولي بعضها : « أي برع » . ولي ابن العرب : « أي يكره عبد العزيز » .

قريش؛ قاله ابن شهاب وسعيد بن المسيب، وقول ثالث - أنه أُمّ جامع لمنافع البيت كالفاس والقدر والنار وما أشبه ذلك؛ قاله ابن مسعود؛ وروى عن ابن عباس أيضا، قال الأعشى:

وَأَجُودَ مِنْهُ بِمَاعُونِهِ • إِذَا مَا سَمَّوْهُمْ لَمْ تَتَّيَمِ

الرابع - ذكر الزجاج وأبو عبيد والمبرد أن الماعون في الجاهلية كل ما فيه منفعة، حتى الفاس والقدر والدلو والقداحة، وكل ما فيه منفعة من قليل وكثير؛ وأشدوا بيت الأعشى . قالوا : والماعون في الإسلام الطاعة والزكاة؛ وأشدوا قول الرازي :

أَخْلَفَ الرَّحْمَنُ إِنَّا مَعْتَرُ • حُفَاءُ تَسْجُدُ بَرَّةً وَأَصِيلَا

حُرْبٌ تَرَى فِيهِ مِنْ أَمْوَالِنَا • حَقَّ الزَّكَاةُ مُتَقَلًا تَزِيلَا

قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ لَمَّا يَمْتَحُوا • مَا حُوتِهِمْ وَيُضِيْعُوا التَّهْلِيلَا<sup>(١)</sup>

بني الزكاة . الخامس - أنه العارية؛ وروى عن ابن عباس أيضا . السادس - أنه المعروف كله الذي يتماطاه الناس فيما بينهم؛ قاله محمد بن كعب والكلبي . السابع - أنه الماء والكلأ . الثامن - الماء وحده . قال الفراء : تيمت بعض العرب يقول :

الماعون الماء؛ وأشدنى فيه :

يَمِجُ صَيِّرُهُ الْمَاعُونَ صَبًّا •

الصغير السحاب . التاسع - أنه منع الحق؛ قاله جند الله بن عمرو . العاشر - أنه المُستَغْنَى من منافع الأموال؛ مأخوذ من المَعْن وهو القليل؛ حكاه الطبري وابن عباس . قال قُطْرُبُ : أصل الماعون من القلة . والمعْن : الشيء القليل؛ قول العرب : ماله سَعْنَةٌ<sup>(٢)</sup> ولا مَعْنَةٌ ؛ أى شيء قليل . فسمى الله تعالى الزكاة والصدقة وبحرهما من المعروف ماعونا؛ لأنه قليل من كثير . ومن الناس من قال : الماعون أصله مَعُونَةٌ ، والألف عوض من .

الهاء؛ حكاه الجوهري . ابن العربي : الماعون مفعول من أمان يُعين ، والمون هو الإمداد

(١) في السان :

قوم على التزويل لما يمتحوا • ماعونهم ويدلوا التزِيلَا

(٢) كذا في بعض نسخ الأصل . وفي بعضها الآخر : « حكاه الطبري وابن عباس » .

(٣) هذا مثل يضرب لمن لا مال له . واليمن : الكثير .

بالتقوى والآلات والأسباب الميسرة للأمر . الحادى عشر ... أنه الطاعة والافتقار . حكى  
الأخفش عن أعرابى فصيح : لو قد نزلنا لصنعت بساتنك صليبا تعطيك الماعون ؛  
أى تنقاد لك وتطيعك . قال الراجز :

مَنْ تُصَادِفُهُ<sup>(١)</sup> فِي الْبُرَيْنِ \* يَحْضِنُ أَوْ يُعْطِلُن بِالْمَاعُونِ<sup>(٢)</sup>

وقيل : هو مالا يحمل منه كالماء والملح والتار ؛ لأن عائشة رضوان الله عليها قالت : قلت  
يا رسول الله ، ما الشئ الذى لا يحمل منه ؟ قال : " الماء والتار والملح " قلت : يا رسول الله ،  
هذا الماء ، فما بال التار والملح ؟ فقال : " يا عائشة من أعطى نارا فكأنما تصلىق بجميع ما طبع  
بذلك النار ومن أعطى لمعا فكأنما تصدىق بجميع ما طيب به ذلك الملح . ومن سقى شربة من  
الماء حيث يوجد الماء فكأنما أحقق ستين نسمة . ومن سقى شربة من الماء حيث لا يوجد  
فكأنما أحيأ نفساً ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعاً " ذكره التلميذ فى تفسيره ، وخروجه  
أبو ماجه فى سننه . وفى إسناده لين ؛ وهو القول الثانى عشر . الماوردى : ويحصل أنه  
المعونة بما خفف فعله وقد ثقله الله . والله أعلم . وقيل لمكرمة مولى أبى عباس : من منع  
شيطاً من المتاع كان له الويل ؟ . فقال : لا ، ولكن من جمع ثلاثين فله الويل ؛ بمنى ترك  
الصلاة ، والرياء ، والبخل بالماعون .

قلت : كونها فى المتافقين أشبه وبهم أخلق ؛ لأنهم جمعوا الأوصاف الثلاثة : ترك  
الصلاة ، والرياء ، والبخل بالمال ؛ قال الله تعالى : « وَلَمَّا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى  
يُرْمُونَ النَّاسَ وَلَا يَقُولُونَ لَهُ إِلَّا قِيلًا<sup>(٣)</sup> » ، وقال : « وَلَا يَتَّقُونَ<sup>(٤)</sup> إِلَّا وَهُمْ كَاهِنُونَ<sup>(٥)</sup> » .  
وهذه أحوالهم ، ويبعد أن توجد من مسلم محقق ، وإن وجد بعضها فيلحقه جزء من  
التوبيخ ، وذلك فى منع الماعون إذا تمين ؛ كالصلاة والزكاة إذا تركها . والله أعلم . إنما  
يكون منها قبيحا فى المروءة فى غير حال الضرورة . والله أعلم .

(١) فى تفسير التلميذ : \* من تجاهل من \* وهى الأريه . (٢) البرين (بضم الباء وكسر الطاء) :

جمع برة ، وهى من الخلق فى أفن البحر . وهى أيضا : كل حلقه من سوار وقرط وخطال . (٣) آية ٢ : ١٤

سورة النساء . (٤) آية ٤ : سورة الحجوة .

## تفسير سورة «الكوثر»

وهي مكية ، في قول ابن عباس والكوفي ومقاتل . ومدينة في قول الحسن وعكرمة  
وبجامد وقاعدة . وهي ثلاث آيات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾

فيه مسائل ثلاث :

الأولى - قوله تعالى : ( إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ) قراءة العامة ، « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ » بالعين .  
وقرأ الحسن وطلمة بن مُصَرِّف « أَنْطَيْنَاكَ » بالنون ، ورواه أم سلمة عن النبي صلى الله  
عليه وسلم ، وهي لغة في العطاء ، أعطيت : أعطيت . و« الْكَوْثَرُ » قول من الكثرة ، مثل النَوَل  
من الثفل ، والحوهر من الجهر . والعرب تسمى كل شيء كثير في العدد والقدر والخطو كَوْتَرًا .  
قال سفيان : قيل لصعوز رجع أبنا من السفر : هم أب أبناك ؟ قالت بكوثر ، أى بمال  
كثير . والكوثر من الرجال : السيد الكثير الخير . قال الكوفي :

وَأَنْتَ كَثِيرٌ يَا بْنَ مَرْوَانَ طَيْبٌ • وَكَانَ أَبُوكَ ابْنَ السَّعَائِلِ كَوْتَرًا

والكوثر : العدد الكثير من الأصحاب والأشياء . والكوثر من النار : الكثير . وقد  
تكوثر [ إنَّا كثر ] ، قال الشاعر :

• وَقَدْ تَارَعَ الْمَوْتِ حَتَّى تَكُوْتَرًا <sup>(١)</sup>

الثانية - واختلف أهل التأويل في الكوثر الذى أعطيت به النبي صلى الله عليه وسلم  
على سنة عشر قولاً : الأول - أنه نهر في الجنة ، رواه البخاري عن أنس والترمذي أيضا

(١) هذا مجزيت لحسان بن ثابت . ومصدره كما في المتن :

• أَيْرَأَنْ يَحْرَأَ جَارِمٌ لِنَدِيمِ •

وقد ذكرناه في كتاب التذكرة . وروى الترمذى أيضا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الكوثر نهر في الجنة حافظه من ذهب وبحراه على النر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحل من العسل وأبيض من الثلج » هذا حديث حسن صحيح .  
 الثانى — أنه حوض النبى صلى الله عليه وسلم في الموقف ؛ قاله عطاء . وفي صحيح مسلم عن أنس قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أغشى إغشاة ثم رفع رأسه متبسما قلنا : ما أمضحك يا رسول الله ؟ قال « نزلت على آفا سورة — اقرأ — بسم الله الرحمن الرحيم » **إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ . إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ »** ثم قال — أتدرون ما الكوثر ؟ . قلنا الله ورسوله أعلم . قال : « فإنه نهر وعدته ربى عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول إنه من أمتى فيقال إنك لا تدري ما أحدث بسلك » .

والأخبار في حوضه في الموقف كثيرة ذكرناها في كتاب « التذكرة » . وأن على أركانه الأربعة خلقاؤه الأربعة ؛ رضوان الله عليهم . وأن من أبغض واحدا منهم لم يسقه الآخر . وذكرنا هناك من يطرد عنه . فمن أراد الوقوف على ذلك تأمله هناك . ثم يجوز أن يسمى ذلك النهر أو الحوض كوثر الكثرة الواردة والشاربة من أمة محمد عليه السلام هناك . ويسمى به لما فيه من الخير الكثير والماء الكثير . الثالث — أن الكوثر النيرة والكتاب ؛ قاله عكرمة . الرابع — القرآن ؛ قاله الحسن . الخامس — الإسلام ؛ حكاها المفيرة . السادس — تيسير القرآن وتخفيف الشرائع ؛ قاله الحسين بن الفضل . السابع — هو كثرة الأصحاب والأمة والأشياء ؛ قاله أبو بكر بن عياش . ويتمان بن رثاب . الثامن — أنه الإتيار ؛ قاله ابن كيسان . التاسع — أنه رفعة الذكر ؛ حكاها الماوردي . العاشر — أنه نور في قلبك ذلك على وقطعت عما سوى . وعنه : هو الشفاعة ؛ وهو الحادى عشر . وقيل : معجزات الرب هدى بها أهل الإجابة لدعوتك ؛ حكاها

(١) في صحيح مسلم طبع الاسنة ورواق : « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغشى ... الحديث . (٢) أى يتنزع وقطع . (٣) في بعض نسخ الأصل : « تسهيل » .

العلوي، وهو الثاني عشر. الثالث عشر - قال هلال بن يساف : هو لا إله إلا الله محمد رسول الله . وقيل : الفقه في الدين . وقيل : الصلوات الخمس ؛ وهما الرابع عشر والخامس عشر . وقال ابن إسحاق : هو العظيم من الأسر؛ وذكر بيت لبيد :

وصاحب ملحوب يفتنا بفقيهه • وعند الرِّدَّاع بيت آخر كَوْنُهُ  
أى عظيمه .<sup>(١)</sup>

قلت : اصح هذه الأقوال الأولى والثاني؛ لأنه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم نص في الكون . وسمع أنس قوما يتذاكرون الحوض فقال : ما كنت أرى أن أبيض حتى أرى أمثالكم يتجارون في الحوض ، لقد تركت عجائز حتى ، ما تصل امرأة منهن إلا سألت الله أن يسقيها من حوض النبي صلى الله عليه وسلم . وفي حوضه يقول الشاعر :

يا صاحب الحوض من يدانيك • وأنت حقاً حبيب باريك  
و جميع ما قيل بعد ذلك في تفسيره قد أعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة على حوضه ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

قوله تعالى : قَصَصْ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿١﴾

فيه خمس مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( قَصَصْ ) أى أقم الصلاة المفروضة عليك ؛ كذا رواه الضحاك عن ابن عباس . وقال قتادة وعطاء وعكرمة : « قَصَصْ لِرَبِّكَ » صلاة العيد يوم النحر « وَأَنْحَرْ » تُسَكِّك . وقال أنس : كان النبي صلى الله عليه وسلم ينحر ثم يصل ، فأمر أن يصل ثم ينحر . وقال سعيد بن جبيرة أيضاً : صل لربك صلاة الصبح المفروضة بجمع وأنحر البُذْن يَمْنَى . وقال سعيد بن جبيرة أيضاً : نزلت في الحُدَيْبِيَّة حين حُصِر النبي صلى الله عليه وسلم عن البيت ، فأمره الله تعالى أن يصل وينحر البُذْن وينصرف ؛ ففعل ذلك . قال ابن العربي : « وأما من

(١) ملحوب : ماء لى أسد بن خزيمه - وصاحبه : عوف بن الأحوص . والرداع ( بالكسر ) : أسم ماء .

أيضا : ولكوننا أيضا : اليه الكثير الخمر . (٢) جمع : المزدقة .

قال إن المراد بقوله تعالى : « فَصَلِّ » الصلوات الخمس ؛ فلائها ركن العبادات ، وقاعدة الإسلام ، وأعظم دعائم الدين . وأما من قال : إنها صلاة الصبح بالمزدلفة ؛ فلائها مقرونة بالنحر ، وهو في ذلك اليوم ، ولا صلاة فيه قبل النحر غيرها ؛ فقصها بالذكر من جملة الصلوات لاقرانها بالنحر .

قلت : وأما من قال إنها صلاة العيد ؛ فذلك بغير مكة ؛ إذ ليس بمكة صلاة عيد بإجماع فيها حكماء ابن عمر . قال ابن العربي : « فأما مالك فقال : ما سمعت فيه شيئا ، والذي يقع في نفسي أن المراد بذلك صلاة يوم النحر ، والنحر بعدها . » وقال علي رضي الله عنه وعبد ابن كعب : المعنى ضع اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاة . وروى عن ابن عباس أيضا . وروى عن علي أيضا : أن يرفع يديه في التكبير إلى نحره . وكذا قال جعفر بن علي : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ » قال : يرفع يديه أول ما يكبر للإحرام إلى النحر . ومن علي رضي الله عنه قال : لما نزلت « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ » قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل : « ما هذه النعمة التي أمرني الله بها ؟ » قال : « ليست بشيعة ولكنه يأمرك إذا تحزمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبرت وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت فأنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين هم في السموات السبع وإن لكل شيء زينة وإن زينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة » . وعن أبي صالح عن ابن عباس قال : استقبل القبلة بنحرك ؛ وقاله الفقهاء والكلمة وأبو الأحوص . ومنه قول الشاعر :

أبا حَكَمَ ما أنتَ عَمَّ جُبالِدٍ • وسيدُ أهلِ الأَطْجَحِ المُتَنَحِّرِ

أي المتقابل . قال الفقهاء : سمعت بعض العرب يقول : ما زلتُ تنحَر ؛ أي تتقابل نحر هذا بنحر هذا ؛ أي قبائله . وقال ابن الأعرابي : هو انتصاب الرجل في الصلاة بإزاء المحراب ؛ من قولهم : منازلهم تتنحر ؛ أي تتقابل . وروى عن عطاء قال : أمره أن يستوى بين السجدين

( ١ ) الذي في كتاب الفقهاء : « منازلهم تتنحر هذا أي بذاك » . والذي في اللسان تلاق من الفقهاء : « منازلهم تتنحر هذا بنحر هذا أي قبائله » .

جالسا حتى يَسْتَوِجِرَهُ . وقال سليمان التيمي : يبنى وارفع يدك بالدعاء إلى تحرك . وقيل : « فَصَلَّ » معناه وأعيد . وقال محمد بن كعب القرظي : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلَّ رَبَّكَ وَأَتَحَرَّ » يقول : إن ناسا يصلون لنيرانه ويخرون لنيرانه ؛ وقد أعطيتك الكوثر ، فلا تكن صلاتك ولا تحرك إلا لله . قال ابن العربي : « والذي عندي أنه أراد أعيد ربك وأتحركه ، فلا يكن عملك إلا لمن خصك بالكوثر ، والبحري أن يكون جميع العمل يوازي هذه الخصوصية من الكوثر ، وهو الخير الكثير الذي أعطاكه الله ، أو النهر الذي طينه مسك ومدد آيينه نجوم السماء ؛ أما أن يوازي هذا صلاة يوم النحر وذبح كعش أو بقرة أو بدنة ، فذلك يبعد في التقدير والتقدير وموازنة الثواب للعبادة » . والله أعلم .

الثانية - قد مضى القول في سورة « الصافات »<sup>(١)</sup> في الأُمُجِية وفضلها ووقت ذبحها ، فلا معنى لإعادة ذلك . وذكرنا أيضا في سورة « الحج »<sup>(٢)</sup> جملة من أحكامها . قال ابن العربي : « ومن عجيب الأمر أن الشافعي قال : إن من ضحى قبل الصلاة أجزاء ، والله تعالى يقول في كتابه : « فَصَلَّ رَبَّكَ وَأَتَحَرَّ » فبدأ بالصلاة قبل النحر ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في البخاري وغيره عن البراء بن عازب قال : « أَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نَصَلِّيَ ثُمَّ نَرْجِعَ فنُفْتَحِرُ مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَصَابَ نُكُتًا وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلَ ذَلِكَ هُوَ لَمْ يَفْعَلْهُ لَاحِلٌ لَيْسَ مِنَ الْأُسْكَ فِي شَيْءٍ » . وأصحها ينكرونها ، وحديثا الموافقة » .

الثالثة - وأما ما روى عن علي عليه السلام « فَصَلَّ رَبَّكَ وَأَتَحَرَّ » قال : وضع اليدين على الشَّمال في الصلاة - ترجمه الدارقطني - فقد اختلف علماؤنا في ذلك على ثلاثة أقوال : الأول - لا توضع في فريضة ولا نافلة ؛ لأن ذلك من باب الاعتماد . ولا يجوز في الفرض ولا يستحب في النفل . الثاني - لا يفعلها في الفريضة ويفعلها في النافلة استئماناً ؛ لأنه موضع ترخص . الثالث - يفعلها في الفريضة والنافلة . وهو الصحيح ؛ لأنه ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده اليمنى على اليسرى من حديث وال

(٢) راجع ج ١٢ ص ٤٢ وما بعدها .

(١) راجع ج ١٥ ص ١٠٧ وما بعدها .

أبن حجر وغيره . قال ابن المنذر : وبه قال مالك وأحمد وإسحاق ، وحكى ذلك عن الشافعي .  
 واستحب ذلك أصحاب الرأي . وروى جماعة إرسال اليد . ومن رَوَيْنَا ذلك عنه ابن المنذر<sup>(١)</sup>  
 والحسن البصري وأبراهيم النخعي .

قلت : وهو مروي أيضا عن مالك . قال ابن عبد البر : إرسال اليدين ووضع اليمنى على  
 الشمال كل ذلك من سنة الصلاة .

الرابعة — واختلفوا في الموضع الذي توضع عليه اليد ، فروى عن علي بن أبي طالب  
 أنه وضعهما على صدره . وقال سعيد بن جبير وأحمد بن حنبل : فوق السرة . وقال :  
 لا بأس إن كانت تحت السرة . وقالت طائفة : توضع تحت السرة . وروى ذلك عن  
 علي وأبي هريرة والنخعي وأبي عجلان . وبه قال سفيان الثوري وإسحاق .

الخامسة — وأما رفع اليدين في التكبير عند الإفتتاح والركوع والرفع من الركوع  
 والسجود فأختلف في ذلك ؛ فروى الثارقي من حديث حميد عن أنس قال : كان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه إذا دخل في الصلاة ، وإذا ركع ، وإذا رفع رأسه  
 من الركوع ، وإذا سجد . لم يرويه عن حميد مرفوعا إلا عبد الوهاب الثقفي . والصواب  
 من قول أنس . وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى تكونا حلقاً منكبيه ، ثم يكبر ، وكان يفعل ذلك  
 حين يكبر للركوع ، ويفعل ذلك حين يرفع رأسه من الركوع ويقول : سمع الله لمن حمده .  
 ولا يفعل ذلك حين يرفع رأسه من السجود . قال ابن المنذر : وهذا قول الأئمة بن سعد  
 والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور . وحكى ابن وهب عن مالك هذا القول . وبه أقول ؛  
 لأنه الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت طائفة : يرفع المصلي يديه حين يفتتح  
 الصلاة ، ولا يرفع فيها سوى ذلك . هذا قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي .

(١) في بعض الأصول : « ابن الزبير » .

قلت : وهو المشهور من مذهب مالك ؛ لحديث ابن مسعود ، نحوه الدارقطني من حديث إصحاق بن أبي إسرائيل . قال : حدثنا محمد بن جابر عن حماد عن إبراهيم عن علفمة عن عبد الله قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ؛ فلم يرفعوا أيديهم إلا أولا عند التكية الأولى في أفتاح الصلاة . قال إصحاق : به تأخذ في الصلاة كلها . قال الدارقطني : تفرد به محمد بن جابر وكان ضعيفا عن حماد عن إبراهيم . وغير حماد يرويه عن إبراهيم مرسلا عن عبد الله من فعله غير مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهو الصواب . وقد روى يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن البراء أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلاة رفع يديه حتى يجاذي<sup>(١)</sup> بهما أذنيه ، ثم لم يبد إلى شيء من ذلك حتى فرغ من الصلاة . قال الدارقطني : [ وإنما ] لقن يزيد في آخر عمره : « ثم لم يده » فخلقه وكان قد آخط . وفي ( مختصر ماليس في المختصر ) عن مالك : لا يرفع اليدين في شيء من الصلاة . قال ابن القمام : ولم أر مالكا يرفع يديه عند الإحرام . قال : وأحب إلى ترك رفع اليدين عند الإحرام .

قوله تعالى : **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** ﴿٦﴾

أى مبغضك ؛ وهو العاص بن وائل . وكانت العرب تسمى من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات أبترا . فيقال : إن العاص وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه ، فقال له : جمع من صناديد قريش : مع من كنت واقفا ؟ فقال : مع ذلك الأبترا . وكان قد توفى قبل ذلك عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من خديجة ؛ فأنزل الله جل شانه : **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ** أى المقطوع ذكوه من خير الدنيا والآخرة . وذكر حكمة عن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية إذا مات ابن الرجل قالوا : بُرِّ فلان . فلما مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم خرج أبو جهل إلى أصحابه فقال : بُرِّ محمد ؛ فأنزل الله جل شانه :

(١) الزيادة من الدارقطني .

« إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْآبَتَرُ » يعنى بذلك أبا جهل . وقال قَتِير بن عطية : هو عُنْبَةُ بن أبى مُعَيْط .  
وقيل : إن قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكر والده قد بُتِرَ فلان . فلما مات رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أبوه القاسم بمكة ، وإبراهيم بالمدينة قالوا : بُتِرَ جد ، فليس له من يقوم  
بأمره من بعده ، فزلت هذه الآية ، قاله السُّدِّيُّ وآبن زيد . وقيل : إنه جواب لقريش  
حين قالوا لكعب بن الأشرف لما قدم مكة : نحن أصحاب السَّقَاية والسَّدَاة والحِجَابَةِ واللَّوَاءِ  
وأنت سيد أهل المدينة ، فنحن خير أم هذا الصُّلْبِ الْبَيْتَرِ من قومه ؟ قال كعب : بل أتم  
خير ، فزلت في كعب : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ  
وَالطَّائُغُوتِ » الآية . ونزلت في قريش : « إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْآبَتَرُ » ، قاله ابن عباس أيضا  
وعكرمة . وقيل : إن الله عز وجل لما أوحى إلى رسوله ودعا قريشا إلى الإيمان قالوا :  
أَبْتَرْنَا جد ، أى خالفنا وأقطع عنا . فأخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أنهم  
هم المبتورون ، قاله أيضا عكرمة وشمر بن حوشب . قال أهل اللغة : الأبتر من الرجال  
الذى لا ولد له ، ومن اللواب الذى لا ذنب له . وكل أمر أقطع من الخير أثره فهو أبتر .  
والبتر : القطع . بَتَرْتُ الشيء بَتْرًا : قطعته قبل الإتمام . والانتهار : الأقطاع . والبار :  
السيف القاطع . والأبتر : المقطوع الذنب . تقول منه : يَتَر ( بالكسر ) يَتَر بَتْرًا . وفي الحديث  
« ما هذه البتراء » . وخطب زياد خطبته البتراء ، لأنه لم يحمد الله فيها ولم يُصلِّ على النبي  
صلى الله عليه وسلم . ابن السكيت : الأبقران البتر والعبد قال : « مِمَّا أَبْتَرْتَنَ قَلْبَهُ خَيْرُهُمَا . وقد  
أبتره الله أى صبره أبتر . ويقال : رجل أبتر ( بضم المعزة ) للذى يقطع رحمه . قال الشاعر :

لَيْمَ تَزَتْ فِي أَنْفِهِ خُزُونُهُ • عَلَى قَطْعِ ذِي الْقَرْبَى أَحَدُ أَبَا بَرٍّ

والبُتْرِيَّةُ : فرقة من الزيدية ؛ نسبوا إلى المغيرة بن سعد ، ولقبه الأبتر . وأما الصُّلْبُورُ فلفظ  
مشترك . قيل : هو النخلة تنبى منفردة ويَدَقُّ أسفلها ويتقشر ، يقال : صَبَّرَ أسفل النخلة .

وقيل : هو الرجل القرد الذي لا ولد له ولا إخ . وقيل : هو متعب الحوض خاصة ، حكاه أبو عبيد . وأشد :

• مَا يَنْصَبُ صَبُورًا إِلَى الْإِذَا •<sup>(٢)</sup>

والصَّبُور : قسبة تكون في الإداوة من حديد أو رصاص يُشْرَبُ منها - حتى يجمعه الجوهري - رحمه الله . والله سبحانه وتعالى أعلم .

### سورة الكافرون

وهي مكية ، في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة . ومدينة ، في أحد قولي ابن عباس فتادة والضحاك . وهي ست آيات .

وفي الترمذي من حديث أنس أنها تعدل ثلث القرآن . وفي كتاب (الد لأبي بكر الأنباري) :  
« لا عبد الله بن ناجية قال : حدثنا يوسف قال حدثنا القعني وأبونعم عن موسى بن وردان  
ن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ » تعدل ربع  
القرآن » . ورواه موقوفا عن أنس . ونزح الحافظ أبو محمد عبد الله بن سعيد عن  
أبي عمر قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة العجر في سَفَرٍ فَقَرَأَ « قُلْ يَا أَيُّهَا  
الْكَافِرُونَ » وَ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » ثُمَّ قَالَ : « قُرَأَتْ بِكُمْ ثَلَاثُ الْقُرْآنِ وَرُبَّمَا » . وروى  
جابر بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَنْصَبْ يَا جَابِرُ إِذَا خَرَجْتَ سَفَرًا أَنْ تَكُونَ  
مِنْ أَتَمِّ شَأْنٍ هَيْئَةً وَكَثْرِمَ زَادًا » ؟ قلت : نعم : قال : « فَأَقْرَأْ هَذِهِ السُّورَةَ الْخَمْسَ  
مِنْ أَوَّلِ « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ » - إِلَى - قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ » وَأَنْتَحِ قِرَاءَتَكَ بِسْمِ اللَّهِ  
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » . قال : فوافقه لقد كنتُ خير كثير المال ، إذا سافرت أكون أبكم هَيْئَةً  
وَأَقْلَمَ زَادًا ، فذقن من أحسنهم هَيْئَةً وَكَثْرِمَ زَادًا حتى أرجع من سفري ذلك .

(١) متعب الحوض : سبه . (٢) الإذا : صب الماء في الحوض .

(٣) الإداوة : إنا من جده يندل . (٤) بذ الهمة : دها .

وقال قزوة بن نوفل الأشجعي : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني . قال : « اقرأ عند منامك » **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** « فإنها براءة من الشرك » . ترجمه أبو بكر الأنباري وغيره . وقال ابن عباس : ليس في القرآن أشد غيظاً لإييس منها ؛ لأنها توحيد وبراءة من الشرك . وقال الأصمعي : كان يقال **لَعَلَّ** **يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ، و « **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** » **الْمُقَشَّقَشَانِ** ؛ أي إنهما يريان من الضاق . وقال أبو عبيدة : كما **يُقَشَّقَشُ** **الْمِنْاءُ** **الْجَرْبُ** **فِيَرْتُهُ** . وقال ابن السكيت : يقال للفرح والجلدي **إِذَا يَسَّ** **وَتَحَزَفَ** ، ولجرب في الإبل إذا قفل : **قَدْ تَوَسَّفَ** جلده ، و**تَقَشَّرَ** جلده ، و**تَقَشَّقَشَ** جلده .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴿١﴾ **لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ** ﴿٢﴾ **وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴿٣﴾ **وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ** ﴿٤﴾ **وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴿٥﴾

ذكر ابن إسحاق وغيره عن ابن عباس : أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة ، والعاصم بن واثل ، والأسود بن عبد المطلب ، وأمية بن خلف ؛ لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا عبد ، هلّم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما تعبد ، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله ؛ فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كما قد شاركك فيه وأخذنا بحفظنا منه ، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما بيدك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه ؛ فأنزل الله عز وجل **« قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ »** . وقال أبو صالح عن ابن عباس : إنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو استأبنت بعض هذه الأئمة لصدفتك ؛ فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه السورة ، فمئسوا منه وكذّوه وأذّوا أصحابه . والآلف واللام ترجع إلى معنى المهود

(١) المناء (بالكسر) : القتران . (٢) قتل الجله : جس . (٣) اسلم الجبر : له إما بالقيّة أو باليد .

والا كانت الجنس من حيث إنها كانت صفة لأى؛ لأنها مخاطبة لمن سبق في علم الله تعالى أنه سميت على كفره، فهي من الخصوص الذى جاء بلفظ العموم . ونحوه عن الماوردى :  
 نزلت جواباً ، وعنى بالكافرين قوماً معينين لا بجميع الكافرين؛ لأن من آمن فعبد الله ، ومنهم من مات أو قُتل على كفره ، وهم المخاطبون بهذا القول ، وهم المذكورون .  
 قال أبو بكر بن الأنبارى : وقرأ من طعن في القرآن : قل للذين كفروا «لَا أَعِدُّ مَا تُبَدِّلُونَ»  
 وزعم أن ذلك هو الصواب ، وذلك اقتراء على رب العالمين ، وتضعيف لمعنى هذه السورة ، وإبطال ما قصده الله من أن يندلج به للتركين بخطابه إياهم بهذا الخطاب الزرى ، وإلزامهم ما يأتى منه كل ذى لبٍ وحجاً . وذلك أن الذى يتبعه من اللفظ الباطل قراءتا تشمل عليه في المعنى ، وتزيد تأويل لا ليس عندهم في باطلهم وتخرجههم . فعنى قراءتا : قل للذين كفروا يا أيها الكافرون ؛ دليل صحة هذا أن العرب إذا قال لمخاطبه قل لزيد أقبل إلينا ، فعنه قل لزيد يا زيد أقبل إلينا . فقد وقعت قراءتا على كل ما عندهم ، وسقط من باطلهم أحسن لفظ وأبلغ معنى ؛ إذ كان الرسول عليه السلام يعتمدهم في تأديسهم ، فيقول لهم : «يا أيها الكافرون» . وهو يعلم أنهم يفضيرون من أن يُنسبوا إلى الكفر ويدخلوا في جملة أهله إلا وهو محروس ممنوع من أن تنسب عليه منهم يدٌ ، أو تقع به من جهتهم إذية . فمن لم يقرأ « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ » كما أنزل الله أسقط آية رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسبيل أهل الإسلام ألا يسارعوا إلى مثلها ، ولا يعتمدوا تبهم باختزال الفضائل عنه التى منحه الله إياها وشرفه بها . وأما وجه التكرار فقد قيل إنه للتأكيد في قطع أطماعهم ؛ كما قول : والله لا أصل لكذام والله لا أصله . قال أكثر أهل المسانى : نزل القرآن بلسان العرب ، ومن مذاهبهم التكرار لإزالة التاكيد والإنهاء ، كما أن مذاهبهم الاختصار لإزالة التخييف والإيجاز ؛ لأن خروج الخطيب والمتكلم من شئ إلى شئ أولى من اقتصاره في المقام على شئ واحد ؛  
 قال الله تعالى : « قَبَائِلُ آلَاءِ رَبِّكَ كَذَبَانِ » ، « وَيَلْ يَوْمَئِذٍ الْكَاذِبِينَ » ، « كَلَّا سَيُعْلَمُونَ »  
 « كَلَّا سَيُعْلَمُونَ » ، و « فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » كل هذا على التأكيد .

وقد يقول القائل : أَرَأَيْتُمْ أَتَجَلَّيْكُمْ ، وَتَكْفُرُ بِاللَّهِ ، وَتَكْفُرُونَ بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ ، قَدْ كُنَّا فِي الْخِلَافِ :  
 " فَلَا أَتَذْكُرُ لَمْ يَلِكْ أَتَذْكُرْ إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي " خرجه مسلم . وقال الشاعر :

هَلَّا سَأَلْتُ جُوعَ كِنَنَةٍ • يَوْمَ وَلَوْ أَيْنَ أَيْنَا

وقال آخر :

يَا بَكْرٍ أُنْشِرُوا لِي عُكَيْتًا • يَا بَكْرٍ أَيْنَ ابْنُ الْفِرَارِ

وقال آخر :

يَا مَلَقْمَةَ يَا مَلَقْمَةَ يَا مَلَقْمَةَ • خَيْرَ نَسَمٍ كُلَّهَا وَأَكْرَمَهَا

وقال آخر :

يَا أَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ يَا أَقْرَعَ • إِنَّكَ إِنْ بَصُرْتَ أَخَوَكَ تَصْرَعُ

وقال آخر :

أَلَا يَا أَسْلَى ثُمَّ أَسْلَى ثُمَّ أَسْلَى • ثَلَاثُ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمْ

ومثله كثير . وقيل : هذا على مطابقة قولهم : تعبد آلهتنا وتعبد الهك ، ثم تعبد آلهتنا وتعبد الهك ، ثم تعبد آلهتنا وتعبد الهك ، فتجري على هذا أبدا سنة وسنة . فاجيبوا عن كل ما قالوه بضده ، أى إن هذا لا يكون أبدا . قال ابن عباس : قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : نحن نعطيك من المال ما تكون به أغنى رجلا بمكة ، وزوجك من ثلث ، ونطأ حقيقتك ، أى نمشي خلفك ، ونكف عن شتم آلهتنا ، فإن لم تفعل فنحن نعرض عليك خصلة واحدة هى لنا ولك صلاح ، تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ،

(١) قلنا الحديث كان في صحيح مسلم (باب القنائل) : " ... أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول : إن بنى هشام بن المغيرة استأذنى أن ينكحوا أبنتهم من بنى أبي طالب فلا أذن لهم ثم لا أذن لهم إلا أن يجب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم وإنما ابنتي بضعة مني يرضى ما رايها ويؤذي ما آذاها " والبخعة (بالفتح وقد تكسر) : القطعة من اللحم . (٢) البيت من أبيات المهمل بن ربيعة قالها بعد أن أخذ يطارأ عليه كليب (راجع الشاعر الجاهلي في حياة الأدب) . (٣) البيت لجرير بن عبد الله البجلي . وقيل لعمرو بن خادم البجلي . (راجع نهاية الأدب في الشاعر الحادي والآخر بعد الخليل) .

ونحن نريد إلهك سنة<sup>(١)</sup>، فقلت السورة . فكان التكرار في «لَا أُعْبَدُ مَا تَعْبُدُونَ» ؛ لأن النعم كثرُوا عليه مقام مرة بعد مرة . والله أعلم . وقيل : إنما كثر بمعنى التثني . وقيل : أى «لَا أُعْبَدُ» السامة «مَا تَعْبُدُونَ» . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ «السامة» «مَا أُعْبَدُ» . ثم قال : «وَلَا أَنَا عَابِدٌ» في المستقبل «مَا عِبَدْتُمْ» . وَلَا أَنْتُمْ «في المستقبل» «عَابِدُونَ مَا أُعْبَدُ» فإله الأفعش والمبرد . وقيل : إنهم كانوا يعبدون الأوثان ، فلما ملأوا وثناً وسموا العبادة له رقبصوه ، ثم أخذوا وثناً غيره بشهوة نفوسهم ، فلما صرُوا بجحارة متعجبين ألغوا هذه ورفضوا تلك فظنوها ونصبوها آلهة يعبدونها ؛ فأمر طيه السلام أن يقول لهم : «لَا أُعْبَدُ مَا تَعْبُدُونَ» اليوم من هذه الآلهة التي بين أيديكم . ثم قال : «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبَدُ» وإنما تعبدون الوثن الذي أخذتموه ، وهو عندكم الآن . «وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عِبَدْتُمْ» أى بالأمس من الآلهة التي رفضتموها وأقبلتم على هذه . «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبَدُ» فإني أعبد إلهي . وقيل : إن قوله تعالى : «لَا أُعْبَدُ مَا تَعْبُدُونَ» . «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبَدُ» في الاستقبال . ولوله : «وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عِبَدْتُمْ» على هي العبادة منه لما عبدا في الماضي . ثم قال : «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أُعْبَدُ» على التكرير في اللفظ دون المعنى من قبيل أن التعبد يوجب أن يكون ولا أتم عابدون ما عبدت ، فدل عن لفظ عبت إلى أعبد ، إشعاراً بأن ما عبد في الماضي هو الذي يبعد في المستقبل ، مع أن الماضي والمستقبل قد يقع أحدهما موقع الآخر . وأكثر ما يأتي ذلك في أخبار الله عز وجل . وقال : «مَا أُعْبَدُ» ولم يقل من أعبد ؛ ليقابل به «وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عِبَدْتُمْ» وهى أصنام وأوثان ، ولا يصلح فيها إلا «ما» دون «من» فحمل الأول على الثاني ليقابل الكلام ولا يتناقض . وقد جاءت «ما» لمن يسئل . ومنه قولهم : سبحان ما تحركن لنا . وقيل : إن معنى الآيات وتقدريها : قل يا أيها الكافرون لا أعبد الأصنام التي تعبدونها ، ولا أتم عابدون الله عز وجل الذي أعبد ، لإشراككم به واتخاذكم الأصنام ، فإن زعمتم أنكم تعبدونه فأتهم كاذبون ؛ لأنكم تعبدونه

(١) في سانية الجبل قتلان عن القرطبي : ثم تعبد أئمتنا ونريد إلهك فنبهى على هذا أبداً سنة وسة فترت الخ .

مشركون . فَاَلَا أَعِدُّ مَا عِدْتُمْ ، اِىْ مِثْلَ عِبَادَتِكُمْ ، فـ « حَا » مصدرية . وكذلك « وَلَا أَنْتُمْ مَا بَدُونُ مَا أَعُدُّ » مصدرية أيضا ؛ ومثاء « وَلَا أَنْتُمْ مَا بَدُونُ مِثْلَ عِبَادَتِي اِلَى هِي تَوْجِيْدُ » .

قوله تعالى : **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝١**

فيه معنى التهديد ؛ وهو كقوله تعالى : « لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ » اِىْ اِنْ رَضِيتُمْ بِدِينِكُمْ فَقَدْ رَضِينَا بِدِينِنَا . وَكَانَ هَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ فَنَسَخَ بِآيَةِ السِّيفِ . وَقِيلَ : السُّورَةُ كُلُّهَا مَنسُوخَةٌ . وَقِيلَ : مَا نَسَخَ مِنْهَا شَيْءٌ لِأَنَّهُ خَبِرَ . وَمَعْنَى « لَكُمْ دِينُكُمْ » اِىْ جِزَاءُ دِينِكُمْ وَلِىْ جِزَاءُ دِينِي . وَتَمَيَّزَ دِينُهُمْ دِينَنَا لِأَنَّهُمْ أَحَقُّدُوهُ وَتَوَلَّوْهُ . وَقِيلَ : الْمَعْنَى لَكُمْ جِزَاؤُكُمْ وَلِىْ جِزَاؤِي ؛ لِأَنَّ الدِّينَ الْإِجْرَاءَ . وَفُتِحَ الْيَاءُ مِنْ « وَلِيَ دِينِ » نَافِعٌ ، وَالْبَزْزُ عَنْ أَبْنٍ كَثِيرٌ بِاخْتِلَافِ عَصِهِ ، وَهَشَامٌ مِنْ أَبْنٍ عَامِرٍ ، وَحُفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ . وَاتَّيَتْ الْبَاءُ فِي « دِينِي » فِي الْحَالِائِنِ نَصْرُ بَيْنِ عَاصِمٍ وَسَلَامٍ وَيَعْقُوبَ ؛ قَالُوا : لِأَنَّهُمَا أَسْمُ مِثْلِ الْكَفِّ فِي دِينِكُمْ وَلِثَاءُ فِي قَمْتِ . الْبِاقُونَ بِخِيَرَاءَ ؛ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَهُوَ يَهْدِي ۝٢ » ، « فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝٣ » وَنَحْوَهُ ، اِكْتِفَاءً بِالْكَسْرِ وَاتِّبَاعًا لِحُطِّ الْمَصْحُفِ ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِيهِ بِخِيَرَاءَ .

### تفسير سورة النصر

وهي مَدَنِيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ . وَتُسَمَّى سُورَةُ « التَّوْدِيْعِ » . وَهِيَ ثَلَاثُ آيَاتٍ .  
وهي آخِرُ سُورَةٍ تَزَلَّتْ جَمِيعًا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١**

النَّصْرُ : الْعَوْنُ ، مَا خُوِذَ مِنْ قَوْمٍ : قَدْ نَصَرَ النِّبْتُ الْأَرْضَ ؛ إِذَا أَعَانَ عَلَى نَبَاتِهَا وَمِنْ حَقِطِهَا . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا أَسْلَخَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ قُوْدِي • بِلَادَ تَيْمٍ وَأَنْصَرِي أَرْضَ عَامِرِ

(٢) آية ٧٨ سورة الشعراء .

(١) آية ٥ سورة القصص .

(٢) آية ٥ سورة آل عمران . (٤) هو الراعي يتعاطب خيلا . (من اللسان مادة صر) .

ويروي :

إذا دخل الشهر الحرام بفاوذي • بلاد تميم وأنصرى أرض طميم

يقال : نصره على عدوه ينصره نصرا ؛ أى أمانه . والأسم النصره . وأستنصره على عدوه ؛ أى سأل أن ينصره عليه . وتناصروا : نصر بعضهم بعضا . ثم قيل : المراد بهذا النصر نصر الرسول على قريش ؛ قاله الطبري . وقيل : نصره على من قاتله من الكفار ؛ فإن عاقبة النصر كانت له . وأما الفتح فهو فتح مكة ؛ عن الحسن ومجاهد وغيرهما . وقال ابن عباس وسعيد بن جبير : هو فتح المدائن والقصور . وقيل : فتح سائر البلاد . وقيل : ما فتحه عليه من العلوم . و « إذا » بمعنى قد ؛ أى قد جاء نصر الله ؛ لأن نزولها بعد الفتح . ويمكن أن يكون معناه : إذا يبعثك .

قوله تعالى : وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿١﴾

قوله تعالى : ( وَرَأَيْتَ النَّاسَ ) أى العرب وغيرهم . ( يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ) أى جماعات توجبا بعد فوج . وذلك لما فُتحت مكة قالت العرب : أنا إذا نفر عهد بأهل الحرم وقد كان الله أجارهم من أصحاب النبل ، فليس لكم به يدان . فكانوا يسبون أفواجا أمة أمة . قال الضحالك : والأمة أربسون رجلا . وقال عكرمة ومقاتل : أراد بالناس أهل اليمن . وذلك أنه ورد من اليمن سبائة إنسان مؤمنين طامعين ، بعضهم يؤذنون ، وبعضهم يقرعون القرآن ، وبعضهم يهللون ؛ فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وبكى عمر وأبن عباس . وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ : « إذا جاء نصر الله والفتح » وجاء أهل اليمن وبيعة أهلهم ، لينة طبايعهم ، سخيّة قلوبهم ، عظيمة خشيتهم ، فدخلوا في دين الله أفواجا . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أعفدة الفقه يمان والحكمة يمانية » . وروى أنه

صلى الله عليه وسلم قال : « إني لأجد نفس ربي من قبل المين » . وفيه تأويلان : أحدهما - أنه الفرج ؛ لتتابع إسلامهم أفواجا . والثاني - معناه أن الله تعالى نفس الكرب عن نبيه صلى الله عليه وسلم بأهل المين وهم الأنصار . وروى جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا » ذكره الماوردي . ولفظ التلوي : وقال أبو عمار حدثني جابر بن جابر قال : سألني جابر عن حال الناس ، فأخبرته عن حال اختلافهم وفرقتهم ؛ فجعل يبكي ويقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وسيخرجون من دين الله أفواجا » .

قوله تعالى : فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٤﴾

قوله تعالى : ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ) أى إذا صليت فأكثري من ذلك . وقيل : معنى سبِّح صل ؛ عن ابن عباس . « بِحَمْدِ رَبِّكَ » أى حامدا له على ما آتاك من الظفر والفتح . « وَاسْتَغْفِرْهُ » أى سأل الله الغفران . وقيل : « فَسَبِّحْ » المراد به التزنيه ؛ أى تزنيه عما لا يجوز عليه مع شكره له . « وَاسْتَغْفِرْهُ » أى سأل الله الغفران مع مداومة الذكر . والأوّل أظهر . روى الأئمة واللفظ للبخاري عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه سورة « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ » إلا يقول : « سبحانه ربنا وبمحمد اللهم أغفر لي » . وعنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثِرُ أن يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانه اللهم ربنا وبمحمد اللهم أغفر لي » يتأول القرآن . وفي غير الصحيح : وقالت أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم آتيا أمره لا يقوم ولا يقعد ، ولا يمشي ولا يذهب إلا قال : « سبحانه الله وبمحمد استغفر الله وأتوب » .

(١) قال ابن الأثير : « هو مستطير من نفس المراءى إلى ردة النفس إلى الجوف فيزد من حرارة ويقلها . أى من نفس الريح ينسبه فيستروح إليه . أى من نفس الروضة وهو طيب ورائحتها فيخرج به عنه . يقال : أنت في نفس من أمرك ، وأعمل وأنت في نفس من عمرك ؛ أى في سعة وفرة قبل المرض والمهم ونحوهما » .

إله - قال - فإني أمرت بها - ثم قرأ - « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ » إلى آخرها . وقال أبو سريرة : اجتهد النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها حتى تورت قدماء ، وتخل جسمه ، وقتل تبسمه ، وكثر بكائه . وقال عكرمة : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط أشد اجتهادا في أمور الآخرة ما كان منه عند نزولها . وقال مقاتل : لما نزلت قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه ، ومنهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص ، ففرحوا واستبشروا وبكى العباس ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « مَا يُبْكِيكَ يَا عَمْرٍ ؟ » قال : نُبِيتَ لِيكَ قَمْعُكَ ، قال : « إِنَّهُ لَكَاهُولُ » فماش بعدها ستين يوما ما رأيته فيها ضاحكا مستبشرا . وقيل : نزلت في نبي بعد أيام التشريق في حجة الوداع ، فبكى عمر والعباس ، فقيل لهما : إن هذا يوم فرح . فقالا : بل فيه نبي النبي صلى الله عليه وسلم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « صَدَقْتُمَا نُبِيتَ إِلَى نَفْسِي » . وفي البخاري وغيره عن ابن عباس قال : كان عمر بن الخطاب ياذن لأهل بدر ويأذن لي معهم . قال : فوجد بعضهم من ذلك فقالوا : ياذن لهذا الفتى منا ومن آبائنا من هو مثله ! فقال لهم عمر : إنه من قد علمتم . قال : فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم ، فسألم من هذه السورة « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ » فقالوا : أمر الله جل وعز نبيه صلى الله عليه وسلم إذا فتح عليه أن يستغفره وأن يتوب إليه . فقال : ما تقول يا بن عباس ؟ قلت : ليس كذلك ، ولكن أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بحضور أجله فقال : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ » فذلك علامة موتك . « فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا » . فقال عمر رضي الله عنه : تلوموني عليه ؟ وفي البخاري فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول . ورواه الترمذي قال : كان عمر يسألني مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الرحمن بن عوف : أسأله ولنا بنون مثله ؟ فقال له عمر : إنه من حيث تعلم . فسأله من هذه الآية « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ » . فقلت : إنما هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحمله إياه ، وقرأ السورة إلى آخرها . فقال له عمر : والله ما أعلم منها إلا ما تعلم . قال : هذا

(١) الذي في الطبري والكناف : « ستين » . (٢) أي غضب . (٣) أي من جهة

ذكاه وزيادته معرفه . أو من جهة قرايه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حليت حسن صحيح . فإن قيل : لماذا يُغفر للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يؤمر بالاستغفار؟  
 قيل له : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : " رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئِي وَجَهْلِي  
 وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئِي وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي وَكُلَّ  
 ذَلِكَ عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَتَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ أَنْتَ الْمَقْدُمُ وَأَنْتَ  
 الْمُؤْتِرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " . فكان صلى الله عليه وسلم يستنصر نفسه لعظم ما أنعم الله به  
 عليه، ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذنباً . ويمتنع أن يكون بمعنى : كن متعلقاً به  
 سائلاً راحياً، متضرعاً على رؤية التصغير في أداء الحقوق؛ لئلا ينقطع إلى رؤية الأعمال .  
 وقيل : الاستغفار تعبدٌ يجب إتيانه لا لفطرة بل تعبدًا . وقيل : ذلك تنبيه لأنت لئلا  
 يأمنوا ويتركوا الاستغفار . وقيل : « وَأَسْتَغْفِرُهُ » أى استغفر لأمتك . ( إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا )  
 أى على المسبِّحين والمستغفرين يتوب عليهم ويرحمهم ، وقيل توبتهم . وإذا كان عليه  
 السلام وهو معصوم يؤمر بالاستغفار فما الغن بغيره . روى مسلم عن عائشة قالت : كان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر من قول " سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ  
 إِلَيْهِ " . قالت : قلت يا رسول الله، أراك تكثر من قول " سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ  
 وَأَتُوبُ إِلَيْهِ " ؟ فقال : " خَيْرُنِي رُبِّي أَنَّى سَارَى حَلَامَةً فِي أَمْنِي فَإِنَّا رَأَيْنَا أَكْثَرُتُ مِنْ  
 قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فَقَدْ رَأَيْنَا « إِذَا جَاءَ تَصَرَّاهُ وَالْفَتْحُ » - فتح  
 مكة - « وَرَأَيْتُ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا » فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ  
 تَوَّابًا " . وقال ابن عمر : نزلت هذه السورة بنى في حجة الوداع، ثم نزلت « الْيَوْمَ اكْمَلْتُ  
 لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي <sup>(١)</sup> » فماش بعدها النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين يوما . ثم  
 نزلت آية الكَلَالَةِ فماش بعدها خمسين يوما . ثم نزل « فَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ » فماش  
 بعدها خمسة وثلاثين يوما . ثم نزل « وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ » فماش بعدها أحدًا  
 وعشرين يوما . وقال مقاتل سبعة أيام . وقيل غير هذا مما تقدم في « البقرة » بيانه والحمد لله .

(١) آية ٣ سورة المائدة .

(٢) آخر - سورة النساء .

(٣) آية ١٢٨ سورة النورية .

(٤) آية ٢٨١ سورة البقرة .

(٥) راجع ج ٣ ص ٣٧٥

## سورة « تَبَّتْ »

وهي مَكْتَبَةٌ بِإِيجَاعٍ . وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①

فيه ثلاث مسائل :

الأولى - قوله تعالى : ( تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ) في الصحيحين وغيرهما واللفظ لمسلم من ابن عباس قال : لما نزلت « وَإِنْزَارٌ لِّشَرِّكَ الْأَقْرَبِينَ » ودهكك منهم المخلصين ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا ، فهتف : يا صباحاه ! فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟ قالوا محمد . فأجتمعوا إليه . فقال : « يا بني فلان يا بني فلان يا بني فلان يا بني مناف يا بني عبد المطلب » فأجتمعوا إليه . فقال : « أرايتم لو أخبرتم أن خيلاً تخرج بسفع هذا الجبل أكنتم مُصَدِّقِينَ ؟ » قالوا ، ما جربنا عليك كذباً . قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » . فقال أبو لهب : تباً لك ! ، أما جعنتا إلا لهذا ! ثم قام فنزلت هذه السورة « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ » كما قرأ الأعمش إلى آخر السورة . زاد الحميدى وغيره : فلما سمعت أمراءه ما نزل في زوجها وفيها من القرآن ، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه ، وفي يدها قهراً من هجرة ، فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى إلا أبا بكر . فقالت : يا أبا بكر ، إن صاحبك قد بلّنى أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، والله إنى لشاعرة :

مُسَدِّمًا عَصِيْبًا • وَأَمْرَهُ أَتَيْنَا • وَدِينَهُ قَلِيلًا

(١) آية ٢١٤ سورة الشراء . . (٢) قال الثوري في شرح سلم : « وتظاهر هذه العبارة أن قوله ودهكك منهم المخلصين كان قرأاً أنزل ثم ضمنت تلاوته » . (٣) الفهر (بالكسر) : المجرى . الكف . وقيل الهجاء طلقاً .

ثم أنصرفت . فقال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تراها رأيتك ؟ قال : « ما رأيته لقد أخذ الله بصرها عني » . وكانت قريش إنما تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمتاً ؛ يسبونونه . وكان يقول : « ألا تعجبون لما صرف الله عني من أذى قريش ، يسبونون ويهجون مذمتاً وأنا عاهد » . وقيل : إن سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما ذا أعطى إن آمنت بك يا عاهد ؟ فقال : « كما أعطى المسلمون » قال : ما لي عليهم فضل ؟ قال : « رأى شيء تبني » ؟ قال : تبنا لهذا من دين أن أكون أنا وهؤلاء سواء ؛ فأنزل الله تعالى فيه : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ » . وقول ثالث حكاه عبد الرحمن بن بكسان قال : كان إذا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفدٌ أنطلق إليهم أبو لهب ، فيسألونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون له : أنت أعلم به منا . فيقول لهم أبو لهب : إنه كتاب ساحر . فيرجعون عنه ولا يلتفتونه . فأتى وفد ففعل معهم مثل ذلك فقالوا : لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه . فقال لهم أبو لهب : إنا لم نزل نعالجه ، فنبأه وتساء ؛ فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » السورة . وقيل : إن أبا لهب أراد أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فتعنه الله من ذلك ، وأنزل الله تعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ » للع الذي وقع به . ومعنى « تَبَّتْ » خسرت ؛ قاله قتادة . وقيل : خابت ؛ قاله ابن عباس . وقيل : ضلت ؛ قاله عطاء . وقيل : هلكت ؛ قاله ابن جبير . وقال يمان بن رثاب : صغرت من كل خير . حكى الأصمعي عن أبي عمرو ابن العلاء أنه لما قُتل عثمان رحمه الله سمع الناس هاتفا يقول :

لَقَدْ خَلَّوْكَ وَأَنْصَرَفُوا \* لَمَّا آوُوا وَلَا رَجَعُوا

وَلَمْ يُؤْتُوا بِسُدْرِيهِمْ \* فَيَا تَبَّ لِمَا صَبَّحُوا<sup>(١)</sup>

وخصَّ بالبدن بالتياب لأن العمل أكثر ما يكون بهما ؛ أي خسرتا وخسر هو . وقيل : المراد بالبدن نفسه . وقد يعبر عن النفس بالبدن ؛ كما قال الله تعالى : « يَوْمَ قُذِّمَتْ يَدَاكَ<sup>(٢)</sup> »

(١) في بعض نسخ الأصل : • فَيَا لَهْيَ صَبَّحُوا •

(٢) آية ١٠ سورة الحج .

أى تسك . وهذا مذهب كلام العرب ؛ تبريع بعض الشيء عن كله ؛ يقول : أصابته يدُ البهر ،  
ويدُ الرزايا والمنايا ؛ أى أصابه كل ذلك . قال الشاعر :

لَمَّا أَكَبْتُ يَدُ الرِّزَايَا • طِيَهُ نَادَى آلَا مُجِيرٌ

(وَقَبَّ) قال الفراء : اتَّبَ الأول دماء والثاني خبر ؛ كما يقال : أحلكه الله وقد حلك .  
وقرأه عبد الله وأبى . وقد تبَّ . وأبو لب اسمه عبد العزى ، وهو ابن عبد المطلب عم  
النبي صلى الله عليه وسلم . وأمرأته العوراء أم جميل ، أختُ أبي سفيان بن حرب ، وكلاهما ،  
كان شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم . قال طارق بن عبد الله الحاربي : إني بسوق  
ذئ الحَبَّاز ، إذ أنا بإنسان يقول : « يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله فُصلحوا » . وإذا رجل  
خلفه يرميه ، قد أذمى ساقيه وعُرِفُو بَيَّة ويقول : يا أيها الناس ، إنه كذاب فلا تصدقوه . فقلت  
من هذا ؟ فقالوا : عد ، زعم أنه نبي . وهذا عمه أبو لب يزعم أنه كذاب . وروى عطاء عن  
أبي عباس قال قال أبو لب : صهركم عد ! إن أحدنا لياكل الجندمة<sup>(٢)</sup> ، ويشرب العس<sup>(٣)</sup> من  
البن فلا يشبع ، وإن هذا قد أشبعكم من قنينة شاة ، وأزواكم من عس لبن .

الثانية - قوله تعالى : (أَبَى لَبَّ) قيل : مُعَيَّ بِاللَّهْب لحسنه وإشراق وجهه .  
وقد ظن قوم أن في هذا دليلا على كُفْيَةِ المشرك ، وهو باطل ، وإنما تنجَّاه الله بأبي لب . عند  
العلماء - لمعان أربعة : الأول - أنه كان اسمه عبد العزى ، والعزى صنم ، ولم يضل الله  
في كتابه العبودية إلى صنم . الثاني - أنه كان يكنيته أشهر منه باسمه ، فصرح بها .  
الثالث - أن الاسم أشرف من الكنية ؛ فخطه الله عز وجل عن الأشرف إلى الأقل ؛  
إذ لم يكن بد من الإخبار عنه ، ولأنك دعا الله تعالى الأنبياء باسمهم ولم يكن من أحد  
منهم . ويثلُّك على شرف الاسم على الكنية أن الله تعالى يُسَمِّي ولا يَكْنِي ، وإن كان ذلك  
لظهوره وبيانه ؛ واستحالة نسبة الكنية إليه لخصمه عنها . الرابع - أن الله تعالى أراد أن

(١) يقال طريق مهب : أى واضح واسع من . (٢) الجندمة : يد الشاة في السنة الثانية .

(٣) العس (بالهم) : الفدح الكثير .

بحق نسبه بأن يدخله النار ، فيكون أباً لها ، تحقيقاً للنسب ، وإمضاءً للقال والعبرة التي اختارها لنفسه . وقد قيل : اسمه كُتِبَتْه . فكان أهله يُسمونه أباً لهب لثلب وجهه وحسنه ، مصرفهم الله عن أن يقولوا : أبو النور وأبو الضياء الذي هو المشترك بين المحبوب والمكره ، وأجرى على الستم أن يضيفوه إلى لمب الذي هو مخصوص بالمكره المذموم ؛ وهو النار . ثم حقق ذلك بأن يجعلها مقره . وقرأ مجاهد ومحمد وابن كثير وابن عيينة . « أبي لهب » بإسكان الهاء . ولم ينتظروا في « قَاتَ لَمِب » أنها مفتوحة ؛ لأنهم رأوها فيها رموس الآتي .

الثالثة - قال ابن عباس : لما خلق الله من جبل القلم قال له : اكتب ما هو كائن ، وكان فيما كتب « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَمِبٍ » . وقال منصور : سُئِلَ الحسن عن قوله تعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَمِبٍ » هل كان في أم الكتاب ؟ وهل كان أبو لمب يستطيع ألا يُصَلِّي النار ؟ فقال : والله ما كان يستطيع ألا يصلها ، وإنها لفي كتاب الله من قبل أن يُخلق أبو لهب وأبواه . وفي يده قول موسى لآدم : أنت الذي خلقك الله بيده ، ووهب فيه من رُوحه ، وأمسكك بيمينه ، واتَّخَذَ لَكَ مَلَائِكَةً ، خَيَّرَ النَّاسَ ، وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ . قال آدم : وأنت موسى الذي أصطفاك بكلامه ، وأعطاك التوراة ، تَلَوْنِي عَلَى أَمْرِ كَتَبَهُ اللهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلِقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَخَجَّ آدَمُ مُوسَى » ، وقد تَهَدَّمْ هَذَا . وفي حديث هشام عن أبي هريرة أن آدم قال لموسى : « بِكُمْ وَجَدْتُ اللهُ كَتَبَ التَّوْرَةَ قَبْلَ أَنْ يُخْلِقَنِي » ؟ قال : « بَالَيْهِ عَامٌ » قال : « نَهَل وَجَدْتُ فِيهَا » : « وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى » قال : « نَمَّ » قال : « أَتَلَوْنِي عَلَى أَمْرِ وَكَبَتِ اللهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُخْلِقَ بَالَيْهِ عَامٌ » . لَخَجَّ آدَمُ مُوسَى . وفي حديث طاووس وأبى هريرة عن الأخرج عن أبي هريرة : « بَارِعِينَ عَاماً » .

(١) في الأصول : « أهرت » . (٢) أي غلبه بالحجة . (٣) راجع ج ١١ ص ٢٥٦

(٤) أي غلبه بقوة جته .

قوله تعالى : مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿١﴾

أى ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من المال، ولا ما كسب من جاه . وقال مجاهد : من الولد؛ وولد الرجل من كسبه . وقرأ الأعمش « وَمَا أَكْتَسَبَ » ورواه عن ابن مسعود . وقال أبو الطُّفَيْل : جاء بنو أبى لبب يختصمون عند ابن عباس ، فاقبلوا ، فقام ليحجز بينهم ، فدفعه بعضهم ، فوقع على الفراش ، فغضب ابن عباس وقال : أخرجوا عنى الكسب الخبيث ؛ يبنى ولده . وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وإن ولدى من كسبه » . أخرجه أبو داود . وقال ابن عباس : لما أنذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته بالنار ، قال أبو لبب : إن كان ما يقول ابن أمى حقا فإنى أئدى نضى بمالى وولدى ، قتل : « مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ » . و « مَا » فى قوله : « مَا أَغْنَىٰ » يجوز أن تكون نسيا ، ويجوز أن تكون استغناء ؛ أى أى شئ أغنى [ عنه ] ؟ و « ما » الثانية : يجوز أن تكون بمعنى الذى ، ويجوز أن تكون مع الفعل مصدرا ؛ أى ما أغنى عنه ماله وكسبه .

قوله تعالى : سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٢﴾

أى ذات اشتعال وتلهب . وقد مضى فى سورة « المرسلات » <sup>(١)</sup> القول فيه . وفراة العامة : « سَيَصْلَىٰ » بفتح الاء . وقرأ أبو رجاء والأعمش : بضم الاء . ورواها محبوب عن إسماعيل عن ابن كثير ، وحسين عن أبى بكر بن حاصم ، ورويت عن الحسن . وقرأ أشهب الثعلبي وأبو تمال التدي - ومحمد بن السميع « سَيَصْلَىٰ » بضم الاء ، وفتح الصاد ، وتشديد اللام ، ومعناها سيصليه الله ؛ من قوله : « وَتَصْلَىٰ بِهِم » <sup>(٢)</sup> . والثانية من الإصلاء ؛ أى يصليه الله ؛ من قوله : « فسوف نصليه نارا » <sup>(٣)</sup> . والأولى هى الاختيار ؛ لإجماع الناس عليها ؛ وهى من قوله : « إلّا من هو صالح الجحيم » <sup>(٤)</sup> .

(٢) آية ٩٤ سورة الواقعة .

(١) راجع ١٩٥ ص ١٦٠ .

(٤) آية ١٦٣ سورة الصافات .

(٢) آية ٣٠ سورة النساء .

قوله تعالى : **وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ** ①

قوله تعالى : ( **وَأَمْرَأَتُهُ** ) أم جميل . وقال ابن العربي : العوراء أم فيح ، وكانت عوراء . ( **حَمَّالَةُ الْحَطَبِ** ) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي : كانت تمشي بالقيمة بين الناس ؛ تقول العرب : فلان يحطب على فلان إذا ورّس عليه . قال الشاعر :  
**إِنَّ بَنِي الْأَدْنَمِ حَمَلُوا الْحَطَبَ • هُمُ الرُّشَاةُ فِي الرِّضَا وَفِي النَّعْبِ**  
**• عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ تَمَرَى وَالْحَرْبُ** ②

وقال آخر :

من البيض لم تُصْطَفْ على ظَهْرٍ لَامِيَةٍ • وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْحَطَبِ الرَّطِيبِ

يعني لم تمش بالنساء ، وجعل الحطب رطباً ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر . وقال أكرم بن صبيح لبنيه : إياكم والقيمة ! فإنها نارٌ محرقة ، وإن الثَّامَ ليعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر . أخذ بعض الشعراء فقال :

**إِنَّ الثَّيْمَةَ نَارٌ وَبِكَ مُحْرِقَةٌ • فَفَرَّ عَنْهَا وَجَانِبٌ مِنْ تَمَاطَلَا**

ولذلك قيل : نار الحقد لا تحبو . وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يدخل الجنة تَمَامٌ " . وقال : " ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيباً " . وقال عليه الصلاة والسلام : " من شَرَّ الناسِ ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه " . وقال كعب الأحبار : أصاب بني إسرائيل خطئ ، فخرج بهم موسى عليه السلام ثلاث مرات يستسقون فلم يُسْقُوا . فقال موسى : " إلهي صابرك " فأوحى الله إليه " إني لا أستجيب لك ولا لمن معك لأن فيهم رجلاً تماماً قد أصرَّ على التَّيْمَةِ " فقال موسى : " يا رَبِّ مَنْ هو حتى تخرجه من بيننا ؟ " فقال : " يا موسى إنهاك عن التَّيْمَةِ وأكون تماماً " . قال : فتأبوا بأجمعهم فسُقُوا . والتَّيْمَةُ من الكِبَارِ ، لا خلاف في ذلك ؛ حتى قال الفضيل بن عياض : ثلاث تهتد العمل الصالح

(١) « حمالة » بالفتح قراءة نافع ، وبها قرأ الخلف . (٢) الثوريش : الشيريش ؛ قال : ورثت

بين قوم وأزنت . (٣) الحرب (بالضرب) : تهب مال الإنسان وزكه لا يهيه .

وَيُطْرَقُونَ الصَّامِ وَيَقْضُونَ الْوُضُوءَ : النِّية ، وَالنِّيَّة ، وَالْكَتَب . وَقَالَ عطاء بن السائب : ذَكَرْتُ لِلشَّعْبِيِّ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَافِكٌ دِيمٌ وَلَا مَشَاءٌ بَنِيْمَةٌ وَلَا تَاجِرٌ رِبِّي " فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَمْرٍو ، قَرْنَ الْقَامَ بِالْقَاتِلِ وَأَكْلَ الرِّبَا ؟ فَقَالَ : وَهَلْ تُسْفِكُ الدِّمَاءَ وَتُنْتَهَبُ الْأَمْوَالُ وَتُتَبَّحُّ الْأُمُورُ الْعِظَامُ إِلَّا مِنْ أَجْلِ النِّيَّةِ .

وقال قتادة وغيره : كانت تعبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر . ثم كانت مع كثرة ما لها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بُحْلِها ، فُسِّرَتْ بِالْبُخْلِ . وقال ابن زيد والضحاك : كانت تحمل البيضاء والشوك فطرحة بالليل على طريق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ وقاله ابن عباس . قال الربيع : فكان النبي صلى الله عليه وسلم يطؤه كما يطأ الحرير . وقال مرة الميماني : كانت أم جميل تأتي كل يوم بإبل<sup>(١)</sup>ة من الحسك فطرحتها على طريق المسلمين ، فبينما هي حاملة ذات يوم حزمة أُعِيَتْ قَصْعِدَتْ على حجر لتستريح ، فجذبها الملك من خلفها فاهلكها . وقال سعيد بن جبير : حاملة الخطايا والذنوب ؛ من قولهم : فلان يحتطب على ظهره ؛ دليله قوله تعالى : « وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْثَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ » . وقيل : المعنى حاملة الحطب في النار ؛ وفيه بُعْدٌ . وقراءة العامة « حَمَلَةٌ » بالرفع على أن يكون خبرا « وَأَمْرَأَتُهُ » مبتدأ . ويكون « فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » جملة في موضع الحال من المضمر في « حَمَلَةٌ » . أو خبرا ثانيا . أو يكون « حَمَلَةُ الْحَطَبِ » نعتا لامراته . والخبر « فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » فيوقف على هذا على « ذَاتَ لَبٍ » . ويجوز أن يكون « وَأَمْرَأَتُهُ » معروفة على المضمر في « سَيِّئَتِي » فلا يوقف على « ذَاتَ لَبٍ » ويوقف على « وَأَمْرَأَتُهُ » وتكون « حَمَلَةُ الْحَطَبِ » خبر ابتداء مخنوف . وقراء ماصم « حَمَلَةُ الْحَطَبِ » بالنصب على التثنية ؛ كأنها أشتهرت بذلك بقاء الصفة للذم لا للتخصيص ؛ كقوله تعالى : « مَلْعُونَيْنِ<sup>(٢)</sup> أَنْفُسَهُمَا » . وقراء أبو قلابة « حاملة الحطب » .

(١) الإبالة : الحزمة الكبيرة .

(٢) الحسك ؛ نبات له ثمرة ذات شوك تنقى بأصواف الثمن وهو السعدان .

(٣) آية ٣١ سورة الأنعام . (٤) آية ٦١ سورة الأحزاب .

قوله تعالى : فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿١﴾

قوله تعالى : ( فِي جِيدِهَا ) أى عُنُقِهَا . وقال امرؤ القيس :

وَجِيدٌ كَجِيدِ الرَّحِمِ لَيْسَ بِهَاشِ \* إِذَا هِيَ نَصَتْهُ وَلَا بِمُعْطِلٍ<sup>(١)</sup>

( حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ) أى من ليف ؛ قال النابغة :

مَقْدُونَةٌ بِدِينِيسِ التَّخِصِ بَازِلْمَا \* لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفُ الْقَعْرِ بِالمَسَدِ<sup>(٢)</sup>

وقال آخر :

يَا مَسَدَ الْخُلُوصِ تَعَوَّذْ بَنَى \* إِنْ كُنْتَ لَنَا لَيْتًا فَاِنَى

\* مَا شِئْتَ مِنْ أَهْمَ مَقْسِيٍّ<sup>(٣)</sup>

وقد يكون من جلود الإبل أو من أوبارها ؛ قال الشاعر :

وَمَسَدٍ أَمْرٍ مِنْ أَيْانِي \* لَيْسَ بِأَتْيَابٍ وَلَا حَقَائِقٍ<sup>(٤)</sup>

وجمع الجيد أجياد . والمسد أسداد . أبو عبيدة : هو حبل يكون من صوف . قال الحسن :

هِيَ حِبَالٌ مِنْ شَعِيرٍ تَنْبِتُ بِالْإِنِّ تُسَمَّى الْمَسَدُ ، وَكَانَتْ تُقْتَلُ . قال الضمك وغيره : هذا فى الدنيا ؛ فكانت تُمَيَّرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَقْرِ وَهِيَ تَحْتَطِبُ فِي حَبْلِ تَجْمَلُهُ فِي جِيدِهَا مِنْ لَيْفٍ ، تُخَفِّضُهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ بِهِ فَأَهْلِكُهَا ؛ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ حَبْلٌ مِنْ نَارٍ . وقال ابن عباس :

(١) الجيد : العنق . والرحم : الثدي الأبيض المتأخر للياض . و « نصت » روضه . والمطل : الذى لا حل عليه . وقوله « هاش » : أى ليس يذكره النظر .

(٢) قال الفرزدق : « مقْدُونَةٌ : أى مرمية بالهم . والدينيس : الذى قد دخل بيشه فى بيش من كثرة . والتخص : الهم ؛ وهو جمع نخصة . واليازل : الكبر . والصريف : الصباح . والقعر : ما يضم البكرة إذا كان خشباً ؛ فإذا كان حديداً فهو خلاف . ويرى : له صريف صريف القعر ( بالضم ) على اليد ، والنصب : أبود .

(٣) الأشمط : من خالط بياض وأمه سواد . والمقْسِيَّ : الذى قد انتهى فى منه فليس به خفيف كبر ولا قوة شباب . وليل : هو الذى فى آخر شبابه وأوله كبره . (٤) أمر الجبل : فنه فلا شديدا . وأيانق : جمع أيتق ؛ أى يتبع بجمع قاف . والأتياب : جمع قاب وهى القافة الحرة . والحقائق : جمع حقة وهى التى دخلت فى السنة

الرابطة وليس جدها بالقرى .

في رواية أبي صالح : « في جيلها جيلٌ من مَسَدٍ » قال : سلسلة ذرعا سبعون ذواطا -  
وقاله مجاهد وعُروة بن الزبير : تدخل من فيها وتخرج من أسفلها ، وتلوى سائرُها على عفتها .  
وقال قتادة : « جيلٌ من مَسَدٍ » قال : قِلادة من ودع . الودع : خرز بيض تخرج من البحر ،  
تتفاوت في الصغر والكبر . قال الشاعر :

• وَالْجِلْمُ جِلْمٌ صَيَّرْتُ الْوَدْعَ<sup>(١)</sup> •

والجمع ودعات . الحسن : إنما كان خرزا في عفتها . مسيد بن المسيب : كانت لها قِلادة  
فاخرة من جوهر فقالت : والآلات والنزى لا تفتقنها في عداوة عِد . ويكون ذلك مذابا  
في جيلها يوم القيامة . وقيل : إن ذلك إشارة إلى التخللان ؛ يعني أنها مربوطة عن الإيمان  
بما سبق لها من الشقاء ، كالربوط في جيلده بجبل من مسد ، والمسد : القتل . يقال : مسد  
جِلْه يمسده مسداً ، أى أجاد قتله . قال :

• يَسُدُّ أَمْلِي لِيْلِهِ وَيَأْمِيُهُ<sup>(٢)</sup> •

يقول : إن البقل يقوى ظهر هذا الحمار ويشتمه . ودابة ممسودة الخلق إذا كانت شديدة  
الأسر . قال الشاعر :

وَمَسَدٍ أَمْرَةٍ مِنْ أَيْانِي • صُهَيْبٌ عِصَاقِي ذَاتُ مَخٍّ زَاهِقِي

• لَأَنْسَ بِأَنْيَابٍ وَلَا حَقَاقِي<sup>(٣)</sup> •

ويروى :

• وَلَا ضَمَاقٍ غَمْهِنَ زَاهِقِي •

قال النراء : هو سرفوع والشعر مكفأ . يقول : بل غمهن مكثرة رفعه على الابتداء . قال :  
ولا يجوز أن يريد ولا ضماف زاهقي غمهن . كما لا يجوز أن يقول : مررت برجل أبوه قائم ؟

(١) مرث الودع يمره ويمرّه مرثاً : معه . (٢) هو ذرة . (٣) الأسر : سحق .

(٤) أمر : الجمل : فله فلا شديد . والأيانق : جمع قاعة . والصهب : جمع الأصهب وهو بغير ليس يشد اليأس .

وحقاق : جمع حقيق وهو الكرم . وزعن المنع : إذا اكثرت (الجنم) له . فهو زاهق . (٥) الإكفاء : في الشعر ،

الحفاقة بين ضربين أصنافاً ، ومن الإكفاء : أيضا الحفاقة بين جماد . قوله إذا تمارت خارج الحروف أو تاملت .

بالخض . وقال غيره : الزاهق هنا بمعنى الظاهِب ؛ كأنه قال : ولا ضمافٌ مَحْمُومٌ ، ثم رَدَّ الزاهِقَ  
 على الضماف . ورجل مَسْمُودٌ أى مجذول الخلق . وجارية حَسَنَةُ المَسَدِ والعَصَبِ والجَدَلِ والأَرْمِ<sup>(١)</sup> ،  
 وهى مَسْمُودَةٌ ومَمْصُوبَةٌ ومَجْدُولَةٌ ومَأْرُومَةٌ . والمَسَادُ على فِعال لغةٌ فى المَسَابِ ، وهو نَجْحُ السَّيْنِ<sup>(٢)</sup>  
 وسقاء السِّل . قال جيمه الجوهري . وقد أَعْرَضَ فَعِيلٌ : إن كان ذلك حِيلَهَا الذى  
 تَحْتَطِبُ به فكيف يبقى فى النار ؟ وأجيب عنه بأن الله عز وجل قادر على تعذيبه كلما  
 احتق . والحكم ببقاء أبى لب وأمراته فى النار مشروط ببقائهما على الكفر إلى المَوَافاةِ ؛  
 فلما ماتا على الكفر صدق الإخبار عنهما . فقيه مسجزة للنبي صلى الله عليه وسلم . فأمراته  
 حفظها الله بمجملها ، وأبو لب رماه الله بالمَدَسَةِ بعد وَفْعَةٍ بِدَرْ بَسِيعٍ لَيْالٍ ، بعد أن تَجَبَّهَتْ<sup>(٣)</sup>  
 أُمُّ الْفَضْلِ . وذلك أنه لما قَدِمَ الْحَيْسِيَّانِ مَكَّةَ يُخْبِرُ خَبَرَ بَدْرٍ ، قال له أبو لب : أخبرني خبر<sup>(٤)</sup>  
 الناس . قال : نعم ، والله ما هو إلا أن لَقِينَا الْقَوْمَ لَفْتَحْنَاهُمْ أَكَاثِفًا ، يَضُمُونَ السِّلَاحَ مَا  
 حِثَّ شَاوُوا ، ومع ذلك ما لمست الناس . لَقِينَا رِجَالًا يَضُمُّونَ كُلَّ حَيْلٍ بَاقٍ ، لا والله ما تُبْقِي  
 منا ؛ يقول : ما تبقى شيئا . قال أبو رافع : وكنت غلاما للعباس أنجيت الأقداح فى صُفَّةٍ  
 زَمَرَمَ ، وصعدى أُمُّ الْفَضْلِ جَالِسَةً ، وقد مررتا ما جاءنا من الخبر ، فرفعتُ طُغْبَ الْحِجْرَةِ فقلت :  
 تلك والله الملائكة . قال : فرفع أبو لب يده فضرب وجهي ضربةً مُنْكَرَةً ، وَأَوْرَثَهُ<sup>(٥)</sup> وكنت  
 رجلا ضعيفا ، فَأَحْتَمَلَنِي فَضْرَبَ بِي الْأَرْضَ وَبَرَكَ عَلَى صَدْرِي يَضْرِبُ . وَتَهَدَّتْ أُمُّ الْفَضْلِ  
 إِلَى عَمُودٍ مِنْ مُخَدِّ الْحِجْرَةِ فَتَأَخَذَهُ وَتَحُولُ : اسْتَضْعَفْتَهُ أَنْ غَالبَ عَنْهُ سَيْدُهُ ! وَتَضْرِبُهُ بِالْعُمُودِ  
 عَلَى رَأْسِهِ فَتَقْلَعُهُ قَلْبَةً مُنْكَرَةً . فقام يمزرجليه ذليلا ورماه الله بالمَدَسَةِ لِسَاتٍ ، وَأَقَامَ ثَلَاثَةَ  
 أَيَّامٍ لَمْ يُدْفِنْ حَتَّى أَتَيْنَا ؛ ثُمَّ إِنَّ وَلَدَهُ ضَلَّوهُ بِالْمَاءِ قَدْفًا مِنْ بَعِيدِ عَاقَةِ عَدُوِّ الْمَدَسَةِ . وكانت  
 قريش تقيمها كما يُتَقَرَّبُ الطَّاعُونَ . ثم أحملوه إلى أعلى مكة فاستنوه إلى جدار ، ثم رَمَوْا<sup>(٦)</sup>  
 عليه الحجارة .

(١) أى مجذولة الخلق . (٢) ولد مجزى قال سَاب ، كبير . (٣) المدسة : بزة تخرج  
 باليد فتقتل . (٤) هى لُبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الحنظلية ، أخت نبوة أم المؤمنين .  
 (٥) أَوْرَثَهُ : واثبه . (٦) أى جعلوا الحجارة يضربونها على بعض .

## سورة «الإخلاص»

مَكِّيَّةٌ ، في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر . ومَدَنِيَّةٌ ،  
في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي . وهي أربع آيات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ  
وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

قوله تعالى : ( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ) أى الواحد الّذى لا شبيه له ، ولا نظير ولا صاحبة  
ولا والد ولا شريك . وأصل «أحد» وَحْدٌ ، قلبت الواو همزة ، ومنه قول النابغة :  
• بنى الجليل على مُسْتَأْنِسٍ وَحِيدٍ •

وقد تقدم في سورة «البقرة» الفرق بين واحد واحد ، وفي «كتاب الأسنى» في شرح أسماء  
الله الحسنى ، أيضا مُسْتَوْفٍ . والحمد لله . و«أحد» مرفوعٌ على معنى هو أحد . وقيل :  
المعنى قبل الأمر والشأن الله أَحَدٌ . وقيل : «أحد» بدلٌ من قوله : «الله» . وقرأ  
جماعة «أحد الله» بلا تنوين طلباً للتحفة ، وفرلوا من التثنية الساكنين ، ومنه قول الشاعر :  
• ولا ذاكرَ الله إلا قليلاً •<sup>(١)</sup>

(١) مدرّجيت كما في نسخة :

• كان رجل وقد زال التّهابنا •

و«ذو الجليل» مكان بيت الجليل ، وهو القام . والقام : بيت ضعيف صغير لا يطوله .  
(٢) هذا مجرّيت لأن الأسماء المذمومة . ومعه .

• فأقبله غير مستحب •

( الله الصمد ) أى الذى يُصمَدُ إليه فى الحاجات . كما روى الضحاك عن ابن عباس قال : الذى يُصمَدُ إليه فى الحاجات ؛ كما قال عز وجل : « ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ » . قال أهل اللغة : الصمد السيد الذى يُصمَدُ إليه فى النوازل والحوائج . قال :

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدٍ • بِمَعْرُوفٍ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

وقال قوم : الصمد الماتم الباقى الذى لم يزل ولا يزال . وقيل : تفسيره ما بعده « ثُمَّ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ » . قال أبى بن كعب : الصمد الذى لا يلد ولا يولد ؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيوت ، وليس شيء يموت إلا يورث . وقال على وابن عباس أيضا وأبو وائل شقيق بن سامة وسفيان : الصمد هو السيد الذى قد انتهى سؤدده فى أنواع الشرف والسودد ؛ ومنه قول الشاعر :

مَلُوْنُهُ بِجُسَامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ • خُلِّعْهَا حَذِيفَ فَإِنَّتِ السَّيِّدُ الصَّمَدُ

وقال أبو هريرة : إنه المُستغنى عن كل أحد ، والحاج إلى كل أحد . وقال السدى : إنه المقصود فى الرغائب ، والمستعان به فى المصائب . وقال الحسين بن الفضل : إنه الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . وقال مقاتل : إنه الكامل الذى لا عيب فيه ؛ ومنه قول الزبير بن سديا جميعا ينصف الليل وأحسبوا • ولا رهينة إلا سيد محمد

وقال الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير : الصمد المصمت الذى لا جوف له ؛ قال الشاعر :

شهابٌ حُرُوبٍ لَا تَزَالُ جِيَادُهُ • عَوَاسٍ يَمْلِكُنَ الشَّيْخُ المَصْمَدُ

قلت : قد أتينا على هذه الأقوال مبينة فى الصمد فى ( كتاب الأسنى ) وأن الصحيح منها ما شهد له الاشتقاق ؛ وهو القول الأول ، ذكره الخطايب . وقد أسقط من هذه السورة من بعده الله وأمره وجل النار مقامه ومثواه وقرأ « الله الواحد الصمد » فى الصلاة والناس يستمعون فأسقط « قل هو » وزعم أنه ليس من القرآن . وغير لفظ « أحد » وأدعى أن هذا هو الصواب ،

( ١ ) آية ٥٣ سورة النمل . ( ٢ ) ويرى : بنجرى . ( ٣ ) وهذا لا يبرز على الله تعالى .

( ٤ ) طكت اللهامة الجاهم تملكه ( من باب تكل ) هكذا : لا كة ورككة . والتكيم والتكيسة : الحديدية المعترضة

والذي عليه الناس هو الباطل والحال ؛ فأجمل معنى الآية ؛ لأن أهل التضمير قالوا : تولت الآية جواباً لأهل الشرك لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : صِفْ لنا رَبَّكَ ، أين ذهب هو أم من نحاس أم من صُغُر ؟ فقال الله عز وجل رَدًّا عليهم : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » .  
 قفى « هو » دلالة على موضع الرد ومكان الجواب ؛ فإذا سقط بطل معنى الآية ومعنى الاقتراء على الله عز وجل والتكذيب لرسوله صلى الله عليه وسلم . وروى الترمذى عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنسب لنا رَبَّكَ ؛ فأُتِلَ الله عز وجل « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ » . والصمد : الذى لم يلد ولم يولد ؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سموت ، وليس شيء يموت إلا سيورث ، وأن الله تعالى لا يموت ولا يورث . ( وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ) قال : لم يكن له شبيه ولا حذل وليس كمثل شيء . وروى عن أبي العالية أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ألقابهم فقالوا : أنسب لنا رَبَّكَ . قال : فاتاه جبريل بهذه السورة « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » فذكر نحوه ، ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب ، وهذا أصح ، قاله الترمذى .

قلت : قفى هذا الحديث إثبات لفظ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » وتفسير الصمد . وقد تقدم . وعن حكمة نحوه . وقال ابن عباس : « لم يلد » كما ولدت مريم ، ولم يولد كما ولد عيسى وعُزَيْر . وهو رد على النصارى وعلى من قال : عزير بن الله . « وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » أى لم يكن له مثلاً أحد . وفيه تهديم وتأخير ؛ تهديره : ولم يكن له أحد كفوا ؛ لفقد خبر كان على اسمها لبساق أو اسرار الآى على نظم واحد . وقُرئ « كفوا » بضم الفاء وسكونها . وقد تقدم فى « البقرة » أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم فإنه يجوز فى حينه الضم والإسكان ؛ إلا قوله تعالى : « وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْأً <sup>(١)</sup> لِيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ » . وقرا حفص « كُفُوا » مضموم الفاء غير مهموز . وكلها لغات فصيحة .

(١) فى نسخة من الأصل : « فأعطى آية وأبطل المعنى ووصف آقراء على الله من رجب ... » الخ .

(٢) بالمعز قراءة تافع ، وهى قراءة للقرطبي . (٣) راجع ج ١ ص ٤٧ طبة ثانية أرقام ٢٠٤

(٤) آية ١٥ سورة الزمر راجع ج ١٦ ص ٦٩

القول في الأحاديث الواردة في فضل هذه السورة ؛ وفيه ثلاث مسائل : -

الأولى - ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سمع رجلا يقرأ « قل هو الله أحد » يتردها ؛ فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، وكان الرجل يتقالمًا<sup>(١)</sup> فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده إنها تفضل ثلث القرآن » . وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أَيَسْبَحُ أَحَدُكُمْ أَنْ يقرأ ثلث القرآن في ليلة » فشق ذلك عليهم وقالوا : أَيْتَأْتِيكَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فقال : « الله الواحد الصمد ثلث القرآن » خرجه مسلم من حديث أبي الدرداء بمعناه . وخرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَحْضِدُوا لِي أَنِي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ » فَحَشَدَ مِنْ حَشَدٍ<sup>(٢)</sup> ؛ ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ »<sup>(٣)</sup> ثُمَّ دَخَلَ فَعَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ : إِنْ أَرَى هَذَا خَيْرًا جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ ، فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ . ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ : « إِنْ قُلْتَ لَكَ سَأَفْرَأُ عَلَيْكَ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ إِلَّا إِنِّي تَعْمَلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ » قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : إِنِّي عَدَلْتُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ لِأَجْلِ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ « الصَّمَدُ » فَإِنَّهُ لَا يُوْجَدُ فِي غَيْرِهِ مِنَ السُّورِ . وَكَذَلِكَ « أَحَدٌ » . وَقِيلَ : إِنْ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ أَمَلًا ، مُثَلَّثًا مِنْهُ أَحْكَامٌ ، وَثَلَاثَةٌ مِنْهُ وَهْدٌ وَوَعِيدٌ ، وَثَلَاثَةٌ مِنْهُ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ ؛ وَقَدْ جُمِعَتْ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » [ أَحَدٌ ] الْثَلَاثُ وَهُوَ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ . وَدَلَّ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ مَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ أَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ جُزْأَ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ جَعَلَ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » جُزْأً مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ » . وَهَذَا نَصٌّ ؛ وَبِهَذَا الْمَعْنَى سُمِّيَتْ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ ، وَانْهَ أَهْلُ .

الثانية - روى مسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم بـ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » ؛ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى

(١) أي يعتقد أنها كلمة في السبل لا في التقدير . (٢) في شرح التبيين على البخاري في فضائل القرآن :

« أنه لا إله إلا الله الصمد كلمة عن قل هو الله أحد » . (٣) من باب قل وضرب ، ويستعمل متعديا ولازما .

(٤) أي اجتمع من اجتماع . (٥) زيادة من التلخيص .

الله عليه وسلم قال : « سلوه لأى شيء يصنع ذلك » ؟ فسألوه فقال : « لأنها صفة الرحمن ، فانا أحب أن أقرأ بها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخبروه أن الله عز وجل يحب » . وروى الترمذى عن أنس بن مالك قال : كان رجل من الأنصار يؤتمهم في مسجد قباء وكان كلما أفتتح سورة يقرأها لهم في الصلاة يقرأ بها ، اختص به « قل هو الله أحد » ؛ حتى يفرغ منها ، ثم يقرأ بسورة أخرى معها ، وكان يصنع ذلك في كل ركعة ، فكلبه أصحابه فقالوا : إنك تقرأ بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزيك حتى تقرأ بسورة أخرى ، فلما أن قرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بسورة أخرى ؟ قال : ما أنا بتاركها ، إن أحببت أن أؤتمكم بها ففعلت ، وإن كرهتم تركتكم ؛ وكانوا يرونه أفضلهم وكروها أن يؤتمهم غيره ؛ فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر ، فقال : « يا فلان ما يمنعك مما يأمرك به أصحابك وما يمنعك أن تقرأ هذه السورة في كل ركعة » ؟ فقال : يا رسول الله ، إني أخبها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن حبها ادخلك الجنة » قال : حديث حسن غريب صحيح . قال ابن العربي : « فكان هذا دليلا على أنه يجوز تكرار سورة في كل ركعة . وقد رأيت على باب الأسباط فيما يقرب منه إماما من جملة الثانية والمشرين إماما كان يصل في التراويح في رمضان بالأثران ؛ فيقرأ في كل ركعة « الحمد لله » و « قل هو الله أحد » حتى يتم التراويح ؛ تنظيها عليه ورضة في فضلها . وليس من السنة ختم القرآن في رمضان » .

قلت : هذا نص قول مالك ، قال مالك : وليس ختم القرآن في المساجد بسنة .

الثالثة — روى الترمذى عن أنس بن مالك<sup>(١)</sup> قال : أقبلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ « قل هو الله أحد » ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وجبت » قلت : وما وجبت ؟ قال : « الجنة » . قال : هذا حديث حسن صحيح<sup>(٢)</sup> . قال الترمذى :

(١) الرواية في الترمذى من أبي هريرة .

(٢) في الترمذى : « حسن غريب » .

-حدثنا محمد بن مَرْزُوق البَصْرِيُّ قال حدثنا حاتم بن مَيْمُون أبو مَيْمُون عن ثابت البُنَانِي عن أنس  
ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد  
مُحْيٍ عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين " . وبهذا الإسناد عن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال : " من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة  
فإذا كان يوم القيامة يقول الرب يا صدي أدخل على بيئك الجنة " . قال : هذا حديث  
غريب من حديث ثابت عن أنس . وفي مسند أبي محمد الدارمي عن أنس بن مالك قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفرت له ذنوب  
خمسين سنة " قال : وحدثنا عبد الله بن يزيد قال حدثنا حَيَّوَة قال أخبرني أبو عَقِيل أنه سمع  
سعيد بن المسيب يقول : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : " من قرأ قل هو الله أحد  
عشر مرات بُنِيَ له قصر في الجنة . ومن قرأها عشرين مرة بُنِيَ له بها قصران في الجنة .  
ومن قرأها ثلاثين مرة بُنِيَ له بها ثلاثة قصور في الجنة " . فقال عمر بن الخطاب : والله  
يا رسول الله إننا لتكثرن قصورنا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أوسع من ذلك " .  
قال أبو محمد : أبو عَقِيل زُهْرَة بن معبد ، وذكروا أنه كان من الأبدال . وذكر أبو نعيم  
الحافظ من حديث أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشَّخِير عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : " من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يُفْتَن في قبره . وأمن من  
ضغطة القبر . وحلته الملائكة يوم القيامة بأَكْفَها حتى تُجْبِره من الصراط إلى الجنة " . قال :  
هذا حديث غريب من حديث يزيد تغرد به نصر بن حماد البجلي . وذكر أبو بكر أحمد بن حل  
أبن ثابت الحافظ عن عيسى بن أبي فاطمة الرازي قال سمعت مالك بن أنس يقول : إذا نُقِسَ  
بِالنَّفوسِ أَشْتَدَّ غَضَبُ الرَّحْمَنِ فَتَقْتُلُ الْمَلَائِكَةُ فَيَأْخُذُونَ بِأَقْطَارِ الْأَرْضِ فَلَا يَزَالُونَ يَقْرَعُونَ  
« قل هو الله أحد » حتى يسكن غضبه جلّ وعزّ . وتخرج من حديث محمد بن خالد الجبلي  
عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من دخل يوم الجمعة  
المسجد فصلب أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة

فذلك مائتا مرة في أربع ركعات لم يمت حتى يرى منزله في الجنة أو يرى له " . وقال  
أبو عمرو مولى جبريل بن عبد الله البجلي عن جبريل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
" من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل وعن الجيران " .  
ومن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قرأ قل هو الله أحد مرة بورك  
عليه ومن قرأها مرتين بورك عليه وصل أهله ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وصل جميع  
جبراته ومن قرأها اثني عشرة مرة بنى الله له اثني عشر قصرا في الجنة ويقول الحفظة انطلقوا  
بنا ننظر إلى قصر أخينا فإن قرأها مائة مرة كَفَّرَ الله عنه ذنوب خمسين سنة ما خلا الدماء  
والأموال فإن قرأها أربع مائة مرة كَفَّرَ الله عنه ذنوب مائة سنة فإن قرأها ألف مرة لم يمت  
حتى يرى مكانه في الجنة أو يرى له " . وعن مهمل بن سعد السامدي قال : شكنا رجل إلى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر وضيق المعيشة ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
" إذا دخلت البيت فسلم إن كان فيه أحد وإن لم يكن فيه أحد فسلم على " وقرأ قل هو الله  
أحد مرة واحدة " ففعل الرجل فأثَّرَ الله عليه الرزق حتى أنفاض على جبراته . وقال أنس :  
كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بَبْرُوك ، فطلعت الشمس بيضاء لها شُعاع ونور ،  
لم أرها فيما مضى طلعت قط كذلك ، فأتى جبريل ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
" يا جبريل مالي أرى الشمس طلعت بيضاء شُعاع لم أرها طلعت كذلك فيما مضى قط " ؟  
فقال : " ذلك لأن معاوية بن معاوية اللثي تَوَقَّعَ بالمدينة اليوم فبعث الله سبعين ألف ملك  
يصلُّون عليه " . قال : " وِمَ ذلك " ؟ قال : " كان يكثر قراءة قل هو الله أحد أثناء الليل  
وأثناء النهار وفي مشاهه وقعوده فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي  
عليه " ؟ قال : " نعم " فصلى عليه ثم رجع ، ذكره التلمبي ، والله أعلم .

## تفسير سورة «الفَلَق»

وهي مكية؛ في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . ومَدَنِيَّة؛ في أحد قولي  
أبن عباس وقتادة . وهي خمس آيات .

وهذه السورة وسورة «الناس» و«الإخلاص» تؤذ بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين  
صهرته اليهود؛ على ما يأتي . وقيل : إن المؤذنين كان يقال لها المُقَشِّشَتَان ؛ أى تبرئان من  
النفاق . وقد تقدم . وزعم ابن مسعود أنهما دعاء تؤذ به ، وليستا من القرآن ؛ خالف به  
الإجماع من الصحابة وأهل البيت . قال ابن قتيبة : لم يكتب عبد الله بن مسعود في مصحفه  
المؤذنين ؛ لأنه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذ الحسن والحسين - رضى الله  
عنهما - بهما ، فقدّر أنهما بمقالة : أعيد كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل مין  
لائمة . قال أبو بكر الأنباري : وهذا مردود على ابن قتيبة ؛ لأن المؤذنين من كلام رب  
المالين المعجز لجميع المخلوقين ؛ وأعيد كما بكلمات الله التامة من قول البشريين . وكلام الخالق الذي  
هو آية محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، ووجه له باقية على جميع الكافرين ، لا يتبس بكلام  
الآدميين على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان ، العالم باللغة ، العارف بأجناس الكلام  
وأفانين القول . وقال بعض الناس : لم يكتب عبد الله المؤذنين لأنه آمن طبعهما من النسيان  
فأسقطهما وهو يحفظهما ؛ كما أسقط فاتحة الكتاب من مصحفه ، وما يُتَكَّف في حفظه وإتقانه  
لهما . فردّ هذا القول على قائله ، وأحجّ عليه بأنه قد كتب « إنا جاء نصر الله والفتح » ،  
و « إنا أعطيناك الكثير » ، و « قل هو الله أحد » . وعن يجرى مجرى المؤذنين في أنهم  
غير طوال ، والحفظ إليهم أسرع ، ونسيانهم مأمون ، وكلهم يخالف فاتحة الكتاب ؛  
إذ الصلاة لا تم إلا بقراءتها . وسبيل كل ركة أن تكون المقدمة فيها قيل ما يقرأ من بعدها ،  
فأسقاط فاتحة الكتاب من المصحف على معنى الثقة ببقاء حفظها ، والأمن من نسيانها صحيح ،  
وليس من السور ما يجري في هذا المعنى مجراها ، ولا يسلك به طريقها . وقد مضى هذا  
المعنى في سورة « الفاتحة »<sup>(١)</sup> . والحمد لله .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾  
وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾  
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾  
فيه تسع مسائل :

الأول - روى النسائي عن عتبة بن عامر قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو راكب ، فوضعت يدي على قدمه ، فقلت : أقرئني سورة [ هود ] أقرئني سورة يوسف . فقال لي : " ولن اقرأ شيئا أبلغ عند الله من « قل أعوذ برب الفلق » " . وعنه قال : بينا أنا أسير مع النبي صلى الله عليه وسلم بين الجحفة والأبواء ، إذ غشيتنا ريح مظلمة شديدة ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ بـ « أعوذ برب الفلق » و « أعوذ برب الناس » ويقول : " يا عتبة تعوذ بهما فسا تعوذ متعوذ بهما " . قال : وسمعتهم يقرأ بهما في الصلاة . وروى النسائي عن عبد الله قال : أصابنا طش وظلمة ، فانتظرونا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج . ثم ذكر كلاما منه : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم [ ليصل بنا ] فقال : " قل " . قلت : ما أقول ؟ قال : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمَحْذُوثِينَ حِينَ تَمُوتُ حِينَ تَصْبِحُ ثَلَاثًا بِحُفِكَ كُلِّ شَيْءٍ " . وعن عتبة بن عامر الجعفي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قل " . قلت : ما أقول ؟ قال قل : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ - فقراهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال - لم يتعوذ الناس بمثلهن أولا يتعوذ الناس بمثلهن . وفي حديث ابن عباس « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

(١) زيادة عن سنن النسائي . (٢) العلق (فتح الباء) وتشدّد الشين : المطر الضعيف .

(٣) الذي في سنن النسائي : « فانتظرونا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصل بنا ثم ذكر ... الخ » .

(٤) زيادة عن سنن النسائي .

الْقَلْبِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ » . وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أشتكى قرأ على نفسه بالمعوذتين وَيَنْتَحْتُ ، فلما أشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها . الثَّقْتُ : الفسخ ليس معه ريق .

الثانية — ثبت في الصحيحين من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم صهر يهودي من يهود بني نُدَيْقٍ يقال له كَيْدٌ بن الأَعْمَصِ ، حتى يُجِيلَ إليه أنه كان يفعل الشيء ولا يفعله ، فكثرت ذلك ما شاء الله أن يمكث — في خير الصحيح : بسنة — ثم قال : « يا عائشة أشرت أن الله أفناني فيها استغنيته فيه . أفانئى ملكان بغلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال [ الذي عند رأسي للذي عند رجلي ] ما شأن الرجل قال مَطْبُوبُ قال (١) ومن طَبَّه قال كَيْدٌ بن الأَعْمَصِ قال فإنا قال في مُشْطٍ ومشاطة وَجِفَّ طَلْعَةٌ ذَكَرْتُ راعوفة في بَرْدَى أُرْوَانِ (٢) . بغاء البئر واستخرجه . انتهى الصحيح . وقال ابن عباس : « أما شُحْرَتُ يا عائشة أن الله تعالى أخبرني بدائي (٣) . ثم يمست عليا والوزير وصهار بن ياسر قدحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ، ثم وضعوا الصخرة وهي الراعوفة — صخرة ترك أسفل البئر يقوم عليها الماشع (٤) ، وأخرجوا الجُفَّ فإذا مُشَافَةٌ رأس إنسان ، وأصان من مشط وإذا وتر مفقود فيه إحدى عشرة عقدة مفرزة بالإبر ، فأنزل الله تعالى هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ ، وهما إحدى عشرة آية على عدد تلك العقدة ، وأمر أن يتعوذ بهما ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ، ووجد النبي صلى الله عليه وسلم خِفَّةً ، حتى انحلت العقدة الأخيرة فكأنما أُنْشِطَ من حفال ، وقام ليس به بأس . وجعل جبريل يرقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : « باسم الله

- (١) زيادة من الصحيحين . (٢) المطبوع : المسحور . (٣) في بعض نسخ الأصل وبعض كتب الحديث : «درمشاة» بالفتح بدل الفاء ، وهو ما يستخرج من الكتاب . والشيء : الآلة التي يشط بها النحر . (٤) الجف (بضم الجيم وتشديد الفاء) : اللحاء الذي يكون على الطلع ويعلق على الذكر والأنثى ، فدايمده بقوله « ذكر » . (٥) الراعوفة : جبرأتى على رأس البئر لا يستطاع الله يقوم عليه المسحق . وقيل هو في أسفلها . (٦) ويقال : « يردذوان » وهي بئر بالحيرة في بستان بني نُدَيْقٍ . (٧) أي في رواية . (٨) في بعض نسخ الأصل : « الماشع » بالهاء المثناة من فوق ، وهو المسحق من البئر بالهلو من أهل البئر . أما الماشع بالهمزة فهو الذي يكون في أسفل البئر يلا الهلو .

أَرَبِّكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ وَمَعِينٍ وَاللهُ يَشْفِيكَ ” . فقالوا : يا رسول الله ، ألا تقتل الخبيث . فقال : ” أنا أنا فقد شفى الله وأكره أن أثير على الناس شراً ” . وذكر القشيري في تفسيره أنه ورد في المصاح أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فذنت إليه اليهود ، ولم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم . والمشاطة (بضم الميم) ما يسقط من الشعر عند المشط . وأخذ مئة من أسنان مشطه فأعطاهم اليهود فسحروه فيها ، وكان الذي تولى ذلك يُدعى بن الأعصم اليهودي . وذكر نحوه ما تهتم من ابن عباس .

الثالثة - تقدم في البقرة القول في السحر وحقيقته وما ينشأ عنه من الآلام والمفاسد ، وحكم الساحر ، فلا معنى لإعادته .<sup>(١)</sup>

الرابعة - قوله تعالى : ( الْفَلَقِ ) اختطف فيه ؛ فقيل : يخبئ في جهنم ؛ قاله ابن عباس . وقال أبي بن كعب : بيت في جهنم إذا فزع صاح أهل النار من حره . وقال الجلي أبو عبد الرحمن : هو أسم من أسماء جهنم . وقال الكلبي : واد في جهنم . وقال عبد الله ابن عمر : شجرة في النار . سعيد بن جبيرة : جُب في النار . التماس : يقال لما اطماق من الأرض فائق ؛ فعل هذا يصح هذا القول . وقال جابر بن جلفاء والحسن وسعيد بن جبيرة أيضاً ومجاهد وقادة والقُرظلي وأبن زيد : الفلق ، الصبح . وقاله ابن عباس . تقول العرب : هو أين من فلق الصبح وفُرق الصبح . وقال الشاعر :

يَا لَيْلَةً لَمْ أَمْتَهَا بِتُ مَرَّتَيْهَا \* أُرْعَى النُّجُومَ إِلَى أَنْ تَوَدَّ النَّسَائِقُ

وقيل : الفلق : الجبال والصخور تنفلق بالمياه ؛ أي تتشقق . وقيل : هو التفلق بين الجبال والصخور ؛ لأنها تتشقق من خوف الله عز وجل . قال زهير :

مَا زِلْتُ أَرْمُقُهُمْ حَتَّى إِذَا هَبَطَتْ \* أَيْدِي الرُّكَّابِ بِهِمْ مِنْ رَاكِبٍ فَلَقَا

(١) في نسخة : فاست . (٢) راجع ج ٢ ص ٤٣ لما بعد ما طبعه ثانية .

(٣) هو عبد الله بن يزيد الحافري . (٤) المرتضى : المتكبر مثل مرتضى .

الراكس : جطن الوادى . وكذلك هو فى قول النابغة :

• أَنَا نِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَّاجِحُ <sup>(١)</sup>

والراكس أيضا : الهادى ، وهو الثور وسط اليلدر تدور عليه التيران فى الدياسة . وقيل : الرحم تنفلق بالحيوان . وقيل : إنه كل ما ائلق عن جميع ما خلق من الحيوان والصبح والحب والنوى ، وكل شىء من نبات وضره ؛ قاله الحسن وضره . قال الضمك : الفلق الخلق كله ؛ قال :

وَسَوَسَ يَدْمُو مَخْلُصًا رَبَّ الْفَلَقِ • سَرًّا وَقَدْ أَوَّنَ تَأْوِينَ الْمَقِ <sup>(٢)</sup>

قلت : هذا القول يشهد له الاشتقاق ؛ فإن الفلق الشق . فقلت الشىء تلقا أى شققته . والتفلق مثله . يقال : نلقته فأفلق وتلقى . فكل ما انفلق عن شىء من حيوان وصبح وحب ونوى وماء فهو تلق ؛ قال الله تعالى : « فَأَلْقِ الْأَمْسِجَ » <sup>(٣)</sup> وقال : « فَأَلْقِ الْحَبَّ وَالنَّوَى » <sup>(٤)</sup> . وقال ذو الرمة يصف الثور الوحشى :

حتى إذا ما جهل عَنْ وَجْهِه تَلَقَّ • هَادِيَةً فِي أَثَرَاتِ الْقَيْلِ مُتَّصِبٌ

يعنى بالفلق هنا الصبح بينه . والفلق أيضا المظلم من الأرض بين الربوبين ، وجمعه تلقان ؛ مثل خلق وخلقان . وربما قالوا : كان ذلك بفلق كذا وكذا ؛ يريدون المكان المنسلخ

(١) مدراليت : • وعيد أبى قابوس فى ذمته • والفواجح جمع ضاحجة وهى منخى الراعى .

(٢) اليلدر : الموضع الذى يلدس فيه الحبيب . (٣) ورد هذا البيت فى الأصول عرقا . وهى من أدبوزة

• هبة بن الساج الذى سقاها : • وقام الأمحاق خاوى المحرق •

وقوله : « أَؤْن » أى أكل وغرب حتى ابتلا بطنه . والفق : جمع حقوق كرسول ورسول وهى التى تكامل حلها

وقرب ولادها . وصفت ما هذا لما أحس بالعيد — وهى الآن التى ردت الماء فشربت حتى ابتلات خواصرها —

ولماد ربه وسوس قبه بالعداء حذر الخلية . (٤) آية ٩٦ سورة الأنعام . (٥) آية ٩٥ سورة الأنعام .

(٦) كذا فى الأصول واللسان . والذى فى الديوان : « ما جلا » . وقال ابن بى : الرواية الصحيحة :

• حتى إذا ما جلا عن وجهه شفق • وقوله : « طهيه » أى أكله ؛ مأخوذ من الهادى وهو مقدم الفلق ؛

مِنَ الرَّبِّينَ . وَالْفَلَقُ أَيْضًا يَقَطَرَةُ السَّجَانِ . فَأَمَّا الْفَلَقُ (بِالْكَسْرِ) فَالْبَاهِيَةُ وَالْأَمْرُ السَّجْبُ ؛  
تَقُولُ مِنْهُ : أَفَلَقَ الرَّجُلُ وَأَفَلَقَ . وَشَاعِرٌ مُفْلِقٌ ، وَقَدْ جَاءَ بِالْفَلَقِ [ أَيْ بِالْبَاهِيَةِ ] . وَالسَّجْبُ  
أَيْضًا الْقَضِيبُ يَشُقُّ بِأَثْنَيْنِ فَيَعْمَلُ مِنْهُ قَوْسَانِ ؛ يُقَالُ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا فُلْقٌ . وَقَوْلُهُمْ : جَاءَ  
بُفْلَقٍ فُلْقٌ ، وَهِيَ الْبَاهِيَةُ ؛ لَا يَجْرِي [ يَجْرِي عَمْرٌ ] . يُقَالُ مِنْهُ : أَفْلَقْتُ وَأَفْلَقْتُ ؛ أَيْ جَشْتُ  
بُفْلَقٍ فُلْقٌ . وَبَرَّ يَفْلُقُ فِي مَعْنَاهِ ؛ أَيْ يَأْتِي بِالسَّجْبِ مِنْ شِدَّتِهِ .

وقوله تعالى : ( مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ) فِيل : هُوَ إِبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ . وَقِيلَ جَهَنَّمُ . وَقِيلَ :  
هُوَ عَامٌ ؛ أَيْ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ وَجِلٍ .

الخامسة - قوله تعالى : ( وَبَيْنَ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ) أَخْلَفَ فِيهِ ؛ نَقِيلُ : هُوَ  
الْأَيْلُ . وَالغَاسِقُ : أَوَّلُ ظُلُمَةِ اللَّيْلِ ؛ يُقَالُ مِنْهُ : غَسَقَ اللَّيْلُ يَغْسِقُ أَيْ أَظْلَمَ . قَالَ قَيْسُ  
الرَّقِيسِيِّ :

إِنَّ هَذَا اللَّيْلَ قَدْ غَسَقَا . وَاشْتَكَيْتُ الْمَهْمُ وَالْأَرْقَا

وقال آخر :

يَا حَلِيفَ هِنْدٍ لَقَدْ أَقْبَيْتَ لِي أَرْقَا . إِذْ جِئْتَنَا طَارِقًا وَاللَّيْلُ قَدْ غَسَقَا

هذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم . وَ « وَقَبَ » عَلَى هَذَا التفسير  
أَظْلَمَ ؛ فَالْأَبْنُ عَبَّاسُ . وَالضَّحَّاكُ : دَخَلَ . وَقَتَادَةُ : ذَهَبَ . يَمَّانُ بْنُ رِقَابٍ : سَكَنَ .  
وَقِيلَ : نَزَلَ ؛ يُقَالُ : وَقَبَ الْمَذَابُ عَلَى الْكَافِرِينَ ؛ نَزَلَ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَقَبَ الْمَذَابُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُمْ . يَلْحَقُهُمْ نَارُ السَّمُوعِ فَأُحْمِلُوا

وقال الزجاج : قِيلَ لِلَّيْلِ غَاسِقٌ لِأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ . وَالنَّاسِقُ : الْبَارِدُ . وَالغَاسِقُ الْبَرْدُ ؛  
وَلِأَنَّهُ فِي اللَّيْلِ تَخْرُجُ السَّيَاحُ مِنْ أَجَامِهَا وَالْمُحَوَّمُ مِنْ أَمَاكِنِهَا ، وَنَبِضَتْ أَهْلُ الشَّرِّ عَلَى النَّبِثِ

(١) المقطرة (بكسر الميم) : خشية فيها تروق كل نرق على قدر مئة الساق يدخل فيها أربع الميرسين ؛ مشتق  
من غلار الإبل . (٢) زيادة من اللسان مادة (علق) بضمها السابق ، وفي الأساس مادة (علق) ؛  
« وجاء بقلق فلق » على التركيب فكسبة شر » .

والغمام . وقيل : الناسق الثريا ، وذلك أنها إذا سقطت كثرت الأسماء والطوامين ، وإذا طلعت أرتفع ذلك ، قاله عبد الرحمن بن زيد . وقيل : هو الشمس إذا غربت ، قاله ابن شهاب . وقيل : هو القمر . قال القتيبي : « إنا وقب » القمر إذا دخل في ساهوره ، وهو كالغلاف له وذلك إذا خسف به . وكل شيء أسود فهو غسق . وقال قتادة : « إنا وقب » إذا غاب . وهو أجمع ، لأن في الترمذي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى القمر فقال : « يا عائشة استمذي بالله من شر هذا فإن هذا هو الناسق إذا وقب » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وقال أحمد بن يحيى طبع عن ابن الأعرابي في تأويل هذا الحديث : وذلك أن أهل الرب يحثون وجبة القمر . وأنشد :

أراحني الله من أشياء أكرهها • منها السجور ومنها الكلب والقمر  
هذا يئوج وهذا يستضاء به • وهذه ضمير قسامة السحر<sup>(١)</sup>

وقيل : الناسق الحية إذا لدغت . وكان الناسق نأبها ، لأن السم يثيق منه ، أي يسيل . ووقب نأبها إذا دخل في اللدغ . وقيل : الناسق كل حاجم يضر ، كأننا ما كان من قولهم : غسقت القرحة إذا جرى صديها .

السادسة - قوله تعالى : ( وَمِنْ شَرِّ الْفَقَائِثِ فِي الْقَعْدِ ) بنى الساحرات اللائي

يَنفِثْنَ فِي عَقْدِ الْخَيْطِ حين يرقين عليهما . شبه النفع كما يعمل من يرق . قال الشاعر :

أموذ يرق من النايضا • في عصية العائضه المبيضه<sup>(٢)</sup>  
وقال عيسى بن نوية :

تفتت في الخيط شية الرق • من خشية الجنة والحاسد

وقال عنقرة :

فإن يبرأ قلم أنفت عليه • وإن يفقد لحق له الفقود

(١) الفسرد ( كبرج ) : لغة المسرة . ومن النساء الفليقة . وقد وردت هذه الكلمة في نسخ الأصل بحرفة ، على بنسبها « صمرد » وفي البعض الآخر : « صمرد » وهو تحريف . وفي البيت إقواء ، وهو اختلاف حركات الراء .

(٢) الضمة ( كشيء ) : الكلب والسحر واليهان . والعائض : السار .

السابعة - روى النسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 " من عقد عقدة ثم قُت فيا فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل إليه " .  
 واختلف في الثفت عند الرق ؛ فمنه قوم وأجازوه آخرون . قال صكرمة : لا ينبغي للراقي أن  
 يَنْتِف ولا يمسح ولا يتقيد . وقال إبراهيم : كانوا يكرهون الثفت في الرق . وقال بعضهم :  
 دخلت على الضحاك وهو راجع ، فقلت : ألا أضورك يا أبا محمد ؟ قال : بلى ، ولكن لا تنفث ؛  
 فعوذته بالمعوذتين . وقال ابن جريح قلت لمعلل : القرآن يُنْفَخ به أو يُنْفَث ؟ قال :  
 لا شيء من ذلك ولكن تهرؤه هكذا . ثم قال بعد : أُنْفَث إن شئت . وسئل محمد بن سيرين  
 عن الرقية يُنْفَث فيها فقال : لا أعلم بها بأسا ، وإذا اختلقوا فاعلموا بينهم السنة . روت  
 عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يَنْتِف في الرقية ؛ رواه الأئمة ، وقد ذكرناه أول  
 السورة (في سبيل) . ومن محمد بن حاطب أن يده احترقت فأتت به أمه النبي صلى الله  
 عليه وسلم ، فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام ، زعم أنه لم يحفظه . وقال محمد بن الأشعث :  
 يُحب بي إلى عائشة رضي الله عنها وفي عيني سوء ، فرفقني وقفت .

وأما ما روى عن صكرمة من قوله : لا ينبغي للراقي أن ينفث ؛ فكانه ذهب به إلى أن  
 الله تعالى جعل الثفت في المقد مما يُستعاذ به ، فلا يكون بنفسه عوذة . وليس هذا هكذا ؛  
 لأن الثفت في المقد إذا كانت ممنوما لم يجب أن يكون الثفت بلا عقد ممنوما . ولأن  
 الثفت في المقد إنما أريد به السحر المضر بالأرواح ، وهذا الثفت لاستصلاح الأبدان فلا  
 يقاس ما ينفع بما يضر . وأما كراهة صكرمة المسح بخلاف السنة . قال علي رضي الله عنه :  
 اشكت فدخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقول : اللهم إن كان أجل قد حضر  
 فأرخني ، وإن كان متاخرا فأشفي وعافني ، وإن كان بلاه فصبرني . فقال النبي صلى الله عليه

(١) أي من مثل شيئا من النار إذ وانما مستعدا أنها تجلب إليه قسا أو ينجع عنه ضررا . وقيل : المراد  
 تمام الجملة مثل التلزات وأقمار السباح . أما ما يكون من القرآن والأسماء الإلهية فهو خارج عن هذا الحكم  
 (شرح سنن نسائي) (٢) راجع ١٠٠ ص ٢١٥ فما بعدها .

وسلم : « كيف قلت ؟ » فقلت له . فمسحني بيده ثم قال : « اللَّهُمَّ أَشْفَعْ » فما عاد ذلك  
الرجوع بعد . وقرأ عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن سابط وعيسى بن عمر ورويس عن  
يعقوب « ومن شر النافثات » في وزن فاعلات . ورُوِيَ عن عبد الله بن القاسم مولى  
أبي بكر الصديق رضي الله عنهما . وروى أن نساء يحرن النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى  
عشرة عقدة ، فأُزيل الله المعوذتين إحدى عشرة آية . قال ابن زيد : كثر من اليهود ؛ يعني  
السواحل المذكورات . وقيل : من بنات يزيد بن الأصم .

الثامنة — قوله تعالى : ( وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ) قد تقدم في سورة  
« النساء » معنى الحسد ، وأنه تمنى زوال نعمة المحسود وإن لم يصير للحاسد مثلها . والمنافسة  
هي تمنى مثلها وإن لم تزل . فالحسد شر مذموم . والمنافسة مباحة وهي النبذة . وقد روى  
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمن يقيط والمنافق يحسد » . وفي الصحيحين : « لا حسد  
إلا في اثنين » يريد لا غبطة . وقد مضى في سورة « النساء » والحمد لله .

قلت : قال العلماء : الحاسد لا يضر إلا إذا ظهر حسده بفعل أو قول ، وذلك بأن  
يحملة الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فيقع مساوئيه ويطلب شره . قال صلى الله عليه وسلم :  
« إذا حسدت فلا تنفع ... » الحديث . وقد تقدم . والحسد أول ذنب عُصِيَ الله به في السماء ،  
وأول ذنب عُصِيَ به في الأرض ، لحسد إبليس آدم ، وحسد قابيل هابيل . والحاسد محفوت  
مبغوض مطرود ملعون . ولقد أحسن من قال :

قل للمحسود إذا تنفس طعنة • يا ظالما وحكاه مظلوم

التاسعة — هذه سورة دالة على أن الله سبحانه خالق كل شر ، وأمر نبيه صلى الله عليه  
وسلم أن يتعوذ من جميع الشرور . فقال : « مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ » . وجعل خاتمة ذلك الحسد ،

(١) معنى الحسد تقدم في سورة البقرة ج ٢ ص ٧١ طبة ثانية . وراجع أيضا سورة النساء ج ٥ ص ٢٥١ .

(٢) هذا المذكور في سورة البقرة لا في سورة النساء . فراجع .

تنهب أهل عظمه وكثرة ضرره . والحاسد عدو نعمة الله . قال بعض الحكماء : يارز الحاسد ربه من نعمة أوجه : أحدها — أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره . وثانيها — أنه ساخط لنعمة ربه ، كأنه يقول : لم قسمت هذه النعمة ؟ وثالثها — أنه ضاد فعل الله ، أى إن فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهو يبخل بفضله الله . ورابعها — أنه خذل أولياء الله أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم . وخامسها — أنه إمان عدوه إبليس . وقيل : الحاسد لا يتألم في المجالس إلا تدامة ، ولا يتألم عند الملائكة إلا لمة وبغضاء ، ولا يتألم في الخلوة إلا جزماً ونحماً ، ولا يتألم في الآخرة إلا حرّاً واحترقاً ، ولا يتألم من الله إلا بئساً ومقتاً . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ثلاث لا يستجاب دعاؤهم أكل الحرام ومكثير الغيبة ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين " . والله سبحانه وتعالى أعلم .

### سورة «الناس»

يمثل «القلبي» لأنها إحدى الموعودتين . وروى الترمذي عن عتبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " قد أنزل الله على آيات لم ير مثلهن " **«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»** إلى آخر السورة و **«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»** إلى آخر السورة . قال : هذا حديث حسن صحيح . ورواه مسلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : **«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»** ① **«مَلِكِ النَّاسِ»** ② **«إِلَهِ**

**النَّاسِ»** ③

قوله تعالى : **«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»** أى مالكهم ومصلح أمورهم . وإنما ذكر أمه ربّ الناس ، وإن كان رباً لجميع الخلق لأمرين : أحدهما — لأن الناس معظّمون ، فأعلم بذكرهم أنه ربّ لهم وإن عظّموا . الثاني — لأنه أمر بالاستعاذة من شرهم ، فأعلم بذكرهم

أنه هو الذي يُميزُ منهم . وإنما قال : ( مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ ) لأن في الناس ملوكا فذكر  
أنه ملكهم ، وفي الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلههم ومعبودهم ، وأنه الذي يجب أن يُستأذ  
به رجليا إليه دون الملوك والعظماء .

قوله تعالى : مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿١﴾

يعني من شر الشيطان . والمعنى : من شر ذي الوسواس ؛ فغذف المضاف ؛ قاله الفراء .  
وهو ( بفتح الواو ) يعني الأكم ؛ أي المَوسوس . و ( بكسر الواو ) المصدر ؛ يعني الوسوسة .  
وكذا الزلال والزلال . والوسوسة : حديث النفس . يقال : وسوست إليه نفسه وسوسةً  
ويوسوسةً ( بكسر الواو ) . ويقال لحمن العائد والكلاب وأصوات الحيل : وسواس .  
قال ذو الرمة :

فَبَاتَ يُنْسِيهِ نَادٍ وَيُسِيرُهُ • تَتَوَبُّبُ الرِّيحِ وَالْوَسْوَاسُ وَالْمُضْطَبُّ<sup>(١)</sup>

وقال الأعشى :

تَسْمَعُ يَحْيَى وَسَوَامَا إِذَا انْصَرَفَتْ • كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِثْرِيكَ زَيْجِلُ<sup>(٢)</sup>

وقيل : إن الوسواس الخناس ابن إبليس ، جاء به إلى حواء ووضع بين يديها وقال :  
أَكْفِيلِي . فجاء آدم [ عليه السلام ] فقال ما هذا [ يا حواء ]<sup>(٣)</sup> ! قالت : جاء مدعواً بهذا  
وقال لي : أَكْفِيلِي . فقال : ألم أقل لك لا تطيعيه في شيء هو الذي غرتا حتى وقعتا في المعصية ،  
وعمد إلى الولد فقطعه أربعة أرباع ، وطقى كل ربع على شجرة غيظاً له ؛ فجاء إبليس فقال :  
يا حواء ، أين أبني ؟ فأخبرته بما صنع به آدم [ عليه السلام ] فقال : يا خنساس ، لحقي  
فاجابه . فجاء به إلى حواء وقال : اكفيلي ؛ فجاء آدم [ عليه السلام ] فخرقه بالنار ونذر رماحه  
في البحر ؛ فجاء إبليس [ عليه اللعنة ] فقال : يا حواء ، أين أبني ؟ فأخبرته بفعل آدم إياه ؛ فذهب

(١) شر الزبل : قلق من مرض آدم . والناد : الندى والشر والامر القبيح . وتكذب الريح : هربا من  
كل وجه ، وهو مأخوذ من خداع الثوب . والمضطرب ( بكسر الهاء ) : الأضطر .

(٢) العثري ( كويج ) : بيت له ورق فإذا يس طار . وبيت زبيل : صوت فيه الريح .

(٣) زيادة عن فوائد الأصول لفريقي الحكم .

إلى البحر فقال: يا خناس، غيبي فاجابه . فجاء به إلى حواء الثالثة وقال: اكفليه . فنظر؛ إليه آدم فذبحه وشواه وأكلاه جميعا . فجاء إبليس فأسأله فأخبرته [ حواء ] . فقال: يا خناس، غيبي فاجابه [ فجاء به ] من جوف آدم وحواء . فقال إبليس : هذا الذي أردت ، وهذا مسكنك في صدر ولد آدم؛ فهو ملتئم قلب ابن آدم مادام غافلا يوسوس ، فإذا ذكر الله لفظ قلبه وانخلس . ذكر هذا الخبير الترمذي الحكيم في نوادر الأصول بإسناد عن وهب بن منبه . وما أنشئه يصح ، والله تعالى أعلم . ووصف بالخناس لأنه كثير الاختفاء؛ ومنه قوله تعالى : « فَلَا أَقِيمُ الْإِنْسَانُ » يعني التجوم لاختفائها بعد ظهورها . وقيل : لأنه يخنس إذا ذكر العبد الله؛ أي يتأخر . وفي الخبر « إن الشيطان جائم على قلب ابن آدم فإذا غفل وسوس وإذا ذكر الله خنس » أي تأخر وأقصر . وقال قتادة : « الخناس » الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان ، فإذا غفل الإنسان وسوس له ، وإذا ذكر العبد ربه خنس . يقول : خنسته لخنس ، أي أخبرته تأخر . وأخسته أيضا . ومنه قول أبي الملاء الحضرى — أنشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم — :

وإن دحسوا بالشر فأعف تكزما \* وإن خنسوا عند الحديث فلا تس

الدحس : الإفساد . ومن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس وإذا نسي الله التزم قلبه فوسوس » . وقال ابن عباس : إذا ذكر الله العبد خنس من قلبه فذهب ، وإذا غفل التزم قلبه فذهبه ومناه . وقال إبراهيم التيمي : أول ما يبدو الوسواس من قبل الوضوء . وقيل : متى خنسا لأنه يرجع إذا غفل العبد عن ذكر الله . والخنس : الرجوع . وقال الرازي :

وصاحب يمتس امتسا \* يزاد إن حيته خنسا

(١) زيادة عن الترمذي الحكيم . (٢) آية ١٥ سورة التوبة .

(٣) في نسخة من الأصل : « ابن آدم » . (٤) في السان : « عت » .

(٥) يمتس : يترك . (٦) في بعض الأصول : « جنته » وبعضها : « جنته » وفي بعضها بدون الحاء .

وقد روى ابن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: «الْوَسْوَاسَ الْخَفِيَّ» وجهين: أحدهما — أنه الراجع بالوصوسة عن الهدى — الثاني — أنه الخلاج بالوصوسة من اليقين .

قوله تعالى : الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾

قال مقاتل: إن الشيطان في صورة خنزير يمرى من ابن آدم يجري الدم في العروق، سلطه الله مل ذلك؛ فذلك قوله تعالى: «الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ». وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان يمرى من ابن آدم يجري الدم». وهذا يصحح ما قاله مقاتل. وروى شهر بن حوشب عن أبي ثعلبة الخشني قال: سألت الله أن يرقي الشيطان ومكانه من ابن آدم فرأيت به يده، ورجلاه في رجله، ومشايعه في جسده؛ فبأن له خطلاً تكلم القلب، فإذا ذكر الله خَسَّ وتَكَسَّ، وإذا سكَّت عن ذكر الله أخذ قلبه، فلي ما وصف أبو ثعلبة أنه متشعب في الجسد؛ أي في كل عضو منه شعبة. وروى عن عبد الرحمن بن الأسود أو غيره من التابعين أنه قال — وقد كُفِّرَ سِتَه — : ما أمنت الزنى وما يؤمنى أن يدخل الشيطان ذكره فيؤتد! فهذا القول بظنك أنه متشعب في الجسد، وهذا معنى قول مقاتل . ووسوسته هو الدعاء لطاعته بكلام خفي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت .

قوله تعالى : مِنْ أَلْحِنَّةٍ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

أخبر أن المَوسوس قد يكون من الناس . قال الحسن: هما شيطانان؛ وأنا شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس ، وأما شيطان الإنس فيأق عِلانية، وقال قتادة: إن من الجن شياطين وإن من الإنس شياطين؛ فتعوذ بالله من شياطين الإنس والجن. وروى عن أبي نذر أنه قال لرجل: هل تعوذت بالله من شياطين الإنس؟ فقال: أومن الإنس شياطين؟ قال: نعم؛ لقوله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ» الآية . وذهب قوم إلى أن الناس هنا يراد به الجن. ثموا ناسكاً سُموا رجالاً في قوله: «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ

الْإِنْسِ يُؤْكِدُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ» - وَقَوْمًا وَقَرَأَ . فَعَلِ هَذَا يَكُونُ «وَالنَّاسِ» مَعْطُفًا عَلَى  
 «الْجِنَّةِ» وَيَكُونُ التَّكْرِيرُ لاختلاف اللفظين . وَذَكَرَ عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ يَجِلُّتُ :  
 جَاءَ قَوْمٌ مِنَ الْجِنِّ فَوَقَفُوا . فَقِيلَ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَاسٌ مِنَ الْجِنِّ . وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْفَرَّاءِ .  
 وَقِيلَ : الْوَسْوَاسُ هُوَ الشَّيْطَانُ . وَقَوْلُهُ : «مِنَ الْجِنَّةِ» بَيَانٌ أَنَّهُ مِنَ الْجِنِّ «وَالنَّاسِ»  
 مَعْطُوفٌ عَلَى الْوَسْوَاسِ . وَالْمَعْنَى : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الَّذِي هُوَ مِنَ  
 الْجِنَّةِ وَمِنْ شَرِّ النَّاسِ . فَعَلِ هَذَا أَمِيرٌ بَانَ يُسَمِّدُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ . وَالْجِنَّةُ جَمْعٌ جَنَى ؛  
 كَمَا يُقَالُ : إِنْسٌ وَإِنْسِي . وَالْمَاءُ ثَلَاثِيثُ الْجَمَاعَةِ . وَقِيلَ : إِنْ إِبْلِيسَ يَوْسُوسُ فِي صَدُورِ الْجِنِّ  
 كَمَا يَوْسُوسُ فِي صَدُورِ النَّاسِ . فَعَلِ هَذَا يَكُونُ «فِي صَدُورِ النَّاسِ» عَامًّا فِي الْجَمِيعِ ، وَمِنْ الْجِنَّةِ  
 وَالنَّاسِ» بَيَانٌ لِمَا يَوْسُوسُ فِي صَدْرِهِ . وَقِيلَ : مَعْنَى «مِنَ شَرِّ الْوَسْوَاسِ» أَى الْوَسْوَاسَةِ الَّتِي  
 تَكُونُ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ، وَهُوَ حَدِيثُ النَّفْسِ . وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 أَنَّهُ قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لَأَمَتِي عَمَّا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمَ بِهِ» .  
 رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ أَبِيهِ سَلَمٍ . فَالَّذِي تَعَالَى أَعْلَمُ بِالْمُرَادِ مِنْ ذَلِكَ .

(١) آية ٦ سورة الجن - (٢) وذلك في قوله تعالى : «وإذ صرفنا إليك قرآنًا من الجن ...» آية ٢٩

سورة الأحقاف .



## استدراك

عجّل أن نرفع أيدينا من هذا الكتاب القيم ، وقبل أن تلتقط أنفاسنا بعد هذا الجهد الكبير المتواصل ، للسعد قراءنا الأعزاء بما تقلمه لم من كنوز ثرائنا العربي الإسلامي الأصيل ، كان لزاماً علينا أن نتوه بأن طبعة هذا الكتاب مأخوذة عن طبعة دار الكتب والوثائق بما طأ وما حلها ، والأمر لا يخلو لا بحالة من بعض الخفات اليسيرة التي لا دخل لنا فيها ولا حيلة لنا في تلافيها .

ومع كل هذا فقلبية لرغبة قرائنا الكرام تقدم بعض التصويبات تاركين بعضها الآخر الذي لا يخفى على القارئ العاقل فهمه واكتشافه .

وقد امتدّت أيدينا إلى الموامش فأثبتنا ما يقابلها في طبعة كتاب الشعب وكان ذلك بالنسبة لموامش الطبعة التي أنططنا عنها ، أما ما يذكر بالنسبة للطبعة الأولى أو الثانية أو الثالثة فقل القارئ أن يرجع إلى لها شاء ، فإن شأنها شأن أي مرجع ذكر في المامش . أما الرموز الموجودة في هامش بعض الصفحات غير ما ذكر فهي اختصار لأسماء النسخ المختلفة لتفسير القرطبي التي قوبلت عليها النسخة التي أنطقنا عنها ضحتنا التي بين يديك ، ومقابلة النسخ المختلفة ضرورة بحثها تحقيق التراث .

كما أثبتنا في آخر الكتاب فهرساً لسور لتيسر للقارئ مهمة البحث وتوفر له الوقت والجهد ، وينتقل إلى موضع السورة وتصبح أحكامها بين يديه ظاهرة واضحة يشرف منها ما شاء له الله أن يفترق .

وهذا جهدنا بقلتنا خالصاً لوجه الله الكريم راجين أن ينفع به المسلمين ،  
إنك يلينا على ما نشاء فقير وبالإجابة جدير .

الخطأ	المصواب	صفحة	سطر	الخطأ	المصواب	صفحة	سطر
نسخ	يشع	٤	١٧	فلا مغي	فلا مغي	١٢٩	
كذب	كذب	٤	٢٠	هنا	هنا	١٣٦	٢١
عرقا	عرقا	٦	٧	تنت	تنت	١٥١	١٢
للركوب	للركوب	١٣	١٧	محمد بن	محمد بن	١٥٢	١٠
يرجوا	يرجوا	١٤	٢١	الجوارح	الجوارح	١٦٤	١٧
الحزن	الحزن	١٥	٢٢	حنا	حنا	١٦٦	٤
الكباش	الكباش	١٦	١٠	يرامون	يرامون	١٧١	٢
فأطلع	فأطلع	١٨	١٨	فتوز	فتوز	١٩٠	٦
سفان	سفان	٢٠	٧	أحيط	أحيط	١٩١	١١
أمرأ	أمرأ	٢٠	١٢	مهي	مهي	١٩٣	٢
تأبهم	تأبهم	٢٠	٢٢	قلبت	قلبت	١٩٧	١٦
فأقصوه	فأقصوه	٢١	٣	الاختطاب	الاختطاب	١٩٨	٩
جرمه	جرمه	٢٤	١٩	وأنوا	وأنوا	٢٠٦	١٠
حدثا	حدثا	٢٤	٢٠	يسيه	يسيه	٢٠٩	٢٣
المهي	المهي	٢٨	١٧	صحيح	صحيح	٢١٧	٥
واللة	واللة	٣٠	٩	الرجال	الرجال	٢٢٠	٧
عشان	عشان	٤٩	٦	معمر	معمر	٢٣٥	١٧
عجزهم	عجزهم	٦٢	١٨	عله	عله	٢٤١	١٥
لهم	لهم	٦٤	١٠	توقيا	توقيا	٢٤١	١٦
وعجوز	وعجوز	٦٤	١٧	عرضهم	عرضهم	٢٤١	٢٠
للعنان	للعنان	٦٧	٢٢	الجدال	الجدال	٢٤٥	٦
سج وعشرون	ثمان وعشرون	٧٩	١٨	لأسجد	لأسجد	٢٥٣	٧
الذباب	الذباب	٨٠	٩	سازت	سازت	٢٥٣	١٦
فمره	فمره	٨١	٦	يرتب	يرتب	٢٥٥	١٥
فأقروا	فأقروا	٨١	١١	المترلة	المترلة	٢٥٨	٢
فككوا	فككوا	٨٥	٦	التخوف	التخوف	٢٨٠	١٠
المرطقي	المرطقي	٨٥	١٦	الاختيار	الاختيار	٢٨٠	١٧
لماه	لماه	٨٨	٢٢	ليس	ليس	٢٨٥	٢٣
اقتضا	اقتضا	١٠١	١٦	القضي	القضي	٢٩٤	١٧
خطاي	خطاي	١٠٢	١	الفر	الفر	٢٩٤	٢٢
التي	التي	١٠٥	٢٣	الصحة	الصحة	٣٠٠	١٦
كيسان	كيسان	١٠٦	١٣	هي السة	هي السة	٣٠٨	٢٢
فين	فين	١٠٧	١٩	ولا تنسوا	ولا تنسوا	٣١٤	١٣
لا يخره	لا يخره	١٠٨	١٨	لحز	لحز	٣١٧	٢
قول	قول	١١٢	٤	عكك	عكك	٣٢٤	١٧
يحكم	يحكم	١١٢	١٤	دكيا	دكيا	٣٢٥	١٩
وعظم	وعظم	١١٥	٥	أثمن	أثمن	٣٢٧	١٨
قال فرعون	قال فرعون	١٢١	٥	عريب	عريب	٣٢٩	١٦
البحر	البحر	١٢٣	٢٣	حيث	حيث	٣٤١	٤
غوشا	غوشا	١٢٧	١٨	ولينى	ولينى	٣٤٤	١٦

سطر	صفحة	المراد	اللفظ	سطر	صفحة	المراد	اللفظ
١	٤٨٠	قرأ	قرأ	١٠	٣٤٧	ليريد	ليريد
١٦	٤٨٠	تبع	تبع	١	٣٤٨	بي	بي
٢	٤٨٥	انقلب	انقلب	١١	٣٥٣	هي	هي
٢	٤٩٠	لأب	لأب	١٥	٣٥٣	كلمات	كلمات
٨	٤٩٥	مفيا	مفيا	١٥	٣٥٤	تغيره	تغيره
١٤	٤٩٩	لألفظ	لألفظ	١٦	٣٥٤	سهم أبدا	سهم أبدا
١	٥٠٣	يحي	يحي	١٠	٣٦٦	الذكر	الذكر
٢٧	٥١٤	(٢)	(١)	٢	٣٦٧	مصفيها	مصفيها
٧	٥٢٣	أيا	أيا	١٦	٣٦٨	نسوا إلى يوحنا	نسوا إلى يوحنا
٢٠	٥٣٧	ليست من الآفة	والوسط البذل	١٥	٣٧٣	أرواحهم	أرواحهم
١٣	٥٤٣	مشقة	سقة	١٥	٣٧٩	بقره	بقره
١٤	٥٤٧	الصلاة	الصلاة	٨	٣٨٠	بقره	بقره
١٩	٥٥٢	الذكر	الذكر	١٧	٣٨١	مخاض	مخاض
١٦	٥٥٧	بالملك	بالملك	١٢	٣٨٢	فأرض	فأرض
٤	٥٦١	بصفو	بصفو	١	٣٨٣	يبين	يبين
٢٧	٥٨٢	ذلك	ذلك	١٦	٣٨٣	نهي	نهي
٣	٥٨٣	تقويم	تقويم	١	٣٨٥	تسنى	تسنى
٧	٥٨٦	بسلم	بسلم	١٧	٣٨٧	فاته	فاته
١٤	٥٨٧	حلالا	حلالا	٩	٣٩١	قوم	قوم
١٦	٥٩٠	دينه	دينه	١	٤٠٠	ليحاجكم	ليحاجكم
١١	٦١٢	إن الله طور وجه	فإن الله طور وجه	٣	٤٠٠	محنة	محنة
١٧	٦٢١	الجنة	الجنة	١٥	٤٠٢	أجاني	أجاني
١٦	٦٢٢	بالحرل	بالحرل	٥	٤١١	يرعى	يرعى
١	٦٢٣	الخصائص	الخصائص	٦	٤١١	القاجر	القاجر
١	٦٢٧	التخي	التخي	٨	٤١١	بعض	بعض
١٤	٦٢٧	الحرف	الحرف	١٣	٤١١	منوخ	منوخ
١١	٦٢٧	إفا	إفا	٢٠	٤١٩	ابنوني الضمير	ابنوني الضمير
٢٧	٦٣٥	الحسان	الحسان	١٧	٤٢٠	نصب	نصب
٢	٦٤٩	الصين	الصين	١٩	٤٢١	يحي	يحي
١٧	٦٥٠	مخرا	مخرا	١٨	٤٢٧	القطر	القطر
٥	٦٥١	بعض	بعض	١	٤٣٢	نيلوا	نيلوا
٦	٦٥١	فصيح	فصيح	٩	٤٣٢	عارضت	عارضت
١٦	٦٥١	فرض	فرض	٨	٤٤٩	عدا	عدا
٨	٦٥٢	برمضان	برمضان	١٧	٤٥١	تشتت	تشتت
٨	٦٥٣	التخي	التخي	٥	٤٥٤	فأداهم	فأداهم
١٢	٥٥٥	الحضر	الحضر	١٨	٤٥٩	معلوم	معلوم
٩٠	٦٥٧	فأنظر	فأنظر	١٦	٤٦٥	يجوز	يجوز
١٢	٦٥٨	بعض	بعض	٩	٤٧٧	ورجعتي	ورجعتي
١٦	٦٥٨	أجزاه	أجزاه	١٧	٤٧٣	ولموا	ولموا

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر	الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
يخز	يخز	٦٥٩	١٥	يخز	يخز	٧٧٨	٢
فأجلهم	فأجلهم	٦٦٣	١٩	فأجلهم	فأجلهم	٧٧٨	١٠
أكلوا	أكلوا	٦٦٤	٩	أكلوا	أكلوا	٧٧٨	١٢
التحصين	التحصين	٦٦٥	٧	التحصين	التحصين	٧٧٨	١٢
الدين	الدين	٦٦٥	١٧	الدين	الدين	٧٧٨	١٢
مدى	مدى	٦٧٤	٢٢	مدى	مدى	٧٧٨	١٧
لنرى	لنرى	٦٨٠	٤	لنرى	لنرى	٧٣١	١٧
أنسى	أنسى	٦٨١	١٣	أنسى	أنسى	٧٣٢	٢١
لدمو	لدمو	٦٨٧	١٩	لدمو	لدمو	٧٣٢	٥
ضوء	ضوء	٦٩٥	١٩	ضوء	ضوء	٧٤٨	١٢
قضاء	قضاء	٦٩٨	٣	قضاء	قضاء	٧٦٠	١
يخرج	يخرج	٧٠٣	٣	يخرج	يخرج	٧٧٣	٤
يصره	يصره	٧٠٣	٣	يصره	يصره	٧٨٧	١١
يغريه	يغريه	٧٠٣	٨	يغريه	يغريه	٧٨٨	١٤
أجاب	أجاب	٧٠٣	١١	أجاب	أجاب	٧٩٤	٥
قطره	قطره	٧٠٦	١٥	قطره	قطره	٨٢٠	٢
خرج	خرج	٧١٢	١٦	خرج	خرج	٨٢٨	٥
تلك	تلك	٧١٢	١٩	تلك	تلك	٨٢٨	١١
لللال	لللال	٧١٦	١٨	لللال	لللال	٨٥٢	١٠
فصل	فصل	٧١٧	٩	فصل	فصل	٨٥٣	١٢
لوجه	لوجه	٧١٧	١١	لوجه	لوجه	٨٨٠	١٣
أبوابها	أبوابها	٧٢١	٦	أبوابها	أبوابها	٨٩٩	١٧
فدخل	فدخل	٧٢١	٦	فدخل	فدخل	٩٠٠	٢
ظهورها	ظهورها	٧٢١	٧	ظهورها	ظهورها	٩٠٠	٢٠
سرحه	سرحه	٧٢١	٨	سرحه	سرحه	٩٠١	١٧
بشم الماء	بشم الماء	٧٢١	١٢	بشم الماء	بشم الماء	٩٠٢	١
قرب	قرب	٧٢١	١٥، ١٤	قرب	قرب	٩٠٢	١٨
الرائع	الرائع	٧٢١	١٦	الرائع	الرائع	٩٠٣	١٥
عطب	عطب	٧٢١	١٨	عطب	عطب	٩٠٤	١٢
يستل	يستل	٧٢١	١٩	يستل	يستل	٩٠٤	١٩
فأعف	فأعف	٧٢٢	٧	فأعف	فأعف	٩٠٥	٤
وأصغرهم	وأصغرهم	٧٢٢	٧	وأصغرهم	وأصغرهم	٩٠٧	١
وأصغرهم	وأصغرهم	٧٢٢	٧	وأصغرهم	وأصغرهم	٩٠٨	٨
حملا	حملا	٧٢٢	٧	حملا	حملا	٩٠٩	١٧
فصحت	فصحت	٧٢٣	١٩	فصحت	فصحت	٩٣٣	١٦
الزمى	الزمى	٧٢٤	١	الزمى	الزمى	٩٣٩	١٣
الشيوخ	الشيوخ	٧٢٤	٤	الشيوخ	الشيوخ	٩٣٩	١٤
سله	سله	٧٢٧	٢	سله	سله	١٠٠٠	١٩
الباغي	الباغي	٧٢٧	١٩، ١٨	الباغي	الباغي	١٠٠٤	٢١
الباغين	الباغين	٧٢٧	٢٠	الباغين	الباغين	١٠١٢	٢

الخطأ	المصواب	صفحة	سطر	خطأ	مصاب	صفحة	سطر
أَفْشَى	أَفْشَى	١٠١٣	١٩	الْكَيْتُ	الْكَيْتُ	١٠٥٧	١٢
لِلْإِنْسَانِ	لِلْإِنْسَانِ	١٠٤١	٨	لَنْ يَنْفُلَ	لَنْ يَنْفُلَ	١٤٩٦	١٣، ١٢
أَمِيرٌ	أَمِيرٌ	١٠٤٤	١٦	تَنْوَعِي كُلَّ	تَنْوَعِي كُلَّ	١٤٩٦	١٣
فَإِذَا	فَإِذَا	١٠٤٦		لَمْ	لَمْ	٢٠١٦	٢٠
فَأَتَيْنَا	فَأَتَيْنَا	١٠٥٣	٤	تَبَيَّنَكُمْ	تَبَيَّنَكُمْ	٣٩٣٩	٩
مَتَّبِعْ	مَتَّبِعْ	١٠٥٥	٢٠	أَعْلَمُ الدُّنْيَا	أَعْلَمُ الدُّنْيَا	٣٠٣٩	١٠

ملاحظة عامة :

نتيجة خطأ في حلت بعض الصفحات في غير مكانها وذلك مرجوا ملاحظة ما يأتي :

الصفحة رقم ٤٥٩٢ ينشر ترقيتها إلى ٤٥٩٣

الصفحة رقم ٤٥٩٣ ينشر ترقيتها إلى ٤٥٩٢

حتى يسير الكلام في صفحات ٤٥٩٢ ، ٤٥٩٣ ، ٤٥٩٤ في وضعه الطبيعي ؟

الكتاب	الصفحة	الكتاب	الصفحة	الكتاب	الصفحة	الكتاب	الصفحة
١٨٣١ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١٠٨٩	(١) راج ٥٤ من ٢٦٦	١٠٨٩	٢٦٦ راج ٥٤ من ٢٦٦	١٠٨٩	(١) راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٤٨
٢٩٤٨ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١٠٩٠	(٢) راج ٨٣ من ٢٦٦	١٠٩٠	٢٦٦ راج ٨٣ من ٢٦٦	١٠٩٠	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٤٩
١٨٣٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١٠٩١	(٣) راج ٥٤ من ٢٦٦	١٠٩١	٢٦٦ راج ٥٤ من ٢٦٦	١٠٩١	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٥٠
١٨٥٠ - من ٢٨٠	١٠٩٢	(٤) راج ١١٣ من ٢٦٦	١٠٩٢	٢٦٦ راج ١١٣ من ٢٦٦	١٠٩٢	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٥١
٢٠٥٤ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١٠٩٣	(٥) راج ٢٣ من ٢٦٦	١٠٩٣	٢٦٦ راج ٢٣ من ٢٦٦	١٠٩٣	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٥٢
٤٢٤٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١٠٩٤	(٦) راج ٢٣ من ٢٦٦	١٠٩٤	٢٦٦ راج ٢٣ من ٢٦٦	١٠٩٤	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٥٣
٤٦٦٦ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١٠٩٥	(٧) راج ٨٣ من ٢٦٦	١٠٩٥	٢٦٦ راج ٨٣ من ٢٦٦	١٠٩٥	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٥٤
٣٣٠٠ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١٠٩٦	(٨) راج ٩٤ من ٢٦٦	١٠٩٦	٢٦٦ راج ٩٤ من ٢٦٦	١٠٩٦	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٥٥
٣٢٥٥ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١٠٩٧	(٩) راج ٩٤ من ٢٦٦	١٠٩٧	٢٦٦ راج ٩٤ من ٢٦٦	١٠٩٧	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٥٦
١٣٤٥ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١٠٩٨	(١٠) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١٠٩٨	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١٠٩٨	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٥٧
١٢٥٠ - من ١٢٥٠	١٠٩٩	(١١) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١٠٩٩	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١٠٩٩	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٥٨
٢٧٧٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٠٠	(١٢) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٠	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٠	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٥٩
٤٠٥٥ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٠١	(١٣) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠١	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠١	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٦٠
٣٧٤٩ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٠٢	(١٤) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٢	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٢	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٦١
٤٢٢٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٠٣	(١٥) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٣	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٣	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٦٢
٤٢٦٥ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٠٤	(١٦) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٤	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٤	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٦٣
٤٢٢٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٠٥	(١٧) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٥	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٥	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٦٤
٣٩٩١ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٠٦	(١٨) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٦	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٦	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٦٥
٣٧٣٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٠٧	(١٩) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٧	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٧	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٦٦
٣١٩٩ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٠٨	(٢٠) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٨	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٨	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٦٧
٧٠٠٨ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٠٩	(٢١) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٩	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٠٩	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٦٨
٦٤٦٦ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١١٠	(٢٢) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٠	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٠	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٦٩
٣٦٤٦ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١١١	(٢٣) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١١	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١١	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٧٠
٣٧١٤ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١١٢	(٢٤) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٢	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٢	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٧١
١٠٥٥ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١١٣	(٢٥) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٣	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٣	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٧٢
١١٩٠ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١١٤	(٢٦) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٤	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٤	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٧٣
١٢٥٠ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١١٥	(٢٧) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٥	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٥	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٧٤
٢٧٧٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١١٦	(٢٨) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٦	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٦	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٧٥
٤٠٥٥ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١١٧	(٢٩) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٧	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٧	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٧٦
٣٧٤٩ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١١٨	(٣٠) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٨	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٨	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٧٧
٤٢٢٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١١٩	(٣١) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٩	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١١٩	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٧٨
٤٢٦٥ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٢٠	(٣٢) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٠	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٠	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٧٩
٤٢٢٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٢١	(٣٣) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢١	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢١	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٨٠
٣٩٩١ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٢٢	(٣٤) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٢	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٢	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٨١
٣٧٣٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٢٣	(٣٥) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٣	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٣	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٨٢
٣١٩٩ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٢٤	(٣٦) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٤	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٤	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٨٣
٧٠٠٨ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٢٥	(٣٧) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٥	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٥	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٨٤
٦٤٦٦ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٢٦	(٣٨) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٦	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٦	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٨٥
٣٦٤٦ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٢٧	(٣٩) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٧	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٧	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٨٦
٣٧١٤ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٢٨	(٤٠) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٨	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٨	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٨٧
١٠٥٥ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٢٩	(٤١) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٩	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٢٩	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٨٨
١١٩٠ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٣٠	(٤٢) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٠	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٠	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٨٩
١٢٥٠ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٣١	(٤٣) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣١	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣١	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٩٠
٢٧٧٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٣٢	(٤٤) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٢	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٢	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٩١
٤٠٥٥ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٣٣	(٤٥) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٣	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٣	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٩٢
٣٧٤٩ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٣٤	(٤٦) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٤	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٤	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٩٣
٤٢٢٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٣٥	(٤٧) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٥	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٥	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٩٤
٤٢٦٥ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٣٦	(٤٨) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٦	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٦	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٩٥
٤٢٢٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٣٧	(٤٩) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٧	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٧	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٩٦
٣٩٩١ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٣٨	(٥٠) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٨	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٨	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٩٧
٣٧٣٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٣٩	(٥١) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٩	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٣٩	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٩٨
٣١٩٩ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٤٠	(٥٢) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٠	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٠	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٨٩٩
٧٠٠٨ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٤١	(٥٣) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤١	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤١	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩٠٠
٦٤٦٦ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٤٢	(٥٤) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٢	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٢	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩٠١
٣٦٤٦ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٤٣	(٥٥) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٣	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٣	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩٠٢
٣٧١٤ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٤٤	(٥٦) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٤	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٤	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩٠٣
١٠٥٥ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٤٥	(٥٧) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٥	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٥	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩٠٤
١١٩٠ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٤٦	(٥٨) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٦	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٦	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩٠٥
١٢٥٠ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٤٧	(٥٩) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٧	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٧	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩٠٦
٢٧٧٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٤٨	(٦٠) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٨	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٨	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩٠٧
٤٠٥٥ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٤٩	(٦١) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٩	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٤٩	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩٠٨
٣٧٤٩ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٥٠	(٦٢) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٠	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٠	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩٠٩
٤٢٢٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٥١	(٦٣) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥١	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥١	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩١٠
٤٢٦٥ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٥٢	(٦٤) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٢	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٢	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩١١
٤٢٢٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٥٣	(٦٥) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٣	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٣	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩١٢
٣٩٩١ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٥٤	(٦٦) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٤	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٤	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩١٣
٣٧٣٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٥٥	(٦٧) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٥	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٥	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩١٤
٣١٩٩ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٥٦	(٦٨) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٦	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٦	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩١٥
٧٠٠٨ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٥٧	(٦٩) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٧	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٧	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩١٦
٦٤٦٦ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٥٨	(٧٠) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٨	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٨	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩١٧
٣٦٤٦ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٥٩	(٧١) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٩	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٥٩	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩١٨
٣٧١٤ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٦٠	(٧٢) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٦٠	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٦٠	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩١٩
١٠٥٥ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٦١	(٧٣) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٦١	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٦١	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩٢٠
١١٩٠ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٦٢	(٧٤) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٦٢	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٦٢	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩٢١
١٢٥٠ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٦٣	(٧٥) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٦٣	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٦٣	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩٢٢
٢٧٧٢ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٦٤	(٧٦) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٦٤	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٦٤	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢٦٦	٩٢٣
٤٠٥٥ راج كتاب الفقه من ٢٦٦	١١٦٥	(٧٧) راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٦٥	٢٦٦ راج ١٠٣ من ٢٦٦	١١٦٥	٢٦٦ راج ٣٦ من ٢	

[illegible]

ملحق صفحة	المطبع	المصواب	ملحق	المطبع	المصواب
١٢٢١	(٢) راجع ٨٦ ص ٤١	راجع كتاب الشعب ص ٢٨٨٢	٢٠٠٦	(٢) راجع ٤٦ ص ٩٩	راجع كتاب الشعب ص ١٢٤١ وما بعدها
١٢٢١	(٥) راجع ٤٦ ص ٥٧	راجع كتاب الشعب ص ١٢٩٩	٢٠٠٨	(١) راجع ٢٦ ص ١٢٤	راجع كتاب الشعب ص ٢٥٦٠
١٢٢٢	(١) راجع من ٢٣٧ ص	راجع كتاب الشعب ص ١٠٤٥	٢٠٠٨	(١٢) راجع ٤٦ ص ١٢٤	راجع كتاب الشعب ص ١٢٣٧
	خلا الجيز.		٢٠٠٨	(٢) راجع من ٧٥ ص	راجع من ٢٠٧٢ من كتاب الشعب
١٢٢٥	(٢) راجع ص ٤٦	راجع كتاب الشعب ص ١٢٢٩	٢٠٠٩	(٢) راجع ٤٦ ص ١٦٠	راجع كتاب الشعب ص ١٢٥٨ وما بعدها
١٢٢٦	(١) راجع ١٨٦ ص ٢٠١	راجع كتاب الشعب ص ١٩٨٢			
١٢٢٦	(٢) راجع من ٣٠ ص	راجع كتاب الشعب ص ٨٢٨			
	خلا الجيز.				
١٢٢٦	(٢) راجع ٩٦ ص ٣١٠	راجع كتاب الشعب ص ٣٥٣٩	٢٠١٠	(٤) راجع ١١٦ ص ٢١٥	راجع كتاب الشعب ص ٤٢٥٥
١٢٢٦	(٤) راجع ٤٦ ص ٣١٢	راجع كتاب الشعب ص ١٥٥٥	٢٠١٠	(٥) راجع من ٢٤٦ ص	راجع كتاب الشعب ص ٢٢٤٢
١٢٢٧	(١) راجع ١٨٦ ص ٢٢٦	راجع كتاب الشعب ص ١٧٥٥	٢٠١٢	(٥) راجع ٢٦ ص ٢٦	راجع كتاب الشعب ص ٤٢٩
١٢٢٨	(٢) راجع ٢٥٦ ص ٢٢٤	راجع كتاب الشعب ص ١٧٢٤	٢٠١٢	(٦) راجع ١٤٦ ص ١٢٦	راجع كتاب الشعب ص ٥٢٠٨
١٢٢٨	(٣) راجع ٧٦ ص ١٥٦	راجع كتاب الشعب ص ٢٥٩٢	٢٠١٢	(٧) راجع ٤٦ ص ١٦٢	كتاب الشعب ص ١٢٠٤
١٢٢٩	(١) راجع ٢٠٦ ص ١٢٢	راجع كتاب الشعب ص ٧١٠٢	٢٠١٢	(١) راجع ١١٦ ص ٢٢٠	راجع كتاب الشعب ص ٤٢٧٠
١٢٤٥	(٢) راجع ٤٦ ص ١٢٤	راجع كتاب الشعب ص ١٢٦٦	٢٠١٤	(١) راجع ١٠٦ ص ٢٢٠	راجع كتاب الشعب ص ٢٨٤٦
١٢٤٥	(٢) راجع ٤٦ ص ١٢٤	راجع كتاب الشعب ص ٢٢٦٦	٢٠١٤	(٢) راجع ١١٦ ص ٢١٤	راجع كتاب الشعب ص ٤٣٠٤
١٢٤٥	(٣) راجع ١٢٦ ص ٩٩	راجع كتاب الشعب ص ٤٤٩١	٢٠١٨	(٢) راجع ٢٦ ص ٨٨	راجع كتاب الشعب ص ١٢٣٠
١٢٧٩	(٢) راجع المعلقة (١)	راجع المعلقة (١) من كتاب الشعب ص ١٢٧١	٢٠١٨	(٤) راجع ١٨٦ ص ٢١٠	راجع كتاب الشعب ص ١٦٨٢
١٢٨٥	راجع المعلقة المعلقة ٢	راجع كتاب الشعب ص ١٠٢١	٢٠١٨	(٥) راجع ١٤٦ ص ٧٦	راجع كتاب الشعب ص ٥١٥٨
	٢١٢		٢٠١٨	(٧) راجع ٢٦ ص ١١٠	راجع كتاب الشعب ص ٥٠٥٥
١٦٠٧	حيات بنوع المعلقة ذكر	ارجع إلى كتاب الشعب	٢٠١٩	(٢) راجع ١١٦ ص ١٦٠	راجع كتاب الشعب ص ٩٨٨٠
	في ج ٢ ص ٢٨٦ بكره ما خلا	س ١١٩٤	٢٠١٩	(٢) راجع ١٧٦ ص ٢٠٨	راجع كتاب الشعب ص ٦٤٧٨
١٦٧٢	(٢) راجع ٢٦ ص ٢٠٥	راجع كتاب الشعب ص ١٠١٢			
١٧٢١	(٢) راجع في ص ١٥٦	وسمى في كتاب الشعب ص ١٧٢٦	٢٠١٩	(٤) راجع ١٠٦ ص ٢٢٢	راجع كتاب الشعب ص ٢٩٢٨
			٢٠٢٠	(٢) سيات ذكر الملكية	سيات ذكر الملكية في كتاب الشعب ص ٢١١٥
١٧٤٥	(١) في آية ٢ من طه	ق كتاب الشعب ص ١٥٨١	٢٠٢١	(١) راجع من ١٦٦ ص	راجع كتاب الشعب ص ٢١١٢
١٧٧٤	(١) راجع المعلقة (٧)	راجع المعلقة (٧) من كتاب الشعب ص ١٧٥٢	٢٠٢٢	(٢) راجع ٩٦ ص ٢٧	راجع كتاب الشعب ص ٢٢٥٥
١٨٢٢	راجع من ٥٢ ص	راجع كتاب الشعب ص ١٦٢٢	٢٠٢٢	(٢) راجع ٤٦ ص ١٥٦	راجع كتاب الشعب ص ١٢٩٨
	خلا الجيز.		٢٠٢٢	(٢) راجع ٤٦ ص ١٥٦	راجع كتاب الشعب ص ١١٨٢
١٩٩٨	(١) راجع ٩٦ ص ١٤	راجع كتاب الشعب ص ٢٢٩٢	٢٠٢٢	(٢) راجع ٤٦ ص ١٥٦	راجع كتاب الشعب ص ١١٨٢
١٩٩٨	(٢) راجع ٢٦ ص ٣١٠	راجع كتاب الشعب ص ٧٥٥	٢٠٢٢	(٢) راجع ٤٦ ص ١٥٦	راجع كتاب الشعب ص ١١٨٢
٢٠٠٠	(١) راجع ٤٦ ص ٢٠٧	راجع كتاب الشعب ص ١٤٤٩	٢٠٢٢	(٢) راجع ٥٦ ص ٧٦	راجع كتاب الشعب ص ١١٤٦
٢٠٠٠	(٢) راجع ١٦٦ ص ٢٨	راجع كتاب الشعب ص ٥٨٥٨	٢٠٢٢	(٥) راجع ١٥٦ ص ٢٤	راجع كتاب الشعب ص ٥٤٧٨
٢٠٠١	(١) راجع ٢٦ ص ٩٦	راجع كتاب الشعب ص ٤٨٧	٢٠٢٥	(٢) راجع ٩٦ ص ٢٤	راجع كتاب الشعب ص ٢٤٧٨
٢٠٠١	(٤) راجع ١١٦ ص ٢٢	راجع كتاب الشعب ص ٤٠٦٢	٢٠٢٩	(١) راجع ٨٦ ص ٢١٦	راجع كتاب الشعب ص ٢٠١٥
٢٠٠١	(٥) راجع ٤٦ ص ٢٤	راجع كتاب الشعب ص ١٤٩٠	٢٠٢٩	(٢) راجع ١٧٦ ص ١١٢	راجع كتاب الشعب ص ١٢٧٢
٢٠٠١	(٣) راجع ١٥٦ ص ٢٢٩	راجع كتاب الشعب ص ٥٧٨٢	٢٠٢٩	(٢) راجع ٤٦ ص ٢٠٤	راجع كتاب الشعب ص ١٥٤٦
٢٠٠٤	(٤) راجع ٢٦ ص ٢٥	راجع كتاب الشعب ص ٤١٨٥	٢٣٠١	(٢) راجع ١٠٦ ص ٦٨	راجع كتاب الشعب ص ٢٣٨٤
٢٠٠٤	(٧) راجع ٥٥٢ ص ٢٤٢	راجع كتاب الشعب ص ١٨١٢			
	س ٢٨٨	س ١٩٥١	٢٠٢١	(٢) راجع ٧٦ ص ١١١	راجع كتاب الشعب ص ٢٥٤٧
٢٠٠٥	(١) راجع ٤٦ ص ٨٨	راجع كتاب الشعب ص ١٢٢٠	٢٠٢٢	(٢) راجع ١٨٦ ص ١٧	راجع كتاب الشعب ص ٢٤٩٦

ملش	الحظا	السرلاب	ملش	الحظا	السرلاب
٢٠٢٢	(٣) راجع ١٠٥ ص ٣١	راجع كتاب القشب من ٣١٥٢	٢٠٧٥	(٤) راجع ١٢٦ ص ٤٤	راجع كتاب القشب من ٤٧٦٠
٢٠٢٣	(٢) راجع ٩٢ ص ٢٢٤	راجع كتاب القشب من ٣٥٦٢	٢٠٧٦	(١) راجع ٣٦ ص ٦٩	راجع كتاب القشب من ٨٧٧
٢٠٢٤	(٢) راجع ١٢٦ ص ٥٦	راجع كتاب القشب من ٤٤٤٨		وما بعدها	
٢٠٢٦	(٢) راجع ٨٦ ص ٧١	راجع كتاب القشب من ٢٩١٠	٢٠٧٦	(٢) راجع ٥٥ ص ١٢٠	راجع كتاب القشب من ١٦٩٠
٢٠٢٦	(٢) راجع ٢٤ ص ٢٦٥	راجع كتاب القشب من ٧٥٠	٢٠٧٧	(٢) راجع ٥٥ ص ٢١٤	راجع كتاب القشب من ١٧٨٤
٢٠٢٦	(٤) راجع ٣١٧ ص ٢٢٠	راجع كتاب القشب من ٢٢٠	٢٠٧٩	(١) راجع ١٠٥ ص ١٧٤	راجع كتاب القشب من ٣٢٩٠
	ظا الجيزه		٢٠٨٠	(٢) راجع ٥٥ ص ٢٠٩	راجع كتاب القشب من ١٧٧٩
				وما بعدها	
٢٠٢٨	(١) راجع ٢٠٤ ص ١٦٥	راجع كتاب القشب من ٧٢٥٥	٢٠٨١	(٢) راجع ٥٥ ص ٢١٢	راجع كتاب القشب من ١٧٨٢
٢٠٢٩	(١) راجع ٨٢ ص ٧١	راجع كتاب القشب من ٢٩١٠		وما بعدها	
	وص ١٠٢	وص ٢٩١٢			
٢٠٤٠	(١٠) راجع ٨٥ ص ١٣٦	راجع كتاب القشب من ٢٩٧٥	٢٠٨٢	(١) راجع ١٠٥ ص ٢٢١	راجع كتاب القشب من ٣٢٩٧
٢٠٤١	(١) راجع ٨٦ ص ٧١	راجع كتاب القشب من ٢٩١٠	٢٠٨٢	(٢) راجع ١٠٥ ص ١٤٥	راجع كتاب القشب من ٧٢٢٤
٢٠٤١	(٢) راجع ١٨٦ ص ٩٠	راجع كتاب القشب من ٥٨٨٧	٢٠٨٣	(١) راجع ٢٤ ص ٢٢٧	راجع كتاب القشب من ١٧١٢
٢٠٤١	(٢) راجع ٢٠٤ ص ١٠٥	راجع كتاب القشب من ٨٨٨	٢٠٨٣	(٢) راجع ١٠٥ ص ١٠٥	راجع كتاب القشب من ١٥٨٠
٢٠٤٢	(١) راجع ٢٤ ص ٢٥٦	راجع كتاب القشب من ٧٤١	٢٠٨٤	(٢) راجع ٥٥ ص ٢٢٨	راجع كتاب القشب من ١٨٠٨
	وما بعدها	وما بعدها		وما بعدها	
٢٠٤٢	(٥) راجع ١٠٥ ص ١٢٦	راجع كتاب القشب من ٢٧٢٦	٢٠٨٧	(١) راجع ٤٤ ص ٧٨	راجع كتاب القشب من ٥٠٨٩
٢٠٤٥	(٢) راجع ٣٠ ص ١٢٠	راجع كتاب القشب من ٦١١	٢٠٨٧	(٢) راجع ١٠٥ ص ٢٢١	راجع كتاب القشب من ٤٥٥٠
٢٠٥٤	(١) راجع ١٢٢ ص ١٠٥	راجع كتاب القشب من ٤٤٥٧	٢٠٩١	(٢) راجع ١٧٠ ص ١٦٨	راجع كتاب القشب من ٦٣٣٨
٢٠٥٥	(١) راجع ٢٢٢ ص ٥٨	راجع كتاب القشب من ٨٦٦			
٢٠٥٥	(٢) راجع ١٢٦ ص ٨٢	راجع كتاب القشب من ٥١٦٤	٢٠٩١	(٢) راجع ١٦٦ ص ٢٩١	راجع كتاب القشب من ٧٠٨٩
٢٠٥٩	(٢) راجع ٧٦ ص ١٥٢	راجع كتاب القشب من ٢٥٨٩	٢١٠٠	(١) راجع ٥٥ ص ٢٠٤	راجع كتاب القشب من ١٧٧٤
٢٠٥٩	(١) راجع ١٨٦ ص ٢٢٢	راجع كتاب القشب من ٥٤١٤	٢١٠١	(١) راجع ٥٥ ص ٢١٢	راجع كتاب القشب من ١٧٨٢
٢٠٦١	(٤) راجع ٢٤ ص ٢٢٤	راجع كتاب القشب من ٦٢٩	٢١٠٢	(١) راجع ١٢٦ ص ٧٩	راجع كتاب القشب من ٤٧٩٠
	وما بعدها	وما بعدها		وما بعدها	
٢٠٦٢	(١) راجع ٧٦ ص ١١٥	راجع كتاب القشب من ٧٥٥١	٢١٠٢	(٢) راجع ٢٤ ص ٢٢٥	راجع كتاب القشب من ١٥٣٢
٢٠٦٢	(٤) راجع ٧٦ ص ١١٥	راجع كتاب القشب من ٧٤٤١		قشبا نقيلي ظا	
٢٠٦٢	(١) راجع ١٦٥ ص ١٦٥	راجع كتاب القشب من ٥٩٨٥	٢١٠٢	(٢) راجع ٥٥ ص ٢٢٣	راجع كتاب القشب من ١٨٠٨
٢٠٦٢	(٥) راجع ٧٦ ص ١١٥	راجع كتاب القشب من ٢٥١١		وص ٢٢٨ وما بعدها	
٢٠٦٩	(٢) راجع ٢٩٩ ص ٢٢٩	راجع كتاب القشب من ٢٢٩٦	٢١٠٥	(٢) راجع ١٢٦ ص ٩٩	راجع كتاب القشب من ٤٤٩١
	ظا الجيزه		٢١٠٥	(٢) راجع ٧٦ ص ٢١٢	راجع كتاب القشب من ٢٧٩٩
٢٠٧٠	(١) راجع ٩٩ ص ٩٩	راجع كتاب القشب من ٢٥٢٥	٢١٠٦	(١) راجع ١٢٦ ص ٦٦٧	راجع كتاب القشب من ٦٠٨٧
٢٠٧٠	(٢) راجع ٣٦ ص ٢٣٢	راجع كتاب القشب من ١١٢٠		وص ٢٧٤	
٢٠٧٠	(٢) راجع ١٨٦ ص ٢٩٩	راجع كتاب القشب من ٦٧٧٨	٢١٠٦	(٢) راجع ٥٥ ص ٤١٠	راجع كتاب القشب من ١٩٨٠
	وص ٨٦	وص ٦٦٥٥	٢١٠٧	(٢) راجع ٥٥ ص ٤٤	راجع كتاب القشب من ٢٠٤١
٢٠٧١	(٢) راجع ٧٦ ص ٧٥	راجع كتاب القشب من ٢٥١١		ظا الجيزه	
٢٠٧٣	(١) راجع ١١٦ ص ٢٩٢	راجع كتاب القشب من ٤٢٣٢	٢١٠٧	(٢) راجع ١٢٦ ص ١٠٣	راجع كتاب القشب من ٥١٨٥
٢٠٧٣	(١) راجع ٧٦ ص ٧٤	راجع كتاب القشب من ٢٥١٠	٢١١٠	(٢) راجع ١٨٦ ص ٣٧٢	راجع كتاب القشب من ١٤٤٢
٢٠٧٤	(١) راجع ٧٦ ص ٧٥	راجع كتاب القشب من ٢٥١١	٢١١١	(١) راجع ١٨٦ ص ٣٠٥	راجع كتاب القشب من ٦٧٨١
٢٠٧٤	(٢) راجع ٧٦ ص ١٢٤	راجع كتاب القشب من ٢٥١١	٢١١١	(٢) راجع ٥٥ ص ٦٩	راجع كتاب القشب من ٢٣١١
٢٠٧٤	(٢) راجع ٧٦ ص ١٢٤	راجع كتاب القشب من ٢٥١١	٢١١٢	(٢) راجع ٨٦ ص ٢١٢	راجع كتاب القشب من ٢٨٧٠
٢٠٧٥	(٢) راجع ٣١٦ ص ٢١٦	راجع كتاب القشب من ٢٢١٢	٢١١٥	(١) راجع ١٧ ص ٢١	راجع كتاب القشب من ٢٠١٢
	ظا الجيزه				

[illegible]

ملحق صفحة	الكتاب	المصواب	ملحق صفحة	الكتاب	المصواب
٢٢٣٧	(٢) راجع ٢٣ ص ٢٢٧٧	راجع كتاب الشعب من ١٠٤٥	٢٢٧١	(٩) راجع ١٥٣ ص ٢١٢٢	راجع كتاب الشعب من ١٠٤٥
٢٢٣٧	(٥) راجع ١٨٣ ص ٢٥	راجع كتاب الشعب من ١٥١٤	٢٢٧٢	(١) راجع من ٢٩٦ ص ٢٩٦	راجع كتاب الشعب من ٢٢٩٢
٢٢٣٧	(٢) راجع ١٨٣ ص ١٥٩	راجع كتاب الشعب من ١٦٣٨	٢٢٧٣	(٢) راجع ١٩٤ ص ١٢٥	هذا الجزء
٢٢٣٨	(٢) راجع ١٩٤ ص ١٦٨	راجع كتاب الشعب من ١٦٨٠	٢٢٧٣	(٣) راجع ٢٤ ص ١٥٢	راجع كتاب الشعب من ٥٤٨
٢٢٣٨	(٤) راجع ٧٤ ص ٢٥٢	راجع كتاب الشعب من ٢٦٨٩	٢٢٧٣	وما بعدها	
٢٢٣٨	(٥) راجع ٩٣ ص ٢٤٢	راجع كتاب الشعب من ٢٥٧١	٢٢٧٧	(٣) راجع ٢٤ ص ١٦٥	راجع كتاب الشعب من ١٣٠٧
٢٢٣٩	(٢) راجع ٨٣ ص ٢٤٢	راجع كتاب الشعب من ٢٨٨١	٢٢٧٩	(١) راجع ٢٤ ص ٩٦	راجع كتاب الشعب من ٩٠٤
٢٢٤٥	(٢) راجع من ١١١ ص ٢٢٣	راجع من ١٩٠٨ ص ١٩١٢	٢٢٨٠	(١) راجع ٢٤ ص ٢٢٢	راجع كتاب الشعب من ٧١٧
	هذا الجزء وج ٥ ص ٣٧٢			وما بعدها	
٢٢٤١	(٤) راجع ٩٣ ص ٢٦٧	راجع كتاب الشعب من ٢٥٩٦	٢٢٨٢	(١) راجع ٢ ص ٢	راجع كتاب الشعب من ٤٨٥٩
٢٢٤١	(٥) راجع من ٣٣٧ ص ٢٢٢	راجع كتاب الشعب من ٢٢٢٤			
٢٢٤٢	(١) راجع ٢٠٣ ص ١٢٢	راجع كتاب الشعب من ٧٢١٢	٢٢٨٣	(٢) راجع ٨٣ ص ٢٣٥	راجع كتاب الشعب من ٣١٧٤
٢٢٤٢	(٢) راجع ٢٤ ص ٢٨٤	راجع كتاب الشعب من ١٥٢٦	٢٢٨٣	(٣) راجع ٥٥ ص ١٩٩	راجع كتاب الشعب من ١٧٩٩
	وما بعدها	وما بعدها	٢٢٨٥	(١) راجع ٧٣ ص ١١٥	راجع كتاب الشعب من ٢٥٥١
٢٢٤٥	(٤) راجع ١٦٣ ص ٢٦٨	راجع كتاب الشعب من ٤٣٠٨	٢٢٨٦	(٢) راجع ١٢٣ ص ٥٢	راجع كتاب الشعب من ٤٤٤٥
٢٢٤٦	(١) راجع ٤٣ ص ٨٨	راجع كتاب الشعب من ١٣٣٠	٢٢٨٩	(٢) راجع ٢٤ ص ١٤٨	راجع كتاب الشعب من ٥٤٢
٢٢٤٦	وما بعدها			وما بعدها	
٢٢٤٧	(١) راجع من ٢٣ ص ٢٢١	راجع من ٢٠١٩ وما بعدها	٢٢٨٩	(٣) راجع ٢٤ ص ٥١	راجع كتاب الشعب من ٨٥٩٩
	وما بعدها	وما بعدها	٢٢٨٩	(٤) راجع من ٥٧ ص ٢٠٥	راجع كتاب الشعب من ٢٠٥١
٢٢٤٧	(٣) راجع ٢٤ ص ١٩٠	راجع كتاب الشعب من ٥٨٥	٢٢٨٩	(٧) راجع ٥٥ ص ٢٠٥	راجع كتاب الشعب من ١٧٧٠
٢٢٤٨	(١) راجع ٢٤ ص ٨٢	راجع كتاب الشعب من ١٣٢٤			
	وما بعدها	وما بعدها	٢٢٩٠	(٣) راجع ٢٤ ص ١٥٧	راجع كتاب الشعب من ٥٥٧
٢٢٤٩	(٢) راجع من ٢١ ص ٢٠١	راجع كتاب الشعب من ٢٠١٧	٢٢٩٢	(٢) راجع ١٠٣ ص ١٢٧	راجع كتاب الشعب من ٣٧٤٣
٢٢٤٩	(٣) راجع ٢٤ ص ٢٤	راجع كتاب الشعب من ٤١٧	٢٢٩٣	(٢) راجع ٢٤ ص ٢٥٢	راجع كتاب الشعب من ١٠٦٥
	وما بعدها	وما بعدها	٢٢٩٣	(٣) راجع ١٩٥ ص ١٩٥	راجع كتاب الشعب من ٢٩٦١
٢٢٥٣	(٣) راجع ١٣٣ ص ٢٩٦	راجع كتاب الشعب من ٥٠١٢	٢٢٩٧	(٢) راجع من ٩٥ ص ١٠٥	راجع كتاب الشعب من ٢٠٩٢
٢٢٥٦	(١) راجع ١٥٣ ص ٢٤٨	راجع كتاب الشعب من ٥٩٩٧	٢٢٩٧	(١) راجع ٧٣ ص ٧٨	راجع كتاب الشعب من ٧٥١١
٢٢٥٦	(٢) راجع ٧٣ ص ٢٦٥	راجع كتاب الشعب من ٢٨٠١	٢٢٩٧	(٢) راجع ١٦٣ ص ٧٣	راجع كتاب الشعب من ٥٨٢٧
٢٢٥٦	(٣) راجع ٢٤ ص ١٥٢	راجع كتاب الشعب من ٥٤٨٨	٢٢٩٧	(١) راجع ١٦٣ ص ١٥١	راجع كتاب الشعب من ٥٩٧١
٢٢٥٦	(٤) راجع ١٦٣ ص ٢٤٩	راجع كتاب الشعب من ٤٢٨٩	٢٢٩٧	(٢) راجع ١٠٣ ص ١٩٢	راجع كتاب الشعب من ٣٨٠٩
٢٢٦٠	(٣) راجع ١٨٣ ص ١٧٧	راجع كتاب الشعب من ٦٦٥٦	٢٢٩٧	(٥) راجع ١٢٣ ص ٣٦٢	راجع كتاب الشعب من ٥٠٧٩
٢٢٦٠	(٤) راجع ٧٣ ص ١٨٩	راجع كتاب الشعب من ٦٦٥٦	٢٢٩٧	(٤) راجع ٨٣ ص ١٣٢	راجع كتاب الشعب من ٢٩٧١
٢٢٦١	(٢) راجع ٢٤ ص ٩٩	راجع كتاب الشعب من ٩٠٧		وما بعدها	
٢٢٦٣	(٣) راجع ١٦٣ ص ٢٧٧	راجع كتاب الشعب من ٦٠٤٧	٢٢٩٧	(٦) راجع ١٢٣ ص ٢٩٧	راجع كتاب الشعب من ٤٦٨٩
٢٢٦٣	(٤) راجع ١١٣ ص ١١٢	راجع كتاب الشعب من ٤١٥٢	٢٢٩٧	(١) راجع ٧٣ ص ٢٣١	راجع كتاب الشعب من ٢٦٦٧
٢٢٦٣	(٥) راجع ١٥٣ ص ٢٥١	راجع كتاب الشعب من ٥٨٠٣	٢٢٩٧	(٢) راجع ١٥٣ ص ١٩١	راجع كتاب الشعب من ٥٦٢٥
٢٢٦٦	(١) راجع ١٠٣ ص ٦١	راجع كتاب الشعب من ٣٦٧٧	٢٢٩٧	(٣) راجع ١٦٣ ص ١٦٥	راجع كتاب الشعب من ٥٩٨٥
٢٢٦٦	(٢) راجع ٨٣ ص ١١٦	راجع كتاب الشعب من ٣٦٧٧	٢٢٩٧	(٤) راجع ٢٤ ص ١٣٧	راجع كتاب الشعب من ١٣٧٩
٢٢٦٥	(١) راجع ٢٤ ص ٩٦	راجع كتاب الشعب من ٩٠٤	٢٢٩٧	(٢) راجع ١٦٣ ص ٣٣٠	راجع كتاب الشعب من ٩١٥٠
٢٢٦٥	(٢) راجع ٢٤ ص ١١٩	راجع كتاب الشعب من ١٢٦١	٢٢٩٧	(٤) راجع ١٠٣ ص ١٢٣	راجع كتاب الشعب من ٣٦٦١
٢٢٦٦	(١) راجع ٣٥ ص ١٠٢	راجع كتاب الشعب من ١٦٧٢	٢٢٩٧	(١) راجع ٢٤ ص ٤٥	راجع كتاب الشعب من ٨٤٨٨
٢٢٧٠	(١) راجع ١٢٣ ص ٧٥	راجع كتاب الشعب من ٤٧٩١	٢٢٩٧	وما بعدها	

ملاحظات	الكتاب	المواضع	المواضع	الكتاب	ملاحظات
٢٢٣٠	(٤) راجع ١٧٤ ص ١٠٨	٢٢٦٤	٢٢٦٤	٢٢٦٤	٢٢٦٤
٢٢٣١	(١) راجع ١٨٣ ص ١٦٢	٢٢٦٥	٢٢٦٥	٢٢٦٥	٢٢٦٥
٢٢٣٢	(٢) راجع ١٨٣ ص ١٠٨	٢٢٦٦	٢٢٦٦	٢٢٦٦	٢٢٦٦
٢٢٣٣	وج ١١ ص ٢٧٢	٢٢٦٧	٢٢٦٧	٢٢٦٧	٢٢٦٧
٢٢٣٤	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٦٨	٢٢٦٨	٢٢٦٨	٢٢٦٨
٢٢٣٥	(٢) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٦٩	٢٢٦٩	٢٢٦٩	٢٢٦٩
٢٢٣٦	(٢) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٧٠	٢٢٧٠	٢٢٧٠	٢٢٧٠
٢٢٣٧	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٧١	٢٢٧١	٢٢٧١	٢٢٧١
٢٢٣٨	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٧٢	٢٢٧٢	٢٢٧٢	٢٢٧٢
٢٢٣٩	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٧٣	٢٢٧٣	٢٢٧٣	٢٢٧٣
٢٢٤٠	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٧٤	٢٢٧٤	٢٢٧٤	٢٢٧٤
٢٢٤١	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٧٥	٢٢٧٥	٢٢٧٥	٢٢٧٥
٢٢٤٢	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٧٦	٢٢٧٦	٢٢٧٦	٢٢٧٦
٢٢٤٣	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٧٧	٢٢٧٧	٢٢٧٧	٢٢٧٧
٢٢٤٤	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٧٨	٢٢٧٨	٢٢٧٨	٢٢٧٨
٢٢٤٥	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٧٩	٢٢٧٩	٢٢٧٩	٢٢٧٩
٢٢٤٦	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٨٠	٢٢٨٠	٢٢٨٠	٢٢٨٠
٢٢٤٧	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٨١	٢٢٨١	٢٢٨١	٢٢٨١
٢٢٤٨	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٨٢	٢٢٨٢	٢٢٨٢	٢٢٨٢
٢٢٤٩	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٨٣	٢٢٨٣	٢٢٨٣	٢٢٨٣
٢٢٥٠	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٨٤	٢٢٨٤	٢٢٨٤	٢٢٨٤
٢٢٥١	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٨٥	٢٢٨٥	٢٢٨٥	٢٢٨٥
٢٢٥٢	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٨٦	٢٢٨٦	٢٢٨٦	٢٢٨٦
٢٢٥٣	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٨٧	٢٢٨٧	٢٢٨٧	٢٢٨٧
٢٢٥٤	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٨٨	٢٢٨٨	٢٢٨٨	٢٢٨٨
٢٢٥٥	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٨٩	٢٢٨٩	٢٢٨٩	٢٢٨٩
٢٢٥٦	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٩٠	٢٢٩٠	٢٢٩٠	٢٢٩٠
٢٢٥٧	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٩١	٢٢٩١	٢٢٩١	٢٢٩١
٢٢٥٨	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٩٢	٢٢٩٢	٢٢٩٢	٢٢٩٢
٢٢٥٩	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٩٣	٢٢٩٣	٢٢٩٣	٢٢٩٣
٢٢٦٠	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٩٤	٢٢٩٤	٢٢٩٤	٢٢٩٤
٢٢٦١	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٩٥	٢٢٩٥	٢٢٩٥	٢٢٩٥
٢٢٦٢	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٩٦	٢٢٩٦	٢٢٩٦	٢٢٩٦
٢٢٦٣	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٩٧	٢٢٩٧	٢٢٩٧	٢٢٩٧
٢٢٦٤	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٩٨	٢٢٩٨	٢٢٩٨	٢٢٩٨
٢٢٦٥	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٢٩٩	٢٢٩٩	٢٢٩٩	٢٢٩٩
٢٢٦٦	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٠٠	٢٣٠٠	٢٣٠٠	٢٣٠٠
٢٢٦٧	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٠١	٢٣٠١	٢٣٠١	٢٣٠١
٢٢٦٨	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٠٢	٢٣٠٢	٢٣٠٢	٢٣٠٢
٢٢٦٩	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٠٣	٢٣٠٣	٢٣٠٣	٢٣٠٣
٢٢٧٠	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٠٤	٢٣٠٤	٢٣٠٤	٢٣٠٤
٢٢٧١	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٠٥	٢٣٠٥	٢٣٠٥	٢٣٠٥
٢٢٧٢	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٠٦	٢٣٠٦	٢٣٠٦	٢٣٠٦
٢٢٧٣	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٠٧	٢٣٠٧	٢٣٠٧	٢٣٠٧
٢٢٧٤	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٠٨	٢٣٠٨	٢٣٠٨	٢٣٠٨
٢٢٧٥	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٠٩	٢٣٠٩	٢٣٠٩	٢٣٠٩
٢٢٧٦	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣١٠	٢٣١٠	٢٣١٠	٢٣١٠
٢٢٧٧	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣١١	٢٣١١	٢٣١١	٢٣١١
٢٢٧٨	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣١٢	٢٣١٢	٢٣١٢	٢٣١٢
٢٢٧٩	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣١٣	٢٣١٣	٢٣١٣	٢٣١٣
٢٢٨٠	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣١٤	٢٣١٤	٢٣١٤	٢٣١٤
٢٢٨١	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣١٥	٢٣١٥	٢٣١٥	٢٣١٥
٢٢٨٢	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣١٦	٢٣١٦	٢٣١٦	٢٣١٦
٢٢٨٣	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣١٧	٢٣١٧	٢٣١٧	٢٣١٧
٢٢٨٤	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣١٨	٢٣١٨	٢٣١٨	٢٣١٨
٢٢٨٥	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣١٩	٢٣١٩	٢٣١٩	٢٣١٩
٢٢٨٦	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٢٠	٢٣٢٠	٢٣٢٠	٢٣٢٠
٢٢٨٧	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٢١	٢٣٢١	٢٣٢١	٢٣٢١
٢٢٨٨	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٢٢	٢٣٢٢	٢٣٢٢	٢٣٢٢
٢٢٨٩	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٢٣	٢٣٢٣	٢٣٢٣	٢٣٢٣
٢٢٩٠	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٢٤	٢٣٢٤	٢٣٢٤	٢٣٢٤
٢٢٩١	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٢٥	٢٣٢٥	٢٣٢٥	٢٣٢٥
٢٢٩٢	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٢٦	٢٣٢٦	٢٣٢٦	٢٣٢٦
٢٢٩٣	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٢٧	٢٣٢٧	٢٣٢٧	٢٣٢٧
٢٢٩٤	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٢٨	٢٣٢٨	٢٣٢٨	٢٣٢٨
٢٢٩٥	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٢٩	٢٣٢٩	٢٣٢٩	٢٣٢٩
٢٢٩٦	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٣٠	٢٣٣٠	٢٣٣٠	٢٣٣٠
٢٢٩٧	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٣١	٢٣٣١	٢٣٣١	٢٣٣١
٢٢٩٨	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٣٢	٢٣٣٢	٢٣٣٢	٢٣٣٢
٢٢٩٩	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٣٣	٢٣٣٣	٢٣٣٣	٢٣٣٣
٢٣٠٠	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٣٤	٢٣٣٤	٢٣٣٤	٢٣٣٤
٢٣٠١	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٣٥	٢٣٣٥	٢٣٣٥	٢٣٣٥
٢٣٠٢	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٣٦	٢٣٣٦	٢٣٣٦	٢٣٣٦
٢٣٠٣	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٣٧	٢٣٣٧	٢٣٣٧	٢٣٣٧
٢٣٠٤	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٣٨	٢٣٣٨	٢٣٣٨	٢٣٣٨
٢٣٠٥	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٣٩	٢٣٣٩	٢٣٣٩	٢٣٣٩
٢٣٠٦	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٤٠	٢٣٤٠	٢٣٤٠	٢٣٤٠
٢٣٠٧	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٤١	٢٣٤١	٢٣٤١	٢٣٤١
٢٣٠٨	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٤٢	٢٣٤٢	٢٣٤٢	٢٣٤٢
٢٣٠٩	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٤٣	٢٣٤٣	٢٣٤٣	٢٣٤٣
٢٣١٠	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٤٤	٢٣٤٤	٢٣٤٤	٢٣٤٤
٢٣١١	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٤٥	٢٣٤٥	٢٣٤٥	٢٣٤٥
٢٣١٢	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٤٦	٢٣٤٦	٢٣٤٦	٢٣٤٦
٢٣١٣	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٤٧	٢٣٤٧	٢٣٤٧	٢٣٤٧
٢٣١٤	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٤٨	٢٣٤٨	٢٣٤٨	٢٣٤٨
٢٣١٥	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٤٩	٢٣٤٩	٢٣٤٩	٢٣٤٩
٢٣١٦	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٥٠	٢٣٥٠	٢٣٥٠	٢٣٥٠
٢٣١٧	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٥١	٢٣٥١	٢٣٥١	٢٣٥١
٢٣١٨	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٥٢	٢٣٥٢	٢٣٥٢	٢٣٥٢
٢٣١٩	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٥٣	٢٣٥٣	٢٣٥٣	٢٣٥٣
٢٣٢٠	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٥٤	٢٣٥٤	٢٣٥٤	٢٣٥٤
٢٣٢١	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٥٥	٢٣٥٥	٢٣٥٥	٢٣٥٥
٢٣٢٢	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٥٦	٢٣٥٦	٢٣٥٦	٢٣٥٦
٢٣٢٣	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٥٧	٢٣٥٧	٢٣٥٧	٢٣٥٧
٢٣٢٤	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٥٨	٢٣٥٨	٢٣٥٨	٢٣٥٨
٢٣٢٥	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٥٩	٢٣٥٩	٢٣٥٩	٢٣٥٩
٢٣٢٦	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٦٠	٢٣٦٠	٢٣٦٠	٢٣٦٠
٢٣٢٧	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٦١	٢٣٦١	٢٣٦١	٢٣٦١
٢٣٢٨	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٦٢	٢٣٦٢	٢٣٦٢	٢٣٦٢
٢٣٢٩	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٦٣	٢٣٦٣	٢٣٦٣	٢٣٦٣
٢٣٣٠	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٦٤	٢٣٦٤	٢٣٦٤	٢٣٦٤
٢٣٣١	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٦٥	٢٣٦٥	٢٣٦٥	٢٣٦٥
٢٣٣٢	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٦٦	٢٣٦٦	٢٣٦٦	٢٣٦٦
٢٣٣٣	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٦٧	٢٣٦٧	٢٣٦٧	٢٣٦٧
٢٣٣٤	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٦٨	٢٣٦٨	٢٣٦٨	٢٣٦٨
٢٣٣٥	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٦٩	٢٣٦٩	٢٣٦٩	٢٣٦٩
٢٣٣٦	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٧٠	٢٣٧٠	٢٣٧٠	٢٣٧٠
٢٣٣٧	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٧١	٢٣٧١	٢٣٧١	٢٣٧١
٢٣٣٨	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٧٢	٢٣٧٢	٢٣٧٢	٢٣٧٢
٢٣٣٩	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٧٣	٢٣٧٣	٢٣٧٣	٢٣٧٣
٢٣٤٠	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٧٤	٢٣٧٤	٢٣٧٤	٢٣٧٤
٢٣٤١	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٧٥	٢٣٧٥	٢٣٧٥	٢٣٧٥
٢٣٤٢	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٧٦	٢٣٧٦	٢٣٧٦	٢٣٧٦
٢٣٤٣	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٧٧	٢٣٧٧	٢٣٧٧	٢٣٧٧
٢٣٤٤	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٧٨	٢٣٧٨	٢٣٧٨	٢٣٧٨
٢٣٤٥	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٧٩	٢٣٧٩	٢٣٧٩	٢٣٧٩
٢٣٤٦	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٨٠	٢٣٨٠	٢٣٨٠	٢٣٨٠
٢٣٤٧	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٨١	٢٣٨١	٢٣٨١	٢٣٨١
٢٣٤٨	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٨٢	٢٣٨٢	٢٣٨٢	٢٣٨٢
٢٣٤٩	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٨٣	٢٣٨٣	٢٣٨٣	٢٣٨٣
٢٣٥٠	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٨٤	٢٣٨٤	٢٣٨٤	٢٣٨٤
٢٣٥١	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٨٥	٢٣٨٥	٢٣٨٥	٢٣٨٥
٢٣٥٢	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٨٦	٢٣٨٦	٢٣٨٦	٢٣٨٦
٢٣٥٣	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٨٧	٢٣٨٧	٢٣٨٧	٢٣٨٧
٢٣٥٤	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٨٨	٢٣٨٨	٢٣٨٨	٢٣٨٨
٢٣٥٥	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٨٩	٢٣٨٩	٢٣٨٩	٢٣٨٩
٢٣٥٦	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٩٠	٢٣٩٠	٢٣٩٠	٢٣٩٠
٢٣٥٧	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٩١	٢٣٩١	٢٣٩١	٢٣٩١
٢٣٥٨	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٩٢	٢٣٩٢	٢٣٩٢	٢٣٩٢
٢٣٥٩	(١) راجع ١٧٤ ص ٢٧٢	٢٣٩٣	٢٣٩٣	٢٣٩٣	٢٣



ملحق صفحة	الكتاب	المصنوع	الحل	المصنوع
٢٧١٥	(٣) راجع ٧٤ ص ١٤٤ وما بعدها	راجع كتاب النصب ص ٢٥٨	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤	راجع كتاب النصب ص ٢٥٥٢
٢٧١٦	(١) راجع ٩٣ ص ٦٨	راجع كتاب النصب ص ٢٢٩٦	(٢) راجع ٧٤ ص ٤٩	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٧١٥	(١) آية ١٠٦ من حصة البقرة ص ١٨٠ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٧٩٦ وما بعدها	(٣) راجع ٤٤ ص ٤٩	راجع كتاب النصب ص ٢١٦٦
٢٧١٦	(١) راجع ٩٣ ص ١١٧	راجع كتاب النصب ص ٢٢٤٥	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٧١٧	(٢) راجع ٧٤ ص ٤٨	راجع كتاب النصب ص ٢٢٩٦	(٢) راجع ٧٤ ص ١٥٨	راجع كتاب النصب ص ٢١٦٦
٢٧١٨	(٢) آية ٢٨ من سورة آل عمران ص ٥٧	راجع كتاب النصب ص ٢٢٩٦	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٧١٩	(٢) آية ٩٧ من سورة سورة النساء ص ٢٤٥	راجع كتاب النصب ص ١٩١٥	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٨٥٨	(٢) راجع ٧٤ ص ١٨٠ من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٧٩٦	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٨١٧	(١) راجع ٧٤ ص ١٢٠ من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٧٩٦	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٨١٢	(١) راجع ٧٤ ص ٩٧	راجع كتاب النصب ص ١٦٦٢	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٨١٤	(١) راجع المصنفات المقتطفة ص ٢١٣	راجع كتاب النصب ص ٤٨١	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٨١٤	(٢) ذكر في الإمام في موسيق (٧ ص ٢٨) وهو في سورة البقرة	راجع كتاب النصب ص ٢٤٦٤ وص ٢٥٨٨	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٨٢٧	(١) راجع ٧٤ ص ٢٢٤	راجع كتاب النصب ص ٢٢٢١	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٨٢٧	(١) راجع ٧٤ ص ١٣٧	راجع كتاب النصب ص ٢٢٩٦	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٨٤١	(٢) راجع ٨٣ ص ٢١٤	راجع كتاب النصب ص ٢١٥٢	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٨٤٤	(٢) آية ٢٨ من سورة الأنعام راجع ٧٤ ص ٢٢٤	راجع كتاب النصب ص ٢٤١٧	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٨٤٦	(٢) راجع ٧٤ ص ١٤٢	راجع كتاب النصب ص ٢٤١٠	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٨٨٠	(١) راجع ٧٤ ص ٢٢٤	راجع كتاب النصب ص ٢٨٥١	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٨٩٤	(٢) راجع ٣٣ ص ٢٦١	راجع كتاب النصب ص ١٠٦٩	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٩٠٦	(٢) راجع ٧٤ ص ٢٨ من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٦٤٤	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٩١٢	(٢) راجع ٧٤ ص ٢٩٠	راجع كتاب النصب ص ٢٢٥٢	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٩٥٢	(٢) راجع ٧٤ ص ٢٦٧	راجع كتاب النصب ص ٢٧٠٠	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٩٦٦	(٢) آية ٨٢ من سورة النساء راجع ٧٤ ص ٢٢٤	راجع كتاب النصب ص ١٨٥٨	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٩٧٢	(١) راجع ٧٤ ص ٢٨٨	راجع كتاب النصب ص ٢٢٦٥	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٩٧٧	(١) راجع ٧٤ ص ١٥٩ من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٢٧٧	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٩٨٣	(١) راجع ٧٤ ص ١٤٢	راجع كتاب النصب ص ٢٦٨٢	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٩٨٤	(١) راجع ٧٤ ص ٢٦٠ من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٨٧٦	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥
٢٩٨٥	(١) راجع ٧٤ ص ١٦٠	راجع كتاب النصب ص ٢٠٦٢	(١) راجع ٩٣ ص ٢٢٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب النصب ص ٢٤٨٥

صفحة	المطاب	المصادر	صفحة	المطاب	المصادر
٤٥١٠	(١) راجع ج ١٠ ص ٨٩١ ٨٩٠	راجع كتاب الشعب من ٣٦٨٤ ومن ٣٧٠٠	٤٦٢٣	(٢) راجع من ١٠٥ من طاب الجزء	راجع كتاب الشعب من ٤٤٩٧
٤٥١٠	(٢) راجع ٩٦ ص ٢٥	راجع كتاب الشعب من ٢٢٥٨	٤٦٢٥	(١) راجع ٥٥ ص ١٠٥ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ٦٦٧٥
٤٥١٠	(٤) راجع ٧٦ ص ٢٢٣	راجع كتاب الشعب من ٢٦٦٩	٤٦٢٦	(١) راجع ١١٦ ص ١٨٧	راجع كتاب الشعب من ٤٢٢٧
٤٥١١	(٢) راجع ٩٦ ص ٢٤٥	راجع كتاب الشعب من ٢٢٦١	٤٦٢٩	(١) راجع ٧٦ ص ١٨٢	راجع كتاب الشعب من ٢٦١٨
٤٥١٨	(١) راجع ٩٦ ص ٩٢	راجع كتاب الشعب من ٢٢٢١	٤٦٣٠	(٢) راجع ٥٥ ص ٩٠	راجع كتاب الشعب من ١٦٦٠
٤٥١٨	(٤) راجع ١١٦ ص ٢٢٧	راجع كتاب الشعب من ٤٢٧٧	٤٦٣١	(٢) راجع ٢٥ ص ٧٢	راجع كتاب الشعب من ٨٨٠
٤٥١٨	(٥) راجع ٢٥ ص ٢١٥	راجع كتاب الشعب من ١٢٢٢	٤٦٣٢	(٢) راجع من ١٦٧ من طاب الجزء	راجع كتاب الشعب من ٤٥٥٩
٤٥١٩	(٢) راجع ٤٦ ص ٢٧٩	راجع كتاب الشعب من ١٥٢١	٤٦٣٥	(١) راجع ٥٥ ص ١٢٦ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ١٢٠٩
٤٥٢٠	(٢) راجع ٧٦ ص ٢٢٢	راجع كتاب الشعب من ٢٦٥٩	٤٦٣٥	(١) راجع ٥٥ ص ١٢٦ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ١٢٠٩
٤٥٢٦	(١) راجع ٢٥ ص ٤٢٧	راجع كتاب الشعب من ١٢٢٥	٤٦٣٦	(١) راجع ٥٥ ص ١٠٥ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ٤٤٩٧
٤٥٢٧	(١) راجع مصلحت من ١١٥ من ١٠٣	راجع كتاب الشعب من ٢٨٢١	٤٦٣٦	(١) راجع ٥٥ ص ١٠٥ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ٤٤٩٧
٤٥٣١	(٢) راجع ٤٦ ص ٢٢٢ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ١٥٦٥	٤٦٤٧	(١) راجع ١٠٣ ص ١٨٠ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ٢٧٩١
٤٥٣٥	(١) راجع ٦٦ ص ٤٢٦	راجع كتاب الشعب من ٢٤٢٢	٤٦٥٨	(١) راجع ٨٦ ص ٢٦٠	راجع كتاب الشعب من ٢٠٩٩
٤٥٣٧	(١) راجع ٧٦ ص ٢٢	راجع كتاب الشعب من ٢٤٥٩	٤٦٦٠	(٢) آية ١٨ سورة البقرة	راجع كتاب الشعب من ٢٩٢٢
٤٥٤٠	(٢) راجع ٧٦ ص ٢٤٧	راجع كتاب الشعب من ٢٧٨٢	٤٦٦٢	(١) راجع ٨٦ ص ٩٠	راجع كتاب الشعب من ٢٥٢٢
٤٥٤٤	(٢) راجع ٧٦ ص ١١٦	راجع كتاب الشعب من ٢٥٥٢	٤٦٨٢	(١) راجع ٥٥ ص ١٠٣ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ٢٥٢٧
٤٥٥١	(١) راجع ٥٥ ص ٨٢ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ١٦٥٢	٤٦٨٣	(٢) راجع ١٠٣ ص ٢٢ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ٤٦٣٩
٤٥٥٢	(٤) راجع ٥٥ ص ٨٧	راجع كتاب الشعب من ١٦٥٧	٤٦٨٦	(١) راجع ٦٦ ص ١٨٤	راجع كتاب الشعب من ٢١٨١
٤٥٥٣	(١) راجع المائة الثالثة	راجع كتاب الشعب من ١٦٥٠	٤٦٨٨	(١) راجع ٧٦ ص ٦٢	راجع كتاب الشعب من ٢٤٩٨
٤٥٥٤	(١) آية ذكرها المؤلف ٥٥ ص ٨١	راجع كتاب الشعب من ٢٢٩٤	٤٦٩٢	(١) راجع ٦٦ ص ١٢	راجع كتاب الشعب من ٢٥٦٠
٤٥٥٦	(٢) راجع ٦٦ ص ٢٩٧	راجع كتاب الشعب من ٢٢٩٤	٤٦٩٢	(٢) راجع ٥٥ ص ٢٥٤	راجع كتاب الشعب من ١٨٢٤
٤٥٦٠	(١) راجع ٦٦ ص ١٤٦	راجع كتاب الشعب من ١٥٤٤	٤٦٩٢	(٢) راجع ٩٦ ص ٢٨٢	راجع كتاب الشعب من ٣٦١١
٤٥٦٤	(٥) راجع ٥٥ ص ١٢٩ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ١٧٠٩	٤٦٩٣	(٢) راجع ٧٦ ص ٨٨	راجع كتاب الشعب من ٢٥٤٤
٤٥٧٠	(٢) راجع ٥٥ ص ٨٢	راجع كتاب الشعب من ١٦٥٢	٤٧٠٧	(١) راجع ٧٦ ص ١	راجع كتاب الشعب من ٢٤٢٧
٤٥٧٨	(٢) آية ١٠٧ من المائدة ٢٢٥ ص ٢٢٥	راجع كتاب الشعب من ٢٢٥٦	٤٧٠٨	(١) راجع ٥٥ ص ٤١٠ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ١٩٨٠
٤٥٨٠	(١) راجع ٧٦ ص ٢٤٢	راجع كتاب الشعب من ٢٦٧٩	٤٧١١	(١) راجع ٥٥ ص ٤٠٩	راجع كتاب الشعب من ٤٠٢٢
٤٥٨٠	(١) راجع ٧٦ ص ٢٤٢ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ٢٢٥٦	٤٧٢٨	(١) راجع ٥٥ ص ٩	راجع كتاب الشعب من ٤٧٤٧
٤٥٨٥	(٢) راجع من ١٠٦ من طاب الجزء	راجع كتاب الشعب من ٤٤٩٨	٤٧٥٥	(١) راجع ٧٦ ص ٢٢٨	راجع كتاب الشعب من ٢٧٢٤
٤٦٠٠	(٢) راجع ٦٦ ص ٢٦١ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ٢٢٦١	٤٨٣٥	(١) راجع من ٢١ من طاب الجزء	راجع كتاب الشعب من ٤٧٤٧
٤٦٠٠	(٢) راجع ٣٦ ص ١٠٣	راجع كتاب الشعب من ٩١٦	٤٨٣٧	(١) راجع ٩٦ ص ١٢٤ وما بعدها	راجع كتاب ب ص ٢٢١٩
٤٦٠٠	(٤) راجع ٤٦ ص ١٢٨	راجع كتاب الشعب من ١٢٢٠	٤٩٦٨	(٢) راجع ٩٦ ص ١٢٤ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ٢٣٦٢
٤٦٠١	(٤) راجع ٣٦ ص ١٢٠	راجع كتاب الشعب من ١٢٢٠	٥٠٥٩	(١) راجع ٧٦ ص ٢٤٧ وما بعدها	راجع كتاب الشعب من ٢٦٨٢
٤٦٠٢	(٢) راجع ٥٥ ص ٢	راجع كتاب الشعب من ١٥٧٢			
٤٦٠٥	(١) راجع ٥٥ ص ٢٦١	راجع كتاب الشعب من ١٦٠٦			
٤٦٢٣	(١) راجع ١٠٣ ص ٢٥٠	راجع كتاب الشعب من ٢٨٦٦			

ملحق صفحة	كتاب	الصفحة	ملحق صفحة	كتاب	الصفحة
٥٠٨٨	(٢) راجع ٩٢ ص ١٩٧	٥١٠٩	٢٤٢٦ راجع كتاب النصب من	٥٠٨٨	(٢) راجع ٩٢ ص ١٩٧
٥٠٩٠	(١) آية ٢٢ سورة الرعد	٥١٦٠	٢٥٥٢ راجع كتاب النصب من	٥٠٩٠	(١) آية ٢٢ سورة الرعد
٥٠٩٧	(١) راجع ١٠٥ ص ٢١٠	٥١٦٢	٢٨٢٦ راجع كتاب النصب من	٥٠٩٧	(١) راجع ١٠٥ ص ٢١٠
٥٠٩٨	(١) راجع ٤٤ ص ٥٦	٥١٦٤	١٢٩٨ راجع كتاب النصب من	٥٠٩٨	(١) راجع ٤٤ ص ٥٦
٥٠٩٩	(١) راجع ٦٦ ص ٢٨٧	٥١٦٤	٢٢٨١ راجع كتاب النصب من	٥٠٩٩	(١) راجع ٦٦ ص ٢٨٧
٥٠٩٩	(٢) راجع ١٣٢ ص ١٢٢	٥١٦٤	٢٨٤٨ راجع كتاب النصب من	٥٠٩٩	(٢) راجع ١٣٢ ص ١٢٢
٥١٠٧	(١) ... راجع ٧٢ ص ١٨٨	٥١٦٧	٢٢٢٤ راجع كتاب النصب من	٥١٠٧	(١) ... راجع ٧٢ ص ١٨٨
٥١١٢	(١) راجع ٤٤ ص ٢٨٩	٥١٧٢	١٩٥٩ راجع كتاب النصب من	٥١١٢	(١) راجع ٤٤ ص ٢٨٩
٥١١٤	(٢) راجع ٧٦ ص ١١٩	٥١٧٦	٢٥٨٨ راجع كتاب النصب من	٥١١٤	(٢) راجع ٧٦ ص ١١٩
٥١١٦	(١) راجع ٤٤ ص ٢٢٢	٥١٨٣	١٤٧٥ راجع كتاب النصب من	٥١١٦	(١) راجع ٤٤ ص ٢٢٢
٥١١٦	(٢) راجع ١٠٥ ص ٢٦٦	٥١٨٩	٢٦٥٢ راجع كتاب النصب من	٥١١٦	(٢) راجع ١٠٥ ص ٢٦٦
٥١١٨	(٢) راجع ٢٢ ص ٢٤٨	٥١٨٩	١١٥٩ راجع كتاب النصب من	٥١١٨	(٢) راجع ٢٢ ص ٢٤٨
٥١٢١	(١) راجع ٥٥ ص ٤١٠	٥٢٠٦	١١٨٠ راجع كتاب النصب من	٥١٢١	(١) راجع ٥٥ ص ٤١٠
٥١٢٥	(١) راجع ١٠٥ ص ٢٦٦	٥٢٠٧	٢٦٢١ راجع كتاب النصب من	٥١٢٥	(١) راجع ١٠٥ ص ٢٦٦
٥١٢٨	(١) راجع ١٠٥ ص ٢٦٦	٥٢٠٨	٢٦٢١ راجع كتاب النصب من	٥١٢٨	(١) راجع ١٠٥ ص ٢٦٦
٥١٢٨	(١) راجع ١٣٢ ص ٢٢٢	٥٢٠٨	١٩٤٩ راجع كتاب النصب من	٥١٢٨	(١) راجع ١٣٢ ص ٢٢٢
٥١٢٢	(٤) راجع ٥٥٠ ص ٢٢١	٥٢١٠	٢٢١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٢٢	(٤) راجع ٥٥٠ ص ٢٢١
٥١٢٢	(٤) راجع ١٠٥ ص ٢٦٦	٥٢١٢	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٢٢	(٤) راجع ١٠٥ ص ٢٦٦
٥١٢٤	(١) راجع ٨٢ ص ٢٢٥	٥٢٢٠	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٢٤	(١) راجع ٨٢ ص ٢٢٥
٥١٢٨	(١) راجع ٧٦ ص ٢٢٥	٥٢٢٢	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٢٨	(١) راجع ٧٦ ص ٢٢٥
٥١٢٩	(٢) راجع ٦٦ ص ٢٤٠	٥٢٢٢	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٢٩	(٢) راجع ٦٦ ص ٢٤٠
٥١٣٠	(١) راجع ٩٢ ص ٢٧٩	٥٢٢٤	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٣٠	(١) راجع ٩٢ ص ٢٧٩
٥١٣٥	(٢) راجع ١٣٢ ص ٢٢٨	٥٢٢٤	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٣٥	(٢) راجع ١٣٢ ص ٢٢٨
٥١٤٦	(١) راجع ١٠٥ ص ٢٢٩	٥٢٢٩	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٤٦	(١) راجع ١٠٥ ص ٢٢٩
٥١٤٧	(١) راجع ٢٢ ص ١١٠	٥٢٢٩	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٤٧	(١) راجع ٢٢ ص ١١٠
٥١٥٢	(١) راجع ٢٢ ص ١١٠	٥٢٢٩	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٥٢	(١) راجع ٢٢ ص ١١٠
٥١٥٢	(١) راجع ١٣٢ ص ٦٨	٥٢٢٩	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٥٢	(١) راجع ١٣٢ ص ٦٨
٥١٥٦	(١) راجع ١٣٢ ص ١٥٤	٥٢٢٩	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٥٦	(١) راجع ١٣٢ ص ١٥٤
٥١٥٦	(٢) راجع ٦٦ ص ٢٨٨	٥٢٢٩	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٥٦	(٢) راجع ٦٦ ص ٢٨٨
٥١٥٦	(٢) آية ١٢١ سورة الأنعام	٥٢٢٩	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٥٦	(٢) آية ١٢١ سورة الأنعام
٥١٥٦	(٥) آية ٢٥١ سورة البقرة	٥٢٢٩	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٥٦	(٥) آية ٢٥١ سورة البقرة
٥١٥٦	(١) راجع ٢٢ ص ٢٧٩	٥٢٢٩	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٥٦	(١) راجع ٢٢ ص ٢٧٩
٥١٥٦	(١) آية ٢٠٢ سورة لقمان	٥٢٢٩	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٥٦	(١) آية ٢٠٢ سورة لقمان
٥١٥٨	(١) راجع ١٣٢ ص ٦٨	٥٢٢٩	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٥٨	(١) راجع ١٣٢ ص ٦٨
٥١٥٨	(٢) آية ٥٨ سورة الأعراف	٥٢٢٩	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٥٨	(٢) آية ٥٨ سورة الأعراف
٥١٥٩	(١) راجع ١٠٥ ص ٢٦٦	٥٢٢٩	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٥٩	(١) راجع ١٠٥ ص ٢٦٦
٥١٥٩	(١) راجع ١٠٥ ص ٢٦٦	٥٢٢٩	٢٦١٨ راجع كتاب النصب من	٥١٥٩	(١) راجع ١٠٥ ص ٢٦٦

[illegible]

[illegible]

الكتاب	المجلد	الصفحة	المجلد	الكتاب	الصفحة
رابع كتاب الشعب من ٢٨١٢	(٢) راجع ٧٦ من ٢٢٧	٦٠٥٢	رابع كتاب الشعب من ٢٣١٦	(١) راجع ١٦١ من ٢٧٦	٥٩٦٧
رابع كتاب الشعب من ٢٥٥٥	(٢) راجع من ٢٢٥ من هذا الجزء	٦٠٥٤	رابع كتاب الشعب من ٢٨٩٩	(١) راجع ١٥٥ من ٢٨٣	٥٩٧٥
رابع كتاب الشعب من ١٤٧٥	(١) راجع ٤٣ من ٢٢٨	٦٠٥٥	رابع كتاب الشعب من ٢٣١٥	(٢) راجع ٩٦ من ٨٧	٥٩٧١
رابع كتاب الشعب من ٢٥٥٢	(١) راجع ٩٦ من ٢٢٤	٦٠٥٦	رابع كتاب الشعب من ٢٠١٤	(٢) راجع ١٥٥ من ٢٩٧	٥٩٧٢
رابع كتاب الشعب من ١٥٥٢	(١) راجع ٢٤ من ٢٤٤	٦٠٦٥	رابع كتاب الشعب من ٥٤٤٩	(٢) راجع ١٥٥ من ٥	٥٩٧٢
رابع كتاب الشعب من ١٥٥٢	(٢) راجع ٢٤ من ٢٤٤	٦٠٦٦	رابع كتاب الشعب من ٥٨٦٦	(١) راجع ٢٥ من ١٩١	٥٩٧٧
رابع كتاب الشعب من ٢٨٦٥	(٢) راجع ٨٥ من ١٢٨	٦٠٧٠	رابع كتاب الشعب من ٥١٤٠	وما بعدها	٥٩٧٩
رابع كتاب الشعب من ٢٧١٥	٩٩ من ١٠٥	٦٠٧٢	رابع كتاب الشعب من ٥١٣٩	(١) راجع ١٤٤ من ٥٧	٥٩٨٢
رابع كتاب الشعب من ٢٠٣٥	(٢) راجع ٨٥ من ١٩٦	٦٠٧٢	رابع كتاب الشعب من ٤٢٨٤	(١) راجع ١١٦ من ٢٣٤	٥٩٨٢
رابع كتاب الشعب من ٨٥٦	(١) راجع ٢٣ من ٤٨	٦٠٧٥	غير موجود بالأصل ولم تصنفه	(١) راجع ١٦٦ من ٥٨٦	٥٩٨٢
رابع كتاب الشعب من ١٤٧٢	(١) راجع ٢٣ من ٢٢٠	٦٠٧٦	رابع كتاب الشعب من ٢٠١٣	(١) راجع ٦٦ من ٦٦	٥٩٨٥
رابع كتاب الشعب من ٢٨٧٨	(٢) راجع ٨٥ من ٢٩	٦٠٧٦	رابع كتاب الشعب من ٤١٧١	(١) راجع ١١٦ من ١٣٢	٥٩٨٤
رابع كتاب الشعب من ٢٤١١	(١) راجع ٦٦ من ٤١٤	٦٠٧٧	رابع كتاب الشعب من ٤٠٢٥	(٢) راجع ١٠٥ من ٤١٨	٥٩٨٥
رابع كتاب الشعب من ٢٨٤٤	(١) راجع ٨٥ من ٢٨٤	٦٠٨١	وما بعدها	١٢٤ من ١٢٤	٥٩٨٥
رابع كتاب الشعب من ١٥٥٦	(١) راجع ٢٣ من ٢٤٨	٦٠٨٤	رابع كتاب الشعب من ٢٧٧٨	(١) راجع ١٠٥ من ١٦٢	٥٩٩٧
رابع كتاب الشعب من ١٥٢٢	(٢) راجع ٤٤ من ٢٨٠	٦٠٨٤	وما بعدها	٢٩ من ١٤	٥٩٩٧
رابع كتاب الشعب من ١٧٦٧	(١) راجع ٥٥ من ١٩٧	٦٠٨٦	رابع كتاب الشعب من ٥٩٧٦	(٢) راجع ١٥٥ من ٢٥٣	٥٩٩٨
رابع كتاب الشعب من ٥٢٨٠	(١) راجع ١٤٤ من ١٩٨	٦٠٨٧	رابع كتاب الشعب من ٢٠٥٤	(٢) راجع ١٥٥ من ١٥٦	٥٩٩٨
رابع كتاب الشعب من ٢٥٥٥	(١) راجع ٨٥ من ٢١٦	٦٠٨٨	رابع كتاب الشعب من ٢٠٥٤	(١) راجع ٦٦ من ٥٩	٦٠٠٤
رابع كتاب الشعب من ٢٩٨٨	(١) راجع ٨٥ من ١٩٩	٦٠٩١	رابع كتاب الشعب من ٢٤٢٨	وما بعدها	٦٠٠٤
رابع كتاب الشعب من ٢١٥٥	(٢) راجع ٢٢ من ٢٢٢	٦٠٩٢	رابع كتاب الشعب من ٢٥٦٤	(٢) راجع ٧٦ من ٢٥	٦٠٠٤
رابع كتاب الشعب من ٤٧٠٤	٢١٢ من ٢١٢	٦٠٩٢	رابع كتاب الشعب من ٢٥٦٤	(١) راجع ٩٦ من ٢٢٥	٦٠٠٨
رابع كتاب الشعب من ٤٤٢٥	(٢) راجع ١٢٤ من ٢٢٢	٦١٠٢	رابع كتاب الشعب من ٢٥٦٤	(١) راجع ٩٦ من ٢٢٥	٦٠٠٨
رابع كتاب الشعب من ٧٦٢	(٢) راجع ٢٢ من ٢٧٨	٦١٠٤	رابع كتاب الشعب من ٥٨٠١	(١) راجع ١٥٥ من ٢٥٧	٦٠١٢
رابع كتاب الشعب من ١٨٩٢	(١) راجع ٥٥ من ٢٢٢	٦١٠٦	رابع كتاب الشعب من ٥٠٤٤	(١) راجع ١٢٤ من ٢٢٨	٦٠١٢
رابع كتاب الشعب من ١٣٢٠	(٢) راجع ٤٤ من ٢٨٥	٦١١٢	رابع كتاب الشعب من ٩٦٨	(٢) راجع ٢٣ من ١٦٠	٦٠١٣
رابع كتاب الشعب من ٢٧٨٢	(٢) راجع ٧٦ من ٢٢٧	٦١٢٠	وما بعدها	٦٤ من ١٤٤	٦٠١٣
رابع كتاب الشعب من ١٧٠٧	(١) راجع ٥٥ من ١٢٧	٦١٢٤	رابع كتاب الشعب من ٥١٤٦	(٥) راجع ١٤٤ من ٦٤	٦٠١٣
رابع كتاب الشعب من ٢١٤١	(٢) راجع ٨٥ من ٢٠٢	٦١٢٤	رابع كتاب الشعب من ٢٥٧٠	(١) راجع ٧٦ من ١٣٤	٦٠١٤
رابع كتاب الشعب من ٢١٣٢	(١) راجع ٨٥ من ٢٩٤	٦١٢٦	وما بعدها	١٣٤ من ١٣٤	٦٠١٤
رابع كتاب الشعب من ٥٩٠٢	(١) راجع ٨٢ من ٨٢	٦١٢٦	رابع كتاب الشعب من ٥٠٤٤	(٢) راجع ١٢٤ من ٢٢٨	٦٠١٤
وما بعدها	٥٦٦٩ من ٥٦٦٩	٦١٢٦	وما بعدها	١٢٤ من ١٢٤	٦٠١٤
رابع كتاب الشعب من ٢٥٥٥	(١) راجع ٨٥ من ١٦٦	٦١٢٧	رابع كتاب الشعب من ٢٥٦٤	(١) راجع ١٠٥ من ٢٤٢	٦٠١٧
رابع كتاب الشعب من ٩١١	(١) راجع ١٠٨ من ١٠٨	٦١٢٧	رابع كتاب الشعب من ٢٤٥٤	(١) راجع ٧٦ من ١٨	٦٠١٨
رابع كتاب الشعب من ١٥٧١	(١) راجع ٥٥ من ٢٨٨	٦١٢٧	رابع كتاب الشعب من ٢٦٦٤	(١) راجع ٧٦ من ١٩٨	٦٠٢٠
رابع كتاب الشعب من ٤٤٩١	(٥) راجع ٥٥ من ٤٧	٦١٢٧	رابع كتاب الشعب من ٢٨٨٤	(١) راجع ٨٥ من ٤٥	٦٠٢٦
رابع كتاب الشعب من ٥٩١٢	(٢) راجع ٩٢ من ٩٢	٦١٢٧	وما بعدها	(٢) راجع ٨٥ من ٤٥	٦٠٢٦
رابع كتاب الشعب من ٥٥٣٨	(٢) راجع ١٥٥ من ٩٤	٦١٢٧	رابع كتاب الشعب من ١٤٧٦	(١) راجع ٤٤ من ٢٧٤	٦٠٥٢
			رابع كتاب الشعب من ٤٤٦٤	(١) راجع ١٢٣ من ٧٧	٦٠٥٤

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الكتاب	المجلد	الصفحة	المجلد	الكتاب	الصفحة
١١٨٤ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٧٠ ص ١٤	٧٠٦٩	٤٩٧ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٢٠ ص ١٠٢	٦١٥٢
١١٨٤ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٨٦ ص ٢٦٤	٧٠٧٢	٢١٦٥ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ٦٠ ص ١٦٨	٦١٥٢
٥٧٨٥ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٥٤ ص ٢٤١	٧٠٧٢	٦٢٨٢ راجع كتاب النصب من	لا يند	
٥٤١ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٢٠ ص ١٦٩	٧٠٧٢	٢١٢٣ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٧٠ ص ٢١٢	٦١٥٤
١١٨٤ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ٥٥ ص ٨٢	٧٠٧٢	٢١٤٢ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٧٠ ص ٢٠٧	٦١٥٦
٢٧٩٦ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٥٠ ص ١٨٠	٧٠٨٤	٤٤٤٥ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٢٦ ص ١٥٢	٦١٥٧
٢٨١٨ راجع كتاب النصب من	٢٠٧ راجع ٢٠ ص ٢٠		٢١٢٤ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ٩٠ ص ٢٠٥	٦١٥٨
٢٧٩٦ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٠٥ ص ١٨٠	٧٠٨٤	٢١٤٢ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٧٠ ص ٢٠٦	٦١٥٩
٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ٨٥ ص ٢٠٧	٧٠٨٥	٥٦٦٥ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٥٥ ص ٢٢٦	٦١٦٧
٢٢٢٢ راجع كتاب النصب من	٩٥ راجع ٩٦ ص ٩٥	٧٠٨٧	لا يند	لا يند	
٢٠٤١ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٢٦ ص ١٥٧	٧٠٨٨	٢١٨١ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٧٠ ص ٢١١	٦١٧٨
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ٧٠ ص ٢٢٠	٧٠٨٨	٢٢٣٩ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٧٠ ص ١٦٩	٦١٨٠
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٩٠ ص ٢٢١	٧٠٩١	٤٩٥٥ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٢٦ ص ٢٢٩	٦١٨٦
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ٤٠ ص ٧٠	٧٠٩٦	لا يند	لا يند	
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٧) راجع ١٦٠ ص ٢٤٢	٧٠٩٦	٢١٩٤ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٧٠ ص ٢٥٦	٦١٩٢
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٩٠ ص ٢٢٤	٧١٠٥	٢٥٠٧ راجع كتاب النصب من	لا يند	
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٥٥ ص ١٩٦	٧١١١	٢٥٠٧ راجع كتاب النصب من	لا يند	
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ٤٠ ص ٢٢٠	٧١١٤	لا يند	لا يند	
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٩٠ ص ٢٢٠	٧١١٨	٤٢١٥ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٦٠ ص ١٧٥	٦١٩٢
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٩٠ ص ٢٢٠	٧١٢٢	٦٢٨٢ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ٤٠ ص ٤٠	٦١٩٦
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	١٢٤٠ و ١٢٤٠		لا يند	لا يند	
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٦٠ ص ١١٢	٧١٢٤	٥٧٥٤ راجع كتاب النصب من	(٤) راجع ١٥٠ ص ٢١٠	٦١٩٥
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٩٠ ص ٢٢٠	٧١٢٤	٢٢٧١ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ٧٠ ص ٢٢٠	٦١٩٥
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٨٠ ص ٢٢٠	٧١٢٨	لا يند	لا يند	
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٥٤ ص ١٥٤	٧١٢٨	٢٢٨٨ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٨٠ ص ٤٠	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٨٠ ص ٧٢	٧١٤٠	لا يند	لا يند	
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٢٦ ص ١٢٨	٧١٤٤	٢٢١٨ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ٦٠ ص ٤٢١	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	١١٠ ص ٦٢ و ١٢٠		٢٢٢٢ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٠٥ ص ١١٧	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	٢٦٤ و ٢٦٤		٢٢٤٢ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٠٥ ص ٢٢٠	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٩٠ ص ٩٠	٧١٤٩	٢٢٦٤ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٧٠ ص ٩٤	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ٧٠ ص ١٧٠	٧١٤٩	٥٨٢٤ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٦٠ ص ٩٤	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٩٠ ص ٢٢٠	٧١٥٤	٦١٨١ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٧٠ ص ١١٠	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	لا يند		١٥٥٤ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ٤٠ ص ٢١٠	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٨٠ ص ١٨٢	٧١٥٨	لا يند	لا يند	
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٧٠ ص ٢٢١	٧١٦٨	٢٢٦١ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٨٠ ص ٢٢٢	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٢٦ ص ١٢٦	٧١٦٨	٢٢٩٤ راجع كتاب النصب من	لا يند	
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٥) راجع ١٧٠ ص ٤١	٧١٦٨	٢٢٩٤ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٤١ ص ١٤١	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٤٠ ص ٢٢١	٧١٧٤	لا يند	لا يند	
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ٤٠ ص ٢٢١	٧١٧٩	٢٢١٨ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٢٥ ص ٢٢٢	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	لا يند		لا يند	لا يند	
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٢٠ ص ٢٢٧	٧١٨٠	٢٢١٨ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٥٥ ص ٢٢٢	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٧٢ ص ٧٢	٧١٨١	لا يند	لا يند	
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٦٠ ص ٥٥	٧١٨٧	٥٩٥٩ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ١٢٦ ص ١٢٦	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٦٠ ص ٥٥	٧١٨٩	٤٤٤٢ راجع كتاب النصب من	(٢) راجع ١٢٦ ص ١٥٥	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	لا يند		٢٢١٢ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٩٠ ص ٢٢٢	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	لا يند		٢٢١٨ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٢٠ ص ٢٢٢	٦٢٠٤
٢٢٠٧ راجع كتاب النصب من	(١) راجع ٢٤٧ ص ٢٤٧	٧١٩٤	لا يند	لا يند	

ملحق صفحة	المجلد	الكتاب	ملحق صفحة	المجلد	الكتاب
٧٢٠٧	(١) راجع ١٢٢ ص ٢٦٢	راجع كتاب الشعب ص ٤٦٥	٧٢٧٤	(١) راجع ١١٦ ص ١٤٧	راجع كتاب الشعب ص ٤١٨٦
٧٢٠٧	(٢) راجع ١٢٢ ص ١١٦	راجع كتاب الشعب ص ٤٥٠	٧٢٧٥	(٤) راجع ص ٧٢ من طفا الحزم	راجع كتاب الشعب ص ٧١٦٢
٧٢٠٧	(٢) راجع ١٢٢ ص ٨٨	راجع كتاب الشعب ص ١٨٥	٧٢٨٨	(٤) راجع ٩٤ ص ٨١	راجع كتاب الشعب ص ٢٣٠٩
٧٢١١	(٢) راجع ١٢٢ ص ٢٥	راجع كتاب الشعب ص ٥٠٦	٧٢٨٩	(١) راجع ١٧٦ ص ١٥٦	راجع كتاب الشعب ص ٩٣٢٦
٧٢٢٠	(٥) راجع ١٢٢ ص ١٢٥	راجع كتاب الشعب ص ٥٩٤	٧٢٩١	(٢) راجع ١٧٦ ص ٦٤	راجع كتاب الشعب ص ٩٢٢٤
٧٢٢١	(٢) راجع ١٨٢ ص ٢٥٧	راجع كتاب الشعب ص ١٧٢٦	٧٢٩٠	(٢) راجع ١٧٦ ص ٤٠	راجع كتاب الشعب ص ٩٢٢٤
٧٢٢٢	(٢) راجع ١٧٦ ص ٢٢٥	راجع كتاب الشعب ص ٦٢٩٥	٧٢٩٠	(١) راجع ٥٥ ص ٤٦	راجع كتاب الشعب ص ٩٦١٦
٧٢٢٩	(١) راجع ١٤٤ ص ٨٧	راجع كتاب الشعب ص ٥١٦٥	٧٢٩٠	(١) راجع ١١٦ ص ١٢١	راجع كتاب الشعب ص ٤١٦٠
٧٢٣١	(١) . . . راجع ٥٥ ص ١٩٥	راجع كتاب الشعب ص ١٧٦٥	٧٣٠٢	(١) راجع ٥٥ ص ١٨١	راجع كتاب الشعب ص ١٧٥١
٧٢٤٧	(١) راجع ١٧٦ ص ٢٢١	راجع كتاب الشعب ص ١٢٩١	٧٣٠٢	و ٩٥ ص ١٢٥ و ١١ ص ٧٨	راجع كتاب الشعب ص ١٢٠٩
٧٢٥٤	(٥) راجع ١٨٢ ص ٢٥٧	راجع كتاب الشعب ص ١٧٢٦	٧٣٠٢	(٢) راجع ٢٥ ص ٢٣٢	راجع كتاب الشعب ص ١١٤٠
٧٢٥٥	(٧) راجع ١٨٢ ص ٢٨٤	راجع كتاب الشعب ص ٦٧٦٢	٧٣١٠	(١) راجع ١٥٦ ص ١٠٧	راجع كتاب الشعب ص ٥٥٥١
٧٢٥٦	(١) راجع ٧٦ ص ١٦٥	راجع كتاب الشعب ص ٧٢٥٥	٧٣١٠	(٢) راجع ١٢٦ ص ٤٢	راجع كتاب الشعب ص ٤١٢٤
٧٢٥٦	و ما بعد ص ١١	و ما بعد ص ٤١٥٥	٧٣٢٣	(٥) راجع ٢٥ ص ٢٧٥	راجع كتاب الشعب ص ١١٨٣
٧٢٥٦	ص ٦٦ و ٧٩٢	و ما بعد ص ٢٢٢٢	٧٣٢٧	(٢) راجع ١١٦ ص ٢٥٦	راجع كتاب الشعب ص ٢٢٩٦
٧٢٥٦	(٢) راجع ١١٦ ص ٢٩٢	راجع كتاب الشعب ص ٢٢٢٢	٧٣٢٨	(١) راجع ١٩٦ ص ١٦٠	راجع كتاب الشعب ص ٢٩٥٢
٧٢٦٠	(١) راجع ١٩٦ ص ٢١٧	راجع كتاب الشعب ص ٧٠١٠	٧٣٢٦	(٤) . . . راجع ٩٦ ص ٦٩	راجع كتاب الشعب ص ٥٨٨٩
٧٢٦٤	(١) راجع ١١٦ ص ١٤٧	راجع كتاب الشعب ص ١١٨٦	٧٣٤٨	(٢) راجع ١٠٢ ص ٢١٥	راجع كتاب الشعب ص ٣٩٣٦
٧٢٦٤	و ما بعد ص ١١	و ما بعد ص ١١٨٦	٧٣٤٨	(٢) راجع ١٠٢ ص ٢١٥	راجع كتاب الشعب ص ٣٩٣٦
٧٢٦٤	(٢) راجع ١١٦ ص ١٢٧	راجع كتاب الشعب ص ١١٨٦	٧٣٤٩	(١) . . . ٥٥ ص ٢٥	راجع كتاب الشعب ص ١٥٢٦
٧٢٦٤	(١) راجع ٢٥ ص ٢١٠	راجع كتاب الشعب ص ١٠١٨	٧٣٤٩	(١) . . . ٥٥ ص ٢٥	راجع كتاب الشعب ص ١٥٢٦
٧٢٦٤	(١) راجع ص ٧١ من طفا الحزم	راجع كتاب الشعب ص ٧١٦٦	٧٣٤٩	(١) . . . ٥٥ ص ٢٥	راجع كتاب الشعب ص ١٥٢٦

# فهرس

رقم الصفحة

الموضوع

رقم الصفحة

الموضوع

٥٩	باب هل ورد في القرآن كلمات خارجة من لسان العرب أو لا
٦١	باب ذكر تكت في أمجاد القرآن وفرائد المعجزة وحقيقتها
٦٢	فصل في أسام المعجرات
٦٣	وجود أمجاد القرآن الكريم
٦٤	باب التنبؤ على أحداث وفست في فضل سورة القرآن وغيره
٦٥	باب ما جاء من الحجة في الرد على من طعن في القرآن وخالف مصحف عثمان بن العاصفة والتفصيل
٦٦	الأول في الاستدلال ، وفيها اثنتا عشرة مسألة البسطة ، وفيها سبع وعشرون مسألة
٦٧	تفسير سورة الفاتحة وفيها أربعة أبواب
٦٨	الكتاب الأول : في فضائلها وأسمائها
٦٩	الكتاب الثاني : في نزلها وأحكامها
٧٠	الكتاب الثالث : في التاميم
٧١	الكتاب الرابع : في فضائلها وأحكامها
٧٢	فيما تضمنته الفاتحة من العساكر والقرارات والأمراء
٧٣	وفصل المفسرين
٧٤	تفسير سورة البقرة
٧٥	الكلام في نزلها ، وفصلها ، وما جاء فيها
٧٦	تفسير سورة آل عمران ، وما جاء فيها من أحكام
٧٧	تفسير سورة النساء ، وما جاء فيها من أحكام
٧٨	تفسير سورة المائدة
٧٩	تفسير سورة الأنعام
٨٠	تفسير سورة الأعراف
٨١	تفسير سورة الأنفال
٨٢	تفسير سورة التوبة ( التوبة )
٨٣	تفسير سورة يونس
٨٤	تفسير سورة هود
٨٥	تفسير سورة يوسف
٨٦	تفسير سورة الزمر
٨٧	تفسير سورة ( الزمر )
٨٨	تفسير سورة ( الزمر )
٨٩	تفسير سورة ( الزمر )
٩٠	تفسير سورة ( الزمر )
٩١	تفسير سورة ( الزمر )
٩٢	تفسير سورة ( الزمر )
٩٣	تفسير سورة ( الزمر )
٩٤	تفسير سورة ( الزمر )
٩٥	تفسير سورة ( الزمر )
٩٦	تفسير سورة ( الزمر )
٩٧	تفسير سورة ( الزمر )
٩٨	تفسير سورة ( الزمر )
٩٩	تفسير سورة ( الزمر )
١٠٠	تفسير سورة ( الزمر )

١٠١	مقدمة الكتاب
١٠٢	باب ذكر جنس من لفائف القرآن والتفصيل فيه وفصل طابعه وفكره وصلته
١٠٣	والشامل به
١٠٤	باب كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى وما يترو منها وما يحرم واختلاف الناس في ذلك
١٠٥	باب تعذيب أهل القرآن والنام من الزيادة وغيره
١٠٦	باب ما ينبغي لمسلم القرآن أن يفعل نفسه به ولا يفعله منه
١٠٧	باب ما جاء في إهراق القرآن وتعليقه والتمت عليه ولواحي من قرأ القرآن سريرا
١٠٨	باب ما جاء في فضل تفسير القرآن وأصله
١٠٩	باب ما جاء في فضل القرآن وما هو وفيه من عباد القرآن وحرمته
١١٠	باب ما جاء في فضل القرآن وحملته من بطون القرآن وحرمته
١١١	باب ما جاء من الزيادة في تفسير القرآن وتأري الوهاب على ذلك ، وما عاين المفسرين
١١٢	باب تبين الكتاب بالأسئلة وما جاء في ذلك
١١٣	باب كيفية التلويح والفتحة لكتاب الله تعالى وسنة تبيح سبلى الله عليه وسلم وما جاء أنه سبيل على من تقدم الفصل به
١١٤	فصل حلقه
١١٥	باب معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرؤا ما تيسر منه
١١٦	فصل في رأي القائلين بوجوب إيراد مفسرة وغيرها من الخطوط في القراءات السبع
١١٧	فصل في ذكر معنى حديث عمر وعثمان
١١٨	باب ذكر جميع القرآن ، وسبب كتب عثمان الصلح وأجره ما سواها ، وذكر من حفظ القرآن من الصحابة وغيره
١١٩	باب من الذين اتفقوا على أنه عليه وسلم فصل في بيان آراء المفسر في فضل عثمان رضي الله عنه
١٢٠	فصل في طعن الرافضة في القرآن وإيراد عليهم ما جاء في ترتيب سور القرآن وآياته وفصله وفصله وتوسيعه وتوسيعه وحروفه وأبجاده وكلماته وآياته
١٢١	فصل في شكل المصحف وقصته وأول من أمر به
١٢٢	فصل في وضع الألفاظ ومن أمر بذلك
١٢٣	فصل في عدد حروف القرآن وأبجاده
١٢٤	فصل في عدد آي القرآن
١٢٥	باب ذكر معنى السورة والآية والكلمة والحرف

[illegible]











